
حسين بن محمد المهدي

صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال

رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: ٦٠١٣
الطابع الزمني: ٢٣-١٦-٢٣-١٣-٠١-٢٠٢٤
المكتبة الشاملة رابط الكتاب

المحتويات

٥	مقدمة	١
٧	الفصل الأول العلم	٢
٧	العلم هو إدراك الشيء بحقيقته	٢.١
٩	بقاء العلم	٢.٢
١٠	العلم عون الدين	٢.٣
١١	العلم يرفع الله به الوضيع	٢.٤
١٢	العلم عنوان العز	٢.٥
١٣	أشرف العلوم	٢.٦
١٣	مبادئ العلوم	٢.٧
١٤	الجد في طلب العلم	٢.٨
١٦	محبة العلم	٢.٩
١٦	تكريم المعلم	٢.١٠
١٧	المعلم الذي لا يؤدي واجبه	٢.١١
١٨	المعلم الذي يخالف علمه عمله	٢.١٢
٢٠	ترك المعاصي سبب في حفظ العلوم وجمعها	٢.١٣
٢١	إنفاق العلم وعدم جواز كتبه	٢.١٤
٢٢	القصة في الحديث النبوي	٢.١٥
٢٢	الجهل يضاد العلم	٢.١٦
٢٤	العليم الخبير في أسماء الله الحسنى	٢.١٧
٢٦	علم الله جل وعلا علم تفرده به	٢.١٨
٢٧	ثمره معرفة اسم الله تعالى العليم الخبير	٢.١٩
٢٨	دعاء الله باسمه العالم العليم	٢.٢٠
٣٠	الفصل الثاني العقل	٣
٣٠	العقل	٣.١
٣٢	العقل والهوى متعاديان	٣.٢
٣٤	عداوة العاقل خير من صداقة الأحمق	٣.٣
٣٤	العقل مناط التدبر وطريق الهدى والرشاد	٣.٤
٣٥	العقل نوعان: مطبوع ومسموع	٣.٥
٣٦	الإنكار على من لم يعمل عقله	٣.٦
٣٧	التجارب تزيد في العقل	٣.٧
٣٧	الأدب النفسي ودوره في تنمية العقل	٣.٨
٣٨	كمال العقل	٣.٩
٣٨	القصة	٣.١٠
٣٨	العقل يرشد الى توحيد الله	٣.١١

٣٩	اسم الله دال على جميع الاسماء الحسنی	٣٠١٢
٤٠	ثمره معرفة اسم الله الجامع للاسماء الحسنی	٣٠١٣
٤١	دعاء الله باسمه الجامع للاسماء الحسنی	٣٠١٤
٤٢	الفصل الثالث الإنسانيه أصلها واحد	٤
٤٢	الإنسانيه أصلها واحد	٤٠١
٤٣	القصة	٤٠٢
٤٥	الإسلام يدعو إلى الأخوة والتعاون	٤٠٣
٤٧	مبدأ الوحدة الإنسانيه والمساواة البشريه	٤٠٤
٤٧	نجاح الأفراد والأمم وأثر الاتفاق والاختلاف على الأسرة الإنسانيه	٤٠٥
٥٠	مراحل نمو خلق الإنسان تدل على أن الله وحده الخالق المنان	٤٠٦
٥٢	الخالق في أسماء الله الحسنی	٤٠٧
٥٣	ثمره معرفة اسم الله الخالق وحده لا شريك له	٤٠٨
٥٤	دعاء الله باسمه الخالق	٤٠٩
٥٤	الفصل الرابع القلم	٥
٥٤	القلم	٥٠١
٥٥	القلم تحيا به الأمم وتتعلم	٥٠٢
٥٥	دور القلم في سعادة الأمم وشقاؤها	٥٠٣
٥٧	القلم الإلكتروني	٥٠٤
٥٨	الكتابة الإلكترونيه: ماهيتها وطبيعتها	٥٠٥
٥٩	القوة الثبوتية للكتابة الإلكترونيه	٥٠٦
٦٠	تسمية ما يكتب فيه عند العرب	٥٠٧
٦٥	الكتب إنشاؤه وزبره	٥٠٨
٦٥	السطر	٥٠٩
٦٦	الكتاب عرضه وحفظه	٥٠١٠
٦٦	الحفيظ والحصي من أسماء الله الحسنی	٥٠١١
٧٠	دعاء الله باسمه الحفيظ الحافظ المحصي	٥٠١٢
٧٠	الفصل الخامس الإيمان	٦
٧٠	الإيمان	٦٠١
٧٢	النجاه في الإيمان بالله	٦٠٢
٧٢	الرفعة بالإيمان	٦٠٣
٧٣	الإيمان بالقضاء والقدر	٦٠٤
٧٥	القدر في القرآن	٦٠٥
٧٧	الرضا والتسليم دليل الإيمان	٦٠٦
٧٨	قصة إيمان أهل الكهف في القرآن	٦٠٧

٧٩	الإيمان بالله يزيل الهم	٦٠٨
٧٩	من يؤمن بالله يهدي قلبه	٦٠٩
٧٩	الخلال الدينئة ليست من صفات المؤمن	٦٠١٠
٧٩	النفاق يضاد الإيمان	٦٠١١
٨١	الإيمان بالغيب	٦٠١٢
٨٤	علم الفلك والنجوم	٦٠١٣
٨٥	الإيمان بأسماء الله وصفاته	٦٠١٤
٨٦	الذكر يقوي الإيمان	٦٠١٥
٨٧	ذكر الله في جوف الليل	٦٠١٦
٨٧	ذكر الله شرف ونعمة	٦٠١٧
٨٧	الدعاء يقوي الإيمان	٦٠١٨
٨٨	من تقرب إلى الله بالدعاء ضمن الإجابة	٦٠١٩
٨٩	المؤمن من أسماء الله الحسنى	٦٠٢٠
٩٠	ثمرة التعرف على اسم الله المؤمن	٦٠٢١
٩٠	الفصل السادس العمل	٧
٩٠	العمل	٧٠١
٩١	العمل سبب الغنى	٧٠٢
٩٢	البكور في طلب الرزق	٧٠٣
٩٤	الحرفة أو الصنعة ضرورة	٧٠٤
٩٥	إتقان العمل	٧٠٥
٩٧	البحث عن العمل	٧٠٦
٩٧	القصة	٧٠٧
٩٧	إعطاء العامل أجره	٧٠٨
٩٧	إعطاء العامل حظه من الراحة	٧٠٩
٩٨	بعث الهمم على العمل	٧٠١٠
٩٨	الباعث في أسماء الله الحسنى	٧٠١١
٩٩	ثمرة معرفة اسم الله الباعث	٧٠١٢
١٠٠	الدعاء باسم الله الباعث	٧٠١٣
١٠٠	الفصل السابع السفر والسياحة	٨
١٠٠	السفر والسياحة	٨٠١
١٠١	حقيقة السفر	٨٠٢
١٠٢	السفر فيه قضاء الحوائج	٨٠٣
١٠٤	علاج (الروتين) الممل	٨٠٤
١٠٥	تأكد من قدرتك الصحية على السفر	٨٠٥
١٠٥	آداب السفر	٨٠٦

١٠٨	الابتسامه والبهجة في السفر	٨٠٧
١١٢	ثلاث نصائح أسديها إليك فلا تنساها في سفرك وحضرك:	٨٠٨
١١٤	الاستمتاع بالسفر والسياحة لا يعني السقوط في الوحل	٨٠٩
١١٥	حاجة المسافر إلى قراءة شيء من القرآن في أسفاره	٨٠١٠
١١٧	المشي يعين على الطاعة ويجلب السعادة	٨٠١١
١١٩	العز والشرف في التنقل	٨٠١٢
١٢٠	أخطار السفر في هذا الزمن قليلة فتمتع بنعمته الكبيرة	٨٠١٣
١٢١	الطائرات السابجات في الجو	٨٠١٤
١٢١	السفر يهدي إلى التعرف على عظمة الصانع جلت قدرته	٨٠١٥
١٢٣	الهادي من أسماء الله الحسنى	٨٠١٦
١٢٥	ثمرة معرفة اسم الله الهادي	٨٠١٧
١٢٦	دعاء الله باسمه الهادي	٨٠١٨
١٢٧	الفصل الثامن الحرية والإباء	٩
١٢٧	الحرية والإباء	٩٠١
١٢٨	الحرية التي ليس عليها ضوابط	٩٠٢
١٢٨	الحرية ليس لها ثمن	٩٠٣
١٣٠	لوم الحر نجاة له	٩٠٤
١٣٠	الحر لا يريق ماء وجهه	٩٠٥
١٣١	الحر يأبى الذل والهوان	٩٠٦
١٤١	الحر يحفظ الود	٩٠٧
١٤٢	فقد الحر رزيئة	٩٠٨
١٤٢	الفصل التاسع الوطن	١٠
١٤٢	الوطن	١٠٠١
١٤٣	حب الوطن ووصفه	١٠٠٢
١٤٥	دعائم المواطنة	١٠٠٣
١٤٧	وأنة لا يأثم امرؤً بجلفه، وأن النصر للمظلوم.	١٠٠٤
١٤٨	خيانة الأوطان جنابة	١٠٠٥
١٤٩	مرارة الغربة عن الأوطان	١٠٠٦
١٤٩	وطن العرب والمسلمين واحد	١٠٠٧
١٥١	خصوصية الوطن الأول	١٠٠٨
١٥١	في الانتقال عن الأوطان	١٠٠٩
١٥٢	الفصل العاشر المال	١١
١٥٢	المال	١١٠١
١٥٣	حب المال	١١٠٢
١٥٥	إنفاق المال في وجوه البر	١١٠٣
١٥٦	لا تبخل عن بذل المال	١١٠٤

١٥٦	فتنة المال وميل الناس إلى صاحبه	١١٠٥
١٥٧	ذهاب المال	١١٠٦
١٥٩	الغنى والفقر	١١٠٧
١٦٤	ثمرة معرفة اسم الله الغني المغني الرزاق	١١٠٨
١٦٤	دعاء الله بأسمه الغني المغني الرزاق	١١٠٩
١٦٤	الفصل الحادي عشر الملك والسياسة	١٢
١٦٥	الملك والسياسة	١٢٠١
١٦٥	الملك هبة الله الواحد المنان	١٢٠٢
١٦٨	اختيار الوزراء	١٢٠٣
١٦٩	مما يستعان به على السياسة	١٢٠٤
١٧٠	وملاك الأمر في هذا كله تقوى الله والرجوع إليه	١٢٠٥
١٧٠	فساد بطانة السلطان	١٢٠٦
١٧١	السياسة الرعناء	١٢٠٧
١٧١	خساسة السياسة	١٢٠٨
١٧٢	السياسة الرشيدة والملك المحبوب	١٢٠٩
١٧٣	طاعة السلطان	١٢٠١٠
١٧٣	الملك مالك الملك والمليك في الأسماء الحسنى	١٢٠١١
١٧٦	ثمرة معرفة اسمه جل وعلا الملك	١٢٠١٢
١٧٧	دعاء الله باسمه الملك والمالك ملك الملك	١٢٠١٣
١٧٨	الفصل الثاني عشر الشكر	١٣
١٧٨	الشكر	١٣٠١
١٧٩	استدامة النعمة بالشكر	١٣٠٢
١٨٠	شكر الخالق واجب	١٣٠٣
١٨١	من شكر الله شكر الناس	١٣٠٤
١٨٣	الشكر فيه الزيادة	١٣٠٥
١٨٤	الشكر أمان من العذاب	١٣٠٦
١٨٥	بحود النعمة والإعراض عن الشكر سبب في الهلاك	١٣٠٧
١٨٥	الشكور الشاكر من أسماء الله الحسنى	١٣٠٨
١٨٦	ثمرة معرفة هذا الاسم	١٣٠٩
١٨٧	الفصل الثالث عشر الكبر	١٤
١٨٧	الكبر	١٤٠١
١٨٧	الكبر يغضب الجبار، ويكون سببا في دخول النار	١٤٠٢
١٨٨	المتكبرون شرار الناس	١٤٠٣
١٨٨	الكبر بطل الحق	١٤٠٤
١٨٩	أسباب الكبر	١٤٠٥
١٩٠	قصه للأحنف بن قيس	١٤٠٦

١٩٠	الكبير والمتكبر في أسماء الله الحسنى	١٤٠٧
١٩١	ثمرة معرفة اسم الله الكبير المتكبر	١٤٠٨
١٩٢	دعاء الله باسمه الكبير المتكبر	١٤٠٩
١٩٢	الفصل الرابع عشر التواضع	١٥
١٩٢	التواضع	١٥٠١
١٩٣	حقيقة التواضع وفضيلته	١٥٠٢
١٩٤	التواضع فريضة، والعجب رذيلة	١٥٠٣
١٩٦	قصة لهارون الرشيد مع اللأمام مالك	١٥٠٤
١٩٦	الفصل الخامس عشر الحب	١٦
١٩٦	الحب	١٦٠١
١٩٧	مفردات الحب	١٦٠٢
١٩٧	ضرورة الحب وحاجة الناس إليه	١٦٠٣
١٩٨	امنح الثقات محبتك	١٦٠٤
٢٠١	الحب وآدابه	١٦٠٥
٢٠١	آفات الحب	١٦٠٦
٢٠١	الحب زينة الحياة	١٦٠٧
٢٠١	حب الجمال نعمة	١٦٠٨
٢٠٢	حب الله	١٦٠٩
٢٠٣	محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم	١٦٠١٠
٢٠٤	أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر محبة له ولأهل بيته	١٦٠١١
٢٠٥	محبة المؤمنين	١٦٠١٢
٢٠٥	محبة الله لعبده أعظم نعمة	١٦٠١٣
٢٠٧	الفرق بين الحب والود	١٦٠١٤
٢٠٨	الودود من أسماء الله الحسنى	١٦٠١٥
٢٠٨	ثمرة معرفة اسم الله الودود	١٦٠١٦
٢٠٩	الفصل السادس عشر الجمال	١٧
٢٠٩	الجمال	١٧٠١
٢١٠	جمال الإنسان	١٧٠٢
٢١٤	جمال الكون	١٧٠٣
٢١٥	الجميل في أسماء الله الحسنى	١٧٠٤
٢١٦	ثمرة معرفة اسم الله الجميل	١٧٠٥
٢١٧	دعاء الله باسمه الجميل الجليل	١٧٠٦
٢١٨	الفصل السابع عشر الحسد	١٨
٢١٨	الحاسد جاحد	١٨٠١
٢١٨	الحسد	١٨٠٢

٢١٩	الحسد خطير وعلاجه عسير	١٨٠٣
٢٢٠	الحاسد لا يرد قدر الرازق.	١٨٠٤
٢٢٠	الحسد ذميمة فلا تتخلق به	١٨٠٥
٢٢١	الكرام من الناس تحسد	١٨٠٦
٢٢٢	قصة لقيس بن زهير:	١٨٠٧
٢٢٢	علاج الحسد	١٨٠٨
٢٢٣	الفصل الثامن عشر الغيبة	١٩
٢٢٣	الغيبة	١٩٠١
٢٢٣	حد الغيبة	١٩٠٢
٢٢٤	من اغتاب أغتیب	١٩٠٣
٢٢٥	قصة للحسن البصري رحمه الله	١٩٠٤
٢٢٥	علاج الغيبة	١٩٠٥
٢٢٦	الصمت وأدب اللسان	١٩٠٦
٢٢٧	الإصغاء إلى الغيبة	١٩٠٧
٢٢٧	الأعذار المرخصة في الغيبة	١٩٠٨
٢٢٨	الفصل التاسع عشر النيمة	٢٠
٢٢٨	النيمة	٢٠٠١
٢٣٠	قصة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله:	٢٠٠٢
٢٣٠	سوء الظن	٢٠٠٣
٢٣٠	الجاهل يسيء الظن باخوانه	٢٠٠٤
٢٣١	ثمره النيمة	٢٠٠٥
٢٣١	ذو الوجهين	٢٠٠٦
٢٣٢	الفصل العشرون الأمانة	٢١
٢٣٢	الأمانة	٢١٠١
٢٣٥	تقدير الناس للأمانة	٢١٠٢
٢٣٥	الأمانة في الإيمان بالله وعبادته	٢١٠٣
٢٣٦	ترك الأمانة نفاق	٢١٠٤
٢٣٦	الأمانة في الولايات	٢١٠٥
٢٣٩	الأمانة في الأسرة	٢١٠٦
٢٤٠	أمانة الزوجة تقتضي حفظ أسرار زوجها	٢١٠٧
٢٤٠	تربية الأولاد وتعليمهم أمانة	٢١٠٨
٢٤١	الأمانة في الأخلاق والمعاملات	٢١٠٩
٢٤٢	الخيانة مذمومة وندامة	٢١٠١٠
٢٤٢	الخيانة أسوأ ما يبطنه الإنسان	٢١٠١١
٢٤٤	الفصل الحادي والعشرون الحلم	٢٢

٢٤٤	الحلم	٢٢٠١
٢٤٥	الحلم حلية العلم	٢٢٠٢
٢٤٦	الحليم حاذق لبيب	٢٢٠٣
٢٤٦	الحلم ثبات ورفعة	٢٢٠٤
٢٤٧	الحليم ذو عزة	٢٢٠٥
٢٤٨	قصة للرشد	٢٢٠٦
٢٤٨	الحليم اسم من أسماء الله تعالى	٢٢٠٧
٢٥٠	ثمرة معرفة اسم الله الحليم	٢٢٠٨
٢٥٠	دعاء الله باسمه الحليم	٢٢٠٩
٢٥١	الفصل الثاني والعشرون الرفق	٢٣
٢٥١	الرفق	٢٣٠١
٢٥١	الرفق يحبه الله	٢٣٠٢
٢٥٢	التزام الرفق ومباينة العنف	٢٣٠٣
٢٥٣	الرفيق من الأسماء الحسنى	٢٣٠٤
٢٥٤	ثمرة معرفة اسمه تعالى الرفيق	٢٣٠٥
٢٥٥	دعاء الله باسمه الرفيق	٢٣٠٦
٢٥٦	الفصل الثالث والعشرون الصبر	٢٤
٢٥٦	الصبر	٢٤٠١
٢٥٧	الصبر مفتاح النجاح	٢٤٠٢
٢٥٨	الصبر يعقبه الفرج	٢٤٠٣
٢٥٩	الصبر والرضا به	٢٤٠٤
٢٦١	الحر الصابر لا يريق ماء وجهه	٢٤٠٥
٢٦٣	الصبور في الأسماء الحسنى	٢٤٠٦
٢٦٤	ثمرة معرفة اسمه تعالى الصبور	٢٤٠٧
٢٦٥	دعاء الله باسمه الصبور	٢٤٠٨
٢٦٦	الفصل الرابع والعشرون العفو	٢٥
٢٦٦	العفو	٢٥٠١
٢٦٧	الكريم يعفو	٢٥٠٢
٢٦٨	العز في العفو	٢٥٠٣
٢٦٩	العفو في أسماء الله الحسنى	٢٥٠٤
٢٧٠	ثمرة التعرف على اسم الله العفو	٢٥٠٥
٢٧١	قصة للقمان مع ابنه	٢٥٠٦
٢٧٢	دعاء الله باسمه العفو	٢٥٠٧
٢٧٣	الفصل الخامس والعشرون الكرم	٢٦
٢٧٣	الكرم	٢٦٠١

٢٧٤	خلق الكريم المحافظة على مكارم الأخلاق	٢٦٠٢
٢٧٤	الكريم يكرم ضيفه	٢٦٠٣
٢٧٥	الكريم يجود ولا يبخل	٢٦٠٤
٢٧٥	قصة لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم	٢٦٠٥
٢٧٥	اللؤم ضد الكرم	٢٦٠٦
٢٧٦	الكرم والبخل لا يتفقان	٢٦٠٧
٢٧٩	نفر الرجال كرمهم	٢٦٠٨
٢٧٩	الأكرم الكريم في أسماء الله الحسنى	٢٦٠٩
٢٨٠	ثمرة معرفة اسم الله الكريم الأكرم	٢٦٠١٠
٢٨١	دعاء الله باسمه الكريم	٢٦٠١١
٢٨٢	الفصل السادس والعشرون العدل	٢٧
٢٨٢	العدل	٢٧٠١
٢٨٣	العدل في الكلام	٢٧٠٢
٢٨٣	العدل في الشهادة	٢٧٠٣
٢٨٤	وصف الحسن البصري للإمام العادل	٢٧٠٤
٢٨٥	العدل في القضاء بين الناس	٢٧٠٥
٢٨٦	قصة رواها الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٢٧٠٦
٢٨٦	قصة روتها خولة بنت قيس	٢٧٠٧
٢٨٧	العدل يحبه الله والظلم لا يحبه	٢٧٠٨
٢٨٨	الظلم في الأمثال السائرة	٢٧٠٩
٢٨٩	دعوة المظلوم لا ترد	٢٧٠١٠
٢٩٠	الشرك أعظم أنواع الظلم	٢٧٠١١
٢٩٠	عاقبة الظلم	٢٧٠١٢
٢٩١	العدل في الأسماء الحسنى	٢٧٠١٣
٢٩١	ثمرة معرفة اسمه تعالى العدل	٢٧٠١٤
٢٩٢	دعاء الله باسمه وصفته العدل	٢٧٠١٥
٢٩٣	الفصل السابع والعشرون الصدق	٢٨
٢٩٣	الصدق	٢٨٠١
٢٩٤	الصدق يألفه الكريم	٢٨٠٢
٢٩٥	الصدق يرفع المرء في الدارين والكذب يهوي به في الحالين	٢٨٠٣
٢٩٦	الكذب يضاد الصدق ويجانبه فتجنبه	٢٨٠٤
٢٩٦	مضرة الكذب	٢٨٠٥
٢٩٧	مكانة الصدق رفيعة	٢٨٠٦
٢٩٩	دعاء الله الصادق الكريم	٢٨٠٧
٢٩٩	الفصل الثامن والعشرون الصديق والجليس	٢٩

٣٠٠	الصديق والجليس	٢٩٠١
٣٠١	اصطفاء الصديق من الأختيار	٢٩٠٢
٣٠٣	صداقة الأشرار عار	٢٩٠٣
٣٠٣	التلون في الصداقة	٢٩٠٤
٣٠٤	فراق الصديق المتلون	٢٩٠٥
٣٠٤	مفارقة جليس السوء	٢٩٠٦
٣٠٤	وفاء الصديق	٢٩٠٧
٣٠٥	مصاحبة الجاهل والأحمق	٢٩٠٨
٣٠٧	صداقة الكسلان ومجالسته	٢٩٠٩
٣٠٧	صداقة العدو	٢٩٠١٠
٣٠٧	من الصداقات ما يؤذي	٢٩٠١١
٣٠٨	الاحتمال للصديق واستبقاء وده	٢٩٠١٢
٣٠٩	الفصل التاسع والعشرون الأخلاق الحسنة	٣٠
٣٠٩	الأخلاق الحسنة	٣٠٠١
٣١٠	اخلاق الحسن منزلة رفيعة	٣٠٠٢
٣١٠	التآلف والحب بحسن الخلق	٣٠٠٣
٣١٢	من حسن الله خلقه ينبغي أن يحسن خلقه	٣٠٠٤
٣١٣	قصة خروج جابر مع رسول الله (ص) في غزوة ذات الرقاع	٣٠٠٥
٣٢٣	الفصل الثلاثون التوكل على الله	٣١
٣٢٣	التوكل على الله	٣١٠١
٣٢٥	القوة في التوكل على الله	٣١٠٢
٣٢٧	السنة النبوية ترشد إلى الأخذ بالأسباب	٣١٠٣
٣٢٩	القيام بالاسباب يحقق التوكل	٣١٠٤
٣٣٠	قصة وردت في الهدي النبوي	٣١٠٥
٣٣١	ثمره التعرف على اسمه سبحانه وتعالى الوكيل الكفيل	٣١٠٦
٣٣١	دعاء الله باسمه الوكيل الكفيل	٣١٠٧
٣٣٢	الفصل الواحد والثلاثون الشورى	٣٢
٣٣٢	الشورى	٣٢٠١
٣٣٣	الشورى بركة	٣٢٠٢
٣٣٥	الشورى لغة واصطلاحا	٣٢٠٣
٣٣٥	الفرق بين الشورى والمشورة	٣٢٠٤
٣٣٦	الفرق بين الشورى العامة والديمقراطية	٣٢٠٥
٣٣٧	في الشورى قوة واخوة	٣٢٠٦
٣٣٨	لاخير في امر ابرم من غير مشورة	٣٢٠٧
٣٣٨	الشورى والزاميتها	٣٢٠٨
٣٣٩	فضل الشورى	٣٢٠٩

٣٤٠	الخلال المطلوب توافرها في المشير	٣٢٠١٠
٣٤١	الحكمة في الشورى	٣٢٠١١
٣٤١	الحكيم من اسماء الله الحسنى	٣٢٠١٢
٣٤٣	ثمرة معرفه اسم الله الحكيم	٣٢٠١٣
٣٤٥	دعاء الله باسمه الحكيم	٣٢٠١٤
٣٤٥	الفصل الثاني والثلاثون النصيحة	٣٣
٣٤٥	النصيحة	٣٣٠١
٣٤٦	خير الاخوان اكثرهم مبالغة في النصيحة	٣٣٠٢
٣٤٧	النصح لا يجب في العلانية	٣٣٠٣
٣٤٧	عدم قبول النصيحة حسرة وندامة	٣٣٠٤
٣٤٨	الغش في النصيحة	٣٣٠٥
٣٤٨	احذر نصائح الشيطان فانها غش وبهتان	٣٣٠٦
٣٥٠	الرشيد من اسماء الله الحسنى	٣٣٠٧
٣٥١	دعاء الله باسمه الرشيد	٣٣٠٨
٣٥٢	الفصل الثالث والثلاثون التقوى	٣٤
٣٥٢	التقوى	٣٤٠١
٣٥٢	التقوى فضيلة	٣٤٠٢
٣٥٣	صفة التقوى والمتقين عند العلماء	٣٤٠٣
٣٥٣	التقوى في القرآن الحكيم	٣٤٠٤
٣٥٤	ثمرات التقوى	٣٤٠٥
٣٥٥	المتقون يستشعرون عظمة الله ويدركون رقابته	٣٤٠٦
٣٥٦	الرقيب الشهيد من اسماء الله الحسنى	٣٤٠٧
٣٥٧	ثمرة معرفة اسم الله الرقيب, الشهيد	٣٤٠٨
٣٥٨	دعاء الله باسمه الرقيب, الشهيد	٣٤٠٩
٣٥٨	الفصل الرابع والثلاثون الحياء	٣٥
٣٥٨	الحياء	٣٥٠١
٣٥٩	الحياء في القرآن الكريم	٣٥٠٢
٣٦٠	قليل الحياء ممقوت	٣٥٠٣
٣٦٢	الخير كله في الحياء	٣٥٠٤
٣٦٢	السميع البصير من اسماء الله الحسنى	٣٥٠٥
٣٦٣	ثمرة معرفة اسم الله السميع البصير	٣٥٠٦
٣٦٤	دعاء الله باسمه السميع البصير	٣٥٠٧
٣٦٥	الفصل الخامس والثلاثون الشباب	٣٦
٣٦٥	الشباب	٣٦٠١
٣٦٦	مكانة الشباب	٣٦٠٢

٣٦٧	الشباب وانتهاز الفرصة واغتنام الوقت	٣٦٠٣
٣٦٨	الشباب يخلفه المشيب	٣٦٠٤
٣٦٩	البكاء على الشباب	٣٦٠٥
٣٧٠	القوي المتين العزيز القادر المقتدر في اسماء الله الحسنى	٣٦٠٦
٣٧٣	ثمرة معرفة اسم الله القوي المتين العزيز القادر المقتدر	٣٦٠٧
٣٧٦	دعاء الله باسمه القوي المتين العزيز القادر المقتدر	٣٦٠٨
٣٧٦	الفصل السادس والثلاثون صلة الرحم وبر الوالدين	٣٧
٣٧٦	صلة الرحم وبر الوالدين	٣٧٠١
٣٧٧	صلة الرحم قوة وسعادة	٣٧٠٢
٣٧٨	قصة للاكم بن صيفي	٣٧٠٣
٣٧٨	القريب له حق فلا تخذه	٣٧٠٤
٣٧٩	معاداة ذوي القربا وقطيعتهم	٣٧٠٥
٣٨٠	فوائد اعطاء ذوي القربى	٣٧٠٦
٣٨٢	الوالدان من القرابة	٣٧٠٧
٣٨٤	خير الدنيا والاخرة في بر الوالدين	٣٧٠٨
٣٨٥	حقوق الوالدين	٣٧٠٩
٣٨٥	قصة اوردها القرطبي في التفسير	٣٧٠١٠
٣٨٦	عقوق الوالدين من الكبائر	٣٧٠١١
٣٨٧	الرب في اسماء الله الحسنى	٣٧٠١٢
٣٨٩	ثمرة معرفة اسم الله رب العالمين	٣٧٠١٣
٣٨٩	دعاء الرب المجيب العظيم بما ورد في القرآن الحكيم	٣٧٠١٤
٣٩٠	الفصل السابع والثلاثون الرحمة	٣٨
٣٩٠	الرحمة	٣٨٠١
٣٩٠	الرحمة من سماة المؤمنين	٣٨٠٢
٣٩١	رحمة الله واثارها	٣٨٠٣
٣٩٢	صلاح الانسان يكسبه رحمة الله	٣٨٠٤
٣٩٦	الرحمن الرحيم في اسماء الله الحسنى	٣٨٠٥
٣٩٧	ثمرة معرفة اسم الله الرحمن الرحيم وفائدته	٣٨٠٦
٣٩٨	دعاء الله باسمه الرحمن الرحيم	٣٨٠٧
٣٩٩	الفصل الثامن والثلاثون الحياة	٣٩
٣٩٩	الحياة	٣٩٠١
٣٩٩	الحياة جميلة فلا تضيعها	٣٩٠٢
٤٠٠	بالأمل والقال تصفو الحياة وبالعمل تتجدد	٣٩٠٣
٤٠٢	الحياة تثقل وتذهب فلا تغتر بها	٣٩٠٤
٤٠٣	تقلب الحياة يحث على عمارتها بالعمل الصالح	٣٩٠٥

٤٠٥	التحذير من الاعتزاز بالحياة الدنيا يعني عمارة الحياة بالعمل الصالح	٣٩٠٦
٤٠٦	الايمان بالحياة الاخرة والتشويق لها مما يحث على عمارة الحياة الدنيا بالعمل الصالح	٣٩٠٧
٤٠٧	الحي القيوم في اسماء الله الحسنی	٣٩٠٨
٤٠٨	ثمرة معرف اسم الله القيوم	٣٩٠٩
٤٠٨	دعاء الله باسمه الحي القيوم	٣٩٠١٠
٤٠٩	الفصل التاسع والثلاثون الاستغفار	٤٠
٤١٠	الاستغفار	٤٠٠١
٤١٠	الله يغفر الذنوب جميعا فلا تكن من القانطين	٤٠٠٢
٤١١	الاستغفار علاج للأمراض النفسية	٤٠٠٣
٤١١	الاستغفار وعمل الخير فيه تكفير للذنوب	٤٠٠٤
٤١٢	قصة لعمر بن الخطاب	٤٠٠٥
٤١٣	الغفور الغافر الغفار من اسماء الله الحسنی	٤٠٠٦
٤١٥	ثمرة معرفة اسم الغفور الغافر الغفار	٤٠٠٧
٤١٥	سيد الاستغفار	٤٠٠٨
٤١٦	الفصل الاربعون الإيثار	٤١
٤١٦	الإيثار	٤١٠١
٤١٧	الإيثار على النفس خلق كريم	٤١٠٢
٤١٨	الإيثار في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اساس في بناء الدولة الإسلامية	٤١٠٣
٤١٨	إيثار الحياة الدنيا على الاخرة	٤١٠٤
٤٢٠	الفصل الواحد والاربعون الاخلاص	٤٢
٤٢٠	الاخلاص	٤٢٠١
٤٢٢	الاخلاص تسبقه النية	٤٢٠٢
٤٢٢	النية الطيبة عنصر من عناصر التربية الخلقية	٤٢٠٣
٤٢٣	الرياء يناقض الاخلاص	٤٢٠٤
٤٢٤	الرياء من صفات المنافقين	٤٢٠٥
٤٢٤	ثناء الناس بشرى وليس مما يدفع للرياء	٤٢٠٦
٤٢٥	من لازم الاخلاص لله الولاء والبراء	٤٢٠٧
٤٢٦	الولي المولى النصير الحميد في اسماء الله الحسنی	٤٢٠٨
٤٢٨	ثمرة معرفة اسم الله الولي المولى النصير الحميد	٤٢٠٩
٤٢٩	دعاء الله باسمه الولي المولى النصير الحميد	٤٢٠١٠
٤٣٠	الفصل الثاني والاربعون السعادة	٤٣
٤٣٠	السعادة	٤٣٠١
٤٣١	الاخذ بأسباب السعادة في الدنيا سبب للحصول على السعادة في الاخرى	٤٣٠٢
٤٣٢	البحث عن السعادة	٤٣٠٣
٤٣٣	السعيد من صلح قلبه	٤٣٠٤

٤٣٤	القلب وما يعرض له من السعادة والشقاء	٤٣٥
٤٣٥	الشقي من طبع على قلبه	٤٣٦
٤٣٦	الله مقلب القلوب فلا تغفل	٤٣٧
٤٣٨	القابض الباسط في اسماء الله الحسنى	٤٣٨
٤٣٨	ثمرة معرفة اسم الله القابض الباسط	٤٣٩
٤٣٩	دعاء الله باسمه القابض الباسط	٤٣١٠
٤٤٠	الفصل الثالث والاربعون الرضا	٤٤
٤٤٠	الرضا	٤٤٠
٤٤١	الرضا بما رضي الله به لك فلاح ونجاح	٤٤٠٢
٤٤٢	الرضا نعمة وسرور وحبور	٤٤٠٣
٤٤٤	الفرق بين الارادة والرضا	٤٤٠٤
٤٤٤	التوافق بين الرضا والقناعة	٤٤٠٥
٤٤٥	بأعمال البر ينال الانسان رضوان الله	٤٤٠٦
٤٤٧	البر من اسماء الله الحسنى	٤٤٠٧
٤٤٨	ثمرة معرفه اسمه الله البر	٤٤٠٨
٤٤٩	دعاء الله باسمه البر	٤٤٠٩
٤٤٩	الفصل الرابع والاربعون الابتهاج والسرو	٤٥
٤٤٩	الابتهاج والسرور	٤٥٠١
٤٥٠	من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على عباده	٤٥٠٢
٤٥٢	ادخال السرور على المسلمين سبب في غفران الذنب ودخول الجنة	٤٥٠٣
٤٥٢	الفرح والسرور بفضل الله ورحمته نعمة	٤٥٠٤
٤٥٣	الفصل الخامس والاربعون علو الهمة	٤٦
٤٥٣	علو الهمة	٤٦٠١
٤٥٤	بالمهم العالية تمال المراد فاستعد بالله من الكسل	٤٦٠٢
٤٥٧	اسباب كسب المهمم العالية	٤٦٠٣
٤٥٧	قراءة القرآن تبعث المهمم العالية	٤٦٠٤
٤٥٨	دعاء الله والاستعانة به تبعث المهمم	٤٦٠٥
٤٥٨	الارادة القوية تبعث المهمم العالية	٤٦٠٦
٤٥٨	التوازن في الغذاء يساعد على بعث المهمم	٤٦٠٧
٤٥٨	المهمم العالية لاتعيقها الاحداث	٤٦٠٨
٤٥٩	الغريزة تبعث المهمم	٤٦٠٩
٤٦٠	الفصل السادس والاربعون الوقت	٤٧
٤٦٠	الوقت	٤٧٠١
٤٦٠	ادارة الوقت سبيل للنجاح	٤٧٠٢
٤٦٢	اسباب ضياع الوقت	٤٧٠٣

٤٦٣	تمتع بنعمة وقتك	٤٧٠٤
٤٦٦	الفصل السابع والاربعون الأطفال	٤٨
٤٦٧	الأطفال	٤٨٠١
٤٦٧	الطفل ان تلقى الرشاد نما على الخير	٤٨٠٢
٤٦٩	الطفل في لغة العرب	٤٨٠٣
٤٦٩	التسمية الحسن للطفل وتكنيته مما يرفع من معنوياته	٤٨٠٤
٤٧١	تهنئة من رزق طفلا	٤٨٠٥
٤٧٢	ادب الطفل وتعليمه	٤٨٠٦
٤٧٣	لعب الطفل وراحته مما ينعشه ويشرح نفسه	٤٨٠٧
٤٧٥	الفصل الثامن والاربعون التوبة	٤٩
٤٧٥	التوبة	٤٩٠١
٤٧٦	التوبة فرض عين	٤٩٠٢
٤٧٧	فوائد التوبة واثارها	٤٩٠٣
٤٧٨	التوبة من اهم الدعائم الخلقية فسارع اليها	٤٩٠٤
٤٧٩	ثمرة معرفة اسم الله التواب	٤٩٠٥
٤٨٠	دعاء الله باسمه التواب	٤٩٠٦
٤٨١	الفصل التاسع والاربعون الموت	٥٠
٤٨١	الموت	٥٠٠١
٤٨٢	الموت تحفة المؤمن	٥٠٠٢
٤٨٣	حياتك وموتك لله	٥٠٠٣
٤٨٤	الخلود مستحيل فلا تغتر	٥٠٠٤
٤٨٦	الموت ومفارقة الروح الجسد	٥٠٠٥
٤٨٧	الروح سر من اسرار الرحمن	٥٠٠٦
٤٨٨	قصة لأعرابي	٥٠٠٧
٤٨٨	ملك وكل يقبض الارواح	٥٠٠٨
٤٨٩	المحيي المميت من اسماء الله الحسنى	٥٠٠٩
٤٩٠	ثمرة التعرف على اسم الله المحيي المميت	٥٠٠١٠
٤٩٠	دعاء الله باسمه المحيي المميت	٥٠٠١١
٤٩١	الفصل الخمسون الصلاة	٥١
٤٩١	الصلاة	٥١٠١
٤٩٢	الحكمة من الصلاة	٥١٠٢
٤٩٣	في الصلاة طهارة القلب والبدن	٥١٠٣
٤٩٣	الصلاة تغرس في الانسان الفضيلة وتبعده عن الرذيلة	٥١٠٤
٤٩٥	استقبال عين الكعبة	٥١٠٥
٤٩٥	الصلاة في المساجد	٥١٠٦

٤٩٦	الصلاة تقوي النفس الانسانية	٥١٠٧
٤٩٧	قصة وردت في الحديث النبوي	٥١٠٨
٤٩٧	من اسماء الله الحسنی الاول والاخر والظاهر والباطن	٥١٠٩
٤٩٩	ثمره معرفه اسمائه الاول والاخر والظاهر والباطن	٥١٠١٠
٤٩٩	دعاء الله باسمه الاول الآخر الظاهر الباطن	٥١٠١١
٥٠٠	الفصل الواحد والخمسون الزكاة	٥٢
٥٠٠	الزكاة	٥٢٠١
٥٠١	الحكمة من فريضة الزكاة	٥٢٠٢
٥٠٢	الاخوة الدينية لا تحصل دون اداء الزكاة	٥٢٠٣
٥٠٢	الزكاة فيها حفظ المال والسلامة من شروره	٥٢٠٤
٥٠٣	الزكاة سبب في دخول الجنة	٥٢٠٥
٥٠٣	قصة وردت عن حال مانع زكاة ماله	٥٢٠٦
٥٠٤	الزكاة نظام تكافل جاء به الإسلام	٥٢٠٧
٥٠٥	المقدم المؤخر من اسماء الله الحسنی	٥٢٠٨
٥٠٦	ثمره معرفة اسم الله المقدم المؤخر	٥٢٠٩
٥٠٧	دعاء الله باسمه المقدم المؤخر	٥٢٠١٠
٥٠٧	الفصل الثاني والخمسون الصيام	٥٣
٥٠٨	الصيام	٥٣٠١
٥٠٨	بالصيام تكتسب ملكة التقوى	٥٣٠٢
٥٠٩	الصوم فيه تدريب على القيادة والسيادة	٥٣٠٣
٥٠٩	فوائد الصوم	٥٣٠٤
٥١٠	من اسرار الصوم	٥٣٠٥
٥١١	السحور بركة	٥٣٠٦
٥١٣	ثمره معرفة اسم الله الصمد	٥٣٠٧
٥١٣	الفصل الثالث والخمسون الحج	٥٤
٥١٣	الحج	٥٤٠١
٥١٤	في الحج اجتماع الناس وتألفهم	٥٤٠٢
٥١٦	الاحرام وحكمته	٥٤٠٣
٥١٧	الحج المبرور	٥٤٠٤
٥١٩	حكمة السعي بين الصفا والمروة	٥٤٠٥
٥١٩	الحكمة من الوقوف بعرفة	٥٤٠٦
٥٢٠	العظيم من اسماء الله الحسنی	٥٤٠٧
٥٢١	ثمره معرفه اسم الله العظيم	٥٤٠٨
٥٢٢	دعاء الله باسمه العظيم	٥٤٠٩
٥٢٢	الفصل الرابع والخمسون الدعاء والصلاة على النبي	٥٥

٥٢٢	الدعاء والصلاة على النبي	٥٥.١
٥٢٤	أنواع الدعاء في القرآن الكريم	٥٥.٢
٥٢٦	الدعاء ومزاياه الروحية	٥٥.٣
٥٢٧	أداب الدعاء	٥٥.٤
٥٢٨	من اقوال السلف في الدعاء	٥٥.٥
٥٢٩	فوائد وثمرات الصلاة على النبي	٥٥.٦
٥٣٠	القريب المجيب من اسماء الله الحسنى	٥٥.٧
٥٣١	ثمرة معرفة اسم الله القريب المجيب	٥٥.٨
٥٣٢	دعاء الله باسمه القريب المجيب	٥٥.٩
٥٣٢	والى هنا تم بحمد الله وعونه وتوفيقه	٥٥.١٠
٥٣٣	أهم المراجع	٥٦

عن الكتاب

الكتاب: صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال
المؤلف: القاضي/حسين بن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية
الناشر: سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة ٢٠٠٩م
راجعته: الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي
مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

عن المؤلف

القاضي/حسين بن محمد المهدي - عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية

صيد الأفكار

في

الأدب والأخلاق والحكم والأمثال

تأليف:

القاضي حسين بن محمد المهدي

عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية

راجعته

الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي

مكتبة المحامي: أحمد بن محمد المهدي

بريد: ahmed_almahdi@hotmail.com

صيد الأفكار

في

الأدب والأخلاق والحكم والأمثال

الجزء الأول

تأليف:

القاضي حسين بن محمد المهدي

عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية

راجعته

الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

سجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة

بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن أفصح الكلام، وأجمل ما نطق به اللسان، وأفضل ما انتظمته عقود البلاغة من البيان، وأنفس ما جرت به الأقلام حمد الله الواحد المنان، وإفراده بالتوحيد والتقديس على الدوام، والثناء عليه في كل آن، تنزه سبحانه وتعالى عن الشبه والنظير، لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، ثم الصلاة والسلام على محمد عبد الله ورسوله المجتبي من ولد عدنان وعلى آله وصحبه الكرام الذين حملوا القرآن ونشروا الإسلام في سائر البلدان، وبعد:

فإن من محاسن العرب، وتمام الأدب حسن اختيار الكلمات الفصيحة، والمفردات البينة الصحيحة، والجمل الواضحات البليغة لغرض التعبير بها في الدلالة على المقصود الذي يسعى إليه، أو يراد الوقوف عليه، خاصة فيما انتظم العرب في خطبهم وأشعارهم، وابتكروه في قصصهم وأمثالهم، فإنهم يغترفون من مفردات اللغة العربية أعذبها، ومن أجمل أروعها وأنسبها، ليصلوا بذلك إلى قلوب الناس وعقولهم، وليحركوا أحاسيسهم ومشاعرهم، وأطيب ذلك يبهج القلب، ويفرح النفس، ويمتع الضمير، ويسر الخاطر، لأنه يظهر العلم، ويحث على العمل، ويصف الجمال، ويرشد إلى الصواب، ويحذر من القبيح، ويبعد عن الكسل، ويدفع الهم والحزن، ويرشد إلى تزكية

النفس، وإرضاء الخالق، وإسعاد المخلوق، ويبصر على حسن التعامل مع الناس، وكم دفع الشوق محباً لإسداء من يحب نصائح يعز نظيرها، فيسعد بها صغير القوم وكبيرها، وينتفع بها أميرها ووزيرها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فإن قلت: أين أنت من ذلك، ولست من فرسان هذا الميدان وليس لك إن أردت سباحة هذا البحر يدان؟

قلنا: نحن من أقل الناس بضاعة، وأضعفهم صناعة، غير أن ذلك لا يمنع العاقل من محاولة اكتساب الفضائل، والتشبه بالكرام، وأهل الفضائل من الأنام، وقديماً قيل:

فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ ... إِنَّ التَّشْبَهَ بِالْكَرَامِ فَلَاحٌ (١٧)

ولعله من خير الأعمال السعي إلى مناصحة الإخوان، والعمل على نفعهم، وإدخال السرور عليهم، ومن هذا القبيل ما جمعناه واخترناه في هذا الكتاب مما لذ وطاب، وإن لم يكن لنا فيه أكثر من اختيار وجمع ما اقترب مما تناسب واتسق من عيون شعر العرب وأمثالهم، وقصصهم وأخبارهم، ووصاياهم ومواعظهم وأذكارهم، وبيان ما يناسب ذلك، ويتفق معه من كلام الله العزيز الحكيم، أو حديث رسوله محمد عليه وآله أفضل الصلاة والتسليم، أو كلام الصحابة والآل الميامين، أو العلماء الأعلام والباحثين، وتحقيق ذلك، وابتكار بعض الأمثال، والسير على نفس المنوال الذي سلكوه،

(١٧) - هذا البيت يروى لأبي الفتوح يحيى بن حبش الحكيم شهاب الدين السهروردي المتوفى سنة ٥٨٧هـ، ويروى لعبد الغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣هـ، ويروى أيضاً لأبي عبد الله محمد بن محمد الحراق الحسيني، المتوفى سنة ١٢٦١هـ ولكن بلفظ: إن التشبه بالكرام رباح. والله أعلم.

مع الإشارة إلى كيفية الاستفادة من ذلك كله، فإن ذلك يكفي، فاختيار المرء كما قيل "قطعة من عقله تدل على تخلقه وفضله"، فرب علوم تنفع حاملها ودارسها ومعلمها، وأعمال ترفع من شأن صاحبها إذا أخلص لله في ذلك النية، فإن الله مولى كل خير ومولى، وخافض كل شيء ومعلمه، وهيات أن يخفض المرء يمه أو عدمه إذا رفعه الحق بإيمانه وعلمه، وفي الذكر الحكيم على ذلك دليل وبينات {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (١٧)، وفي الأمثال التي أوضحناها في كتابنا هذا مزيد بينة وبرهان، وفي أشعار العرب التي أوردناها حكمة وبيان، وما تحيي القلوب إلا بالإيمان، ولا تستيقظ إلا بنور الحكمة التي أرشد إليها القرآن، وإنما يسعد من الناس فلا يشقى من يطلب اكتساب ما لا ينفد ويبقى، وإذا كان الله جل وعلا قد أعلننا بقوله: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، فإنه قد علمنا بأن الباقيات الصالحات خير وأبقى فقال: {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمْلاً} (٢٧)، والعاقل إنما يملؤ قلبه، ويمتع طرفه فيما يبقى أجره وذكره، ولم ينس نصيبه وحظه من الدنيا، ولعل من يعد عدته ابتغاء تحصيل متعته يحتاج إلى جليس يواسيه ويسليه، واختيار سلاح ينفعه ولا يؤذيه، وسيجد المتبع من فنون العلم التي أرشد إليها القرآن، وانتضته من العرب الفرسان خير سلاح، فهو خير له من سلاح راج في الملا، وملأ به الفضاء، وشغل الناس به أوقاتهم، وأضاعوا فيه أعمارهم مما يجرح ويدهم، ويشوه النفس ويعمي،

(١٧) - سورة المجادلة الآية (١١) .

(٢٧) - سورة الكهف الآية (٤٦) .

وقديماً قيل: "رب سلاح يقول لحامله: ضعني، وكلمة تقول لصاحبها: دعني"، وربما أدرك عقلاء الناس وأصحاب الرأي فيهم أنما المرء معتبر بأكثر ما ينسب إليه عمله وإيمانه، فإن حسنا كان من المتقين الأخيار، وإن فسداً كان من الفسدة الأشرار، ولهذا كان من الإحسان أن يحسن الإنسان اختيار جلسيه، وأن يصطفي أنيسه، وربما يجد المتبع لفنون الأدب في أشعار العرب وأمثالهم من الأخبار النافعة ما تستظرفه العقول، وتستملحه النفوس، وفيه من محاسن الإنشاء، ودقة المعنى ما يوافق الشرح، وينفع الخلق، ويهدي إلى قيد الشوارد، وحفظ الشواهد، والعمل بالمواعظ، والاستفادة من المناسبات، والحرص على الانتفاع بالأوقات، والتفكير في المخلوقات مما يشرق به الأمل ويحث على العمل، وينتفي به الملل، ويقرب من الله عز وجل، فالكيس من جعل دنياه سعادة، وأخرته فلاحاً وشهادة، وحرص وفيه بقية، أن تكون له نفس صالحة أبية تقيه، والله در القائل:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جَدُّهُ ... أَضَاعَ وَقَاسَى أَمْرُهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ

وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا... بِهِ الْأَمْرُ إِلَّا وَهُوَ لِلْأَمْرِ مُبْصِرٌ (١٧)

ولن يضيع أوقات زمانه، ويتعالى بالزعامة، ويتدثر بما يورث الأسي والندامة، إلا من كان أشد حمقاً (٢٧) من النعامة، وحسب الرجل اللبيب أن يشغل أوقاته فيما ينفع ويفيد، أو يبصر أخاه بالرأي السديد، ويدله على واضح الطريق، أو يرشده إلى اكتساب بضاعة يجيد فيها الصناعة.

(١٧) - القائل لهذين البيتين: تأبط شرا.

(٢٧) - الحق: هو السفه وقلة الرأي، وإنما قلنا: أشد حمقاً من النعامة، لأن النعامة تترك بيضها يداس وتحضن بيض غيرها.

ولم يزل الأدب من بين علوم العرب في المقام الأعلى، والمحل الأسمى ثماره بالخير يانعة مادته وصياغته في جميع الصور التي تمثل نتاجه، وتزخر بها أمواجه، وتجوب بها مفاوزه وجفاجه، سواءً كان ذلك مما يمتثل في تصوير إحساسات وخلجات نفس تجاه عظمة الله جل وعلا، وما أودعه الكون بما فيه من جمال وأسرار هي آية لأولي العقول والأبصار، أم حيال آلام الإنسانية في هذه الحياة وآمالها الخيرة في هذا الاتجاه، أم أن ذلك كان تعبيراً عن أفكار ترشد الفرد أو المجتمع أو الإنسانية بأسرها إلى مفاوز الخير والصلاح والنجاح والفلاح، أو تبعتها عن طرق الشر بأشكاله المختلفة، ويستوي أن يكون ذلك الإنتاج الأدبي قد جاء في شكل شعرٍ منظوم، أو مثل سائر مفهومات، أو قصةٍ أو فلسفةٍ تكشف عن واقع، أو توصل إلى حقيقة، حتى وإن كان ذلك تصويراً لنماذج من حالات الإنسان ومواقفه المختلفة، أو غير ذلك، فإننا قد حاولنا أن نودع شيئاً من ذلك فيما ضمناه في فصول كتابنا هذا، كل فصل حوى لوناً مما تقر به عين الناظر، ويسلو به خاطره، وتطيب حاله في سفره وحضره مما سيجت به بلابل أقلام العرب، وتداوله الثقافات الأعلام من الباحثين الكرام، فأضاءت به الأيام من غير استقصاءٍ لكلامهم أو تطويلٍ في نقل أبحاثهم أو إيجاز يخل بكلامهم، وإن لم نشأ التوسع في ذلك فلكي لا يدرك القارئ الملل، إذ لو أردنا التوسع والاستقصاء لكان كل فصل في مادته التي يحويها يحتاج إلى كتاب، بل إلى كتب، وليس من المرغوب والمحجب للنفس أن يتعمق الإنسان فيما لا طائل تحته،

حتى لا يضل القارئ في متاهات الفلسفة، ومعجمات الأفكار المجردة، ولا أن يستقصي بالتتبع والتحليل لكل ما يجد لما في ذلك من الإرهاق، والإضاعة للوقت، لأنه إذا أدرك الإنسان ما ينفع ويفيد فقد أفاد، ولذلك اكتفينا بما رأينا فيه البلاغ والوصول إلى ما نريده من المناصحة للإخوان بالشكل الذي يجذب القارئ ولا ينفره، وعلى نحو يرسم في ذهنه، ويسجل في وعيه وإدراكه فائدةً تكسبه خيراً أو تدفع عنه شراً في دينه أو آخرته، ولنا أمل أن يجد كل ذلك طريقه إلى قلوب القراء لامتلاكه من البيان عنصره وأساسه، فعنصر المادة والصياغة في الأدب مقومان من مقوماته، وهما له كالروح والجسد للإنسان، وفي تلازمهما شرف الحياة، ولعل القارئ سيجدهما في كتابنا هذا برهاناً على ما قصدناه، وعوناً على ما أردناه، والله نسأل أن ينفع بذلك فهو ولي ذلك والقادر عليه.

٢ الفصل الأول العلم

الفصل الأول

العِلْمُ

٢٠١ العلم هو إدراك الشيء بحقيقته

العلم هو إدراك الشيء بحقيقته (١٧)

العلم نور يدرك به الإنسان حقيقة الأشياء ويخرج به من ظلمات الجهل والعمى، ويصل به إلى الدرجات العلا، امتن الله به على آدم عليه السلام حين علمه الأسماء، وأسجد له جميع الملائكة في الأرض والسماء، فما أعظمه من تكريم نكص عنه إبليس اللعين؛ فصار عدواً

للناس أجمعين، لا يتقي شره، ولا يسلم ضره؛ إلا من لجأ إلى خالقه وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأخذ من العلم ما ينفعه ويرفعه، ويمنع عنه شرور الشيطان ووسوساته، ويقيه مصرعه، وشكر الله نعمة السمع والبصر؛ فهما وسيلة إدراك العلم وتعلمه؛ قال جل وعلا: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٢٦) . وقد يماً قيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع سواء كان ذلك الشيء من المحسوسات أو المعنويات، وهو حياة القلوب، وغذاء النفوس، ونور العقول والأبصار، وهو مقدم على العمل، فمن استجلب الخير في جميع أحواله بالعلم وجمله بالعمل فقد ظفر بمراده، وأخذ من كل شيء بأسبابه، واستعد للسفر بعدته وزاده.

(١٦) - المفردات في غريب القرآن تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق وضبط محمد خليل عيتاني، ص ٣٤٧، الناشر: دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٢٦) - سورة النحل الآية (٧٨) .
ويرحم الله القائل:

العلم مجلبة للخير أجمعه ... ودافع عن بنيه الشر والوصبا (١٦)

فالإنسان يشبه الحيوان المفترس فإذا تعلم عمل ونفع وعقل وأفاد واستفاد، وقد جاء في محكم التنزيل: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَصْرِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ} (٢٦) . ورحم الله أحمد شوقي (٣٦) حيث يقول:

فَرُبَّ صَغِيرٍ قَوْمٍ عَلَّمَهُ ... سَمَا وَحَمَى الْمُسَوِّمَةَ الْعَرَابَا
وَكَانَ لِقَوْمِهِ نَفْعًا وَنَفْرًا ... وَلَوْ تَرَكَوهُ كَانَ أَذَى وَعَابَا
فَعَلِمَ مَا اسْتَطَعَتْ لَعَلَّ جَيْلًا ... سَيَأْتِي يُحَدِّثُ الْعَجَبَ الْعُجَابَا (٤٦)

ويكفي في شرف العلم وفضله ما خاطب الله به محمداً عبد الله ورسوله وخاتم أنبيائه ورسوله: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} (٥٦) فرتب على العلم معرفته وتوحيده والعلم به، والمراد بالخطاب محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأمه.

(١٦) - هذا بيت من قصيدة للعلامة يحيى بن محمد الهادي قاضي الشرع في جبل صبر في القرن الماضي، يحث فيها ولده على طلب العلم.

(٢٦) - سورة العنكبوت الآية (٤٣) .

(٣٦) - أحمد شوقي: (١٢٨٥-١٣٥١هـ/١٨٦٨-١٩٣٢م) أحمد بن علي بن أحمد شوقي. أشهر شعراء العصر الأخير، يلقب بأمر الشعراء، مولده ووفاته بالقاهرة، كتب عن نفسه: (سمعت أبي يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب) نشأ في ظل البيت المالك بمصر، وتعلم في بعض المدارس الحكومية، وقضى سنتين في قسم الترجمة بمدرسة الحقوق، وأرسله الخديوي توفيق سنة ١٨٨٧م إلى فرنسا، فتابع دراسة الحقوق في مونبلييه، واطلع على الأدب الفرنسي وعاد سنة ١٨٩١م فعين رئيساً للقلم الإفرنجي في ديوان الخديوي عباس حلمي. وندب سنة ١٨٩٦م لتمثيل الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين بجينيف. عالج أكثر فنون الشعر: مديحاً، وغزلاً، ورتاءً، ووصفاً، ثم ارتفع محققاً فتناول الأحداث الاجتماعية والسياسية في مصر والشرق والعالم الإسلامي وهو أول من جود القصص الشعري التمثيلي العربية وقد حاوله قبله أفراد، فبندهم وتفرد. وأراد أن يجمع بين عنصرَي البيان: الشعر والنثر، فكتب نثراً مسجوعاً على نمط المقامات فلم يلق نجاحاً فعاد إلى الشعر.

(٤٦) - انظر ديوان شوقي توثيق وتبويب وشرح وتعقيب العلامة الدكتور احمد محمد الحوفي عضو مجمع اللغة العربية وأستاذ الأدب العربي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة ج ١ ص ٦٠٨، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة.

(٥٦) - سورة محمد الآية (١٩) .
 ومما يزيد العلم رفعة قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} (١٦) ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن العلماء ورثة الأنبياء) (٢٦) ، وفي حديث ابن مسعود: (أن من قرأ قول الحق تبارك وتعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (٣٦) ، فإنه يجاء به يوم القيامة فيقول الله تعالى: عبدي عهد إلي عهداً وأنا أحق من وفى ادخلوا عبدي الجنة) (٤٦) .

ومن أطرف ما قيل في المحاورة بين العلم والعقل قول بعض الشعراء:
 علم العليم وعقل العاقل إختلفا ... من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا
 فالعقل قال: أنا أحرزت غايته ... والعلم قال: أنا الرحمن بي عرفا
 فأفصح العلم إفصاحاً وقال له: ... بأينا الله في فرقانه اتصفا
 فبان للعقل أن العلم سيده ... فقبّل العقل رأس العلم وانصرفا

(١٦) - سورة طه الآية (١١٤) .
 (٢٦) - رواه الإمام الحافظ أبو داود سليمان الأشعث السجستاني الأزدي، (٢٠٢-٢٧٥هـ) في سننه باب الحث على طلب العلم حديث (٣٦٤١) ، الناشر: دار بن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، والإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ) ، في سننه باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة حديث (٢٦٨٦) ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م) . الناشر: المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ، والإمام الحافظ ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ) ، في سننه باب فضل العلماء حديث (٢٢٣) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، الناشر: دار احياء التراث العربي.

(٣٦) - سورة آل عمران الآية (١٨) .
 (٤٦) - رواه الإمام الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، (٢٦٠-٣٦٠هـ) في المعجم الكبير تحقيق حمدي السلفي، ج ١٠ ص ١٩٩ حديث (١٠٤٥٣) ، الناشر دار إحياء التراث العربي.

٢٠٢ بقاء العلم

والعلم زين بين الأخلاء، وسلاح على الأعداء، وقد روى أبو طالب في أماليه (١٦) (حكاية) قال: حكى لنا أبو الحسن علي بن مهدي الطبراني أن الأصمعي روى عنه قال: رأني أعرابي فقال: يا أخ الحضر عليك بلزوم ما أنت فيه فإن العلم زين في المجالس، وحلية بين الاخوان، وصاحب في الغربة، ودليل على المروءة، ثم أنشأ يقول:
 تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا ... وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ
 فَرُبَّ كَبِيرِ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ ... صَغِيرٌ إِذَا التَفَّتْ عَلَيْهِ الْجَاهِلُ

وقديماً قيل:
 العلم زين يا فتى ... والخط طوق من ذهب
 بقاء العلم
 إذا كان المال ينفد ويفنى؛ فإن العلم ينفع ويبقى، ولهذا فإن العقلاء من الناس يسعون لاكتسابه، ويعملون على احتساب ذخره وثوابه،
 قال الشاعر:

العِلْمُ كَنْزٌ وَذَخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ ... نَعِمَ الْقَرِينُ إِذَا مَا صَاحَبَ صُحْبًا

قَدْ يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَا لَمْ يُسَلِّبْهُ ... عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ وَالْحَرْبَا
وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا ... وَلَا يُحَازِرُ مِنْهُ الْقَوْتُ وَالسَّلْبَا
يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعَمَ الذِّخْرِ جَمَعُهُ ... لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبًا (٢٦)

(١٦) - تيسير المطالب في أمالي السيد أبي طالب، تأليف القاضي العلامة احمد بن سعد المسوري ص ١١٠، الطبعة الأولى منشورات مكتبة الحياة، بيروت لبنان.

(٢٦) - هذه الأبيات نسبت لأبي الأسود الدؤلي (١ ق. هـ-٦٩هـ/٦٠٥-٦٨٨م) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكنازي. تابعي، واضع علم النحو، كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمرء والشعراء والفرسان والحاضري الجواب. قيل أن الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) رسم له شيئاً من أصول النحو، فكتب فيه أبو الأسود، وفي صبح الأعشى أن أبا الأسود وضع الحركات والتونين لا غير، سكن البصرة في خلافة عمر (رضي الله عنه) وولي إمارتها في أيام علي (رضي الله عنه). ولم يزل في الإمارة إلا أن أسشهد الإمام علي (رضي الله عنه)، وكان قد شهد معه (صفيين) ولما تم الأمر معاوية قصده فبالغ معاوية في إكرامه، وهو في أكثر الأقوال أول من نقط المصحف، مات بالبصرة. وتنسب هذه الأبيات أيضاً لصالح بن عبد القدوس والله أعلم.

وقال بعض الفصحاء: "العلم كنز عظيم لا يفتنى، والعقل ثوب جديد لا يبلى" (١٦).

وفي الأمثال السائرة: "العلم خير ما وعيت، والشر أخبث ما أوعيت، وعلم بلا عمل كشجرة بلا ثم".

وقديماً قيل: "منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا". (٢٦)

وروي أن الإمام علي بن أبي طالب (٣٦) كرم الله وجهه ورضي عنه قال: "بالعلم حياة القلوب من الخطايا، ونور الأبصار من العمى، وقوة الأبدان على البنيان، وبالعلم يطاع الله، وبالعلم يعرف الله ويوحّد، وبالعلم تفهم الأحكام، ويفصل به بين الحلال والحرام، يمنحه الله السعداء، ويحرم منه الأشقياء". (٤٦)

(١٦) - الفرائد والقلائد تأليف أبي الحسين محمد بن الحسن الأهوازي، دراسة وتحقيق د. احسان ذنون الثامري، ص ١٢، الناشر: دار ابن حزم بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٢٦) - ورد في نهج البلاغة ونسب المثل في التمثيل والمحاضرة وفي محاضرات الأدباء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي أدب الدنيا والدين لابن مسعود.

(٣٦) - أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن، (٢٣ ق. هـ-٤٠هـ/٦٠٠-٦٦٠م)، ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخوه وصهره، زوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيدة نساء العالمين، وأول الناس إسلاماً، ولد بمكة وربي في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يفارقه وشهد جميع المشاهد معه ما عدا غزوة تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استخلفه على المدينة، وكان له بلاء عظيم وأثر حسن، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، وقد ولي الخلافة بعد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة (٣٥هـ)، وأقام عاصمة خلافته بالكوفة ومكث فيها إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم.

(٤٦) - تيسير المطالب في أمالي السيد أبي طالب ص ١١٠.

٢.٣ العلم عون الدين

وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يَنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ) (١٦) وفي لفظ: (يَسْتَغْفِرُ لَهُ) (٢٦).

العلم عون الدين

العلم عون الفتى على أمور دينه ودنياه، وقد جاء في شعر أحمد زكي أبو شادي:

العلم عون الدين في نور الحجي ... أهلوه أطهار به أبرار (٣٦)

أما شبلي الملائق فهو يرى أن الدين مصباح الهدى وأن العلم ريحان الوجود حيث يقول:

الدين مصباح الهدى ومناره ... والعلم ريحان الوجود وغاره (٤٦)

(١٦) - أخرجه البخاري: الإمام الحافظ المحدث شيخ الحفاظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه المولود يوم الجمعة ١٣ شوال سنة (١٩٤هـ-٨١٠م)، المتوفى سنة (٢٥٦هـ-٨٧٠م)، في الأدب المفرد الجامع للآداب النبوية حديث (٣٨) ص ٣٤، الناشر: دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، وقال السيوطي ضعيف، وأورده العجلوني في كشف الخفاء وقال رواه أبو داود والترمذي والنسائي والبخاري في الادب المفرد عن ابي هريرة، وزاد بعضهم على ذلك أشياء وردت في احاديث، ونظم الجميع الجلال السيوطي بقوله:

إذا مات ابن آدم ليس يجري ... عليه من خصال غير عشر

علوم بثها ودعا نجلٍ ... وغرس النخل والصدقات تجري

ورائة مصحفٍ ورباط ثغر ... وحفر البئر أو اجراء نهر

وبيت للغريب بناه ياوي ... إليه أو بناء محل ذكر

وتعليم لقران كريم ... نغذها من احاديث بحصر

(٢٦) - كتاب العلوم الذي جمعه الامام محمد بن منصور بن يزيد المرادي الكوفي المسمى ابو جعفر احد الفقهاء المعمرين، قيل انه تعمر ١٥٠ سنة، وقد تضمن كتاب العلوم هذا فقهاً كثيراً ورواية واسعة وغلب عليه اسم امالي احمد بن عيسى، والامام احمد بن عيسى هو الامام العالم الفاضل المعروف بفتيه آل محمد له فقه كثير ورواية واسعة تضمن جلها كتاب العلوم، توفي سنة ٢٤٧هـ، ج ٤ ص ٣٥٨، طبعة مكتبة المؤيد الطائف الطبعة الأولى.

(٣٦) - ديوان الشفق الباكي، ص ٢٣٣، الناشر المطبعة السلفية مصر.

(٤٦) - ديوان شبلي الملائق، ص ٨٨، الناشر: دار الطباعة والنشر بيروت.

٢٠٤ العلم يرفع الله به الوضيع

ومعلوم أن الدين لا يؤتى إلا بالعلم، ولهذا أخبر الله تعالى عن صحابة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم الذين أوتوا العلم فقال: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (١٦) . العلم يرفع الله به الوضيع

إن صلاح الإنسان وفلاحه، وفوزه ونجاحه واجتنابه للشبهات، وابتعاده عن المحرمات، وارتفاعه إلى أعلى الدرجات إنما يكون بالعلم، وإنما وصل من وصل إلى الفضاء وصنع الدبابات والطائرات والصواريخ العابرة للقارات بالعلم قال الشاعر:

العلم ينهض بالخسيس إلى العلا ... والجهل يقعد بالفتى المنسوب

وإذا الفتى نال العلوم بفهمه ... وأعين بالتشذيب والتهديب

جرت الأمور له فبرز سابقاً ... في كل محضر مشهد ومغيب (٢٦)

فالعلم عنوان المكارم والأخلاق، المرشد إلى كمال قدرة البديع الخلاق: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا

يَتَذَكَّرُ أَوْلُو الْأَبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ

(١٦) - سورة الروم الآية (٥٦) .

(٢٦) - ديوان دعبل الخزاعي ص ٥٢. دعبل الخزاعي (١٤٨ - ٢٤٦ هـ / ٧٦٥ - ٨٦٠ م) دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل الخزاعي، أبو علي. الشاعر المشهور، قال ابن حجر: كان جده رزين مولى عبد الله بن خلف الخزاعي والده طلحة الطلحات ويقال إنه من ولد بديل بن ورقاء الصحابي، وانظر لسان الميزان ج ٢ ص ٤٣٠، وأصل كلمة دعبل: لقب وهو بكسر أوله وثالثه وسكون المهملة بينهما، وآخره لام وهو اسم الناقة الشارف ويقال أيضا للشيء القديم، وقال ابن حجر: أصله من الكوفة، ويقال انه من قرقيسيا وأقام ببغداد. في شعره جودة، كان صديق البحرني وصنّف كتاباً في طبقات الشعراء وكتاب الواحد في مثالب العرب ومناقبها، وله ديوان شعر مطبوع، طال عمره فكان يقول: لي نحسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك، وكان طويلاً ضخماً. توفي ببلدة تدعى الطيب بين واسط وخوزستان.

٢٠٥ العلم عنوان العز

وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ { (١٦) } .

العلم عنوان العز

العلم عنوان العز، ومعين البر، وباب العلا، ونور الحق، وانخل الوافي، والصاحب الصديق الموصل إلى الجنة، ورحم الله الإمام الشافعي حيث يقول:

عَلِيٍّ مَعِي حَيْثُمَا يَمَّتْ يَنْفَعُنِي ... قَلْبِي وَعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِ
إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِي ... أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ (٢٦)

وقال آخر:
الْعِلْمُ يُحْيِي قُلُوبَ الْمَيِّتِينَ كَمَا ... تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ
وَالْعِلْمُ يَجْلُو الْعَمَى عَنْ قَلْبِ صَاحِبِهِ ... كَمَا يَجْلِي سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرِ (٣٦)

(١٦) - سورة الرعد الآيات (١٩-٢٢) .

(٢٦) - ديوان الإمام الشافعي، طبعة مؤسسة الزعبي ودار الجيل، والشافعي (١٥٠-٢٠٤ هـ/٧٦٧-٨١٩ م) هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطليبي أبو عبد الله. أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة بفلسطين وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها وقبره معروف في القاهرة. قال المبرد: كان الشافعي أشعر الناس وأدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات، وقال الإمام ابن حنبل: ما أحد من بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منة. كان من أحذق قريش بالرمي، يصيب من العشرة عشرة، برع في ذلك أولاً كما برع في الشعر واللغة وأيام العرب ثم أقبل على الفقه والحديث وأفتى وهو ابن عشرين سنة، وانظر ديوان الإمام الشافعي جمع وتعليق الدكتور احمد احمد شتيوي، ص ١٢٨، الناشر: دار الغد الجديدة المنصورة مصر الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ-٢٠٠٣ م.

(٣٦) - العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٣.

وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ وَيَتَعَدَّى عَنِ الْكِبْرِيَاءِ وَالرِّيَاءِ وَظَلَمَ الْأَبْرِيَاءِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْعُلَمَاءِ؛ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} والمراد بالعلماء هنا علماء الشريعة والطبيعة وغير ذلك؛ لأنه جل شأنه ذكر العلماء بعد ذكر إنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات من الأرض، واختلاف ألوان الجبال والأحجار والناس والدواب والأنعام؛ فتأمل قول الحق تبارك وتعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ
وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ { (١٦) } , فهوؤلاء العلماء هم الذين ينبغي أن ينتظموا
في سلك الإيمان والإيقان, فهم الذين يعلمون الخالق العظيم وقدرته, وشدة بطشه ونقمته, وقهره وعذابه وحلمه, وأنه على كل شيء قدير,
فهم يخشونه حق خشيته, ويعرفونه حق معرفته.

والعلم في ذاته غاية الغايات, ألا ترى أنه يرشدك إلى بارتك, ويدلك على ما ينبغيك, ويطلق عقلك من عقال الأوهام, ويبعدك عن
مشابهة الضالة من الأنعام, ويقاوم التعصب والتقليد والتقرم وحب الانتقام, ويجنبك الوقوع في المعاصي والآثام, ويوصلك إلى المعرفة
الخالصة, والحق المجرد, فهو وسيلة سامية لغاية بالغة السموم.

{ (١٦) - سورة فاطر الآيات (٢٧-٢٨) .

٢٠٦ أشرف العلوم

فبغير العلم لا تستطيع أن تعالج مشاكل الحياة علاجاً سليماً محكماً, وبغير العلم لا تستطيع أن تحمي نفسك, أو تتقدها من التعالي على الناس
والإساءة إليهم, أو تدفع عنها إيذاء المؤذنين وعدوان المعتدين, فالعلم إذاً يجمع بين الحق والقوة, والسعادة والسيادة, والعظمة والسلطان.
فبالعلم استطاع الإنسان -في دفاعه عن نفسه- أن يستعمل اللسان والسنان, وبالعلم استطاع أن يسخر الماء والهواء والبحار والكهرباء
حتى صار الإنسان بعلمه: كمن يضع في إصبعه خاتم سليمان, ولهذا أوجب الله على الناس سؤال العلماء فقال سبحانه: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ
الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } { (١٦) } , فمن كمل دينه وتم عقله فقد تحلى بالمكارم, واتصف بالمحامد, وكان في صدره على ذلك أكبر شاهد,
قال جل شأنه: { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ } { (٢٦) } .

أشرف العلوم

إن أشرف العلوم هي العلوم الشرعية المتعلقة بمعرفة الحق سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وعظيم حقه, وكذلك ما تعلق من العلوم
بمعرفة الحلال والحرام والأوامر والنواهي, وما أتى من العلم لبيان شئون المعاد في يوم الحساب, يوم البعث والجزاء والجنة والنار, ثم يأتي
بعد ذلك ما يتعلق بعلم الأبدان كالصحة والرياضة وبشئون الحياة وعمارتها وإدارتها. وقد جعل الإمام ابن القيم مبادئ العلم الشرعي
وأقسامه ثلاثة, وذلك حيث يقول:

{ (١٦) - سورة النحل الآية (٤٣) .

{ (٢٦) - سورة العنكبوت الآية (٤٩) .

٢٠٧ مبادئ العلوم

والعلم أقسام ثلاث ما لها ... من رابع والحق ذو تبيان

علم بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمن

والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاءه يوم المعاد الثاني

والكل في القرآن والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالقرآن

والله ما قال أمرء متحذلق ... بسواهما إلا من الهذيان { (١٦) }

وقال أبو حاتم رحمه الله: يجب على العاقل أن لا يطلب من العلم إلا أفضله لأن الازداد من العلم أثر عند العاقل من الذكر بالعلم, والعلم
زين في الرخاء, ومنجاة في الشدة, ومن تعلم ازداد. { (٢٦) }

مبادئ العلوم

إن الطالب لأي علم ينبغي له معرفة حدّه - أي أصله - أو الوصف المحيط الكاشف عن حقيقته وماهيته، ومعرفة موضوعه، وثمرته - أي الفائدة المرجو الحصول عليها منه -، ونسبته إلى أي العلوم ومعرفة واضعه، وهل هو فرض عين أو فرض كفاية؟ وقد جاء في كلام بعض الشعراء الإشارة إلى ذلك:

إن مبادئ كل فن عشرة ... الحد والموضوع ثم الثمرة
وفضله ونسبه والواضع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ... ومن درى الجميع حاز الشرفا

(١٦) - انظر: شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم، تحقيق الدكتور خليل هراس ج ٢ ص ٢٤٠، والموسوعة الشعرية للعلامة والأديب والواعظ الخطيب بدر بن عبد الله بن عبد الكريم الناصر، ص ٢٠١. الناشر: دار العاصمة بالرياض الطبعة الأولى ٢٧١٤هـ - ٢٠٠٦م.

(٢٧) - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ، تهذيب ابراهيم بن عبد الله الحازمي، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ، ص ٣٦.

٢٠٨ الجدل في طلب العلم

الجدل في طلب العلم

من جد في طلب العلم ظفر به، ومن سعى للعمل به انتفع به، قال الشاعر:
بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلاً ... يغوص البحر من طلب الآلي
ورحم الله شوقي حيث يقول:

أيُّهَا الطالِبُ لِلْعِلْمِ اسْتَمِعْ ... خَيْرَ مَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ جُمِعْ
هُوَ إِنْ أَوْتَيْتَهُ أَسْنَى النِّعَمِ ... هَلْ تَرَى الْجُهَالَ إِلَّا كَالنِّعَمِ
أُطْلِبُ الْعِلْمَ لِذَاتِ الْعِلْمِ لَا ... لِظُهُورِ بَاطِلٍ بَيْنَ الْمَلَا
عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْعِلْمِ مَذَاقٌ ... فَإِذَا فَاتَكَ هَذَا فَافْتَرِاقٌ
طَلَبُ الْحُرُومِ لِلْعِلْمِ سُدَى ... لَيْسَ لِلْأَعْمَى عَلَى الضُّوءِ هُدَى
فَإِذَا فَاتَكَ تَوْفِيقَ الْعَلِيمِ ... فَاِمْتَنِعْ عَنِ كُلِّ تَحْصِيلٍ عَقِيمِ
وَاطْلُبِ الرِّزْقَ هُنَا أَوْ هُنَا ... كَمْ مَعَ الْجَهْلِ يَسَارٌ وَغِنَى (١٦)

وله أيضاً:

ترك النفوس بلا علم ولا أدب ... ترك المريض بلا طب ولا آسي
وللشافعي رضي الله عنه:

أخي لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبئك عن تفصيلها بيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحة أستاذ وطول زمان

(١٦) - انظر: ديوان شوقي توثيق وتبويب وشرح وتعقيب الأستاذ الدكتور احمد محمد الحوفي عضو مجمع اللغة العربية وأستاذ الأدب العربي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة.

وقد أغفل الشافعي رحمه الله الصحة، وهي من أكد الأسباب المعينة على التحصيل والطلب وهذا مما لا يختلف فيه عالمان، ولا ينتطح فيه عنزان، والنصوص في هذا المعنى كثيرة معلومة، فليس الصحيح كالسقيم، وليس الأقطع والأشل كالذي يذهب ويحيى، فالموانع كثيرة، وعظم الجزاء مع عظم البلاء، ولبعض الشعراء:

بتسع ينال العلم: قوت وصحة ... وحرص وفكر ثاقب في التعلم
ودرس وحفظ للعلوم وهمة ... وشرح شباب واجتهاد معلم (١٦)

وقال سفيان: أول العلم الإنصات، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم العمل به، ثم النشر. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: "لا تكون عالماً حتى تكون متعلماً، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً". (٢٦)

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:

إصبر على مرّ الجفأ من معلّم ... فإنّ رُسوبَ العلمِ في نَفَرَاتِهِ
فَن لَمْ يَذُقْ مَرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً ... تَجَرَّعَ ذُلَّ الْجَهْلِ طَوْلَ حَيَاتِهِ
وَمَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيمُ وَقْتَ شَبَابِهِ ... فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا لَوْفَاتِهِ (٣٦)

فمن تواضع لمن يعلم الناس الخير ظفر بمراده، ومن تعالَى وتكبر هلك وعنه الخير أدبر، قال الشاعر:

اطلب العلم ولا تكسل فما ... أبعد الخير على أهل الكسل
واحتمل للفقهِ في الدين ولا ... تشتغل عنه بمالٍ أو خول

(١٦) - الموسوعة الشعرية ص ١٠٢.

(٢٦) - روضة العقلاء ص ٣٣.

(٣٦) - ديوان الشافعي ص ٢٩.

واهجِر النَوْمَ وَحَصِّلْهُ فَن ... يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ يَحْتَقِرُ مَا بَدَلَ

لا تقل قد ذهبت أربابه ... كلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرَبِ وَصَلَ (١٦)
أما الإمام علي رضي الله عنه فهو يرشد إلى تعلم أحسن العلوم فيقول:

ما حوى العلم جميعاً رجلٌ ... لا ولو مارسه ألف سنة

إنما العلم بعيدٌ غوره ... نَفَذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ

أما ابن عباس فهو يقول:

ما أكثر العلم وما أوسعُه ... من ذا الذي يقدر أن يجمعه

إن كنت لا بد له طالباً ... محاولاً فالتمس أنفعه (٢٦)

ينال العلم بالتعلم في الصبا، وبالهمم العالية، فهو أرفع رتبة، وأجل مكتسب، وأسمى مفخر، فمن يشمر للبحث ينله، ومن يخطب الحسنة يصبر على البذل، فارحل لطلبه، وتغرب لنيه، ولا تكتف بمراجعة الكتاب، فإن ذلك لا يغني عن أخذ العلم مشافهةً من أولي الأبواب، قال أبو حاتم:

يظن الغمر أن الكُتُبَ تكفي ... أخا فهم لإدراك العلوم

وما يدري الجهول بأن فيها ... غوامض حيرت عقل الفهم

إذا رمت العلوم بغير شيخ ... ضللت عن الصراط المستقيم

وتلتبس الأمور عليك حتى ... تصير أضل من توما الحكيم (٣٦)

(١٦) - هذه الأبيات منسوبة لابن الورددي: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص زين الدين بن الورددي المعري الكندي، المتوفى سنة ٧٤٩هـ، شاعر أديب مؤرخ، ولد في معرة النعمان (بسورية) وولي القضاء بمنبج وتوفي بحلب، وتنسب إليه اللامية التي مطلعها:

اعتزل ذكر الأغاني والغزل ... وقل الفصل وجانب من هزل

(٢٦) - جامع بيان العلم لابن عبد البر ج ١ ص ١٠٦، الناشر: أم القرى للطباعة والنشر مصر، والموسوعة الشعرية ص ١٠٤.

(٣٦) - نسبت هذه الأبيات لأبي حاتم ولأبي حيان التوحيدي، وانظر: نوح الطيب للمقري ج ٢ ص ٥٦٤، وطبقات الشافعية للسبكي ج ٩ ص ٢٨٦، والموسوعة الشعرية ص ١١٥.

٢٠٩ محبة العلم

محبة العلم

حبب إلى نفسك العلم حتى تألفه وتلزمه، ويكون لهوك ولذتك، وسلوتك وبلغتك، وقد قال ابن المقفع: أن العلم علمان: علم للمنافع وعلم لتزكية (١٦) العقول، وأفشى العلمين وأجدهما أن ينشط له صاحبه من غير أن يجرّض عليه علم المنافع، وللعلم الذي هو ذكاء العقول وصقلها (٢٦) وجلاؤها فضيلة منزلة عند أهل الفضل في الألباب. (٣٦) وإنما يبلغ المرء مبلغ الفضل بالعلم والعمل، فالعلم زين لصاحبه في الرخاء ومنجاة له في الشدة.

تعظيم العلم

من عظم العلم عمل، ومن أهانه أهين وابتذل، وقد جاء في شعر القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني:

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت ولكن لأخدا

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما (٤٦)

(١٦) - تزكية العقول: تميئتها والزيادة فيها.

(٢٦) - صقال العقول: شحها وتحليلها وكشف صك الجهالة عنها.

(٣٦) - الآثار الكاملة لعبد الله بن المقفع حققها وشرحها وقدم لها الدكتور عمر الطباع، ص ٨٥، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

(٤٦) - محاضرات الأدباء ومحاوره الشعراء والبلغاء للراغب الأصبهاني، تهذيب ابراهيم زيدان ص ١٤، الناشر دار الآثار بيروت.

٢٠١٠ تكريم المعلم

تكريم المعلم

إن إكرام المعلم، والإحسان إليه دليل على سمو النفس، وكرم الطبع، وإنما مثل المعلم مثل الطبيب يحتاج إلى إكرام ليتقن عمله، فالمعلم كالزارع الذي يبذر زرعاً ويتعهده بالماء لينمو ويحیی، إكرامه آية تدل على الفطنة والذكاء، قال الشاعر:

إن المعلم والطبيب كلاهما ... لا ينصحان إذا هما لم يكرما

فاصبر لدائك إن أهنت طبيبه ... واصبر لجهلك إن جفوت معلما

فالمعلم خير الآباء لأن حياة الروح بالعلم كما أن حياة الجسد بالروح، فالعلم مادة الروح الإنساني، كما أن النطفة مادة الجسد والروح الحيواني، والروح الإنساني أفضل الأرواح، قال الشاعر:

من علم الناس كان خير أب ... ذاك أبو الروح لا أبو النطف (١٦)

وقد قيل للاسكندر: إنك تعظم معلمك أكثر من تعظيمك لأبيك، فقال: لأن أبي سبب حياتي الفانية، ومؤدبي ومعلمي سبب الحياة الباقية (٢٠).

وقد أشارت السنة النبوية إلى وجوب احترام من يعلم الناس الخير وأبانت حقه، من ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلِّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ) (٣٠)، ويرحم الله شوقي حيث يقول:

(١٦) - أدب الدنيا والدين لأبي الحسن محمد حبيب الماوردي، ص ٧٧، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، والموسوعة الشعرية ص ١٢٤.

(٢٠) - محاضرات الأدباء ص ١٤.

(٣٠) - انظر مسند الإمام الحافظ المحقق العلامة المحدث أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (المتوفى سنة ٢٤١ هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، حديث (٢٢٨٠٧) عن عبادة بن الصامت، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبَجِيلَا ... كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا
أَعْلَمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَ مِنَ الَّذِي ... يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ خَيْرَ مُعَلِّمٍ ... عَلَّمْتَ بِالْقَلَمِ الْقُرُونَ الْأُولَى
أَخْرَجْتَ هَذَا الْعَقْلَ مِنْ ظُلُمَاتِهِ ... وَهَدَيْتَهُ النُّورَ الْمُبِينَ سَبِيلًا
وَطَبَعْتَهُ بِإِدِّ الْمُعَلِّمِ تَارَةً ... صَدَيْئِ الْحَدِيدِ وَتَارَةً مَصْقُولًا
أَرْسَلْتَ بِالتَّوْرَةِ مُوسَى مُرْشِدًا ... وَإِنَّ الْبَتُولَ فَعَلِمَ الْإِنْجِيلَا
وَجَرَّتَ يَنْبُوعَ الْبَيَانِ مُحَمَّدًا ... فَسَقَى الْحَدِيثَ وَنَاوَلَ التَّنْزِيلَا
عَلَّمْتَ يُونَانَ وَمِصْرَ فَرَاتًا ... عَنْ كُلِّ شَمْسٍ مَا تُرِيدُ أَفُولَا
وَالْيَوْمَ أَصْبَحْنَا بِحَالِ طُفُولَةٍ ... فِي الْعِلْمِ تَلْتَمِسَانِهِ تَطْفِيلَا
مِنْ مَشْرِقِ الْأَرْضِ الشَّمْسُوسُ تَظَاهَرَتْ ... مَا بَالُ مَغْرِبِهَا عَلَيْهِ أُدْيِلَا
يَا أَرْضُ مَذْفَقَ الْمُعَلِّمِ نَفْسَهُ ... بَيْنَ الشَّمْسُوسِ وَبَيْنَ شَرْقِكَ حَيْلَا
ذَهَبَ الَّذِينَ حَمَوْا حَقِيقَةَ عَلَيْهِمْ ... وَاسْتَعَذَبُوا فِيهَا الْعَذَابَ وَبَيْلَا
فِي عَالَمِ صَحْبِ الْحَيَاةِ مُقَيَّدًا ... بِالْفَرْدِ مَخْزُومًا بِهِ مَغُولَا
صَرَعَتْهُ دُنْيَا الْمُسْتَبِدِّ كَمَا هَوَتْ ... مِنْ ضَرْبَةِ الشَّمْسِ الرَّؤُوسُ ذُهُولَا
سُقْرَاطُ أَعْطَى الْكَأْسَ وَهِيَ مِنْيَّةٌ ... شَفَقْتِي مُحِبِّ يَشْتَهِي التَّقْبِيلَا
عَرَضُوا الْحَيَاةَ عَلَيْهِ وَهِيَ غَبَاوَةٌ ... فَأَبَى وَآثَرَ أَنْ يَمُوتَ نَبِيلَا
إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْقُلُوبِ كَثِيرَةٌ ... وَوَجَدْتُ شُجْعَانَ الْعُقُولِ قَلِيلَا
إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْحَقِيقَةَ عَلَقَمًا ... لَمْ يُخَلِّ مِنْ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ جِيلَا
وَلَرُبَّمَا قَتَلَ الْغَرَامُ رِجَالَهَا ... قَتَلَ الْغَرَامُ كَمْ اسْتَبَاحَ قَتِيلَا

٢٠١١ المعلم الذي لا يؤدي واجبه

أَوْكَلْتُ مَنْ حَامَى عَنِ الْحَقِّ إِقْتَنَى.....عِنْدَ السَّوَادِ ضَغَائِنًا وَذُحُولًا (١٦)

ويقال للعالم الفطن: العالم النحرير، قالوا: أنه لثقاب - وهو الفطن الذكي-، وقالوا: أنه لعص - وهو العالم النحرير-. (٢٧)

المعلم الذي لا يؤدي واجبه
إنما مثل المعلم غير المتأدب كمثل شجرة عارية لا تورق ولا تثمر قد انتصبت للناس في ملتقى الطرق تعترض الراح وتصد سبيل الغادي،
فلا الناس بظلمها يستظلون ولا هم من شرها ناجون، فيجب على المعلم أن يعد نفسه لتعليم الحكمة، والتحلي بالصبر والرحمة، حتى يؤدي
واجبه، ويستطيع أداء رسالته:

فَهُوَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ النَّفْسِ عَدُوًّا
وَيَقِيمُ مَنْطِقَ كُلِّ أَعْوَجٍ مَنْطِقِي ... وَيُرِيهِ رَأْيًا فِي الْأُمُورِ أَصِيلًا
وَإِذَا الْمُعَلِّمُ لَمْ يَكُنْ عَدْلًا مَشَى ... رُوحُ الْعَدَالَةِ فِي الشَّبَابِ ضَائِلًا
وَإِذَا الْمُعَلِّمُ سَاءَ لَحَظَ بَصِيرَةً ... جَاءَتْ عَلَى يَدِهِ الْبَصَائِرُ حَوْلًا
وَإِذَا أَتَى الْإِرْشَادُ مِنْ سَبَبِ الْهَوَى ... وَمِنْ الْغُرُورِ فَسَمَّهِ التَّضْلِيلًا
وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ ... فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيلًا
إِنِّي لِأَعْذِرُكُمْ وَأَحْسَبُ عِبْتُكُمْ ... مِنْ بَيْنِ أَعْبَاءِ الرِّجَالِ ثَقِيلًا
وَجَدَ الْمُسَاعِدَ غَيْرُكُمْ وَحَرَمْتُمْ ... فِي مِصْرَ عَوْنِ الْأُمَمَاتِ جَلِيلًا
وَإِذَا النِّسَاءُ نَشَّانَ فِي أُمِّيَّةٍ ... رَضَعَ الرِّجَالُ جَهَالَةً وَحُمُولًا (٣٧)

(١٧) - ديوان شوقي ج ١ ص ٤٩٧.

(٢٧) - العقد الفريد للعلامة احمد بن محمد عبدربه الأندلسي ج ٣ ص ٣٥، طبعة دار احياء التراث العربي بيروت لبنان.

(٣٧) - ديوان شوقي ج ١ ص ٥٠٠.

٢٠١٢ المعلم الذي يخالف علمه عمله

المعلم الذي يخالف علمه عمله

إن من يعلم الناس يجب أن يكون قدوة فيه، وأن لا ينهى الناس عن شيء ويأتيه، قال الشاعر:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرُهُ ... هَلَا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَا ... كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
وَتَرَكَ تُصَلِّحُ بِالرِّشَادِ عُقُولَنَا ... أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرِّشَادِ عَدِيمٌ
فَأَبْدًا بِنَفْسِكَ فَانْهَى عَنْ غَيْبِهَا ... فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهِنَاكَ يَقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيَهْتَدِي ... بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ (١٧)

وقال آخر:

العلم للرجل اللبيب زيادة ... ونقيصة للأحمق الطياش

مثل النهار يزيد أبصار الورى ... نوراً ويعمي أعين الخفاش (٢٧)

حق التعليم مكفول للصغير والكبير

طلب العلم وتعليمه مذهب الفاضل ودينه، نخذ الحكمة ممن تسمعها منه، فرب رمية من غير رام، وحكمة من غير حكيم، وفي الحديث:

(الحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا) (٣٦) .

(١٦) - نسبت هذه الأبيات للمتوكل الليثي وهي في ديوانه، ونسبت لابي الأسود الدؤلي، وانظر: الموسوعة الشعرية ص ١٢٥، والبيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ج ١ ص ١٩٨، الناشر دار الخانجي بمصر ١٣٦٧ هـ، وجامع بيان العلم لابن عبد البر ج ١ ص ١٩٦، والبصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي ج ٥ ص ١٣١، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٢٦) - ورد هذان البيتان منسوبة لهبة الله بن التلميد، وانظر: معجم كنوز الأمثال والحكم العربية النثرية والشعرية للدكتور كمال خلايلي، ص ٩٣، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، طبعة ١٩٩٨ م.

(٣٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة حديث (٢٦٨٧)، وابن ماجه في سننه باب الحكمة حديث (٤١٦٩) .

قال البخاري في باب الاغتباط بالعلم والحكمة: وقد تعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في كبر سنهم، وروى بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها) (١٦)، وقد تعلم الصحابة وهم شيوخ وكهول واشتغلوا بالعلم فكانوا بحورا، بل إنهم كانوا يسهلون شيوخا وكهولا وأحداثا، ويتعلمون العلم والقران والسنن فصاروا أطواد الحكمة والفكر، وإن كان العلم في الصغر ارسخ أصولا وأسبق فروعاً، وفي الأثر: "العلم في الصغر كالنقش في الحجر"، وقد أخرجه الحافظ ابن حجر في تخرجه لمسند الفردوس بلفظ: (حفظ الغلام كالرسم في الحجر) وأسنده الديلمي عن ابن عباس، وإن كان بعض العلماء قد ضعفه، وقد قال ابن الجوزي رحمه الله:

(أقوم التكوين ما كان في الصغر)، فأما إذا ترك الولد وطبعه ومشي عليه ومرن كان رده صعباً، قال الشاعر:

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا اعْتَدَلَتْ ... وَلَا يَلِينُ إِذَا قَوْمَتَهُ الْخُشْبُ

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل ... وليس ينفع عند الكبرة الأدب (٢٦)

وقال آخر:

والطفل يحفظ ما يلقي إليه ولا ... ينساه إذ قلبه كالجوهر الصافي

فانقش على قلبه ما شئت من خبر ... فسوف يأتي به من حفظه وافي

(١٦) - أخرجه البخاري صحيحه كتاب العلم باب إنفاق المال في حقه حديث (١٣٢٠) .

(٢٦) - انظر الطب الروحاني لابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ص ٥٩،

الناشر: مكتبة الثقافة الذهبية، القاهرة ١٤٠٦ هـ،

اما العلامة محمد بن محمد المنصور (١٦) فهو يقول:

رسم على الماء درس العلم في الكبر ... والنقش في حجر إن كان في الصغر

فاحذر ضياع الصبا في تافه وسفا ... هـ أو تكاسل فاخذر غاية الحذر

وإنما أرشد الشاعر إلى حفظ الصغير لأن مرحلة الصغر مرحلة تلقين لا فهم، فالطفل في غالب الأحوال يستطيع أن يحفظ الشيء الكثير وإن كان تفهمه لحقائق تلك المعارف والعلوم لا يزال محدوداً نظراً لصغر سنه، ولكنه لا ينسى ما حفظ، لصفاء ذهنه، ولكون ما يتلقنه أول ما يطرق ويثبت في صحائف فكره، فهو كالجوهر الصافي كما قال الشاعر، فالعاقل يحرص على تلقين الأطفال ما ينفعهم من أمور الدين والدنيا، ويبعدهم عن كل شيء يضرهم، وفي المثل السائر: "العلم في الصغر كالنقش على الحجر" وقد تقدم، ومن الخطورة بمكان أن يضل الأطفال والصبيان في صغرهم، فالعقل يعجب للشروع، ولله در أبي العلاء المعري (٢٦) حيث يقول:

وَالْعَقْلُ يَعْجَبُ لِلشُّرُوعِ تَمَجُّسٍ ... وَتَحَنُّفٍ وَتَهْوٍ وَتَصَرُّ

فَاحْذَرِ وَلَا تَدَعِ الْأُمُورَ مُضَاعَةً... وَأَنْظُرْ بِقَلْبٍ مُفَكِّرٍ مُتَبَصِّرٍ

(١٦) - هو العلامة العابد الناسك الفاضل المجتهد/ محمد بن محمد المنصور الحسني اليماني من العلماء المعاصرين فيلسوف ومفكر اسلامي كبير وهو مرجع لعلماء الزيدية عرف بالاخلاق الكريمة والتواضع شغل عدة مناصب في الدولة اليمنية منها (وزير العدل- وعضوية المحكمة العليا- ونظارة الوصايا- وعضوية دار الافتاء التي لا يزال فيها حتى كتابة هذه الاحرف) وله عدة اجاث ومؤلفات مخطوطة وهو اديب كبير وشاعر فصيح له ديوان مطبوع اسماء لوامع من خواطر شواسع، وهذان البيتان من قصيدة له اسمها برق يماني مطلعها: (علمي بري شامخ الاركان ... بالعقل اشهده وبالقرآن) ..

(٢٧) - قال الذهبي -رحمه الله:- هو الشيخ العلامة، شيخ الآداب، أبو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان ... القحطاني ثم التنوخي، المعري، الأعمى، اللغوي، الشاعر، صاحب التصانيف السائرة، والمتهم في نخلته، ولد في سنة ٣٦٣هـ، وضر بالجدرى وله أربع سنين وأشهر، وقال ياقوت الحموي: عاش شيئاً وثمانين سنة، لم يأكل اللحم منها خمساً وأربعين سنة، انظر: اعلام النبلاء للذهبي (١٨/٢٣) ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (١/٣٩٦) .

وفي الحديث: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِهِ أَوْ يَمَجْسَانِهِ) (١٦) ، وقديماً قيل: "من لم يتعلم في صغره غالباً ما يتقدم في كبره".

أما مرحلة الكبر فقد دل التبع والاستقراء من قبل العلماء والباحثين أنها مرحلة تفهم لحقائق الأشياء أكثر منها مرحلة تلقين، والعقل يحرص على تعلم العلم وتفهمه والعمل به كبيراً وصغيراً، فالعلم أفضل خلف، والعمل به أكمل شرف، وفي المثل: "لا سمير كالعلم ولا ظهير كالحلم".

فتعلم أخي العلم فإنه يصلح فاسدك، ويرغم حاسدك، ويقيم ميلك، ويصلح أملك، ويقرب عليك ما بعد، وعلمه الصغير ليكون في الكبر أميراً، وقد قال بعض الحكماء: "تعلم العلم فإنه يقومك ويسدك صغيراً، ويقدمك ويسودك كبيراً" وقيل: "تعلم العلم فإنه عز لا يبلى جديده، وكنز لا يفنى مديده، فمن لمن يعلم لم يسلم، فالفضل بالعقل والعلم والأدب لا بالأصل والحسب". (٢٧)

ومما يرغب فيه جني ثمار العلم ممن تحب وممن لا يعجب، وقد قيل: لا يمنعك ضعة القائل عن الاستماع إليه، فرب فم كرهه حج علماً ذكياً، وتبر صافٍ في صخر جاس، والجوهرة النفيسة لا يشينها سخافة غائصها، ولا دناءة بائعها، فاستكثر أخي العلم فإنه خفيف حملة، قال أبو نواس: ما رأيت شيئاً إلا قليله أخف من كثيره إلا العلم فإنه كلما كان أكثر كان أخف محمل،

(١٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب ما قيل في أولاد المشركين حديث (١٣١٩) ، ومسلم في صحيحه باب معنى كل مولود يولد على الفطرة حديث (٢٦٥٨) ، واللفظ للبخاري. (٢٧) - انظر الفرائد والقلائد ص ١١.

٢٠١٣ ترك المعاصي سبب في حفظ العلوم وجمعها

وقيل: كل إناء يفرغ فيه شيء يضيق إلا القلب، فإنه كلما أفرغ فيه علم اتسع (١٦) ، وقد جاء في محكم التنزيل: {فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ} (٢٧) .
ترك المعاصي سبب في حفظ العلوم وجمعها

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل مجانبة ما يندس علمه من أسباب هذه الدنيا، مع القسط في لزوم العمل بما قدر عليه، فمن عجز عن العمل بما جمع من العلم؛ فلا يجب أن يعجز عن حفظه، وفي أمثال العرب: "عقرة العلم النسيان"، وفي الذكر الحكيم: {سَنْقَرُوكَ فَلَا تَنْسَى} (٣٧) ، وجاء في شعر محمد بن بشير الخزاعي:
أما لو أعني كل ما أسمع ... وأحفظ من ذاك ما أجمع

ولم أستفد غير ما قد جمعت ... لقليل هو العالم المقنع (٤٦)
ولكن نفسي إلى كل شيء ... من العلم تسمعه تنزع
وأحضر بالجهل في مجلسي ... وعلي في الكتب مستودع
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ... ولا أنا من جمعه أشبع
ومن يك في علمه هكذا ... يكن دهره القهقري يرجع
إذا لم تكن حافظاً واعياً ... فجمعك للعلم لا ينفع (٥٦)

- (١٦) - محاضرات الأدباء ص ٢٢٠.
(٢٦) - سورة الزمر الآيتان (١٧ و ١٨) .
(٣٦) - سورة الأعلى الآية (٦) .
(٤٦) - مقنع كقعد: أي رضي يقنع به.
(٥٦) - انظر: روضة العقلاء ص ٣٥، ونسبت الأبيات أيضاً لمحمد بن يسير الرياشي، والله تعالى أعلم.

٢٠١٤ إنفاق العلم وعدم جواز كتبه

أما الإمام الشافعي فهو يقول:
شَكَوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حِفْظِي ... فَأرشدني إلى تَرْكِ المعاصي
وَأخبرني بأنَّ العِلْمَ نورٌ ... وَنورُ اللَّهِ لا يُهدى لِعاصي (١٦)
إنفاق العلم وعدم جواز كتبه
في إنفاق العلم ونشره بقاءه ونماؤه، وذخره وأجره، قال الشاعر:
العلم كنزٌ كلما أنفقته ينمو ... وإنما لم ترجُ انفاقاً في
وفي الحديث: (مَنْ كَتَمَ عِلْمًا مِمَّا يَنْفَعُ اللَّهَ بِهِ فِي أَمْرِ النَّاسِ أَمَرَ الدِّينِ أَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ) (٢٦) .
ولبعض الشعراء:
إذا العلم لم تعمل به كان حجة ... عليك ولم تعذر بما أنت جاهله
فإن كنت قد أوتيت علماً فإنما ... يصدق قول المرء ما هو فاعله (٣٦)
وقال آخر:
وعالم بعلمه لم يعملن ... معذبٌ من قبل عباد الوثن
أما عبد الملك بن ادريس الجزيلي فهو يرى أن العلم لا ينفع صاحبه ما لم يفد عملاً وحسن تبصر وذلك حيث يقول:
والعلم ليس بنافع أربابه ... ما لم يفد عملاً وحسن تبصر
سيان عندي علم من لم يستفد ... عملاً به وصلاة من لم يطهر
(١٦) - ديوان الإمام الشافعي ص ١٠٦.
(٢٦) - أخرجه ابن ماجه في سننه باب من سئل عن علم فكتمه حديث (٢٦٥) .
(٣٦) - جامع بيان العلم لابن عبد البر ج ٢ ص ٧، والموسوعة الشعرية ص ١٠٨.

٢٠١٥ القصة في الحديث النبوي

٢٠١٦ الجهل يضاد العلم

فاعمل بعلمك توف نفسك وزنها..... لا ترض بالتضييع وزن المخسر
ويقول ابراهيم التنوخي:

وإذا الفتى قد نال علماً ثم لم ... يعمل به فكأنما لم يعلم
أما ابن عماد الاقهسي فهو يرى أن من لم يعمل بعلمه خائب وذلك حيث يقول:
وإن علمت ولم تعمل على وجل ... فما ربحت فقل يا خيبة الأمل
ولله در القائل:

اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي ... ينفك علي ولا يضرك تقصيري
القصة في الحديث النبوي

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ بَعْضِ حَجْرِهِ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِحِلْقَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ
اللَّهَ وَالْآخَرَ يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (كُلُّ عَلَى خَيْرٍ هُوَ لَاءٌ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَدْعُونَ اللَّهَ فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ
وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ وَهُوَ لَاءٌ يَتَعَلَّمُونَ وَإِنَّمَا بَعِثْتُ مَعَلِّمًا، جُلَسَ مَعَهُمْ) (١٦) .
الجهل يضاد العلم

العلم حياة الأمة، والجهل حرمانها، فن تعلم شفي ومن جهل عمي، وقديما قيل: " الجهل مطية من ركبها ذل، ومن صحبها ضل، وشر
المصائب الجهل"، ويرحم الله احمد شوقي حيث يقول:
هل علمت أمة في جهلها ... ظهرت في المجد حسناء الرداء

(١٦) - رواه ابن ماجه في سننه باب فضل العلماء حديث (٢٢٥) ، والدارمي في سننه باب في فضل العلم حديث (٣٥٧) .
وله أيضا:

إني نظرت إلى الشعوب فلم أجد ... كالجهل داءً للشعوب مبيدا

الجهل لا يلد الحياة مواته ... إلا كما تلد الرمام الدودا

أما جرد ابن عمرو فهو يقول:

رأيت العز في أدب وعلم ... وفي الجهل المذلة والهوان (١٦)

الجهل أنكى عدو، وأخبث صديق، والجهل داء قاتل، وشقاء حاصل، فإذا خيم على أمة فسدت، أو على أسرة مسخت، قال الشاعر:
إذا ما الجهل خيم في بلاد ... رأيت أسودها مسخت قرودا (٢٦)
وقال الإمام ابن القيم:

والجهل داء قاتل وشفأؤه ... أمران في التركيب متفقان

نص من القرآن أو من سنة ... وطبيب ذاك العالم الرباني (٣٦)

منازعة العلماء تنفي العقل وثبت الجهل، وأجهل الناس من قل صوابه وكثر اعجابه، قال الشاعر:

أليس من البلوى بانك جاهل ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري

إذا كنت لا تدري ولست كمن درا ... فكيف إذاً تدري بأنك لا تدري (٤٦)

أما ابن دريد (٥٦) فإنه يقول:

(١٦) - أدب الدنيا والدين للماوردي ص٢٦٦.

- (٢٦) - البيت هذا المعروف للرصافي.
- (٣٦) - شرح الكافية ج ٢ ص ٢٤٠ ، والموسوعة الشرعية ص ١٢٨ .
- (٤٦) - العقد الفريد لابن عبدربه ج ٢ ص ١٥١ .
- (٥٦) - محمد بن الحسن بن دريد الأزدي القحطاني، أبو بكر، (٢٢٣-٣٢١هـ/٨٣٨-٩٣٢م) ، من أئمة اللغة والأدب، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، وهو صاحب المقصورة الدريدية، ولد في البصرة وانتقل إلى عمان فأقام اثني عشر عاماً وعاد إلى البصرة ثم رحل إلى نواحي فارس فقلده آل ميكال ديوان فارس، ومدحهم بقصيدته المقصورة، ثم رجع إلى بغداد واتصل بالمقتدر العباسي فأجرى عليه في كل شهر خمسين ديناراً فأقام إلى أن توفي، من كتبه (الاشتقاق-ط) في الأنساب، و (المقصود والممدود-ط) ، و (الجمهرة-ط) في اللغة، ثلاثة مجلدات، و (أدب الكاتب) ، و (الأمالي) .
- جهلت فعاديت العلوم وأهلها ... كذاك يعادي العلم من هو جاهله

وقال آخر:

جهلت أمراً فأبدت النكير له ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

وقديماً قيل: "أربعة يقضى بها على أربعة: السعاية على الدناءة، والإساءة على الرداءة، والحلف على البخل، والسخف على الجهل، وأربعة لا تنفك عن أربعة: الجهول عن السقط، والغفول عن الغلط، والعجول عن الزلل، والملول عن العمل، وأربعة تدل على الجهل: صحبة الجهول، وكثرة الفضول، وإذاعة السر، وإثارة الشر". (١٦)

وقيل أيضاً: "ليس للمرء أن يفرح بحالة جليلة نالها بغير عقل، أو منزلة رفيعة حلها بغير فضل، فإن الجهل ينزله منها، ويزيله عنها، ويحطه إلى رتبته، ويرده إلى قيمته، بعد أن تظهر عيوبه، وتكثر ذنوبه، ويصير مادحة هاجياً، ويصبح وليه معادياً، وربما أقبلت الدنيا على الجاهل بالاتفاق، وأدبرت عن العاقل العالم مع الاستحقاق، فإذا أثبتك منها سهمة مع جهل أو فائتتك فيها بغية مع عقل فلا يحملتك ذلك على الرغبة في الجهل، والزهد في العقل والعلم، فدولة الجاهل من الممكنات، ودولة العاقل من الواجبات، وليس ما أمكنه شيء من ذاته كمن استوجهه بآلته وأداته، فعداوة العاقل خير من صادقة الجاهل". (٢٦)

(١٦) - الفرائد والقلائد ص ٧١ .

(٢٦) - الفرائد والقلائد ص ١٣-١٤ .

والجهل أضر الأصحاب، والذم أقبح الأثواب، والجاهل من جهله في إغواء، ومن هواه في إغراء، فقلوه سقيم، وفعله ذميم، ودولة الجاهل عبرة للعاقل، وقديماً قيل: "عالم معاند خير من جاهل مساعد"، و"الجهل بالفضائل من أقبح الرذائل".

والجهل يضع والعلم يرفع، قال الشاعر:

العلم يرفع بيت لا عماد له ... والجهل يهدم بيت العز والشرف (١٦)

ولله در القائل:

فيا عجباً لمن ربيت طفلاً ... ألقمه بأطراف البنان

أعلمه الرماية كل يوم ... فلما اشتد ساعده رماني

أعلمه الفتوة كل وقت ... فلما طر شاربه جفاني

وكم علمته نظم القوافي ... فلما قال قافيةً هجاني (٢٦)

الفتيا بغير علم إثم

جاء في محكم الذكر: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (٣٦) ، وجاء في السنة النبوية: (مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ) (٤٦) ، ولصفي الدين الحلي (٥٦) :

- (١٦) - جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب تأليف السيد أحمد الهاشمي، ص ٧٠٠، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، طبعة جديدة محققة ومنقحة أشرف على تصحيحها لجنة من الجامعيين، والموسوعة الشعرية ص ١٢٨.
- (٢٦) - رويت هذه الأبيات لمعن بن أوس ولبيد وقيل غير ذلك، وانظر: الموسوعة الشعرية ص ١٢٥، ومجمع الأمثال للميداني، وأدب الدنيا والدين.
- (٣٦) - سورة الأعراف الآية (٣٣) .
- (٤٦) - أخرجه أبو داود سليمان الأشعث السجستاني الأزدي، في سننه باب التوقي في الفتيا حديث (٣٦٥٧) .
- (٥٦) - عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم، السبسي الطائي، شاعر عصره، ولد ونشأ في الحلة، بين الكوفة وبغداد، واشتغل بالتجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها في تجارته ويعود إلى العراق، انقطع مدة إلى أصحاب ماردين فتتقرب من ملوك الدولة الأرتقية ومدحهم وأجزلوا له عطاياهم. ورحل إلى القاهرة، فمدح السلطان الملك الناصر وتوفي ببغداد، له (ديوان شعر) ، و (العاطل الحالي) : رسالة في الزجل والموالي، و (الأغلاطي) ، معجم للأغلاط اللغوية و (درر النحور) ، وهي قصائده المعروفة بالأرتقيات، و (صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء) ، و (الخدمة الجليلة) ، رسالة في وصف الصيد بالبندق.

٢٠١٧ العليم الخبير في أسماء الله الحسنى

إِذَا لَمْ تَكُنْ عَالِمًا بِالسُّؤَالِ ... فَتَرَكُ الْجَوَابَ لَهُ أَسْلَمُ
فَإِنَّ أَنْتَ شَكَّكَتَ فِيمَا سُئِلَ ... تَنْفِيْرُ جَوَابِكَ لَا أَعْلَمُ
وقال آخر:

وَمَنْ كَانَ يَهْوَى أَنْ يُرَى مُتَصَدِّرًا ... وَيَكْرَهُ لَا أُدْرِي أَصَابَتْ مَقَاتِلُهُ (١٦)
فمن عاش وعقل وعلم وعمل وترك آثاراً طيبة فقد أدركته السعادة قال الشاعر:

فمن عاش حتى ينفع الناس علمه ... فلا زال ممتداً له العيش والعمر
وما الخلد إلا للذين إذا انتهت ... حياتهم بالخير دام بها الذكر (٢٦)

العليم الخبير في أسماء الله الحسنى

إن الله جل وعلا عليم محيط علمه بكل شيء، فهو الذي تفرد سبحانه بعلم الغيب والشهادة، وهو الذي يعلم غيب السماوات والأرض، وهو

(١٦) - أورد هذا البيت الماوردي في أدب الدنيا والدين لأبي الحسن محمد حبيب الماوردي، ص ٤٢، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، من غير ذكر لقائله.

(٢٦) - ذكر هذين البيتين العلامة محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني في إصلاح المجتمع ص ١٥٩، الناشر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

الذي يعلم الظواهر والبواطن، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر، فهو لا يغفل ولا ينسى.

فما علوم الخلائق بالنسبة إلى علم الخالق بشيء، ولا يمكن مقارنتها بعلمه بوجه من الوجوه فهو الذي علمهم شيئاً يسيراً من العلم لم يكونوا يعلمونه، تفضل الله به عليهم، وفي محكم التنزيل: {وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيْلًا} (١٦) ، فسبحانك ربنا لا نقول إلا كما قالت الملائكة:

{سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (٢٦) ، فهو الذي خلق الخلائق من العدم، وعلم الإنسان ما لم يكن يعلم، وخلق له ما لم يكن يعلم، فتبارك الذي علم بالقلم، وأمره بالقراءة باسم ربه الأكرم، فقال جل شأنه: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ*}

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ { (٣٦) ، وفي سورة البقرة يقول سبحانه: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ { (٤٦) ، فعله سبحانه محيط بجميع العالم العلوي والسفلي وما فيه من المخلوقات ذواتها، وأوصافها وأفعالها، وجميع أمورها، فهو يعلم ما كان وما يكون في المستقبلات التي لا نهاية لها وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويعلم أحوال المكلفين منذ إنشائهم، وبعد ما يميتهم، وبعد ما

(١٦) - سورة الإسراء الآية (٨٥) .

(٢٦) - سورة البقرة الآية (٣٢) .

(٣٦) - سورة العلق الآية (١-٥) .

(٤٦) - سورة البقرة الآية (٢٩) .

يحييهم، فأحاط بأعمالهم كلها خيرها وشرها، وجزاء تلك الأعمال وتفصيل ذلك في دار القرار (١٦) ، سبحانه فهو يحيي الأرض بعد موتها: { اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيْنَا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ { (٢٦) .

وقال الحلبي في معنى العليم: انه المدرك لما يدركه المخلوقون بعقولهم وحواسهم ما لا يستطيعون إدراكه من غير أن يكون موصوفاً بعقل أو حس، وذلك راجع إلى انه لا يعزب ولا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه إدراك شيء كما يعجز عن ذلك من لا عقل له أو حس له من المخلوقين، ومعنى ذلك انه لا يشبههم ولا يشبهونه.

وقال أبو سليمان الخطابي: العليم هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركه علم الخلق، وجاء على بناء فاعيل للبالغة في وصفه بكال العلم (٣٦) ، والنصوص في ذكر إحاطة علم الله وتفصيل دقائق معلوماته كثيرة جدا لا داعي لنقلها كونها معلومة في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وانه لا يعزب عنه مثقال ذره في الأرض ولا في السماء، وانه الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والسرائر والخفيات والأمور المتقدمة

(١٦) - الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٣٧ و ٣٨ ، الجامع لأسماء الله الحسنى دراسة وتحقيق حامد احمد الطاهر، ص ١٢٠ ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ دار الفجر للتراث القاهرة .

(٢٦) - سورة الحديد الآية (١٧) .

(٣٦) - الأسماء والصفات تأليف العلامة أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الخسروجدي البيهقي (٣٨٤-٤٥٨ هـ) ، ص (٦٣) ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م، والجامع لأسماء الله الحسنى ص (١١٩) ، والمتأخرة (١٦) ، فهو سبحانه عليم بالإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحبات والممكنات وبالعالم السفلي وبالماضي والحاضر والمستقبل لا يخفى عليه شيء من الأشياء.

ويطلق عليه سبحانه وتعالى علام الغيوب، وعالم الغيب والشهادة، فهو العلام العالم، فقد ورد في محكم التنزيل: { أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ { (٢٦) ، وفي السنة النبوية من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: (سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَفْتَحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطْرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٣٦) ، وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَاطْرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّكَ، قَالَ: قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا

(١٦) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص (٥١٧) ، الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.

(٢٠) - سورة التوبة الآية (٧٨) .

(٣٠) - رواه الإمام الحافظ المحدث أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (٢٠٤ - ٢٦١ هـ) ، في صحيحه باب الدعاء في صلاة الليل والقيام حديث (٧٧٠) . الناشر: دار ابن رجب ١٤٢٢ هـ.

أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ (١٦) ، فقد ثبت تسمية الحق سبحانه وتعالى، ووصفه انه جل شأنه علام الغيوب بالقران، وفي السنة النبوية ورود اسم (العالم) كما هو مصرح به في الحديثين السالف بيانهما.

قال الحلبي في معنى العالم: إنه مدرك الأشياء على ما هي به، وإنما وجب أن يوصف عز اسمه بالعالم؛ لأنه قد ثبت أن ما عداه من الموجودات فعل له، وأنه لا يمكن أن يكون فعل إلا باختيار وإرادة والفعل على هذا الوجه لا يظهر إلا من عالم كما لا يظهر إلا من حي. (٢٠)

وفي معنى العلام قال الحلبي: هو العالم بأصناف المعلومات على تفاوتها، فهو يعلم الموجود وعلم ما هو كائن، وانه إذا كان كيف يكون، ويعلم ما ليس بكائن. (٣٠)

أما اسمه تعالى الخبير: فهو الذي أنتها علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها، وقد تكرر هذا الاسم في القران الحكيم قال القرطبي وقد أجمعت عليه ألامه: ولا خلاف في إجرائه على العبد (٤٠) ، وفي التنزيل حكاية عن لقمان عليه السلام: { يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ

(١٦) - سنن الترمذي للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورَةَ الترمذي، المولود سنة ٢٠٩ هـ والمتوفي سنة ٢٧٩ هـ، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى حديث (٣٣٩٢) ، وقال: هذا حديث حسن صحيح. الناشر المكتبة الإسلامية.

(٢٠) - الأسماء والصفات للبيهقي ص (٣٧) .

(٣٠) - الأسماء والصفات للبيهقي ص (٦٤) ، والجامع لأسماء الله الحسنى ص (٢٠٦) .

(٤٠) - الآسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى للإمام شمس الدين أبي عبد الله القرطبي تحقيق الشحات الطحان، ص (٤٩٢) ، الناشر: مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م.

٢٠١٨ علم الله جل وعلا علم تفرد به

فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) ، وفي سورة فاطر يقول سبحانه: { وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ } (٢٠) ، ولا يخفى على اللطيف الخبير ما تحويه الضمائر وتخفيه الصدور.

علم الله جل وعلا علم تفرد به

إن علم الحق سبحانه وتعالى ليس كعلم المخلوقين لأنه يشمل جميع المعلومات، ويحيط بجميع المخلوقات فلا يخلو عن علمه مكان ولا زمان بخلاف علم العبد.

ب علم الله جل وعلا لا يتغير بتغير المعلومات، ولا يتأثر بتعاقب الأزمنة والأوقات.

ج علم الله سبحانه وتعالى غير مستفاد من الحواس ولا من الفكر بخلاف العبد.

د علم الله جل وعلا ضروري الثبوت ممتنع الزوال، لأنه جل وعلا كما اخبر عن نفسه: { لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ } (٣٠) ، { وَمَا

كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا { (٤٦) ، وعلم العبد جازم الزوال.

هـ

و

(١٦) - سورة لقمان الآية (١٦) .

(٢٦) - سورة فاطر الآية (٣١) .

(٣٦) - سورة البقرة (٢٥٥) .

(٤٦) - سورة مريم (٦٤)

٢٠١٩ ثمة معرفة اسم الله تعالى العليم الخبير

ي الحق سبحانه وتعالى لا يشغله علم عن علم بخلاف العبد.

أإن معلومات الحق سبحانه وتعالى غير متناهية بخلاف معلومات العبد.

زإن الله جل وعلا لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عن علمه قاصيه ولا دانيه (١٦) .

ثمة معرفة اسم الله تعالى العليم الخبير

من عرف أن الله جل وعلا علام عالم عليم خبير بحاله وبشئون الحياة وما تؤل إليه وجب عليه الإيمان به سبحانه وتعالى وبصفاته وأسمائه، وبما اوجب الإيمان به وخشيته ومراقبته، وتوحيده والإيمان به، وانخضوع له وطاعته، والشكر له على آلائه، والصبر على بلائه، والاعتذار إليه من قبيح الخطايا، وإفراده بالدعاء والتقرب إليه بالإعمال الصالحة، وان يكون العبد شديد البحث والفحص عن محاسن الأخلاق ومفاتيحها، وعدم اغترار الإنسان بعلمه وتدليس إبليس، والخوف من الله والحياء منه في جميع الأقوال والأعمال، لأنه يعلم السر وأخفى ويعلم ما تخفي الصدور، ووجب عليه الإيمان بما علم من صفات الله وأسمائه والعمل بأحكامه وحلاله وحرامه، والعلم بما اقتضه الله وندب إليه رسوله، والسعي الحثيث إلى تعلم ما اوجب الله تعلمه، ومن ذلك ما ارشد إليه في محكم التنزيل من نحو قول سبحانه: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ } (٢٦) ،

(١٦) - الجامع لأسماء الله الحسنى ص (٢٠٧) .

(٢٦) - سورة محمد الآية (١٩) .

وقوله جل شأنه: { اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (١٦) ، وقوله جل وعلا: { وَاَعْلَمُوا أَنكُمْ مَلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } (٢٦) ، وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تحث على التعلم والعلم والعمل والطاعة والإذعان، والتوجه في كل الأحوال إلى الله

الملك الديان، والله در القائل:

قَدْ كَفَانِي عِلْمُ رَبِّي ... مِنْ سُؤَالِي وَإِخْتِيَارِي

فَدُعَائِي وَإِبْتِهَالِي ... شَاهِدْ لِي بِإِفْتِقَارِي

فَلِهَذَا السِّرُّ أَدْعُو ... فِي يَسَارِي وَعِسَارِي

أَنَا عَبْدٌ صَارَ نَفْرِي ... ضَمِنَ فَقْرِي وَإِضْطِرَارِي

قَدْ كَفَانِي عِلْمُ رَبِّي ... مِنْ سُؤَالِي وَإِخْتِيَارِي

يَا إِلَهِي وَمَلِيكِي ... أَنْتَ تَعَلَّمْ كَيْفَ حَالِي

وَبِمَا قَدْ حَلَّ قَلْبِي ... مِنْ هُمُومٍ وَاسْتِغَالِي

فَتَدَارِكْنِي بِلُطْفٍ ... مِنْكَ يَا مَوْلَى الْمَوَالِي

يا كَرِيمَ الْوَجْهِ غَنِّي ... قَبْلَ أَنْ يَفْنَى إِصْطِبَارِي
 قَدْ كَفَانِي عِلْمُ رَبِّي ... مِنْ سُؤَالِي وَإِخْتِيَارِ
 يا سَرِيعَ الْغَوْثِ غَوْثًا ... مِنْكَ يُدْرِكُنِي سَرِيعًا
 يَهْزِمُ الْعُسْرَ وَيَأْتِي ... بِالَّذِي أَرْجُو جَمِيعًا
 يا قَرِيبًا يَا مُجِيبًا ... يَا عَلِيمًا يَا سَمِيعًا
 قَدْ تَحَقَّقَتْ بَعْجَزِي ... وَخُضُوعِي وَإِنْكَسَارِي

(١٦) - سورة المائدة الآية (٩٨) .

(٢٦) - سورة البقرة الآية (٢٢٣) .

قَدْ كَفَانِي عِلْمُ رَبِّي مِنْ سُؤَالِي وَإِخْتِيَارِي
 لَمْ أَزَلْ بِالْبَابِ وَقِفٌ ... فَأَدُمُ رَبِّي وَقُوفِي
 وَبِوَادِي الْفَضْلِ عَاكِفٌ ... فَأَدُمُ رَبِّي عُكُوفِي
 وَلِحُسْنِ الظَّنِّ لَازِمٌ ... وَهُوَ خَلِّي وَحَلِيفِي
 وَأَنْبَسِي وَجَلِيسِي ... طَوْلَ لَيْلِي وَنَهَارِي
 قَدْ كَفَانِي عِلْمُ رَبِّي ... مِنْ سُؤَالِي وَإِخْتِيَارِي
 حَاجَةٌ فِي النَّفْسِ رَبِّي ... فَأَقْضِهَا يَا خَيْرَ قَاضِي
 وَأَرْحِ سِرِّي وَقَلْبِي ... مِنْ لَظَاهَا وَالشَّوَاظِ
 فِي سُرُورٍ وَجُبُورٍ ... وَإِذَا مَا كُنْتُ رَاضِي
 فَالْهَنَا وَالْبَسْطُ حَالِي ... وَشِعَارِي وَدِثَارِي
 قَدْ كَفَانِي عِلْمُ رَبِّي ... مِنْ سُؤَالِي وَإِخْتِيَارِي (١٦)

والعاقل يعرف بان الله يعلم ويرى فهو يراقب الله في كل حركته وسكاته وفي جميع أقواله وأفعاله، وهو يستشعر عظمة الله فيرجوه ويخافه ويفرده بالدعاء والاستغاثة ويطلب منه العون ويسأله من خير الدنيا والآخرة، فهو سبحانه بيده العطاء والمن، وفيه الرغبة ومنه الرهبة.

(١٦) - هذه الأبيات للعلامة الحداد (١٠٤٤-١١٣٢هـ/١٦٣٤-١٧٢٠م) عبد الله بن علوي بن محمد بن أحمد المهاجر بن عيسى الحسيني الحضرمي المعروف بالحداد أو الحدادي باعلوي. فاضل من أهل تريم (بمضرموت) مولده في (السير) من ضواحيها، ووفاته في (الحاوي) ودفن في تريم، كان كفيفاً، ذهب الجذري ببصره طفلاً، واضطهده اليافعيون حكام تريم فكان ذلك سبب انتقاله إلى الحاوي. له رسائل وكتب منها (عقيدة التوحيد) و (الدعوة التامة والتذكرة العامة) ، (تبصره الولي بطريقة السادة بني علوي) ، و (المسائل الصوفية) ، وجمع تلميذه أحمد بن عبد الكريم الشجار الإحسائي، طائفة من كلامه في كتاب سماه (ثبیت الفؤاد) . وانظر ديوانه المسمى الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم، ص ٢٥٦، الناشر: مؤسسة عبد الحفيظ البساط بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

٢٠٢٠ دعاء الله باسمه العالم العليم

دعاء الله باسمه العالم العليم

دعاء الحق سبحانه وتعالى بصفة العلم مما صرحت به السنة النبوية كما في الأحاديث السالف بيانها ومن ذلك (اللهم عالم الغيب والشهادة) ، وقد سار على ذلك العلماء والشعراء في أشعارهم وأذكارهم ودعائهم، وقد جاء في شعر السيد عبد الله الحداد:

يا رب يا عالم الحال ... إليك وجهت آمال
فامتن علينا بالاقبال ... وكن لنا واصلح الحال
يا رب يا رب الارباب ... عبدك فقيرك على الباب
أتى وقد بت الاسباب ... مستدركاً بعد ما مال
يا واسع الجود جودك ... الخير خيرك وعندك
فوق الذي رام عبدك ... فادرك برحمتك الحال
يا موجد الخلق طرا ... وموسع الكل برا
أسألك اسبال ستر ... على القبائح والاختلال
يا من يرى سر قلبي ... حسبي اطلعك حسبي
فاح بعفوك ذنبي ... واصلح قصودي والأعمال
رب عليك اعتمادي ... كما إليك استنادي
صدقا وأقصى مرادي ... رضاؤك الدائم الحال
رب يا رب إني ... أسألك العفو عني
ولم يخب فيك ظني ... يا مالك الملك يا وال
أشكو إليك وأبكي ... من شؤم ظلمي وإفكي
وسوء فعلي وتركي ... وشهوة القيل والقال
وحب دنيا ذميمه ... من كل خير عقيمه
فيها البلايا مقيمه ... وحشوها آفات واشغال
يا ويح نفسي الغويه ... من السبيل السويه
أضحت تروح عليه ... وقصدها الجاه والمال
يا رب قد غلبتني ... وبالاماني سبتني
وفي الحظوظ كبتني ... وقيدتني بالأبال
قد استعنتك ربي ... على مداواة قلبي
وحل عقدة كربني ... فانظر إلى الغم يخال
يا رب يا خير كافي ... احلل علينا العوافي
فليس شيء ثم خافي ... عليك تفصيل وأجمال
يا رب عبدك ببابك ... يخشي أليم عذابك
ويرتجي لثوابك ... وغيث رحمتك هطال
وقد أتاك بعذره ... وانكساره وفقره
فاهزم بيسرك عسره ... بمحض جودك والافضال
وامنن عليك بتوبه ... تغسله من كل حوبه
واعصمه من شر أوبه ... لكل ما عنه قد حال
فأنت مولى الموالي ... المنفرد بالكمال
وبالعلي والتعالي ... علوت عن ضرب الامثال
جودك وفضلك يرجى ... وبطشك وقهرك يخشى
وذكرك وشكرك لازم ... وحمدك والاجلال

يا رب أنت نصيري ... فلقني كل خير
 واجعل جنانك مصيري ... واختم بالايان الآجال
 وصل في كل حاله ... علي مزيل الضلاله
 من كلمته الغزاليه ... محمد الهادي الدال
 والحمد لله شكراً ... علي نعم منه تترى
 نجمه سرّاً وجهراً ... وبالغدو والآصال
 فنسألك اللهم يا عالم الغيب والشهادة يا عليم يا خير أن تصلي علي محمد البشير النذير واسئلك ان ترزقني علمه واتباعه يا لطيف يا خبير
 وان تعلمني والمؤمنين من العلم النافع ما لم نكن نعلم، وان تفهمنا من العلوم ما لم نكن نفهم، وان تفضل علينا بتوفيقك للعمل بما نعلم،
 وان تشرفنا بمعرفة اسمك الأعظم انك علي كل شيء قدير، وان ترزقنا ذكرك وشكرك ما أحييتنا، وان تصلحنا وتصلح بنا، وتنفعنا وتنفع
 بنا، انك أنت الله العليم الخبير العالم الأكرم وصلي الله علي محمد وآله وصحبه وسلم كما صليت علي ابراهيم وعلي آل ابراهيم انك حميد مجيد
 قريب مجيب.

٣ الفصل الثاني العقل

الفصل الثاني
 العقل

٣٠١ العقل

العقل

العقل مناط التكليف؛ فهو هبة الله الخبير اللطيف، فأشرف ما في الإنسان عقله، وأفضل ما وهبه الله لعبده العقل، فبالعقل تحيي
 النفوس، وتور القلوب، وتمضي الأمور، وتعمر الدنيا، ولو أن العقل كان شجرةً في هذه الحياة لطاب ثمارها، وفاح بالعبير أزهارها، يرحم
 الله المتنبئ حيث يقول:

لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْغَمٍ ... أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ (١٧)
 وقال آخر:

يعد عظيم القدر من كان عاقلاً ... وإن لم يكن في عقله بحسب
 وإن حل أرضاً عاش فيها بعقله ... وما عاقل في بلدةٍ بغريب (٢٧)
 أما العلامة علي بن احمد خريصة البيني فهو يقول:
 إذا لم يكن عقل الفتي أكثر الفتي ... فأكثر ما فيه ولا شك قاتله

(١٧) - انظر ديوان أبي الطيب المتنبئ: (٣٠٣-٣٥٤هـ/٩١٥-٩٦٥م) أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي
 الكندي، أبو الطيب، الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة، ولد بالكوفة في
 محلة تسمى كنده وإليها نسبته، ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس، قال الشعر صبياً، وتنبأ في
 بادية السماوة (بين الكوفة والشام) فتبعه كثيرون، وقبل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ أمير حمص ونائب الإخشيد فأسره وسجنه
 حتى تاب ورجع عن دعواه. وفد على سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب فمدحه وحظي عنده. ومضى إلى مصر فمدح كافور
 الإخشيدي وطلب منه أن يوليه، فلم يوليه كافور، فغضب أبو الطيب وانصرف يهجوهم. قصد العراق وفارس، فمدح عضد الدولة ابن
 بويه الديلمي في شيراز. عاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من أصحابه، ومع المتنبئ

جماعة أيضاً، فاقتتل الفريقان، فقتل أبو الطيب وابنه محسّد وعلامة مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول في الجانب الغربي من سواد بغداد. وفاتك هذا هو خال ضبة بن يزيد الأسدي العيني، الذي هجاه المتنبي بقصيدته البائية المعروفة التي مطلعها:

ما أنصفَ القومُ ضبّه ... وأمّه الطرُطبه

(٢٧) - أورد هذين البيتين ابن أبي الدنيا في كتابه العقل وفضله ص ٢٩، الطبعة الأولى، من غير نسبة إلى قائل.

هل العقل إلا حجة مستنيرة..... ونور هدى ما أن تضل دلائله

بحسبك أن العقل زين لأهله ... وإن ليس في الخيرات شيء يعادله (١٦)

وقد نسب إلى كسرى: من لم يكن العقل أكثر ما فيه قتله أكثر ما فيه، وكأن العلامة علي بن احمد خريصة رحمه الله عرف ذلك فنظمه كما هو ظاهر الأبيات السالف بيانها.

أما أبو العلاء المعري فهو يرى أن العقل قطبٌ وأمور الناس كافة كلها رحي تدور حوله، فبه تدبر كل الأمور، وقد أوجز ذلك بقوله:

اللب قطبٌ والأمور له رحي ... فبه تدبر كلها وتدار (٢٦)

فإذا كان العقل حجة فاسلك به المحجة، قال أبو حاتم: العقل دواء القلوب، ومطية المجتهدين، وبذر حراثة الآخرة، وتاج المؤمن في الدنيا، وعدته في وقوع النوائب، ومن عدم العقل لم يزد السطان عزاً، ولا المال يرفعه قدراً، ولا عقل لمن أغفله عن أخراه ما يجد من لذة دنياه، فكما أن أشد الزمانة الجهل كذلك أشد الفاقة عدم العقل، فالواجب على المرء: أن يكون لرأيه مسعفاً، ولهواه مسوفاً، فإذا اشتبه عليه أمران اجتنب أقربهما من هواه، لأن في مجانبة الهوى إصلاح السرائر، وبالعقل تصلح الضمائر.

(١٦) - وردت هذه الأبيات في مقدمة العلامة صلاح الهاشمي الجزء الثاني من كتاب الأحكام للهادي: وهو الإمام العلامة المجتهد الهادي إلى الحق: يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم، ولد بالمدينة سنة ٢٤٥هـ، واستدعاه أهل اليمن ففرج إليهم سنة ٢٨٠هـ، توفي بصعدة سنة ٢٩٨هـ. ومن مصنفاته: الأحكام، والفنون، والمنتخب، وغيرها، وإليه يعود الفضل في انتشار المذهب الزيدي في اليمن، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، ص ٤.

(٢٧) - لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري ج ١ ص ٣٢٦، الطبعة الأولى.

قال معاوية بن أبي سفيان لرجل من العرب عمّر دهرًا: أخبرني بأحسن شيء رأيت، قال: عقل طلب به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة، وأنشد عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

إذا تم عقل المرء تمت أموره ... وتمت أياديه وتم بناؤه

فإن لم يكن عقل تبين نقصه ... ولو كان ذا مال كثير عطاؤه (١٦)

أما الإمام علي رضي الله عنه فهو يرى أن العقل أفضل ما قسم الله به للمرء حيث يقول:

وأفضلُ قسمِ الله للمرء عقله ... فليس من الخيرات شيء يقاربه

يعيشُ الفتى في الناسِ بالعقلِ إنّه ... على العقلِ يجري عليه وتجاربه

يزينُ الفتى في الناسِ صحّةَ عقله ... وإن كان محظوراً عليه مكاسبه

يشينُ الفتى في الناسِ قلةَ عقله ... وإن كرمّت أعرافه ومناسبه

ومن كان غالباً بعقلٍ ونجدة ... فدو الجدّ في أمر المعيشة غالبه (٢٦)

وقال آخر:

إن المكارم أبواب مصنفة ... فالعقل أولها والصمت ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها ... والجود خامسها والصدق سادها

والصبر سابعها والشكر ثامنها ... واللين تاسعها والصدق عاشيا (٣٦)

- (١٦) - روضة العقلاء ص ٢٠ .
 (٢٦) - ديوان الإمام علي رضي الله عنه ص ٢٧، الناشر: دار الثقافة للجميع دمشق الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م .
 (٣٦) - سادياها: لغة في سادسها، وكذلك عاشياها في البيت الذي بعده: عاشرها.

٣.٢ العقل والهوى متعاديان

العقل والهوى متعاديان

إذا كان الهوى عدو العقل وآفته وجب على الإنسان أن يتجرد من الهوى، فالإنسان إذا اتبع الهوى نسي الله، وضل عن سبيل الرشاد، ولهذا قيل: "الهوى شريك العمى"، و"كم من عقل أسير في يدي هوى أمير"، ولهذا نهي الله عن الهوى فقال جل شأنه: {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} (١٦) ، وفي الحديث: (ثَلَاثٌ مَهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوَىٌّ مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ) (٢٦) ، قال الشاعر:

مَنْ أَجَابَ الْهَوَىٰ إِلَىٰ كُلِّ مَا يَدُ... عَوْهُ مِمَّا يُضِلُّ ضَلَّ وَتَاهَا
 وقال آخر:

ضلال العقول في إتيان الهوى ... ولا حيلة في ضلال العقول
 ومما نسب إلى الإمام احمد حميد الدين في جموح الهوى:

إن الهوى غير مدفوع ولو جمعت ... له القوى أو عليه شن غارات
 وعارضه في ذلك العلامة يحيى بن محمد الهادي رحمه الله فقال:
 إذا استعمر النفس جيش الهوى ... فعنها إلى الحشر لا ينسحب
 وصاراً معاً ضد جهد المحي ... ومن غالب اثنين يوماً غلب

قلت: الظاهر أن من قدم هواه على عقله لم يصب رشداً في حياته، ولا أمناً بعد وفاته، وقد جاء في محكم التنزيل: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} (٣٦) .

- (١٦) - سورة ص الآية (٢٦) .
 (٢٦) - أخرجه الطبراني في الأوسط ج ٥ ص ٣٢٨ حديث (٥٤٥٢) .
 (٣٦) - سورة النازعات الآيات (٤٠ و ٤١) .
 جاء في كلام بعض الشعراء:

إذا أنت لم تعصي الهواء قارك الهه ... هوى إلى كل ما فيه عليك مقال

أما الإمام الشافعي رحمه الله فانه يرى الرشد في مخالفة الهوى وذلك حيث يقول:

إذا جال أمرك في معنيين ... ولم تدر حيث انخطأ والصواب
 فجانب هواك فان الهوى ... يقود النفوس إلى ما يعاب

وإذا كان لكل نفس هوى وشهوه، فان العاقل يحترس من الهوى، وقد روي أن لقمان عليه السلام قال لابنه: (يا بني أول ما أحذرك من نفسك فان لكل نفس هوى وشهوه فان أعطيتها شهوتها تمادت وطلبت سواها فان الشهوة كامنة في القلب كمن النار في الحجر إن قدح أورى وإن ترك توارى) قال الشاعر:

إذا ما أوجبت النفس في كل دعوة ... دعتك إلى الأمر القبيح المحرم (١٦)

ومما لا يغيب عن أذهان العقلاء أن من اتبع هواه افسد دينه ودنياه، فلا تدوم له سيادة ولا يستحق الريادة قال الشاعر:

واعلم بأنك لن تسود ولن ترى ... طرق الرشاد إذا اتبعت هواك

وقال آخر:

إذا شئت إتيان المحامد كلها ... ونيل الذي ترجوه من رحمة الرب

نخالف هوى النفس المسيئة انه ... لأعدى وادعى للردى من هوى الحب

هما سببا حتف الهوى غير ان في ... هوى الحب مهما عف بعداً عن الذنب

(١٦) - مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، للشيخ الغزالي، ص (٢٠١) ، طبعة المطبعة والمكتبة السعيدة بمصر. والله در القائل:

إنارة العقل مكسوف بطوع هوى ... وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا

فلا تغتر أخي بترفع بعض مطيعي الهوى في هذه الحياة فان الهوى يردي اللبيب، وقد نسب إلى الفضل بن العباس انه قال:

لقد ترفع الأيام من كان جاهلاً ... ويردي الهوى ذا الرأي وهو لبيب

وقد تمد الناس الفتى وهو مخطئ ... ويعذل في الإحسان وهو مصيب (١٦)

قال القرطبي: وسئل ابن المقفع عن الهوى فقال: هوانٌ سرقت نونه فأخذه شاعر فنظمه وقال:

نون الهوان من الهوى مسروقة ... فإذا هويت فقد لقيت هوانا (٢٦)

أما كثير عزة (٣٦) فيقول:

وَفِي الْحِلْمِ وَالْإِسْلَامِ لِلهَرِّ وَأَزْعٌ ... وَفِي تَرْكِ طَاعَاتِ الْفُؤَادِ الْمُتَمِّمِ

بَصَائِرُ رُشْدٍ لِلْفَتَى مُسْتَبِينَةٌ ... وَأَخْلَاقُ صِدْقٍ عَلَيْهَا بِالْتَعَلُّمِ

(١٦) - وردت هذه الأبيات في مكاشفة القلوب منسوبة للفضل بن العباس، ووردت ضمن أبيات للأخضر اللهيبي مع اختلاف في بعض الألفاظ وهي ضمن ديوانه ورددت بلفظ:

وقد يحكم الأيام من كان جاهلاً ... ويردي الهوى ذا الرأي وهو لبيب

ويحمد في الأمر وهو مخطئ ... ويعذل في الإحسان وهو مصيب

(٢٦) - انظر: الجامع لأحكام القرآن للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ج ١٦ ص ١٦٨، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية ١٩٥٤م-١٣٧٣هـ، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ١٠٣.

(٣٦) - كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن مليح من خزاعة وأمه جمعة بنت الأشيم الخزاعية، (٤٠-١٠٥هـ/٦٦٠-٧٢٣م) ، شاعر

متم مشهور، من أهل المدينة، أكثر إقامته بمصر ولد في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك، وتوفي والده وهو صغير السن وكان منذ صغره

سليط اللسان وكفله عمه بعد موت أبيه وكلفه رعي قطع له من الإبل حتى يحمله من طيشه وملازمته سفهاء المدينة، واشتهر بحبه لعزة

فعرف بها وعرفت به وهي: عزة بنت حميل بن حفص من بني حاجب بن غفار كنانية النسب كها كثير في شعره بأمر عمرو ويسميا

تارة الضميرية وابنة الضمري نسبة إلى بني ضمرة، وسافر إلى مصر حيث دار عزة بعد زواجها وفيها صديقه عبد العزيز بن مروان الذي

وجد عنده المكانة ويسر العيش، وتوفي في الحجاز هو وعكرمة مولى ابن عباس في نفس اليوم فقيل: مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس.

أما أبو العتاهية (١٦) فهو يقول:

خَالَفَ هَوَاكَ إِذَا دَعَاكَ لِرَبِيبَةٍ ... فَلَرَّبَّ خَيْرٌ فِي مُخَالَفَةِ الْهَوَى

ولله در ابن دريد حيث يقول:

أفة العقل الهوى فمن علا ... على هواه عقله فقد نجا (٢٦)

فمن اتبع هواه ضل ومن نسي هفواته استعظم هفوات وسقطات غيره، ومن استغنى بعقله عن استشارة غيره زل، فلا تصاحب إلا

عاقلاً تقياً، ولا تحالط إلا علماً ذكياً، ولا تودع شرك إلا مؤمناً وفياء، واسأل من الله الهداية يهدك، والعافية يعافك، ولا تبع الضلالة

بالهدى، والبصر بالعمى تكن من أهل الشقى، وتخسر الدنيا والآخرة. ويرحم الله القائل:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشتري دنياه بالدين أعجب

وما أعجب من هذا من باع دينه ... بدنياه سواه فهو من ذين أعجب

قال ابن المقفع: من قل كلامه حمد عقله، ومن حرم رزئ في دنياه وآخرته، ويقول أيضاً: المهم مرض العقل وآفة العقل العجب. (٣٦)

وفي الأمثال السائرة: "العقل من يرى مقر سهمه من رميته، وعقول الرجال تحت أسنة أقلامها".

(١٦) - إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي أبو إسحاق، (١٣٠-٢١١هـ/٧٤٧-٨٢٦م)، شاعر مكثراً، سريع الخاطر، في شعره إبداع، يعد من مقدمي المولدين، من طبقة بشار وأبي نواس وأمثالهما. كان يجيد القول في الزهد والمدح وأكثر أنواع الشعر في عصره. ولد ونشأ قرب الكوفة، وسكن بغداد. كان في بدء أمره يبيع الجرار ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكاتبه عندهم. وهجر الشعر مدة، فبلغ ذلك الخليفة العباسي المهدي، فسجنه ثم أحضره إليه وهدده بالقتل إن لم يقل الشعر، فعاد إلى نظمه، فأطلقه. توفي في بغداد.

(٢٦) - بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر، تحقيق محمد الخولي ج ٢ ص ٨١، الناشر: دار الكتب العلمية ١٩٨١م، والموسوعة الشعرية ص (٤٦٥).

(٣٦) - الآثار الكاملة ص ١٨١.

٣.٣ عداوة العاقل خير من صداقة الأحمق

٣.٤ العقل مناط التدبير وطريق الهدى والرشاد

عداوة العاقل خير من صداقة الأحمق

من الأمور المسلم بها أن العاقل لا يقاتل بدون عدة، ولا يخاصم بغير حجة، ولا يصارع بغير قوة، ولا يتكل على الجاه أو المال ولو كان في تمام الحال، لأن المال يحل ويرتحل والعقل يقيم ولا يبرح.

قال شعبة: إني لأرى الرجل يجلس مع من هو أقل عقلاً فأمقته. (١٦)

ولا يكاد الإنسان يرى عاقلاً إلا موقراً للعلماء، ناصحاً للأقران، موثقاً للإخوان، متحرزاً من الأعداء غير حاسد للأصحاب، ولا مخادع لأولي الألباب، لا يتحش بالأسرار، ولا ينقاد للهوى، ولا يجنح للغضب، ولا يرمح في الولاية، ولا يدل الصاحب على مسالك الغواية، فعداوة العاقل خير من صداقة الأحمق الغافل، ورحم الله دعبل الخزاعي حيث يقول:

عداوة العاقل خير إذا ... حصلتها من خلة الأحمق

لأن ذا العقل إذا لم يزع ... عن حلته استحي فلم يخرق

ولن ترى الأحمق يبقي على ... دين ولا ود ولا يتقي (٢٦)

العقل مناط التدبير وطريق الهدى والرشاد

بالعقل تعمر القلوب، وتحقق السعادة، وبه يكون الحظ، وتنفي الفاقة، فهو مناط التكليف، ومحل تعقل آيات الله الخبير اللطيف وتدبر

أحكامه قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ

(١٦) - روضة العقلاء ص ٢٥.

(٢٦) - ديوان دعبل الخزاعي ص ١٤١.

بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (١٦)، وقال جل شأنه: {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ

بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (٢٦)، إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على عظيم شرف العقل، الذي يقرب الإنسان من الخير ويحجزه عن الشر قال الشاعر:

لا ترى العاقل إلا خائفاً ... حذراً من يومه دون غده

وفي الأمثال السائرة: "العقل أحسن معقل، وشهادة العقول أصح من شهادة العدول، والعقل أحسن معقل، والعقل وزير الناصح".

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل: أن يكون بما أحيا عقله من الحكمة أكلف منه بما أحيا جسده من القوت، وقوت العقل الحكيم (٣٠)، وهذا صحيح، فالذي لا يتدبر في العواقب، ولا يتعظ عند وقوع النوائب، ولا يؤدي حق الخالق؛ فقد أضاع حظه، وعرض للهلكة نفسه، أما إذا أعمل الإنسان عقله؛ فإنه لا يضل إذا كان مؤمناً، ولا يغم إذا كان معدماً، لأن العاقل إذا تدبر أبصر، وإن كان معدماً؛ فإنه يرجى له الغنى، ولا يوثق للمغرور ولا للجاهل المكثّر بقاء ماله أو عزه، فإنه يعرض ذلك كله للذهاب والفساد.

(١٦) - سورة البقرة الآية (١٦٤) .

(٢٦) - سورة النحل الآية (١٢) .

(٣٦) - روضة العقلاء ص ١٩ .

وجاء في الأمثال السائرة: "ليس للأمر بصاحب من لم ينظر في العواقب"، وقيل: "العاقل من يرى مقر سهمه من رميته يضرب في النظر في العواقب"، وقيل: "النظر في العواقب تليق للعقول". (١٦)

فالعاقل من ينظر بعقله، ويتدبر في أمره، ولا يفتن بنظره، قال الشاعر:

لا تغترّ بعيونٍ ينظرون بها ... وإنما هي أحداقٌ وأجفانٌ

كَمْ مُقَلَّةٍ ذَهَبَتْ فِي الْغِيِّ مَذْهَبَهَا ... بِنظرةٍ هي شأنٌ أو لها شأن

فانظر بعقلك إن العينَ كاذبةٌ ... واسمع بحسك إن السمعَ خوّان

ولا تقل: كل ذي عينٍ له نظرٌ ... إن الرعاةَ ترى ما لا يرى الضان (٢٦)

ويرحم الله القائل:

إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْقُلُوبِ كَثِيرَةٌ ... وَوَجَدْتُ شُجْعَانَ الْعُقُولِ قَلِيلًا (٣٦)

أما أبو الطيب المتنبي فهو يرى: أن الإنسان العاقل يعاني ويتعب فيقول:

ذو العقلِ يشقى في النعيمِ بعقله ... وأخو الجهالةِ في الشقاوةِ ينعّم

ولكننا نرى المتنبي يهجو من يصف العجز بأنه عقل فيقول:

يرى الجبناء أن العجزَ عقلٌ ... وتلك خديعة الطبع اللئيم (٤٦)

أما ابن الوردي فهو يقول في قبح تضبيع العقل والاستسلام للرغبة والشهوة:

(١٦) - مجمع الأمثال لأبي الفضل احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم النيسابوري الميداني، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد ج ٢ ص ٢٠٠ وص ٢٧٣، مطبعة السنة المحمدية.

(٢٦) - هذه الأبيات تنسب لأحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي أبو العباس الأعمى التطيلي (٤٨٥-٥٢٥هـ/١٠٩٢-١١٣١م)

شاعر أندلسي نشأ في إشبيلية، له (ديوان شعر-ط) .

(٣٦) - انظر: ديوان احمد شوقي.

(٤٦) - انظر: ديوان المتنبي.

٣.٥ العقل نوعان: مطبوع ومسموع

واهجر الخمر إن كنت فتى ... كيف يسعى في جنونٍ من عقل

العقل نوعان: مطبوع ومسموع

يرى بعض العلماء أن العقل: اسم يقع على المعرفة بسلوك الصواب والعلم باجتتاب الخطأ، فإذا كان المرء في أول درجته يسمى أديباً ثم

أريباً ثم لييباً ثم عاقلاً.

وقال أبو حاتم: العقل نوعان: مطبوع ومسموع، فالمطبوع منهما كالأرض، والمسموع كالبذر والماء. (١٦) وإلى مثل ذلك ذهب الراغب في كتاب الذريعة في مكارم الشريعة. وفي مفردات القرآن: العقل يقال للقوى المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة. (٢٦) وفي المختار: العقل: الحجر والنهى (٣٦)، وسمي به لأنه ينهى عن القبيح. أما الجرجاني: فهو يرى أن العقل: جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يسار إليها كل أحد بقول: أنا، والعقل: ما يعقل به حقائق الأشياء، قيل محله الرأس، وقيل محله القلب. (٤٦) وليعض الشعراء:

رأيت العقل نوعين ... فطبوع ومسموع

(١٦) - روضة العقلاء ص ١٩.

(٢٦) - انظر: المفردات ص ١٢٦، والذريعة إلى مكارم الشريعة لأبي القاسم الحسن بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني ص ٩٢، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. (٣٦) - مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي ص ٤٤٦، الناشر: دار القلم لبنان. (٤٦) - التعريفات للعلامة علي محمد الشريف الجرجاني المتوفى ٨١٦هـ، ص ٢٨، طبعة دار النفائس بيروت ٢٠٠٣م.

٣٠٦ الإنكار على من لم يعمل عقله

ولا ينفع مسموع.....إذا لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع

الإنكار على من لم يعمل عقله

مما لا شك فيه أن من تدير عقل، ومن أعمل عقله أبصر، فالله قد وهب الناس عقولاً ليعملوها ولتكون أكثر خصال الخير فيهم لا أن يهملوها، ولهذا نرى الناس يلومون من لم يعمل عقله، وينكرون عليه، وجاء في محكم الذكر الإنكار على من يأمر الناس بالبر ولا يأتيه قال تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (١٦)، وحكا الله عن أهل النار: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} (٢٦)، وجاء في كلام بعض الشعراء:

وإذا ضلَّتْ العقول على عد ... حم فإذا تقوله الفصحاء (٣٦)

أما أبو يعقوب الخريزي (٤٦) فهو يرى: أن تفرق الشمل بسبب عدم العقول أي أنه ينزل من لا يعمل عقله بمنزلة معدوم العقل فهو يقول:

كانوا بني أم ففرق شملهم ... عدم العقول وخفة الأحلام

(١٦) - سورة البقرة الآية (٤٤).

(٢٦) - سورة الملك الآية (١٠).

(٣٦) - هذا البيت ينسب لشرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، (٦٠٨-٦٩٦هـ/١٢١٢-١٢٩٦م) شاعر حسن الديباجة، مليح المعاني، نسبتته إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر، أصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حنون، ومولده في بهشيم من أعمال البهنساوية، ووفاته بالإسكندرية له (ديوان شعر-ط)، وأشهر شعره البردة مطلعها: (أمن تذكّر جيران بندي سلم) شرحها وعارضها الكثيرون، والهمزية ومطلعها: (كيف ترقى رقيق الأنبياء)، وعارض (بانة سعاد) بقصيدة مطلعها: (إلى متى أنت باللذات مشغول).

(٤٦) - إسحاق بن حسان بن قوهي الصفدي أبو يعقوب الخريمي (١٦٦-٢١٢هـ/٧٨٢-٨٢٧م) ، أبو يعقوب الصفدي أصلاً التركي جنساً الخريمي ولواءً والصفدي كورة قصبها سمرقند وقيل هما صفدان صفد سمرقند و صفد بخارى، شاعر مطبوع وصفه أبو حاتم السجستاني بأشعر المولدين، خرساني الأصل من أبناء الصفد ولد في الجزيرة الفراتية وسكن بغداد واتصل بخريم الناعم فنسب إليه أو كان اتصاله بابنه عثمان بن خريم. ثم اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة ومدحه ورثاه بعد موته وأدركه الجاحظ وسمع منه، وعمي قبل وفاته، له (ديوان-ط) . وقد ورد البيت المستشهد به في ديوانه وفي محاضرة الادباء ص ١٤٦.

٣٠٧ التجارب تزيد في العقل

ولبعض الحكماء: "من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حثفه في أغلب خصال الشر عليه". (١٦)

إن طالب الفضل بغير عقل ولا بصرتائه، قال ابن المقفع: إغفال المرء لمسألة العقل "أشد الفاقة" فهو مقدم على المال والغنى، لأن العقل هو الحارس للمال، ولذا فهو يفضل، "لأنه يحرز الحظ، ويؤنس الغربة، وينفي الفاقة، ويعرف الفكرة، ويثمر المكسبة، ويطيب الثمرة، ويوجه السوق عند السلطان.. ويكسب الصديق، ويكفي العدو". (٢٦)

قال الكميّ بن زيد (٣٦) :

وما غنّب الأرقام مثل عقولهم ... ولا مثلها كسباً أفاد كسوبها
التجارب تزيد في العقل

إن تقلب أحوال الناس وخوض التجارب معهم مما يزيد في عقل الإنسان ويرشده إلى حسن التعامل معهم، قال الشاعر:

ألم ترى أن العقل زين لأهله ... ولكن تمام العقل طول التجارب (٤٦)

أما الحارث بن كدّة فهو يرى: أن من يتعظ بغيره سعيد، وأن في التجارب تحكيماً ومعتبراً، ولذلك فهو يقول:

(١٦) - الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٩٣.

(٢٦) - الآثار الكاملة ص ٢٩.

(٣٦) - الكميّ بن زيد بن خنيس الأسدي أبو المستهل (٦٠-١٢٦هـ/٦٨٠-٧٤٤م) شاعر الهاشميين، من أهل الكوفة، شتهر في العصر الأموي، وكان عالماً بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، ثقة في علمه، وهو من أصحاب الملحمات، أشهر قصائده (الهاشميات-ط) ترجمت إلى الألمانية.

(٤٦) - أدب الدنيا والدين ص ٢٣.

٣٠٨ الأدب النفسي ودوره في تنمية العقل

إِنَّ السَّعِيدَ لَهُ فِي غَيْرِهِ عِظَةٌ ... وَفِي التَّجَارِبِ تَحْكِيمٌ وَمَعْتَبَرٌ

وفي أدب الدنيا والدين للماوردي:

إذا طال عمر المرء من غير آفة ... أفادت له الأيام في كرها عقلاً

ومن العقل الثابت في كل عمل قبل الدخول فيه، والعاقل لا يطول أمهله لأن من قوي أمهله ضعف عمله، ومن أتاه أجله لم ينفعه أمهله، والعاقل بطبعه يتقرب من العقلاء، فقرب العاقل غم لأشكاله، وعبرة لأضداده على الأحوال كلها.

الأدب النفسي ودوره في تنمية العقل

إن للأدب النفسي دور في تنمية العقل وإحلاله المرتبة التي يتفق له معها تبعات الوجود، فالعقل عنده طاقة كامنة مليئة بالاستعدادات قادرة على المنطق الصالح إذا أحيهاها الأدب، وأمدتها بأسباب النماء والعطاء، وعن ذلك يقول ابن المقفع: فكما أن الحبة المدفونة في

الأرض لا تقدر أن تخلع يبسها وتظهر قوتها وتطلع فوق الأرض بزهرتها إلا بمعونة الماء الذي يغور إليها في مستودعها فيذهب عنها أذى اليبس والموت، ويحدث لها بإذن الله القوة والحياة فذلك سليقة العقل مكونة في مغرزها من القلب: لا قوة لها ولا حياة بها ولا منفعة عندها حتى يعملها الأدب الذي هو ثمارها وحياتها ولقاحها. (١٦)

(١٦) - الآثار الكاملة ص ٢٦.

٣.٩ كمال العقل

كمال العقل

إن العاقل من الناس من لا يفرح بحصول لذة ولا يكثرث بفواتها أو بعدم نيلها والوصول إليها، لأنه يعلم أن كل ذلك مصيره إلى الزوال، وفي محكم التنزيل: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ* الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (١٦) .

وقد جاء في كلام بعض الشعراء:

ومن كملت فيه النهى (٢٦) لا يسره ... نعيم ولا يرتاع للحدثان

ولالإمام علي رضي الله عنه:

إذا أكل الرحمن للمرء عقله ... فقد كُتبت أخلاقه ومآربه

ويرحم الله القائل:

أولست تأمر بالعفاف وبالتقى ... وإليه آل الأمر حين يؤل؟

فإن استطعت نفذ بعقلك فضلة ... إن العقول يرى لها تفضيل

فما أحوج العقلاء إلى التدبر في جميع الأشياء لأخذ العظة والاعتبار والعمل على هدى منهج الله العزيز الجبار، وما أروع قول الشاعر:

ولي في فناء الخلق أكبر عبرة ... لمن كان في بحر الحقيقة راق

شخص وأشكال تمر وتنقضي ... فتفتني جميعاً والمهيمن باقي

(١٦) - سورة الحديد الآيات (٢٢-٢٤) .

(٢٦) - النهى: اسم من أسماء العقل.

٣.١٠ القصة

٣.١١ العقل يرشد الى توحيد الله

القصة

روي أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله استعمل رجلاً فقيل له: إنه حديث السن، ولا نراه يضبط عمك، فأخذ العهد منه وقال: ما أراك تضبط عمك لحداثتك، فقال الفتى:

وليس يزيد المرء جهلاً ولا عمى ... إذا كان ذا عقل حداثة سنه

فقال عمر رحمه الله: صدق ورد عليه العهد.

وسئل عبد الله بن المبارك رحمه الله: ما خير ما أعطي الرجل؟ فقال: غريزة عقل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: أدب حسن؟ قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخ صالح يستشير، قيل: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل. (١٦)

وفي الحديث النبوي: (الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ) (٢٠) .

العقل يرشد الى توحيد الله
كل انسان يدرك بعقله ان كل شيء له صانع يصنعه او علة توجده والعاقل يدرك ان في اختلاف النبات في الطعم واللون والغذاء رغم اتحاد التربة والماء اله خلق واحسن التقدير والتدبير والى ذلك يرشد الحكيم الخبير

(١٦) - دليل السائلين جمعه أنس بن اسماعيل أبو داود ص ٤٣٥ و٤٣٦ ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م .

(٢٠) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في صفة أواني الخوض حديث (٢٣٨٣) .

{وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (١٦) .

والانسان بفطرته اذا نظر الى الكون واستعرض مافيه من الكائنات, حصل له علم ضروري بان هذه الكائنات لم توجد صدفة بل لا بد من موجد اوجدها. حتى وان كان اميا او اعرايا فانه يدرك ذلك بعقله وفطرته وفي نفع الطيب: قيل لأعرابي بم عرفت ربك فقال البعرة تدل على البعير والروث يدل على الحمير وآثار الأقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج أما يدل ذلك على العليم القدير (٢٠) فالعاقل يدرك ان في الكون دليل وبرهان على وجود الله وان في اختلاف الليل والنهار والشمس والقمر ايات تدل على وجود الله الحكيم الخبير السميع البصير, وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (٣٠) . وقد ذهب كثير من العلماء الى القول بان فكرة الله او الدين على العموم انما هي فكرة فطرية وجدت في عقل الإنسان ولكن اوجدها فينا موجد وهو

(١٦) - سورة الرعد الآية (٤) .

(٢٠) - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب لمؤلفه العلامة / أحمد بن محمد المقرئ التلمساني ج ٥/ص ٢٨٩ . الناشر: دار صادر - بيروت، ١٩٦٨ تحقيق: د. إحسان عباس .

(٣٠) - سورة البقرة الآية (١٦٤) .

٣٠١٢ اسم الله دال على جميع الاسماء الحسنی

الله سبحانه وتعالى (١٦) ومن الايات التي تبهر الالباب ان القرآن يقرر بان الدين فطرة في الإنسان فطر الله الناس عليها وان اساسه الاعتقاد بخلق الكون, وانه واحد لا شريك له فاذا انفرد الإنسان بنفسه حكم بانه مخلوق لإله قادر حكيم خلقه وانعم عليه يدرك ذلك بعقله وفطرته قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} * مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (٢٠) فتعرف على اسم الله الذي خلق لك عقلا تفكر به ولسان تتكلم به وعينا تبصر بها واذا تسمع بها, واعلم ان لا اله الا الله ولا معبود بحق الا الله, ولا رازق الا الله, فاذا قلت لا اله الا الله اي لا معطي ولا مانع ولا رافع ولا خافض ولا معز ولا مذلل ولا وهاب ولا مغني ولا مبد ولا معيد الا الله فكل الاسماء الحسنی اذا جمعت هي الله اي هو المعبود الحق, فتعرف عليه يغنيك ويهديك ويعافيك.

اسم الله دال على جميع الاسماء الحسنی

الله اسم دال على جميع اسمائه الحسنی وصفاته العليا التي هي صفات الكمال المنزهة عن الشبيه والمثال ورد في القرآن اسم الله الجامع لا اسمائه الحسنی ووصف الله اسمائه بالحسنی قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}

- (١٦) - روح الدين الاسلامي ص ٨٠ .
(٢٦) - سورة الروم الآيتان (٣٠-٣١) .

٣٠١٣ ثمره معرفة اسم الله الجامع للاسماء الحسنی

وَذُرُوا الَّذِينَ يَلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيِّجِرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ { (١٦) وقال سبحانه: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} (٢٦) وورد في السنه النبويه: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) (٣٦) وقد علم من هذه النصوص ان الاسماء الحسنی تضاف الى اسم الله جل جلاله فهو الاسم الجامع فيقال: الرحمن الرحيم العزيز الغفار من اسماء الله ولا يقال: الله من اسماء الرحمن فعلم انه اسم الله مستلزم لجميع معاني الاسماء الحسنی, دال عليها بالاجماع, والاسماء الحسنی تفصيل وتبيين لصفات الالهية, التي اشتق (٤٦) منها اسم الله واسم الله دال على كونه مألوها معبودا, تألهه اخلائق محبة وتعظيمها وخضوعا, وفزعا اليه في الحوائج والنوائب (٥٦) وقال الغزالي: اعلم أن هذا الإسم أعظم أسماء الله عز وجل التسعة والتسعين لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها حتى لا يشذ منها شيء وسائر الأسماء لا يدل آحادها إلا على آحاد المعاني من علم أو قدرة أو فعل أو غيره ولأنه أخص الأسماء إذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازا وسائر الأسماء قد يسمى به غيره كالتقادر والعلم والرحيم وغيره فلهذين الوجهين يشبه أن يكون هذا الاسم أعظم هذه الأسماء (٦٦) .

ثمره معرفة اسم الله الجامع للاسماء الحسنی

اذا علم المكلف ان لا اله الا الله ولا معبود بحق الا الله ولا خالق ولا معطي الا الله فهو المانع الخافض الرافع, المعز المذل, العزيز الجبار, القهار المتكبر, وان (الله) علم على الذات الكاملة علم على الخالق, علم على البارئ, المصور, المسير, العزيز, الجبار, الكبير المتعال, وان اسماء الله الحسنی كلها جمعت في (الله) المتصف بصفات الوجود, وصفات الكمال, وصفات الوحدانية وجب عليه ان يؤمن به وحده لا شريك له وان يطيعه ويحبه فمن اطاع ولم يجب لم يعبد الله, فالعبادة هي الحب مع غاية الطاعة وان يردد كلمة التوحيد فهي افضل الذكر فهي كلمة التوحيد وشعار الإسلام فالاسلام كله والايان كله والاحسان كله, جمع في هذه الكلمة فهي حصن الله ومن دخل حصنه امن من عذابه وقد جاء في الحديث القدسي: (لا اله الا الله حصني فمن دخله امن عذابي) (٧٦) فهي افضل

(١٦) - سورة الاعراف الآية (١٨٠) .

(٢٦) - سورة طه الآية (٣) .

(٣٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٢٥٣١) .

(٤٦) - اختلف العلماء حول اشتقاق هذا الاسم فقال ابن كثير لا يعرف لهذا الاسم من كلام العرب اشتقاق. نقله القرطبي عن جماعة من العلماء منهم الشافعي والخطابي, وامام الحرمين والغزالي, وغيرهم.. قال الخطابي: الا ترى انك تقول: (يا لله) ولا تقول: "يا الرحمن" فلولا انه من اصل الكلمة- أي الالف واللام- لما جاز إدخال حرف النداء على الالف واللام, وقيل: إنه مشتق ... فقد يكون من:

- أ- التأله من انه أله يأله إلهًا وتأله كما روى عن ابن عباس أنه قرأ (ويدروك وآهتك) قال عبادتك أي انه كان يُعبد ولا يُعبد.
ب- وقد يكون من (إلاه) مثل فعال فأدخلت الالف واللام للتعظيم وهذا قول الخليل.
ج- وقد يكون من (إلاله) وإدغمت اللام الأولى في الثانية بعد حذف الهمزة.
د- وقيل: هو من (وله) وهو ذهاب العقل والحيرة, فالله تعالى يحيرهم في حقائق صفاته.
هـ- وقال الرازي: أنه مشتق من (أهت إلى فلان) أي (سكنت إليه) انتهى.
(٥٦) - الجامع لاسماء الله الحسنی ص ١٢ .

(٦٦) - المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى - للغزالي محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، ص ٦١، الناشر: الجفان والجابي - قبرص الطبعة الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي.

(٧٦) - مسند الشهاب للعلامة /محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، باب لا اله الا الله حديث رقم (١٤٥١) ج ٢/ص ٣٢٣. الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦ تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي

كلمة تسعد بها وتفوز وهي افضل الدعاء وفي الحديث النبوي: (أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١٦) وهي افضل الذكر فقد ورد في الحديث النبوي أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (٢٦) وفي الذكر الحكيم: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} (٣٦) فاذا علم الإنسان انه لا اله الا الله استغفر لذنبه ووحيد الله ووجهته الى الله فاستقام في اخلاقه وسلوكه وعبادته فهي كلمة التوحيد ونهاية العلم التوحيد، ونهاية العمل التقوى، وفي القرآن الحكيم وردت قصص للانباء والمرسلين، وكلهم يقول لقومه ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره فمن قالها موقنا من قلبه ظفر بمراده وسعد في حياته ومماته فانت حين تقولها عقب صلاة الفجر عشر مرات كأنما اعتقت رقبا واحييت انفسا وكانت لك حرزا وحصنا وهي من احب الكلام الى الله ففي صحيح مسلم أحب الكلام إلى الله أربع (سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ لَا يُضْرَكَ بِأَيِّنَ بَدَأَتْ) (٤٦) .

(١٦) - موطأ مالك حديث رقم (٨٤١)

(٢٦) - سنن الترمذي حديث رقم (٣٣٠٥)

(٣٦) - سورة محمد الآية (١٩) .

(٤٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٣٩٨٥) .

٣٠١٤ دعاء الله باسمه الجامع للاسماء الحسنى

دعاء الله باسمه الجامع للاسماء الحسنى

ياالله يارحمن يارحيم ياسميع ياعليم يامن عُرِفَ بالادله الداله من فطرة الارض والسماء وبالصفات الالهية والاسماء وبكتبه المنزلة ببيدع الحكمة والوحدانية العظما يامن له الاسماء الحسنى والصفات العليا وقفت العقول بباب عظمتك فلم تحيط بك علما الا بماعلمتها من الصفات والاسماء فلك الحمد والمجد والثناء وقد قلت في محكم كتابك الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وقلت ولك العظمة والكبرياء قل ادعو الله او ادعو الرحمن اياما تدعدو فله الاسماء الحسنى وقلت وانت أهل المجد والثناء والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقلت ولك الاخرة والاولى هو الله الخالق البارء المصور له الاسماء الحسنى فاسالك باسمائك الحسنى وصفاتك العليا بجلالك وعظمتك يامن هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة ان تصلى على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد وعلى اصحابه واتباعه ومن تحب من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وصالح خلقك اجمعين واسألك يا الله يارحمن يارحيم باسمائك الحسنى ان تؤانسني بجلالك وتملاً قلبي من معرفتك واسمائك وان تصلح لي امور ديني ودنياي واخرتي وان تغفر لي ولوالدي وللمؤمنين واسألك الدرجات العلى من الجنة اللهم رحمتك ارجو فلا تكليني الى نفسي طرفة عين ياالله يحيي ياقيوم ياذى الجلال والاکرام استجب دعائي وحقق لي املي ورجائي يا كريم يارحيم وصل على محمد النبي الامين وعلى اله وصحبه والتابعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

٤ الفصل الثالث الإنسانية أصلها واحد

الفصل الثالث
الإنسانية أصلها واحد

٤.١ الإنسانية أصلها واحد

الإنسانية أصلها واحد
الأمر الذي لا مرية فيه أن أصل بني الإنسان واحد، وأن الإنسانية كلها وحدة واحدة، وإن تباينت مظاهرها في ألوانها وأجسادها وأشكالها، واختلفت ألسنتها وآراؤها ومذاهبها ومواطنها؛ فتلك نتيجة طبيعية لاختلاف البيئات، أو هي اعتبارات ومصطلحات لاتفاقات تعرض لجوهر الإنسان عند تكوينه واستكمال خلقه، وآية دالة على إحكام الله لخلقه، وفي الذكر الحكيم: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ} (١٧) ، فالآية دالة على عظيم صنع الله وتصويره وتقديره وكبير إحسانه وإكرامه للإنسان بما ليس له مثيل، فتدبر قول الحق تبارك وتعالى مخاطباً ملائكته: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} (٢٠) ، فالإنسان العاقل يجب ألا يقابل هذا التكريم بالجود؛ فيتعالى على غيره من بني الإنسان، فلا يجوز لصاحب وطن من الأوطان أو بلد من البلدان أو إقليم من الأقاليم أن يتعالى على غيره من بني الإنسان، إذ لو جاز ذلك لجاز للابن أن يتنكر لوالده، والأب لابنه، والأخ لأخيه، وأنى له ذلك وقد خلق الله الناس جميعاً من نفس واحدة قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ

(١٧) - سورة الروم الآية (٢٢) .

(٢٠) - سورة الحجر الآية (٢٩) .

والأرحام إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (١٧) ، في هذه الآية خاطب الله جل وعلا الناس كافة بقوله يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي أنشأكم ورباكم بنعمه فاتقوه في أنفسكم، ولا تتعدوا حدوده فيما شرعه من الحقوق والآداب، مما فيه صلاح شأنكم، فإنه خلقكم من نفس واحدة، فكنتم جنساً واحداً تقوم مصلحته بتعاون أفرادهم واتحادهم وحفظ بعضهم حقوق بعض، فتقوى الله فيها الشكر لربوبيته، وفيها ترقية لوحدة الإنسانية، فاتقوا الله في أمره ونهيه في حقوق الرحم التي هي أخص من حقوق الإنسانية، بأن تصلوا الرحم التي أمركم الله بوصلها، واحذروا ما نهاكم عنه من قطعها، لما في تقواه من الخير لكم الذي يذكركم به تسأولكم فيما بينكم باسمه الكريم وحقه على عباده، وسلطانه الأعلى على قلوبهم وبحقوق الرحم، وفي هذا التساؤل من الاستعطاف والإيلاف ما يكفي للتعاطف والتراحم، فلا تفرطوا في هاتين الرابطين بينكم رابطة الإيمان بالله وتعظيمه، ورابطة وشيجة الرحم، فإنكم إذا فرطتم في ذلك أفسدتم فطرتكم، فتفسد حينئذ البيوت والعشائر والقبائل، {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} أي: مشرفاً على أعمالكم حفيظاً مطلعاً على جميع أحوالكم.

ولالإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه:

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ الْأَبَاءِ أَكْفَاءٌ... أَبُوهُمْ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَاءُ
نَفْسٌ كَنَفْسٍ وَأَرْوَاحٌ مُشَاكَلَةٌ... وَأَعْظَمُ خُلِقَتْ فِيهَا وَأَعْضَاءُ

(١٧) - سورة النساء الآية (١) .

وَأَمَّا أُمَّهَاتُ النَّاسِ أَوْعِيَةٌ.....مُسْتَدْعَاتٌ وَلِلْأَحْسَابِ آبَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ أَصْلِهِمْ شَرْفٌ... يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطَّيْنُ وَالْمَاءُ

ما الفضلُ إلا لأهلِ العلمِ إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاءً
وقدر كلِّ امرئٍ ما كان يحسنه ... وللرجالِ على الأفعالِ أسماءُ
وَضِدُّ كُلِّ امْرِئٍ ما كانَ يجهله ... والجاهلون لأهلِ العلمِ أعداءُ
وقال آخر:

لا تفخرن بأصلك ... ما الفخر إلا بفعلك
أصل الأنام ترابٌ ... مما تطأه بنعلك
فاعمل بجد وحزم ... ترق المعالي بسعيك

وجاء في محكم الذكر: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليمٌ خبيرٌ} (١٦) ، وجاء في السنة النبوية: (يا أيها الناس، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم) (٢٠) ، وهذا الحديث يستفاد منه تحقيق مبدء المساواة، وأن عز الإنسان ورفعته إنما هو بإيمانه بالله وخشيته له .

وقد قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

(١٦) - سورة الحجرات الآية (١٣) .

(٢٠) - أخرجه الإمام أحمد في المسند حديث (٢٣٤٨٦) ، طبعة بيت الأفكار الدولية لبنان ٢٠٠٤م، والحديث صحيح.

٤.٢ القصة

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه ... فلا تترك التقوى إتكالاً على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارسٍ ... وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب
وجاء في شعر المتوكل الليثي (١٦) :

لسنا وإن كرمت أوائلنا ... يوماً على الأحساب تتكل
بني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا (٢٠)
ويرحم الله ابن دريد حيث يقول:

إنما المرء حديثٌ بعده ... فكن حديثاً حسناً لمن وعى
القصة

قال عبد الرحمن بن عوف المهاجري القرشي رضي الله عنه لما قدم المدينة قال: آخا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بيني وبين سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه فقال سعد: إني من أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وأنظر أي زوجتي هويت، نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها أنت، وقابل عبد الرحمن هذا الإيثار الكريم بعفاف كريم منه فقال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق (٣٠) ، وقد حكى الله عن حال الأنصار مع المهاجرين ما يدل على عظيم منزلتهم قال تعالى: {والذين تبوءوا الدارَ والإيمانَ من قبلهم يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٤٠) .

الأمثال العربية

في الأمثال السائرة: "الشرف بالهمم العالية لا بالرغم البالية، ومن نهظ به أدبه لم يقعد به حسبه". وقال بعضهم:

نفس عصامٍ سودت عصاماً ... وعلته الكر والإقداما
وجعلته ملكاً هماماً

فصار مثلاً يضرب لمن شرف بنفسه، لا بأبائه وأسلافه، والعرب تقول لمن يفتخر بنفسه: (عصامي) ، ولمن يفتخر بأبائه: (عظامي)
نسبة إلى عظام الأموات من اجداده. قال الشاعر:
إذا ما الحي عاش بذكر ميت ... فذاك الميت حي وهو ميت
أما معروف الرصافي فهو يقول:
وشر العالمين ذوو نحمول ... إذا فاخرتهم ذكروا الجدودا
وقال آخر:

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه ... خلقٌ وجيبٌ قيصه مرقوع

ومن أمثال العرب: "رضا الناس غاية لا تدرك (٥٦) ، ورضا الناس شيء لا ينال (٦٦) "، وفي الحديث النبوي: (تَجِدُونَ النَّاسَ
كَيْبِلٍ مِائَةٍ لَا يَجِدُ

(١٦) - المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مسافع بن وهب بن عمرو بن لقيط بن يعمر بن عامر بن ليث، (ت ٨٥هـ ٧٠٤م) ، من شعراء الحماسة، وهو ليثي من ليث بن بكر، يكنى أبا جهمة من أهل الكوفة في عصر معاوية وابنه يزيد، ولقد اختار أبو تمام قطعتين من شعره إحداهما: ... نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقال الآمدي: هو صاحب البيت المشهور: ... لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

(٢٦) - ذيل الأمالي لأبي علي بن إسماعيل بن القاسم القالي ج ٣ ص ١١٧، منشورات دار الفرقان الجديدة بيروت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

(٣٦) - انظر: صحيح البخاري باب إخا النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث (٣٤٩٦) .

(٤٦) - سورة الحشر (٩) .

(٥٦) - ورد هذا المثل في مجمع الأمثال للبيداني، والعقد الفريد، ومحاضرات الأدباء.

(٦٦) - ورد هذا المثل في البيان والتبيين للجاحظ.

الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةٌ (١٦) ، فالليبي من الناس من يتعامل مع الناس بحزم، فإنه إن قصد بمؤاخاته للناس حصول رضاهم تعذر ذلك عليه وهو لا يزال بحاجة إلى الناس وهم لا يزالون بحاجة إليه، قال الشاعر:

وبالناس عاش الناس قدماً ولم يزل ... من الناس مرغوبٌ إليه وراغبٌ (٢٦)

أما بشار بن برد فهو يقول:

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ ... وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكِ اللَّهْجِ

وقال آخر:

النَّاسُ أَخْلَاقُهُمْ شَتَّى وَإِنْ جُبِلُوا ... عَلَى تَشَابُهِ أَرْوَاحٍ وَأَجْسَادِ (٣٦)

وفي الأمثال السائرة: "الناس أجناس، والناس اخوان وشتى في الشيم" (٤٦) . ويرحم الله شوقي حيث يقول:

وَالنَّاسُ صِنْفَانِ مَوْتِي فِي حَيَاتِهِمْ ... وَأَخْرُونَ بَطْنِ الْأَرْضِ أَحْيَاءُ

تَأْتِي الْمَوَاهِبُ فَالْأَحْيَاءُ بَيْنَهُمْ ... لَا يَسْتَوُونَ وَلَا الْأَمْوَاتُ أَكْفَاءُ

وقديماً قيل: "في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال" (٥٦) ، وقيل: "الناس أتباع من غلب (٦٦) ، والناس على دين ملوكهم"، ويغفر

الله لأبي العتاهية حيث يقول:

(١٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب قوله صلى الله عليه وآله وسلم الناس كإبل مائة حديث (٤٦٢٠) .

(٢٦) - هذا البيت لابن المولى المدني.

- (٣٦) - هذا البيت للخريبي .
 (٤٦) - ورد هذا المثل في مجمع الأمثال للميداني، والمستطرف .
 (٥٦) - ورد هذا المثل في نهج البلاغة ومجمع الأمثال للميداني .
 (٦٦) - ورد هذا المثل في مجمع الأمثال للميداني، والمستطرف .
 ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها ... فكيف ما انقلبت يوماً به انقلبوا
 يعظمون أخوا الدنيا وإن وثبت ... يوماً عليه بما لا يشتهي وثبوا
 أما أسامة بن المنقذ فهو يقول:
 والناس كالأشجار هذي يجتنى ... منها الثمار وذو وقود النار
 وفي الأمثال العامة: "الناس عبيد الإحسان" (١٦) .
 وفي الحديث النبوي: (جلبت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها) (٢٦) .
 وفي السنة النبوية من الحكم التي جرت مجرى الأمثال السائرة: (الناس سواسية كأسنان المشط) ، (الناس معادن كمعادن الفضة) .
 قال الشاعر:

والأصل ينبت فرعه متناثلاً ... والكف ليس بناها بسواء
 والناس ليسوا يستون فنيهم ... ورع وآخر ذو ندى وغناء
 والناس أشباه وبين حلومهم ... بون كذاك تفاضل الأشياء (٣٦)
 أما محمود سامي البارودي فهو يقول:
 والناس أشباه ولكن فرقت ... ما بينهم في الرتبة الآراء
 وقال آخر:

- (١٦) - ورد هذا المثل في جمهرة الأمثال، وفي مجمع الأمثال للميداني .
 (٢٦) - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب معاني المحبة حديث (٤٤٦) .
 (٣٦) - هذه الأبيات تنسب لعدي بن الرقاع العاملي .

٤.٣ الإسلام يدعو إلى الأخوة والتعاون

والناس بالناس من حصر وبادية ... بعض لبعض وإن لم يشعروا خدماً
 وكل عضو لأمر ما يمارسه ... لا مشي للكف بل تمشي بك القدم
 فأذخر لنفسك خيراً كي تسر به ... فإن فعلت وإلا عادك الندم (١٦)
 أما بهاء الدين زهير فهو يقول:
 فالناس بالناس والدنيا مكافأة ... والخير يذكر والأخبار تنتقل
 الإسلام يدعو إلى الأخوة والتعاون

إن الدين الإسلامي هو الذي يدعو إلى الوحدة والمودة والإخاء، ويدعو المؤمنين جميعاً إلى التعاون على البر والتقوى وفي الذكر الحكيم:
 {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب} (٢٦) ، وجاء في الحديث النبوي ان
 الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) (٣٦) ، وجاء في حديث آخر: (مثل المؤمنين في

تَوَادَّهُمْ وَتَرَاحَمَهُمْ وَتَعَاطَفَهُمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى (٤٦٦) ، فلقد من الله على المؤمنين إذ جعلهم أمة واحدة فيما يقولون وما يفعلون، وما يأتون وما يذرون، فمعبودهم واحد، وعباداتهم

(١٦) - هذه الآيات تنسب لأبي العلاء المعري .

(٢٦) - سورة المائدة (٢) .

(٣٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب تعاون المؤمنين حديث (٥٥٦٧) ، مسلم صحيح في باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم حديث (٤٦٨٤) .

(٤٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم حديث (٤٦٨٥) .

واحدة قال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} (١٦) ، ويقول جل شأنه: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} (٢٦) .

والمؤمن ينزع العداوة من قلبه فهو يألف المؤمنين ويحبهم، ليس في قلبه عصبية قبلية ولا حمية جاهلية، قد غرس في قلبه الاخوة في الإيمان، فهو لا يفرق بين صغير ولا كبير، ولا بين متقدم وأخير، وذكر وأنثى، وحر ومولى، فهو يعمل بكلام المولى سبحانه وتعالى: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (٣٦) ، والمؤمن يدعو الله أن يذهب الغل من قلبه ويسأله المغفرة لإخوانه كما ورد ذلك في الذكر الحكيم: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (٤٦) .

ولقد كان أول عمل بدء به رسول الله عليه وآله وسلم بعد هجرته إلى المدينة ودعوته إلى توحيد الله، وبناء المسجد هو المؤاخاة بين المسلمين من المهاجرين والأنصار، بين الفقراء والأغنياء، بين الضعفاء والأقوياء، حتى صارت هذه الوحدة أية تدل على علو شرف الإسلام وسمو مكانته، ... كما أن الإسلام ينهى عن التنازع والتفرق والشقاق فيقول جل شأنه:

(١٦) - سورة الأنبياء (٩٢) .

(٢٦) - سورة المؤمنون (٥٢) .

(٣٦) - سورة التوبة (١١) .

(٤٦) - سورة الحشر (١٠) .

{وَاطِيعُوا لِلَّهِ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (١٦) ، والله در القائل:

كونوا جميعاً يا بني إذا عترى ... خطب ولا تبتفرقوا أحاداً

تأبى القِداح إذا اجتمعن تكسراً ... وإذا افتقرن تكسرت أفراداً (٢٦)

فالأخوة عزة وقوة، وهي تمثل امتزاج روح بروح وتصالح قلب مع قلب، والإخوة في الله رباط إيماني يقوم على منهج رباني، فالمؤمن من استجاب لنداء ربه، وعمل بأمره: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (٣٦) .

وأول عمل عمله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة هو بناء المسجد الذي يرمز إلى توحيد الله وتوحد المسلمين ثم آخا بين المهاجرين والأنصار بين الأغنياء والفقراء فكانت قوة ونعمة ووحدة وأخوة.

وفي الأمثال السائرة: "رب أخ لك لم تلده أمك"، وقال الشاعر:

أخاك أخاك إن من لا أخ له ... كساع إلى الهيجا بغير سلاح

(١٦) - سورة الأنفال (٤٦) .

(٢٧) - انظر: ديوان الطغرائي: (٤٥٥-٥١٣هـ/١٠٦٣-١١٢٠م) الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد أبو إسماعيل مؤيد الدين الأصبهاني الطغرائي، شاعر، من الوزراء الكُتاب، كان ينعت بالأستاذ، ولد بأصبهان، اتصل بالسلطان مسعود بن محمد السلجوقي (صاحب الموصل) فولاه وزارته. ثم اقتتل السلطان مسعود وأخ له اسمه السلطان محمود فظفر محمود وقبض على رجال مسعود وفي جملتهم الطغرائي، فأراد قتله ثم خاف عاقبة النعمة عليه، لما كان الطغرائي مشهوراً به من العلم والفضل، فأوعز إلى من أشاع اتهامه بالإلحاد والزندقة فتناقل الناس ذلك، فاتخذ السلطان محمود حجة فقتله. ونسبة الطغرائي إلى كتابة الطغراء. وللمؤرخين ثناء عليه كثير. له (ديوان شعر - ط)، وأشهر شعره (لامية العجم) ومطلعها: أصالة الرأي صائتي من الخطل. وله كتب منها (الإرشاد للأولاد)، مختصرة في الإكسير.

(٣٧) - سورة آل عمران (١٠٣) .

٤.٤ مبدأ الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية

وقال آخر:
لعمرك ما مال الفتى بذخيرة ... ولكن اخوان الثقات الذخائر
وقيل: "القريب من قرب نفعه"، وقيل: "يدك منك وإن كنت شلاً"، وإنما الناس جماعة واحدة خيرهم من جمعهم على البر والصدق والهدى".
قال الشاعر:

يُعرفك الاخوان كل بنفسه ... وخير أخ ما عرفتك الشدائد

مبدأ الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية

كان الإنسان موزعاً بين قبائل وأمم، وطبقات بعضها دون بعض، وقوميات ضيقة، وكان التفاوت بين هذه الطبقات تفاوتاً هائلاً، كتفاوت ما بين الإنسان والحيوان، وبين الحر والعبد، وبين العابد والمعبود، لم تكن هناك فكرة عن الوحدة والمساواة إطلاقاً، فأعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد قرون طويلة من الصمت المطبق، والظلام السائد، وذلك الإعلان الثائر، المدهش للعقول، القالب للأوضاع: (يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى) . وهذا الإعلان يتضمن إعلانين هما الدعامتان اللتان يقوم عليهما الأمن والسلام، وعليهما قام السلام في كل زمان ومكان وهما: وحدة الربوبية ووحدة البشرية، فالإنسان أخو الإنسان من جهتين: الجهة الأولى -وهي الأساس- أن الرب واحد، والجهة

٤.٥ نجاح الأفراد والأمم وأثر الاتفاق والاختلاف على الأسرة الإنسانية

الثانية أن الأب واحد (١٧) { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (٢٧) ، { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (٣٧) .

نجاح الأفراد والأمم وأثر الاتفاق والاختلاف على الأسرة الإنسانية

من الأمور التي يتفق عليها العقلاء من الناس أن الناس يتفاوتون في أقدارهم ومكانتهم، فمن الأفراد من يتمتع باحترام الناس وتقديرهم وتوقيرهم، يتعامل الناس معه باحترام وأدب ووقار، ومن الناس من لا يتبوء هذه المكانة ولا يكون الناس سعداء بالتعامل معه، وكذلك الأمم حالها كالأفراد، فمن الأمم أمة في الذروة من الاحترام تقول الكلمة فتدوي لكلمتها الدنيا، وتنجي لها الرؤس، ويخطب ودها وصدقاتها، ومن الأمم من لا يصوغ لها مركزها أن تتكلم كلمة ولو تكلمت كان كلامها موضع ضحك وسخرية.

ترى فما هو سر نجاح الأفراد والأمم مع أن أصل البشرية واحد والناس سواسية -وقد سبق بيان ذلك-؟

(١٦) - انظر: السيرة النبوية كتبها العلامة الداعية الحكيم أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص ٧٣، الناشر: دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

(٢٠) - سورة النساء الآية (١) .

(٣٠) - سورة الحجرات الآية (١٣) .

قلنا: هناك عوامل عدة لنجاح الأفراد ولنجاح الأمم، فالإنسان يعيش حياته بين دائرتين: دائرة هموم ودائرة تأثير، فدائرة الهموم: في الأمور التي تهتمك لكنك قد لا تملك التأثير فيها، وأما دائرة التأثير: في الأشياء التي يمكنك أن تؤثر فيها إيجاباً أو سلباً، فإن الناجح من الناس تتسع دائرة تأثيره بصورة ملحوظة، فهو يسعى إلى التأثير في الأشياء بوجه حسن وهممة عالية، بتفكير سليم وخلق قويم وعمل مستديم.

فالعاقِل يعرف أن كل شيء يصنع مرتان، يصنع أولاً في الذهن، ثم يصنع بعد ذلك في أرض الواقع، فأنت الذي تصنع الأمل وتستشرف المستقبل بناءً على تطلعاتك قبل حدوثها.

وهذا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان ينوه في بداية الدعوة عن إيمان وعزيمة وثبات ويقول: (ليبلغن هذا الأمر مبلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل يعزب عن الله في الإسلام ويذل به في الكفر) ، وكان تميم الداري رضي الله عنه يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان كافراً الذل والصغار والجزية (١٦) .

وقد يقول أحدنا: أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى فهو يخبر عن أمر أخبره الله تعالى به فهو متحقق الوقوع، فمن أين لنا أن نرسم الحياة كما نريد؟

(١٦) - أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب الفتن والملاحم حديث (٨٣٢٦) .

قلنا: هذا حق، وفي حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما يعلمنا الثبات والعزيمة على استشرف المستقبل وصناعة الأمل، بعزيمة وإرادة، فقد وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين كافة بالاستخلاف والتمكين والنصر. ... قال جل شأنه: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (١٦) ، وقال سبحانه: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} (٢٠) ، وقال جل وعلا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتصَرَّوْا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (٣٠) .

وحيثما أخذ المؤمنون بعزيمة أمور دينهم تحقق لهم الوعد وحصل لهم النصر والتمكين والعز بعد الذل والوحدة بعد الافتراق والغنى بعد الفقر، فمن منا عمل على اعزاز هذا الدين ولم يحصل له التمكين؟ ومن الذي اقتدى بالنبي الأمين صلى الله عليه وآله وسلم في سلوكه وأخلاقه ولم يظفر بمراده؟

فأنت أخي بحاجة إلى زاد من التقوى والأخلاق، أنت بحاجة إلى القدوة الحسنة والإتباع لنبيك صلى الله عليه وآله وسلم، أنت بحاجة إلى مواصلة العمل، بحاجة إلى العفو والتسامح حتى تكون قدوة في العفو والتسامح وتقديم الخير والإحسان إلى الناس، أنت بحاجة إلى الأخذ بسنن الله في هذا الكون الرحيب، فما أحوج الإنسان الذي يبحث عن الإحترام والنجاح والتقدير والسعادة والسيادة على الأرض إلى عون الله تعالى وتوفيقه.

ولله در الشاعر حيث يقول:

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنُ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى ... فَأَكْثَرُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ إِجْتِهَادُهُ (٤٠)

فإذا علمت وعملت عرفت أن الإنسان يجب عليه أن يرتب أولوياته ويسعى لتحقيق غاياته وأن يكون محسناً مع أهله وإخوانه، فهذا

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان خير الناس في تعامله وسلوكه مع أهله وإخوانه وجيرانه ومجتمعه وأمه، وكان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، ومع ذلك فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقيم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق. (٥٦) لم يكن مستبداً ولا غافلاً ولا فظاً غليظاً، وصدق الله حيث يقول: {فِيمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (٦٦) ، وهو مع ذلك كله كان رؤوفاً رحيماً، لقد جاء في الحديث النبوي: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ

(١٦) - سورة النور الآية (٥٥) .

(٢٦) - سورة الأنبياء الآية (١٠٥) .

(٣٦) - سورة محمد الآية (٧) .

(٤٦) - هذا البيت للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

(٥٦) - السيرة النبوية للندوي ص ٤٠٥ .

(٦٦) - سورة آل عمران الآية (١٥٩) .

الثرى من العطش، فقال الرجل: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَلَأَّ خَفَهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ فِيهِ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَعَفَّرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِن لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا، فَقَالَ: نَعَمْ فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ (١٦) ، وفي الذكر الحكيم: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (٢٦) .

فانظر أخي أين نحن من هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتأسي والافتداء به؟ فكثير من الناس يرى غيره من بني الإنسان يتضور جوعاً أو يعتصر ألماً لمرض أو فقر أو جائحة نزلت به فهو يبحث عن وظيفة وعمل ويبحث عن من يساعده ويسعى لإنقاذه أو التعاون معه فلا يجد من ذلك الأخ نصرة ولا عوناً، حتى وإن كان من جيرانه، فأين الأخوة الإيمانية والأخوة الإنسانية؟ فهل يستطيع عاقل أن يرى أخاه من أمه وأبيه يتضور جوعاً ثم لا يعمل على مساعدته وإنقاذه وهو على ذلك قدير بل ربما كان متخماً ومنعماً يملك الثروة والسلطة فهو يملك الأموال الواسعة التي قد ينفقها ويصرفها في غير محلها وعلى غير مستحقها وربما بددها في أمور يسألها الله عنها، فكيف بك أخي إذا سعت إلى تفريق إخوانك وتقطع أرحامك مع أنك تقرأ في القرآن:

(١٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب رحمة الناس والبهائم حديث (٥٥٥٠) .

(٢٦) - سورة التوبة الآية (١٢٨) .

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} (١٦) ، ولا تتدبر ما ورد في الفرقان: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ} (٢٦) . فإن كنت تريد السعادة في الدنيا والآخرة وتريد أن تنال الحسنى وزيادة فتأسى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد مثلت حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعمالاً كثيرة متنوعة بحيث تكون فيها الإسوة الصالحة والمنهج الأعلى للحياة الإنسانية، لأنها جمعت بين الأخلاق العالية والعادات الحسنة والعواطف النبيلة والنوازع العظيمة، فإذا أردت السعادة والإحترام فتأسى به، فإن كنت غنياً مثرياً فاقتد بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما كان تاجراً يسير بسلعته بين الحجاز والشام، وحين ملك خزائن البحرين، وإن كنت فقيراً معدماً فلتكن أسوتك به وهو محصور في شعب أبي طالب، وحين قدم إلى المدينة مهاجراً وهو لا يحمل من حطام الدنيا شيئاً، وإن كنت ملكاً فاقتد بسنته وأعماله حين ملك أمر العرب وغلب على آفاقهم، ودان لطاعته عظماءهم وذووا أحلامهم، لتكون عزيزاً محترماً، وإن كنت رعية ضعيفاً فلك برسول الله أسوة حسنة حينما كان محكوماً بمكة في نظام المشركين، وإن كنت فاتحاً غالباً فلك من حياته نصيب أيام ظفره بعدوه في بدر وحنين ومكة، وإن كنت منهزماً - لا قدر الله - فاعتبر به في يوم أحد وهو بين أصحابه القتلى ورفقائه المشنخين

بالجراح، فلا تنهن

(١٦) - سورة الحجرات الآية (١٠) .

(٢٦) - سورة محمد الآية (٢٢) .

ولا تحزن، وإن كنت معلماً فانظر إليه وهو يعلم أصحابه في صحن المسجد متواضعاً، وإن كنت واعظاً ناصحاً ومرشداً أميناً فاستمع إليه وهو يعظ الناس على أعواد المسجد النبوي، وإن أردت أن تقيم الحق وتصطع بالمعروف وأنت لا ناصر لك ولا معين فانظر إليه وهو ضعيف بمكة لا ناصر ينصره ولا معين يعينه إلا الله، ومع ذلك فهو يدعو إلى الحق ويعلن به، وإن هزمت عدوك وخضدت شوكته وقهرت عناده فظهر الحق على يديك وزهق الباطل واستتب لك الأمر فانظر إليه يوم فتح مكة وفتحها، وإن أردت أن تصلح أمور زراعتك وتقوم على ضياعك فانظر إليه صلى الله عليه وآله وسلم وقد ملك ضياع بني النضير وخيبر وفدك كيف دبر أمورها وأصلح شؤونها وفوضها إلى من أحسن القيام عليها. (١٦)

وانظر بعينيك إلى الأفراد والأمم التي تتفق وتتاخي وتتعاون؛ كيف علت كلمتها وعظمت هيبتها، وتدبر القرآن الذي جاء فيه: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (٢٦) ، وانظر بعينيك الأفراد والأمم الذين يختلفون ويتنافرون ويتنازرون ويتقاطعون ويستعلي بعضهم على بعض؛ كيف صار حالهم، وكيف تبدل عزهم إلى ذل، وغناهم إلى فقر، وجمعهم إلى شتات، وصدق الله حيث يقول: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (٣٦) .

فهل آن لنا أن نسعى إلى إعمار الحياة بالحب والعمل، حب الفضيلة، لأنها تعكس سروراً وطمئينة، فحب الناس، حب الخير للجميع، حب التعاون على البر والتقوى، حب التضحية والفداء والإيثار، حب الإخاء، ففي الحديث النبوي: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (٤٦) .

أخي المحزون يا من مللت الحياة وسمت العيش إن هناك فتحاً قريباً إن الله مقلب القلوب، ثق بالله، وانظر إلى الحياة بجمالها وجلالها، واعلم بأن وعد الله آت قريب، أليس الصبح بقريب، وتدبر قول الحق تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (٥٦) ، وقوله جل شأنه: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (٦٦) ، فلا يهولنك تبيح غير المؤمنين بثروتهم أو بسطانهم الذي اتاهم الله وما خولهم به من النعم فإن العزة والكرامة للمؤمنين من بني آدم فقوة الإيمان أس للنجاح والظفر، وبالإيمان والعمل الصالح تنال الدرجات

(١٦) - انظر في ذلك السيرة النبوية للدودي ص ٤٥٤ و٤٥٥ .

(٢٦) - سورة آل عمران الآية (١٠٣) .

(٣٦) - سورة الأنفال الآية (٤٦) .

(٤٦) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه حديث (١٢) .

(٥٦) - سورة الأنفال الآية (٢٤) .

(٦٦) - سورة الحج الآية (٤٠) .

٤٠٦ مراحل نمو خلق الإنسان تدل على أن الله وحده الخالق المنان

العلا وصدق الله حيث يقول: {لَا يَغْرَنكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وِبَيْسَ الْمِهَادِ * لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ} (١٦) .

مراحل نمو خلق الإنسان تدل على أن الله وحده الخالق المنان
إن خلق الإنسان في أحسن تقويم وإحكام صنعته تدل على أن الله وحده لا شريك له الخالق العظيم قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً نَحَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (٢٠)، إن هذه الآيات تدل بوضوح على أن الإنسان خلق من طين، فالنطفة في كل من الذكر والأنثى التي يتكون منها الجنين هي وليدة عملية التغذية التي يتغذى بها الإنسان، والمراد بالنطفة في الآية هي مجموع الخلايا الحية، التي تصدر من الرجل وتعم في السائل الموجود داخل رحم المرأة ثم تتسابق لتتال خلية الأنثى الواحدة. وأحد هذه الحيوانات المنوية الذي يصل أولاً، يحرق بيضة الأنثى ويدخل فيها ويمتزج بها، وهذه أول عملية تكوين الجنين، ثم يخبر الله

(١٧) - سورة آل عمران الآيات (١٩٦-١٩٨) .

(٢٠) - سورة المؤمنون الآيات (١٢-١٤) .

تعالى بأنه يصير علقته وهي مجموعة الخلايا التي تنقسم إليها البويضة بعد تلقيحها، لقد نتأت على سطحها نتوات تصلها بجائط الرحم، وسميت علقته لها تعلق بجدار الرحم، على أن الجنين يصير بعد ذلك مستديراً بغير انتظام ومكوراً ويبقى كذلك عدة أسابيع وقد سماه الله مضغة - لكثرة الشبة بينه وبين قطعة اللحم الممضوغة- وهي في الاصطلاح الطبي عبارة عن نمو العلقته وتنوع خلاياها وتميز بعض أجزائها عن البعض الآخر وهنا يبدأ طور التكوين وتظهر آثار العظام في المضغة، وبعد أن تتكون العظام يبدأ اللحم في التكون بظهور العظام وذلك بتكون الخلايا التي تحيط بالعظام وبينما تظهر العظام والعظام تتكون بقية أعضاء الجسم. (١٧) {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} .

إن خلق الإنسان معجزة عظيمة وآية تدل على أنه الخالق الواحد سبحانه المستحق للعبادة قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (٢٠)، وهذا النص يقرر أن الله جل وعلا وحده الخالق للإنسان فكيف لا يكون وحده المعبود، فأية إثبات الخلق لله تعالى وحده ثبت الألوهية لله سبحانه وتعالى. فقد نبه الحق سبحانه وتعالى بذلك على أنه وحده الخالق لكم ولآبائكم ومن تقدمكم، وإنه لم يشركه أحد في خلق

(١٧) - انظر: الدكتور عفيف عبد الفتاح طيارة في كتابه: روح الدين الإسلامي، ص ٦١، نقلاً عن كتاب الإسلام والطب الحديث ص ٨١.

(٢٠) - سورة البقرة الآية (٢١) .

من قبلكم، ولا في خلقكم، وخلقته تعالى لهم متضمن لجمال قدرته وإرادته وعلمه وحكمته وحياته، وذلك يستلزم لسائر صفات كماله، ونعوت جلاله فيتضمن ذلك إثبات صفاته وأفعاله ووحدانيته في صفاته فلا شبيه له فيها ولا في أفعاله فلا شريك له فيها. (١٧) قال الشاعر:

انظر إلى الكون وهو في عدم ... واطلب له الخالق الذي خلقه

تجد هناك الوجود منفرداً ... به تعالى مقال أهل ثقه

وتعرف الكل لا وجود لهم ... إلا به والعقول متفقه (٢٠)

فإذا ضاقت عليك نفسك، أو ضاقت عليك الأرض بما رحبت، أو جفاك النوم في مرقدك، وصاحبك الأرق، وبارت حيلك، فارفع أكف الضراعة وابتهل لخالقك فهو يراك ويسمع دعاك.

قال الشاعر:

مهما رسمنا في جلالك أحرفاً ... قدسية تشدو بها الأرواح

فلأنت أعظم والمعاني كلها ... يا رب عند جلالكم تتداح (٣٠)

(١٧) - الجامع لأسماء الله الحسنى ص ١١٦ .

(٢٠) - تنسب هذه الأبيات لعبد الغني النابلسي (١٠٥٠-١١٤٣هـ/١٦٤١-١٧٣٠م) شاعر عالم بالدين والأدب مكثر من

التصنيف، تصوف ولد ونشأ في دمشق ورحل إلى بغداد وعاد إلى سوريا وتنقل في فلسطين ولبنان وسافر إلى مصر والحجاز واستقر في دمشق وتوفي فيها. له مصنفات كثيرة جداً منها: (الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية-ط) و (تعطير الأنام في تعبير الأنام-ط) و (ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث-ط) ، و (علم الفلاحة-ط) ، و (قلائد المرجان في عقائد أهل الإيمان-خ) ، و (ديوان الدواوين-خ) مجموع شعره وله عدة دواوين.

(٣٦) - ورد هذا البيتان في كتاب دع الحزن وابدأ الحياة تأليف عبد الله بن سعيد الزهراني ، ص ١١ ، الناشر: دار الطرفين للنشر والتوزيع الطائف.

وستجد الجواب من ربك العزيز الوهاب فاطر السموات والأرض، فابشر برحمته وحصول فرجه، فربك يخلق ما يشاء ويختار. قال الشاعر:

أقول لابني وقد قال الطيب له ... لم يبق إلا رجاء الخالق الباري

رضيت بالله مرجواً إذا اعترضت ... وساوس اليأس في ظني وأفكاري (١٦)

وقد جاء في محكم الذكر الحكيم: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} (٢٦) .

إن مما يطمئن الإنسان ويسعده أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقه وأنه سبحانه الخالق لكل شيء، وأن الذي يخلقه الله عز وجل يبقى رهن أمره فاطمئن، فكل من حولك وما حولك بيد الله عز وجل له الخلق والأمر {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (٣٦) ، قال الشاعر:

الحمد لله جلَّ اللهُ من خالقي ... وهو العليم بنا ألقا الراتق

قد ضمَّ شملي به إذ كنت في عدم ... لا علم عندي بخلق ولا خالق

(١٦) - ينسب هذان البيتان لعمارة اليميني.

(٢٦) - سورة فاطر الآية (٣) .

(٣٦) - سورة الأعراف الآية (٥٤) .

٤٠٧ الخالق في أسماء الله الحسنى

حتى إذا برزت بالكون أعيننا.....علمت بالكون قطعاً أنه الخالق (١٦)

الخالق في أسماء الله الحسنى

الخالق لكل شيء وموجده من العدم هو الله سبحانه وتعالى وما سواه مخلوق مربوب له، لا خالق غيره، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} (٢٦) .

وقال القرطبي: الخالق نطق به التنزيل وتكرر في القرآن، وجاء في حديث أبي هريرة الذي خرجه الترمذي (الخالق) وعند غيره (الخالق) عوضاً من الخالق، وكلاهما أجمعت عليه الأمة. (٣٦)

وقال القحطاني: الخالق، البارئ، المصور، الخلاق، الذي خلق جميع الموجودات وبرأها، وسواها بحكمته، وصورها بحمده وحكمته، وهو لم يزل، ولا يزال على هذا الوصف العظيم. (٤٦)

وقد يرد الخلق في كلام العرب بمعنى الكذب، قال زهير:

فَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْضُ ... الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

(١٧) - تنسب هذه الأبيات لمحبي الدين بن عربي. (٥٦٠-٦٤٠هـ/١١٦٤-١٢٤٢م) محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحي الدين بن عربي. فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم، ولد في مرسية بالأندلس وانتقل إلى اشبيلية وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز، واستقر في دمشق ومات فيها، يقول الذهبي عنه: "قدوة القائلين بوحدة الوجود"، له نحو أربعمئة كتاب ورسالة منها: (الفتوحات المكية) في التصوف، وعلم النفس، عشر مجلدات، (محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار) في الأدب، (ديوان شعر-ط) أكثره من التصوف، و (فصوص الحكم-ط) وغيرها الكثير الكثير.

(٢٧) - سورة الحشر الآية (٢٤) .

(٣٧) - الآسنى في شرح اسماء الله الحسنى ص ٤٠٨.

(٤٧) - شرح اسماء الله الحسنى ص ٨٦.

٤٠٨ ثمرة معرفة اسم الله الخالق وحده لا شريك له

وقال الإقليشي: منع الشرع ما أطلقه العرب من هذا الاسم على المخلوق، وحجر أن يسمى موجود في الوجود خالقاً غير الله تعالى؛ لأنه مخترع الأعيان ومقدر الأشياء، فاتصاف العبد بالاختراع باطل قطعاً، واتصافه بالتقدير مجاز، لأن التقدير الذي يقدره العبد مخترع له في الوقت الذي يقدره فهو منسوب لله تعالى حقيقة وللعبد مجازاً. (١٧)

والخلاصة: أن الخلق بمعنى الإيجاد من العدم محتص به سبحانه وتعالى، ... أما الخلق بمعنى التجميع من شيء أوجده الله وتركيبه أو توظيفه ضمن النواميس التي قدرها الله تعالى وأوجدها وعلها الإنسان وأذن الحق سبحانه وتعالى بإستعمالها وتوظيفها وتركيبها فهذا قد ينسب إلى الإنسان لا على سبيل الحقيقة والإيجاد من العدم، وذلك كصناعة السيارات مثلاً أو غير ذلك من الإلكترونيات، فإن الله خالق المواد والإنسان أبداع في تركيب وتوظيف هذه المواد، وكتريك الكلمات ومنه قوله تعالى: {وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءً} (٢٧) .

ثمرة معرفة اسم الله الخالق وحده لا شريك له

إذا عرف المكلف أن الله جل وعلا وحده لا شريك له خالق كل شيء وحده لا شريك له، وعرف أن السموات والأرض ومن فيهن والكون بما فيه مخلوق له سبحانه وتعالى؛ آمن به ووجب عليه أن يفرد بالعبادة، قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ

(١٧) - الآسنى في شرح اسماء الله الحسنى ص ٤٠٨.

(٢٧) - سورة العنكبوت الآية (١٧) .

الْعَالَمِينَ} (١٧) ، وقال جل شأنه: {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (٢٧) ، وأن يشكره على نعمة الخلق فهو الذي أعطى كل مخلوق خصائصه في التصوير، وقدر رزقه، فبيد الخالق البارئ المصور كل شئون الخلق، يمنعمهم ويعطيهم ويتفضل عليهم ويرحمهم.

ولهذا فإن المؤمن يعبد الله ويرجوه ويسأله الرحمة والفوز والفلاح، لأنه يعلم أن الله خالق كل شيء، فهو يعبد الله، ويرحم عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، وفي الحديث النبوي: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طَبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً فَبِهَا تَعَطَّفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ) (٣٧) .

ولهذا فإن من عرف أن الله خالقه ورازقه، وأن مدار الدنيا، وكل نفع وضرر، وإعطاء ومنع، وإحياء وإماتة، ومجازاة على الحسنات

والسيئات؛ بيد الله؛ التزم طاعة خالقه وابتعد عن ظلم الناس، وعاش في سعادة، ومات على التوحيد، قال تعالى: {قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا

(١٦) - سورة الأعراف الآية (٥٤) .

(٢٦) - سورة الأنعام الآية (١٠٢) .

(٣٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب في سعة رحمة الله تعالى حديث (٤٩٤٦) .

٤٠٩ دعاء الله باسمه الخالق

تَزْرُ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} (١٦) ، وقال سبحانه: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ* الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ} (٢٦) .

دعاء الله باسمه الخالق

يا الله يا خالق يا رحمن يا رحيم خلقتني سوياً وخلقنتني خلقاً رضيعاً، فكن لي ولياً، وكن بي حفيماً، فأنت الذي خلقتني من العدم، فاسبغ علي وعلى جميع المؤمنين جزيل النعم، واصرف عنا النقم، واجعلني والمؤمنين من الشاكرين لآلائك، المحبين لأوليائك، المتبعين لنبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم أنبيائك ورسلك، ونسألك اللهم يا خالق كل شيء، يا خالق السماوات والأرض، رب كل شيء ومليكه؛ الدرجات العلا من الجنة، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين.

(١٦) - سورة الملك الآيات (١٦١-١٦٥) .

(٢٦) - سورة الملك الآيات (٣-١) .

٥ الفصل الرابع القلم

الفصل الرابع

القلم

٥٠١ القلم

القلم

القلم صائغ الكلام، والمعبر عن أجمل البيان بما يخظه من أفصح الكلام، فيظهر ما في النفس من المعاني التي تشرق بها الآمال، وتحقق بها الأعمال، فهو ترجمان القلب وبريد اللسان، وقد نسب إلى بعض ملوك اليونان أنه قال: "أمر الدنيا والدين تحت شيعتين: قلم وسيف، والسيف تحت القلم" (١٦) ، وبالقلم تحفظ العلوم وتعلم، وتدون الأفكار وتنشر، ولولاه لما انتظم عقد البيان، ولما شاع العلم بين الأنام، فيه خطت المقادير، وأجريت التدابير، وهو أول ما خلق الله العزيز القدير، وفي الحديث الشريف: (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ) (٢٦) ، وأول ما نزل من القرآن الكريم قول العزيز

الحكيم: {أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَفْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} (٣٦) ، وفي ذلك دليل وبرهان على عظيم تكريم الله تعالى للإنسان الذي علمه بالقلم ما لم يكن يعلم، ألا ترى أن الحق سبحانه وتعالى أمر نبيه بالقراءة باسمه تبارك وتعالى، ثم ذكر التفضيل على عباده بخلقه إياهم، وما ندهم له بذلك من البقاء الدائم والنعم المتصل، لمن آمن به ووحدته وصدق نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم أتبع ذلك بذكر الإنعام عليهم بما

- (١٦) - انظر أدب الكتاب تأليف الإمام أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ شرح وتعليق احمد حسن لبيح، ص ٣٦، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
 (٢٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب في القدر حديث (٤٠٧٨) .
 (٣٦) - سورة العلق الآيات (١-٥) .

٥.٢ القلم تحيا به الأمم وتتعلم

علمهم من الكتاب الذي به قوام أمر دينهم وديناهم، واستقامة معاشهم وحفظها، ولولا أن من لا يحسن الكتابة يجد ممن يحسنها معونة وإبانة عنه، لما استقام له أمر، ولا تم له عزم، ولحل محل الصور الممثلة، والبهايم المهملة. ومعنى قوله (الذي علم بالقلم) : الذي علم الكتابة بالقلم. (١٦)

القلم تحيا به الأمم وتتعلم

القلم به تحيا الأمم وتتعلم فهو الذي يعبر به عما في الضمير، وهو طيب المنطق ويريد القلب، قال عبد الحميد الكاتب: "القلم شجرة ثمرتها الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة"، وقال ابن المقفع: "القلم بريد القلب يخبر بالخبر وينظر بلا نظر"، وقيل: "القلم سفير العقل، ورسوله الأنبل، ولسانه الأطول، وترجمانه الأفضل، والقلم أصم يسمع النجوى، وأخرس يفصح بالدعوى، وجاهل يعلم الفحوى"، وقيل: "عقول الرجال تحت أقدامها، والقلم راقد في الأفئدة مستيقظ في الأفواه"، وبمداد أقلام العلماء وسيوف الشجعان الحكماء من المجاهدين العظماء بنيت الممالك وأمن الناس من المهالك، ورحم الله من سجل بقلمه ما يدعو المسلمين إلى الاجتهاد والجهاد، فقال:

يا أيها المغمدان السيف والقلم ... متى يسح مداد منكما ودم (٢٦)

(١٦) - أدب الكتاب ص ١١.

(٢٦) - هذا البيت للعلامة يحيى بن محمد بن الهادي قاضي الشرع في جبل صبر في عهد الإمام يحيى من قصيدة طويلة ضمن ديوانه المخطوط.

٥.٣ دور القلم في سعادة الأمم وشقاؤها

وقال آخر:

هَذَا الزَّمَانُ تُنَادِيكُمْ حَوَادِثُهُ ... يَا دَوْلَةَ السَّيْفِ كَوْنِي دَوْلَةَ الْقَلَمِ
فَالسَّيْفُ يَهْدِمُ جَبْرًا مَا بَنَى سَحْرًا ... وَكُلُّ بُنْيَانٍ عِلْمٌ غَيْرُ مَهْدِمٍ (١٦)

دور القلم في سعادة الأمم وشقاؤها

للقلم دور في سعادة الأمم وشقاؤها، وله نصيب في مدحها وهجائها، فبه يتعلم الجاهل، ويظفر العاقل، وقديماً قيل: "القلم لسان البصر يناجيه بما استتر عن الأسماع، إذا نسح حله وأودعها حكمه"، فهو أنف الضمير إذا رعى أعلن أسرارها وأبان آثاره، وبنوء القلم تصوب

الحكمة، وقال ابن أبي دؤاد: "القلم الدنيا والآخرة". (٢٠) وفي الأمثال السائرة: "عقول الرجال تحت أسنة أقلامها"، وقيل: "الأقلام مطايا الفطن".

ويرحم الله شوقي حيث يقول:

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ خَيْرَ مُعَلِّمٍ ... عَلَّمْتَ بِالْقَلَمِ الْقُرُونَ الْأُولَى
أَخْرَجْتَ هَذَا الْعَقْلَ مِنْ ظُلُمَاتِهِ ... وَهَدَيْتَهُ النُّورَ الْمُبِينَ سَبِيلًا
وقال ابن أبي حصينة (٣٠):

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا ظُهُورَ الرِّكَابِ ... وَأَحْسَنَ عَنِّي جَزَاءَ الْقَلَمِ

(١٠) - هذان البيتان لأحمد شوقي من قصيدة مطلعها:

الدَّهْرُ يَقْظَانُ وَالْأَحْدَاثُ لَمْ تَمِّ ... فَمَا رُقَادُكُمْ يَا أَشْرَفَ الْأُمَمِ

(٢٠) - أدب الكتاب ص ٦٣.

(٣٠) - الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار بن أبي حصينة أبو الفتح الشامي. (٣٨٨-٤٥٧هـ/٩٩٨-١٠٦٤م) شاعر من الأمراء ولد ونشأ في معرة النعمان بسورية انقطع إلى دولة بني مرداس في حلب فامتدح عطية بن صالح المردي فملكه ضيعة فأثرى، وأوفده ابن مرداس إلى الخليفة المستنصر العلوي بمصر رسولا سنة ٤٣٧هـ فمدح المستنصر بقصيدة وأعقبها بثانية سنة ٤٥٠هـ فنحه المستنصر لقب الإمارة، ثم كتب له سجلا بذلك فأصبح يحضر في زمرة الأمراء ويخاطب بالإمارة وتوفي في سروج، له (ديوان شعر - ط) طبع بعناية المجمع العلمي بدمشق مصدرا بمقدمة من إملاء أبي العلاء المعري وقد قرئ عليه.

وقال أيضا:

مَا أَقْبَحَ الْعَرَضَ مَدْنُوسًا بِفَاحِشَةٍ ... يَخْطُهَا اللَّوْحُ أَوْ يَجْرِي بِهَا الْقَلَمُ

وقال بعض الكتاب: "القلم الرديء كالولد العاق"، وقالوا: "القلم أحد اللسانين، والعم أحد الأبوين، والثابت أحد العفوين، والمطل أحد المنعنين، وقلة العيال أحد اليسارين، والقناعة أحد الرزقين، والوعيد أحد الضربين، والرواية أحد الهاجيين، والهجر أحد الفراقين، واليأس أحد النجحين، والمزاح أحد السبابين"، وقيل: "القلم لسان اليد"، وقد فاخر صاحب سيف صاحب قلم، فقال صاحب القلم: أنا أقتل بلا غرر وأنت تقتل على خطر، فقال صاحب السيف: القلم خادم السيف فإن بلغ مراده وإلا فإلى السيف معاده، أما سمعت قول أبي تمام:

(١٠):

السِّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

أما الصنوبري (٢٠) فهو يقول:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْخِنْجَرَ الْقَلَمُ ... مِنْ قَبْلِ هَذَا وَلَا أَنَّ الْمِدَادَ دَمٌ

(١٠) - حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، (١٨٨-٢٣١هـ/٨٠٣-٨٤٥م) ، أحد أمراء البيان، ولد بجاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازته وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق ثم ولي بريد الموصل فلم يتم سنين حتى توفي بها، كان أسمر، طويلاً، فصيحاً، حلوا الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطع، في شعره قوة وجزالة، له تصانيف، منها فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ومختار أشعار القبائل، ونقائض جرير والأخطل، نُسب إليه ولعله للأصمعي كما يرى الميمني، نشأ في دمشق وعمل حائكاً فيها ثم انتقل إلى حمص وبدأ بها حياته الشعرية، وفي أخبار أبي تمام للصولي: أنه كان أجش الصوت يصطحب راوية له حسن الصوت فينشد شعره بين يدي الخلفاء والأمراء.

(٢٠) - أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار الضبي الحلبي الأنطاكي أبو بكر، المتوفى سنة ٣٣٤هـ ٩٤٥م، شاعر اقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار، وكان ممن يحضر مجالس سيف الدولة تنقل بين حلب ودمشق وجمع الصولي ديوانه في نحو ٢٠٠ ورقة وجمع

الشيخ محمد راغب الطباخ ما وجده من شعره في كتاب سماه (الروضيات-ط) صغير، وفي كتاب (الديارات-ط) للشابستي زيادات على ما في الروضيات.

حَتَّى كَتَبْتَ فَمَا أَبْقَيْتَ جَارِحَةً.....إِلَّا وَفِيهَا عَلَى مِقْدَارِهَا أَلْمُ
يَا كَاتِبًا جَرَحْتَ رُوحِي كَتَابَتُهُ ... وَالْجُرْحُ فِي الرُّوحِ جَرَحٌ لَيْسَ يَلْتَمُّ
إِذْهَبَ حَقُّ أَمِيرٍ أَنْتَ كَاتِبُهُ ... أَنْ لَا يَقُومَ لَهُ عُرْبٌ وَلَا عَجْمٌ

وقال بشر بن الحارث (١٦) : "لسان الإنسان قلم ملكه الموكل به، وريقه مداده، وقرطاسه جلده، يملي عليه كتاباً إلى ربه، فلينظر الإنسان قبل فوت النظر ماذا يملي"، وفي الذكر الحكيم: {وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} (٢٦) ، وفي سورة ق: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْتِسُوْسٌ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (٣٦) ، وفي سورة عبس يقول المولى جل وعلا: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ} (٤٦) ، فالسفرة الكتابة الواحد سافر واجمع سفرة مثل كافر وكفرة، ومعنى سافر كاتب يكتب في الأسفار واحداً سفرة وهي الصحف وسفر إذا كتب من سفر فهو سافر، ورحم الله القائل:

ونحن الكاتبون وقد أسأنا ... فهبنا للكرام الكاتبين

وبالقلم كتب القرآن وجمع، وبه حفظت الألسن والآثار، ووكدت العهود، وسيقت التواريخ، وبقيت الصكوك، وأمن الإنسان النسيان،

(١٦) - بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي أبو نصر الحافي محدث ثقة توفي سنة ٢٢٧هـ.

(٢٦) - سورة الانفطار الآيات (١٠-١٣) .

(٣٦) - الآيات (١٦-١٨) .

(٤٦) - الآيات (١٦-١٧) .

٥.٤ القلم الإلكتروني

وقيدت الشهادات والأحكام، وأنزل الله تعالى في ذلك آية المداينة وهي أطول آية في القرآن. والله در القائل:

إن الكتابة رأس كل صناعة ... وبها تتم جوامع الأعمال

فاحرص أخي على تعلم القراءة والكتابة تظفر بالحسنى وزيادة، ودع عنك المفاخرة بالقلم وتعلم الهجاء والذم، ولطالما تفاخر الشعراء بالقلم ووصفوه بما توصلت إليه أفهامهم في مدائحهم وهجائهم، ومن ذلك قول الشاعر:

فلي قلم في رقه سم أرقم ... تراه إذا أرسلته حيةً تسعى

يزيد سناء الشمس بالمدح بهجةً ... ويلبسها من هجوه خطةً شنعا (١٦)

وقال آخر:

لا تُهاون بصغيرٍ من عدى ... فقديماً كسر الرُحُ القلم

وترقب من سليلٍ صنعه ... فمن البيع قياضٍ وسلم (٢٦)

وقال أبو تمام:

لكَ القلمُ الأعلى الَّذي بِشبابته ... تُصابُ مِنَ الأمرِ الكلى وَالْمفاصلُ

لُعابُ الأفاعي القاتلاتِ لُعابه ... وَأَرِي الجنى إِشثارته أيدٍ عواسلُ

فصيحٌ إِذا استنطقته وهو راكبٌ ... وَأعجمٌ إِذْ خاطبتَهُ وهو راجلُ

والعاقل إنما يكتب بقلمه ما ينفع ولا يضر، فهو لا يسجل لغو الحديث، ولا العمل الخسيس، ولا يكتسب به المآثم، ولا يستحل به المحارم، ولا يسجل به ما يوقع في المعاصي، ويحرض على الملاحية، ويرغب في الشقاء، ويحلب الفتنة، ويتسبب في الأذى، ويدعو إلى ظلم العباد، فما أحسن القلم الذي يقتصر في كتابته على الكلام الجميل، وما يدعو إلى طاعة الملك الجليل، والله در القائل:

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيْفِي ... وَيَبْقِي الدَّهْرَ مَا كَتَبَتْ يَدَاهُ

فَلَا تَكْتُبْ بِكَفِكَ غَيْرَ شَيْءٍ ... يَسْرُكُ فِي الْقِيَامَةِ إِنْ تَرَاهُ (٣٦)

وفي الذكر الحكيم: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} (٤٦) ،
القلم الإلكتروني

لقد كان القرآن الكريم سباقاً إلى الإرشاد بحفظ حقوق العباد وإثباتها كتابةً بالخط المعتاد سواءً كان ذلك بالقلم التقليدي العادي أو بالقلم الإلكتروني، فقد صرح في سورة البقرة بما يفيد التوجيه إلى التوثيق بالكتابة

(١٦) - هذان البيتان من قصيدة للأديب الكبير والشاعر القدير احمد بن محمد الأنسي مطلعها:

أَلَا حَيِّ ذَاكَ الْحَيِّ مِنْ سَاكِنِي صُنْعَاءُ ... فَكَمْ أَحْسَنُوا بِالنَّازِلِينَ بِهِمْ صُنْعَاءُ

وانظر نشر العرف لنبلأء الين بعد الألف للعلامة محمد بن محمد زبارة إعداء مركز الدراسات والبحوث الينبي، ص ٧٨.

(٢٦) - هذان البيتان من قصيدة لأبي العلاء المعري مطلعها:

صَاحِبُ الشَّرْطَةِ إِنْ أَنْصَفَنِي ... فَهُوَ خَيْرٌ لِي مِنْ عَدَلِ ظَلَمِ

(٣٦) - نسبت هذه الأبيات لأمين الجندي، وهو أمين بن خالد بن محمد بن أحمد الجندي (١١٨٠-١٢٥٧هـ/١٧٦٦-١٨٤١م)

شاعر، من أعيان مدينة حمص، مولده ووفاته فيها، تردد كثيراً إلى دمشق فأخذ عن علماءها وعاشراً أدبهاها، ولما كانت سنة ١٢٤٦ هـ قدم حمص عامل من قبل السلطان محمود العثماني فوشى إليه بعض أعوانه بأن أمين الجندي هجاء، فأمر بنفيه، وعلم الشيخ أمين بالأمر ففر إلى حماة، فأدرکه أعوان العامل، فأمر بحبسها في إصطبل الدواب وحبس عنها الطعام والشراب إلا ما يسد به الرمق، فأقام أربعة أيام، وأغار على حمص بمثتي فارس فقتلوا العامل، وأفرج عن الشيخ أمين. له (ديوان شعر - ط) وفي شعره كثير من الموشحات وتواريخ الوفيات الشائعة في أيامه.

(٤٦) - سورة القلم الآيتان (٢٠١) .

٥.٥ الكتابة الإلكترونية: ماهيتها وطبيعتها

والإشهاد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَآكْتُوبُهُ وَلِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ... الآية} (١٦) ،
والأمر بالكتابة دليل على مشروعيتها ويعم ذلك جميع أنواع الكتابة إذا استوفت شروطها وضوابطها؛ سواءً تمت بالقلم التقليدي بالكتابة المعروفة بخط اليد أو بالآلة الكاتبة أو أن هذه الكتابة تمت إلكترونياً أو بأي وسيلة، فالنص يعمها جميعاً، فكلمها يخط به ويسطر به معاني لأي لغة وبأي وسيلة فهو كتابة (٢٦) ، ومما يؤيد ذلك قوله تعالى: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} (٣٦) أي كتاب، وقوله سبحانه وتعالى: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} (٤٦) .

الكتابة الإلكترونية: ماهيتها وطبيعتها

يمكننا في هذه العجالة تعريف ماهية الكتابة الإلكترونية التي تدور عليها رحي المعاملات الإلكترونية في شتى المجالات في العالم المعاصر بالآتي:

((الكتابة الإلكترونية: طبيعتها وماهيتها)) هي عبارة عن المعلومات أو البيانات التي يتم إنشاؤها ومعالجتها وإرسالها أو تخزينها واسترجاعها بوسائل إلكترونية أو ضوئية أو بوسائل مشابهة، فهي: كل حروف أو أرقام أو رموز أو أي علامات أخرى ثبتت على دعامة إلكترونية

أو ضوئية أو أي وسيلة أخرى مشابهة وتعطي دلالة قابلة للإدراك، وسواءً كانت هذه المعلومات المستخدمة لغوية أو غير لغوية مقروءة أو مسموعة أو منظورة اشتملت على عقد أو وعد أو عهد أو إعلام أو التزام أو اتفاق أو قصص أو خبر ... إلخ، وسواء تم إنشاؤها أو تبادلها على شكل رقمي أو تماثلي.

لقد اخترنا في هذا التعريف لفظ (المعلومات أو البيانات التي يتم إنشاؤها ومعالجتها ... إلخ) ، ليشتمل اللفظ بعمومه كل المستندات والسجلات والرسائل ... إلخ التي يتم إنشاؤها ومعالجتها وتخزينها أو استخراجها أو نقلها أو نسخها أو إبلاغها أو استلامها، وعلى مختلف الصور والأشكال التي تتم فيه بوسيلة إلكترونية على وسيط ملموس أو على أي وسيط آخر، وهذا التعريف هو ما تم استخلاصه من مجموع ما أفهمته طبيعة الكتابة الإلكترونية من خلال ما وقفنا عليه من المراجع العلمية، والتي لا تبدو متباينة في معانيها كثيراً وإن اختلفت في بعض أشكالها في الجمل والألفاظ. (٥٦)

أما فقهاء الشريعة الإسلامية فإن الكتابة في مصطلحهم: هي الخط الذي يعتمد عليه في توثيق الحقوق وما يتعلق بها للرجوع إليه عند الإثبات المهور بتوقيع أو ختم أو بهما معاً (٦٦) ، وهذا التعريف بعمومه يشمل: الصك والحجة والمحضر والسجل والوثيقة والبصيرة والكتاب، ويشمل أيضاً

(١٦) - سورة البقرة الآية (٢٨٢) . .

(٢٦) - أحكام التعامل بالإنترنت - بحث من بحوثنا المنشورة على - مجلة التحكيم العدد (٨٥) مارس ٢٠٠٧م ص ١٩ وما بعدها.

(٣٦) - سورة يس الآية (١٢) .

(٤٦) - سورة القلم الآية (١) .

(٥٦) - لتفصيل أوسع انظر: القوة الثبوتية في المعاملات الالكترونية (بحث من بحوثنا) المنشور في مجلة التحكيم ومجلة البحوث القضائية.

(٦٦) - انظر: وسائل الإثبات للدكتور محمد الزحيلي ج ٢ ص ٤١٥ الطبعة الأولى، ومؤلفنا: عمدة المسير ج ٣ ص ٩.

٥.٦ القوة الثبوتية للكتابة الالكترونية

المحركات الرسمية والعرفية والمحركات الإلكترونية والكتابة بالكمبيوتر والفاكس والتلفون، ويشمل جميع أنواع الكتابة التي عرفها الفقهاء.

(١٦)

القوة الثبوتية للكتابة الالكترونية

من المسلم به أن التعرف على طبيعة وماهية الكتابة الإلكترونية التي تتم في أي تعامل أو عقد أو اتفاقية يتم إبرامها أو تنفيذها بشكل كلي

أو جزئي بواسطة الوسائل الإلكترونية لا تكتسب القوة الثبوتية إلا بشروط خمسة:

الشرط الأول: الكتابة: لا اعتبار أن الكتابة هي الأسلوب المعبر عن الإرادة وسبق تعريف الكتابة الإلكترونية.

الشرط الثاني: التوقيع: باعتبار أن التوقيع هو الشرط الجوهري في جميع المحركات فهو يثبت إقرار الموقع على ما هو مدون وموجود في المحرر، فلا ينتج المحرر الإلكتروني آثاره القانونية دون توقيع يميز هوية الموقع ويعبر عن موافقته عليه ضمن الشروط والضوابط التي تشترطها القوانين، وارتباط التوقيع بالموقع وحده دون غيره.

الشرط الثالث: التوثيق: فتوثيق التصرف الذي يتم عبر الوسائل الإلكترونية فيه حفظ لحقوق المتعاملين من إي اعتداء أو غش وهو أمر يستوجب القيام بتوثيق المحرر لدى جهة يتفق عليها وتكون معتمدة من قبل الحكومة وتعنى هذه الجهة بالتحقق من صحة المحرر الذي تم إصداره وتبعية

(١٦) - أحكام التعامل بالإنترنت - بحث من بحوثنا المنشورة على - مجلة التحكيم العدد (٨٥) مارس ٢٠٠٧م ص ٢١ و ٢٢.

أي تغييرات أو أخطاء تحدث، وفي حالة إتمام توثيق المحرر الإلكتروني يتم منح صاحب المحرر رمز التعريف الشخصي الخاص به، ويتم

إصدار هذا الرمز من قبل الجهة المختصة المرخص لها بتوثيق التوقيع الإلكتروني، إذ أنه يهدف التحقق من أن القيد إلكترونياً لم يتعرض لأي تعديل، ... ويعتبر هذا القيد موثقاً من تأريخ التحقق منه، وتكون شهادة التوثيق التي تبين رمز التعريف معتمدة. (١٦)

وتباينت وجهات نظر المقننين في تحديد جهة التوثيق فهو في القانون المصري محول تحديد ذلك لهيئة تنمية صناعة تكنولوجيا المعلومات وفقاً لقانون تنظيم التوقيع الإلكتروني، وهو مناط في التشريع الأردني بمجلس الوزراء تحديد هذه الجهات، كما أسند قانون المعاملات والتجارة الإلكترونية لإمارة دبي التوثيق إلى رئيس الحكومة لإصدار قرار لتعيين مراقب لخدمات التصديق لغرض ترخيص وتصديق ومراقبة مزودي خدمات التصديق، وحدد المشرع التونسي الوكالة الوطنية للمصادقة الإلكترونية. (٢٦)

(١٦) - انظر: المواد (٣٢-٣٦) من قانون أنظمة الدفع والعمليات المالية والمصرفية الإلكترونية اليمني، الصادر بالقانون رقم (٤٠) لسنة ٢٠٠٦م

(٢٦) - انظر: المادة (١٩) وما بعدها من قانون تنظيم التوقيع الإلكتروني المصري، والمادة (٢) من قانون المعاملات الإلكترونية الأردني، والمادة (٢) من قانون المعاملات والتجارة الإلكترونية لإمارة دبي، والفصل الثامن إلى العاشر من قانون المبادلات والتجارة الإلكترونية التونسي.

الشرط الرابع: إمكانية الاحتفاظ بالحرر الإلكتروني في شكله الأصلي المتفق عليه، دون أن يلحقه أي تغيير: وهو ما أفصحت عنه التشريعات الخاصة بالمعاملات الإلكترونية. (١٦)

الشرط الخامس: إمكانية استرجاع المحررات الإلكترونية المحفوظة، بحيث لا تتعرض للحو، والحو في اللغة: تعفية الأثر حتى لا يرى. ويروى عن الأصمعي: لم سمّ العرب الشمال محوة؟ قال: لأنها تحو السحاب ولا يرى شخصه، واستدعى أبو نواس (٢٦) أن يكثر له المكاتب الحو في كتابه فقال:

كَثْرِي الْحَوْ فِي الْكُتَابِ وَجِيءٌ ... بِهِ بَرِيقِ اللِّسَانِ لَا بِالْبَنَانِ
وَأَمْرِي الْحَزَامِ بَيْنَ ثَنِيَا ... كِ الْعَذَابِ الْمُفْلَجَاتِ الْحِسَانِ
إِنِّي كُلَّمَا مَرَرْتُ بِسَطْرِ ... فِيهِ حَوْ لَطَعْتُهُ بِلِسَانِي
فَأَرَى ذَاكَ قُبْلَةً مِنْ بَعِيدٍ ... أَسْعَدْتَنِي وَمَا بَرِحْتُ مَكَانِي

(١٦) - انظر: المادة (٢) من قانون الأونستيرال النموذجي، والمادة (٨) من قانون المعاملات الإلكترونية الأردني، والمادة (٨) من قانون المعاملات والتجارة الإلكترونية لإمارة دبي، والمادة (٩) من قانون التجارة البحري، والمادة (١١) من قانون أنظمة الدفع والعمليات المالية والمصرفية الإلكترونية اليمني.

(٢٦) - الحسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء. (١٤٦-١٩٨هـ/٧٦٣-٨١٣م)، شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها، وعاد إلى بغداد فأقام بها إلى أن توفي فيها، كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمي، أمير خراسان، فنسب إليه، وفي تاريخ ابن عساكر أن أباه من أهل دمشق، وفي تاريخ بغداد أنه من طيء من بني سعد العشيرة، هو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية، وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره نغمياته.

٥.٧ تسمية ما يكتب فيه عند العرب

ومحوت الكتاب أحوه محواً بالواو، وهي في لغة: محيت أمحي محياً، وفي أمثال العرب: "ما أنت إلا ممحياً كاتباً"، فإذا أمرت قلت: احُ، والواو أفصح وبها نزل القرآن: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} (١٦) .

تسمية ما يكتب فيه عند العرب

تسمي العرب ما يكتب فيه القرطاس أو الصحيفة أو السفر، ويجمع القرطاس على قرطيس، والصحيفة على صحائف، والسفر على أسفار

(٢٠) ، وقد نزل القرآن بجميعها، ففي سورة الأنعام يقول الحق سبحانه وتعالى: {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَاسٍ فَلَمَّسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} (٣٦) ، ويقول جل شأنه: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُ قِرطَاسٍ يُدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} (٤٦) .

وقد أكثر العرب من ذكر القراطيس في أخبارهم وأشعارهم ومن ذلك قول العباس بن الأحنف (٥٦) :

(١٦) - سورة الرعد الآية (٣٩) .

(٢٦) - أدب الكتاب ص ١٠٤ .

(٣٦) - الآية (٧) .

(٤٦) - سورة الأنعام الآية (٩١) .

(٥٦) - العباس بن الأحنف بن الأسود، الحنفي (نسبة إلى بني حنيفة) ، البجلي، أبو الفضل، المتوفى (١٩٢هـ/٨٠٧م) شاعر غزل رقيق، قال فيه البحري: أغزل الناس، أصله من الإمامة بنجد، وكان أهله في البصرة وبها مات أبوه ونشأ ببغداد وتوفي بها، وقيل بالبصرة. خالف الشعراء في طرقهم فلم يمدح ولم يهج بل كان شعره كله غزلاً وتشبيهاً، وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي، قال في البداية والنهاية: أصله من عرب خراسان ومنشأه ببغداد. جاء الرسول بقراطيس فشقني ... منها فأحببت منه كل قراطيس فيه معاتبته منها تذكركني ... ما كان منها كآني غافل ناس وقال آخر:

إن القراطيس من نفسي بمنزلة ... تكون كالسمع والعينين في الراسي

لولا القراطيس مات العاشقون معاً ... هذا بغم وهذم بوسواسي

أما ابن مكنسة (١٦) فهو يقول:

أهلاً بها جنة أهد ثمار نهي ... وعرس الطرف فيها أي تعريس

ما دار في خلدني لولا كتابكم ... أن البساتين تهدي في القراطيس

وقال آخر:

وشق قراطيس من تهوى وكن حذرا ... يارب ذي ضيعة من حفظ قراطيس

أما الأسفار فقد ورد ذكرها في كلام العزيز الجبار إخباراً عن أحوال من حملوا التوراة ثم لم يحملوها قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (٢٦) ، وفي ذلك عظة واعتبار، فمن ذا الذي يجب أن يكون مثل الحمار لا يعمل بما تحويه الأسفار؟! فحظه من حملها مثل حظ الحمار.

(١٦) - إسماعيل بن محمد، أبو طاهر المعروف بابن مكنسة (ت ١١١٦هـ/٥١٠م) شاعر مكثر، من أهل الإسكندرية، أورد العماد الأصفهاني مختارات حسنة من شعره.

(٢٦) - سورة الجمعة الآية (٥) .

وقد ورد ذكر الأسفار في أخبار العرب وأشعارهم، في إقامتهم وأسفارهم، وفي مديحهم وفي هجائهم، وقد أحسن ابن الصباغ حيث يقول في مدح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

أي الكتاب بفخره قد أنزلت ... وبمدحه قد نظمت أسفار

أما العلامة أحمد بن حجر العسقلاني (١٦) فهو يقول:

سلوا النجم يشهد أنني بت ساهداً ... وإلا الدجى هل طاب لي فيه مضجع

أُطَالِحُ أَسْفَارَ الْحَدِيثِ تَشَاغُلًا ... لِأَقْطَعَ أَسْفَارِي بِخُبْرٍ يَجْمَعُ

فليس للأسفار بعد الحفظ من فائدة غير دراستها والعمل بما فيها، ولقد كان ذلك دأب العلماء كما هو حال العلامة ابن حجر. أما أحمد الكاشف (٢٦) فهو يرى أن العلم ما دارت به الأيام لا ما حوته الكتب والأسفار فيقول:

والعلم ما دارت به الأيام لا ... ما جاء في كتب وفي أسفار

(١٦) - أحمد بن علي بن محمد الكافي العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين بن حجر، (٧٧٣-٨٥٢هـ/١٣٧١-١٤٤٩م)، من أئمة العلم والتاريخ أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت شهرته فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام في عصره، وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفاً بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين صبيح الوجه، وولي قضاء مصر عدة مرات ثم اعتزل، تصانيفه كثيرة جليلة منها: (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة-ط)، و (لسان الميزان-ط) تراجم، و (ديوان شعر-خ)، و (تهذيب التهذيب-ط)، و (الإصابة في تمييز الصحابة-ط) وغيرها الكثير.

(٢٦) - أحمد بن ذي الفقار بن عمر الكاشف، (١٢٩٥-١٣٦٧هـ/١٨٧٨-١٩٤٨م)، شاعر مصري، من أهل القرشية (من الغربية بمصر)، مولده ووفاته فيها قوقازي الأصل، قال خليل مطران: الكاشف ناصح ملوك، وفارس هيجاء ومقرع أمم، ومرشد حيارى، له ديوان شعر-ط).

والظاهر أن الأيام تعلم وتفيد أن من لم يعمل بعلمه ويستفيد من الأسفار فإن الأسفار لا تفيده فهو كمثل الحمار، كما أعلم الحق سبحانه وتعالى بذلك.

أما الصحف فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في اخبار الله العلي العظيم الدالة على كمال حكمته وجليل قدرته وصدق نبوءة محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم: {إِنَّ هَذَا لَنَبِيٍّ لِّمَنِ الْوَحْيُ الْأَوَّلِيُّ * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} (١٦)، وفي سورة طه: {وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوْلَىٰ أَوْلَىٰ تَأْتِيهِمْ بَيْنَهُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأَوَّلِيَّةِ} (٢٦)، وفي سورة التكويد النبأ اليقين: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُعِرَتْ * وَإِذَا الْجِنَّةُ أُرْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ} (٣٦).

ويغفر الله لابن الأحنف حيث يقول:

صَحَائِفُ عِنْدِي لِلْعِتَابِ طَوِيَّتْهَا ... سَتُنَشْرُ يَوْمًا وَالْعِتَابُ يَطُولُ
عِتَابُ لَعْمَرِي لَا بِنَانٌ تَخْطُهُ ... وَلَيْسَ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ رَسُولٌ

ولله در القائل:

يا حروفاً قد أضاءت في الصحف ... أخبرتني بأحاديث السلف

(١٦) - الآيات (١٨ و ١٩).

(٢٦) - الآية (١٣٣).

(٣٦) - الآيات (١٠-١٤).

قدرها عندي لو تعلمه..... كل فضل وجلال وشرف (١٦)

أما أبو العلاء المعري فهو يقول:

وَجَاءَتْ صَحَائِفُ قَدْ ضُمَّتْ ... كَبَائِرَ آثَامِهِمُ وَاللَّهِمَّ

رَأَيْتُ بَنِي الدَّهْرِ فِي غَفْلَةٍ ... وَلَيْسَتْ جَهَالَتُهُمْ بِالْأُمَّمِ

فَنُسْكَ أَنْاسٍ لِّضَعْفِ الْعُقُولِ ... وَنُسْكَ أَنْاسٍ لِّبَعْدِ الْهِمَمِ

ويقول أبو فراس الحمداني (٢٦):

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا صَحَائِفٌ ... لِأَحْرَفِهَا مِنْ كَفِّ كَاتِبِهَا بَشَرٌ
أما عماد الدين الأصبهاني (٣٦) فهو يقول:
وما هذه الأيامُ إلاَّ صحائفٌ ... يؤرِّخُ فيها ثمَّ يمحي ويُمحِقُ
وعلى نفس المنوال سلك عمارة اليمني (٤٦) حيث يقول:

(١٦) - مقامات القرني العلامة والأديب الكبير صاحب القلم السيال واللسان العذب والكلام الطيب والعلم الغزير الدكتور عائض

بن عبد الله القرني، ص ٢١٥، طبعة مكتبة الصحافة الشارقة- الامارات مكتبة التابعين- القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٢٦) - الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربيعي، أبو فراس (٣٢٠-٣٥٧ هـ/٩٣٢-٩٦٧م) شاعر أمير، فارس، ابن عم سيف الدولة. له وقائع كثيرة، قاتل بها بين يدي سيف الدولة، وكان سيف الدولة يحبه ويحله ويستصحبه في غزواته ويقدمه على سائر قومه، وقلده منبج وحران وأعمالها، فكان يسكن بمنبج ويتنقل في بلاد الشام، جرح في معركة مع الروم، فأسروه وبقي في القسطنطينية أعواماً، ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة، قال الذهبي: كانت له منبج، وتملك حمص وسار ليملك حلب فقتل في تدمر، وقال ابن خلّكان: مات قتيلاً في صدد (على مقربة من حمص)، قتله رجال خاله سعد الدولة.

(٣٦) - محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله أبو عبد الله عماد الدين الأصبهاني (٥١٩-٥٩٧ هـ/١١٢٥-١٢٠١م)

مؤرخ عالم بالأدب، من أكابر الكتاب، ولد في أصبهان، وقدم بغداد حدثاً، فتأدب وتفقه، واتصل بالوزير عون الدين "ابن هبيرة" فولاه نظر البصرة ثم نظر واسط، ومات الوزير، فضعف أمره، فرحل إلى دمشق، فاستخدم عند السلطان "نور الدين" في ديوان الإنشاء، وبعثه نور الدين رسولاً إلى بغداد أيام المستنجد ثم لحق بصلاح الدين بعد موت نور الدين، وكان معه في مكانة "وكيل وزارة" إذا انقطع (الفاضل) بمصر لمصالح صلاح الدين قام العماد مكانه، لما مات صلاح الدين استوطن العماد دمشق ولزم مدرسته المعروفة بالعمادية وتوفي بها، له كتب كثيرة منها (خريدة القصر- ط) وغيره، وله (ديوان شعر) .

(٤٦) - عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المدحجي اليمني، أبو محمد، نجم الدين (ت ٥٦٩هـ/١١٧٤م) مؤرخ ثقة، وشاعر فقيه أديب، من أهل اليمن، ولد في تهامة ورحل إلى زيد سنة ٥٣١هـ، وقدم مصر برسالة من القاسم بن هشام (أمير مكة) إلى الفاتح الفاطمي سنة ٥٥٠هـ في وزارة (طلّاح بن رزيق) فأحسن الفاطميون إليه وبالغوا في إكرامه، فأقام عندهم، ومدحهم. ولم يزل موالياً لهم حتى دالت دولتهم وملك السلطان (صلاح الدين) الديار المصرية، فرثاهم عمارة واتفق مع سبعة من أعيان المصريين على الفتك بصلاح الدين، فعلم بهم فقبض عليهم وصلبهم بالقاهرة، وعمارة في جملتهم. له تصانيف، منها (أخبار اليمن- ط) ، و (أخبار الوزراء المصريين- ط) ، و (المفيد في أخبار زبيد) ، و (ديوان شعر-خ) .

وما هذه الأعمارُ إلاَّ صحائفٌ ... تؤرِّخُ وقتاً ثمَّ تُمحي وتُمحِقُ

أما مطلق بن عبد الخالق (١٦) فهو يقول:

وما كنت أخشى الموت لولا صحبي ... فة لو انقلبت بيضاء ساد سكون

وذهب كثير من الشعراء على اعتبار الحياة صحيفة يؤرخ فيها كل شيء، وهي كذلك، لا يدوم فيها نعيم، ولا تخلو من هم وغم، وإنما هي

دار ابتلاء وامتحان، قال تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} (٢٦) ، فالعاقل لا يثق بها بل يثق

بالله الواحد القهار، فهو يأخذ من وجهها الكظيم ابتسامة عريضة يسير فيها سيرة الحكماء الأعزة الكرام لأنه يعلم أن اليوم الذي يراك

الناس فيه مخبراً غداً ستكون فيه خبراً من الأخبار، ويرحم الله القائل:

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِي ... مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ قَرَارٍ

بِنَا يَرَى الْإِنْسَانَ فِيهَا مُخْبِرًا ... حَتَّى يَرَى خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ

طُبِعَتْ عَلَى كَدْرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا ... صَفَوْا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ

لَيْسَ الزَّمَانُ وَإِنْ حَرَصْتَ مُسَالِماً... خُلِقَ الزَّمَانُ عَدَاوَةَ الْأَحْرَارِ

(١٦) - مطلق بن عبد الخالق الناصري، شاعر فيه صوفية، وفي شعره فلسفة، من أهل الناصرة (بفلسطين) ولد وتعلم ابتدائياً بها، وأكمل تحصيله الثانوي في روضة المعارف بالقدس، وعمل في الصحافة محرراً ورئيساً للتحرير، وفي التدريس فكان مديراً لإحدى المدارس الوطنية بحيفا، توفي بحادث سيارة في حيفا، ودفن في بلده، له (الرحيل-ط) ديوان شعره جمع وطبع بعد وفاته.

(٢٧) - سورة الإنسان الآية (٢) .
فالعاقل لا يقتله اليأس فهو يستطيع أن ينهض بعد الكبوة وأن ينتصر بعد الإخفاق ويملاً صحيفته وأيامه وتاريخه بالأعمال الصالحة والخلق الكريم، فأصح سمعك إلى التشجيع والحماسة التي يتحدث عنها الشابي (١٦) حيث يقول:

وَقَالَتْ لِي الْأَرْضُ لِمَا سَأَلْتُ ... أَيَا أُمَّ هَلْ تَكْرَهِينَ الْبَشَرَ
أُبَارِكُ فِي النَّاسِ أَهْلَ الطُّمُوحِ ... وَمَنْ يَسْتَلِدُّ رُكُوبَ الْخَطَرِ
وَالْعَنْ مَنْ لَا يَمَاشِي الزَّمَانَ ... وَيَقْنَعُ بِالْعَيْشِ عَيْشَ الْحَجْرِ

فضع نفسك في المحل الذي يجبه الله تعالى ويرضاه، وأهتم بنظافتك وعملك وتذكر أن الله جل وعلا يقول: { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (٢٦) ، ويقول: { مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } (٣٦) .

ابتعد عن الذين يحبطون عزيمتك، ويفترون إصرارك فهم أعداؤك، وتأمل معي قول الحق تبارك وتعالى: { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (٤٦) .

(١٦) - أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الشابي، شاعر تونسي في شعره نفحات أندلسية، ولد في قرية الشابية من ضواحي توزر عاصمة الواحات التونسية في الجنوب، قرأ العربية بالمعهد الزيتوني بتونس وتخرج من مدرسة الحقوق التونسية وعلت شهرته، ومات شاباً بمرض الصدر ودفن في روضة الشابي بقريته، له (ديوان شعر-ط) و (كتاب الخيال الشعري عند العرب) و (آثار الشليبي-ط) و (مذكرات-ط)

(٢٧) - سورة الأعراف الآية (٣١) .

(٣٦) - سورة الأنعام الآية (٣٨) .

(٤٦) - سورة البقرة الآية (٢٦٨) .

إن كلمات مفعمة بالتشجيع مصبوغة بالإصرار والتحدي قد تصنع في النفس ما لا تصنعه الملايين ولا القصور، وقد تبعث فيها من الأمل ما لا يقدر عليه الأطباء والعقاقير، تدبر قول الحق تبارك وتعالى: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (١٦) ، وتذكر أن كلما تحويه صحيفة أعمالك هو ما تسجله أنت بأعمالك وأفعالك، وفي الذكر الحكيم: { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } (٢٦) .

فالله حفيظ لا ينسى كل أعمالك، وكل أقوالك، وكل مواقفك، وكل عطاءتك، وكل منعك، وكل الصراعات التي في ذهنك، فأعمالك كلها مسجلة، قال الله تعالى: { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } (٣٦) .

(١٦) - سورة إبراهيم الآيات (٢٤ و٢٥) .

(٢٦) - سورة الزلزلة الآيات (٨ و٧) .

(٣٦) - سورة آل عمران الآية (١٨١) .

٥٠٨ الكتب إنشاؤه وزبره

الكتبُ إنشاؤه وزبره

الكتبُ في اللغة: ضم بعضه إلى بعض، يقال: كتبت الشيء كتباً وكتباً وكتابة، ويقال أيضاً: أكتب فهو مكتب، واكتبت الرجل ما أراد أكتبه اكتباً جمعته له وأمليته عليه، ويقال: زبرت الكتاب إذا كتبتة أزره زبراً، وزبرت الكتاب كتبتة. وروي أن شبل البرجمي رأى إبراهيم بن العباس وهو يكتب فقال:

ينظم اللؤلؤ المنشور منطقه ... وينظم الدر بالأقلام في الكتب (١٦)

أما إنشاء الكاتب الكتاب فهو ابتداء عمله، تقول العرب: أنشاء يفعل إنشاءً يقول كذا إذا ابتداءً، وإذا أمرت قلت: أنشئ الكتاب بإثبات الياء في الكلام وانلخظ لأن هذه الياء هي همزة فذهبت للأمر منها الحركة (٢٦)، وفي الذكر الحكيم: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} (٣٦)، {وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى} (٤٦) .

فالكتاب كنز الإفادة، وعنوان السعادة، به يبلغ الإنسان الكمال، وقد أحسن من قال:

ملت كل جليس كنت آلفه ... إلا الكتاب فلا يعدله إنسان

عاشرته فأراني كل مكرمة ... له علي رعاه الله إحسان (٥٦)

والكتاب إذا خان الصديق وفي، وإذا تكدر الزمان صفي، فجراه الله أفضل الجزاء، فقد أغنانا الله به عن مجالسة الثقلاء والبخلاء، والله در القائل:

أغلقت بيتي على نفسي ومكتبتي ... معي العلوم بها ذكر وأثار

جالست في البيت أهل العلم كلهم ... هم في الحقيقة إخوان وسمار

(١٦) - أدب الكتاب ص ٨٥ و ١١٤ .

(٢٦) - أدب الكتاب ص ١١٩ .

(٣٦) - سورة يس الآية (٧٩) .

(٤٦) - سورة النجم الآية (٤٧) .

(٥٦) - مقامات القرني ص ٢١٤ .

٥٠٩ السطر

كن حلس بيتك مثل السيف في كرم..... في غمده وهو للأعناق بتار (١٦)

السطر

السطر في اللغة هو الأثر المستطير على استواء جمعه أسطار وأسطر وسطور، ويقال للذي يصلح بها الورق: سطوره في دفاتره حتى لا تعوج سطوره (مسطره) (٢٦)، وفي لسان العرب: السَطْرُ والسَطْرُ الصَّفُّ من الكتاب والشجر والنخل ونحوها (٣٦)، وفي الذكر الحكيم: {وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ} (٤٦) أي مكتتب قد سطر، وتقول: كل شيء مستطر أي مكتتب، قال تعالى: {وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ

مُسْتَطَرٌّ} (٥٦) .

قال الشاعر:

مُسْتَطَرٌّ أَنَا مِنْ خَوْفِ الرَّدَى ... كُلُّ شَيْءٍ فِي كِتَابٍ مُسْتَطَرِّ

غَفَرَ اللَّهُ لِعَبْدٍ غَافِلٍ ... هُوَ فِي أَعْظَمِ جَهْلٍ وَخَطَرٍ

تَرَكَ الْآجِلَ لَمْ يَحْفَلِ بِهِ ... وَمَنْ الْعَاجِلِ لَمْ يَقْضِ الْوَطْرَ

حَكَمَ الرَّبُّ لِبَدْرِ فَاسْتَوَى ... وَهَلَالَ مُسْتَجِدًّا فَنَاطِرٌ
تُظْهِرُ الدِّينَ وَتُخْفِي غَيْبَهُ ... إِنَّمَا شَأْنُكَ مَكْرٌ وَبَطْرٌ (٦٦)

- (١٦) - مقامات القرني ص ٢١٦ .
(٢٦) - أدب الكتاب ص ١٢٠ .
(٣٦) - لسان العرب ج ٤ ص ٣٦٣ .
(٤٦) - سورة الطور الآيتان (٢٠١) .
(٥٦) - سورة القمر الآية (٥٣) .
(٦٦) - تنسب هذا الأبيات لأبي العلاء المعري .

٥.١٠ الكتاب عرضه وحفظه

الكتاب عرضه وحفظه

عرض الكتاب يعني إمراره وتصفحه يقال عرضت الكتاب أعرضه عرضاً إذا أمرته على طرفك بعد فراغك منه لئلا يقع فيه خطأ.

(١٦) وقد يكون العرض على العين وعلى القلب، ومن ذلك قول ابن الأحنف:

عَرَضْتُ عَلَى قَلْبِي الْفِرَاقَ فَقَالَ لِي ... مِنْ الْآنَ فَيَأْسُ لَا أُعْرِكَ مِنْ صَبْرِ

إِذَا صَدَّ مِنْ أَهْوَى وَأَسْلَبَنِي الْعَزَا ... فَفُرْقَةٌ مِنْ أَهْوَى أَحْرُّ مِنَ الْجَمْرِ

أما عرض الكتاب على الإنسان في يوم القيام الذي ينبأ فيه بما قدم وأخر فهو يعني إبرازه وإظهاره. وفي الذكر الحكيم: {وَوَضَعَ الْكِتَابُ فَرَقِيَ الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهذا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} (٢٦) .

فإن الله سبحانه وتعالى قد كتب الأعمال كلها وحفظها، فكل حركات الإنسان وسكاته مسجلة محفوظة مزبورة مرقومة، قال تعالى: {كِتَابٌ مَرْقُومٌ} (٣٦) أي مرقوم من الرقم وهو الوشم، أو مرقوم من الرقم، فكل مخالفة وصورتها، أو مرقم يستحيل أن تنزع منه صفحة. فكل شيء أحصاه الله وحفظه، فاعمل تجد حسناتك محفوظة، وسارع إلى الخير يبقى لك ذكره وأجره، فهو مسجل في كتاب حفظه الله لا يضيع ما فيه ولا يخطئ، وفي سورة يس الخبر اليقين: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا

- (١٦) - أدب الكتاب ص ١٣ .
(٢٦) - سورة الكهف الآية (٤٩) .
(٣٦) - سورة المطففين الآية (٩) .

٥.١١ الحفيظ والمحصي من أسماء الله الحسنى

قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} (١٦) أي في كتاب مبين، وفي سورة النبأ: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا} (٢٦) ،

ويرحم الله شوقي حيث يقول:

إِنَّمَا الْأَيَّامُ وَالْعَيْشُ كِتَابٌ ... كُلُّ يَوْمٍ فِيهِ لِلْعِبْرَةِ بَابٌ

أما أحمد بن علوان (٣٦) فهو يقول:

أبواب أعمال سعيت لكسبها ... وجهلت ما أحصى عليك كتاب
أعقل أفق أنفق أنب لا تكتسب ... إلا المحاسن يجزك الوهاب

الحفيظ والمحصي من أسماء الله الحسنى

الحفيظ من أسماء الله الحسنى ورد ذكره في القرآن الكريم قال تعالى: {وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} (٤٦) ، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ} (٥٠) .

(١٦) - الآية (١٢) .

(٢٦) - الآية (٢٩) .

(٣٦) - هذه البيت ينسب لأحمد بن علوان أبو العباس صفي الدين، (٦٦٥هـ/١٢٦٧م) صوفي يماني متأدب من قرية يفرس (كيفرك) من ضواحي مدينة تعز، قرأ شيئاً من النحو واللغة ونظم الشعر وعمل كاتباً في بعض الدواوين السلطانية كما كان أبوه قبله، وله ديوان شعر قال صاحب الطبقات موجود في أيدي الناس وعندى منه نسخة غالبه في التصوف وأورد نماذج منه (من كلام صفي الدين بن علوان -خ) . ألف كتباً ورسائل منها (الفتوح المصونة والأسرار المخزونة-خ) تصوف في مكتبة الكاف بجامع تريم و (البحر المشكل الغريب -خ) رسالة تصوفية في مكتبة الرياض.

(٤٦) - سورة سبأ الآية (٢١) .

(٥٦) - سورة الشورى الآية (٦) .

وقد ورد في السنة النبوية: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مِّنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) (١٦) ، وجاء في رواية الترمذي تعداد أسماء الله الحسنى وعدّها منها الحفيظ (٢٦) .

والحفيظ له معنيان: أحدهما أنه يحفظ للعباد ما عملوا من خير وشر، وطاعة ومعصية، بحيث لا يفوتهم من ذلك مثقال ذرة، وحفظه لهذه الأعمال بمعنى ضبطه لها وإحصائه إياها، فهو المحيط علماً بجميع أعمالهم ظاهرها وباطنها، فهو قد كتبها في اللوح المحفوظ قبل أن يبرأها بل قبل أن يخلق السماوات والأرض، ووكل بها ملائكة حافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون، ويرحم الله ابن القيم حيث يقول:

وَهُوَ الْحَفِيظُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ الْكَفِيُّ ... لَمْ يَحْفَظْهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَانَ (٣٦)

والمعنى الثاني من معني الحفيظ: أنه الحافظ لعباده من جميع ما يكرهون، وحفظه لخلقه عام وخاص: العام حفظه لجميع المخلوقات بتيسير لها ما يقبّتها ويحفظ بنيتها فهي تمشي إلى هدايته وإلى مصالحها بإرشاده وهدايته العامة التي قال عنها: {الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ} (٤٦) ، أي هدى كل مخلوق لما قدر له وقضى له من ضروراته وحاجاته، كالهداية للشرب والمأكل والمنكح والسعي في أسباب ذلك، والنوع الثاني حفظه الخاص

(١٦) - صحيح البخاري باب ان لله مائة اسم إلا واحد حديث (٦٩٥٧) .

(٢٦) - سنن الترمذي باب ما جاء في عقد التسبيح باليد حديث (٣٤٢٩) .

(٣٦) - انظر شرح اسماء الله الحسنى وصفاته العليا للإمام أبي بكر البيهقي وشيخ الاسلام ابن تيمية والامام ابن القيم الجوزية والعلامة محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به وخرج أحاديثه أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، ج ١ ص ١٢٥، الناشر: دار ابن الهيثم القاهرة ٢٠٠٥هـ/٢٠٠٥م .

(٤٦) - سورة طه الآية (٥٠) .

لأوليائه حفظاً زائداً على ما تقدم يحفظهم عما يضر إيمانهم أو يزلزل إيمانهم من الفتن والشبهات والشهوات، ويحفظهم من أعدائهم وينصرهم عليهم قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} (١٦) ، وهذا عام لدفع جميع ما يضرهم في دينهم ودنياهم، فعلى حسب ما عند العبد من إيمان تكون مدافعة الله عنه بلطفه. (٢٦) وقد جاء في حديث ابن عباس: (يَا غُلَامُ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ) (٣٦) .

وقال الحلبي: الحفيظ: معناه الموثوق به من ترك التضييع.

وقال أبو سليمان: - فيما أخبرت عنه- الحفيظ هو الحافظ فعيل بمعنى فاعل كالتقدير والعلم يحفظ السماوات والأرض ومن فيها لتبقى مدة بقائها فلا تزول ولا تتدثر قال تعالى: {وَلَا يُؤُودُهُ حِفْظُهُمَا} .

أما اسم الله الحافظ قال الحلبي: مَعْنَاهُ الصَّائِنُ عَبْدُهُ عَنْ أَسْبَابِ الْمَلَائِكَةِ فِي أُمُورِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ قَالَ: وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ: (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا) ، وَقَدْ قُرِئَ: (خَيْرٌ حِفْظًا) وَجَاءَ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَمَنْ حَفِظَ فَهُوَ حَافِظٌ وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) . (٤٦)

(١٦) - سورة الحج الآية (٣٨) .

(٢٦) - شرح أسماء الله الحسنى للقحطاني - بتصرف يسير - ص ١١٤ .

(٣٦) - رواه الطبراني في المعجم الكبير باب (٣) ج (٩) ص (٣٣١) حديث (١١٢٤٣) ، والترمذي في سننه باب ما جاء في أواني الحوض حديث (٢٥١٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيحه الجامع .

(٤٦) - انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٩٠ .

وقال محمد راتب النابلسي: إن لاسم الله الحفيظ معنيان: الأول: حفيظ بمعنى عليم، فالله لا ينسى كل أعمالك وأقوالك وكل مواقفك، فكل ما أنت فيه محفوظ عند الله عز وجل، المعنى الثاني: الحفيظ أي ضد التضييع أي الله عز وجل لا يضيع المؤمن بل يحفظ له عمله ويكافئه عليه في الدنيا والآخرة. (١٦)

أما اسم الله المحصي فقد ورد في القرآن الكريم: {وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} (٢٦) ، أي أحصى الله كل شيء عدداً فهو المحصي لكل شيء، وفي سورة مريم يقول سبحانه وتعالى: {لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا} (٣٦) ، وقال جل شأنه: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا} (٤٦) ، وورد في السنة النبوية تعداد أسماء الله الحسنى وذكر منها المحصي كما في رواية الترمذي (٥٦) .

قال الحلبي: وَمَعْنَاهُ الْعَالِمُ بِمَقَادِيرِ الْخَوَادِثِ مَا يُحِيطُ بِهِ مِنْهَا عُلُومُ الْعِبَادِ، وَمَا لَا يُحِيطُ بِهِ مِنْهَا عُلُومُهُمْ، كَالْأَنْفَاسِ وَالْأَرْزَاقِ وَالطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْقُرْبِ، وَعَدَدِ الْقَطْرِ وَالرَّمْلِ وَالْحَصَا وَالنَّبَاتِ وَأَصْنَافِ الْحَيَوَانَ وَالْمَوَاتِ وَعَامَّةِ الْمَوْجُودَاتِ، وَمَا يَبْقَى مِنْهَا أَوْ يَضْمَحَلُّ وَيَفْنَى . (٦٦)

(١٦) - موسوعة أسماء الله الحسنى ج ٢ ص ٦٠ و ٦١ .

(٢٦) - سورة الجن الآية (٢٨) .

(٣٦) - الآية (٩٤) .

(٤٦) - سورة النبأ الآية (٢٩) .

(٥٦) - سنن الترمذي باب ما جاء في عقد التسبيح باليد حديث (٣٤٢٩) .

(٦٦) - انظر الأسماء والصفات للبيهقي ص ٦٠ .

وقيل: المحصي هو المحيط بكل شيء جملة وتفصيلاً لا تخفى عليه خافية لا في الأرض ولا في السماء. وقال بعض العلماء: المحصي هو

الذي بالظاهر يراقب أنفسك وبالباطن يراقب حواسك. وقيل: المحصي هو الحافظ لأعداد طاعتك العالم بجميع حالتك. (١٦)

قلت: الظاهر أن إحصاء الله يستغرق إحصاء كل شيء، فكل الكون وما فيه أحصاه الله وأحصى جميع أعمال الخلائق وأنفاسهم، فهو العليم بدقائق الأمور وبأسرار المقدور، وهو المحيط بكل شيء، العالم بكل شيء لا تخفى عليه خافية، ليس كمثل شيء وهو اللطيف الخبير،

أما الإنسان فهو عاجز بعبه أن يحصي بعض المعلومات فضلاً عن إحصاء نعم الله جل وعلا، قال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} (٢٦) .

ثمة معرفة اسم الله الحفيظ الحافظ المحصي

إذا علم المكلف أن الله سبحانه وتعالى الحفيظ الحافظ لجميع الممكنات وأنه الذي يحفظ جميع الأشياء جملةً وتفصيلاً ويعلمها علماً لا زوال فيه ولا سهو ولا نسيان، وأنه الذي يحفظ الأرض والسموات أن تزولا، {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ

(١٦) - موسوعة أسماء الله الحسنى ج ٢ ص ٩٠.

(٢٦) - سورة إبراهيم الآية (٣٤) .

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يُؤْوَدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (١٦) ، وأنه الذي يحفظ عباده ويكلاً وهم بالليل والنهار {قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ} (٢٦) ، وأنه على كل شيء حفيظ، وأنه يحفظ أعمال العباد ويجازيهم عليها ... إن الخ وأنه المحصي الذي يحصي الأعمال ويهيئها بتفاصيلها ليوم الجزاء أيقن أن الله تعالى يحصي عليه كل حركاته وكل أنفاسه وكل أفعاله وكل ما تنطوي عليه نفسه من أمنيات، وجب عليه أن يؤمن بأن الله هو الحفيظ الحافظ المحصي، وسيرى عند ذلك من حفظ الله تعالى لقلبه ودينه ما ينفعه الله به في الدنيا والآخرة، فمن عرف أن الله الحفيظ الحافظ المحصي حفظ قلبه ودينه عن سطوة الغضب والشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان، وعمل صالحاً، لأن الله سبحانه وتعالى هو الحفيظ المحصي الذي يحفظ أعماله ويقوم بعناية الإنسان ورعايته وإثابته.

قال الشاعر:

خلقت فيهم عيوناً يبصرون بها ... وقد خلقت بهم للسمع أذانا

لو لم تكن أنت يا رباه حافظهم ... لم تشهد الأرض فوق الأرض إنسانا
وقال آخر:

غدا ينادي المنادي ... وهم إليه وفود

كل عليه حفيظ ... وسائق وشهيد

وحوله عن يمين ... وعن شمال قعيد

(١٦) - سورة البقرة الآية (٢٥٥) .

(٢٦) - سورة الأنبياء الآية (٤٢) .

يا منكر البعث هذا.....ما كنت منه تحيد (١٦)

أما أبو مسلم العماني فهو يقول:

وكيف أخاف الحادثات وإنما ... أمانك لي يا خالقي كان معقلا

وحفظك حرزي يا حفيظ وممنعي ... فلم أختش من حادث الدهر موجلا

ومن علم أن الله عليم حافظ محصي حفظ أوامر الله بالامتثال ونواهيه بالاجتناب وحدوده بعدم تعديها، وبذلك يحفظ الله تعالى الإنسان في نفسه ودينه وماله وولده وفي جميع ما آتاه الله من فضله، ولا يعني الوقوع في الأمراض والأوصاب والبلايا التي قد يتبلى الله تعالى الإنسان بها في نفسه أو ماله أو ولده عدم الحفظ لأن الله قد علم ذلك وأحصاه، وسيحفظ له ثواب ذلك ويلطف به ويرزقه الصبر والرضا ويجزيه الجزاء الأوفى {قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (٢٦) . ولقد أحسن من قال:

في كل بلوى تصيب العبد عافية ... إلا البلاء الذي يؤدي إلى النار

ذاك البلاء الذي ما فيه عافية ... من البلاء ولا ستر من العار

ومن عرف هذه الأسماء حفظ الود، وأحسن العهد، وأنجز الوعد، وشعر برقابة الله عليه، وكان قوياً يقول الحق فهو يراقب الله ويخشاه، غير مغتر بعلمه ولا بسلطانه ولا بتبليسه إبليس على نفسه أو على قومه، فهو يعلم أن الله معه يسمع ويرى فهو الذي يحفظه ويحاسبه في كل الأحوال، {لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ

(١٦) - هذه الآيات تنسب للبرعي.

(٢٦) - سورة الزمر الآية (١٠) .

٥٠١٢ دعاء الله باسمه الحفيظ الحافظ المحصي

اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ { (١٦) ، فهو يدعو الله ويرجوه ويسأله أن يحفظ له دينه ودنياه، وفي الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلْفَهُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتَ جَنِّيَّ وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ) (٢٦) .

دعاء الله باسمه الحفيظ الحافظ المحصي

نسألك اللهم يا حفيظ يا حافظ يا محصي كما أحصيت أنفاسنا وأقوالنا وأفعلنا أن ترحمنا وتحفظنا وتفضل بالقبول لكل أعمالنا، واحفظ يا الله قلوبنا وديننا من الزيغ والزلل، واحفظ اللهم علينا ما أوليتنا من المال والأهل والولد، واحفظ اللهم أسمعنا وأبصارنا، وفي السنة النبوية ان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو بهؤلاء الدعوات (اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبْلِغُنَا بِهِ جَنَّاتِكَ وَمَنْ الْيَقِينُ مَا تَهْوَنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَمَتَعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عَلَيْنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا) (٣٦) .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وسلم تسليماً كثيراً.

(١٦) - سورة الرعد الآية (١١) .

(٢٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب التعوذ عند المنام حديث (٥٨٤٥) .

(٣٦) - أخرجه الترمذي باب ماجاء في عقد التسبيح باليد حديث (٣٤٢٤) .

٦ الفصل الخامس الإيمان

الفصل الخامس
الإيمان

٦٠١ الإيمان

الإيمان

الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى فطرة في النفس الإنسانية، فمن تفكر بعقله في الكون آمن بالله ورأى من الآيات ما يبهز الأبواب، وصدق بوجود الله الخالق الوهاب، وفي الذكر الحكيم: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (١٦) ، فالقرآن يقرر بأن الدين فطرة في الإنسان فطر الناس عليها، أساسها الاعتقاد بخالق الكون، وأنه واحد لا شريك له، فإذا انفرد المرء بنفسه حكم بأنه مخلوق لإله قادر حكيم خلقه وأنعم عليه، قال الشاعر:

إذا المرء كانت له فكرة ... ففي كل شيء له عبرة (٢٦)

وقال أبو نواس:

تأمل في خلال الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات ... بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك
ويرحم الله أبا العتاهية حيث يقول:

أَلَا إِنَّا كُنَّا بَائِدٌ ... وَأَيُّ بَنِي آدَمَ خَالِدٌ

وَبَدْوُهُمْ كَانَ مِنْ رَبِّهِمْ ... وَكُلُّهُ إِلَى رَبِّهِ عَائِدٌ

فِيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهِ ... لَهُ أَمْ كَيْفَ يُجْحَدُهُ الْجَاهِدُ

(١٦) - سورة الروم الآية (٣٠) .

(٢٦) - الموسوعة الشعرية ص ٣٤, وصيد الخاطر لابن الجوزي ص ٤١٥ .

وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ.....عَلَيْنَا وَتَسْكِينَةٍ شَاهِدٌ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

والإيمان في اللغة: التصديق, وفي الاصطلاح: قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح, فهو التصديق بكل ما أخبر الله سبحانه

وتعالى به في كتابه الكريم أو على لسان رسوله تصديقاً جازماً لا يخالطه شك ولا ريب, وفي الذكر الحكيم: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ

مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}

(١٦) , وقال سبحانه: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ

وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفِرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (٢٦) .

وقال الشاعر:

إِيْمَانِنَا بِاللَّهِ بَيْنَ ثَلَاثَةٍ ... عَمَلٍ وَقَوْلٍ وَعِتْقَادِ جَنَانٍ

وَيَزِيدُ بِالتَّقْوَىٰ وَيَنْقُصُ بِالرَّدَىٰ ... وَكِلَاهُمَا فِي الْقَلْبِ يَعْتَلِجَانِ (٣٦)

وقال ابن القيم:

وأشهد عليهم أن إيمان الوري ... قول وفعل ثم عقد جنان

ويزيد بالطاعات قطعاً هكذا ... بالصد يمسي وهو ذو نقصان

والله ما إيمان عاصبنا كاي ... حان الأمين منزل القرآن

كلاً ولا إيمان مؤمننا كاي ... حان الرسول معلم الإيمان

(١٦) - سورة البقرة الآية (٢٨٥) .

(٢٦) - سورة البقرة الآية (١٣٦) .

(٣٦) - هذان البيتان لعبد الله الاندلسي .

٦.٢ النجاة في الإيمان بالله

٦.٣ الرفعة بالإيمان

وجاء في الذكر الحكيم: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} (١٦) .
النجاة في الإيمان بالله

في الإيمان بالله النجاة من عذاب الله والفوز برضوان الله، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلِكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ نُحِبُّهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ} (٢٦) ، فمن آمن بالله سعد وطاب عيشه، وضاعف الله أجره وثوابه، وأمن العذاب، ونجى من الهلكة يوم الحساب، وكان في الناس حسن الأخلاق، قوي في إيمانه، مجتهد في عمله، محبوب في وطنه، يكرم الإنسان، ويألف الاخوان، وفي الحديث النبوي: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير) (٣٦) .

الرفعة بالإيمان

إنما يتفاوت الناس في أقدارهم على مقدار إيمانهم وأعمالهم، وإنما الرفعة والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فقد جاء في الذكر الحكيم: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (٤٦) ، فجدد أخي إيمانك بالله لترفع وتسعد فالإيمان إن لم يتجدد يبلى ويخلق، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (جددوا إيمانكم، قيل: يا رسول الله وكيف تجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول: لا إله إلا الله) (٥٦) ، وفي رواية: (إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم) (٦٦) ، فتق أخي بالله يرفع الله مقامك، ويخفض من أراد هوانك، فالله مولى كل خير ومولى، وخافض كل شيء ومعلية، وهيبات أن يخفض المرء يته أو عدمه إذا رفعه الحق بإيمانه وعمله وعلمه، وفي الذكر الحكيم على ذلك دليل وبيانات: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (٧٦) .

وقد جعل الله أمة محمد أمة مرحومة، يؤمنون بالله ويوحدونه، وأثنى عليهم الحق لإيمانهم بالله وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فقال سبحانه:

- (١٦) - سورة الأنفال الآيات (٢-٤) .
- (٢٦) - سورة الصف الآيات (١٠-١٣) .
- (٣٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب في الأمر بالقوة حديث (٤٨١٦) .
- (٤٦) - سورة المنافقون الآية (٨) .
- (٥٦) - أخرجه احمد في المسند حديث (٨٣٥٣) .
- (٦٦) - أخرجه الحاكم في المستدرک باب الإيمان ليخلق حديث (٥) ج ١ ص ٨٠ .
- (٧٦) - سورة المجادلة الآية (١١) .

٦٠٤ الإيمان بالقضاء والقدر

{ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } (١٦) ، وفي الحديث النبوي: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياة شعبة من الإيمان) (٢٦) .
الإيمان بالقضاء والقدر

القدر نظام سماوي يجري وفق قانون رباني، فهو من جملة أركان الإيمان التي أخبر عنها الرسول عليه وآله والصلاة والسلام حينما سئل عن الإيمان ذكره من جملة أركانه فقال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) (٣٦) . قال الشاعر:

تَجْرِي الْأُمُورُ عَلَى حُكْمِ الْقَضَاءِ وَفِي ... طَيِّ الْحَوَادِثِ مَحْبُوبٌ وَمَكْرُوهٌ
فَرُبَّمَا سَرَّنِي مَا بَتَّ أَحْذَرُهُ ... وَرُبَّمَا سَاءَنِي مَا بَتَّ أَرْجُوهُ (٤٦)

وفي الأمثال السائرة: "لا ينفذ حذر من قدر"، وقيل: "إذا حل القدر بطل الحذر"، ومعنى ذلك: أن الحذر لا يدفع المقدور عن صاحبه، فالمرء لا يملك أن يفر مما كتبه الله وقدره عليه، وهذا لا يعني ترك الأخذ بالأسباب،

(١٦) - سورة آل عمران الآية (١١٠) .

(٢٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها حديث (٥١) .

(٣٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب بيان الإيمان والإسلام حديث (٩) .

(٤٦) - هذان البيتان لأمية بن عبد العزيز الأندلسي الداني، أبو الصلت (٤٦٠-٥٢٩هـ / ١٠٦٨-١١٣٤م) حكيم، أديب، من أهل دانية بالأندلس، ولد فيها، ورحل إلى المشرق، فأقام بمصر عشرين عاماً، سجن خلالها، ونفاه الأفضل شاهنشاه منها، فرحل إلى الإسكندرية، ثم انتقل إلى المهديّة (من أعمال المغرب) فاتصل بأmirها يحيى بن تميم الصنهاجي، وابنه علي بن يحيى، فالحسن بن يحيى آخر ملوك الصنهاجيين بها، ومات فيها، وله شعر فيه رقة وجودة، في المقتضب من تحفة القادم أنه من أهل إشبيلية، وأن له كتباً في الطب، من تصانيفه (الحديقة) على أسلوب يتيمة الدهر، و (رسالة العمل بالإسطرلاب) ، و (الوجيز) في علم الهيئة، و (الأدوية المفردة) ، و (تقويم الذهن-ط) في علم المنطق.

فهذا يعقوب عليه السلام يرشد أولاده: { يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فليتوكَّل المتوكَّلون * ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون } (١٦) .

وفي الأمثال الشعبية: "انت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد"، وقيل: "العاجز عن التدبير يحيل على المقادير"، قال الشاعر:
وعاجز الرأي مصباح لفرحته ... حتى إذا فات أمر عاتب القدر

وفي أمثال العامة: "الي من نصيبك لازم يصيبك، والي مكتب على الجين لازم تشوفه العين، والمكتوب ما منوش مهرب". (٢٦)
فالإيمان بالقدر يجعل الحياة تعج بالأمل وتشرق بالأنوار وتهتف بالمعالي فيها معنى الحركة والإنجاز والأمل والتفاؤل الذي يجده الإنسان مبثوثاً في ثنايا القرآن حتى في لحظات انكسار المسلمين في غزوة أحد ووداع سبعين من أكابرهم وقادتهم ورجالهم في يوم رحيل الأبطال والشهداء يتنزل قول الله جل وعلا: { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } (٣٦) ، وفي لحظة صولة العدو وطيشه يأتي الأمل والتفاؤل ويتنزل قول الحق سبحانه وتعالى: { يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } (٤٦) ، وحتى في لحظة يأس الرسل وإحباطهم وفتور همتهم يأتي الأمل من جديد ليبدد هذا اليأس والإحباط فينجلي

العمى ويأتي النصر الذي كتبه الله وقدره فيتنزل قول الحق تبارك وتعالى: {حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَد كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} (٥٦) ، وفي لحظة انتفاخ أهل الباطل وتطاولهم يأتي القدر الإلهي ليرد عليهم فيتنزل قول الحق سبحانه وتعالى: {فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} (٦٦) ، فسبحان الله المتفضل على عباده، فقد جاء في الحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء) (٧٦) .

والحق أن الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن ويقضي على التشاؤم والطيرة ويزيد الإنسان قوة وفتوة فيجعله كالجبل الذي لا تهزه ريح ولا يجحبه مطر، فالمؤمن بقدر الله يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطأه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وفي الحديث الشريف: (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) (٨٦) ، وفي الذكر الحكيم: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (٩٦) ، {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (١٠٦) .

(١٦) - سورة يوسف الآيتان (٦٧ و٦٨) .

(٢٦) - الأمثال الشعبية والعربية والعالمية لسامي محمد، ص ٨٦، الناشر العالمية للكتب والنشر الجيزة مصر، الطبعة الثانية ٢٠٠٦ م.

(٣٦) - سورة آل عمران الآية (١٣٩) .

(٤٦) - سورة يونس الآية (١٥٣٢)

(٥٦) - سورة يونس الآية (١١٠) .

(٦٦) - سورة الرعد الآية (١٧) .

(٧٦) - أخرجه الحاكم في المستدرک کتاب التوبة والإنابة حديث (٧٦٠٣) .

(٨٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب المؤمن أمره كله خير حديث (٥٣١٨) .

(٩٦) - سورة التوبة الآية (٥١) .

(١٠٦) - سورة الحديد الآيتان (٢٢ و٢٣) .

وقال الشاعر:

واصبر على القدر المحتوم وارض به ... وإن أتاك بما لا تشتهي القدر

فما صفا لمريءٍ عيش يسر به ... إلا سيتبع يوماً صفوه كدر

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:

دع الأيام تفعل ما تشاء ... وطب نفساً إذا حكم القضاء

ولا تجزع لحادثة الليالي ... فما لحواذ الدنيا بقاء

ورزقك ليس ينقصه الثاني ... وليس يزيد في الرزق العناء

ولا حزن يدوم ولا سرور ... ولا بؤس عليك ولا رخاء

وفي الذكر الحكيم: {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١٦) ، وفي

الأدعية الماثورة في دبر كل صلاة مكتوبة: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اللَّهُمَّ لَا

مَنْعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ) (٢٦) ، فالعاقل يؤمن بالقدر فهو لا يكثر الهم ولا يتطير أو يتلبس

بالكدر، قال طرفة بن العبد (٣٦) :

إذا ما أردت الأمر فامض لوجهه ... واخل الهوينا جانباً متأنيا

(١٦) - سورة فاطر الآية (٢) .

(٢٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب الذكر بعد الصلاة حديث (٧٩٩) .

(٣٦) - طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، أبو عمرو، البكري الوائلي، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان هجاءً غير فاحش القول، تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره، ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد، اتصل بالملك عمرو بن هند فعمله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر عامله على البحرين وعمان يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاء بها، فقتله المكعبر شاباً. ولا يمنعك الطير مما أردته.....فقد خط في الألواح ما كنت لاقيا (١٦)

وقال آخر:

طيرة الدهر لا ترد قضاءً ... فعذر الدهر لا تشبه بلوم (٢٦)

وقوله: "طيرة الدهر" مصدر طير يتطير طيرة، والطيرة: اسم مصدر من تطير طيرة كما يقال: تخير خيرة، ولم يجيء في المصادر على هذه الزنة غيرهما، وأصله: التطير بالسوايح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان التطير يصد المتطير عن مقاصده فنفاه الشارع وأبطله وأخبر بأنه لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضرر، وقد قال بعض العلماء: الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب، وهي من لقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفْرَ) رواه البخاري (٣٦) ، وزاد مسلم: (وَلَا نَوْءَ وَلَا غَوْلَ) (٤٦) ، وفي حديث ابن مسعود: (الطَّيْرَةُ شِرْكُ الطَّيْرَةِ شِرْكُ ثَلَاثًا وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ) رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول بن مسعود (٥٦) ، ولأحمد من حديث الفضل بن العباس رضي الله عنه: (إِنَّمَا الطَّيْرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ) (٦٦) ، وقال ضبائ بن الحارث (٧٦) :

وَمَا عَاجِلَاتُ الطَّيْرِ تُدْنِي مِنَ الْفَتَى ... رَشَادًا وَلَا عَنْ رِيثِنٍ يَخِيبُ
وَرُبَّ أُمُورٍ لَا تَضِيرُكَ ضَيْرَةٌ ... وَلِلْقَلْبِ مِنْ مَخَشَاتِهِنَّ وَجِيبُ

(١٦) - ورد هذا البيت في الموسوعة الشعرية ص ٧٨ ، منسوباً لطرفه بن العبد، وليس في ديوانه الذي بين أيدينا.

(٢٦) - ورد هذا البيت في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٣ ص ١٤٢ ، والموسوعة الشعرية ص ٧٧، غير منسوب لقائل بعينه.

(٣٦) - صحيح البخاري باب لا عدوى حديث (٥٣٢٩) .

(٤٦) - صحيح مسلم باب لا عدوى ولا طيرة ولا نوء ولا غول حديث (٤١١٦) .

(٥٦) - سنن أبي داود باب في الطيرة حديث (٣٤١١) ، وسنن الترمذي باب ما جاء في الطيرة حديث (١٥٣٩) .

(٦٦) - مسند أحمد حديث (١٧٢٧) .

(٧٦) - قال عنه الحافظ ابن حجر: له إدراك وجنى جنابة في خلافة عثمان رضي الله عنه فحبسه فجاء ابنه عمير بن ضبائ فأراد الفتك بعثمان ثم جبن عنه، وفي ذلك يقول:

هَمَّمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي ... تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالِيهِ

فلما قدم الحجاج الكوفة أمر بضرب عنقه، وانظر: الاصابة ج ٥ ص ١٠٢ .

٦٠٥ القدر في القرآن

وفي سورة الأنعام يقول الكريم المنان: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١٦)

القدر في القرآن

عقيدة القدر في القرآن الحكيم تعلم المؤمنين أن لهذا الكون نظاماً محكماً، وسناً مطردة، ارتبطت فيه الأسباب بالمسببات، وأن ليس في

خلق الله خلل ولا مصادفات، ومن فائدة هذا الاعتقاد أن أهله يكونون أجدر الناس بالبحث في نظام الكائنات، وتعرف سنن الله في المخلوقات، وطلب الأشياء من أسبابها، والجري إليها في سننها، ودخول البيوت من أبوابها، قال تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} (٢٠)، وقال جل شأنه: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} (٣٠)، فلكل شيء من مخلوقات الله سنن ونواميس، ومقادير منتظمة، كسننه في حمل الإناث وعقمها، وزيادة الذرية ونقصها، قال تعالى: {اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} (٤٠)، والإنسان جزء من الوجود ينطبق عليه النظام الذي اقتضته حكمة بارئ الوجود

(١٠) - الآية (١٧) .

(٢٠) - سورة الفرقان الآية (٢) .

(٣٠) - سورة القمر الآية (٤٩) .

(٤٠) - سورة الرعد الآية (٨) .

ومربي كل موجود، قال تعالى: {مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نَظْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ} (١٠) . فالقرآن حث على التدبر في مخلوقات الله وآياته.

وإذا تأملنا في كلمة المقدر والتقدير في القرآن وجدنا أنها ترد بمعنى: جعل الشيء بمقياس مخصوص أو وزن محدود أو وجه معين يجري على سنة معلومة، قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ} (٢٠) أي أنزلناه بمقدار معين.

قال الدكتور عفيف عبد الفتاح طبارة: إذا نظرنا إلى معنى لفظة القدر التي جاءت في القرآن في مواضع متعددة رأينا: القدر - بفتح الدال وسكونها - والمقدار والتقدير وردت بمعنى جعل الشيء بقياس مخصوص أو وزن محدود أو وجه معين يجري على سنة معلومة. (٣٠)

فالإيمان بالقدر في القرآن الكريم يسوق معتقده دائماً إلى السعي والعمل، {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٤٠)، وهذا الاعتقاد تبعه صفة الشجاعة والبسالة والجود والسخاء، والأخذ بالأسباب في جميع الأشياء، كيف لا والحق سبحانه وتعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ}

(١٠) - سورة عبس الآيات (١٨-٢٢) .

(٢٠) - سورة المؤمنون الآية (١٨) .

(٣٠) - قد أشار الدكتور عفيف عبد الفتاح طبارة أن من مراجعه في ما ذهب إليه في هذا مقالة للشيخ رشيد رضا في مجلة المنار ومقالة للشيخ محمد عبده في مجلة العروة الوثقى، وكلامه دقيق ووجيه، وانظر روح الدين الإسلامي ص ١٥٣، أما صاحب المصباح المنير فقد ذكر أن: القدر - بالفتح لا غير - القضاء الذي يقدره الله تعالى، انظر المصباح ص ٢٩٣.

(٤٠) - سورة التغابن الآية (١١) .

حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (١٠)، إن هذا الاعتقاد والإيمان بالقدر يشجع المؤمن على الترقى في حياته الدينية والدينية، ف {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} (٢٠) .

فقانون القدر الذي أخبر الله تعالى عنه في كتابه يعلمنا أن من آمن وعمل صالحاً رفعه الله، {فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ} (٣٠)، وقال جل شأنه: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا} (٤٠) .

قال أبو العلاء المعري:

إِنْفَرَدَ اللَّهُ بِسُلْطَانِهِ ... فَمَا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ كِفَاء

وله في إبداع الله وقدرته:

وَبَدَائِعُ اللَّهِ الْقَدِيرِ كَثِيرَةٌ... فَيَحُورُ فِيهَا لُبْنَا وَيَحَارُ
 وقال أيضاً في قدرة الله:
 وَقُدْرَةُ اللَّهِ حَقٌّ لَيْسَ يُعْجِزُهَا... حَشْرٌ خَلَقَ وَلَا بَعَثَ لَأَمْوَاتٍ
 ومن شعر الحكمة لأبي العلاء المعري في لزوم ما لا يلزم:
 إِذَا كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ صَغِيرَةٍ... أَلَمْتَ وَلَا تَسْطِيعُ دَفْعَ كَبِيرٍ
 فَسَلِّمْ إِلَى اللَّهِ الْمَقَادِيرَ رَاضِيًا... وَلَا تَسْأَلَنَّ بِالْأَمْرِ غَيْرَ خَيْرٍ
 أما أبو نواس فإنه يقول في القضاء والقدر:
 لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ... مَا قَضَى اللَّهُ وَقَدَّرَ
 لَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ تَدْبِيرٌ... رَبُّ بَلِ اللَّهُ الْمُدَبِّرُ

- (١٦) - سورة الرعد الآية (١١)
- (٢٦) - سورة فصلت الآية (٤٦)
- (٣٦) - سورة الأنبياء الآية (٩٤)
- (٤٦) - سورة الأحزاب الآية (٤٧)

٦.٦ الرضا والتسليم دليل الإيمان

وكلام أبي نواس وما ورد في الأدب العربي على هذا المنوال لا يعني نفي ما وهب الله للإنسان من اختيار ولكنه يبحث على التسليم لقدر الله تعالى باعتباره قضاء رباني لا مناص من التسليم والإيمان به فهو قانون إلهي لا يجوز الكفر به، فتدبير أمور الكون وتقديرها كلها لله وحده لا شريك له.

فالإيمان بالقدر لا يعني تعطيل المدارك والقوى التي أرشد الله إلى إعمالها والتفكير بها، ولا يعني الإيمان بالقدر الميل إلى الكسل وترك العمل، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة، كما جاء في بعض كلام عمر رضي الله عنه، ولكن الإيمان بالقدر يتطلب النظر في نظام الكائنات، والتعرف على سنن الله في المخلوقات، وطلب الأشياء من أسبابها، والعزيمة والتوكل على الله، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (١٦)، وقال سبحانه: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} (٢٦)، فمن آمن بالله ظفر بهداية الله قال تعالى: {وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٣٦)، {قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ} (٤٦)، وقال: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (٥٦).

الرضا والتسليم دليل الإيمان

إن الرضا المطلق والقبول المحمود دليل صحة الإيمان، فالمؤمن يعلم أن من المنع عطاءً، ورب ضارة نافعة، أن الحياة المتدفقة بالآلام والمتاعب هي الحياة التي تفتق المواهب وتصنع الرجال، وأن ما من نازلة نزلت إلا ووراءها حكمة قد تدرك أو لا تدرك قدرها العليم الحكيم الذي قال في محكم الذكر الحكيم: {وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (٦٦)، وهذا ابن عباس عندما فقد عينيه يقول:

إِن يَأْخُذِ اللَّهُ مِن عَيْنِي نورهما... ففني لساني وقلبي منهما نور
 قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل... وفي فمي صارم كالسيف مسلول

فهو لم يتسخط ولم يفشل لأنه آمن بقول الحق عز وجل: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} (٧٦) ، وبحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (واعلم أن ما أصابك لم يكن

- (١٦) - سورة الملك الآية (١٥)
- (٢٦) - سورة البلد الآية (١٠)
- (٣٦) - سورة التغابن الآية (١١)
- (٤٦) - سورة الرعد الآية (٢٧)
- (٥٦) - سورة المائدة الآية (١٦)
- (٦٦) - سورة البقرة الآية (٢١٦)
- (٧٦) - سورة البقرة الآية (١٥٥)

٦٠٧ قصة إيمان أهل الكهف في القرآن

ليخطئك وما أخطاك لم يكن ليصيبك) (١٦) ، وصدق الله العظيم حيث يقول: {قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (٢٦) .
قصة إيمان أهل الكهف في القرآن

لقد كان في قصة إيمان أهل الكهف وخبرهم ما يعمق الإيمان ويدعو إلى التفكير والاعتبار، قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِهْلًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا * هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذِ اعْتزَلْتُمُوهُم مَّا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي جُحُودٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فُجُودًا * وَتَرَى الْمُهَيْتَدَ وَمَنْ يُضِلُّ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا * وَحَسْبِهِمْ آيَاتُنَا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلِّمُهُم بِأَسْبَاطِ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ

(١٦) - أخرجه الحاكم في المستدرک حديث (٦٣٠٤) .

(٢٦) - سورة التوبة الآية (٥١) .

اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوْلِيَتْ مِنْهُمْ فَرَارًا وَمَلَّيْتُ مِنْهُمْ رُعبًا * وَكَذَلِكَ بَعَثْنَا لَهُمْ نِسَاءً لَّوَا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا * وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا يَا آيَاتِنَا أَنْ نَعْبُدَ عَلَيْهِمْ سَجْدًا * سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادُّرَّ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا * وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا * قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

- لَيْتُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمَعَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا } (١٦) .
- (١٦) - سورة الكهف الآيات (٩-٢٦) .

٦٠٨ الإيمان بالله يزيل الهم

الإيمان بالله يزيل الهم
الإيمان بالله يزيل الهم والغم من حياة الإنسان، فالمؤمن لا ييأس إن منعه الناس، ولا يجزع إن خانوه، لأنه يعتمد على مسبب الأسباب ومدبر الأمور، لسان حاله يقول:
واشدُّ يدُك بِجَبَلِ الدِّينِ مُعْتَصِمًا... فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ (١٦)
عندما تؤمن بالله تعلم أن الله لا يأتي لحياتك إلا بما يصلحها فكل ما يصيبك بغير اختيارٍ لك فيه هو إصلاح من حيث تدري أو لا تدري فأنت صنعة الله ومن ذا الذي يتلف صنعته، عندما تؤمن بالله تعالى تهون عليك المصائب وتفرج عنك الكروب، ويزيل أساك وحزنك لأنك عندئذ تترك الأمور لرب الأمور، فتسعى في رزقك وأنت على يقين أن من وراء هذا السعي رزاقاً كريماً يهب بك في كل لحظة أن تبخل عليه.
جاء في تفسير ابن كثير: أنه قد ورد في بعض الكتب الإلهية: يقول الله تعالى: "ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وتكفلت برزقك فلا نتعب، فاطلبنى تجدني، فإن وجدتنى وجدت كل شيء، وإن فتنك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء" (٢٦) .
فعندما تؤمن بالله يخف حملك لأن هناك من يحمل عنك لأنه وليك وولي المؤمنين، قال تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٣٦) .

(١٦) - هذا البيت ينسب لأبي الفتح البستي.

(٢٦) - تفسير ابن كثير ج٧ ص٤٢٦ .

(٣٦) - سورة البقرة الآية (٢٥٧) .

٦٠٩ من يؤمن بالله يهدي قلبه

٦٠١٠ الخلال الدينية ليست من صفات المؤمن

٦٠١١ النفاق يضاد الإيمان

من يؤمن بالله يهدي قلبه
لا يخدعك الثراء الفاحش، ولا القصر المرصع المنيف، ولا المال المكسب الوافر، فكل هذه المظاهر لا تتفع قلباً ضعيف الإيمان بل على العكس قد تزيده طمعاً وجشعاً، وإن بدا لك أنيق المظهر تغشى فيه ابتسامة عريضة وهو يركب سيارته الفاخرة إنه الرجل التعيس.
إن سر سعادة الإنسان هو رصيد ما في قلبه من إيمان قال تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (١٦) .
واسمع إلى تلك الكلمة الخالدة التي خرجت من قلب معمر بالإيمان إنه قلب الرجل الصالح إبراهيم بن أدهم رحمه الله: "لو علم الملوك ما نحن عليه - أي من حلاوة الإيمان - لقاتلونا عليه بالسيوف" . (٢٦)

الخلال الدينية ليست من صفات المؤمن

المؤمن لا يكون كاذباً، ولا حاقداً، ولا حاسداً، ولا شامتاً، ولا باغياً، ولا فاجراً، والمؤمن لا يغدر ولا يخون ولا يكذب، وقد جاء في الحديث النبوي: (يُطِيعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ) (٣٦) .

النفاق يضاد الإيمان

النفاق آفة وخساسة ومرض وتعاسة، والمنافق ذو وجهين ينطق بالإيمان ولا يعمل بالقرآن، والمنافق ماكر مخادع، إن حدث كذب، وإن وعد أخلف، وإن أوثمن خان، لا يؤمن بالله العظيم ولا يتبع رسوله الكريم، وفي الذكر الحكيم: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} (٤٦) .

والنفاق يدل على إخفاء الشيء وإغماضه، ومنه النفق، وهو السرب في الأرض، والنفاق يعني اختلاف السر والعلن واختلاف القول والعمل، وهو نوعان: اعتقادي: وهو إظهار الإيمان واطمان الكفر، وعملي: وهو إظهار الإنسان غير حقيقته في الصلاح والعمل. وجاء في الموسوعة الضدية: المنافق: هو الذي يظهر الإيمان بلسانه ويستر الكفر بقلبه، وقيل: هو الذي لا يطابق ظاهره باطنه، سواء كان في باطنه ما يضاد ظاهره، أو كان باطنه خالياً عما يشعر به ظاهره. (٥٦)

وفي القرآن الحكيم: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} (٦٦) ، والمنافق يخادع ربه ويترك فرضه، يكره المؤمنين ويتبع الجاهلين، يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُدْبِئِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} (٧٦) ، وقال

(١٦) - سورة التغابن الآية (١١) .

(٢٦) - انظر عيون الأمل لطفه ياسين، ص ٩٨، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، الناشر دار القلم دمشق.

(٣٦) - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى باب من كان منكشف ج ١٠ ص ١٩٧ حديث (٢١٣٤٩) .

(٤٦) - سورة البقرة الآيات (٨-١٠) .

(٥٦) - الموسوعة العربية في الألفاظ الضدية والشذورات اللغوية لجامعه محمد بن محمد بن عبد الجبار بن محمد بن يحيى السماوي اليماني، ج ٣ ص ٧٩، الناشر: مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، طباعة دار الآداب بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

(٦٦) - سورة النساء الآية (١٤٥) .

(٧٦) - سورة النساء الآيات (١٤٢ و ١٤٣) .

جل شأنه: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (١٦) .

وما أكثر ضرر النفاق على المجتمعات الإنسانية وأخطره على الأمة الإسلامية، فكم ديار خربت ودماء سفكت وأعراض هتكت بسبب نفاق ذوي الألسنة الثرثرة، والقلوب الخوارة، والشهوات القاهرة، والنفوس الفاجرة، والأفكار الخيالية، فلا تعجب بأجسامهم ولا تصغ إلى أخبارهم فأنت لا تعرف ما تحويه قلوبهم من الأحقاد والمكائد الشداد وبغض العباد، وفي محكم التنزيل: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبُ مُسْنَدٍ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} (٢٦) ، ويرحم الله يوسف الدجوي حيث يقول:

لقد ظهرت حوادث لا تطاق ... وقوم ما لأكثرهم خلاق

فأموال تبعث في فسادٍ ... وكم وسط النهار دم يراق
وكم ظلمٌ تسربل ثوب عدل ... وكم ضغنٌ يغطيه النفاق

(١٦) - سورة التوبة الآية (٦٧) .

(٢٦) - سورة المنافقون الآيات (١-٤) .

٦.١٢ الإيمان بالغيب

وكم فضل يداس ولا يراعى.....وكم جهل يروجه الرفاق (١٦)
ويقول آخر:

حُكْمُ جَرَى سَوْقِ الْمَنَافِقِ نَافِقٌ ... بِنِفَاقِهِ وَالْبِرُّ أَعْظَمُ كَاسِدٍ
أما الشريف الرضي (٢٦) فهو يقول:

أقم واحداً فرداً ودع عنك مرةً ... نفاق فلان أو خداع فلان
الإيمان بالغيب

إن التصديق بكل ما أنزله الله على رسله وأخبر الله به عباده في كتابه العزيز عن الجن والملائكة والجنة والنار ويوم المعاد والحساب وما يحصل فيه يدل على كمال الإيمان واليقين، والإيمان بما أوجب الله عن كل ما غاب عن نظر الإنسان وإدراكه واستأثر الله به مما أرشد إليه القرآن الكريم، فلا يكون الإنسان مهتدياً ومؤمناً ما لم يكن مؤمناً بالغيب، وفي القرآن العظيم على ذلك دليل وشاهد: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٣٦) .

ولعلماء اللغة والتفسير في وصف الغيب أقوال تشير إلى بعض منها:
قال الراغب: الغيب: مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين، واستعمل في كل غائب عن الحاسة، وعمما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب، ويقال للشيء غيب وغائب باعتبارها بالناس لا بالله تعالى، فإنه لا يغيب عنه شيء، كما لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض (٤٦) .

وقيل: الغيب: ما غاب علمه عن جميع المخلوقات إلا ما علموه عن طريق الرسل، وقال الفيروزبادي: الغيب ما غاب عنك، وقيل: الغيب ما غاب عن الناس مما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الملائكة والجنة والنار والحساب، وقال ابن الأعرابي: الغيب: ما كان غائباً عن العيون وإن كان محصلاً في القلوب، وأنشد بيت تميم بن أبي بن مقبل:
وللفؤاد وجيب تحت أبهره ... لدم الغلام وراء الغيب بالحجر (٥٦)

وقال صاحب المنار: الغيب قسمان: غيب حقيقي مطلق وهو ما غاب عن جميع الخلق حتى الملائكة، وفيه يقول الله عز وجل: {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} (٦٦) ، وغيب إضافي وهو ما غاب علمه عن بعض المخلوقين دون بعض كالذي يعلمه الملائكة من أمر عالمهم وغيره ولا يعلمه البشر مثلاً، وأما ما يعلمه بعض البشر بتمكّنهم من أسبابه واستعمالهم

(١٦) - وردت هذه الآيات ليويسف الدجوي من كبار علماء الأزهر في القرن الماضي ضمن تقريره للنهضة الإصلاحية للأسرة الإسلامية لمؤلفه مصطفى الحامي، ص ٩، مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م.

(٢٦) - العلامة الشريف الرضي: (٣٥٩-٤٠٦هـ/٩٦٩-١٠١٥م) محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني الموسوي. من أحفاد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أشعر الطالبين على كثرة المجيدين فيهم. مولده ووفاته في بغداد، انتهت

إليه نقابة الأشراف في حياة والده وخلع عليه بالسواد وجدد له التقليد سنة ٤٠٣ هـ. له ديوان شعر في مجلدين، وكتب منها: الحسن من شعر الحسين، وهو مختارات من شعر ابن الحجاج في ثمانية أجزاء، والمجازات النبوية، ومجاز القرآن، ومختار شعر الصابئ، ومجموعة ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابئ من الرسائل، وهو جامع نهج البلاغة، ونسب جمعه البعض إلى أخيه المرتضى. توفي ببغداد ودفن بداره أولاً ثم نقل رفاته ليدفن في جوار جده الإمام الحسين رضي الله عنه، بكر بلاء.

(٣٧) - سورة البقرة الآيات (٣-٥) .

(٤٦) - المفردات ص ٣٧٠.

(٥٦) - الوجيب: تحرك القلب، والأبهر: عرق في الصلب، والقلب متصل به، فإذا انقطع لم تكن معه حياة، والدم: الضرب، يريد أن للفؤاد صوت يسمعه ولا يراه كما يسمع صوت الحجر الذي يرمي به الصبي ولا يراه، وانظر: اللسان في مادة (بهر) ج ٤ ص ٨١، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ، ج ٤ ص ٢٥٢، الناشر: المكتبة العلمية بيروت الطبعة الأولى.

(٦٦) - سورة النمل الآية (٦٥) .

لها ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب وعجزهم عن استعمالها، فلا يدخل في عموم معنى الغيب الوارد في كتاب الله، وهذه الأسباب منها ما هو علمي كالدلائل العقلية والعلمية فإن بعض علماء الرياضيات وغيرها يستخرجون من دقائق المجهولات ما يعجز عنه أكثر الناس، ويضبطون ما يقع من الخسوف والكسوف بالدقائق والثواني قبل وقوعه.

ومنها ما هو عملي كالتلغراف الهوائي أو اللاسلكي الذي يعلم به المرء بعض ما يقع في أقاصي البلاد وأجواف البحار التي بينه وبينها ألوف من الأميال (١٦) .

وفي الذكر الحكيم: { قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ } (٢٦) ، وفي هذه الآية دليل على أن الرسول عليه الصلاة والسلام وكذلك سائر الأنبياء لم يعطوا علم الغيب بحيث يكون إدراكه من علومهم الكسبية، كما أنهم لم يعطوا قوة التصرف في خزائن ملك الله، لأن ذلك مما لم يمكن البشر من أسبابه ولا أعطاهم إياه على سبيل الخصوصية، كما أظهرهم على بعض الغيب الذي هو موضوع الرسالة، ونفي ادعاء الرسول لكل من الأمرين يتضمن التبرؤ من ادعاء الألوهية، أو ادعاء شيء من صفات الإله، وهو أولى ويستلزم ذلك أن كلا منهما خاص بالإله الذي هو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم.

(١٦) - تفسير المنارج ٧ ص ٢٢٤ .

(٢٦) - سورة الأنعام الآية (٥٠) .

قال النابغة الجعدي (١٦) :

لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَ الْغَيْبَ عَمَّنْ سِوَاهُ ... وَيَعْلَمُ مِنْهُ مَا مَضَىٰ وَتَأَخَّرَ
أما أبو الحسن الغزنوي فهو يقول:

والله بالغيب والتقدير منفرد ... وما سوى حكمه غيٍّ وتضليلٌ

ويرى محمد الحسيني أن الله انفرد بعلم الغيب وأنه لا أجهل ممن يدعي ثقةً بحدسه وهو يجهل ما في بيته، وذلك حيث يقول:

لا يعلم الغيب إلا الله خالقنا ... لا غيره عالم عجماً ولا عرباً

إذ لا شيء أجهل ممن يدعي ثقةً ... بحدسه ويرى فيما يرى ريباً

قد يجهل المرء ما في بيته نظراً ... فكيف عنه بما في غيبه احتجبا

أما زهير بن أبي سلمى (٢٦) فهو يقول:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ ... وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدِّ عَمِّي

إخبار المنجم عن علم الغيب كذب والتصديق به كفر

(١٦) - قيس بن عبد الله، بن عدس بن ربيعة، الجعدي العامري، أبو ليلى، (٥٤ ق. هـ - ٥٠ هـ / ٧٠-٦٧٠ م)، شاعر مفلق، صحابي من المعمرين، اشتهر في الجاهلية وسمي النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة، لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله، وكان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأسلم، وأدرك صقين فشهداها مع علي كرم الله وجهه، ثم سكن الكوفة فسيره معاوية إلى أصبهان مع أحد ولاتها فمات فيها وقد كُف بصره وجاوز المائة.

(٢٦) - زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، من مضر، (ت ١٣ ق. هـ ٦٠٩ م)، حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الأدب من يفضل على شعراء العرب كافة، قال ابن الأعرابي: كان زهير من الشعر ما لم يكن لغيره: كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، ولد في بلاد مَرِيْنَة بنوحي المدينة وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد)، واستمر بنوه فيه بعد الإسلام، قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهدبها في سنة فكانت قصائده تسمى (الحوليات)، أشهر شعره معلقته التي مطلعها: ... أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

التنجيم كذب ووبال، وزيف وخيال، فلا تصدق المنجم تأثم، ومن الخير تحرم، فاحذر تصديق المنجم والكاهن والعراف، ففي الحديث النبوي الشريف: (مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحَرِ) (١٦)، وقال العزيز الحكيم: {وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} (٢٦)، وجاء في حديث آخر: (مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَفًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (٣٦). قال الشاعر:

دع المنجم يكبو في ضلالتة ... إن ادعى علم ما يجري به الفلك

تفرد الله بالعلم القديم فلا ... الإنسان يشركه فيه ولا الملك (٤٦)

وقال أبو العلاء المعري:

يَجْمُونَ وَمَا يَدْرُونَ لَوْ سَأَلُوا ... عَنِ الْبَعُوضَةِ أَتَى مِنْهُمْ تَقَفٌ

أما لبيد بن ربيعة فهو يقول:

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الصُّوَارِبُ بِالْحَصَى ... وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ

(١٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب في النجوم حديث (٣٤٠٦).

(٢٦) - سورة طه الآية (٦٩).

(٣٦) - أخرجه احمد في المسند عن أبي هريرة حديث (٩١٧١).

(٤٦) - هذه الأبيات لأبي اليمين الكندي، وهو زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد الحميري من ذي رعين أبو اليمين تاج الدين الكندي، (٥٢٠-٦١٣ هـ/١١٢٦-١٢١٧ م) أديب من الكتاب الشعراء العظماء، ولد ونشأ ببغداد وسافر إلى حلب سنة ٥٦٣ هـ، وسكن دمشق وقصده الناس يقرؤون عليه، وكان مختصاً بفرخ شاه ابن أخي صلاح الدين وبولده الملك الأجد صاحب بعلبك، وهو شيخ المؤرخ سبط ابن الجوزي، وكان الملك المعظم عيسى يقرأ عليه دائماً كتاب سيبويه متناً وشرحاً والإيضاح والحماسة وغيرهما، قال أبو شامة: كان المعظم يمشي من القلعة راجلاً إلى دار تاج الدين والكتاب تحت إبطه، واقتنى مكتبة نفيسة، توفي في دمشق، له ديوان شعر، وله: كتاب شيوخه على حروف المعجم كبير، وشرح ديوان المتنبي.

وقال آخر:

كُنْ طَالِبًا لِلْعِلْمِ وَعَامِلًا صَالِحًا ... فَهَمَا إِلَى سُبُلِ الْهُدَى سَبَبَانِ

لَا تَتَّبِعْ عِلْمَ النُّجُومِ فَإِنَّهُ ... مُتَعَلِّقٌ بِزَخَارِفِ الْكُهَّانِ

عِلْمُ النُّجُومِ وَعِلْمُ شَرَعِ مُحَمَّدٍ ... فِي قَلْبِ عَبْدِ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ (١٦)
أما المتنبي فهو يقول:

فَتَبَا لِدِينِ عِبِيدِ النُّجُومِ ... وَمَنْ يَدَّعِي أَنَّهَا تَعْقِلُ
وهذا أبو تمام الطائي يقول:

السِّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
بِيضُ الصَّفَاخِ لَا سَوْدُ الصَّحَائِفِ ... فِي مُتَوَنِّهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
وَالْعِلْمُ فِي شَهْبِ الْأَرْمَاحِ لِامْعَةِ ... بَيْنَ الْخَمِيسِينَ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهْبِ
أَيُّ الرِّوَايَةِ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
تَحْرُصًا وَأَحَادِيثًا مَلْفَقَةً ... لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عَدَّتْ وَلَا غَرَبِ
وقال آخر:

الفأل والزجر والكهان كلهم ... مضللون ودون الغيب أفعال (٢٦)

(١٦) - هذه الأبيات تنسب للعلامة عبد الله بن محمد القحطاني.
(٢٦) - الموسوعة الشعرية ص ٨٢.

٦.١٣ علم الفلك والنجوم

علم الفلك والنجوم
علم النجوم علمان:

علم يعرف به سير النجوم ومدارها ومنازلها وأبعادها وأحجامها، وهذا ما يسمى بعلم الفلك وهو ليس داخل في التنجيم وتعليمه والعمل به غير

منه عنده، وفي الذكر الحكيم: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (١٦) .

وعلم يزعمون أنه يعني روحانية النجوم والكواكب وتأثيرها في الخلق والأرض ومن عليها بالأمراض وما يحصل من الحروب والضيق والسعة والموت والحياة والسعادة والشقاوة ... إلخ، وما يعملون فيه من الجداول بالحوادث في العالم كله وهذا هو الدجل والكذب وهو نوع من السحر واستخدام الشياطين والقول على الله بلا علم.

قال الشاعر:

تدبر بالنجوم ولست تدري ... ورب النجم يفعل ما يريد (٢٦)

وقال ابن تيمية: "لا ريب أن النجوم نوعان: حساب وأحكام، فأما الحساب فهو معرفة أقدار الأفلاك والكواكب وصفاتها ومقادير حركتها وما يتبع ذلك فهذا في الأصل علم صحيح لا ريب فيه كمعرفة الأرض وصفتها.

وصناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة". (٣٦) وقال الشاعر:

إني بأحكام النجوم مكذب ... ولمدعيها لائم ومؤنب

الغيب يعلمه المهيمن وحده ... وعن الخلائق أجمعين مغيب

(١٦) - سورة يونس الآية (٥) .

(٢٦) - ورد هذا البيت في التمثيل والمحاضرات للثعالبي، ص ١٨٩.

(٣٠) - انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٩ ص ٢٢٤.

٦٠١٤ الإيمان بأسماء الله وصفاته

الإيمان بأسماء الله وصفاته

إن الإيمان بأسماء الله وصفاته هو أعظم المطالب وأهمها، وإذا كان الله قد جعل لكل مطلوب سبباً وطريقاً للوصول إليه فقد جعل للإيمان أسباباً تجلبه وتقويه كما كان له أسبابٌ تضعفه وتوهيه، ومن أعظم ما يقوي الإيمان ويجلبه معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في كتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم والحرص على تفهم معانيها والتعبد لله بها وفي الذكر الحكيم: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١٠) .

وجاء في السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) (٢٠) ، أي من حفظها، وفهم معانيها ومدلولها، وأثنى على الله بها، وسأله بها واعتقدها دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمن، فاعلم أن ذلك أعظم ينبوع، ومادة لحصول الإيمان وقوته وثباته، ومعرفة الأسماء الحسنى -بمراتبها الثلاث: إحصاء ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدلولها، ودعاء الله بها، دعاء الثناء والعبادة ودعاء المسألة- هي أصل الإيمان والإيمان يرجع إليها، لأن معرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه وقوي يقينه، فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تحريف ولا تكييف. (٣٠) وعدم العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها قال تعالى: {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} أي يميلون بها ويعدلون بها عن معانيها مأخوذ من الميل كما يدل عليه مادة "لحد"، فنه اللحد: وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل.

قال ابن السكيت: الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس فيه يقال قد ألحد في الدين ولحد أي حاد عنه وقرئ لسان الذي يلحدون إليه (٤٠) .

وأسماء الله كلها حسنى وكلها تدل على الكمال المطلق والحمد المطلق، وهي توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزداد ولا ينقص، قال تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} (٥٠) ، وقال: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (٦٠) ، فتسميته جل وعلا بما لم يسم نفسه أو إنكار ما سمي به نفسه جناية في حقه سبحانه وتعالى، فوجب سلوك الأدب في

(١٠) - سورة الأعراف الآية (١٨٠) .

(٢٠) - صحيح البخاري باب ان لله مائة اسم إلا واحد حديث (٦٩٥٧) .

(٣٠) - انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك بعدد وإياك نستعين لابن القيم، ج ٣ ص ١٧ ، والتوضيح والبيان لشجرة الإيمان لعبد

الرحمن بن ناصر السعدي ، ص ٣٩ ، وبدائع الفوائد لابن القيم ج ١ ص ١٦٤ ، وشرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب السنة ص ٤٥٠ .

(٤٠) - لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٨ .

(٥٠) - سورة الإسراء الآية (٣٦) .

(٦٠) - سورة الأعراف الآية (٣٣) .

٦٠١٥ الذكر يقوي الإيمان

ذلك والاختصار على ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله، فهؤلاء ملائكة الرحمن يقولون: {سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا} (١٦) ، فيجب الإيمان بالأسماء الحسنى الواردة في كتاب الله وسنة رسوله وتدل عليه من المعاني وتعلق به من الآثار، فيؤمن المؤمن بأن الله رحيم: أي أنه ذو رحمة واسعة وسعة كل شيء فهو يرحم عباده، قدير: أي ذي قدرة على كل شيء أي لا يعجزه شيء، غفور: أي ذو مغفرة ويغفر لعباده، ... إلخ.

الذكر يقوي الإيمان

الذكر لله يقوي الإيمان، ويرفع من مكانة الإنسان، فهو شرف للذاكرين، وعدة للصابرين، وعون للمتقين، فمن ذكر الله ذكره، وأعانه ووفقه، وفي الذكر الحكيم: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (٢٠) . فاذكر أخي ربك في نفسك ولسانك وقلبك تكن من الفائزين، فالذكر غذاء الروح فهو الذي يمد النفس الإنسانية بالسكينة والاطمئنان وهذا ما صرح به القرآن، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} (٣٠) ، فذكر الله سبب لحصول السعادة في الدنيا والآخرة وقد جاء في السنة النبوية عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (مثل الذي يذكر

(١٦) - سورة البقرة الآية (٣٢) .

(٢٠) - سورة الأنفال الآية (٢) .

(٣٠) - سورة الرعد الآية (٢٨) .

ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت) (١٦) ، وفي مسند الإمام احمد وسنن الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: (ما عمل آدمي عملاً أنجى من عذاب الله، من ذكر الله عز وجل) قال معاذ: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها لدرجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى) (٢٠) .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جُمدان، فقال: (سيروا، هذا جُمدان، سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذَّاكِرُونَ اللهُ كثيراً والذَّاكِرَاتُ) (٣٠) وزاد الترمذي: (المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفاً) (٤٠) . قال الشاعر:

والذِّكْرُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا ... يُحْيِي الْبِلَادَ إِذَا مَا مَاتَ الْمَطْرُ (٥٠)

(١٦) - صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، حديث (٦٤٠٧) .

(٢٠) - أخرجه الترمذي في الدعوات، حديث (٣٣٧٧) - وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، حديث (٣٧٩٠) . ومسند الامام احمد حديث (٢٢١٣٢) .

(٣٠) - صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، حديث (٢٦٧٦) طبعة-١٩٩٢م .

(٤٠) - سنن الترمذي، باب في العفو والعافية، حديث (٣٥٢٠) .

(٥٠) - هذا البيت لسابق بن عبد الله البربري الرقي (ت ١٣٢هـ-٧٤٩م) فقيه ومحدث وأحد شعراء الزهد في العهد الأموي أخذ الشعر عنه وتلمذ له أبو العاتية، من أهل خراسان، سكن الرقة، عرف بأبي أمية البربري وقد صحف الزبيدي صاحب تاج العروس اسمه بقوله (سابق بن عبد الله البرقي المعروف بالبربري) وترجم ابن عساكر لسابق البربري المحدث وسابق البربري الزاهد وتوهم أنهما اثنان بينما هما شخص واحد، روى الذهبي أنه من موالي بني أمية وفد على عمر بن عبد العزيز وله معه حكايات لطيفة. وقال آخر:

لويلعلم الناس ما في الذكر من شرف ... أمضوا الحياة بتسييح وتهليل
ويرحم الله أبا العتاهية حيث يقول:

لويلعلم العبد ما في الذكر من شرف ... أمضوا الحياة بتسييح وتحجيد
أما الإمام علي بن أبي طالب فهو يعظ ولده الحسين رضي الله عنهما فيقول:
أَحْسِنُ إِنِّي وَاعِظُ وَمُؤَدِّبٌ ... فَافْهَمِ فَأَنْتَ الْعَاقِلُ الْمُتَأَدِّبُ
وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ ... يَغْذُوكَ بِالْأَدَابِ كَيْلَا تَعْطُبُ
أَبْنِيَّ إِنَّ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظٌ ... فَمَنْ الَّذِي بَعْظَاتِهِ يَتَأَدَّبُ
فَاقْرَأْ كِتَابَ اللَّهِ جَهْدَكَ وَإِتْلُهُ ... فَيَمَنْ يَقُومُ بِهِ هُنَاكَ وَيَنْصَبُ
بِتَفَكُّرٍ وَتَحَنُّشٍ وَتَقَرُّبٍ ... إِنَّ الْمُقْرَبَ عِنْدَهُ الْمُتَقَرِّبُ
وَأَعْبُدْ إِيَّاهُ ذَا الْمَعَارِجِ مُخْلِصاً ... وَأَنْصِتْ إِلَى الْأَمْثَالِ فِيمَا تُضْرَبُ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ وَعَظِيَّةٍ ... تَصِفُ الْعَذَابَ فَحَفِّفْ وَدَمِّعْكَ يُسْكَبُ
يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ ... لَا تَجْعَلْنِي فِي الَّذِينَ تُعَذِّبُ
إِنِّي أَبُوؤُ بَعْثَرَتِي وَخَطِيئَتِي ... هَرَباً إِلَيْكَ وَلَيْسَ دُونَكَ مَهْرَبُ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا ... وَصِفِ الْوَسِيلَةَ وَالنَّعِيمَ الْمُعْجَبُ
فَاسْأَلْ إِيَّاهُ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصاً ... دَارُ الْخُلُودِ سُؤَالَ مَنْ يَتَقَرَّبُ
وَاجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحِلَّ بِأَرْضِهَا ... وَتَمَالَ رُوحَ مَسَاكِنَ لَا تَخْرُبُ
وَتَمَالَ عَيْشاً لَا انْقِطَاعَ لَوَقْتِهِ ... وَتَمَالَ مُلْكَ كَرَامَةٍ لَا تُسَلَّبُ

٦٠١٦ ذكر الله في جوف الليل

٦٠١٧ ذكر الله شرف ونعمة

٦٠١٨ الدعاء يقوي الإيمان

ذكر الله في جوف الليل

إن الذكر في جوف الليل يقوي إيمان الإنسان ويعلي شأنه، فمن جد وجد، وقد جاء في الحديث النبوي: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ) (١٦)، ويرحم الله القائل:

يا رجال الليل جدوا ... رب داع لا يرد

ما يقوم الليل إلا ... من له عزم وجد

ليس شيء كصلاة ... الليل للقبر يعد

ولأبي العتاهية:

إِذْكَرْ مَعَادَكَ أَفْضَلَ الذِّكْرِ ... لَا تَنْسَ يَوْمَ صَبِيحَةِ الْحَشْرِ

ذكر الله شرف ونعمة

إن في ذكر الله سبحانه وتعالى شرف كبير، وخير وفير، وأمان من عذاب الله العلي الكبير، فالذكر لله سبحانه وتعالى مظهر لمعرفة الإنسان ربه والثناء عليه، وبه يتقرب إلى الله، وبه يطلب رحمته وعفوه وفضله وإحسانه، قال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} (٢٦) ، فالذي أمد الإنسان بمال وبنين والذي خلق الإنسان وأوجده والمتصرف في الكون كيف يشاء يأمر الإنسان بذكره كي يذكره ويعطيه ويتفضل عليه ويعافيه قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} (٣٦) ، وقد بين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الذكر يحط عن الذاكرين أفعالهم من الذنوب، ويكون لهم بذلك الأجر الكبير، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك حيث قال: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (٤٦) .
الدعاء يقوي الإيمان

الدعاء بأسماء الله الحسنى مخ العباد، وبه تنال الحسنى وزيادة، وفي الذكر الحكيم: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} (٥٦) ، فلا يثنى على الحق سبحانه وتعالى إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولا يسأل إلا بها، فهي أجل ما ينطق به اللسان، وأفضل ما يتجمل به من الكلام، وأنفع ما يفزع إليه الإنسان على الدوام؛ ففي دعائه بأسمائه وصفاته توحيد لله في صفاته وأسمائه وتذلل وتضرع واعتراف بأنه الضار النافع المعطي المانع.

- (١٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب في دعاء الضيف حديث (٣٥٠٣) .
- (٢٦) - سورة البقرة الآية (١٥٢) .
- (٣٦) - سورة الأحزاب الآيات (٤١-٤٣) .
- (٤٦) - سورة الأحزاب الآية (٣٥) .
- (٥٦) - سورة الأعراف الآية (١٨٠) .

٦٠١٩ من تقرب إلى الله بالدعاء ضمن الإجابة

فمن أراد خير الدنيا والآخرة فعليه بالدعاء، فبالدعاء يبلغ الإنسان آماله، وتصلح أحواله، وتزكو أعماله، والدعاء يرفع البلاء، ويقي من المصائب والأذى، ويجلب الخيرات والنعم، قال تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَاتَّبِعْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} (١٦) .

من تقرب إلى الله بالدعاء ضمن الإجابة

من أخلص لله في الدعاء ظفر بمراده، وانتصر على أعدائه، فلا تزدرى الدعاء وتكاسل لكي لا تنزل وتفشل، ويرحم الله الشافعي حيث يقول:

أَتَهْرَأُ بِالِدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ ... وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
سِهَامُ اللَّيْلِ لَا تُخْطِي وَلَكِنْ ... لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءُ
فِي مَسْكِنِهَا إِذَا مَا شَأْنُ رَبِّي ... وَيُرْسِلُهَا إِذَا نَفَذَ الْقَضَاءُ
وقال آخر:

وإني لأدعو الله والأمر ضيق ... عليّ فما ينفك أن يتفرجا
ورب فتى سدت عليه وجوه ... أصاب لها في دعوة الله مخرجا (٢٦)
وجاء في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي قول الشاعر:
الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب (٣٦)

وجاء في شعر الحكمة لامروء القيس (٤٦) :

(١٦) - سورة الإسراء الآية (١١٠) .

(٢٦) - بهجة المجالس لابن عبد البر ج ٣ ص ٢٧٤ .

(٣٦) - الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٠٦ .

(٤٦) - امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، (١٣٠-٨٠ ق. هـ/٤٩٦-٥٤٤ م) ، شاعر جاهلي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يمني الأصل، مولده بنجد، كان أبوه ملك أسد وخطان وأمّه أخت المهلهل الشاعر، قال الشعر وهو غلام، وجعل يشبب ويلهو ويعاشر صعاليك العرب، فبلغ ذلك أباه، فنهاه عن سيرته فلم ينته، فأبعده إلى حضرموت، موطن أبيه وعشيرته، وهو في نحو العشرين من عمره، أقام زهاء خمس سنين، ثم جعل ينتقل مع أصحابه في أحياء العرب، يشرب ويطرب ويغزو ويلهو، إلى أن ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، فبلغه ذلك وهو جالس للشراب فقال: رحم الله أبي! ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكر غداً، اليوم نحر وغداً أمر. ونهض من غده فلم يزل حتى ثار لأبيه من بني أسد، وقال في ذلك شعراً كثيراً، كانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل المرار (آباء امرؤ القيس) فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرئ القيس، فطلبه فابتعد وتفرق عنه أنصاره، فطاف قبائل العرب حتى انتهى إلى السموأل، فأجاره ومكث عنده مدة، ثم قصد الحارث بن أبي شمر الغساني والي بادية الشام لكي يستعين بالروم على الفرس فسيره الحارث إلى قيصر الروم يوستينيانس في القسطنطينية فوعده وماطله ثم ولاه إمارة فلسطين، فرحل إليها، ولما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح، فأقام فيها إلى أن مات.

٦٠٢٠ المؤمن من أسماء الله الحسنی

وَاللَّهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتَ بِهِ ... وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيْبَةِ الرَّحْلِ

وقد جاء في الذكر الحكيم: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (١٦) ، فهيات أن يرد الله من سأله مخلصاً وأيقن منه الإجابة فهو الكريم الذي يجيب من سأله.

والدعاء نهاية التذلل ومصدر العطف من الرحيم ودليل الاخلاص للأحد الصمد العظيم، وفي الحديث النبوي الشريف: (ادعوا اللهَ وَاتَّقُوهُ مَوْقُونَ بِالْإِجَابَةِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لِاه) (٢٦) .

المؤمن من أسماء الله الحسنی

المؤمن من أسماء الله الحسنی، هو من وحد نفسه سبحانه، وأثنى عليها بصفة الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسل رسله، وأنزل كتبه بالآيات والبراهين، وصدق رسله بكل آية وبرهان يدل على صدقهم وصحة ما جاءوا به. (٣٦) قال تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ

(١٦) - سورة البقرة الآية (١٨٢) .

(٢٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في جامع الدعوات حديث (٣٤٠١) .

(٣٦) - شرح أسماء الله الحسنی ص ١٦٩ .

الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (١٦) ، وقال جل شأنه: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (٢٦) .

وقال ابن عباس: المؤمن: هو من أمن خلقه من أن يظلمهم.

وقال قتادة: أمن: بقوله أنه الحق.

وقال ابن زيد: صدق عباده المؤمنين في إيمانهم.

وقال مجاهد: هو الذي وحد نفسه سبحانه.
وقيل: هو المصدق لرسله بإظهار معجزاته عليهم ومصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب، ومصدق الكافرين ما وعدهم به من العقاب، وهو الذي أمن أوليائه من عذابه، وهو الذي أمن عباده من الخوف. (٣٦)
وقال الحلبي: المؤمن معناه المصدق، لأنه إذا وعد صدق وعده، ويحتمل المؤمن عباده بما عرفهم من عدله ورحمته من أن يظلمهم ويجور عليهم. (٤٦)

وقال محمد راتب النابلسي: فاسم الله المؤمن مأخوذ من التصديق أو من الأمن. (٥٦)

(١٦) - سورة الحشر الآية (٢٣) .

(٢٦) - سورة آل عمران الآية (١٨) .

(٣٦) - أورد ذلك حامد احمد الطاهر في الجامع لأسماء الله الحسنى ص ٢٨٥، نقلاً عن ابن كثير والقرطبي في التفسير.

(٤٦) - الأسماء والصفات للبيهقي ص ٨٤.

(٥٦) - موسوعة أسماء الله الحسنى للأستاذ الدكتور/ محمد راتب النابلسي، ج ١ ص ٩٩، الناشر: دار المكتبي دمشق سوريا، الطبعة الخامسة ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

٦.٢١ ثمرة التعرف على اسم الله المؤمن

ثمرة التعرف على اسم الله المؤمن

إذا عرف العاقل المسلم أن الله جل وعلا المؤمن المهيمن كان لله مصداقاً، وآمن بكل ما أنزل الله سبحانه وتعالى، وبذلك يتم إيمانه، ويتحقق الأمن والاطمئنان في قلبه بذكر الله سبحانه، ويحصل له الخوف والحياء من الله لإيمانه بشهادة الله عليه إن عصاه، ورجاء شهادة الله له إن أطاعه، وبذلك يكون قوَّاماً بشهادة الله في كل ما نفع وضر وساء وسر، ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين، وفي ذلك نجاة المؤمن وفلاحه وصلاحه وإصلاحه لنفسه ومجتمعه.

دعاء الله باسمه المؤمن

يا الله يا رحمن يا رحيم يا مؤمن يا مهيمن آمين والمؤمنين من عذابك، ومن مناقشة حسابك، ومن أليم عقابك، واجعل اللهم يا مؤمن يا مهيمن خوفك على قلبي وجوارحي مهيماً، واجعل قلبي له محلاً ومسكناً، واجعلني من المتقين، وأسكنني والمؤمنين غرف الفردوس الأعلى يا رب العالمين ويا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وآله وأصحابه المتقين المؤمنين وسلم تسليماً كثيراً يا رب العالمين.

٧ الفصل السادس العمل

الفصل السادس
العمل

٧.١ العمل

العمل

العمل الصالح شرف وكرامة، وفضل واستقامة، فهو أساس الخير، وطريق الفلاح، وسبب النجاح، وثمرته الثواب في الدنيا والأخرى، وخير الناس من حسن عمله، وسلم من الشرور، وخير الأعمال ما رفع به صاحبه، ونفع اخوانه، ورضي عنه ربه، والعاقل يعتمد على عمله، والجاهل يعتمد على أمه، وفي الحديث الشريف أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن خير الناس فقال: (خير الناس من طال عمره وحسن عمله) (١٦) .

وفي الامثال السائرة: "غبار العمل خير من زعفران العطلة"، وقيل: "قيمة كل امرء ما يحسنه، وخير الأعمال ما كان ديمة".
وقال احمد شوقي يحث العمال على العمل:

أيها العمالُ أفنوا ال... عُمَرَ كَدًّا وَآكْتِسَابَا
وَاعْمُرُوا الْأَرْضَ فَلَوْلَا... سَعِيكُمْ أَمَسَتْ يَبَابَا
إِنَّ لِي نَصْحًا إِلَيْكُمْ... إِنْ أَذْتُمْ وَعَتَابَا
فِي زَمَانٍ غَيْبِي النَّا... صَحُّ فِيهِ أَوْ تَغَابِي
أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ جُدُودٍ... خَلَدُوا هَذَا التُّرَابَا
قَلْدُوهُ الْأَثَرَ الْمُع... حِزَّ وَالْفَنَّ الْعُجَابَا
وَكَسُوهُ أَبَدَ الدَّه... بِرٍ مِنَ الْفَخْرِ ثِيَابَا
أَتَقْنُوا الصَّنْعَةَ حَتَّى... أَخَذُوا الْخَلْدَ اغْتِصَابَا

(١٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في طول عمر للمؤمن حديث (٢٣٢٩) .

٧.٢ العمل سبب الغنى

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ... اللَّهُ وَالنَّاسِ ثَوَابَا
أَتَقْنُوا يُحِبِّكُمْ اللَّهُ... لَهُ وَيَرْفَعُكُمْ جَنَابَا

وما ينال الإنسان الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة إلا بالعمل، والعمل دعامة الحياة وقوامها، وأساس بناء المجتمعات واستقرارها، ونماؤها وازدهارها، وفي الذكر الحكيم: {مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} (١٦) .

العمل سبب الغنى

إذا أردت السلامة من الفاقة، والبعد عما يوجب الندامة، فاسع لكسب المال بأسبابه، وعليك بالعمل، وتجنب الكسل؛ فإن من زرع حصد، ومن جد وجد، ومن أراد أن يستغني عن الناس اجتهد، وفوض الأمر إلى الله واستعد، قال ربيعة بن الورد:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه... شكى الفقر أو لام الصديق فأكثر
فسر في بلاد الله والتمس الغنى... تعش في يسار أو تموت فتعدرا
وقال الحريري:

لَا تَتَّعِدَنَّ عَلَى ضُرٍّ وَمُسْغَبَةٍ... لَكِي يُقَالَ عَزِيزُ النَّفْسِ مُصْطَبِرٌ
وَانظُرْ بَعِينِكَ هَلْ أَرْضٌ مُعْطَلَةٌ... مِنَ النَّبَاتِ كَأَرْضِ حَقِّهَا الشَّجَرُ
فَعَدَّ عَمَّا تُشِيرُ الْأَغْيَابُ بِهِ... فَأَيُّ فَضْلِ لِعُودٍ مَا لَهُ ثَمْرُ
وَارْحَلْ رِكَابَكَ عَنْ رِبْعٍ ظَمَّتْ بِهِ... إِلَى الْجَنَابِ الَّذِي يَهْمِي بِهِ الْمَطْرُ
وَاسْتَنْزِلِ الرَّيَّ مِنْ دَرِّ السَّحَابِ فَإِنَّ... بَلَّتْ يَدَاكَ بِهِ فَلَيْنَكَ الظَّفَرُ
وَإِنْ رُدِدَتْ فَمَا فِي الرَّدِّ مَنْقَصَةٌ... عَلَيْكَ قَدْ رَدَّ مُوسَى قَبْلُ وَالخَضِرُ
وقال آخر:

ولا تدع مقصداً حلالاً... تكون منه على بيان
أما علي بن الأزهر فهو يقول:

وعليّ ان أسعى وأطلب مكسباً... والرزق ما قسم الإله وما قضى

وفي الذكر الحكيم: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (٢٦) ، وظاهر النص يفيد أن الشريعة الإسلامية تحث على الانتاج والعمل واستثمار الموارد، وأهمية الحصول على الثروة والمال، وقد ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بالاستعاذة من الكسل فعن أنس بن مالك قال: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: (يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أُرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ) ، قَالَ: هُمُومٌ لَزِمْتَنِي وَدِيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (أَفَلَا أَعْلَمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَرَّتَ وَجَلَ هَمِّكَ وَقَضَىٰ عَنكَ دَيْنَكَ) ، قَالَ: قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ) ، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَرَّتَ وَجَلَ هَمِّي

(١٦) - سورة القارعة الآيات (٨ و ٧) .

(٢٦) - سورة الملك الآية (١٥) .

٧.٣ البكور في طلب الرزق

وَقَضَىٰ عَنِّي دَيْنِي (١٦) ، وقد ذَكَرَ اللهُ تعالى رسوله صلى الله عليه وآله بما أسدى إليه من النعم وأكرمه من الغنى فقال: {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ} (٢٦) .
البكور في طلب الرزق

البكور في طلب الخير خير، فالعاقل من الناس من يتنسم نسيم الصباح، ويبكر في عمله، فكل عمل يبدأ به في البكور اتقن وتم، فإن التبكير يجلب الخير، ويكثر الربح، ويزيد في انجاز الأعمال وتمامها، والغفلة وقت الصبح تأخر الكسب، وتعطل السير في العمل، وتدعو إلى الكسل والفتور، وتضيع فرصة التقدم، والاتفاق على بدء العمل والسير فيه، فمن تأخر في النوم حتى تشرق الشمس جمده فكره، ونحمت قريحته، وضل تديره، وتأخر عمله، وحرّم من نسيم الصبح العليل الليل، ومن سعة الرزق الوفير الغزير، وفي الحديث النبوي عن صخر الغامدي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا) ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ رَجُلًا تَاجِرًا وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فَأَثْرَىٰ وَكَثُرَ مَالُهُ. (٣٦) قال الشاعر:

أيها الغادون كالنح... لي إرتياداً وطلاباً

في بكور الطير للرزق... ق مجيئاً وذهاباً

(١٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب في الاستعاذة حديث (١٥٥٥) .

(٢٦) - سورة الضحى الآية (٨) .

(٣٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب في الابتكار في السفر حديث (٢٦٠٦) .

اطلبوا الحق برفق... واجعلوا الواجب داباً

واستقيموا يفتح الله... له لكم باباً فباباً

إنما العاقل من يج... عل للدهر حساباً

فأذكروا يوم مشيب... فيه تبكون الشباباً

إن للسِّنِّ لهما... حين تعلو وعداباً

فَاجْعَلُوا مِنْ مَالِكُمْ ... لِلشَّيْبِ وَالضَّعْفِ نِصَابًا (١٦)

فمن تذر الخمول، ونام في البكور؛ فقد أحرم نفسه من بركة دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وضع وقته وترك الحزم، وتجافى عن العزم.

قال الشاعر:

من ضيع الحزم في أوقاته ندم ... وظل مكثباً والقلب قد سأم (٢٦)

ولمهدب الدين (٣٦) :

وَإِذَا الْكَرِيمُ رَأَى الْخُمُولَ نَزِيلَهُ ... فِي بَلَدَةِ فَالْحَزْمُ أَنْ يَتْرَحَّلَا
كَالِدِرِّ لَمَّا أَنْ تَضَاءَلَ جَدًّا فِي ... طَلَبِ الْكَمَالِ فَحَازَهُ مَتَنَقَّلَا
سَفَهًا لِحُلْمِكَ إِنْ رَضِيْتَ بِمَشْرَبٍ ... رَتِقِ وَرِزْقُ اللَّهِ قَدْ مَلَأَ الْمَلَا
لَا تَحْسَبَنَّ ذَهَابَ نَفْسِكَ مِيتَةً ... مَا الْمَوْتُ إِلَّا أَنْ تَعِيشَ مُدَلَّلَا

(١٦) - هذه الأبيات لاحمد شوقي رحمه الله.

(٢٦) - هذا البيت لحسام الدين الواعظي.

(٣٦) - أحمد بن منير بن أحمد أبو الحسين مهذب الدين، شاعر مشهور من أهل طرابلس الشام، ولد بها وسكن دمشق ومدح السلطان الملك العادل محمود زنكي بأبلغ قصائده، وكان هجاءً مرّاً حبسه صاحب دمشق على الهجاء وهم بقطع لسانه ثم اكتفى بنفيه منها، فرحل إلى حلب وتوفي بها، له (ديوان شعر-ط)

استقبل اليوم من أوله بثغرٍ باسم، وصدرٍ منشرح، وعزيمة قوية، ونفس ندية سخية، فالتبكير إلى العمل الصالح رزق تشهده، وخير تحصل عليه، وفي الحديث النبوي الشريف أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة رضي الله عنها: (يا بنية قومي اشهدي رزق ربك، ولا تكوني من الغافلين، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس) (١٦) ، وفي ذلك ما يشعر بالتهي عن النوم في البكور كي لا يتعود الإنسان عليه وليتعود على العمل.

وقد نسب إلى المأمون أنه قال: "الناس أربعة: عمارة، وتجارة، وصناعة، وزراعة، فمن لم يكن منهم صار عيالاً عليهم". (٢٦) قال صلاح الدين الصفدي:

الجد في الجد والحِرمان في الكسل ... فانصب تصب عن قريب غاية الأمل
وللإمام علي رضي الله عنه:

إِصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْإِدْلَاجِ فِي السَّحْرِ ... وَفِي الرِّوَاكِ إِلَى الْحَاجَاتِ وَالْبُكْرِ
لَا تَضْجِرَنَّ وَلَا يَحْزُنْكَ مَطْلَبُهَا ... فَالْنَجْحُ يَتَلَفُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالضَّجْرِ
إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةً ... لِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةُ الْأَثْرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُطَالِبُهُ ... وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفْرِ
وَفِي الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ: "إِذَا أَخَذْتَ عَمَلًا فَفَعَّ فِيهِ فَإِنَّمَا خَيْبَتَهُ تَوْقِيهِ".

(١٦) - رواه البيهقي في شعب الإيمان حديث (٤٥٥٠) ، وسند الحديث ضعيف. وروى أيضاً عن علي وفاطمة معناه. وروى ابن

ماجه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (نهى عن النوم قبل طلوع الشمس) .

(٢٦) - هامش الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٥٣٠.

٧٠٤ الحرفة أو الصنعة ضرورة

وقديماً قيل: "إن يكن الشغل مجهداً فإن الفراغ مفسدة". وقال الشاعر:
إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً... ندمت على التفريط في زمن البذر
وفي الحديث النبوي: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى) (١٦) .

الحرفة أو الصنعة ضرورة

إن عمل الإنسان اليومي يعد ضرورةً لكسب الرزق، واستمرار الحياة، ومن المروءة أن يسعى الإنسان للتكسب على نفسه ومن يعول، واتخاذ حرفة أو صنعة أو وظيفة يعمل فيها المرء، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحترفون العمل، فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يعمل قبل توليه الخلافة تاجراً، وكان خَبَّاب بن الأرت حداداً، وعبد الله بن مسعود راعياً، وسعد بن أبي وقاص صانع نعال، وبلال ابن رباح خادماً، والزبير بن العوام خياطاً، وسلمان الفارسي حلاقاً، وروي أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه سقى بالدلاء على تمرات، فالعمل شرف وعزة مهما رآه البعض وضيعاً، فقد روي عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: (لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره؛ خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه) (٢٦) ، وقد روى الطبراني في الكبير والبيهقي أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (إن الله يُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ) (٣٦) .

وقال أبو العتاهية:

وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَةٌ... إِذَا صَحَّحَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ جَمَّ

وقال آخر:

يا باري القوس برياً ليس يحسنه... لا تظلم القوس اعط القوس باريها

فاحترام التخصص واتخاذ حرفة بعينها أو وظيفة بعينها سبب في اتقان العمل، واحكام الصنعة، قال الشاعر:

وَكَفَّ فَتَى لَمْ يَعْرِفِ السَّلْخَ قَبْلَهَا... تَجَوَّرُ يَدَاهُ فِي الْإِهَابِ وَتَخْرُجُ

وسأل معاوية رجلاً من عبد القيس: ما تعدون المروءة فيكم؟ قال: الحرفة والعفة، وكان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى رجل سأله: أله حرفة؟ فإذا قال: لا، سقط من عينه، ونظر عمر رضي الله عنه إلى أبي رافع وهو يقرأ ويصوغ، فقال: يا أبا رافع أنت خير مني تؤدي حق الله تعالى وحق مواليك، وقيل لأعرابي ينسج: ألا تستحي أن تكون نساجاً؟ قال: إنما أستحي أن أكون أخرق لا أنفع أهلي، وحرفة يقال فيها خير من مسألة الناس، وقيل: إن الله يحب التاجر الصدوق، والصانع الناصح لأنه حكيم. (٤٦)

أصناف الصناعات

إن التصنيع يعتبر حجر الزاوية في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في شتى المجالات، ولهذا تتعدد أنواع الصناعات، فمن صناعة

(١٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب بدء الوحي حديث (١) .

(٢٦) - صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستغفار من المسألة، حديث (١١٠٤) ، وأورده احمد في مسنده، مسند أبي هريرة، حديث (٧٣١٥) .

(٣٦) - أورده الإمام السيوطي في جامع الأحاديث والمراسيل، حديث (٥٥٧٠) ، وأورده محمد بن سلامة بن شهاب القضاعي في مسنده، باب إن الله يحب المؤمن المحترف، حديث (١٠٧٢) الناشر مؤسسة الرسالة، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب البيوع، باب الكسب والتجارة، حديث (١٣٢٦) ، ورواه الطبراني والبيهقي والحكيم من حديث ابن عمر- وأورده النبهاني في الفتح الكبير في ضم الزيادات إلى الجامع الصغير، ج ١ ص ٣١٢، طبعة ١٣٥٠هـ.

(٤٦) - محاضرات الأدباء ص ١٧٦.

السيارات والطائرات والبواخر والسفن وهي ضرورة لتواصل الناس وانتقالهم إلى أعمالهم وحمل أثقالهم وامتعتهم في أسفارهم، إلى صناعة الدبابات والصواريخ والمدركات وهي ضرورة في إعداد المؤمنين القوة لأعدائهم، إلى صناعة الملابس والحلي والمجوهرات والمقتنيات، إلى صناعة الأدوات الهندسية والطبية والرياضية وصناعة الأدوية، إلى غير ذلك من أنواع الصناعات الالكترونية، وغيرها مما لا يكاد يندرج تحت حصر مما يحتاجه الناس في هذه الحياة، وكَم من الصناعات والحلي والمنسوجات والمصنوعات ما يستخرج من الذهب والحديد والفضة والنحاس والرصاص والخشب والمواد البترولية ومشتقاتها إلى غير ذلك من الموارد الطبيعية التي تستخدم في الصناعة لتلبي رغبات الناس وتسد حاجاتهم، وكل هذه الصناعات شريف كسبها، عظيم نفعها، رفيع العمل فيها، كيف وقد عني القرآن الكريم بتوجيه الناس في آيات كثيرة تحثهم على ممارسة الصناعات، واستخراج خيرات الأرض، وجعلها صالحة لتلبية حاجات الناس المتعددة كما يقول جل شأن: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ} (١٦) ، ... وأخبر سبحانه عن تعليمه وإرشاده لني من أنبيائه في تصنيع الحديد فقال: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} (٢٦) .

(١٦) - سورة الحديد الآية (٢٥) .

(٢٦) - سورة الأنبياء الآية (٨٠) .

وقد كان أنبياء الله يعملون ويحبون العمل، وقد أرشدهم الله إلى الصناعة لعظيم نفعها فهذا نبي الله داود عليه السلام يأمره الله بقوله: {أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِرٍ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (١٦) ، وهذا نوح عليه السلام يأمره الله تعالى: {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ * وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} (٢٦) ، وهذا زكريا عليه السلام يخبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان نجاراً إذا يقول صلى الله عليه وآله وسلم: (كان زكريا نجاراً) (٣٦) ، وقد كان ادريس عليه السلام خياطاً وموسى عليه السلام راعياً وتاجراً، وفي ذلك اعلاء لشأن العمل ودليل على شرف العاملين، وفي الحديث النبوي: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) (٤٦) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرمى الغنم لأهل مكة بالقراريط قال سويد: يعني كل شاة بقيراط (٥٦) .

(١٦) - سورة سبأ الآية (١١) .

(٢٦) - سورة هود الآيتان (٣٧ و٣٨) .

(٣٦) - أخرجه ابن ماجه في سننه باب التجارة باب الصناعات حديث (٢١٥٠) .

(٤٦) - صحيح البخاري كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده حديث (١٩٦٦) .

(٥٦) - ابن ماجه في سننه باب التجارة باب الصناعات حديث (٢١٤٩) .

٧.٥ إتقان العمل

إتقان العمل

العاقل من يؤدي واجبه ويتقن عمله ويحسن صنعه حتى يكسب الناس ثقته، فمن أخلص في عمله نجح، وأحبه الله والناس، فما يكاد الناس يرون صنعة متقنة حتى يقبلون عليها ويثقون فيها، فمن غش في عمله ظلم نفسه، وأهدر ثقته، وكسدت بضاعته، وتجنب الناس التعامل معه، ومن أخلص في عمله ووظيفته أدى أمانته، وارتفعت مكانته، وأقبلت عليه الدنيا، وأمن من العذاب والإهانة، وساعده زمانه، وظفر بحب المجتمع واحترامه، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَثَبَّتَهُ (١٦) ، فإتقان العمل يدل على كمال العامل.

قال الشاعر:

في ازدياد العلم إرغام العدى ... وجمال العلم يا صاح العمل
قيمة الإنسان ما يحسنه ... أكثر الإنسان منه أو أقل
واكتم الأمرين فقراً وغنى ... واكسب الفلاس وحاسب من بطل
وادرع جداً وكداً واجتنب ... صحبة الحمقى وأرباب البخل (٢٦)

أما سليمان بن أبي الحفاظ المحجوري اليمني فإنه يقول:
ألا إنما الإنسان أهل لفعله ... وكل لما يأتي من فعله أهل
والإنسان مجزي بعمله إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرراً، ويرى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن الإنسان يلقي عمله في قبره فيقول:

يا من بدنياه اشتغل ... وعزّه طول الأمل
الموت يأتي بغتة ... والقبر صندوق العمل
أما أبو العتاهية فهو يقول:

(١٦) - رواه مسلم في صحيحه باب جامع صلاة الليل حديث (٧٤٦) .

(٢٦) - هذه الأبيات لابن الوردي.

واعلم بأنك مسؤول ومفتحص ... عما عملت ومعرض على العمل

ولله در شوقي حيث يقول:

كن نشيطاً عاملاً جم الأمل ... إنما الصحة والرزق العمل
كل ما اتقنت محبوب وجيه ... متقن الأعمال سر الله فيه
يقبل الناس على الشيء الحسن ... كل شيء بجزاء وثمن
انظر الآثار ما أزينها ... قد حباها الخلد من اتقنها

تلك آثار بني مصر الأول ... اتقنوا الصنعة حتى في الجعل
أيها التاجر بلغت الأرب ... طالع التاجر في حسن الأدب
باب حانوتك باب الرازق ... لا تفارق بابيه أو فارق
واحترم في بابيه من دخلا ... كلهم منه رسول وصلا
تاجر القوم صدوق وأمين ... لفضلة من فيه للقوم يمين

ويقول أيضاً:

العلم لا يعلي المراتب وحده ... كم قدم العمل الرجال وأخرا

فبالعمل يبلغ الأمل، ويلبس أبهى الحلل، ونعم الرجل الفاضل العامل، وقد أحسن القائل:

ما دام رائدنا الإخلاص في العمل ... لا بدّ نبليغ يوماً غاية الأمل
أمران من يعتصم يوماً بجبلهما ... فالنجاح رائده في أيما عمل
هما الثبات وتوحيد القلوب لذا ... إليهما قد دعانا خاتم الرسل

٧.٦ البحث عن العمل

٧.٧ القصة

البحث عن العمل

الحر يبحث عن العمل، ويتعد عن الكسل، ويعتمد على الله عز وجل، ويتأسى بهدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ففي ذلك فلاح ونجاح، ورشد وإصلاح، وقد جاء في الذكر الحكيم: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (١٦)، وقال جل شأنه: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٢٦) .

القصة

أخرج البيهقي في السنن الكبرى من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يشكو فاقته، فقال: يا رسول الله، لقد جئتك من أهل بيت ما أراني أرجع إليهم حتى يموت بعضهم، فقال: (انطلق هل تجد من شيء؟) فانطلق، فجاء بحلوس بساطٍ يجعل على ظهر البعير وقدح، فقال: يا رسول الله هذا الحلوس كانوا يفترونون بعضه ويلبسون بعضه، وهذا القدح كانوا يشربون فيه، فقال رسول الله: (من يأخذهما مني بدرهم)، فقال رجل: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله: (من يزيد على درهم)، فقال رجل: أنا آخذهما

(١٦) - سورة الملك الآية (١٥) .

(٢٦) - سورة الجمعة الآية (١٠) .

٧.٨ إعطاء العامل أجره

٧.٩ إعطاء العامل حظه من الراحة

باثنين، فقال: (هُمَا لَكَ)، قال: فدعا الرجل فقال له: (اشتر بدرهم فأسأ وبدرهم طعاماً لأهلك)، قال: ففعل، ثم رجع إلى النبي، فقال: (انطلق إلى هذا الوادي فلا تدع حاجاً ولا شوكةً ولا حطباً، ولا تأتني خمسة عشر يوماً)، قال: فانطلق فأصاب عشرة قال: (فانطلق فاشتر بخمسة طعاماً لأهلك)، فقال: يا رسول الله لقد بارك الله لي فيما أمرتني فقال: (هذا خير من أن تجيء يوم القيامة وفي وجهك نكتة المسئلة، إن المسئلة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي دمٍ موجهٍ أو غرمٍ مفضجٍ أو فقرٍ مفتحٍ) (١٦) .

إعطاء العامل أجره

إعطاء العامل أجره وثمره جهده فرض لازم، جاحده ظالم، والمتعافل عنه نادم، وفي الحديث النبوي الشريف: (اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) (٢٦)، وفي الحديث القدسي: (قال الله ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعط أجره) (٣٦) .

إعطاء العامل حظه من الراحة

إذا كانت طاقة الإنسان محدودة وساعات عمله معدودة فإن التكلف فوق الطاقة يفضي إلى المشقة والتعب الذي يوقع الإنسان في الضيق والنكد، وتكليف الإنسان نفسه أو غيره فوق الطاقة من العمل غير محمود ولا

(١٦) - أورده البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الصدقات، باب لا وقت فيما يعطى للفقراء والمساكين، حديث (١٣٣٧٣) .

(٢٦) - ابن ماجه في سننه كتاب الرهون باب اجر الأجراء حديث (٢٤٤٣) .

(٣٦) - صحيح البخاري باب إثم من باع حراً حديث (٢١١٤) .

٧.١٠ بعث الهمم على العمل

مرغوب، وفي الذكر الحكيم: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} (١٦) ، وقد جاء في الحديث النبوي: (خذوا من الأعمال ما تطيقون) (٢٦) ، وجاء في حديث آخر: (إن المنت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) (٣٦) ، فالراحة والاستجمام خير وسيلة لاستئناف العمل، فمن أعطى نفسه حظها من الراحة فقد أعطى حق البدن في الاستراحة، وفي الحديث النبوي: (إن لجسدك عليك حقاً) (٤٦) ، فمن أخذ بهدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ظفر، وفي القرآن الحكيم: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (٥٦) .

بعث الهمم على العمل

إن بعث الهمم على العمل الصالح وإتقانه طريق فلاح المؤمن ونجاحه، وهو دليل على صدق إيمانه، وإنما يرث الإنسان الكرامة والسعادة والخلود في الجنة بالعمل الصالح، قال تعالى: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (٦٦) ، فالإنسان المؤمن إذا أدرك في نفسه الوهن وأنه قد أصيب بالملل والضجر والسأم بعث في نفسه الهمم بالاستعانة بالله الواحد الأحد

- (١٦) - سورة البقرة الآية (٢٨٦) .
- (٢٦) - صحيح البخاري كتاب اللباس باب الجلوس على الحصر ونحوه حديث (٥٥٢٣) .
- (٣٦) - البيهقي في السنن الكبرى كتاب الصلاة ج ٣ ص ٢٨ حديث (٤٧٤٣) ، الطبعة الثالثة ١٤٢٧ هـ .
- (٤٦) - صحيح البخاري كتاب الصوم باب حق الجسم في الصوم حديث (١٩٧٥) ، وصحيح مسلم كتاب الصوم باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به حديث (١١٥٩) .
- (٥٦) - سورة التوبة الآية (١٠٥) .
- (٦٦) - سورة الزخرف الآية (٧٢) .

٧.١١ الباعث في أسماء الله الحسنی

الباعث للهمم، فهو الذي يقيه الضعف والوهن ويبعث في نفسه النشاط على العمل الحسن، فالإسلام دين يدعو إلى العمل الصالح الأتم، وفي الذكر الحكيم: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (١٦) .

الباعث في أسماء الله الحسنی

اسم الله الباعث لم يرد في القرآن الكريم بصيغة الباعث ولكن بصيغة الفعل قال تعالى: {ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى} (٢٦) ، وقال: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ} (٣٦) ، وقال: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} (٤٦) ، وقال: {ثُمَّ بَعَثْنَا لَهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَزِينِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا} (٥٦) ، وجاء في سورة الحج: {وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} (٦٦) .

وقد ورد في السنة: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) (٧٦) ، وقد روى الترمذي: (إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَىٰ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) وعد منها: (الباعث) .

- (١٦) - سورة الجمعة الآية (٢) .
- (٢٦) - سورة الأنعام الآية (٦٠) .
- (٣٦) - سورة الجمعة الآية (٢) .

(٤٦) - سورة النحل الآية (٣٦) .

(٥٦) - سورة الكهف الآية (١٢) .

(٦٦) - سورة الحج الآية (٧) .

(٧٦) - صحيح البخاري باب ان لله مائة اسم إلا واحداً حديث (٦٩٥٧) .

فوجب على المكلف أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى الباعث، باعث الموتى ومنشئهم وخالقهم ومعيدهم، فهو سبحانه الباعث للأموات، والباعث للأرواح والأجساد والرسول والخواطر.

وقال الرازي: والباعث في صفة الله تعالى يحتمل وجوهاً:

الأول: أنه تعالى باعث الخلق يوم القيامة، كما قال سبحانه: {وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} .

والثاني: أنه تعالى باعث الرسل إلى الخلق: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} .

والثالث: أنه تعالى يبعث عباده عند العجز بالمعونة والإغاثة وعند الذنب بقبول التوبة. (١٦)

فهذا الاسم معاني كثيرة منها: أن الله باعث الخلق يوم القيامة، ومنها: أن الله جل شأنه باعث الرسل، ومنها: أنه باعث عباده عند العجز بالمعونة.

وقال الدكتور محمد النابلسي: إن الله يبعث عباده على الأفعال المخصوصة إما تحقيقاً لا اختيارهم أو تأديباً لهم أو مكافأة لهم، فالله عز وجل يبعث بالمعنى الأول يحقق لك اختيارك وبالمعنى الثاني يكافئك على حسن اختيارك أو يؤدبك على سوء اختيارك، هذا التيسير الأول لتحقيق الاختيار أما الثاني فهو لدفع ثمن الاختيار. (٢٦)

(١٦) - الأسماء الحسنى للرازي ص ٢٧٦، والجامع لأسماء الله الحسنى ص ٣٧.

(٢٦) - موسوعة أسماء الله الحسنى ص ٨.

٧٠١٢ ثمرة معرفة اسم الله الباعث

ثمرة معرفة اسم الله الباعث

إذا عرف المكلف أن الله تعالى هو الباعث للأموات والباعث على فعل الخيرات والباعث للرسول إلى عباده ليعبدوه سبحانه وتعالى ويوحده، وأنه الباعث للهمم للترقي في ساحة التوحيد بهدايته وتوفيقه، وأنه الذي يبعث الإنسان على عليات الأمور؛ وجب عليه أن يؤمن به سبحانه وتعالى، ويسعى إلى معرفته وطاعته والإقبال عليه، وأن يبعث نفسه كما يريد الله تعالى فلا يأتي من الأفعال إلا ما كان مطابقاً لكتاب الله وسنة رسوله، وأن يتأدب مع جلال الله الباعث، فهو الذي يبعث ويجازي بالثواب والعقاب، فيشغل وقته كله بطاعة الله الباعث الوهاب، فيبعث قلبه على اليقين ولسانه على الذكر وجوارحه على العمل، ويلزم نفسه قبول باعث الحق ورد باعث الباطل. قال الرازي: إن العبد إذا سعى إلى التعلم بعث روحه بعد الموت، وإذا سعى في تعليم الجهلاء فكأنه يبعث أرواحهم بعد موتها. (١٦) فالؤمن باسم الله الباعث يحقق إيمانه بالعمل حتى يكون ممن أدرك الفلاح وتزود للدار الآخرة وتصفح أعماله وحاسب نفسه وجعل أعماله متوافقة مع منهج ربه. قال الخليفة الراشد أبو بكر الصديق (٢٦) رضي الله عنه:

وَكُلِّهِمْ لِلَّهِ فِي الْبَعْثِ مُنْشَرٌّ... مُجَازِيٌّ مُؤْتَى حَقُّهُ لَيْسَ يُخْسَرُ

(١٦) - الأسماء الحسنى للرازي ص ٢٧٧، والجامع لأسماء الله الحسنى ص ٣٨.

(٢٦) - عبد الله بن أبي خنيفة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، (٥١ ق.هـ - ١٣ هـ/٥٧٣-٦٣٤ م)، أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال، وأحد أعظم العرب، ولد بمكة، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً

من كبار موسريهم وعالماً بأنسب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش، وحرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها، وكانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال وبويع بالخلافة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة ١١ هـ، فخارب المرتدين، والممتنعين من دفع الزكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسم كبير في العراق، وكان موصوفاً بالحلم والرفقة بالعامّة، خطيباً لسناً، وشجاعاً بطلاً مدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، وتوفي في المدينة، كان يلقب بالصديق.

٧٠١٣ الدعاء باسم الله الباعث

الدعاء باسم الله الباعث

اللهم يا باعث يا شهيد ثبتني والمؤمنين في البعث بالقول الثابت والتوحيد وألهمني حمدك وذكرك يا مجيد، وسلمني والمؤمنين من العذاب الشديد، وتفضل عليّ بما أوليت أولياءك من الكرامة والفردوس الأعلى من الجنة إنك حميد مجيد، وصلى الله على محمد وآله وأصحابه وأزواجه وذريته وأهل بيته وسلم تسليماً كثيراً.

٨ الفصل السابع السفر والسياحة

الفصل السابع
السفر والسياحة

٨٠١ السفر والسياحة

السفر والسياحة

السفر يطيب الخواطر، ويجدد الأفكار، ويخرج الإنسان من سجن اليأس والإحباط إلى شمس الأمل والسرور، فجولة في أرض وارفة الظلال تتمايل على جنباتها أزهار بهية متنوعة قد تصفي ذهنك وتغير مجرى تفكيرك، وفي الأمثال السائرة: "الحركة ولود والسكون عاقر"، وفي أمثال العامة: "الحركة بركة"، وقد جاء في الذكر الحكيم: { وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِّضَ لِبَعْضٍ عَلَى الْبَعْضِ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (١٦) ، وروي أن الخليفة العباسي المأمون كان يقول: "لا شيء ألد من السفر فيه كفاية وعافية لأنك تحل كل يوم في محلة لم تحل فيها وتعاشر قوماً لم تعرفهم"، قال الشاعر:

ما في المقام لذي عقلٍ وذو أدبٍ ... من راحةٍ فدع الأوطانَ واعتربِ
سافر تجد عوضاً عمّن تفارقه ... وانصب فإن لذيد العيش في النصبِ
إني رأيتُ وقوفَ الماءِ يفسده ... إن ساحَ طابَ وإن لم يجر لم يطبِ
والأسدُ لولا فراقَ الأرضِ ما فترست ... والسهمُ لولا فراقَ القوسِ لم يصبِ
والشمسُ لو وقفت في الفلكِ دائمةً ... لملها الناسُ من عجمٍ ومن عربِ
والتبرُّ كالتربِ ملقى في أماكنه ... والعودُ في أرضه نوعٌ من الحطبِ
فإن تغربَ هذا عرَّ مطلبه ... وإن تغربَ ذاك عرَّ كالأذهبِ (٢٦)

(١٦) - سورة الرعد الآية (٤) .

٨٠٢ حقيقة السفر

وفي الحديث النبوي: (لويلم الناس ما للمسافر لأصبحوا على ظهر سفر إن الله عز وجل ينظر إلى الغريب كل يوم ألف مرة) (١٦) .
وفي الأمثال السائرة: "الإغراب يعيد الجدة ويفيد الحدة"، وقيل: "الغريب من لم يكن له حبيب"، وقيل: "كل غريب للغريب نسيب".
قال الشاعر:

أعاذل حبي للغريب سجية ... وكل غريب للغريب حبيب

وقال آخر:

أجارتنا إننا غريبان هاهنا ... وكل غريب للغريب نسيب

وفي الحديث النبوي: (سَافِرُوا تَصِحُّوا وَتَرَزَّقُوا) (٢٦) ، فدل على ما فيه سبب الغنى.
حقيقة السفر

السفر: هو قطع المسافة اسم مصدر سافر إذا خرج للارتحال أو لقصده مسافة فوق مسافة العدو، وفي المصباح: وسمي سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال لأن العرب لا يسمون مسافة العدو سفراً وقال بعض المصنفين: أقل السفر يوماً كأنه أخذ من قوله تعالى: { رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا } (٣٦) ، فإن في التفسير كان أصل أسفارهم يوماً يقبلون في موضع ويبيتون في موضع ولا

(١٦) - انظر: الفردوس بمأثور الخطاب ج ٣ ص ٣٤٨ حديث (٥٠٥٠) ، والمقاصد الحسنة للسخاوي ج ١ ص ٥٤٩ حديث (٨٩٥) ، وتنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة ج ٢ ص ٢٢٢ حديث (٣٠) ، كشف الخفاء ج ٢ ص ١٥٨ حديث (٢١٠٤) ، وإرواء الغليل ج ٥ ص ٣٨٤ حديث (٢٢٥/١) .

(٢٦) - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى حديث (٩٥) .

(٣٦) - سورة سبأ الآية (١٩) .

يتزودون. (١٦) وفي الذكر الحكيم: { وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } (٢٦) ، وقال جل شأنه: { وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ } (٣٦) ، وقال: { إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (٤٦) ، وقال عظمت حكمته: { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ } (٥٦) .

ويرحم الله شوقي حيث يقول:

وَجَدْتُ الْحَيَاةَ طَرِيقَ الزُّمْرِ ... إِلَىٰ بَعْثَةِ وَشُؤْنِ أُخْرٍ

وَمَا بَاطِلًا يَنْزِلُ النَّازِلُونَ ... وَلَا عَبَثًا يَزِمَعُونَ السَّفَرَ

فَلَا تَحْتَقِرْ عَالِمًا أَنْتَ فِيهِ ... وَلَا تَجْهَدِ الْآخَرَ الْمُتَنْظِرَ

وَخُذْ لَكَ زَادِينَ مِنْ سِيرَةٍ ... وَمِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُدْخِرَ

وَكُنْ فِي الطَّرِيقِ عَفِيفَ الْخَطَا ... شَرِيفَ السَّمَاعِ كَرِيمَ النَّظَرِ

وَلَا تُخَلِّ مِنْ عَمَلٍ فَوْقَهُ ... تَعِشْ غَيْرَ عَبْدٍ وَلَا مُحْتَقَرٍ

وَكُنْ رَجُلًا إِنْ أَتَوْا بَعْدَهُ ... يَقُولُونَ مَرَّ وَهَذَا الْأَثَرُ

(١٦) - المصباح المنير ص ١٦٨.

- (٢٦) - سورة هود الآية (٤١) .
- (٣٦) - سورة الزخرف الآيات (١٣ و١٢) .
- (٤٦) - سورة القصص الآية (٨٥) .
- (٥٦) - سورة قريش .

٨٠٣ السفر فيه قضاء الحوائج

السفر فيه قضاء الحوائج

السفر فيه قضاء الحوائج والحصول على الرغائب وصلة الأرحام والتفكير فيما خلق الله من النبات والأنعام، والاستمتاع بنعم الله الجليل المنان، والاستفادة من الراحة في غير سذاجة ولا غاغة، والاتعاظ والاعتبار بسنن الله القوي الجبار، قال تعالى: {قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ} (١٦) ، وقال جل شأنه: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٢٦) ، وقال تعالى: {فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} (٣٦) . آيات تدعوك إلى التنقل والتدبر وإلى الأسفار والسياحة والتفكير، لتكون كلماء السائح الطاهر لا كلماء الساكن الفاسد، قال شاعر:

تغرب فالتغرب فيه نفع ... وشرق إن بريقك قد شرقنا (٤٦)

إن تفرغ الرئتين مما علق بهما من غبار الزحام وغبار المركبات وتلوث الهواء لا يمكن إلا بفسحة أو نزهة في طبيعة ذات نسيم عذب، وهدره ماءٍ رقيق، وحلة ندية خضراء، بعيداً عن السفه والمجون، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مِّنْهُ خُضِرًا ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ خَبًا مَّتَرَاكِبًا وَمِنْ

(١٦) - سورة يونس الآية (١٠١) .

(٢٦) - سورة العنكبوت الآية (٢٠) .

(٣٦) - سورة التوبة الآية (٢) .

(٤٦) - عيون الأمل ص ٨٠ .

النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (١٦) .

التغيير بالسفر يكسر (الروتين) وينقي الفكر

كل منا يحتاج إلى التغيير والتنوع حتى يعيش حياته مفعماً بالآمال، طامحاً إلى النجاح فيها والانتصار لا يريد أن يعيشها على نسق واحد مملوءة بالضجر والملل، يذهب إلى عمله في وقت محدد وتمضي ساعات العمل على وتيرة واحدة في كل يوم ثم يعود في وقت محدد وهكذا دواليك يكرر كل يوم ما فعل في الأمس حتى يمل عمله أو يكون عاطلاً فتقتله البطالة والفراغ ولا يستغل فراغه فيما يطور به إنتاجه ويجدد به حياته، أو يتنقل ليتعلم مما يراه كيف يكون إنساناً مبدعاً يعتمد على الرحمن ويتعد عن الأوهام، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ) (٢٦) .

إن العمر الذي يسير على نسق واحد هو عمر ميت لا طائل منه يعيش، صاحبه مسجوناً في (روتينه) في زمانه ومكانه، فإما أن يقل إنتاجه أو يمل عمله ويشعر أخيراً بأنه معطل العقل والروح فهو كآلة يؤدي عمله من غير إحساس أو شعور دون أن يسعى إلى التجديد والتنوع بين الحين والحين فينظر في هذا الكون الرحيب ليزيل ما اعترى نفسه من أزمات وآهات

(١٦) - سورة الأنعام الآية (٩٩) .

(٢٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب لا عيش إلا عيش الآخرة حديث (٥٩٣٣) .

تكتبت طاقته وتقتل مواهبه، فن حبس عقله في ثنط واحد من التفكير أصابته البلاهة وانقبض قلبه فقتل حينئذ نبضاته أو تبتلد مشاعره وتكثر آهاته فيغفل عن حياته الدينية والدنيوية.

وفي الحديث النبوي الشريف الذي رواه مسلم: (وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً) (١٦) ، وفي رواية: (روحوا القلوب ساعة فساعة) (٢٦) .

فالحياة جميلة بتنوعها مملّة (بروتينا) لا تستبين معانيها إلا بوجود الأضداد وباختلاف الأزمنة والأمكنة، قال الشاعر:

تجمعن من شتى ثلاث وأربع ... وواحدة حتى كمن ثمانيا
سليمى وسلمى والرباب وأختها ... وسعدى ولبنى والمنى وقطانيا
فالسعادة التي ينشدها كل إنسان متوقفة على ما يدخل عقله من أفكار، فإذا استقبل ما صح وجمل من الأفكار واستبعد ما غلظ وقبح منها نال السعادة وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (٣٦) .

فسبحان من غير بين المخلوقات لتتجدد حياة الإنسان في مختلف الأوقات فقال سبحانه: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} (٤٦) ، وقال جل شأنه: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ

(١٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب فضل دوام الذكر حديث (٤٩٣٧) .

(٢٦) - أخرجه الديلمي في المسند حديث (٣١٨١) .

(٣٦) - سورة الرعد الآية (١١) .

(٤٦) - سورة الزمر الآية (٥) .

يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تُسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (١٦) .

فسلامة التفكير تجلب السعادة والسلامة، فأنت تلون حياتك بمنظارك الخاص، فإذا استجلبت فكراً خبيثاً أسود لا بد أن يشقيك، وإذا استجلبت فكراً صالحاً نبهاً فسيحولك إلى إنسان سعيد وديع، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَىٰ أَعْرَابِيٍّ يَعودُهُ، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ عَلَىٰ مَرِيضٍ يَعودُهُ قَالَ: لَا بَأْسَ طَهورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقَالَ لَهُ: لَا بَأْسَ طَهورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: قُلْتُ: طَهورٌ كَلَّا بَلْ هِيَ حُمَّى تَفرُّوهُ أَوْ تُثورُ عَلَىٰ شَيْخٍ كَبِيرٍ تَزيدُهُ القَبورُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فَنَعَمْ إِذَا) (٢٦) أي فلتكن إذاً كما وصفتها طالما يلفك اليأس ويغذي فكرك السخط والتذمر، إنها حقيقة يؤكدها علماء النفس والتربية فهم يتفقون على أن معظم الأمراض النفسية الناجمة عن ضغوط الحياة وأحداثها إنما هي في الأصل ناتجة لأنماط خطأ في التفكير (٣٦) ، وإن الفكر السليم يأتي في النظر والتفكير في خلق السماوات والأرض وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ فِي خَلْقِ

(١٦) - سورة القصص الآيات (٧١-٧٣) .

(٢٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب علامة النبوة في الإسلام حديث (٣٣٤٧) .

(٣٦) - عيون الأمل ص ٧٦ .

٨٠٤ علاج (الروتين) الممل

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ { (١٦) } .
علاج (الروتين) الممل

لقد عالج الإسلام هذه الظاهرة التي تحتاج العالم فدعى إلى التنوع والتجديد فغابر سبحانه وتعالى بين الزمان والمكان وجعل الأيام دولا بين بني الإنسان، قال تعالى: {إِنْ يَسْأَلُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (٢٦) .

وغير بين العبادات والطاعات فقال جل شأنه: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} (٣٦) ، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (٤٦) ، وقال جل شأنه: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} (٥٦) .

وغير بين الألوان فقال جلت حكمته: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ} (٦٦) .

(١٦) - سورة البقرة الآية (١٦٤) .

(٢٦) - سورة آل عمران الآية (١٤٠) .

(٣٦) - سورة البقرة الآية (٣) .

(٤٦) - سورة البقرة الآية (١٨٣) .

(٥٦) - سورة آل عمران الآية (٩٧) .

(٦٦) - سورة فاطر الآية (٢٧) .

وغير بين الزروع والثمار فقال سبحانه: {وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (١٦) .

وغير في الحركات عند الذكر بحسب الأحوال فقال تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (٢٦) .

إذا عرفت هذا عرفت أن النفس الإنسانية بعد كل شوط تقطعه في حياتها تحتاج إلى أن يتعهد لها صاحبها بالتجديد والتنوع بين الحين والحين، وما الذي يمنعه أن ينتقل في هذه الأرض ويتذكر نعم الله عليه وهو الذي وهبه الحياة وخلق له ما في الأرض جميعاً قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٣٦) .

فكل ما تراه من جمال أودعه الله تعالى هذه الأرض وهذا الكون هو لبني الإنسان فتمتع بالحلال وإياك أن تقع في الآثام وإلا فما قيمة الحداثات البهيجة والأنهار النيرة إن لم تستمتع بها العيون، وتقرأ في صفحاتها كلام الحي القيوم، من غير ملل أو كلل، ما قيمتها إن لم تبسم لها الشفاة وتردد بلائها أشودة الخطا والمسير.

(١٦) - سورة الرعد الآية (٤) .

(٢٦) - سورة آل عمران الآية (١٩١) .

(٣٦) - سورة البقرة الآية (٢٩) .

٨.٥ تأكد من قدرتك الصحية على السفر

فعض حياتك آملاً مستبشراً وتجشم صعود الجبال، فالموت على ظهر جبل وأنت تعاني الصعود خير من الحياة الخسيسية على حافة مستنقع تنن، واستمع إلى هذا الشاعر وهو يقول:

إِذَا مَا طَمَحْتُ إِلَى غَايَةٍ ... رَكِبْتُ الْمُنَى وَنَسِيتُ الْحَذَرَ
وَمَنْ لَا يَحِبُّ صُعودَ الْجِبَالِ ... يَعِشُ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْحُفْرِ
تأكد من قدرتك الصحية على السفر

بعد ظهور وسائل المواصلات الحديثة كالطائرات والقطار والباص والسيارة أصبح غالب الناس إن لم يكن الكل بمقدورهم السفر لمسافات بعيدة سواءً كان شاباً أو شيخاً أو امرأة، ومن هنا نشأ طب السفر، وصار من الضرورة أن يتعرف الإنسان على الحالة الصحية لديه وعلى اللقاحات اللازمة أو الأدوية التي يعتمد عليها، فقياس عامل الخطر الصحي يستلزم استشارة الطبيب قبل السفر بوقت كاف لأخذ اللقاحات فهناك بلدان ينتشر فيها الملاريا أو التيفود أو حمى الضنك، وهذه البلدان عند ضرورة السفر إليها لا بد من أخذ اللقاحات التي ينتشر فيها هذه الأمراض وأخذ إرشادات الطبيب الذي ربما أعطى المسافر أدوية وقائية وقد ينصح بالوقاية من لسعات البعوض أو غير ذلك، فالأمر بالتداوي والاحتماء من من هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ففي الحديث: (تداووا فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله) (١٦) .

(١٦) - أخرجه أحمد في المسند، عن أسامة بن شريك، حديث (١٨١١١) .

٨.٦ آداب السفر

ويفضل عدم السفر إلى البلدان التي تنتشر فيها الأوبئة المعدية فقد جاء في الحديث النبوي: (إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ فِيهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا) (١٦) ، وفي رواية للبخاري أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (لا توردوا الممرض على المصح) (٢٦) ، وذلك من أجل الاحتماء وعدم وقوع الضرر، فتأكد من أخذ جميع اللقاحات الروتينية مثل التيتانوس (الكزاز) حتى لا تتعرض بالاصابة بالمرض عند التعرض لجرح بسيط ملوث بالتيتانوس، وكذلك التطعيم ضد التهاب الكبد الوبائي، وتأكد من ضبط الجرعة الدوائية إن كنت مصاب بضغط الدم أو السكر أو غير ذلك، لتكن في سفرك وإقامتك سعيداً تؤدي واجبك وتستمتع بحياتك بهمة عالية بعيداً عن الهموم.

آداب السفر

إذا أردت أن تسافر فعليك بإعداد النفقة والزاد للسفر من الحلال الطيب، فقد أثر عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "من كرم الرجل طيب زاده في سفره"، وفي الذكر الحكيم: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} (٣٦) ، وقد ذكر بعض المفسرين بأنها نزلت في حق قوم كانوا يحجون ولا يتزودون، وفي سورة آل عمران: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ

(١٦) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز، باب الخروج من الطاعون، حديث (٣١٠٣) .

(٢٦) - صحيح البخاري، كتاب الطب، باب لا عدوى، حديث (٥٧٧٤) .

(٣٦) - سورة البقرة الآية (١٩٧) .

اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (١٦) ، ذكر المفسرون أن الاستطاعة هي الزاد والراحلة.

ومن آداب السفر اخراج نفقة من تلمك نفقته كالزوجة والولد حتى لا يكونوا عالة على غيرك ففي الحديث النبوي: (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ) (٢٦) .

ومن أدب السفر أن يودع المسافر أهله وإخوانه وأصدقاءه وأن يشملهم بدعائه: (أَسْتَدْعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَاتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ) (٣٦) . وعند ذلك يرد المودعون على المسافر بما ورد في الحديث: (زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ) (٤٦) . وإن سأل المسافر من يودعه الدعاء كان خيراً له، ولقد كان من عادة العرب توديع أحببتهم وأصدقاءهم ورد ذلك في أشعارهم وأخبارهم، قال ابن زريق:

أَسْتَدْعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا ... بِالكَرَّخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْرَارَ مَطْلَعُهُ
وَدَعْتَهُ وَيُودِي لَوْ يُوَدِّعُنِي ... صَفْوَةَ الْحَيَاةِ وَأَنِّي لَا أُوَدِّعُهُ
وَكَمْ تَشَبَّثَ بِي يَوْمَ الرَّحِيلِ ضُحَى ... وَأَدْمَعِي مُسْتَهْلَاتٍ وَأَدْمَعُهُ
ويغفر الله للقاتل:

(١٦) - الآية (٩٧) .

(٢٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب في صلة الرحم حديث (١٤٤٢) .

(٣٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما يقول إذا ودع إنسانا حديث (٣٣٦٥) .

(٤٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما يقول إذا ودع إنسانا حديث (٣٣٦٦) .

لِلْهُوَ أَوْنَةٌ تَمْرٌ كَانَهَا ... قَبْلَ يَزِيدُهَا حَبِيبٌ رَاحِلٌ
جَمَّحَ الزَّمَانُ فَمَا لَذِيذٌ خَالِصٌ ... مِمَّا يَشُوبُ وَلَا سُرُورٌ كَامِلٌ

أما أبو العلاء المعري فهو يقول:

كَمْ بَلَدَةٌ فَارَقَتْهَا وَمَعَاشِرٌ ... يُذْرُونَ مِنْ أَسْفٍ عَلَيَّ دُمُوعَا
وَإِذَا أَضَاعَتْنِي الْخَطُوبُ فَلَنْ أَرَى ... لُوْدَادِ إِخْوَانِ الصَّفَاءِ مُضِيْعَا
خَالَلْتُ تُوْدِيْعَ الْأَصَادِقِ لِلنَّوَى ... فَتَى أُوْدَعُ خَلِيَّ التُّوْدِيْعَا

وله أيضاً:

أُوْدِعُ يَوْمِي عَالِمًا إِنْ مِثْلُهُ ... إِذَا مَرَّ عَنْ مِثْلِي فَلَيْسَ يَعُودُ

ومن آداب السفر اختيار الرفقة الصالحة وتأمير أحدهم، ليتولى قيادتهم بمشورتهم، ففي الحديث النبوي: (إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ) (١٦) .

وفي الأمثال السائرة: "الرفيق قبل الطريق".

قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (لا تصحب في سفرك من لا يرى لك من الفضل عليه كما ترى له عليك) . وقد جاء في الرحيق المختوم أن محمد النبي المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم: كان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، أحسن الناس عشرة وأدباً، وأبسط الناس خلقاً، أبعد الناس من سوء الأخلاق، لم يكن فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا لعاناً، ولا سخاباً في

(١٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم حديث (٢٢٤٢) .

الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وكان لا يدع أحداً يمشي خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس، ويخدم من خدمه، ولم يقل لخدمه أف قط، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه، وكان يحب المساكين ويجالسهم، ويشهد جنازتهم، ولا يحقر فقيراً لفقره، كان في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل: علي ذبحها، وقال آخر: علي سلخها، وقال آخر علي طبخها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (وعلي جمع الحطب) ، فقالوا: نحن نكفيك، فقال: (قد علمت أنكم تكفوني ولكني أكره

أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه) ، وقام وجمع الخطب. (١٦) قال الشاعر:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا بِإِخْوَانِهِ ... كَمَا يَقْبُضُ الْكَفَّ بِالْمَعْصَمِ
وَلَا خَيْرَ فِي الْكَفِّ مَقْطُوعَةً ... وَلَا خَيْرَ فِي السَّاعِدِ الْأَجْزَمِ

ومن آداب السفر الاستخارة قبل العزم ففي الحديث: (من سعادة ابن آدم رضاه بما يقضى الله واستخارة الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما يقضى الله وتركه استخارة الله ومن سعادة ابن آدم ثلاث ومن شقوته ثلاث فمن السعادة المرأة الصالحة والمركب الصالح والمسكن الصالح ومن شقوته المرأة السوء والمركب السوء والمسكن السوء) (٢٦) ، ويا حبذا الاستشارة ففي الحديث: (ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار) (٣٦) .

(١٦) - الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري، ج ١ ص ٤٧٨ .

(٢٦) - انظر جمع الجوامع والجامع الكبير للسيوطي ج ١ ص ٢١٨٠٣ .

(٣٦) - المعجم الصغير تأليف العلامة المحدث سليمان بن احمد بن أيوب، أبو القاسم الطبري، ج ٢ ص ١٧٥ حديث (٩٨٠) ، الناشر: المكتب الاسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م. ومسند الشهاب محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي ج ٢ ص ٧ حديث (٧٧٤) ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م .

ومن اخير الصلاة قبل الخروج من المنزل، ثم الدعاء بعد الصلاة بقوله: "اللهم إني أتقرب بهن إليك فاجعلن خليفتي في أهلي ومالي"، ففي كنز العمال: (ما استخلف العبد في أهله من خليفة إذا هو شد عليه ثياب سفره خيراً من أربع ركعات يضعهن في بيته يقرأ في كل واحدة منهن بفاتحة الكتاب و {قل هو الله أحد} ، ثم يقول: اللهم إني أتقرب بهن إليك فاجعلن خليفتي في أهلي ومالي) (١٦) . ويستحب للمسافر حين عودته من السفر ووصوله أن يدخل أقرب مسجد ويصلي فيه ركعتين، ففي الحديث النبوي: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ) (٢٦) ، وما أجمل محافظة الإنسان على صلاة الفريضة والنفل في الحضر والسفر، وملازمة الذكر والدعاء.

ولعل قائل يقول: ولم المحافظة على الصلاة والدعاء؟ وما الفائدة من ذلك؟

قلنا: لأن الإنسان بحاجة إلى قوة روحية ترفع من نفسيته على وجه الاستمرار إلى مثل عليا، فالإنسان إذا لم تتصل روحه بمبدعها ظهرت فيه مظاهر الوحشة والاكئاب، وقد يظن أن وحشته واكتابه حصلا لعدم أخذ الإنسان حظه من الملهمات، فيصاب باليأس والإحباط وربما ألقى نفسه في

(١٦) - انظر جامع الأحاديث للسيوطي ج ١٨ ص ٤٠٥ حديث (١٩٧٣٨) ، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى: ٩٧٥ هـ) ، تحقيق بكرى حياني وصفوة السقا، ج ٦ ص ٧١٤ حديث (١٧٥٣٥) ، الناشر مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

(٢٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب إذا قدم من سفر.

هاوية، فالإنسان الذي يعتمد على الله لا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلاً، فهو يملك من القوة النفسية ما يواجه بها أعظم المشاكل دقةً وخطراً، وبذلك يتبين لك أخي أن اتصال الروح الإنسانية بخالقها ولو لحظات في اليوم هي من الضروريات للإنسان، ولهذا كانت الصلاة أنجع علاج، وأفضل رباط بين الإنسان وربّه في سفره وحضره، ولأن الدعاء مخ العبادة وباب يوصل إلى السعادة، فالله معك حاضر لا يغيب وأنت بحاجة إلى عونته وتسديده ورعايته وحفظه، وفي الذكر الحكيم: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْبَهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (١٦) .

وإذا أمكن الخروج يوم الخميس ففي ذلك الاقتداء بهدي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ففي صحيح البخاري: (لَقَلَّمَا كَانَ رَسُولُ

الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج إلا في يوم الخميس (٢٦) ، وعن صخر بن وداعة الغامدي الصحابي رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: (اللهم بارك لأمتي في بكورها) وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم من أول النهار، وكان صخر تاجراً، وكان يبعث تجارته أول النهار، فأثرى وكثر ماله. (٣٦)

(١٦) - سورة المجادلة الآية (٧) .

(٢٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب من أراد غزوة حديث (٢٧٣٠) .

(٣٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب في الابتكار في السفر حديث (٢٢٣٩) ، والترمذي في سننه باب ما جاء في التبركة في التجارة حديث (١١٣٣) .

ويستحب للمسافر عند الخروج من الدار أن يقول: (بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ) (١٦) .

إذا دخل المسافر السيارة أو القطار أو الطائرة أو الباخرة فإنه يستحب له أن يقول ما كان يقوله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرِنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ) ، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: (أَيُّونَ تَأْتِيُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ) (٢٦) . فإن فعلت ذلك فإنك ستكون في خير وعلى خير ويكون سفرك وسياحتك متعة وراحة تقتنص في أسفارك العلم والمعرفة وتحصد الأجر والثواب والتفكر في مخلوقات الله العزيز الوهاب.

(١٦) - سنن أبو داود باب ما يقول إذا خرج من بيته حديث (٤٤٣١) وحديث (٤٤٣٢) .

(٢٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب ما يقول إذا ركب إلى سفر حديث (٢٣٩٢) .

٨٠٧ الابتسامة والبهجة في السفر

الابتسامة والبهجة في السفر

لن يحصد العابسون وهم يشمخون بأنوفهم على الناس غير بغض الناس وإزدراءهم لهم، فالعبوس والغلظة والفضاضة كلها مترادفات لا تجلب لصاحبها إلا الفرقة والنفور، وفي الذكر الحكيم: {فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (١٦) ، فاضف على حياتك في سفرك وإقامتك ابتسامة عريضة واغمر قلبك بالبهجة والفرحة وتأس بخير الخلق الذي قال عنه الصحابي عبد الله بن الحارث: (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) (٢٦) .

وحاول أن تتعش قلبك بالأمل والسرور بعيداً عن منغصات الحياة وأكدارها حتى لا تكون ثقيلاً على أهلِكَ ورفاقك في سفرك، ثم تكون الابتسامة دليلاً على رضا قلبك وهناءته كما تكون حمرة الخلد دليلاً على الخجل، قال الشاعر:

كفكاف منظره إيضاح مخبره ... في حمرة الخلد ما يغني عن الخجل

وقال آخر:

بشاشة وجه المرء خير من القرى ... فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

وقال فضيلة الشيخ/ د. عايض القرني: الضحك المعتدل بلسم للموم ومرهم للأحزان وله قوة مجيبة في فرح الروح وجذل القلب، حتى قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إني لأضحك حتى يكون إجماماً لقلبي، وكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يضحك أحياناً حتى تبدو نواجذه، وهذا ضحك العقلاء البصراء بداء النفس ودوائها. (٣٦)

(١٦) - سورة آل عمران الآية (١٥٩) .

(٢٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب في بشاشة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث (٣٥٧٤) .

(٣٦) - الدكتور عايض القرني في كتابه: لا تحزن، ص٧٨، الطبعة التاسعة، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤٢٢هـ.

والضحك المعتدل بلا شك دواء للنفس وراحة لل خاطر المكود بعد الجهد والعمل، والمقتصد منه دليل على الأريحية وآية على اعتدال المزاج وعلامة على صفاء الطوية، وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع أهله إذا دخل عليهم ضاحكاً باسمياً يمازح زوجاته ويلاطفهن ويؤنسن ويحدثهن حديث الود والحنان والعطف لأنه بعث رحمة للعالمين، وأحق الناس بهذه الرحمة أهله وقرابته وأحبابه وأصحابه، وكانت تعلقو محياه الطاهر البسمة المشرقة الموحية، فإذا قابل بها الناس أسر قلوبهم أسراً فمالت نفوسهم بالكلية إليه وتهافتت أرواحهم عليه. (١٦)

وهذا نبي الله سليمان عليه السلام يتبسم ضاحكاً حين سماعه مقال نملة { وَحِشْرَ لِسْلِيمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } (٢٦) ،

فالاتسامة ترجمة لصدر رحب، وخلق سمح، بها تفتح أقفال القلوب، وبها تشق من الطرق ما لا تقدر عليه السهام والسيوف، غولب بها الإنسان حتى يألف جنسه من بني البشر، فالنفس البشرية تحتاج في بعض الحالات إلى المداراة والملاطفة، وإدخال السرور عليها بما يعدل المزاج، ويشعر بالبهجة

(١٦) - انظر: العلامة خميس السعيد، في سلسلة مواقف من حياة الرسول، ص١٣، الطبعة الأولى.

(٢٦) - سورة النمل الآيات (١٧-١٩) .

والأنس، ويزيح ما يطراً عليها من هموم مدمومة، وخواطر موحشة مسمومة، ويميط ما يعلق بها من أدران تحجب عنها إدراك ما أنعم الله به على الإنسان في هذه الحياة من خير وفير وجمال منقطع النظير، أو يمنع عنها إدراك ما تشع به الحياة من جمال الأرض في جبالها وسهولها وهضابها ووديانها وأنهارها وبحارها إلى غير ذلك مما تزخر به الأرض، ويعم به النفع، ويفوح منه شذى الورد والرياحين الطيبة التي تتمايس بها الغصون والأشجار وتشرق به الأزهار والورود، ويفوح بها عقب المسك والعود والعنبر والكافور، مما تلتذ به النفس، ويتمتع به النظر، وتزهو بها أثواب الجمال التي يدثر بها الإنسان والنبات والأنعام في أشكال تسحر الأبواب، وتدلل على عظمة الله الخالق الوهاب. فأخذ النفس البشرية بالشدة وإدخال الهم والحزن والقنوط عليها غير مرغوب ولا محبوب، بخلاف الترويح عليها بما يفرح القلب، ويوصلها بالسلى والسرور، فإنه محمود غير مذموم، ومألوف غير مبغوض، ومرغب فيه غير منفر عنه، لأنه يزيل عن النفس التشاؤم، ويستأصل شأفة الإكتئاب والإبتعاد، ويبعث في النفس النشاط، وذلك كله مما يدحض اليأس والقنوط، ويزيل الخمول والجود، ويحث على العمل، وأنت بحاجة في سفرك وإقامتك إلى ما يروح عليك وعلى زملائك وأهلك واخوانك.

وليس الشعر الذي يصف جمال الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم، ويصف جمال الطبيعة التي وهبها الله، مما يسمو بالنفس إلى آفاق تجمل الحياة، وتلطف الجفاف القاسي بحيث يصير للنفس البشرية المكدودة

واحةً تُنفي ظلالها من هجير الحياة وقسوتها إلا واحداً من نفحات الكلمة التي تفيض بألوان من أشكال الفكر الإنساني التي تصور ألوان الجمال الذي وهبه الله وتعبّر عنه في لوحات أدبية يجمعها اسم الشعر وبحره في الجزر وفي المد، ونبل المقصد، وهدف الإنشاد الذي يحاكي الطبيعة ويصفها، ويوقظ المشاعر ويحركها، ويؤنس الأطياف في أوكارها ويطر بها، وينهض بالأفكار وينعشها، وينبه الضمائر ويشوقها، إلى عطاء بارئها، والعمل على ما يوصلها إلى كل ما فيه نفعها وسعادتها، فلا عليك إن استمعت إلى قوافيه وبحوره، ورددت بعض القصائد في سفرك وإقامتك.

وهذا الرسول العظيم والنبي الكريم وختام الأنبياء والمرسلين محمد عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة والتسليم، الذي هديه دين مستقيم،

كان يستمع إلى الشعر، ويقره ولا ينكره، إلا ما خرج عن الصواب.

وقد قال رجل لمحمد بن سيرين: ما تقول في الغزل الرقيق يُنشده الإنسان في المسجد، فسكت عنه حتى أقيمت الصلاة وتقدم إلى المحراب فالتفت إليه، فقال:

وتبرد برد رداء العرو... س في الصيف رقرقت فيه العبرا

وتسخن ليلة لا يستطيع... نباحاً بها الكلب إلا هريرا

ثم قال: الله أكبر.

وقال العجاج: دخلت المدينة فقصدت إلى مسجد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإذا بأبي هريرة قد أكب الناس عليه يسألونه،

فقلت: أفرجوا لي عن وجهه، فأفرج لي عنه، فقلت له: إني إنما أقول:

طاف الخيالاتن فهاجاً سقماً... خيال أروى وخیال تكتماً

تريك وجهاً ضاحكاً ومعضماً... وساعداً عبلاً وكعباً أدرماً

فما تقوله فيه؟ قال: قد كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينشد مثل هذا في المسجد فلا ينكره.

ودخل كعب بن زهير على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل صلاة الصبح فثل بين يديه، وأنشد:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول... متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا... إلا أغن غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة... لا يشتكي قصر منها ولا طول

ما إن تدوم على حال تكون بها... كما تلون في أثوابها الغول

ولا تمسك بالوعد الذي وعدت... إلا كما يمسك الماء الغرايل

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً... وما مواعيدها إلا الأباطيل

ولا يغرنك ما منت وما وعدت... إن الأماني والأحلام تضليل

ثم خرج من هذا إلى مدح النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فكساه برداً، اشتراه منه معاوية بعشرين ألفاً. (١٦)

وإن من أنفع القربات مراعاة ظروف الأطفال في الحضر والسفر، وإدخال السرور عليهم والاهتمام بهم، فالسفر ليس بكوايبس مرعبة

تنسي الإنسان طفله الصغير، وإن من حسن سياسة الأمم في تربية أطفالها أن ترقص أطفالها

(١٦) - انظر: العقد الفريد تأليف أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي ج ٥ ص (٢٥٢-٢٥٤)، الناشر دار إحياء التراث العربي

بيروت لبنان.

بما يلائم فطرتهم التي فطرهم الله عليها ويفيد بناءهم الجسمي، فالطفل اليوم صغيراً، وغداً سيصبح عضواً صالحاً في مجتمعه، والكلام

المنغم بالأوزان المطربة في الشعر من خير ما يساعد في بناء هذا الطفل، إذ يربي فيه الإحساس القوي والذوق المرفه، فينشأ مستعداً

للمشاركة الوجدانية مع أفراد مجتمعه ومع كل ما يتردد صداه في نفسه من أفراح الناس وآلامهم، فيستجيب لرعاة الخير والفضيلة

ومكارم الأخلاق، ومما نعتر به في مجال إدراك العرب لقيمة بناء الطفل بناءً سليماً ما هو ماثور عنهم في سفرهم وإقامتهم ومحاورتهم

من أشعار كانوا يتغنون بها وهم يرقصون أطفالهم فللصغار حقوق على الكبار.

ولقد كان للأدب العربي قصب السبق على آداب العالم في الإهتمام بالطفولة المبكرة بل لقد كان للأدب الإسلامي فضيلة السبق في

ذلك كله، وهذا نبي الإنسانية كلها النبي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان يرقص الحسن والحسين رضوان الله عليهما ففي

حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقول:

(حُرْقَةَ حُرْقَةَ... تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّةٍ)

فترقي الغلام حتى يضع قدميه على ظهره صلى الله عليه وعلى آله وسلم) . والحزقة: هو الصغير الضعيف، وقيل القصير العظيم البطن، فذكرها له على سبيل المداعبة والتأنيس.

والمعنى أن الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كان يلاعب الحسن بيديه الشريفتين ويرفعه على صدره ويقول له الذي معناه: (اصعد يا صغير على صدري اصعد يا صغير العين مثل البقرة) .

وهذا الحديث قد أورده المناوي في فيض القدير وقال: أخرجه الطبراني وأبو نعيم وغيرهما، ومن طريقهم أورده ابن عساكر مصرحاً، قال الهيثمي وأبو مزود: لم أجد من وثقه وبقية رجاله الصحيح، ونص الحديث عن أبي هريرة قال: سمعت أذناي هاتان وأبصرت عيناي هاتان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو آخذ بكفيه جميعاً حسناً أو حسيناً وقدماه على قدمي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يقول:

(حَزَقَةَ حَزَقَةً ... تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّة)

فيرقي الغلام فيضع قدميه على صدر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم قال: (افتح فاك) ثم قبله، ثم قال: (اللهم أحبه فإني أحبه) . (١٦)

ولكنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان في ذات الوقت ينهى عن الألفاظ غير اللائقة عند مازحة الطفل ومداعبته، فقد مر عليه الصلاة والسلام بامرأة سوداء وهي ترقص صبياً وتقول:

ذؤال يا ابن القرم يا ذؤالة ... هس الثطا ويجلس الهبنقة

(١٦) - انظر: حقوق الإنسان في الهدي النبوي (مؤلفنا) ، ص ٣٠٣، وفيض القدير للمناوي، ج ١ ص ٣٨١ ، الطبعة الأولى المكتبة التجارية الكبرى، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨٣ بلفظ مختلف، وكنز العمال حديث (٣٧٦٤٣ و٣٧٦٩٨) ، وتهذيب تأريخ دمشق لابن عساكر ج ٤ ص ٢٠٢ .

فقال لها: (لا تقولي: ذؤال، فإنه شر السباع) (١٦) ، والمعنى أن تلك المرأة كانت تقول لصبياها: يا ذئب يا ابن سيد القوم مشيتك حمقاء وجلستك حمقاء.

وبهذه الملاحظة النبوية يتعلم المربون كيف يبعدون الأبناء عن سماع فحش القول وذميمة، وكيف يلاطفون أطفالهم في سفرهم وإقامتهم. وهذا ابن سعد في الطبقات الكبرى يروي لنا أنه: بعد ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذه عبد المطلب -جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمتكفل به- بعد وفاة والده عبد الله وحمله إلى البيت وأخذ يطوف به وأحاطه به بنوه وهو يقول:

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيب الأردن

قد ساد في المهدي على الغلمان ... أعينه بالبيت ذي الأركان

حتى أراه بالغ البنيان ... أعينه من شر ذي شأن

من حاسد مضطرب العنان (٢٦)

وهذه حليلة السعدية كانت ترقص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقول:

يا رب إذ أعطيته فأبقه ... وأعله إلى العلا ورقه

وادحض أبا طيل العدا بحقه (٣٦)

(١٦) - النهاية في غريب الحديث، والأثر لابن الأثير.

(٢٦) - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٦٤ .

(٣٦) - انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج ٤ ص ٥٢، وانظر أيضا: ترجمة حليلة السعدية في الإصابة وأنساب الأشراف وذخائر العقبى من مناقب ذوي القربى الطبعة الأولى ص ٢٥٩ .

وروي أيضاً أن الشيماء بنت الحارث أخت النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة وكانت أكبر منه سناً كانت ترقصه فتقول:

هذا أخ لي لم تلده أُمِّي ... وليس من نسل أبي وعمي
فأتمه اللهم فيما تنبي

فَقَالَتْ حَلِيمَةُ رَضْوَانَ عَلَيْهَا لِابْنَتِهَا شِيمَاءَ: فِي هَذَا الْحَرْ، فَقَالَتْ أُخْتُهُ: يَا أُمَّهُ مَا وَجَدَ أَخِي حُرًّا رَأَيْتَ غَمَامَةً تَظَلُّلُ عَلَيْهِ إِذَا وَقَفَ وَقَفْتُ
وَإِذَا سَارَ سَارَتْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ. (١٦)

ولو ذهبنا نتتبع ما ورد في أخبار الصحابة والتابعين لوجدنا الكثير الكثير، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومعه الإمام علي كرم الله وجهه يمشي إلى جانبه وذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما رأى الحسن رضي الله عنهما يلعب مع الأطفال فاحتمله الصديق رضي الله عنه على رقبته وهو يقول:

وَإِنْ بَأْبِي شَبَهُ النَّبِيَّ ... غَيْرَ شَبِيهِ بَعْلِي

وقد كانت فاطمة الزهراء رضوان الله عنها ترقص ابنها الحسين بن علي رضي الله عنهما وتقول:

إِنْ بَنِي شَبَهُ النَّبِيَّ ... لَيْسَ شَبِيهِ بَعْلِي

وهذه النماذج اليسيرة تدل على اهتمام الصحابة بالأدب الإسلامي بالطفل في السفر والإقامة.

(١٦) - السيرة الحلبية لعلي برهان الدين الحلبي ج ١ ص ١٣٦.

٨٠٨ ثلاث نصائح أسديها إليك فلا تنساها في سفرك وحضرك:

ثلاث نصائح أسديها إليك فلا تنساها في سفرك وحضرك:

الأولى: المحافظة على شكلك ومظهرك ونظافتك واصلاح هندامك، لا تترك ثوبك متسخاً، ولا شعرك ثائراً، ولا سلوكك شائئاً، فجمال ظاهره يدل على جمال باطنك، وفي الحديث: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ) (١٦) ، قال الشافعي:

أَجِدُ الثِّيَابَ إِذَا اكْتَسَيْتُ فَإِنَّهَا ... زِينُ الرِّجَالِ بِهَا تَعَزُّ وَتَكْرُمُ
وَدَعِ التَّوَاضُعَ فِي الثِّيَابِ تَخَشُّعاً ... فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا نَجِّنُ وَتَكْتُمُ
فَرَثَاتُ ثُوبِكَ لَا يَزِيدُكَ زُفَّةً ... عِنْدَ الإِلَهِ وَأَنْتَ عَبْدٌ مُجْرِمُ
وَبِهَاءِ ثُوبِكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ أَنْ ... نَخْشَى الإِلَهِ وَنَبْقِي مَا يَحْرَمُ

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنكاره على من أتاه يسأله عن خبر السماء وهو لا يحافظ على طهارة بدنه ونقاء أظفاره من الخبث والتفت، أخرجه الإمام احمد في المسند من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسأله عن خبر السماء فقال: أتسألني عن خبر السماء وتدع أظفارك كأظفار الطير فيها الخبثاة والتفت) (٢٠) ، وهذا الحديث دليل على مشروعية النظافة والمحافظة على الصحة، وجه الدلالة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنكروا على من أتاه يسأل خبر السماء وهو لا يحافظ على طهارة بدنه ونقاء أظفاره من الخبث والتفت -أي الوسخ الذي خلف أصابعه- ، وجاء

(١٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب تحريم الكبر وبيانه حديث (١٣١) .

(٢٠) - أخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ٤١٧ .

في حديث جابر: (أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى رجلاً ثائر الرأس فقال: أما يجد هذا ما يسكن به شعره، ورأى رجلاً وسخ الثياب فقال: أما يجد هذا ما ينقي به ثيابه؟) (١٦) .

ثم عليك أخي أن تتذكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد استعاذ بالله من وعشاء السفر، وكان من هديه صلى الله عليه وآله وسلم أنه

إذا رأى بلداً يريد دخوله قال: (اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلَنَ وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَنَ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلَنَ وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنِ فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا) (٢٦) ، وكان يقول: (لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا نَزَلَ مِنْزِلاً قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ) (٣٦) .
الثانية: لا تترك الرياضة غير المتبدلة، لأنها تبعث على النشاط والصحة، حيث أن السفر لم يعد على الأقدام، فلا عليك إن سبحت ومارست شيئاً من الرياضة.

وقد جاء في هديه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما يدل على مشروعية رياضة المشي والسباق، فهذه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (خرجت مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في بعض أسفاره وأنا

(١٦) - المستدرک علی الصحیحین للحاکم کتاب اللباس حدیث (٧٣٨٠) .

(٢٦) - أخرجه النسائي في السنن الكبرى ج ٥ ص ٢٥٦ حدیث (٨٨٢٦) .

(٣٦) - أخرجه ابن ماجه في سننه باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه حدیث (٣٥٣٧) .

جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: تقدموا، فتقدموا، ثم قال: تعالي حتى أسابقك، فسابقته فسبقتني فجعل يضحك، وهو يقول: هذه بتلك (١٦) .

وقد كان من هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإرشاد إلى تعليم الأبناء: السباحة والرمية وركوب الخيل، وكل ذلك مما يمرن البدن على الحركة والخفة ويدفع المرض وينشط من الكسل.

الثالثة: المحافظة على السكينة والوقار بتجنب المزاح المذموم الضار، وتوق مخالطة الأشرار، فما سعد من أشقى اخوانه، واضاع أخلاقه، وأكثر من المزاح المذموم، فإن من أعظم الفجائع إضاعة الصنائع، وعدم شكر الصانع، فأشرف الخلق لطف النطق، وكرم السجية، فمن غاضبك بقبح الشتم منه فغضه بحسن الحلم عنه، وكم تفرق من اخوان بسبب المزاح، قال الشاعر:

بُلَيْتُ وَكَانَ الْمَزْحُ بَدْءَ بَلِيَّتِي ... فَأَحْبَبْتُ حَقًّا وَالْبَلَاءُ لَهُ بَدْوُ
رَأَيْتُ الْهَوَى جَمْرَ الْغَضَا غَيْرَ أَنَّهُ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ حُلُوُ
أَذَابَ الْهَوَى جِسْمِي وَلَحْمِي وَقَوَّتِي ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الرُّوحُ وَالْجَسَدُ النَّضُو (٢٦)

(١٦) - مسند أحمد حدیث (٢٦٨٧) - وسنن أبي داود، كتاب الجهاد باب السبق على الرجل، حدیث (٢٥٧٨) .

(٢٦) - هذه الأبيات لأبي العتاهية.

وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

وَدَعَ الْمَزَاحَ فَرُبَّ لَفْظَةٍ مَزَاحٍ ... جَلَبَّتْ إِلَيْكَ مَسَاوئًا لَا تُدْفَعُ

قال أبو حاتم رضي الله عنه - وقد أفاد وأجاد -: "المزاح على ضربين: مزاح محمود ومزاح مذموم، فأما المزاح المحمود: فهو الذي لا يشوبه ما كره الله عز وجل ولا يكون به إثم ولا قطيعة رحم، وأما المزاح المذموم: فالذي يثير العداوة ويذهب البهائم ويقطع الصداقة ويجرأ الدنيء ويحقد الشريف به".

وعن ربيعة قال: "إياك والمزاح فإنه يفسد المودة ويغل الصدور".

وعن عبد الله بن حبيب قال: كان يقال: "لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الوضيع فيجتراً عليك".
قال الشاعر:

أكرم جليسك لا تمازح بالأذى ... إن المزاح ترابه الأضغان

كم من مزاح جدّ جبل قرينه ... فتجذمت من أجله الأقران (١٦)

وقال أبو حاتم رضي الله عنه: المزاح إذا كان فيه إثم فهو يسود الوجه، ويذمي القلب، ويورث البغضاء، ويحيي الضغينة، وإذا كان من غير معصية فهو يسلي الهم ويوقع الخلة، ويحيي النفوس، ويذهب الحشمة، فالواجب على العاقل أن يستعمل من المزاح ما ينسب بفعله إلى الخلاوة، ولا ينوي به أذى أحد ولا سرور أحد بمساءة أحد. (٢٦)

(١٦) - روضة العقلاء ص ٦٣.

(٢٦) - روضة العقلاء ص ٦٥.

قلت: ولا شك أن المزاح في غير طاعة الله مسلبة لبهاء الإنسان ووقاره، وحقل ينبت الغل والضغينة في صدور الرجال والنساء على حد سوي، ويجرّ إلى المرء، ويحول الأصدقاء إلى أعداء، أما إذا كان بقصد استمالة القلوب، وإدخال السرور عليها، والابتعاد عن تعبس الوجه وتقطبه وبما لا إثم فيه ولا قطيعة فهو حسن، وقد روى أبو قلابة عن أنس رضي الله عنه: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي سَفَرٍ وَكَانَ غُلَامٌ يَجْدُو بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ سَوْكَ بِالْقَوَارِيرِ قَالَ أَبُو قَلَابَةَ: يَعْنِي النَّسَاءَ) (١٦)، شبه النساء بالقوارير التي يسرع إليها الكسر.

ومن آداب الرجوع من السفر أن لا يطرق المسافر أهله ليلاً، إلا لضرورة، فالعاقل هو الذي يعلم أهله بوقت وصوله، ففي الحديث النبوي:

(كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ، كَانَ لَا يَدْخُلُ إِلَّا غَدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً) (٢٦).

(١٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب المعاريض مندوحة عن الكذب حديث (٥٧٤٢).

(٢٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب الدخول بالعشي حديث (١٦٧٣).

٨.٩ الاستمتاع بالسفر والسياحة لا يعني السقوط في الوحل

الاستمتاع بالسفر والسياحة لا يعني السقوط في الوحل الهمة سلاح القلب للمعالي، فهي قد تدفع بالإنسان إلى اكتساب المعارف والعلوم والاستمتاع بالحياة، وهي تتفاوت من إنسان لآخر فن الناس من يبحث في سفره وسياحته وغرته عن المعالي ويستمتع بحياته، وهذا (تاكيو أوساهيرا) الياباني عاش ثمانية عشر سنة خارج بلاده اليابان يبحث عن سر تفوق أوروبا الميكانيكي ولم يرى أرض اليابان طول تلك السنين ثم عاد بعد أن حفظ الدرس وأتقن الصنعة ليطبّقها واقعاً عملياً على أرض بلاده.. يقول: بعد أن رأى رئيس الدولة اليابانية المحركات وهي تشتغل بأرض اليابان ذهبت إلى بيتي ونمت عشر ساعات وهي أول مرة أنام فيها عشر ساعات كاملة منذ خمسة عشر عاماً. (١٦)

ويرحم الله شوقي حيث يقول:

وَمَا نَيْلُ الْمَطْلَبِ بِالتَّمَنِّيِ ... وَلَكِنْ تُوخَذُ الدُّنْيَا غَلَابَا

وَمَا اسْتَعَصَى عَلَى قَوْمٍ مَنَالٌ ... إِذَا الْإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رِكَابَا

وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} (٢٦).

ولكن همم الناس ورؤيتهم للحياة تتفاوت، فن الناس من يعشق السفر والترفيه بهمة عالية ولكنه يقع في حبال الشيطان ويخرط في مصائده، فهو لا يعي معنى كلمة سياحة وسفر ويعتبر سياحة الترفيه ضرباً خالصاً من المجون الذي لا يربطه رابط ولا يضبطه ضابط وما أن يغادر بلده ويهبط في البلد التي عزم السفر إليه حتى يعتبر نفسه خارج المراقبة الربانية بل خارج حدود الرصانة والعقل واللباقة والأدب، فيبدد الأموال على موائد المتعة التي ضلت طريق الصواب، فكثيراً ما ينثر بعضهم النقود على الراقصات أو تحت

(١٦) - ابدأ كتابة حياتك فصول في عناق المجد، ص ٣٣، الناشر: دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

(٢٦) - سورة الرعد الآية (١١) .

أقدام المومسات ويتنافسون في نوادي القمار بقدراتهم الخرافية على تبديد الأموال، حالات نفسية يضحى فيها بالأموال على رؤس العاهرات، وربما أصيب بعضهم بـ (الإيدز) أو غير ذلك من الأمراض الخطيرة، فعاد وقد سود وجهه بلاده وخسر صحته وسعادته وإيمانه.

فالترفيه لا يعني السقوط في الوحل، ولا يعني الذلة والخمول ونبد الأخلاق الفاضلة وتبديد الأموال والإفراط في القيل والقال. وإذا انتقلنا إلى ميدان الأخلاق العالية والقيم الإنسانية البانية نجد أن للأدب الاسلامي سهماً ضارباً في هذا المقام تغوص أعماقه في نفوس الفطرة الإنسانية، بله النفوس المسلمة، وتأمل معي أبيات معن بن أوس المزني وهو يفتخر ببعده عن مواطن الريب واجتنابه الفواحش والمنكرات وتلبسه بمعاني المكرمات حيث يقول:

لَعَمْرُكَ مَا أَهْوَيْتُ كَفِّي لِرِيْبَةٍ ... وَلَا حَمَلْتَنِي نَحْوَ فَاحِشَةٍ رَجُلِي
وَلَا قَادَنِي سَمْعِي وَلَا بَصْرِي لَهَا ... وَلَا دَلَّي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلَا عَقْلِي
وَأَنِّي حَقًّا لَمْ تُصِْبَنِي مُصِيبَةٌ ... مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا قَدْ أَصَابَتْ فَتَى قَبْلِي
وَلَسْتُ بِمَاشٍ مَا حَيَّيْتُ لِمُنْكَرٍ ... مِنْ الأَمْرِ لَا يَمِشِي إِلَى مِثْلِهِ مِثْلِي
وَلَا مُؤَثِّرًا نَفْسِي عَلَى ذِي قَرَابَةٍ ... وَأَوْثُرُ ضَيْفِي مَا أَقَامَ عَلَى أَهْلِي

وهذا يذكرنا بقول الحسن البصري رحمه الله: "ما ضربت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي حتى أنظر أعلى

طاعة أو على معصية؟ فإذا كانت طاعة تقدمت وإن كانت معصية تأخرت". (١٦)

وإذا كان إذاعة مثل هذه الأخلاق وتحميد مثل هذه الآداب يعين على فعلها والالتزام بهديها فكم كنا نتمنى على البلدان الإسلامية في اتفاقياتها للتعاون السياحي أن تكون قد انبرت لتشجيع الفنون التي تهدي لمثلها فإن ذلك سمت الإنساني الراقي والتصوير الفني العالي مما يطرب له كل مسلم ويعجبه، وقد سبق أن أشرنا إلى مكانة الشعر ومواقع التأثير به وهو ينطق بالحكمة والحكمة فيه مطلوبة مرغوبة وقد أثنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الشعر الناطق بها وقال: (إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً) (٢٦) .

وغالباً ما تكون الحكمة عامرة بالمواعظ، حافلة بالعبر والأمثال، فتكون حقلاً تربوياً خصباً يزكي النفوس ويحدوها نحو الفضائل حدواً. أما إذا انتقلنا إلى الطبيعة الغناء فسنجدها حقلاً بديعاً يغري الشعراء ذوي الإحساس المرهف فيرسمون بأشعارهم لوحات بديعة ينبهون العقول على مبدعها وباعث نضرتها في صور مبهجة ومناظر مبهجة، قال الثعالبي:

الغيمُ بَيْنَ مُمَسِّكٍ وَمُعْصَفِرٍ ... وَالْمَاءُ بَيْنَ مُصْنَدَلٍ وَمُعْنَبِرٍ
وَالرُّوْضُ بَيْنَ مَدْمَلِجٍ وَمُتَوِّجٍ ... وَالوَرْدُ بَيْنَ مَدْرَهَمٍ وَمَدْنَرٍ
وَالأَرْضُ قَدْ لَبَسَتْ قَيْصاً أَخْضراً ... تَحْتَالُ فِيهِ بَطِيلَسَانٍ أَحْمَرٍ
لَتَرَوْقَنَا بظُرَائِفٍ وَلطَائِفٍ ... مِنْ حَسَنِ مَنْظَرِهَا وَطَيْبِ الْمَخْبِرِ

(١٦) - جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٦٦، الناشر: دار الفكر القاهرة.

(٢٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب ما يجوز من الشعر والرجز حديث (٥٦٧٩) .

٨٠١٠ حاجة المسافر إلى قراءة شيء من القرآن في أسفاره

سبحان مَحْيِي الأَرْضَ بعد مماتها.....وكذلك يحْيِي الخلقَ يومَ المحشرِ

وإذا كان الكون المنظور وسائر مجالات الحياة تعتبر صفحات فنية فإنه مما ينبغي على الأدباء المسلمين أن يحسنوا قراءتها وأن يقبلوا صفحاتها في سفرهم وإقامتهم، وأن يقدموا لأمة الإجابة ما يهز ويؤثر، ولأمة الدعوة ما يقنع ويبيهر، وهم في ذلك محتسبون ومحسنون ومبدعون ولربهم راغبون ومنقلبون. (١٦)

حاجة المسافر إلى قراءة شيء من القرآن في أسفاره

إن القرآن الكريم بما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة والبيان يغذي النفوس ويحيي القلوب، فهو عجيب نظمه بديع تأليفه، فيه آيات بينات أرشدت إلى علوم وحكمة وموعظة وآداب وأخلاق وفضائل وأحكام في العقيدة والفقهاء والمعاملات وما تحدثت به عن الله وعظمته وقدرته والدعوة إلى عبادته وتنزيهه عما لا يليق به وما حوته من أنباء وعبر ومواعظ وحث على مكارم الأخلاق وحسن المعاملة وبيان الحلال والحرام واشتمل على قواعد وضوابط في أصول التقنين وأسس التشريع في المال والحكم والأسرة، وصدق الله جل وعلا حيث يقول: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (٢٧) ، وفيه أخبار الأمم الماضية، وبيان أسس

(١٦) - انظر ميزان الشعر الإسلامي بحث للدكتور ناصر الخنيم منشور على صفحات مجلة الأدب الإسلامي العدد (٦١) ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، ص ٢١ و ٢٢.

(٢٧) - سورة النساء (٨٢) .

التشريع التي ترشد إلى العدل والحق والصدق والإيمان والتوحيد والحكمة والطهارة والوفاء وحسن المعاملة والابتعاد عن الحرام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.. الخ ما ورد في تلك الأحكام من الهدى والنور والأخلاق والآداب والحكم والمواعظ وما ينظم شئون الحياة ويقع بلسماً لجروحها وأدوائها في الجانب المادي والشخصي والجنائي وفي مختلف الجوانب الثقافية والاقتصادية وغيرها، ولا ريب إن في القرآن ما يبعث في الأمم الحياة والعزة والكرامة ويوجب السعادة للبشرية في الدنيا والآخرة، وصدق الله حيث يقول مخاطباً لرسوله: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (١٦) ، فكيف لا يأخذ الإنسان من المصحف كل يوم آيات في سفره وإقامته، يتعلم منها ويكتسب منها أدب الدنيا والدين.

حبذا مصحفني الذي اجتمعت لي ... فيه كل الشرائط المعجبات
غرر من محاسن النظم فيه ... باعتدال إلى جمال الذات
فيه مفخر العنايات خط ... ونقوش ومعجز الآيات
وبه حلت المشائخ والقراء ... وأهل الخلاف في الحركات
مثل قالون وأبي عمر البصري ... وحفص وحمزة الزيات
وبه الوقف والإمالة والفتح ... وحكم التسهيل للهمزات
وعشور منبثة كزهور ... في رياض أنيقة غدقات

(١٦) - سورة الشورى (٥٢) .

فيه للسمع والقلوب والخط ... ضروب شتى من الشبوات
فهو مما اصطنعت حقاً لنفسي ... ابتغي به أقرب القربات
وهو لا شك روضتي وعداتي ... فيه حقاً تكاملت لذاتي

وهو أنسي إذا عدت أنيسي ... وسميري الشهي في الخلووات
وإمامي يوم المعاد وذخري ... في حياتي الدنيا وعند الممات

وكيف لا يكون القرآن الكريم أنيس المسافر، ومحاسنه لا تحصى، فهو يفيدك ويهديك ويشيك ويغنيك، فإنك إن تلوت منه حرفاً كتبت

لك به حسنة ففي الحديث النبوي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ) (١٦) ، ولو أن واحداً قرأ سورة الأنعام التي يقول عنها الفيروزآبادي: عدد آياتها مائة وخمسة وستون آية وعدد كلماتها ثلاثة آلاف واثنان وخمسون كلمة وعدد حروفها اثنا عشر ألفاً ومائتان وأربعون (٢٦) ، لكان قد حصل قارئها على (مائة واثنين وعشرين ألفاً وأربعمائة) حسنة خلال وقت يقرب من نصف ساعة، فكيف يترك الإنسان هذا الفضل الكبير والخير العظيم في سفره وإقامته، وقد جعل الله القرآن روحاً تحيا به نفوس الخلق فله فضل الأرواح في الأجساد وجعله نوراً يضيء ضياء الشمس في الآفاق، وقد رأيت كيف فعل القرآن بالعرب في بحر الإسلام حيث كانوا بالأمس مشتتين لا تجمعهم رابطة سياسية أو قومية أو دينية وبعد مجيء القرآن صاروا أمة موحدة تحمل الفضيلة وتحكم العالم، قال الشاعر:

والعلم مهما صادف التقوى يكن ... كالريح إذ مرّت على الأزهار

يا قارئ القرآن إن لم تتبع ... ما جاء فيه فأين فضل القاري

وسيل من لم يعلموا أن يحسنوا ... ظناً بأهل العلم دون نفار (٣٦)

وفي الذكر الحكيم: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } (٤٦) ، والموعظة هي ما جاء في القرآن من الزواجر عن الفواحش والأعمال الموجبة لسخط الله أو هي الأمر والنهي بأسلوب الترغيب والترهيب، وفي القرآن شفاء لما في الصدور من أمراض الشبه والشكوك والشبهات وإزالة ما فيها من رجز وذنس، وفيه الشفاء من الأسقام البدنية والأسقام القلبية، فهو الذي يزجر عن مساوئ الأخلاق وأقبح الأعمال ويحث على التوبة، وفيه هدى ورحمة للمؤمنين كما قال سبحانه: { وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا } (٥٦) ، وقال: { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُ الْعَجْمِيِّ وَعَرَبِيٌّ قُلٌ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } (٦٦) ، فالهدى هو العلم بالحق والعمل به، والرحمة ما يحصل من الخير والإحسان والثواب العاجل والآجل لمن اهتدى بالقرآن العظيم، وإذا حصل

(١٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن حديث (٢٨٣٥) .

(٢٦) - بصائر ذوي التمييز ج ١ ص ١٢٩ .

(٣٦) - تنسب هذه الآيات لابن الوردي .

(٤٦) - سورة يونس الآية (٥٧) .

(٥٦) - سورة الإسراء الآية (٨٢) .

(٦٦) - سورة فصلت الآية (٤٤) .

٨٠١١ المشي يعين على الطاعة ويجلب السعادة

الهدى وحصلت الرحمة الناشئة عن الهدى حصلت السعادة والربح والنجاح والفرح والسرور { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ } (١٦) .
المشي يعين على الطاعة ويجلب السعادة

إن التنقل والمشي يعين على طلب الرزق، ويكسب الصحة، ويجدد للإنسان النشاط، ويغرس فيه الأمل، ويبعده عن الكسل، وأي قيمة لإنسان فارغ كسول في حياة مفعمة بالجد والعمل وحب الإنتاج، فمن رضي الخمول كان فارغاً كسولاً، تموت آماله وهو يرمقها بعين الندامة لا غاية له يسعى إلى تحقيقها ولا طريق واضحة يسير فيها، إن حياته كلها شقاء، قال الراجعي واصفاً حال الكسول:
غير أن الكسول في كل يوم ... يجد اليوم كله أهوالاً

من يقيم الأمور في الجد يهنا ... والشقا للذين قاموا كسالا

وفي الحديث النبوي: (دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ قَالَ هُمُومٌ لَزِمْتَنِي وَدِيُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ الدِّينِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي) (٢٦) .

وقال الشاعر:

وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ ضَاقَ بِلَدَّةٍ ... وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضْبِقَ الْمَكْسَبُ
فَارْحَلْ فَأَرُضْ اللَّهَ وَاسِعَةَ الْفَضَا ... طُولًا وَعَرْضًا شَرْقُهَا وَالْمَغْرِبُ (٣٦)

وقال آخر:

وَعَلَى أَنْ أَسْعَى وَلِيَدٍ ... سَسَّ عَلِيٌّ إِدْرَاكُ النَّجَاحِ (٤٦)

وفي الحديث النبوي الشريف: (إِنَّ الدِّينَ يَسْرُ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ إِلَّا غَلْبُهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشُرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) (٥٦) ، وفي رواية: (سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، الْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلَّغُوا) ، قوله: (الدِّينُ) : هُوَ مَرْفُوعٌ عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ، وَرُوي مَنْصُوبًا وَرُوي، (لَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ) ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (إِلَّا غَلْبُهُ) : أَي غَلْبُهُ الدِّينُ وَعَجَزَ ذَلِكَ الْمُشَادُّ عَنْ مُقَاوَمَةِ الدِّينِ لِكثْرَةِ طُرُقِهِ، وَ (الْغَدْوَةُ) : سِيرُ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَ (الرَّوْحَةُ) : آخِرُ النَّهَارِ، وَ (الدُّلْجَةُ) : آخِرُ اللَّيْلِ، وَهَذَا اسْتِعَارَةٌ وَتَمَثِيلٌ، وَمَعْنَاهُ: اسْتَعِينُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْأَعْمَالِ فِي وَقْتِ نَشَاطِكُمْ وَفَرَاغِ قُلُوبِكُمْ بِحَيْثُ تَسْتَلْذُونَ الْعِبَادَةَ

(١٦) - سورة يونس الآية (٥٨) .

(٢٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب في الاستعاذة حديث (١٣٣٠) .

(٣٦) - هذان البيتان للإمام علي رضي الله عنه وانظر ديوانه .

(٤٦) - ينسب هذا البيت لبديع الزمان الهمداني، انظر الموسوعة الشعرية ص٦٦٦ .

(٥٦) - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب القصد في العبادة حديث (٣٨٨١) .

وَلَا تَسْأَمُونَ وَتَبْلُغُونَ مَقْصُودَكُمْ، كَمَا أَنَّ الْمُسَافِرَ الْحَادِقَ يَسِيرُ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ وَيَسْتَرِيحُ هُوَ وَدَابَّتُهُ فِي غَيْرِهَا فَيَصِلُ الْمَقْصُودَ بِغَيْرِ تَعَبٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (١٦)

أما عروة بن الورد (٢٦) فإنه يرى استحباب السفر والاعتراب فيقول:

فَسِرْ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَاتَّمَسِ الْغَنَى ... تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتَ فَتُعَدَّرَا
وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ ... مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَنْ أَجَدَّ وَشَمَّرَا

وقال آخر:

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ... ولا يكون له في الأرض آثار

أما البحريني (٣٦) فهو يرى أن الإنسان إذا كان معدماً فعليه أن يتغرب وذلك حيث يقول:

وَإِذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حِلَّةً مُعَدِّمٌ ... فَالْبَسْ لَهُ حِلَّ النُّوَى وَتَغَرَّبِ
وَلَقَدْ آيَتْ مَعَ الْكَوَاكِبِ رَاكِبًا ... أَعْجَازَهَا بِعَزِيمَةٍ كَالْكُوكَبِ

وقد يكون السفر واجباً أو مستحباً فيجب للجهاد والحج ... إنخ والهجرة قد تكون واجبة بالنقلة عن البلد التي لا يستطيع الإنسان فيها أن يحفظ كرامته ودينه، وقيل غير ذلك، وفي الحديث: (لا هجرة بعد الفتح

(١٦) - انظر رياض الصالحين للإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (المتوفى سنة ٦٧٦هـ)، ج ١ ص ١١٧، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت.

(٢٦) - عروة بن الورد بن زيد العبسي، (ت ٣٠٠ ق. ٥٩٣هـ) من غطفان، من شعراء الجاهلية وفسانها وأجوادها، كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم.

(٣٦) - البُحْتَرِيُّ (٢٠٦-٢٨٤هـ/٨٢١-٨٩٧م) الوليد ابن عبيد بن يحيى الطائي أبو عبادة البحتري، شاعر كبير، يقال لشعره: سلاسل الذهب، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم، المتنبي وأبو تمام والبحتري، قيل لأبي العلاء المعري: أي الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحتري.

٨.١٢ العز والشرف في التنقل

ولكن جهاد ونية) (١٦) ، وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (٢٦) .
العز والشرف في التنقل

إذا كان في الأسفار بعض المشاق فإن فيها بلوغ ما يتطلبه المشتاق، واكتساب الحكم والأخلاق، والبحث عن الأرزاق، والحصول على المكاسب التجارية والثقافية، وإرضاء الخالق وأداء الواجب، وإن كان قد ورد في الحديث النبوي: (السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ) (٣٦) ، فذلك إخبار عما كان عليه الحال أو باعتبار المشقة التي تقع على المسافر في بعض الأحوال فالمسافر قد يلاقي الكثير من الأهوال والأخطار والمشقة حتى قال بعضهم: "العذاب قطعة من السفر"، فأخذه بعض الشعراء فقال:

كل العذاب قطعة من السفر ... يا رب فارددنا على خير الحضر (٤٦)
وليس في الحديث نهي عن السفر وإنما فيه إخبار عما يلاقي الإنسان من المشقة والتعب الذي عبر عنه بالعذاب فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد سافر إلى الشام بقصد التجارة وسافر بقصد الجهاد وبقصد الحج الذي يعد ركناً من أركان الإسلام بل أن السفر والتنقل لقضاء الحوائج والعظة والاعتبار ولغرض طلب الحلال والتمتع بنعم الله وزيارة الأرحام ... إنخ من أكبر النعم التي تفضل الله بها على الإنسان، وفي الذكر الحكيم: {هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} (٥٦) ، {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَا كُلُوا مِنْهُ لِحِمِّ طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٦٦) ، {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ تَأْكُلُونَ لِحِمِّ طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٧٦) .

وفي ذلك فضل وخير كثير، وشرف وعز كبير، وتعلم الصناعة والحرف قال الشاعر:

إِنَّ الْعُلَى حَدَّثَتْنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ ... فِي مَا تُحَدِّثُ أَنَّ الْعَزَّ فِي النُّقْلِ
لَوْ أَنَّ فِي شَرْفِ الْمَأْوَى بَلُوغٌ مَنَى ... لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمْلِ (٨٦)
أما أبو تمام فهو يقول:

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلَقٌ ... لِدِيَابِجَتَيْهِ فَاعْتَرَبَ تَجَدُّدٌ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ مَحَبَّةً ... إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٌ

- (١٦) - المستدرک علی الصحیحین للحاکم کتاب الهجرة حديث (٤٢٩٤) .
- (٢٦) - سورة النساء الآية (٩٧) .
- (٣٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب السفر قطعة من العذاب حديث (١٦٧٧) .
- (٤٦) - والموسوعة الشرعية ص ٣٣٠، المستطرف للإبشي ج ٢ ص ٢٧ .
- (٥٦) - سورة يونس الآية (٢٢) .
- (٦٦) - سورة النحل الآية (١٤) .
- (٧٦) - سورة فاطر الآية (١٢) .
- (٨٦) - انظر ديوان الطغرائي .

٨٠١٣ أخطار السفر في هذا الزمن قليلة فتمتع بنعمته الكبيرة

وفي الذكر الحكيم: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (١٦) .
أخطار السفر في هذا الزمن قليلة فتمتع بنعمته الكبيرة

أخي أنت خير بأن السفر في هذه الأزمنة قد تلاشت صعابه وقله أخطاره وأصبح الواحد يذهب براحة ويسر وأمان وهذه من نعم الله الكريم المنان على عباده في هذا الزمان {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} (٢٦) ، فهذه الطائرة النفاثة تخر أمواج الجو وتقطع المسافات الشاسعة في لحظات وساعات يسيرة وأنت على كرسيك في متعة وراحة.

جَلَّ شَأْنُ اللَّهِ هَادِي خَلْقِهِ ... يَهْدِي الْعِلْمَ وَنُورَ الْعُلَمَاءِ
زَفَّ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى لَنَا ... طَلَبَةٌ طَالَ بِهَا عَهْدُ الرَّجَاءِ
مَرْكَبٌ لَوْ سَلَفَ الدَّهْرُ بِهِ ... كَانَ إِحْدَى مُعْجِزَاتِ الْقُدَمَاءِ
نَصْفُهُ طَيْرٌ وَنِصْفٌ بَشَرٌ ... يَا لَهَا إِحْدَى أَعَاجِبِ الْقَضَاءِ
رَائِعٌ مُرْتَفِعًا أَوْ وَاقِعًا ... أَنْفَسُ الشُّجْعَانِ قَبْلَ الْجَبْنَاءِ
مُسْرَجٌ فِي كُلِّ حِينٍ مُلْجَمٌ ... كَامِلُ الْعُدَّةِ مَرْمُوقُ الرُّوَاءِ
كَيْسَاطُ الرِّيحِ فِي الْقُدْرَةِ أَوْ ... هُدُودُ السَّيْرِ فِي صِدْقِ الْبَلَاءِ
أَوْ كَحْوَتِ يَرْتَمِي الْمَوْجَ بِهِ ... سَابِحٌ بَيْنَ ظُهُورٍ وَخَفَاءِ
أَرْسَلَتْهُ الْأَرْضُ عَنْهَا خَبْرًا ... طَنَّ فِي آذَانِ سُكَّانِ السَّمَاءِ

- (١٦) - سورة الملك الآية (١٥) .
 - (٢٦) - سورة غافر الآية (٦١) .
- يَا شَبَابَ الْعَدِ وَابْنِي الْفِدَى ... لَكُمْ أَكْرَمٌ وَأَعَزُّ بِالْفِدَاءِ
هَلْ يَمْدُ اللَّهُ لِي الْعَيْشَ عَسَى ... أَنْ أَرَأَيْكُمْ فِي الْفَرِيقِ السُّعْدَاءِ
أُمَّةٌ لِلْخُلْدِ مَا تَبَنِي إِذَا ... مَا بَنَى النَّاسُ جَمِيعًا لِلْعَفَاءِ
عَصْرُكُمْ حَرٌّ وَمُسْتَقْبَلُكُمْ ... فِي يَمِينِ اللَّهِ خَيْرُ الْأَمْنَاءِ
لَا تَقُولُوا حَطَّنَا الدَّهْرُ فَمَا ... هُوَ إِلَّا مِنْ خَيَالِ الشُّعْرَاءِ
هَلْ عَلِمْتُمْ أُمَّةً فِي جَهْلِهَا ... ظَهَرَتْ فِي الْمَجْدِ حَسَنَاءَ الرِّدَاءِ

تَحْذُوا الْعِلْمَ عَلَى أَعْلَامِهِ ... وَاطْلُبُوا الْحِكْمَةَ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ
وَاقْرَأُوا تَارِيخَكُمْ وَاحْتَفِظُوا ... بِفَصِيحٍ جَاءَكُمْ مِنْ فَصَحَاءِ
وَاحْكُمُوا الدُّنْيَا بِسُلْطَانٍ فَمَا ... خُلِقَتْ نَضْرَتُهَا لِلضُّعْفَاءِ
وَاطْلُبُوا الْمَجْدَ عَلَى الْأَرْضِ فَإِنَّ ... هِيَ ضَاقَتْ فَاطْلُبُوهُ فِي السَّمَاءِ (١٦)

فالمسافر والسائح يتمتع بركوب الطائرات والقاطرات والسيارات في أسفاره ويستمتع بالركوب على ظهر السفن والبواخر التي تجوب البحار وتحمل الأثقال، فبصناعة الطائرات وتلك السيارات والبواخر والقاطرات تقاربت البلدان وأصبح في مقدور الإنسان الاستمتاع بهذه النعمة وحث الهمم وتشجيعها على صناعة الطائرات والتسابق إلى الإبداع في تلك الصناعات التي بها قوام الدين والدنيا، ويقود إلى تدبر الآيات البيّنات والتفكر في جميع المخلوقات والعمل على تصنيع الطائرات والقاطرات والسيارات ... إنلخ وقد جاء في الذكر الحكيم إخباراً عن ما هدى الله إليه

(١٦) - ديوان أحمد شوقي.

عبدُه ونبيُه داود الحكيم: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} (١٦) ولا تزال صناعة الحديد تشكل أساساً في صناعة آلة الحرب منذ علم الله داود عليه السلام صناعة الدروع حتى يومنا هذا، قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (٢٦) ، ومن الحديد تصنع معظم الأسلحة الخفيفة والثقيلة من البندقية إلى المدفع إلى الصاروخ إلى السيارات ويدخل الحديد في صناعة القاطرات وناقلات الجند والدبابات والطائرات، وللحديد في مجال التصنيع العسكري والمدني منافع أكثر من أن تحصى، ولقد كان فيما تفضل الله به وأنعم على داود عليه السلام آية ومعجزة عظيمة ترشد إلى الثناء على الله سبحانه وتعالى وتوقظ الهمم في مجال التصنيع، ولهذا فإن الحق سبحانه وتعالى بعد أن ذكر ما أنعم الله به على داود عليه السلام أرشد إلى الشكر وعمل الصالحات فقال جل شأنه: {وَأَعْمَلُوا صَالِحاً} ويشمل الصلاح المأمور به صلاح الأعمال والأفعال من العبادات والصناعات لأن ذلك أدعى لدوام النعمة وثمائها.

وفي سورة سبأ: {وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ} (٣٦) أي: جعلناه لينا أو وفقناه لإلاتته بواسطة الصهر، وإلانة الحديد بغير تليين ومعالجة معجزة ظاهرة واضحة،

(١٦) - سورة الأنبياء (٨٠) .

(٢٦) - سورة الحديد الآية (٢٥) .

(٣٦) - الآية (١٠) .

٨٠١٤ الطائرات السابجات في الجو

٨٠١٥ السفر يهدي إلى التعرف على عظمة الصانع جلت قدرته

وفي ذلك إشارة إلى ضرورة صهر الحديد عند صنعته، وفي الحديد وصناعته خير كبير، فمنه تصنع آلة الحرب ومنه تصنع القطار والطائرات والدبابات والمدافع و.....الخ.

الطائرات السابجات في الجو

الطائرات السابجات في الجو هي أقوى سلاح يرهب، وهي أسرع وسيلة لنقل الإنسان وما يحتاج إليه من المنافع، وهي رسل لأهل الشوق يطوفون بها البلدان ويصلون الإخوان ويتذكرون نعم الرحمن، ويغفر الله لشوقي حيث يقول:

إجعلوها رُسُلَكُمْ أَهْلَ الْهَوَى ... تَجْمَلُ الْأَشْوَاقَ عَنْكُمْ وَالْغَرَامَا

وَاسْتَعْبِرُوهَا جَنَاحاً طَالَمَا ... شَغَفَ الصَّبَّ وَشَاقَ الْمُسْتَهَامَا
يَجْمَلُ الْمُضْنَى إِلَى أَرْضِ الْهَوَى ... يَمْنًا حَلَّ هَوَاهُ أَمْ شَامَا
أما ابن الطيب الشرقي الفاسي (١٦) فهو يقول:

سافر إلى نيل المعز ... ة إن في السفر الظفر

وانفر لنيل المجد فيمن ... للمعالي قد نفر

فالناس الفك كلهم ... والأرض أجمعها مقر

فتى وجدت العز ... والعيش الهني أقم تبر

السفر يهدي إلى التعرف على عظمة الصانع جلت قدرته

إن الإنسان حينما ينتقل بين البلدان يرى الأرض الجميلة والجبال الشامخة والبحار الهائجة والطيور السابحة في السماء والحيوانات المختلفة، والثمار الياقة يهتدى إليه سبحانه وتعالى عن طريق مخلوقاته في هذا الكون ويعلم أن الله قوي في مخلوقاته حكيم في صناعته ففي هذا الكون في الأرض وفي السماء مظاهر قوته، وأن الله جل وعلا عليم خبير لان في هذا الكون مظاهر علمه وخبرته، فإذا أردت أن تفكر في الكون وصلت إلى الله لأنه صنعه وعند ذلك تصل إلى معرفة الصانع الخالق للكون وتعرف تنظيمه وإحكامه، فترى الحكمة، وترى القدرة، وترى اللطف، وترى العطف، وترى الجمال، وترى الرحمة، فكل مظهر في الكون يدل على اسم من أسماءه أو على كل أسماءه، فكيف هدانا الله؟ الله قال: {قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} (٢٦) ، وقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ} (٣٦) ،

(١٦) - محمد بن الطيب محمد بن محمد بن محمد الشرقي الفاسي المالكي، أبو عبد الله، (١١١٠-١١٧٠هـ/١٦٩٨-١٧٥٦م) ، زليل المدينة المنورة، محدث، علامة باللغة والأدب، مولده بفاس، ووفاته بالمدينة، وهو شيخ الزبيدي صاحب تاج العروس، والشرقي نسبة إلى (شراقة) على مرحلة من فاس، من كتبه (المسلسلات) في الحديث، و (فيض نشر الانشراح-خ) حاشية على كتاب الاقتراح للسيوطي في النحو، و (إضاءة الراموس-خ) حاشية على قاموس الفيروزآبادي، مجلدان ضخمان، و (موطئة الفصيح لموطأة الفصيح-خ) مجلدان، شرح به (نظم فصيح الثعلب لابن المرحل) ، وشرح (كفاية المتحفظ) وشرح (كافية ابن مالك) ، وشرح (شواهد الكشاف) ، و (حاشية على المطول) ، و (رحلة) .

(٢٦) - سورة يونس الآية (١٠١) .

(٣٦) - سورة الشورى الآية (٢٩) .

وقال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ} (١٦) .

وإذا كان الحق سبحانه وتعالى هدانا بخلقه فالهادي اسم من أسماء أفعاله، وهدانا بكلامه، فالأرض التي خلقها الله والسماء التي رفعها الله وإحكام الصنعة في الخلق تضعك أمام قدرة الله وأمام رحمته وأمام علمه وأمام خبرته، قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} (٢٦) ، وقال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} (٣٦) ، وقال تعالى: {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} (٤٦) .

إذا فالهادي اسم من أسماء ذاته فالله متكلم والقرآن كلامه، فالكتاب هدى بياني والكون هدى استدلالي، غير أن الكون يدل على وجود الله وعظمته وأسماءه ولا يدل على الصلاة والفرائض والواجبات فلا بد أن تهتدي بالكون جزئياً وتهتدي بالقرآن كلياً فهو الذي يعلمك ما اقترض الله عليك. (٥٦) {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (٦٦) .

- (١٦) - سورة الروم الآية (٢٢) .
- (٢٦) - سورة الرعد الآية (٢) .
- (٣٦) - سورة الإسراء الآية (٩) .
- (٤٦) - سورة البقرة الآيات (٢٠١) .
- (٥٦) - انظر موسوعة الأسماء الحسنى ج ١ ص ٦١٥ وما بعدها .
- (٦٦) - سورة يونس الآية (٢٥) .

٨٠١٦ الهادي من أسماء الله الحسنى

الهادي من أسماء الله الحسنى

الهادي من أسماء الله الحسنى ورد ذكره في القرآن الكريم: {وَكَفَىٰ بَرِيكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} (١٦) ، وقال تعالى: {وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (٢٦) .

وفي الموطأ عن عبد الله بن الزبير أنه كان يقول: (إن الله هو الهادي) (٣٦) ، وورد عند الترمذي: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) ، وعدَّ منها الهادي (٤٦) . فالهادي هو الذي يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع، وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لم يعلموا، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى، ويجعل قلوبهم منيية إليه ومنقادة إلى أمره .

والهداية: هي دلالة بلطف وهداية الله تعالى للإنسان على أربعة أوجه:

الأول: الهداية التي عم بجنسها كل مكلف من العقل، والفتنة، والمعارف الضرورية التي أعم منها كل شيء بقدر فيه حسب احتمالها كما قال تعالى: {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ} (٥٦) .

الثاني: الهداية التي جعل للناس بدعائه إياهم على السنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا} (٦٦) .

الثالث: التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو المعنى بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى} (٧٦) ، وقوله تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ} (٨٦) ، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ} (٩٦) ، وقوله: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} (١٠٦) .

الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة المعنى بقوله: {سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْسِنَتِهِم} (١١٦) ، وقوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} (١٢٦) ، وهذه الهدايات الأربع مترتبة فإن من لم تحصل له الأولى لا تحصل الثانية بل لا يصح تكليفه، ومن

(١٦) - سورة الفرقان الآية (٣١) .

(٢٦) - سورة الحج الآية (٥٤) .

(٣٦) - موطأ مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، باب النبي عن القول بالقدر ج ٥ ص ١٣٢٤ حديث (٣٣٤١) ،

الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

(٤٦) - سنن الترمذي باب ما جاء في عقد التسبيح باليد حديث (٣٤٢٩) .

(٥٦) - سورة طه الآية (٥٠) .

(٦٦) - سورة السجدة الآية (٢٤) .

(٧٦) - سورة محمد الآية (١٧) .

(٨٦) - سورة التغابن الآية (١١) .

(٩٦) - سورة يونس الآية (٩) .
 (١٠٦) - سورة العنكبوت الآية (٦٩) .
 (١١٦) - سورة محمد الآية (٥) .
 (١٢٦) - سورة الأعراف الآية (٤٣) .
 لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة، ومن حصل له الرابع فقد حصل له الثالث التي قبلها، ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله، ثم يعكس فقد تحصل الأولى ولا يحصل له الثاني ولا يحصل الثالث والإنسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر أنواع الهدايات وإلى الثانية أشار بقوله: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (١٦) ، {يَهْدُونَنَا بِأَمْرِنَا} (٢٦) ، {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} (٣٦) ، أي داع. وإلى سائر الهدايات أشار بقوله: {إِنَّكَ لَأَنْتَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} (٤٦) . (٥٦)
 وقال د. محمد راتب النابلسي: كلمة الهادي مأخوذة من فعل هدى والهادي اسم فاعل والله سبحانه وتعالى خلق ثم هدى، وأول بند من بنود الهدى: خلقه {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} (٦٦) ، والبند الثاني: اسم من أسماء ذاته لأنه متكلم فالله سبحانه وتعالى يهدي بكلامه، إذاً الهادي اسم من أسماء ذاته. (٧٦)

قلت: كلام النابلسي فيه تحقيق، فالله جل وعلا هدى الإنسان بخلقته، قال جل شأنه: {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي

- (١٦) - سورة الشورى الآية (٥٢) .
- (٢٦) - سورة السجدة الآية (٢٤) .
- (٣٦) - سورة الرعد الآية (٧) .
- (٤٦) - سورة القصص الآية (٥٦) .
- (٥٦) - انظر: شرح أسماء الله الحسنى للقحطاني ص ١٣٣-١٣٥ .
- (٦٦) - سورة الروم الآية (٢٠) .
- (٧٦) - موسوعة أسماء الله الحسنى ج ٢ ص ٦١٨-٦١٩ .

أَخْرَجَ الْمَرْعَى} (١٦) ، وقال سبحانه: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} (٢٦) ، وقال جل وعلا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} (٣٦) .

ففي هذه الآيات دلالة واضحة أن الله هداك بالكون الذي خلقه وأودع فيه من الآيات ما يدل على وجود الله وعلى أسمائه، فإذا أردت أن تؤمن ففكر في الكون فإذا فكرت في الكون عرفت صانعه، وفي قصة إيمان الفتية الذين آووا إلى الكهف التي يؤكد القرآن الكريم حقيقة إيمانهم بوصف يدل على رحمان عقولهم وصحة معتقدتهم وإكرام الله لهم بزيادة هدايتهم: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ لَهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} (٤٦) .
 إذا تبين لك ذلك عرفت أن الهادي اسم من أسماء أفعاله، وأنه يهدي من يشاء إلى التفكير في خلق السماوات والأرض وأن الله وحده هو الصانع لهذا الكون الخالق المبدع وحده لا شريك له، وأنه سبحانه وتعالى يهدي من يشاء بالقرآن قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} (٥٦) ، وقال سبحانه: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} (٦٦) .

- (١٦) - سورة الأعلى الآيات (٤-١) .
- (٢٦) - سورة الطارق الآيات (٥-٨) .
- (٣٦) - سورة الأنعام الآية (١) .

- (٤٦) - سورة الآيات الآية (١٣ و١٤) .
- (٥٦) - سورة الإسراء الآية (٩) .
- (٦٦) - سورة البقرة الآية (٢) .

٨٠١٧ ثمرة معرفة اسم الله الهادي

وهذا يدل أن الهادي اسم من أسماء ذاته، فالله جل وعلا هدى بكلامه، فهو يهدي بكلامه من يشاء إلى صراط مستقيم، وبهذا يتضح أن الهادي اسم من أسماء ذاته فهو يهدي من يشاء بكلامه وبأفعاله وبالإلهام وبالفطرة، هداك لطعامك ولشربك وللعمل وللتعلم وللتفكير، وهداك للإيمان به وإلى كل خير فهو الذي أعطى الإنسان كل شيء خلقه ثم هدى، وهو الذي هدى بالوحي، وهدى إلى التوفيق، وهدى إلى الجنة، وبين طرق الخير والشر فقال سبحانه وتعالى: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} (١٦) ، وقال جل شأنه: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} (٢٦) ، وبالتقوى تتحقق كل مفاهيم الهداية ومقوماتها للإنسان فيفتدي إلى ربه ويسعد إلى الأبد.

ثمرة معرفة اسم الله الهادي

إذا عرف المكلف أن الله تعالى وحده الذي خلقه، وأنه الذي رزقه، وخلق له ما في الأرض من خير وبر، قال تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَبْنَا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} (٣٦) ، وأنه سبحانه الذي يهديه لعمل الخير ويثيبه ويوفقه ويرشده ويثبته على الإيمان ويسدده، وإن قُتل في سبيل الله أو مات على الإيمان ممتلاً لأوامر الرحمن فسيحرسه الله ويحفظه ويثيبه ولن

- (١٦) - سورة البلد الآية (١٠) .
 - (٢٦) - سورة الإنسان الآية (٣) .
 - (٣٦) - سورة عبس الآيات (٢٤-٣١) .
- يضله ويبعده، قال تعالى: {وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ} (١٦) . فإذا عرف الإنسان المكلف ذلك وجب عليه أن يؤمن بأن الله هو الهادي الذي خلقه وهداه، ورزقه وأعطاه، وأنه يهدي من يشاء برحمته وفضله، ويضل من يشاء بحكمته وعدله، فهو الذي يحول بين المرء وقلبه، وفي سورة الأنفال يقول جل شأنه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (٢٦) ، ومن مثل هذا يخاف الرجل العليم والمؤمن الكريم الذي علم أن الله هو الهادي، فإذا آمن بالله وأنه الهادي وحده لا شريك له عند ذلك يكون المؤمن محباً لله الذي أكرمه وهداه وعافاه وجنبه الشقاء والضلال فهو يدعو كما كان يدعو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه: (يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ) (٣٦) ، ويدعو الله في كل صلواته بعد حمد الله والثناء عليه وإفراده سبحانه بالعبادة وطلب العون فهو يقرأ في سورة الفاتحة: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} (٤٦) .

ومعلوم أن من عرف بأن الله هو الهادي لخلق المصل لمن كذب وأسرف واختار سبيل المفسدين الضالين من عباده، فإنه يخاف بطش الله وعقابه وخسفه وعذابه وإضلاله المسرفين المكذبين {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ

- (١٦) - سورة محمد الآيات (٤-٦) .
- (٢٦) - الآية (٢٤) .
- (٣٦) - أخرجه ابن ماجة في سننه باب فيما انكرت الجهيمه حديث (١٩٥) .
- (٤٦) - الآية (٦) .

عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ { (١٦) ، وقال جل شأنه: } وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا { (٢٠) . ولبعض الشعراء:

بروق الحما أبرقي يا بروق ... عسى الله يستقي بك المجدين
إذا لم تجد يا وسيع العطا ... فمن ذا لأهل الخطا المذنبين
فلا مانع لك على ما تشاء ... في الكون يا أقدر القادرين
فلي قلب حائر قليل الهدى ... فبصره يا هادي الحائرين
تفضل بغفران كل الذنوب ... نكون جميعاً من الفائزين (٣٦)

دعاء الله باسمه الهادي

يا الله يا هادي نسألك بأسمائك الحسنى وبصفاتك العلاء أن تهديني والمؤمنين إلى صراطك المستقيم، وأن تهدي قلوبنا إلى ماتحب وترضاه من فكر وقول وفعل وعمل وأن تجعلنا من عبادك المخلصين، اهدنا يا الله إلى صراط من أنعمت عليهم من النبيين والملائكة والصالحين واصرف عنا الضلال والمضلين واجمعنا والمؤمنين على الهدى والتقى يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على محمد الأمين وعلى آله الطاهرين وأصحابه الراشدين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١٦) - سورة الجاثية الآية (٢٣) .

(٢٠) - سورة الكهف الآية (١٧) .

(٣٦) - هذه الأبيات تنسب لأبي بكر بن عبد الله الشاذلي العيدروس، من آل باعلوى (٨٥١-٩١٤هـ/١٤٤٧-١٥٠٩م)، مبتكر القهوة المتخذة من البن المجلوب من اليمن، كان صالحاً زاهداً، ولد في تريم (بمضرموت) وقام بسياحة طويلة، ورأى البن في اليمن، فاقنات به فأعجبه، فاتخذ قوتاً وشراباً وأرشد أتباعه إليه، فانتشر في اليمن ثم في الحجاز والشام ومصر، ثم في العالم كله، وأقام بعدن ٢٥ سنة وتوفي بها، ولجمال الدين بحرق الحضرمي كتاب فيه سماه (مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس)، له كتاب في علم القوم سماه (الجزء اللطيف في علم التحكيم الشريف) تصوف على طريقة الشاذلية، و (ثلاثة أوراد) ونظم جمع في (ديوان) .

وفي الدعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي وَتُلْهُمُهَا شِعْرِي وَتُصَلِّحُ بِهَا غَائِبِي وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي وَتَزِيحُ بِهَا عَمَلِي وَتُلْهِمْنِي بِهَا رُشْدِي وَتَرُدُّ بِهَا أَلْفِي وَتَعْصِمْنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَانًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ وَرَحْمَةً أَنْالَ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ فِي الْعَطَاءِ وَنَزَلَ الشُّهَدَاءُ وَعَيْشَ السُّعْدَاءِ وَالتَّصَرُّعَ عَلَى الْأَعْدَاءِ اللَّهُمَّ إِنِّي أُنزِلُ بِكَ حَاجَتِي وَإِنْ قَصُرَ رَأْيِي وَضَعُفَ عَمَلِي افْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَاسْأَلُكَ يَا قَاضِيَ الْأُمُورِ وَيَا شَافِيَ الصُّدُورِ كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ الْبُحُورِ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ وَمِنْ دَعْوَةِ الشُّبُورِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ اللَّهُمَّ مَا قَصَرَ عَنْهُ رَأْيِي وَلَمْ تَبْلُغْهُ نَيْبِي وَلَمْ تَبْلُغْهُ مَسْأَلَتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدَّتْهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ خَيْرٌ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ وَأَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ ذَا الْحَبْلِ الشَّدِيدِ وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ الرَّكَعِ السُّجُودِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْعَهْدِ إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تَرِيدُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ غَيْرِ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ سَلْمًا لِأَوْلِيَائِكَ وَعَدُوًّا لِأَعْدَائِكَ نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَحَبَّكَ وَنُعَادِي بَعْدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ وَعَلَيْكَ الْإِجَابَةُ وَهَذَا الْجُهْدُ وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي وَنُورًا فِي قَبْرِي وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَنُورًا مِنْ خَلْفِي وَنُورًا عَنْ يَمِينِي وَنُورًا عَنْ شِمَالِي وَنُورًا مِنْ فَوْقِي وَنُورًا مِنْ تَحْتِي وَنُورًا فِي سَمْعِي وَنُورًا فِي بَصَرِي وَنُورًا فِي شَعْرِي وَنُورًا فِي بَشْرِي وَنُورًا فِي لَحْيِي وَنُورًا فِي دَمِي وَنُورًا فِي عِظَامِي اللَّهُمَّ اعْظِمْ لِي نُورًا وَأَعْطِنِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا

سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ الْعِزَّ وَقَالَ بِهِ سُبْحَانَ الَّذِي لَبَسَ الْمَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ
سُبْحَانَ ذِي الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ سُبْحَانَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (١٦) .

(١٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء ما يقول إذا قام من الليل للصلاة حديث (٣٣٤١) .

٩ الفصل الثامن الحرية والإباء

الفصل الثامن
الحرية والإباء

٩.١ الحرية والإباء

الحرية والإباء

إن مما يتفق عليه العقلاء أنه لا سبيل للسعادة في الحياة إلا إذا عاش فيها الإنسان حراً طليقاً يسيطر على جسمه وعقله ونفسه ووجدانه وفكره، وقد قال بعض الأدباء: إن الحرية شمس يجب أن تشرق في كل نفس، فن عاش محروماً منها عاش في ظلمة حالكة، يتصل أولها بظلمة الرحم وأخرها بظلمة القبر. (١٦)

وطالما تغنا بالحرية العرب الفصحاء في أشعارهم، ويرحم الله أبا القاسم الشابي حيث يقول:

خُلِقْتَ طَلِيقاً كَطَيْفِ النَّسِيمِ ... وَحُرّاً كَنُورِ الضُّحَى فِي سَمَاءِ

تُغْرِدُ كَالطَّيْرِ أَيْنَ أَنْدَفَعْتَ ... وَتَشْدُو بِمَا شَاءَ وَحِي الْإِلَه

وَتَمْرَحُ بَيْنَ وُرُودِ الصَّبَاحِ ... وَتَتَعَمُّ بِالنُّورِ أَنِّي تَرَاهُ

وَتَمُشِي كَمَا شِئْتَ بَيْنَ المَرْوَجِ ... وَتَقْطُفُ وَرَدَ الرَّبِّي فِي رَبَّاهُ

وقال سحيم الحساس:

إِنْ كُنْتُ عَبْدًا فَفَنَسِي حُرَّةً كَرَمًا ... أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنْني أَيْضُ الخُلُقِ

وقال:

وترانا يوم الكريهة أحراراً ... وفي السلم للغواني عبيدا

وعليه بنا الصوفية في اصطلاحهم في إطلاق اسم الحر على من خلع عن نفسه إمارة الشهوات ومزق سلطانتها، قال الشاعر:

أتمنى على الزمان محالاً ... أن ترى مقلتناي طلعة حر

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فهو يرى بأن الحرية: العبودية الخالصة لله تعالى تجمع بين كمال الحب وكمال الذل (٢٠) .

ومقتضى هذا أن الناس جميعاً خلقوا أحراراً لا فرق بين أسود أو أبيض أو أحمر أو أصفر، فيجب أن لا يدينوا بالعبودية إلا لله الواحد الأحد، ولا قيد على حرية الإنسان إلا ما قيده القرآن والسنة النبوية لأمر أو نهي يستلزم قيد هذه الحرية، بعدم استحلال الخبائث، واستنهاض الرذائل، واستباحة الفواحش والتطاول على الحرمات، والعدوان على الحقوق واستغلال الناس وأكل أموالهم بالباطل أو استباحة أعراضهم، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يفقهون ذلك بالفطرة ويأخذونه من الكتاب والسنة فهذا عمر بن الخطاب (٣٠) رضوان الله عليه يقول- في قصة مشهورة:- متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ .

وهذا الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع شدة رغبته في دخول الناس في الإسلام، حتى كاد أن يهلك نفسه؛ لم يُكره أحداً على

الدخول

(١٦) - مصطفى المنفلوطي في كتابه النظرات ج ١ ص ٩٥ ، الناشر دار ومكتبة الهلال مصر الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .

(٢٠) - تعارض العقل والنقل ص ٦٢.

(٣٠) - أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي أبو حفص، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من أشرف قريش وإليه كانت السفارة في الجاهلية وذلك أن قريشا كانوا إذا وقع بينهم حرب أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرا وإن نافرهم منافرا أو فآخرهم مفاخر رضوا به بعثوه منافرا ومفاخرا، أسلم في السنة السادسة للهجرة وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميع المشاهد، وكان أشد الناس على الكفار، ولي الخلافة بعد أمير المؤمنين أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

٩.٢ الحرية التي ليس عليها ضوابط

في الدين، وقد قص الله ذلك بقوله: (١٠) {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} . (٢٠) فالإكراه على الدخول في الدين منعه الإسلام احتراما لحرية الإنسان، وقد جاء القرآن: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (٣٠) . الحرية التي ليس عليها ضوابط

الحرية التي ليس عليها ضوابط ولا تقيده بحدود وتمس مشاعر الناس وتؤذيهم في أخلاقهم وأعراضهم في دينهم ودنياهم؛ ما هي إلا وسيلة من وسائل الذل والانحطاط، تنفر منها الطباع السليمة، وتبأها الأخلاق القويمة، ورحم الله الأستاذ العلامة الشيخ يوسف الدجوي حيث يقول:

لقد ظهرت حوادث لا تطاق ... وقوم ما لأكثرهم خلاق
فأموال تبعثر في فساد ... وكم وسط النهار دم يراق
وكم ظلم تسربل ثوب عدل ... وكم ضغن يغطي النفاق
وكم فضل يidas ولا يراعى ... وكم جهل يروجه الرفاق
وكم أدب أضيع وكم فتاة ... لها شرف إلى عار تساق
فهل حرية الحيوان نبي ... ففي كل الأمور لنا انطلاق (٤٠)

(١٠) - انظر: مؤلفنا حقوق الإنسان في الهدى النبوي ص ٤٥٨، الطبعة الأولى توزيع منشأة دار المعارف بالاسكندرية ٢٠٠٧م.
(٢٠) - سورة الكهف الآية (٦) .
(٣٠) - سورة البقرة الآية (٢٥٦) .
(٤٠) - وردت هذه الآيات ليوسف الدجوي من كبار علماء الأزهر في القرن الماضي ضمن تقريرة للنهضة الإصلاحية للأسرة الإسلامية لمؤلفه مصطفى الحامي، ص ٩، مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م.

٩.٣ الحرية ليس لها ثمن

الحرية جميلة، ولكن يجب أن تصان عن الابتذال بالخروج عن قيود الشرعية وضوابطها. الحرية ليس لها ثمن

الحرية في الوطن والمسكن والرسائل والتفكير والطريق والعمل؛ هي حق لصيق بالإنسان، فاحترام حرية الإنسان في عقله وتفكيره وتعليمه وتصرفه؛ هو احترام لآدميته وتكريم الله له، وهو أمر محب للنفس ليس له ثمن، وفي شعر رفعت بن سعيد (١٠) إنشاد الحرية والبحث عنها:

لأنشد حريتي في الوجود ... وأحفظ ديني بين الملا

أما جميل صدقي الزهاوي (٢٦) فهو يجعل من حريته ثمناً غالياً فيصفها بأنها رجاء نفسه وهي من العين كالسواد الذي لا تستضيء إلا به فيقول:

حريتي يا رجاء نفسي ... أنت من العين كالسواد

إليك تخفي النفوس حباً ... كأنه النار في الرماد

شخصك قد غابَ عن عيوني ... ولم يغب قطُّ عن فؤادي

أما احمد الكاشف فهو يقول:

(١٦) - رفعت بن سعيد الصليبي ولد في مدينة السلط (١٣٣٥-١٣٧٢هـ) ، كان شاعراً مطبوعاً هادئ الشعر، لطيف العبارة، ناعم الغزل، ويشتمل شعره على الوطنية والحب، وقصائد النكبة الفلسطينية. كان رئيساً للندوة الأدبية في الأردن والتي كانت تضم نخبة الأدباء الأردنيين.

(٢٦) - جميل صدقي بن محمد فيضي بن الملا أحمد بابان الزهاوي مولده ووفاته ببغداد (١٢٧٩-١٣٥٤هـ) ، شاعر، نحى منحى الفلاسفة، من طلائع نهضة الأدب العربي في العصر الحديث. حريتي ولو اغتديت ودونها ... ملقى صفاح واشتباك صعاد وقال أبو شبكة (١٦) :

كم رددت في مسمعيك مراشفي ... حريتي يا مي أثنى ما معي
ولله در ابن الرومي (٢٦) حيث يقول:

هاض حريتي وأوثق بالمد ... زور من نيله لساني عقدا

فإلى الله أشتكي ما ألقى ... من زمانٍ يجشم الحرَّ جهدا

حُرمت لذة الشكاية نفسي ... وجداً صاحبي وأصبحت عبدا

ولقد قلتُ عند ذاك وأضمر ... ت على باخسي حقوقي حقدا

شكر الله ماجداً جاداً أو وغ ... داً كفى الناس نائلاً منه وغدا

ولحاً الله بين هذين من غر ... ر عفيفاً من نفسه ثم أكدى

بيذل التافه الذي يلبس الحر ... ر خشوعاً ولا يسدُّ مسداً

باخل حين يبذل القوم رِفداً ... ماطل حين يُنجز القوم وعدا

أما أبو مسلم العماني (٣٦) فهو يرى بأنه سيدافع عن حريته فيقول:

أذود عن حريتي بحقها ... واجهد النصر لحر مبتلى

(١٦) - إلياس أبو شبكة: مترجم يحسن الفرنسية، كثير النظم بالعربية، لبناني، اشترك في تحرير بعض الجرائد ببيروت، ونقل إلى العربية تاريخ نابليون) وقصصاً من مسرحيات (موليير) ونشر مجموعات من نظمه.

(٢٦) - علي بن العباس بن جريح أو جورجيس الرومي، شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جده من موالي بني العباس ، ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها (٢٢١-٢٨٣هـ) .

(٣٦) - أبو مسلم البهلاني العماني، (١٢٣٧-١٣٣٨هـ) ، شاعر عماني الأصل له ديوان فيه ما يربو المائتي قصيدة فيه الكثير من الحكم والوجدانيات والإلهيات ودلائل التوحيد والأخلاق.

٩٠٤ لوم الحر نجاة له

أما نيقولاوس الصائغ (١٦) فهو يرى أن المنون شرف إذا وضعت على حريته الأغلال والقيود وذلك حيث يقول:
شرفي المنون وقد غدت حُرِّيَّتِي ... أُسْرًا بِذِي الْأَغْلَالِ وَالْأَقْيَادِ
لوم الحر نجاة له

إن الإنسان الحر لا يأتي شيئاً يندم على فعله، وإذا وقع في أمر مشين كانت الإشارة إليه والإرشاد له أكبر معين له على الرجوع إلى الحق، فهو لا يحتاج إلى تبريع ولا إلى ترويع، وقد جاء في شعر يزيد بن مفرع الحميري:

لَهْفِي عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي ... كَانَتْ عَوَاقِبُهُ نَدَامَهُ

العَبْدُ يُقْرَعُ بِالْعَصَا ... وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْمَلَامَهُ (٢٦)

وإلى مثل ذلك ذهب ابن دريد حيث يقول:

وَاللُّومُ لِلْحُرِّ مُقِيمٌ رَادِعٌ ... وَالْعَبْدُ لَا تَرَدُّعُهُ إِلَّا الْعَصَا

أما عبد يغوث بن وقاص فهو يرى غير ذلك فيقول:

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّوْمَ مَا بِيَا ... وَمَا لَكُمَا فِي اللَّوْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعَهَا ... قَلِيلٌ وَمَا لَوْ مِي أَخِي مِنْ شَمَالِيَا (٣٦)

(١٦) - نقولا (أو نيقولاوس) الصائغ الحلبي، (١١٠٣-١١٦٩هـ)، شاعر، كان الرئيس العام للرهبان الفاسيليين القانونيين المنتسبين إلى دير ماريوحنا الشوير.

(٢٦) - انظر ترجمة يزيد بن مفرع الحميري وشعره في باب الأدب ص ٢٩٨، وفي الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٧٦.

(٣٦) - انظر المفضليات ص ١٥٦.

٩٠٥ الحر لا يريق ماء وجهه

والحق أن إرشاد الحر أو لومه ليس فيه غضاضة عليه، وأن أحذق الناس من يلوم نفسه قبل أن يلومه الناس، وقد أقسم الله في القرآن بالنفس التي تلوم صاحبها على عصيانه وعلى تقصيره في جنب الله تعالى وتستغفره بعد ذلك وتوب إليه قال تعالى: {وَلَا تُقْسِمُ بِالنَّفْسِ

اللَّوَامَةِ} (١٦)، أما امرأة عزيز مصر فإنها حين لامتها النساء في مراودتها ليوسف عليه السلام دعت يوسف عليه السلام وقالت:

{أَخْرِجْ عَلَيْنَ} كما حكا ذلك سبحانه وتعالى في القرآن: {فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ

كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُجَنَّبَنَّ وَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ} (٢٦)

، فإذا نصح الحر وأبى فقد هلك، وقد خاطب الله جل وعلا رسوله بعد أن بلغ الرسالة وأعرض عنها من أعرض بقوله: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ

فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ * وَذَكَرْنَا لِلذِّكْرِى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} (٣٦) .

الحر لا يريق ماء وجهه

إن الحر لا يريق ماء وجهه بل يحفظه، وفي حفظ ماء الوجه صون النفس عن الابتذال والسرف، ويرحم الله علي بن الجهم حيث يقول:

أَقْلِي فَإِنَّ اللُّومَ أَشْكَلُ وَاضْهِ ... وَكَمْ مِنْ نَصِيحٍ لَا تَمَلُّ نَصَائِحَهُ

مَتَى هَانَ حَرِّ لَمْ يَرْقِ مَاءَ وَجْهِهِ ... وَلَمْ تَجْتَبِرْ يَوْمًا بِرِدِّ صَفَائِحُهُ (٤٦)

(١٦) - سورة القيامة الآية (٢) .

(٢٦) - سورة يوسف الآيتان (٣١ و٣٢) .

(٣٦) - سورة الذاريات الآيتان (٥٥٥٤) .

(٤٦) - ديوان علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن، (١٨٨-٢٤٩هـ/٨٠٣-٨٦٣م) من بني سامة، من لؤي بن غالب، شاعر، رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد كان معاصراً لأبي تمام، وخص بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان، فأقام مدة، وانتقل إلى حلب، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو، فاعترضه فرسان بني كلب، فقاتلهم وجرح ومات. انظر: ص ٨٥ من ديوانه، الناشر: دار صادر بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٦م.

٩٠٦ الحريأبي الذل والهوان

الحريأبي الذل والهوان

الحر بفطرته وسجيته يأبى الذل والهوان، قال المتلمس الضبيعي (١٦) :

إِنَّ الْهَوَانَ حِمَارُ الْقَوْمِ يَعْرِفُهُ ... وَالْحُرُّ يَنْكُرُهُ وَالرَّسَلَةُ الْأَجْدُ

وَلَا يُقِيمُ عَلَى حَسْفٍ يُرَادُ بِهِ ... إِلَّا الْأَذْلَانَ عَيْرُ الْأَهْلِ وَالْوَتْدُ

هَذَا عَلَى الْحَسْفِ مَنْقُولٌ بِرِمْتِهِ ... وَذَا يُشَجُّ فَمَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ (٢٦)

وقال الشنفرى (٣٦) :

وَفِي الْأَرْضِ مَنْأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى ... وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقَلْبِ مُتَعَزِّلٌ

لَعَمْرُكَ مَا فِي الْأَرْضِ ضَيْقٌ عَلَى إِمْرِيٍّ ... سَرَى رَاغِباً أَوْ رَاهِباً وَهُوَ يَعْقِلُ

وقال آخر:

وَإِذَا الدِّيَارُ تَنَكَّرَتْ عَنْ حَالِهَا ... فَدَعِ الدِّيَارَ وَسَارِعِ التَّحْوِيلَا

(١٦) - جرير بن عبد العزى، أو عبد المسيح، من بني ضبيعة، من ربيعة، (ت ٤٣ق. هـ ٥٨٠م) ، شاعر جاهلي، من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد، كان ينادم عمرو بن هند ملك العراق، ثم هجاه فأراد عمرو قتله ففرَّ إلى الشام ولحق بآل جفنة، ومات ببصرى، من أعمال حوران في سورية. وفي الأمثال: أشأم من صحيفة المتلمس، وهي كتاب حملة من عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين وفيه الأمر بقتله ففضه وقرأ له ما فيه فقفذه في نهر الحيرة ونجا، وقد ترجم المستشرق فولرس ديوان شعره إلى اللغة الألمانية.

(٢٦) - وردت هذه الأبيات في بلوغ الأرب شرح لامية العرب جمع وتحقيق محمد عبد الحكيم القاضي ومحمد عبد الرزاق عرفان، منسوبة إلى المتلمس، ص ٣١ ، طبعة دار الحديث ، وأوردها أيضاً البحترى في الحماسة منسوبة إلى المتلمس، وانظر: الحماسة ص ١٩ ، طبعة الرحمانية.

(٣٦) - عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان، المتوفى سنة (٧٠ ق. هـ / ٥٥٤م) ، شاعر جاهلي، يمني، من فحول الطبقة الثانية وكان من فتاك العرب وعدائهم، وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائهم، قتله بنو سلامان، وقيست قفزاته ليلة مقتله فكان الواحدة منها قريباً من عشرين خطوة، وفي الأمثال (أعدى من الشنفرى) . وهو صاحب لامية العرب، شرحها الزمخشري في أعجب العجب المطبوع مع شرح آخر منسوب إلى المبرد ويظن أنه لأحد تلاميذ ثعلب. وللمستشرق الإنكليزي ردهوس المتوفى سنة ١٨٩٢م رسالة بالانكليزية ترجم فيها قصيدة الشنفرى وعلق عليها شرحاً وجيزاً. والقتلى: البغض والعداوة.

ليس المقام عليك فرضاً واجباً... في بلدة تدعي العزيز ذليلاً

وإذا بكيت على زمان قد مضى ... حتى يعود لتبكين طويلاً

ولبعض الشعراء:

إذا لم تكن أرضي لنفسي معزة ... فلست وإن نادت إليّ أجيها

وسرت إلى أرض سواها تعزني ... وإن كان لا يعوي من الجذب ذيبها

وقال آخر:

إن الضرورة تخرج الأحرار من ... أوطانها والطيير من أوكارها
وإذا الفتى ضاقت عليه جهاته ... طلب التنقل طائعاً أو كارها

وهذا التحول عن الأرض لا يكون مرغوباً فيه إلا حينما يكون الإنسان قد سلبت حريته فهو لا يستطيع أن يقيم حقاً ولا يخذل باطلاً، ولا يستطيع أن يمارس شعائر دينه ولا يصرف أمور دنياه على مقتضى أحكام الشرع، وقد جاء في محكم التنزيل: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا* إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} (١٦) .
الحر يقاوم الطغيان

(١٦) - سورة النساء الآيات (٩٧ و٩٨) .

إن السعادة والأمان في مقاومة الطغيان، فالحرية والأمان لولاها لكان الإنسان أشبه بالحيوان المفترس، وليست الحرية في تأريخ الإنسان حادثاً جديداً، أو طارئاً غريباً وإنما هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالإنسان الذي يمد يديه لطلب الحرية ليس بمتسول ولا مستجد، وإنما هو يطلب حقاً من حقوقه التي سلبته إياها المطامع البشرية، فإن ظفر بها فلا منة لمخلوق عليه، ولا يد لأحد عنده، فلطالما تغول الإنسان القوي على الضعيف فروعه، فجعل من نفسه حارساً يتابع أعمال غيره فيراقب حركات يديه، وخطوات رجله، وحركات لسانه، وخطرات وهمه وخياله، لا لمنفعة أو مصلحة يقرها الشرع ويرضى بها الحق، ولكن ليسلب من الإنسان حريته، ويجعل من الآخرين أسرى لاستبداده، والجنائية التي تنتج عن فقدان تلك الحرية كبرى، والحر من الناس من يدافع عن حريته، ويرحم الله شوقي حيث يقول:

وَمِنَ الْعُقُولِ جَدَاوِلٌ وَجَلَامِدٌ ... وَمِنَ النُّفُوسِ حَرَائِرٌ وَإِمَاءٌ
وله أيضاً:

وَلَقَدْ صَدَقْتُمْ هَذِهِ الْأَرْضَ الْهَوَى ... وَالْحُرُّ يَصْدُقُ فِي هَوَى أَوْطَانِهِ

وفي الأمثال السائرة: "الحر عبد إذا طمع والعبد حر إذا قنع" (١٦) ، وقيل: "الحر حر وإن مسه الضر" (٢٦) ، أي لا يطأطأ رأسه فهو يأبى الضيم.

(١٦) - ورد هذا المثل في: مجمع الأمثال، والتمثيل والمحاضرة.

(٢٦) - ورد هذا المثل في: مجمع الأمثال، والعقد الفريد، وجمهرة الأمثال، والمستطرف.

وكثيراً ما انبرى علماء وسياسيون وعسكريون لمقارعة من يعتدي على حرية الشعوب، وهذا الشاعر والعالم والأديب محمد العبيدي مفتي الموصل في عصره يزار بشعره ليعث الهمم فيقول:

فتن الشرق بمن قد فتنا ... فعسى الله يقينا الفتنا

ما خلت أرض لنا من وثن ... ضل قوم يعبدون الوثنا

عبد الأتجار أباة مضوا ... وعبدنا بشراً أمثالنا

كانت العزى خلي جوفها ... من طعام وشراب يقتنا

لم تكلف عابديها مطعماً ... لم تكن تشرب حتى اللبننا

بل ولا أن تملك النفع فما ... تملك الضر ولا قول الخنا

وابتلينا بغرائق غوت ... وغوينا في هواها علنا

كلفتنا شططا من أمرها ... طاعة عميا وظلما بيننا

تأكل الدنيا وتشكو سغباً ... تشرب البحر وترجو المزنأ
تكثر المال الذي نجمه ... بشقاء ولغوب وعنا
وأذا ما فرقته سرفاً ... أحرمت حراً واعطت خائناً
وأذا الشعب شكاً من فاقة ... سرها ما في يديها من عنا
لا تبالي باليتامى إن بكوا ... تحسني من دمهم كأس الهنا
يسعد الفرد وتشقى أمة ... حسبنا هذا ضلالاً حسبنا
يا ابن عبد الله ادرك أمة ... عضها الدهر وضاعت عطنا
عبدت أشباح غي وعصت ... بعدك الله وقاست محنا
وطواغيت تولوا أمرها... لم نجد أمراً لديهم حسناً
نقضوا عهداً وخانوا أمة ... وشروا عاراً وباعوا الوطنأ
يا نبي الله يا نور الهدى ... وأمين الوحي والمؤتمناً
قم إلى قومك جدد دعوة ... أذن الله لها أن تعلنأ
هبل الأعلى الذي حطمته ... قم ترى أمثاله ما بيننا
طعنوا دينك في أحشائه ... وتراهم باسمه نالوا المنى
قم لملك قوضوا أركانه ... ولقد أسسته فوق القنا
قم لنور أطفؤه جهرة ... ولنار أوقدوها إحنا
وعقول عقلوها ظلة ... وجفون اشبعوها وسنا
ونفوس ملؤها حسرة ... وقلوب ملؤها حزناً
قم لحي ألبسوه ذلة ... ولبيت سلبوه الكفناً
وكتاب نزل الوحي به ... هجره وأضاعوا السنناً
قادة الأمة أو أوثانها ... قد أضلوها وضلوا ألسناً
ثم المجد دم جدنا به ... فانظروا كيف استغلوا الثمناً
يا شباب الضاد هل فيكم فتى ... يحقر الموت إذا ما امتحنأ
يوقض الأفكار عن غفوتها ... يكشف الأستار عما مسنا
إنما الأفكار في مرقدها ... كشرار في زناد كمنأ
يبعث الرأي دماغ واحد ... ثم يفسق فهنا ثم هنا
ويد الله مع الجمع إذا ... صدع الجمع بحق معلنا
يا شباب الضاد هل من مرشد... قد غوينا وغوى قادتنا
ما علينا وعليهم لو مشوا ... ومشينا وجمعنا شملنا
علنا نبعث مجدأ دارساً ... وعسى نخرج كنزأ دفناً
كل قوم حطموا أوثانهم ... كل شعب عاد حراً غيرنا
عللوا بالأمانى أنفساً ... ضعفة عزماً وشان قطنأ
ما ذرت إلا هواناً في هوى ... من رأت غير المنايا من منا
أيها الاخوان مهلاً حسبكم ... قد شقينا وشقيتم معنا
لا تغرنكم قصور شمخت ... إن كوخ الحر خير مسكناً

إن حر الطير في أقفاصها ... تعشق الروض وتهوى الفننا
وترى البلبل في تغريده ... ناح كالكالا إذا ما امتحنا
ويرحم الله محمد العبيدي فلعل الباعث له على نظم هذه القصيدة الغراء غيرته على دينه ووطنه وعشيرته وأهله، وما كان يشاهده في ذلك
الزمن، فكيف لو رأى ما حل بالعراق اليوم؟!، وما حل بالأمة الإسلامية من شتات وتمزق، وليس هذا النقد الذي تضمنته القصيدة
موجه لولاة الأمور آنذاك فحسب بل هو لوم لجميع الأمة حكماً ومحكومين، ومع ذلك فإنه ربما وجد بين قادة هذه الأمة وولاة أمورها
وعلمائها من يرغبى منهم نصرة هذه الأمة وكبح جماح أعدائها والذب عن بيضة المسلمين، فلا يزال الخير في هذه الأمة إلى يوم القيامة
حتى وإن أصابها الوهن في بعض الأحوال فإن الأمل في أحرارها وساستها وقادتها وعلمائها أن يكونوا أسوداً تغضب
لغضب الله، ويسعون لإزاحة الظلم عن أفراد هذه الأمة، وإلا فإن البلاء سيحيق بالجميع، وقصيدة مفتي الموصل تذكرنا بما قاله الأستاذ
العالم الأديب علي عبد العظيم عضو الجامعة الليبية ونشرته مجلة الوعي الإسلامي آنذاك وذلك في قصيدته التي يقول فيها:
سوانا بآثار الحضارة ينعم ... ونحن بأشتات الأمانى نحلم
نعيش على الماضي ونهتف باسمه ... وحاضرنا بالبؤس والذل مفعم
نزتل أمجاد الذين تقدموا ... ولم نتبع نهج الذين تقدموا
كسلنا وجد الباحثون إلى العلا ... فما نحن أيقاظ ولا نحن نوم
وكنا مع الفرقان شمالاً موحداً ... جميعاً ونحن الآن نهب مقسم
تحكم الاستعمار فينا وبعضنا ... على البعض منا صايل متقحم
يعادي أخ منا أخاه وينحني ... لمن هو فينا غاشم متحكّم
وما دولة إلا تكيد لاختها ... وتعرب في حوك الشباك وتعجم
وما أسرة إلا تبدد شملها ... سواء أب في غيه وابنم
فلا عروة الإسلام ضمت شتاتنا ... ولا أدنت الفصحى ولا قرب الدم
ولا جمعتنا للوثام حضارة ... أشع بها التأريخ والكون مظلم
بني الشرق ضيعتم على الشرق مجده ... ولم تحفظوا حق الجدود عليكم
تعود بي الذكرى إليهم فأنثني ... وإن كنت من أوضاعكم أتلم
تذكرت روحانية الشرق حينما ... أضاء به موسى وعيسى ومريم
تذكرت في البيت العتيق محمداً ... ومن حوله الشرك العتي مخيم
تذكرت لما ضاق بالشرك فأنحني ... بدار حراء باحثاً يتوسم
يقلب عينا في الوجود بصيرة ... تشق حجاب الغيب والغيب معتم
ي ناجي ويستهدي ويرجو ويتقي ... وينشد كشف السر والسر مبهم
إلى أن تجلى الله بالوحي فانجلي ... لفطنته السر العتيق المكتم
وعانقه الروح الأمين محيا ... وأهدى إليه فوق ما يتوهم
وقال: له اقرأ قال: ما انا بقارئ ... فقال: بفضل الله تلو وتفهم
ستحمل بسم الله أسمي رسالة ... وحسبك أن الله نعم المعلم

فأشرقت الدنيا بأنوار ربها ... وحفت بها من رحمة الله أنعم
تذكرت عهد المصطفى فتألفت ... أشعته وانجاب عنها التلم
ولله الأعلیٰ ابتهال مقدس ... وللدرة العظمى شأو منعم
وللحرم المكي رانة واجد ... يرددها عند الحطيم وزمزم
وكل بحمد الله داع ومؤمن ... وكل بذكر الله صب مقيم
تذكرت أصحاب الرسول وكلهم ... حفي بآيات النبوة مغرم
وكل فتي فيهم كريم مكرم ... وكل فتي منهم حكيم محكم
ففي باحة المحراب داع مسبح ... وفي ساحة الهيجاء ليث مصمم
إذا حل وقت السلم فهو حمامة ... وإن سمرت نار الوغى فهو قشعم
وما هو إلا دارس أو مجاهد ... وما هو إلا قيم أو مقوم
لقد أقسموا أن ينشروا دين أحمد ... فبروا بما آلوا عليه وأقسموا
وليس لهم إلا العزيمة مسعف ... وليس لهم إلا البصيرة ملهم
تذكرتهم أيام صالوا وجاهدوا... وسادوا وشادوا واستفادوا وعلموا
فما بطروا عند السيادة أو بغوا ... ولكنهم فيها أبر وأرحم
لهم تحت أستار الظلام تهجد ... يقربهم لله والناس نوم
إذا رتلوا القرآن سالت عيونهم ... وكادت بافلاذ الحشاشة تسجم
وإن ثارت الهيجاء هبوا إلى الوغا ... فلا خصم إلا مسلم أو مسلم
فيا قوم هذا ما رآه جدوكم ... ففيما عدلتم عن هداه وحلتم
رضيتم باحكام الطغاة وبغيهم ... وياطالما قلتم فاذا فعلتم؟
لقد فرض الله الجهاد فالكم؟ ... نكصتم على أعقابكم وارتددتم
وكم نبهتكم للإله مواعظ ... وآيات تحذير فهلا اتعظتم
عصيتم كتاب الله أما عدوكم ... فكم ذا سمعتم قوله واطعتم
تركتم ذرى العليا قسراً لرحفه ... وأتم من المجد المائل أنتم
لقد نالكم بالقهر والبغي والأذى ... فهلا ذكرتم كيف كان وكنتم
ألم تتحرك نخوة العز فيكم ... ألم ينقشع سر الغشاوة عنكم
أفيكم حماة للشريعة يقظ ... أفيكم أباة مخلصون أفيكم
فإن لم تصون دينكم حان حينكم ... وقام عليكم ماتم ثم ماتم
كأنى بصوت المصطفى في سموه ... يصيح بكم طال النكوص فاقدموا
كأنى به في ساحة الخلد عاتياً ... يسائلكم يا قوم ماذا صنعتم؟
أحقاً تركتم سنتي وهجرتم ... ككأبي وحدثم عن طريقي وملتم
أحقاً سخوتم بالألوف على الهوى ... وأعوزكم في نصره الدين درهم

أحقاً غفلتم عن تعاليم دينكم..... فلم يجد نصاح ولم يغن لوم
 حرام عليكم أن تنام عيونكم ... وللدين طرف لا يفارقه الدم
 حرام عليكم أن تقر جنوبكم ... وللدين قلب واهن متألم
 أما صان حق الله فيكم معلم ... أما جد في إدراكه متعلم
 إذا لم تحيطوا بالجهاد شريعتي ... فما أنتم مني ولا أنا منكم
 فيا شيعة المختار إن لم تحافظوا ... على دينكم ضيعتموه وضعتكم
 خصومكم في الكيد للدين يَقْطُ ... وأنتم على تلك المكاييد نوم
 لقد ظلموا الدين القويم بإفكهم ... وأنتم إذا لم تنصروا الدين أظلم
 أتلهون عنه والعداة تنوشه ... فله ما يلقاه منكم ومنهم
 وإني لأخشى أن تلم ملة ... يطالكم فيها القضاء المحتم
 فيدهمكم ليل من الرجز أليل ... ويصحبكم يوم من الشرأيوم
 وقد يأخذ الله العصاة بظلمهم ... وإن كان يغفو عن كثير ويرحم (١٦)

والحق أن شاعرنا الأستاذ العلامة الأديب الكبير علي عبد العظيم نصر عضو الجامعة الليبية صاحب عزيمة وهمة ولسان طليق فصيح،
 بهر ببلاغته البلغاء، وأمتع بفصاحته قلوب النصحاء، فياترى أين يذهب البلغاء إذ كسد سوق الأدب واعتل لسان العرب؟ وماذا يقول
 النصحاء من فصحاء العرب؟

وفي الأرض منائى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القلى متعزلاً (٢٦)

(١٦) - انظر مجلة التوعية الإسلامية العدد السادس عشر ص ١٣ ، الصادر في ربيع الثاني ١٣٨٦ هـ.

(٢٦) - هذا البيت ينسب للشنفرى.

ولعل الباحث المتتبع يجد في آباء الضيم من يرى ما ذهب إليه عروة بن الورد حيث يقول:

فلا أترك الاخوان ما عشت للردى ... كما أنه لا يترك الماء شاربه

ولا يستضام الدهر جاري ولا أرى ... لمن بات تسري للصديق عقاربه

والظاهر أن الأحرار أهل الوفاء بالعهود طالما قطعوا على أنفسهم عهداً أن لا يتركوا إخوانهم، ولا يضام جيرانهم، ولا تهتك حرمان

لإخوانهم وبنينهم ولهم عين تطرف أبداً {وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (١٦) .

وفي الأمثال السائرة: "الحزم حفظ ما وليت وترك ما كفيت"، وقيل: "عند النطاح يُغلب الكبش الأجم". (٢٦)

قال الشاعر:

رَأْيِي سَرَى وَعُيُونُ النَّاسِ هَاجِعَةٌ ... مَا أَخَّرَ الْحَزْمَ رَأْيِي قَدَّمَ الْحَدْرَا (٣٦)

أما أبو الطيب المتنبي فهو يقول:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ ... وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

ويقول:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفِ مَرُومٍ ... فَلَا تَقْنَعِ بِمَا دُونَ النُّجُومِ

فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ صَغِيرٍ ... كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ

- (١٧) - سورة الحج الآية (٤٠) .
- (٢٧) - ورد المثل في التمثيل والمحاضرة , ومعجم كنوز الامثال.
- (٣٧) - هذا البيت لأشجع السلمي.
- فلا بد للحر من أن يكون حريصاً على أهله وبلاده طامحاً في تحريرها والحفاظ عليها, ويرحم الله شوقي حيث يقول:
- شَبَابٌ قَنَعٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ ... وَبُورِكٌ فِي الشَّبَابِ الطَامِحِينَ
أما ايليا أبو ماضي فهو يقول:
- الأرض للحشرات تزحف فوقها ... والجو للباري وللشاهين
ويغفر الله لأبي قاسم الشابي حيث يقول:
- إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الْحَيَاةَ ... فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدْرُ
وَلَا بُدَّ لِلَّيْلِ أَنْ يَنْجَلِيَ ... وَلَا بُدَّ لِلْقَيْدِ أَنْ يَنْكَسِرَ
ومن لا يحبُّ صُعودَ الجبالِ ... يَعِشُ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفْرِ
أما احمد مطر في شعره الحر فإنه في لافتاته تحت عنوان: "الحرية رائعة" يقول:
- أخبرنا أستاذي يوماً ... عن شيءٍ يدعى الحرية
فسألت الأستاذ بلطف ... أن يتكلم بالعربية
ما هذا اللفظ وما تعني ... وأية شيء حرية
هل هي مصطلح يوناني ... عن بعض الحقب الزمنية
أم أشياء نستوردها ... أو مصنوعات وطنية
فأجاب معلمنا حزناً ... وانساب الدمع بعفوية
قد أنسوكم كل التاريخ ... وكل القيم العلوية
أسفي أن تخرج أجيال ... لا تفهم معنى الحرية
لا تملك سيفاً أو قلماً ... لا تحمل فكراً وهوية
وعلمت بموت مدرسنا ... في الزنانات الفردية
فندرت لئن أحياني الله ... وكانت بالعمربقية
لأجوب الأرض بأكلها ... بحثاً عن معنى الحرية
وقصدت نوادي أمتنا ... أسألهم أين الحرية
فتواروا عن بصري هلعاً ... وكأن قنابل ذرية
تتفجر فوق رؤوسهم ... وتبيد جميع البشرية
وأتى رجل يسعى وجلاً ... وحكى همساً وبسرية
لا تسأل عن هذا أبداً ... أحرف كلها تلك شوكية
هذا رجس هذا شرك ... في دين دعاة الوطنية
إرحل فتراب مدينتنا ... يحوي أذاناً مخفية
تسمع ما لا يحكى أبداً ... وترى قصصاً بوليسية
ويكون المجرم حضرتكم ... والخائن حامي الشرعية
ويلفق حولك تديير ... لإطاحة نظم ثورية
ويبيع روايي بلدتنا ... يوم الحرب التحريرية

وبأشياء لا تعرفها ... وخيانات للقومية
وتساق إلى ساحات الموت ... عميلاً للصهيونية
واختتم النصح بقولته ... وبلهجته التحذيرية
لم أسمع شيئاً لم أركم ... ما كنا نذكر حرية
هل تفهم؟ عندي أطفال ... كفراخ الطير البرية
وذهبت إلى شيخ الإفتاء ... لأسأله ما الحرية
فتنحني يصلح جيبه ... وأدار أداة مخفية
وتأمل في نظارته ... ورمي بلحاظ نارية
واعتدل الشيخ بجلسته ... وهذى باللغة العجرية
اسمع يا ولدي معناها ... وافهم أشكال الحرية
ما يمنح مولانا يوماً ... بقرارات جمهورية
أو تأتي مكرومة عليا ... في خطب العرش الملكية
والسير بضوء فتاوانا ... والأحكام القانونية
ليست حقاً ليست ملكاً ... فأصول الأمر عبودية
وكلامك فيه مغالطة ... وبه رائحة كفرية
هل تحمل فكر أزارقة؟ ... أم تتحون نحو حرورية
يبدو لي أنك موتور ... لا تفهم معنى الشرعية
واحذر من أن تعمل عقلاً ... بالأفكار الشيطانية
واسمع إذ يلقي مولانا ... خطبا كبرى تاريخية
هي نور الدرب ومنهجه ... وهي الأهداف الشعبية
ما عرف الباطل في قول ... أو في فعل أو نظرية
من خالف مولانا سفهاً ... فنهايته مأساوية
لو يأخذ مالك أجمعه ... أو يسي كل الذرية
أو يجلد ظهرك تسلية ... وهوايات ترفيية
أو يصلبنا ويقدمنا ... قربانا للماسونية
فله ما أبقى أو أعطى ... لا يسأل عن أي قضية
ذات السلطان مقدسة ... فيها نفحات علوية
قد قرر هذا يا ولدي ... في فقرات دستورية
لا تصغي يوماً يا ولدي ... لجماعات إرهابية
لا علم لديهم لا فهماً ... لقضايا العصر الفقهية
يفتون كما أفتى قوم ... من سبع قرون زمنية
تبعوا أقوال أئمتهم ... من احمد لابن الجوزية
أغرى فيهم بل ضللهم ... سيدهم وابن التيمية
ونسوا أن الدنيا تجري ... لا تبقى فيها الرجعية
والفقه يدور مع الأزمان ... كمجموعتنا الشمسية
وزمان القوم مليكهم ... فله منا ألف تحية

وكلامك معنا يا ولدي ... أسمى درجات الحرية
 نفرت وعندي غثيان ... وصداع الحمى التيفية
 وسألت النفس أشيخ هو؟ ... أم من أتباع البوذية؟
 أو سيخي أو وثني ... من بعض الملل الهندية
 أو قس يلبس صلباناً ... أم من أبناء يهودية
 ونظرت ورأيي كي أقرأ ... لافتة الدار المحمية
 كتبت بحروف بارزة... وبألوان فسفورية
 هيئات الفتوى والعلماء ... وشيوخ النظم الأرضية
 من مملكة ودويلات ... وحكومات جمهورية
 هل نحن نعيش زمان ... التيه وذل نكوص ودنية
 تهنا لما ما جاهدنا ... ونسينا طعم الحرية
 وتركنا طريق رسول الله ... لسنن الأمم السبئية
 قلنا لما أن نادونا ... لجهاد النظم الكفرية
 روحوا أتم سنظل هنا ... مع كل المتع الأرضية
 فأتانا عقاب تخلفنا ... وفقاً للسنن الكونية
 ووصلت إلى بلد السكسون ... لأسألهم عن حرية
 فأجابوني: "سوري سوري ... نو حرية نو حرية"
 من أدرهم أني سوري ... الأني أطلب حرية؟!
 وسألت المعتريين وقد ... أفرغني فقد الحرية
 هل منكم أحد يعرفها ... أو يعرف وصفاً ومزية
 فأجاب القوم بأهات ... أيقظت هموماً منسية
 لو رزقناها ما هاجرنا ... وتركنا الشمس الشرقية
 بل طالعنا معلومات ... في المخطوطات الأثرية
 إن الحرية أزهار ... ولها رائحة عطرية
 كانت تنمو بمدينتتنا ... وتفوح على الإنسانية
 ترك الحراس رعايتها... فرعتها الحمر الوحشية
 وسألت أديباً من بلدي ... هل تعرف معنى الحرية
 فأجاب بأهات حري ... لا تسألنا نحن رعية
 وذهبت إلى صناع الرأي ... وأهل الصحف الدورية
 ووكالات وإذاعات ... ومحطات تلفازية
 وظننت بأني لن أعدم ... من يفهم معنى الحرية
 فإذا بالهرج قد استعلى ... وأقيمت سوق الحرية
 وخطيب طالب في شمم ... أن تلغى القيم الدينية
 وبنع تداول أسماء ... ومفاهيم إسلامية
 وإباحة فجر وقمار ... وفعال الأمم اللوطية
 وتلاه امرأة مفزعة ... كسنام الإبل البختية

وبصوت يقصف هداراً ... بقنابلها العنقودية
 إن الحرية أن تشبع ... نار الرغبات الجنسية
 الحرية فعل سحاق ... ترعاه النظم الدولية
 هي حق الإجهاض عموماً ... وإبادة قيم خلقية
 كي لا ينمو الإسلام ولا ... تأتي قبلة بشرية
 هي نمر يجري وسفاح ... ونواد الرقص الليلية
 وأتى سيدهم محتتماً ... نادي أبطال الحرية
 وتلى ما جاء الأمر به ... من دار الحكم المحمية
 أمر السلطان ومجلسه ... بقرارات تشريعية
 تقضي أن يقتل مليون ... وإبادة مدن الرجعية
 فليحفظ ربي مولانا ... ويديم ظلال الحرية
 فبمولانا وبحكمته ... ستصان حياض الحرية
 وهناك أمر ملكي ... وبضوء الفتوى الشرعية
 يجي الحرية من قوم ... راموا قتلا للحرية
 ويوجه أن يبني سجن ... في الصحراء الإقليمية
 وبأن يستورد خبراء ... في ضبط خصوم الحرية
 يلغى في الدين سياسته ... وسياستنا لا دينية
 وليسجن من كان يعادي ... قيم الدنيا العلمانية
 أو قتلا يقطع دابرهم ... ويبيد الزمر السلفية
 حتى لا تبقى أطياف ... جماعات إسلامية
 وكلام السيد راعينا ... هو عمادتنا الدستورية
 فوق القانون وفوق الحكم ... وفوق الفتوى الشرعية
 لا حرية لا حرية ... بلجميع دعاة الرجعية
 لا حرية لا حرية ... أبداً لعدو الحرية
 ناديت: أيا أهل الإعلام ... أهدا معنى الحرية؟
 فأجابوني باستهزاء ... وبصيحات هستيرية
 الظن بأنك رجعي ... أو من أعداء الحرية
 وانشق الباب وداهمني ... رهط بثياب الجندية
 هذا لكماً هذا ركلاً ... ذياك بأخص روسية
 اخرج خبر من تعرفهم ... من أعداء للحرية
 وذهبت بحالة إسعاف ... للمستشفى التنصيرية
 وأتت نحوي تمشي دلعاً ... كطير المحجل البرية
 تسأل في صوت مغناج ... هل أنت جريح الحرية
 أن تطلبها فالبس هذا ... واسعد بنعيم الحرية
 الويل لك ما تعطيني ... أصليب يمنح حرية
 يا وكر الشرك ومصنعه ... في أمتنا الإسلامية
 فخرجت وجرحي مفتوح ... لأتابع أمر الحرية

وقصدت منظمة الأمم ... ولجان العمل الدولية
وسألت مجالس أمتهم ... والهيئات الإنسانية
ميثاقكم يعني شيئاً ... بحقوق البشر الفطرية
أو أن هناك قرارات ... عن حد وشكل الحرية
قالوا: الحرية أشكال ... ولها أسس تفصيلية
حسب البلدان وحسب الدين ... وحسب أساس الجنسية
والتعديلات بأكلها ... والمعتقدات الحالية
ديني الإسلام وذا وطني ... وولدت بأرض عربية
حريتكم حددناها ... بثلاث بنود أصلية
فوق الخازوق لكم علم ... والحفل بيوم الحرية
ونشيد يظهر أنكم ... انتهتم شكل التبعية
ووقفت بحراب التاريخ ... لأسأله ما الحرية
فأجاب بصوت مهدود ... يشكو أشكال الهمجية
إن الحرية أن تحيا ... عبداً لله بكلية
وفق القرآن وفق الشرع ... ووفق السنن النبوية
لا حسب قوانين طغاة ... أو تشريعات أرضية
وضعت كي تحمي ظلماً ... وتعيد القيم الوثنية
الحرية ليست وثناً ... يغسل في الذكرى المثوية
ليست فخساً ليست فجراً ... أو أزياء باريسية
الحرية لا تستجدي ... من سوق النقد الدولية
والحرية لا تمنحها ... هيئات البرالخرية
الحرية نبت ينمو ... بدماء حرة وزكية
تؤخذ قسراً تبني صرحاً ... يرعى بجهاد وحمية
يعلو بسهام ورماح ... ورجال عشقوا الحرية
اسمع ما أملي يا ولدي ... وارويه لكل البشرية
أن تغفل عن سيفك يوماً ... فانس موضوع الحرية
فغيابك عن يوم لقاء ... هو نصر للطاغوتية
والخوف لضية أموال ... أو أملاك أو ذرية

٩٠٧ الحر يحفظ الود

طعن يفري كبداً حرة ... ويمزق قلب الحرية
إلا إن خانوا أو لانوا ... وأحبوا المتع الأرضية
يرضون بمكس الذل ولم ... يعطوا مهراً للحرية
لن يرفع فرعون رأساً ... إن كانت بالشعب بقية
فجيوش الطاغوت الكبرى ... في وأد وقتل الحرية
من صنع شعوب غافلة ... سمحت ببروز الهمجية
حادت عن منهج خالقها ... لمنهج حكم وضعية

واتبعت شرعة إبليس ... فكساها ذلاً ودينية
فقوى الطاغوت يساويها ... وجل تحي فيه رعية
لن يجمع في قلب أبداً ... إيمان مع جن طوية
الحر يحفظ الود

من اصطنع حراً استفاد شكراً، فالحر يحفظ الود والعهد، فهو لا يترك عهده لفقد النصر، وعدم القدرة، أو الشعور بقوة الخصم، ولهذا
قيل: "خير الأموال ما استرق حراً، وخير الأعمال ما استحق شكراً"، فالإحسان إلى الأحرار يحفظ في قلوبهم، ويظهر في سلوكهم، وما
أحسن ما قاله العلامة علي بن احمد خريصة اليماني:

ليس بحر ولا كريم ... من غيرت وده الدهور
الحر حر وإن جفاه ... دهر وحالت به الأمور
ليس الفتى من إذا ألت ... أزمة دهر به يخور
ولا الذي إن به تراخت ... حال رأى أنه الخطير

٩٠٨ فقد الحر رزية

وإنما الحر عند هذا ... مصطبراً أو فتى شكور
أما أبو الطيب المتنبى فهو يقول:
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ... ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
فقد الحر رزية

رأس الفضائل اصطناع الأفاضل، ورأس الرذائل اصطناع الأراذل، ومن أعظم الفجائع أضاعت الصنائع، وهي لا تضيع إلا بإضاعتهم
أو فقدهم، ويرحم الله الإمام الشافعي حيث يقول:
لعمرك ما الرزية فقد دار ... ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر ... يموت بموته خلق كثير (١٧)

(١٧) - ديوان الإمام الشافعي ص ٩٤.

١٠ الفصل التاسع الوطن

الفصل التاسع
الوطن

١٠٠١ الوطن

الوطن

إن محبة الأوطان، ومؤانسة الإخوان، والتمتع بنعم الله الوهاب المنان، من أمور الفطرة التي جُبل عليها الإنسان، ونتوق إليها أفئدة الشيوخ
والكهول والشباب والولدان، فالحنين إلى الأوطان والشوق إليها في سائر الأزمان ومختلف البلدان، أمر طالما تحدث عنه الفصحاء، ونطق
به البلغاء، ونظمه الشعراء، ويرحم الله يحيى بن إبراهيم محاف حيث يقول:

إنما المقصد الحسن ... أبدا رؤية الوطن
واجتماعي بمن به ... وبقلي الشجي سكن
وطني حيث لم يكن ... لي في غيره شجن

إنه برؤ ساعة ... من أذى البث والحزن
وهو قوت القلوب إن ... عافت الزبد واللبن
كلها عن ذكره ... سنح الشوق لي وعن
وإذا حن طائر ... حن قلبي هوى وأن
يا نزول بسفحه ... أنتم من ذوي الفطن
ه
إلى أن قال:

أصبح الروح في حبور ... وفي ريمة البدن
كم وكم فيه من رشا ... يشبه الشادي الأغن
قلت والروح في يديه ... مني الروح مرتين
أبرزوا وجهه المليد ... حح ولاموا من افتتن
لو أرادوا صلاحنا... ستروا وجهه الحسن

والوطن: هو الأقليم من الأرض الذي اتخذته مجموعة من الناس موضع للإقامة والسكن والعيش المشترك فهو موضع الإقامة، ومنه كلمة مواطن الذي جاء بها القرآن الكريم قال تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ} التوبة ٢٥ وفي المنار المواطن جمع موطن والأصل فيه مقر الإنسان ومحل أقامته كالوطن، وهذه المواطن كانت محل للنصرة والعلو وتجد مصطلح الإرض بمعنى الوطن قد جاء في قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} النور ٥٥، وفي الأمثال السائرة يحن اللبيب الى وطنه كما يحن النجيب إلى عطنه (١٦) وقال الشاعر:

أحن حنين النيب للهوطن الذي ... مغاني غوانيه إليه جواذبي
ومن سار عن أرض ثواى قلبه بها ... تمنا له بالجسم أوبت آيب (٢٦)

(١٦) - التمثيل والمحاضرة ص ٢٩٨.

(٢٦) - وردا هذان البيتان في معجم كنوز الأمثال منسوبه لابن حميدس، وفي المفردات النيب جمع الناب وهي الناقة المسنة

١٠٠٢ حب الوطن ووصفه

وقيل الغنى في الغربية وطن، والفقر في الوطن غربة (١٦) ، وفي محضرات الأدبا: عسرك في وطنك أطيّب من يسرك في غربتك، وإذا أخلقك الوطن جددك الظعن (٢٦) ، قال الشاعر:
إذا نبا بكريم موطن فله ... ورأه في بسيط الأرض أوطان (٣٦)
حب الوطن ووصفه

لقد أكثر الأدباء والشعراء وصف رياض الأوطان النضرة، وأجواءها العطرة، وأشجارها المثمرة، وأنهاها العذبة المتكاثرة، ووصف ديارها العامرة، وبحارها المتوهجة الهادرة، ووصف جمال أهلها، وتحسين أخبارها، وتزيين آثارها، بما يشف الأسماع، ويهيج النفس ويبعثها على السماع، ولعل في ذلك من العظة والاعتبار ما يرشد إلى الإدكار، ويساعد على الخروج بالنفس من همومها، أو يرشد إلى النجاح والفلاح، وقد كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يحن إلى الوطن ولا ينكره، وهذا بلال بن أبي رباح رضي الله عنه يسمع عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَ لَيْلَةً ... بَوَادٍ وَحَوَالِي إِذْ خَرَّ وَجَلِيلُ
وَهَلْ أَرَدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُونَ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ

قَالَتْ عَائِشَةُ: حُجِّتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ لَنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمَدِينِهَا وَانْقُلْ حَمَاهَا فَاجْعَلْهَا بِأَجْحَفَةٍ (٤٦) .

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه كانوا يحبون وطنهم الأصلي مكة حباً جماً، فدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لربه بأن يحب المدينة إليهم كما يحب إليهم مكة نص صريح، وقد روى النسائي وابن حبان والترمذي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: (والله أنك لخير أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت) ، وفي الفتح الكبير (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي ولولا أني أخرجت منك ما خرجت) .

وقد أثار عنه عليه الصلاة والسلام بعد أن استوطن المدينة أنه كان يقول في أحد: (هذا جبل يحبنا ونحبه) (٥٦) ، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب وطنه، وهو ما جزم به الإمام الذهبي رحمه الله حين عدّ بعض محاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر منها الوطن فقال: "ويحب وطنه" (٦٦) ، فالإسلام يحتاج إلى ملاذ آمن ينمو في كنفه، ويربو في أحشائه، وينطلق منه، ويأوي إليه، وهذا الملاذ هو ما يمكن الاصطلاح على تسميته بالوطن، ألا ترى

(١٦) - نهج البلاغة ج ٢ ص ١١٣ .

(٢٦) - محضرات الأدبا ص ٦١٢ - ٦١٤، وفي المفردات أخلقه: صيره باليا، والظعن: السفر.

(٣٦) - هذا البيت لابي الفتح البستي، وفي المفردات نبأ به المكان: لم يوافقه بسيط الارض المنبسطة الوسيه.

(٤٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه المدينة حديث (٣٧١١) .

(٥٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب أحد يحبنا ونحبه حديث (٣٨٥٥) .

(٦٦) - سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٣٩٤، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

أنه ورد في الحديث النبوي الشريف: (إِنَّ الْإِسْلَامَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا) (١٦) ، فالانتماء إلى الوطن في الإسلام يمثل شكلاً من أشكال الجماعة التي جاءت تعاليمه تشد من أزرها وتؤكد عليها وفق ضوابط شرعية وحدود مرعية، وقد استثمر المسلمون الأوائل ذلك في تحقيق مصالح الجماعة في عدد من المناسبات والظروف المختلفة في إعداد الجيوش وترتيبها في المعارك، وفي تنظيم الناس في العطاء، وفي تخطيط المدن، وفي حفظ الأمن، وفي تنظيم علاقة الراعي بالرعية، إلى غير ذلك من الأمور الهامة.

والمواطنة في الإسلام حق مكتسب لسائر الناس بما يرتب عليها من حقوق وواجبات إلا في جزيرة العرب فلا يسكنها على سبيل الإقامة الدائمة إلا المسلمون دون غيرهم، ومن نعم الله أن القرآن لم يكبح غريزة حب الأوطان، ولكنه يمنع أن تكون تلك المحبة مساوية لحب الله ورسوله أو مؤثرة عليهما {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} (٢٦) . ومن رحمة الله تعالى أنه لم يدم حب الأهل والأقارب والأزواج ولا حب المال والمكاسب والاتجار ولا حب الأوطان، ولم يمه عنه، وإنما جعل من

(١٦) - أخرجه أحمد في المسند عن أبي هريرة حديث (٩٤٥٢) .

(٢٦) - سورة التوبة الآية (٢٤) .

مقتضى الإيمان إيثار حب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم على حب ما ذكر وكذلك الجهاد في سبيله، وفي الحديث الذي رواه الشيخان في صحيحهما والترمذي والنسائي من حديث أنس مرفوعاً: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) (١٦)، وروى البخاري ومسلم من حديث أنس أيضاً: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) (٢٦) .

فحبة الأوطان من أمور الفطرة التي تنوق إليها نفوس الكرام، فكم شهدنا من صغار الناس وكبارهم شريفهم ووضيعهم يعتنون أوطانهم، ويحنون إليها، ويبكون على أطلالها، ويرحم الله شوقي حيث يقول:

وَطَنِي لَوْ شِغِلْتُ بِالْخُلْدِ عَنْهُ ... نَاذَعْتَنِي إِلَيْهِ فِي الْخُلْدِ نَفْسِي

وَهَفَا بِالْفُؤَادِ فِي سَلْسِيلٍ ... ظَمًا لِلسَّوَادِ مِنْ عَيْنِ شَمْسٍ

شَهَدَ اللَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ جُفُونِي ... شَخْصَهُ سَاعَةً وَلَمْ يَخْلُ حَسْبِي

ولشدة حب الأوطان التي جبل عليها بنو الإنسان حكى الله عن قوم لم يدعوا لله ويمتثلوا أمره {وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا} (٣٦)، عبر عن الوطن بالديار كما هو الاستخدام الشائع في القرآن ومن ذلك قوله تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (٤٦)، وقوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (٥٦) وقد يعبر عن الوطن بالدار وإلى ذلك يشير قول الحق تبارك وتعالى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٦٦)، فكل أرض يلقا الأُنسان فيها رغائبه فهي محببة إليه قال الشاعر:

خير المواطن ما للنفس فيه هوى ... سم الخياط مع الاحباب ميدان

كل الديار إذا فكرت واحدة ... مع الحبيب وكل الناس أخوان (٧٦)

دعائم المواطنة

المواطنة مستمدة من الوطن وهو الأقليم من الأرض الذي أتخذته مجموعة من الناس موضع للإقامة والسكن والعيش المشترك في ظل الإنتماء والولاء لهذا الإقليم، وأحققت كل فرد في التمتع بالحقوق والحريات الإنسانية في

(١٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب حلاوة الإيمان حديث (١٦)، ومسلم في صحيحه باب بيان خصال من اتصف بهن وجد

حلاوة الإيمان حديث (٤٣)، والترمذي في سننه حديث (٢٦٢٤)، والنسائي في سننه باب طعم الإيمان حديث (٤٩٨٧) .

(٢٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الإيمان حديث (١٥)، ومسلم في صحيحه باب

وجوب محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث (٤٤) .

(٣٦) - سورة النساء الآية (٦٦) .

(٤٦) - سورة الحشر الآية (٨) .

(٥٦) - سورة الممتحنة الآية (٨) .

(٦٦) - سورة الحشر الآية (٩) .

(٧٦) - ورد هذان البيتان في معجم كنوز الأمثال منسوبة إلى إبراهيم الغزي .

مقابل القيام بالواجبات المستحقة عليه للعيش في هذا الوطن ويمكن أن يأخذ المرء من الصحيفة المدنية التي تعد وثيقة دستورية أهم الدعائم التي تقوم عليها المواطنة في ظل نظام إسلامي إنساني فقد جاء في هذه الوثيقة ما يفيد أن الدعائم الأساسية للمواطنة حق التمتع بالجنسية والمساواة وحصول التكافل والتضامن بين أبناء الوطن الواحد والحماية والنصرة والتناصح في الشؤون المدنية والدفاعية والإلتزام على الوطن ورعايته وتحريم موالاة الأعداء وتقرير الكرامة الإنسانية والاعتراف بحق الخصوصية ٠٠٠ الخ، وتضمنت صحيفة المدينة:

١. هذا كتاب محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم أنهم أمه واحدة من دون الناس (١٦-)، وفي هذا بيان لبيان الدولة الناشئة على وطن واحد تم دمج أفرادها ومجتمعة في كيان واحد يتمتعون بجنسية الدولة الناشئة فهم أمة واحدة وفي الأمثال السائرة لولا الوثام لهلك الأنام أي لولا موافقة الناس بعضهم لبعض لهلكوا قال الميداني: ويروى لولا اللثام لهلك الأنام من قولهم لا تمت بينهما أي اصلحت من اللثام وهو الإصلاح ويروى اللوام بمعنى الملاومة (٢٦) قال الشاعر:

(١٦) - السير النبوية لأبي الحسن الندوي ص ٤٨٨.

(٢٦) - مجمع الأمثال للميداني ص ٣٣٠، معجم كنوز الأمثال ص ٣١٢.

لولا التعاون بين الناس ما شرفت ... نفس ولا أزدهرة أرض بعمران (١٦)
وقال حافظ إبراهيم:

لَا تَعَجِبَنَّ الْمَلِكُ عَرَّ جَانِبَهُ ... لَوْلَا التَّعَاوُنُ لَمْ تَنْظُرْ لَهُ أَثْرًا

٢. التكافل والتضامن بين أفراد وجماعات الوطن تمثل دعامة هامة ولهذا فقد جاء في صحيفة المدينة أن المؤمنين لا يتركون مفرحا أن يعطوه في فداء أو عقل (٢٦) (الدية)، ومفرحا بضم الميم وفتح الراء هو المثقل بالدين، ومما لا ريب فيه أن المجتمع الذي يشيد بنيانه على التكافل والتضامن بين أفرادها يكون مترابطا قويا ويرحم الله شوقي حيث يقول:

إِنَّ التَّعَاوُنَ قُوَّةٌ عُلُوبِيَّةٌ ... تَبْنِي الرِّجَالَ وَتَبْدَعُ الْأَشْيَاءَ

وقال آخر:

إِذَا الْعِبَاءُ الثَّقِيلُ تَوَزَعَتْهُ ... رِقَابُ الْقَوْمِ خَفَّ عَلَى الرِّقَابِ

٣. الحماية والنصرة بين أفراد المجتمع أساس للحفاظ على الإنسان والوطن وقد أرسيت الوثيقة الولاء بين أفراد المجتمع في الوطن الواحد في ظل الهوية الإسلامية ونصرة بعضهم البعض فنص فيها (لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثما أو عدوانا أو

٤.

(١٦) - نسب هذا البيت في معجم كنوز المعرفة المعروف الرصافي ولم نجده في نسخة الديوان التي لدينا.

(٢٦) - السير لندوي ص ٤٨٩.

٥. فسادا بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ولا ينصر كافر على مؤمن وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أديانهم وان المؤمنين موالى بعضهم دون الناس)، فإين المسلمون من هذه المبادئ التي جاء بها الإسلام حتى يكونوا كالجسد الواحد

كُلَّمَا أَنَّ بِالْعِرَاقِ جَرِيحٌ ... لَمَسَّ الشَّرْقُ جَنِبَهُ فِي عُمَانِهِ (١٦)

أما المساواة القائمة على العدل فإن صحيفة المدينة كفلت ذلك لنظام مجتمع الدولة الناشئة فهو آية العدل والإنصاف وقد تضمنت صحيفة المدينة (فأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، وأن سلم المؤمنين واحده لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم، وأن المؤمنين يبيئ بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله، وأنه من أعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به الا أن يرضى ولي المؤمنين {بالعقل} ولا يحل لهم الا قيام عليه)، وهذه المبادئ تترجم تكافل الكل وتساويهم في الحقوق والواجبات وما اختلفوا فيه من شيء فرده الله ورسوله وقد ذهبت الصحيفة المدنية لتعدد القبائل واليهود الذين

تحالفوا مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وانضوا الكل في وطن واحد تحت لواء واحد فلا تحول الأختلافات الطبيعية أو المكتسبة أو الفروق البشرية دون تماسك هذا المجتمع واتحاده، ويرحم الله ابا فراس

(١٦) - هذا البيت لأمير الشعراء أحمد شوقي.

وَإِنِّي وَإِيَّاهُ لَعَيْنٌ وَأَخْتَاهُ ... وَإِنِّي وَإِيَّاهُ لَكَفٌّ وَمِعْصَمٌ
الحمداني حيث يقول:

وقال آخر:

تَدَاعَوْا لِلسَّلَامِ وَأَمْرٌ يُبْجِحُ وَمَدَّوْا بَيْنَهُمْ بِجِبَالٍ مَجْدٍ ... أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمَعَ الْقَوْمِ يُخْشَى وَأَنَّ الْقِدْحَ حِينَ يَكُونُ فَرْدًا وَأَنَّكَ إِنْ قَبِضْتَ بِهَا
جَمِيعًا ... وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا فِيهِ النِّجَاحُ ... وَتُدِّي لَا أَجْدٌ وَلَا ضِيَا حُ ... وَأَنَّ حَرِيمَ وَاحِدِهِمْ مُبَاحٌ فِيهِصْرًا لَيْكُونَ لَهُ إِقْتِدَاحٌ ... أَبَتْ مَا
سُمِتَ وَاحِدَهَا الْقِدَاحُ (١٦)

٦. احترام حق الخصوصية الدينية أساس ذلك أنه لا اكراه في الدين ووجوب احترام مشاعر المؤمنين فوثيقة المدينة تعتبر الوطن معلما للعلاقة القائمة على العدالة والاعتراف بحق الأمن والامان على نفس المواطن وعرضه وارضة ودينه يظهر ذلك ما جاء في الصحيفة (أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، ومواليهم وانفسهم الا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ (يهلك) الا نفسه وأهل بيته.

(١٦) - هذه الآيات لناهض بن ثومة الكلابي.

١٠٠٤ وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم.

وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذا الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم.

وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين (١٦) ،

وهذه النصوص واضحة الدلالة في احترام حق الخصوصية باستثناء ما ورد فيما يخص جزيرة العرب التي لم يبق فيها الا ديانة واحدة وهو الدين الإسلامي ويعتبر ما ورد في الصحيفة أساس لأحترام حق الخصوصية طالما أعترف غير المسلم بحق المسلم في الامن والامان على النفس والمال والدين وممارسة شعائر الاسلام ولم يحدث ايذاء للمسلمين في أعمالهم وحررياتهم أو محاولة فتنهم في دينهم أو طردهم من أوطانهم أو الأفتئات على حقوقهم فقد جاء في محكم الذكر: { لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (٢٦) ، وفي ذلك بيان أن الاسلام دين سلام للفرد والجماعة والامم والشعوب وانه يقر الألفة بين المختلفين في الاديان والاطوان والاجناس والالوان واللغات، ومما يؤيد ذلك ماورد في الصحيفة ... (واذا دعوا الى صلح يصلحونه ويلبسونه فأنهم يصلحونه ويلبسونه، وانهم اذا دعوا

(١٦) - السيرة النبوية للندوي ص ٤٩١ .

(٢٦) - سورة الممتحنة الآية (٨) .

١٠٠٥ خيانة الأوطان جناية

الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين الا من حارب في الدين) (١٦) وقد جاء في الذكر الحكيم: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (٢٦)
قال قيس ابن زهير:

فيا ابني بغيض راجعا السلم تسلما وان سبيل الحرب وعمرٌ مضلة ... ولا تشمتا الاعداء يفترق الشمل وان سبيل السلم آمنة سهل
وأما أحمد شوقي فهو يقول:

ما زلت تطرق باب الصلح بينهما ... حتى تفتحت الأبواب والسدد
ويغفر الله للقائل:

ولو تابعوا قول الإله وأمره ... لقالوا بأن الصلح للخلق أصلح
خيانة الأوطان جناية

إن مما ينبغي أن يتحلى به المرء الوفاء للأوطان، والحفاظ فيها على الأهل والإخوان، وعدم التفريط بها والتخلي عنها، والمحافظة على دين الله الحق سبحانه وتعالى فيها، وإماطة الأذى عن سكانها في طرقهم وأسواقهم وحدائقهم ومتنزهاتهم، والحرص على ديمومة أمنهم واستقرارهم، وعمارة مساجدهم، ونظافة أسواقهم، وإقامة شعائر دينهم، واستقامة أخلاقهم، وقال بعض الأدباء: أن "من لا خير فيه لدينه لا خير فيه لوطنه" لأنه إن كان بنقضه عهد الوطنية غادراً فاجراً، فهو بنقض عهد الله أغدر وأجفر،

(١٦) - السيرة النبوية للندوي ص ٤٩١.

(٢٦) - سورة الانفال الآية (٦١) .

وإن الفضيلة للإنسان أفضل الأوطان، فمن لم يحرص عليها فأحرى به أن لا يحرص على وطن السقوف والجدران. (١٦)
وظالما تغنى الشعراء بحب الأوطان وحذروا من بيع الأهل والايخوان، وقد جاء في زهر الأدب لأبي إسحاق القيرواني من شعر ابن الرومي قوله:

ولي وطن آلت ألا أبيعهُ ... وألا أرى غيري له الدهر مالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضّاهم الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم ... عهد الصبا فيها فحنوا لذلك (٢٦)

قلت: الظاهر أن من طبيعة الإنسان حب الوطن والحنين إليه وإن لم يكن تضاريسه ومناخه حسن، قال الشاعر:
بلاد ألفناها على كل حالة وقد ... يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
وتستعذب الأرض التي لا هوا بها ... ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

وكلما فارق الإنسان وطنه ازداد شوقه إليه، وحنينه عليه، ويرحم الله شوقي حيث يقول:

ويا وطني لقيتكَ بعدَ يأسٍ ... كَأَنِّي قَد لَقَيْتُ بِكَ الشَّبَابَا
وَكُلُّ مُسَافِرٍ سَيُثَوِّبُ يَوْمًا ... إِذَا رُزِقَ السَّلَامَةَ وَالْإِيَابَا
وَلَوْ أَنِّي دَعَيْتُ لَكُنْتُ دِينِي ... عَلَيْهِ أَقْبَلُ الْحَمَّ الْمَجَابَا
أُدِيرُ إِلَيْكَ قَبْلَ الْبَيْتِ وَجْهِي ... إِذَا فَهَتْ الشَّهَادَةَ وَالْمَتَابَا
وَقَد سَبَقَتْ رِكَائِي الْقَوَانِي ... مُقَلِّدَةً أَرْمَتْهَا طِرَابَا

(١٦) - النظرات ج ٣ ص ١٦١.

(٢٦) - زهر الأدب ج ٢ ص ٦٨٢، الطبعة الأولى، وهذه الأبيات مختارة من قصيدة تبلغ (٢٤) بيتاً وانظر ديوان ابن الرومي.

١٠٠٦ مرارة الغربة عن الأوطان

تَجُوبُ الدَّهْرَ نَحْوَكَ وَالْفَيَافِي... وَتَقْتَحِمُ اللَّيَالِي لَا الْعُبَابَا
وَتُهْدِيكَ الشَّنَاءَ الْحَرَّ تَاجاً... عَلَى تَاجِيكَ مُؤْتَلِقاً عَجَابَا

مرارة الغربة عن الأوطان

إن الأنكى للقلب أن تتحکم يد النوى في المطرود عن بلاده فيبارحها بجسده ويبقى فؤاده مقيماً فيها، في ظل موت الأماني والآمال بالعودة إلى بلاده، وذلك كاعتراب شعراء فلسطين الذين طردتهم وشردتهم إسرائيل عن بلادهم وديارهم وأهلهم، وأغلقت دونهم كل أبواب الأمل في العود إلى مساكنهم ومراتع الصبا في بلدانهم، قترن في الأذان أصوات حنينهم، ونشيج ضلوعهم، بما يمزق النفس، ويقضي على صفو الحياة:

ما يهب النسيم إلا وجدنا ... طيه زفرة من الأوطانِ

تجمل الطلّ للرياض وتذكي ... في الحشا لفحة من النيرانِ

أه ويح الغريب ماذا يقاسي ... من عذاب النوى وماذا يعاني (١٦)

أما الشاعر والأديب مطهر بن علي الإرياني في قصيدة المجد والألم فإنه يرى حب الوطن الذي عبّر عنه بالهوى ديناً فيقول:

أيا وطني جعلت هواك دينا ... وعشت على شعائره أمينا

إليك أزف من شعري صلاة ... ترتل في خشوع القانتينا

وفي الإيمان بالأوطان بر ... وتقديس لرب العالمينا

ومن يفخر بمثلك يا بلادي ... لا يعنيه لوم اللأمينا

(١٦) - انظر: حنين من الشعر العربي تأليف الدكتور العلامة أديب اليمن الكبير عبد الولي الشميري ص ٢، الناشر: مؤسسة الإبداع صنعاء الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

١٠٠٧ وطن العرب والمسلمين واحد

أما الشاعر والأديب الكبير الأستاذ عبد الولي الشميري فإنه يرى أن الوطن موطن للحب وذلك حيث يقول:

نور عيني وترانيم في ... نبض قلبي وبلازيمادمي

تاج مجد في أعالي جبتي ... وسوار خالد في معصمي

وطني للحب دار ووطن ... شاخ الهام على مر الزمن

أنجب السمح وسيف بن يزن ... زرع اليمن فسموه اليمن

يا ربي مسقط رأس الأدب ... ومناراً لأصول العرب

موطن المستبسل الحر الأبي ... دم حصيناً في بروج الشهب

وله أيضاً:

يا موطن الحب يا نبعاً تدفقه ... يمني الإله على جرحي فتشفيني

ويا أريج نسيمات يمانية ... شذاك ينشرني طوراً ويرويني (١٦)

وطن العرب والمسلمين واحد

إن الكثير من عقلاء العرب والمسلمين، من الفصحاء المتقين الموحدين يرون في وحدة العقيدة ووحدة الأرض وطناً لهم لا يفرقون بين البلدان وإن تباينت، وفي ذلك يقول شاعرهم:

ولست أعرف سوى الإسلام لي بلداً ... أرض الحجاز وأرض الشام سيات

أما الدكتور عايض بن عبد الله القرني فهو يقول:

فإنما ذكر اسم الله في بلد ... عدت ذلك الحمى من صلب اوطاني (٢٦)

(١٦) - حنين من الشعر العربي ص ١٩٥ و١٩٦.

(٢٦) - أورد هذا البيت في مقطوعة شعرية افتتح بها مقاماته وسمى هذه المقطوعة عنوان المؤلف، انظر مقامات القرني ص (٨) .

والأرض قد وضعها الله للأنام وجعلها موطناً لبني الإنسان وقد جاء في سورة الرحمن: {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} (١٦) ، وفي سورة

الملك يقول الكريم المنان: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (٢٦) .

فالوطن في الإسلام ليس معتقلاً لا يجوز الخروج عنه بل أنه أجاز الخروج لتبليغ الدعوة وتعليم الناس والجهاد وكسب الرزق وطلب

العلم وقضاء الحوائج والسعي إلى تحقيق المصالح المختلفة بحرية كاملة، وإن كانت نظرة الناس ثنابن في الحنين إلى أوطانهم.

وفي حنين بعض الشعراء إلى أوطانهم نجد من بين هؤلاء الشعراء من يرى في وحدة الدين ووحدة الأوطان ومن ذلك ما قاله الشاعر

والأديب الكبير أحمد الشامي:

عجبي كيف لم يصخ لنداء الـ ... عقل حريدهوه من "بغدان"

كيف لم ينس عرقه ويرى في ... وحدة الدين ووحدة الأوطان

وطن المسلمين ليس بحاراً ... وجبالاً بل ملة ومعاني

وطن المسلمين ليس تراباً ... يقتنى عن قحطان أو عدنان

وطن لا يقال: هذا عراقي ... وهذا كردي وهذا يماني

وطن فيه الحب والخير للناس ... وصدق الخضوع للديان

والمساواة في الحقوق وألا ... يعتدي إنسان على إنسان (٣٦)

(١٦) - سورة الرحمن الآية (١٠) .

(٢٦) - سورة الملك الآية (١٥) .

(٣٦) - ديوان احمد الشامي مع العصافير في بروملي، الناشر: دار النفائس بيروت.

وقال آخر:

وأبي بلاد الله حلت بها فما ... أراها وفي عيني حلت غير مكة

وأبي مكان ضمها حرم كذا ... أرى كل دار أوطنت دار هجرة (١٦)

وجاء في شعر محمد المجذوب الوطن بمفهومه الواسع وذلك حيث يقول:

في الشام أهلي وبغداد الهوى وأنا ... بالرقمتين وفي الفسطاط إخواني

ولي بطيبة أوطار مجنحة ... تسمو بروحي فوق العالم الفاني

وفي كراتشي وجاكرتا وأنقرة ... هوى عليه فؤادي خافق حاني

وليس طرطوس مهما لج بي دما ... أدنى إلى القلب من فاس وتطوان

في كل قطر من الإسلام لي وطن ... هامت به النفس من قاص ومن دان

توزع القلب حب بين أربعة ... فكل دار بها قومي وخلاني

دنيا بناها لنا الهادي فأحكمها ... أعظم باحمد من هاد ومن بان

وقال أبو إسحاق الألبيري (٢٦) :

لله أكياس جفوا أوطانهم ... فالأرض أجمعها لهم أوطان
جالت عقولهم مجال تفكر ... وجلالة فبدا لها الكتمان
ركبت بحار الفهم في فلك النهى ... وجرى بها الإخلاص والإيمان
فرست بهم لما انتهوا بجفونهم ... مرسى لهم فيه غنى وأمان (٣٦)

(١٦) - هذين البيتين وردت في تائية ابن الفارض الشاعر الصوفي المعروف انظر ديوانه.

(٢٦) - إبراهيم بن مسعود بن سعد التُّجيبِي الألبيري أبو إسحاق، شاعر أندلسي، أصله من أهل حصن العقاب، اشتهر بغرناطة وأنكر على ملكها استوزاره ابن نَغْزَلَةَ اليهودي فنفي إلى إلبيرة وقال في ذلك شعراً فثارت صنهاجة على اليهودي وقتلوه، شعره كله في الحكم والمواعظ، أشهر شعره قصيدته في تحريض صنهاجة على ابن نغزلة اليهودي ومطلعها (ألا قل لصنهاجة أجمعين) .
(٣٦) - نفع الطيب للترمساني ج ٤ ص ٣٤٥، تحقيق حسين عباس، الناشر: دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

١٠٠٨ خصوصية الوطن الأول

١٠٠٩ في الانتقال عن الأوطان

خصوصية الوطن الأول

طالما حن الإنسان إلى منزله الأول ومسقط رأسه حيث ما حل وارتحل، وفي الأمثال الشعبية: "مسقط الرأس غالي". قال الشاعر:
كَمْ مَنْزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى ... وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلِ
نَقَلَ فَوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى ... مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
ولوطن على أهله حقوق يجب أن تراعى قال الشاعر:
وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمِ كُلِّ حَرٍّ ... يَدٌ سَلَفَتْ وَدَيْنٌ مُسْتَحِقُّ (١٦)

في الانتقال عن الأوطان

إن الانتقال عن الوطن لطلب العلم والمعرفة والتجارة وصلة الرحم للقيام بواجب أو أداء فريضة أو زيارة أخ أو بحث عن عمل مشروع أو غير ذلك من الأمور المشروعة التي تتوق إليها النفس ويسمو بها الإنسان ويرضى بها الرحمن محبوب غير مذموم، بل أن بعض الشعراء قد رأى أن في التنقل عن الأوطان عز وذخر، فهذا الطغرائي يقول:

(١٦) - ديوان شوقي.

إِنَّ الْعُلَى حَدَّثَنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ ... فِي مَا تُحَدِّثُ أَنَّ الْعَزَّ فِي النُّقْلِ
لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى بُلُوغٌ مَنَى ... لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمَلِ (١٦)

أما الإمام الشافعي رضي الله عنه فإنه يحث على التغرب عن الأوطان في طلب العلا ويبين مناقب السفر وفوائده حيث يقول:
تَغَرَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَا ... وَسَافِرٌ فَفِي الْأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفْرَجُ هَمًّا وَكَتْسَابُ مَعِيشَةٍ ... وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصُحْبَةٌ مَا جِدِ (٢٦)
وله أيضاً:

مَا فِي الْمَقَامِ لِذِي عَقْلٍ وَذِي أَدَبٍ ... مِنْ رَاحَةٍ فَدَعِ الْأَوْطَانَ وَاعْتَرِبِ
سَافِرٌ تَجِدُ عِوَضًا عَمَّنْ تَفَارِقُهُ ... وَإِنْ نَصَبَ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ

إِنِّي رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ ... إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطْبِ
وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفَلَكَ دَائِمَةً ... لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عَجْمٍ وَمِنْ عَرَبٍ (٣٦)

غير أن بعض الشعراء يرى أن هناك أموراً لم يرها الإمام الشافعي فيقول:
إذا قيل: في الأسفار خمس فوائد ... أقول: وخمس لا تقاس بها البلوى
فتضييع أموال وحمل مشقة ... وهم وأنكال وفرقة من أهوى (٤٦)

والظاهر أن مخاطر الأسفار في هذه الأزمنة قد تلاشت وتبددت وأصبح الإنسان يذهب ويجيء براحة ويسر وأمان، وفي ذلك عظة
واعتبار، وتفضل

(١٦) - انظر ديوان الطغرائي بشرح التبريزي ج ١ ص ٢١٦، الطبعة الأولى.

(٢٦) - انظر: ديوان الإمام الشافعي، ووردت أيضاً منسوبة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣٦) - ديوان الإمام الشافعي ص ٢٤.

(٤٦) - انظر: ديوان زهير ص ٨٨، وشرح المعلقات السبع للزوزني ص ٧٦، والموسوعة الشعرية ص ٣٠٣.

ونعمة من الرحيم الرحمن، وفي الذكر الحكيم: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى
الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} (١٦) .

(١٦) - سورة الحج الآية (٤٦) .

١١ الفصل العاشر المال

الفصل العاشر
المال

١١٠١ المال

المال نعمته عظيمة، وزينته كبيرة، وخيراته واسعة كثيرة، وحليته جذابة جميلة، ومنافعه عذبة وفيرة، وقد جعله الحق سبحانه وتعالى
وسيطاً لنيل المآرب والجاه في هذه الحياة، فبالمال تشتري المآكل اللذيذة، والمشارب العذبة، والقصور الفخمة، والملابس الثمينة، وتنكح
الغانيات من النساء، وتشتري الأنعام، وتصنع السيارات والطائرات الفائقة، وبالمال تستخدم الرجال، وتبنى المدارس، وتشق الطرقات،
ويدنو البعيد من المقاصد، ويسهل الصعب من الأعمال، ويرتفع الوضع، ويعزّز الدليل، ويقوى الضعيف، وبه تشيد الممالك، قال الشاعر:

قَفَّ بِالمَمَالِكِ وَانظُرْ دَوْلَةَ المَالِ ... وَادْكُرْ رِجَالاً أَدلُّوهُا بِإِجْمَالِ
وَانْقُلْ رُكَّابَ القَوَافِي فِي جَوَانِبِهَا ... لَا فِي جَوَانِبِ رَسْمِ المَنْزِلِ البَالِي
مَا هَيْكَلُ الهَرَمِ الجِيزِيِّ مِنْ ذَهَبٍ ... فِي العَيْنِ أَرْنَمٌ مِنْ بُنْيَانِهَا الحَالِي
عَلَا بِهَا الحَرِصُ أَرْكَاناً وَأَخْرَجَهَا ... عَلَى مِثَالِ مِنَ الدُّنْيَا وَمِنَوَالِ
فِيهَا الشَّقَاءُ لِقَوْمٍ وَالنَّعِيمُ لَهُمْ ... وَبُؤْسُ سَاعٍ وَنَعْمَى قَاعِدِ سَالِي
وَالْمَالُ مُدٌّ كَانَ تَمَثَّلَ يُطَافُ بِهِ ... وَالنَّاسُ مُدُّ خُلِقُوا عِبَادَ تَمَثَّلِ
إِذَا جَفَا الدَّوْرَ فَانْعِ النَّازِلِينَ بِهَا ... أَوِ المَمَالِكِ فَانْدُبْهَا كَأَطْلَالِ
يَا طَالِباً لِمَعَالِي المُلْكِ مُجْتَهِّداً ... خُذْهَا مِنَ العِلْمِ أَوْ خُذْهَا مِنَ المَالِ

بِالْعِلْمِ وَالْمَالِ يَبْنِي النَّاسُ مُلْكَهُمْ ... لَمْ يَبْنِ مُلْكٌ عَلَى جَهْلٍ وَإِقْلَالٍ (١٦) وله أيضاً:

لَا يُقِيمَنَّ عَلَى الضِّمِّ الْأَسَدُ ... نَزَعَ الشِّبْلُ مِنَ الْغَابِ الْوَتْدَ
بَسَطَ الْكَفَّ لِمَنْ صَادَفَهُ ... وَمَضَى يَقْصُرُ خَطْوًا وَيَمُدُّ
يَجْعَلُ الْأَوْطَانَ أُغْنِيَتَهُ ... وَيُنَادِي النَّاسَ مِنْ جَادٍ وَجَدَّ
أَيُّهَا النَّاسُ إِسْمَعُوا أَصْغُوا لَهُ ... أَخْرِجُوا الْمَالَ إِلَى الْبَرِّ يَعُدُّ
يُنِضُ اللَّهُ الصِّنَاعَاتِ بِهِ ... مِنْ عِثَارٍ لَبَّتْ فِيهِ الْأَبْدُ
وَعَلَى الْمَالِ بَنَتْ سُلْطَانَهَا ... ثَابِتَ الْآسَاسِ مَرْفُوعَ الْعَمَدِ
وَأَصَارَتِ بَنُوكَ مِصْرَ كَهْفِهَا ... حَبَّذَا الرُّكْنَ وَأَعْظَمَ بِالسَّنَدِ

ولو ذهبنا نتتبع فوائد المال ومنافعه لما استطعنا إحصاءها لأن الحق سبحانه وتعالى جعله وسيطاً لبناء الحياة، ووسيلة لعمارته، وقد يكون وسيطاً للوصول إلى الدرجات العلى من الجنة إذا ما راعى الإنسان في طرق كسبه وصرفه ضوابط الشريعة ومقاصدها، فبالمال تبني دور العلم التي يتعلم فيها الناس أمور دينهم ودنياهم، وبالمال تبني المنازل للزمنى والمكفوفين والمحتاجين من الفقراء والمساكين، وبالمال يمول الدعاة والمرشدون، وبالمال يؤاسى الضعفاء والمحتاجون، وبالمال تبني المساجد والجوامع، وبالمال توصل الأرحام، وينشر الإسلام، وتقام دور العبادة في كل مكان، وترتفع راية الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، فهو زينة الحياة كما أخبر عنه الحق سبحانه وتعالى: { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } (٢٦) ، ولما كان المال بهذه المكانة نهى سبحانه وتعالى عن إيتائه السفهاء فقال جل شأنه: { وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا

(١٦) - هذه الآيات لأمير الشعراء احمد شوقي.

(٢٦) - سورة الكهف الآية (٤٦) .

١١.٢ حب المال

مَعْرُوفًا (١٦) ، وأرشد الحق جل شأنه إلى التوسط في الإنفاق فقال: { وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا } (٢٦) .
حب المال

المال نعمة محببه وفضل مدخر وخدام أمين يعين صاحبه على قضا حاجاته وهو خير إن استعمل وسيلة للخير ومنا فعه أكثر من أن تحصى ولما عرف الناس قيمة المال أحبوه حباً جماً فحرصوا على جمعه فكأنهم جبلوا على ذلك كما أخبر الحق سبحانه وتعالى عن حال بني الإنسان بقوله: { وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا } (٣٦) ، فالإنسان صار من الشدة عليه بمكان، وفي الذكر الحكيم: { وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ } (٤٦) ، وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه: يا حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي، وقال سفيان الثوري رحمه الله: المال سلاح المؤمن في هذا الزمان.

وقد أثنى الحق سبحانه وتعالى على من أنفق المال في وجوه البر مع شدة حبه له فقال: { وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ } (٥٦) ، ومن رحمة الله أن الحق سبحانه وتعالى لم يمنع من حبه بل أرشد إلى أخذه من حله وصرفه في محله، وإنما الممنوع مؤثرة حب المال على حب الله ورسوله، أو حبه كحب الله ورسوله وحب شريعته ونبيه، ورحم الله شوقي حيث يقول:

وَمَنْ يَعْدِلْ يُحِبَّ اللَّهُ شَيْئاً... كَحُبِّ الْمَالِ ضَلَّ هَوَىٰ وَخَابَا
فَأَسْعَ أَخِي لَجَمْعِ الْمَالِ مِنَ الْحَلَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَقِيكَ ذَلِكَ السُّؤَالَ، وَاصْرَفَهُ فِيمَا يَنْفَعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْفَعُ وَيَرْفَعُ، وَلَا تَحْرَصْ عَلَى بَقَائِهِ فَإِنَّكَ
مَسْئُولٌ عَنْ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَنَفَادِهِ وَنَمَاتِهِ، وَلِلَّهِ دَرُوعِي بِنِ الْجَهْمِ حَيْثُ يَقُولُ:

أَيَا جَامِعَ الْمَالِ وَفَرَّتَهُ... لِعَيْرِكَ إِذْ لَمْ تَكُنْ خَالِداً
فَإِنَّ قُلْتَ أَجْمَعَهُ لِلْبَنِينَ... فَقَدْ يَسْبِقُ الْوَالِدُ الْوَالِدَا
وَإِنْ قُلْتَ أَخَشَى صُرُوفَ الزَّمَانِ... فَكُنْ فِي تَصَاريفِهِ وَاحِداً
وقال الشريف الرضي:

أَيْتُكَ أَنَّ الْمَالَ عَارٌ عَلَى الْفَتَى... وَمَا الْمَالُ إِلَّا عَفَّةٌ وَقُنُوعٌ
وله أيضاً:

إِذَا الْمَالُ أَصْبَحَ فِي الْبَاخِلِينَ... فَإِنَّ مَرْجِي الْغِنَى فِي تَعَبِ
السَّعْيِ فِي طَلْبِ الْمَالِ وَإِصْلَاحِهِ

السَّعْيِ فِي طَلْبِ الْمَالِ مِنَ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ، وَإِصْلَاحُهُ نِعْمَةٌ، وَالتَّكَاثُلُ عَنْ انْفِاقِهِ فِي وَجْهِ الْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَمِحْنَةٌ، وَلِلَّهِ دَرُوعِي الْقَائِلُ:

- (١٦) - سورة النساء الآية (٥) .
 - (٢٦) - سورة الإسراء الآية (٢٩) .
 - (٣٦) - سورة الفجر الآية (٢٠) .
 - (٤٦) - سورة العاديات الآية (٨) .
 - (٥٦) - سورة البقرة الآية (١٧٧) .
- لَمَّا الْمَرْءُ يُصْلِحُهُ فَيَغْنِي... مَفَاوِزُهُ أَعْفٌ مِنَ الْقُنُوعِ (١٦)

وقال آخر:

أَرَى كُلَّ ذِي مَالٍ يَبْرِمُ بِمَالِهِ... وَإِنْ كَانَ لَا أَصْلَ هُنَاكَ وَلَا فَضْلُ (٢٦)

فَالْمَالُ يَذْهَبُ بِالْفَقْرِ، وَيَعِينُ عَلَى الْخَيْرِ، وَيَرْغَبُ النَّاسُ فِي صَاحِبِهِ، وَلِلَّهِ دَرُوعِي الْقَائِلُ:
الْفَقْرُ يُزْرِي بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ... وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالُ
وأما الشريف الرضي رضي الله عنه فهو يقول:

لَا أَطْلُبُ الْمَالَ إِلَّا مِنَ مَطَالِبِهِ... وَلَا يَفِي لِي بِذُلِّ الْمَالِ بِالْمَتَنِ
وله أيضاً:

رَأَيْتُ حَلَالَ الْمَالِ خَيْرَ مَغْبَةِ... وَأَجْدَرُ أَنْ يَقِي عَلَى الْحَدَثَانِ
وَإِيَّاكَ وَالْمَالَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ... وَبِالْإِذَا مَا قَدَّمَ الْكُفْنَانَ

وقال آخر:

الْفَقْرُ يُزْرِي بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ... وَرَبَّمَا سَادَ جَبَسَ الْقَوْمَ بِالْمَالِ
وَيَرْحَمُ اللَّهُ شَوْقِي حَيْثُ يَقُولُ:

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جَمْعِ الْمَالِ دَاءً... وَلَا مِثْلَ الْبَخِيلِ بِهِ مُصَابَا
فَلَا تَقْتَلِكْ شَهْوَتُهُ وَزَيْنُهَا... كَمَا تَزُنُّ الطَّعَامُ أَوْ الشَّرَابَا
وَخُذْ لِنَبِيكَ وَالْأَيَّامَ ذُخْرًا... وَأَعْطِ اللَّهَ حِصَّتَهُ إِحْتِسَابَا

(١٦) - هذا البيت للنجاشي الحارثي، وانظر ترجمة النجاشي الحارثي في الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٤٦، ولباب الأدب ص ٢٩٢.
(٢٦) - ورد هذا البيت في العقد الفريد لابن عبدربه ج ٢ ص ٣٣٦.

أما المتلهس فهو يرى أن قليل المال الذي تصلحه خير من الكثير مع الفساد وذلك حيث يقول:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ حَقِّ غَيْرِ ظَنٍّ ... وَتَقْوَى اللَّهِ مِنْ خَيْرِ الْعِتَادِ
لِحِفْظِ الْمَالِ أَيْسَرُ مِنْ بُغَاهُ ... وَسَيْرٍ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادِ
وَأَصْلَاحِ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ ... وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ (١٦)

وقال ابن قتيبة: حدثني الخفيعي قال: أحسن بيت قيل في حفظ المال بيت منجنوف بن مرة السلمي:
وادفع عن مال الحقوق وإنه ... لجم فإن الدهر لجم مصائبه (٢٦)

وقال آخر:

وكان المال يأتينا فكنا ... نبذره وليس لنا عقول
فلها أن تولى المال عنا ... عقلنا حين ليس لنا فضول (٣٦)

وفي الحديث النبوي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: { طلب الحلال فريضة بعد الفريضة } (٤٦)، قال ابن الرومي:

سعي السُّعَاةِ لفضل المال بعد غنى ... حرم كما طلب الأوقات مُفترض

وقديما قيل لا خير فيمن لا يجمع المال يصون به عرضه ويحجي به مروئته، ويصل به رحمه، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حسب الرجل ماله وكرمه دينه ومروئته خلقه.

(١٦) - الشعر والشعراء ج ١ ص ١٩٠.

(٢٦) - عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١٩٢، الناشر: وزارة الثقافة المصرية.

(٣٦) - ورد هذا البيت في محاضرة الأدباء ص ٥٠٦.

(٤٦) - المعجم الكبير ج ١٠ ص ٧٤ حديث رقم (٩٩٩٣).

١١٠٣ إنفاق المال في وجوه البر

إنفاق المال في وجوه البر

إن إنفاق المال في وجوه البر يطيل العمر، ويكسب المودة، ويحصد المال

من الجوائح، ويسعد الخلق، ويرضي الخالق، فتمتع به في غير إسراف ولا تبذير، وسارع إلى إنفاقه في وجوه الخير والبر كله، والله در القائل:

إسعد بمالك في الحياة فإثما ... يبقى خلافك مُصلحاً أو مُفسدُ
فإذا جمعت لمفسدٍ لم يبقه ... وأخو الصلاحِ قليله يتزدد (١٦)

أما ابن الرومي فهو يقول:

أنفق المال قبل إنفاقك العم ... رَفِي الدهر ريبه ومنونه
قل ما ينفع الثراء بخيلاً ... علقت في الثرى المهيل رهونه
ولأبي العتاهية:

المال ما كان قدامي لآخرتي ... ما لم أقدمه من مالي فليس لي
وله أيضاً:

يا جامعَ المالِ في الدنيا لو ارثته ... هل أنت بالمالِ بعد الموتِ تنتفعُ

وينهى أبو العتاهية عن إمساك المال، فحسب الإنسان أن يحصل على الري والشبع فيقول:
 لَا تُمْسِكِ الْمَالَ وَاسْتَرْضِ الْإِلَهَ بِهِ ... فَإِنَّ حَسْبَكَ مِنْهُ الرِّيُّ وَالشَّبَعُ
 وقال أيضاً:

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلُّ زَائِلٌ بِالِ ... لَا شَيْءَ يَبْقَى مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَالٍ

(١٦) - أورد هذين البيتين صاحب العقد الفريد ابن عبدربه ج ١ ص ١٥٢. وينسبان لمحمود الوراق.

١١٠٤ لا تبخل عن بذل المال

يا ذا الذي يشتهي ما لا ثواب له ... تبغي الثواب فكن حمالاً أثقال
 لا خير في المال إلا أن تقدمه ... إن لم تقدمه ما ترجو من المال

فاعط السائل من مالك تكن من المحسنين، ولا تكن عليه متطاولاً تنال ثواب رب العالمين، وقد جاء في محكم التنزيل الثناء على من يعطي السائلين قال تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} (١٦) .
 لا تبخل عن بذل المال

لا تبخل عن بذل المال لمستحقه ولا تعطه لغير مستحقه، ويرحم الله طاهر بن الحسين حيث يقول:

لَا تَبْخُلَنَّ بَدَنِيَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ ... فَلَنْ يَنْقُصَهَا التَّبَذِيرُ وَالسَّرْفُ

وَإِنْ تَوَلَّتْ فَأَحْرَى أَنْ تَجُودَ بِهَا ... فَالْجُودُ فِيهَا إِذَا مَا أَدْبَرَتْ خَلْفُ (٢٦)

وفي الأمثال: "خير مالك ما نفعك، ولم يضع من مالك ما وعظك". ونظر ابن عباس إلى درهم بيد رجل فقال: "إنه ليس لك حتى يخرج من يدك". وقولهم: "تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره"، قال الشاعر:

أنت للمال إذا أمسكته ... فإذا أنفقتة فالمال لك (٣٦)

أما الشريف الرضي فهو يقول:

وَاجْعَلْ يَدَيْكَ مَجَازَ الْمَالِ تَحْظُ بِهِ ... إِنَّ الْأَشْيَاءَ لِلْوَرَاثِ خَزَانُ

(١٦) - سورة المعارج الآيتان (٢٤ و ٢٥) .

(٢٦) - غرر الخصاص ص ٣٨٣. وينسب هذا البيت أيضاً للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣٦) - العقد الفريد ج ٣ ص ٥٥ ، وأمثال الرازي ص ٥٧.

١١٠٥ فتنة المال وميل الناس إلى صاحبه

وقال الحسن: ابن آدم، أنت أسير في الدنيا، رَضِيتَ من لذتها بما ينقصي، ومن نعيمها بما يمضي، ومن ملكها بما ينفد، فلا تجمع الأوزار لنفسك ولأهلك الأموال، فإذا مت حملت الأوزار إلى قبرك، وتركت أموالك لأهلك. أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال:

أَبَقِيَتْ مَالِكٌ مِيرَاثاً لَوَارِثِهِ ... فَلَيْتَ شِعْرِي مَا أَبَقِيَ لَكَ الْمَالُ

الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ ... فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ

مَلُّوا الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ ... وَاسْتَحْكَمِ الْقَيْلُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْقَالَ

وفي الحديث المرفوع: أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل كسب مالا من غير حله فدخل به النار، وورثه من عمل فيه بطاعة الله فدخل به الجنة.

فتنة المال وميل الناس إلى صاحبه

الناس يفتنون بالمال، ويميلون إلى صاحبه، والعاقِل لا يعتز بهذه الشهوة، ولا يسعى إلى هذه الفتنة في كل الأحوال، ومن أراد السلامة من ذلك فإنه لا يسعى لجمع المال إلا من الحلال، ولا يشبع رغبته وشهوته في جميع الأحوال لأنه يعلم أن مصير ذلك إلى الزوال، وفي محكم التنزيل: {وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (٢٦) ، وفي سورة التغابن: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (٢٦) .

(١٦) - سورة الأنفال الآية (٢٨) .

(٢٦) - سورة التغابن الآية (١٥) .

وفي كلام بعض الشعراء التمتت من محاربة من لا مال له ونعت صاحب المال بالشرف:

أرى الناس للصلعوك (١٦) حرباً ولا أرى ... لذي نسب إلا خليلاً مصافياً

أرى المال يغشى ذا الوصوم (٢٦) فلا ترى ... ويدعى من الأشراف من كان غانياً (٣٦) ولعقيل بن علفة:

إني ليحمدني الخليل إذا اجتد مالي ... ويكرهني ذوي الأضغان

وأبيت تخلجني (٤٦) الهموم كأنني ... دلو السقاة تمد بالأشطان (٥٦)

وأعيش بالبلل (٦٦) القليل وقد أرى ... أن الرموس مصارع الفتيان

ولقد علمت لئن هلكت ليذكرن ... قومي إذا عكف النجي مكاني (٧٦)

(١٦) - الصعلوك: الفقير وهو القرصوب والسبروت.

(٢٦) - الوصوم: العيوب

(٣٦) - غانياً: أي غنياً ومعنى ذا غنى، أورد هذين البيتين الشريف المرتضى لبعض الشعراء ولم يسميه، وانظر: أمالي العلامة الشريف

المرتضى: (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ / ٩٦٦ - ١٠٤٤ م) علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم أبو القاسم. من أحفاد الإمام علي بن

أبي طالب رضي الله عنه، نقيب الطالبين، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر يقول بالاعتزال مولده ووفاته ببغداد. وكثير من

مترجميه يرون أنه هو جامع نهج البلاغة، لا أخوه الشريف الرضي. له تصانيف كثيرة منها (غرر الفرائد ودرر القلائد - ط) يعرف

بأمالي المرتضى، و (الشهاب بالشيب والشباب - ط) ، و (تنزيه الأنبياء - ط) و (الاتصاف - ط) فقه، و (تفسير العقيدة المذهبية - ط)

شرح قصيدة للسيد الحميري، و (ديوان شعر - ط) . ص ٣٧١، الطبعة الثانية، الناشر: دار التكايف العربي بيروت.

(٤٦) - تخلجني: أي تشغلي كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت.

(٥٦) - الأشطان: الحبال

(٦٦) - البلبل في الأصل: ما بل الحلق من ماء أو لبن أو غيره.

(٧٦) - الشاعر يصف نفسه بحفظ الأسرار، فكأنه يقول إذا مت والناس يناجون غيري فيفشي أسرارهم فيذكرني عند ذلك ويذكر

مكاني.

١١٠٦ ذهاب المال

ذهاب المال

إن المال يذهب ولا يبقى إلا ما أنفق منه في وجوه البر فاحرص على إنفاقه في وجوه البر ينمو المال ويكثر، قال الشاعر:

المال يذهب حله وحرامه ... يوماً وتبقى في غد آثامه

ليس التقي بمتقى لإلهه ... حتى يطيب طعامه وشرابه (١٦)

أما ليبيد بن أبي ربيعة (٢٦) فهو يقول:

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بد يوماً أن ترد ودائعه
ولعل حاتم الطائي (٣٦) نظر إلى غدو المال ورواحه فرأى أنه لا يبقى إلا ذكره فقال:
أَمْوَالِي إِنْ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحٍ ... وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ
أما الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد حكم بأن المال إنما يجمع لذوي الميراث فقال:
أَمْوَالُنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا ... وَدَوْرُنَا لِحِرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيهَا (٤٦)
ويؤثر عن الإمام علي رضي الله عنه أيضاً أنه قال:
أبْنِي إِنْ مِنَ الرِّجَالِ بَهِيمَةٌ ... فِي صُورَةِ الرَّجُلِ السَّمِيعِ الْمَبْصِرِ
فَطَنٌ بِكُلِّ مَصِيبَةٍ فِي مَالِهِ ... وَإِذَا يَصَابُ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعِرِ

(١٦) - أوردتهما الذهبي في سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٩٤.

(٢٦) - لبيد بن ربيعة بن مالك أبو عقيل العامري، (٤١هـ/٦٦١م) أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. من أهل عالية نجد. أدرك الإسلام، ووفد على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). يعد من الصحابة، ومن المؤلفة قلوبهم. وترك الشعر فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً. وسكن الكوفة وعاش عمراً طويلاً. وهو أحد أصحاب المعلقات.
(٣٦) - حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي، (ت ٤٦ق. ٥٧٧م)، شاعر جاهلي، فارس جواد يضرب المثل بجوده. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج من ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيء).
(٤٦) - وينسب هذا البيت لسابق البريري، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وله أيضاً:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَسْتَقْرِضَ الْمَالَ مُنْفَقاً ... عَلَى شَهَوَاتِ النَّفْسِ فِي زَمَنِ الْعُسْرِ
فَسَلْ نَفْسَكَ الْإِنْفَاقَ مِنْ كَنْزِ صَبْرِهَا ... عَلَيْكَ وَإِنظَاراً إِلَى زَمَنِ الْيُسْرِ
فَإِنْ سَمَحَتْ كُنْتَ الْغَنِيِّ وَإِنْ أَبَتْ ... فَكُلُّ مَنْوَعٍ بَعْدَهَا وَاسِعُ الْعُدْرِ (١٦)

ويرحم الله أبا العتاهية حيث يقول:

قُلْ لِأَهْلِ الْإِنْتِخَارِ وَالْإِقْلَالِ ... كُفُّكُمْ مَيِّتٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ
مَا أَرَى خَالِداً عَلَى قَلَّةِ الْمَالِ ... لَوْ لَا بَاقِيَا لِكَثْرَةِ مَالٍ

وفي أمثال العرب من أهان ماله أكرم نفسه، وقيل المال الحرام لا يدوم، ومال تجلبه الرياح تأخذه الزواجع، وقيل لم يذهب من مالك ما وعظك ويروى لم يضع من مالك ما وعظك، قال الشاعر:
ذهاب المال في حمد وأجر ... ذهاب لا يقال له ذهاب

وقال آخر

وَمَا ضَاعَ مَالٌ أَوْرَثَ الْحَمْدَ أَهْلُهُ ... وَلَكِنَّ أَمْوَالَ الْبَخِيلِ تَضِيعُ
أما أبو الفتح البستي فهو يقول:

مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً ... إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَانُ
سَخْبَانُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ بِأَقْلٍ حَصْرًا ... وَبِأَقْلٍ فِي ثَرَاءِ الْمَالِ سَخْبَانُ

(١٦) - ديوان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ص ٧٤.

وفي الحديث النبوي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {يَقُولُ الْعَبْدُ مَا لِي مَالِي إِثْمًا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ مَا أَكَلَ فَأَفْنَى أَوْ لَيْسَ فَأَيْبَى أَوْ أَعْطَى فَأَقْتَنَى وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ} (١٦)

الغنى والفقر

الغنى الأكتفاء واليسار وما يعتنى به، والغنى هو كثرة المال من الذهب والفضة والنقود والعروض والبنيان وغير ذلك، قال ابن عطا الغني الشاكر القائم بحقه خير من الفقير الصابر قال الشاعر:

إِذَا كُنْتَ ذَا ثُرُوءٍ مِنْ غِنَى ... فَأَنْتَ الْمُسَوَّدُ فِي الْعَالَمِ
وَحَسْبُكَ مِنْ نَسَبِ صُورَةٍ ... تُخْبِرُكَ أَنْتَ مِنْ آدَمِ

والغني إذا لم يكن كريما جوادا فليس ينفعه غناه ، واغنى الناس أكثرهم إحسانا، وقيل لا يصلح العقل بغير ورع، ولا يصلح الغنى بغير جود ، ولا المروءة بغير تواضع ، وقال ابن المقفع: سوء حمل الغنى ان يكون عند الفرح مرحا ، وسوء حمل الفاقة ان يكون عند الطلب شرها، وعار الفقرا هون من عار الغنى، والحاجة مع المحبة خير من الغنى مع البغضة (٢٦) ، وقيل الغنى غنى النفس قال الامام علي رضي الله عنه:

النَّفْسُ تَجَزَعُ أَنْ تَكُونَ فَقِيرَةً ... وَالْفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ غِنَى يُطْغِيهَا
(١٦) - صحيح مسلم حديث رقم (٥٢٥٩) .

(٢٦) - الادب الصغير لعبد الله بن المقفع ص ١١٣ الطبعة الاولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م شركة ابن الارقم بيروت لبنان.

وَعَنِ النَّفْسِ هُوَ الْكَفَافُ وَإِنْ أَبَتْ ... فَجَمِيعُ مَا فِي الْأَرْضِ لَا يَكْفِيهَا
وفي الحديث النبوي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ {لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى عَنِ النَّفْسِ} (١٦) ، فكن غني النفس تعيش في راحة وسعادة ولا تسعى إلى الغنى بطريق غير مشروعة فإنك لن تحصل إلا على ما كتب الله لك فقلت المال في السلامة أفضل من كثرته مع الاخطار ورحم الله الشافعي حيث يقول:

لَوْ كَانَ بِالْحِلِيلِ الْغِنَى لَوَجَدْتَنِي ... بِنُجُومِ أَقْطَارِ السَّمَاءِ تَعَلُّقِي
لَكِنَّ مِنْ رِزْقِ الْحِجَابِ حَرَمَ الْغِنَى ... ضِدَّانِ مُفْتَرِقَانِ أَيَّ تَفَرَّقِي

فرزقك سيأتي إليك فكن واثقا بالله وفي أمثال العامة اللي خلق النملة يرزقها وفي الذكر الحكيم: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (٢٦) ، وجاء في أمثال العرب خير الغنى القنوع، وشر الفقر الخضوع، والعفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى، وقيل: الغنى الأكبر الياس بما في أيدي الناس، فتلمس إصلاح أمرك بنفسك فإنك ما زلت غنيا ما دمت سويا فإذا أجتهدت وجدت فمن جد وجد ولا تبطر إذا أغتيت فإن الغنى الطارئ مدعاة للبطر وخليق إلى أن ينتهي بصاحبه إلى الهلاك، وفي أمثال العرب الغنى يورث البطر (٣٦) ، قال الشاعر:

وللفقر خير من غنى في دناءة ... ولا الموت خير من حياة على صغر

(١٦) - صحيح البخاري باب الغنى غنى النفس الحديث رقم (٥٩٦٥) .

(٢٦) - سورة هود اية (٦)

(٣٦) - معجم كنوز الأمثال ص ٥٤ .

وقال الإمام علي رضي الله عنه:

دَلِيلُكَ أَنَّ الْفَقْرَ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى ... وَأَنَّ الْقَلِيلَ الْمَالِ خَيْرٌ مِنَ الْمُثْرَى

لِقَاؤِكَ مَخْلُوقًا عَصَى اللَّهَ لِلْغَنِيِّ ... وَلَمْ تَرَ مَخْلُوقًا عَصَى اللَّهَ لِلْفَقِيرِ
 وفي الذكر الحكيم: { كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا فَاكِرٌ } (١٠٦) ، ومع ذلك فإن كثيرا من الناس يكرمون الغني ويهينون الفقير، وتلك نظرة غير
 انسانية، فالعاقل لا يتبعها ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: ملعون من اكرم بالغناء واهان بالفقير.
 والمؤمن لا يكرم الا من اكرمه الله فلا تثلثت الى من يجردون الانسان من قيمه واخلاقه ويعظمونه لكثرة ماله اخذا بالاعراف الفاسدة
 والثقافة المادية الهابطة ، قال الشاعر:
 ارى الناس للمصعوك حربا ولا ارى ... لذي نسب الا خليلا مصافيا
 ارى المال يغشى ذا الصوم فلا ترى ... ويدعى من الاشرار من كان غانيا
 قال الشريف المرتضى: الصعوك الفقير ، وهو القرصوم والسبوت (٢٠٦) . قلت
 والفقير ضد الغني فاذا اصبح الإنسان محتاجا وليس له ما يكفيه كان فقيرا
 وليس الفقر محببا لدى الإنسان فإذا ابتليت به فاصبر واسع الى كسب المال فإن الذي اعطى الاغنياء سيغنيك وقد قيل
 ان اقرب الناس الى

(١٠٦) - سورة الفلق (٦) .

(٢٠٦) - انظر غرر الفوائد ودرر القلائد ج ١ ص (٣٧١) الطبعة الثانية دار الكتاب العربي بيروت

الكفر ذو فاقة لاصبر له، وقيل ان الغني الشاكر القائم بحقه افضل من الفقير الصابر وقيل العكس فإذا افتقرت فلا تكن جزوعا هلوعا
 ، قال الشاعر:

وإذا افتقرت فلا تكن متخشعا ... ترجو الفواضل عند غير المفضل

واستغن ماغناك ربك بالغني ... واذا تكون خصاصة فتجمل

وإذا كان كثير من الناس اخلاقهم تميل الى اهل الغنى والثروة فالغني هو الذي يستصاغ كلامه ونكاته توصف بالظريفة ويتغاضون عن
 هفواته وسقطاته اما الفقراء فيسخر بهم وتضخم اخطاؤهم عند سماعها وذلك ليس من الخلق الاسلامي في شئ وتأمل هذه القصة
 التي رواها البيهقي عن انس: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرَ بْنَ حِزَامٍ أَوْ حَرَامٍ قَالَ وَكَانَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يُحِبُّهُ
 وَكَانَ دَمِيمًا فَأَتَاهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لَا يَبْصُرُهُ فَقَالَ أَرْسَلَنِي مِنْ هَذَا فَالْتَفَتَ
 فَعَرَفَ النَّبِيَّ فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَرْزَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- حِينَ عَرَفَهُ وَجَعَلَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: «مَنْ
 يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟» . فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا وَاللَّهِ تَجِدَنِي كَاسِدًا . فَقَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ أَوْ
 قَالَ لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ» . ومن هذه القصة يتبين لك ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يتعامل مع الفقراء بأدب جم
 يمازحهم ويضاحكهم ويتعامل معهم بلطف ، وان الرجل الفقير حينما قال تجدني كاسدا قال ولكنك عند الله غالي ، وهناك - أيضا -
 الكثير من

القصص والأحاديث التي تدل على تواضع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وانه كان يلاطف الفقراء ويضحك معهم وانه كان
 يأخذ الناس باللطف وعدم التقنيط والتشاؤم، ومن ذلك ما روي في حق رجل وقع على امرأته في نهار رمضان، فجاء إلى النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم، فقال: هلكت، فقال ما شأنك، قال: وقعت على امرأتي في رمضان، قال: فهل تجد ما تعتق رقبة؟ قال: لا،
 قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا؟ قال: لا، قال: اجلس، فأتي النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم بعرق فيه تمر، فقال: تصدق به، فقال: يا رسول الله ما بين لا بتيها أهل بيت أفقر منا، فضحك رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت ثناياه، قال: فأطعمه إياهم (١٠٦) فتبسم اخي في وجه الفقير والغني ولا تكن متجهما. وكم
 من فقير تبسم في وجهه وتشعره بقيمته واعتباره يرفع في ظلمة الليل يداه داعيا يستنزل لك الرحمات من السماء ففي الحديث الشريف
 (رب اشعث اغبر ذي طمرين مدفوع بالابواب لا يؤبه له لو اقسم على الله لأبره) فكن دائما البشر مع هؤلاء الضعفاء فعمل ابتهامة

في وجه فقير ترفعك عند الله درجات, وقد قال يحيى بن معاذ رحمه الله: حبك الفقراء من اخلاق المرسلين , وايثارك مجالستهم من علامات الصالحين , وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين

فعود نفسك اخي مجالسة الفقراء و اكرامهم والانفاق عليهم لتظفر بمرادك وتستمتع بحياتك , وفي الذكر الحكيم للفقراء {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (٢٦) , {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (٣٦) , فلاتنس اخي ان الله افترض للفقراء في اموال الاغنياء زكاة فهي تزيك النفس وتحفظ المال وهي احد اركان الاسلام , وفي الحديث النبوي الذي رواه البيهقي (إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء وحق على الله أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه) (٤٦) فتجنب الاساءه الى الفقراء المؤمنين وتلبس دعاءهم فأنهم يدخلون الجنة قبل الفقراء بخمسائه عام كما جاء في الحديث النبوي (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِخَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ) (٥٦) واعلم اخي ان القناعة رأس الغنى واساس التقى, والحرص رأس الفقر واساس الشر, وان من قنع بالميسور من الرزق استغنى عن الخلق , وعلم ان من المنع

(١٦) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصوم، باب كفارة من أتى أهله في رمضان، حديث (٢٣٩٠) ، وصحيح البخاري، كتاب كفارة الأيمان، حديث (٦٧١١) ، وكتاب الأدب باب التبسم والضحك حديث (٦٠٨٧) .

(٢٦) - سورة الحشر آية (٨)

(٣٦) - سورة البقرة آية (٢٧٣) .

(٤٦) - رواه البيهقي في السنن الكبرى حديث رقم (١٢٩٨٥)

(٥٦) - سنن الترمذي حديث رقم (٢٢٧٥)

عطاء , ورب ضارة نافعة , وان الحياة المتدفقة بالالام والمتاعب هي التي تفتق المواهب وتضع الرجال , وان الابتلاء بالفقر كالا ابتلاء بالغنى , وانه ما من نازلة تنزل بالانسان الا ووراءها حكمة قدرها العليم الحكيم , وقد جاء في الذكر الحكيم {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (١٦) وتذكر اخي ان الانسان خلق فقيرا ضعيفا فهو محتاج الى ربه وان محمد صلى الله عليه واله وسلم قد ابتلي بالفقر فاغناه الله قال تعالى {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى} (٢٦) فاطلب الرزق والغنى من وجوه البر ولا تعجز , وقد قيل اربعة تجلب الرزق قيام الليل , وكثرة الاستغفار بالاسحار , وتعاهد الاصدقاء , والذكر اول النهار واخره , وقيل اربعة تمنع الرزق نوم الصبحة , وقلة الصلاة , والكسل , والخيانة , فابتعد عن هذه الاربعة تظفر بمرادك وشكر الله على ما اعطى يخلفه ولا تمنى ما في ايدي الناس فإن الذي اعطاهم سوف يعطيك , وقد جاء في سورة النساء {وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَ وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} (٣٦) .
قال الشاعر:

(١٦) - سورة البقرة آية (٢١٦)

(٢٦) - سورة الضحى آية (٨)

(٣٦) - سورة النساء آية (٣٢)

لا ترهبن الفقر ما عشت في غدٍ ... لكل غدٍ رزق من الله واردٌ
وقال اخر:

ان المقاسم ارزاق مقدره ... بين العباد فحروم ومدخر

فما رزقت فإن الله جالبه ... وما حرمت فما يجري به القدر

فإن كنت غنيا فلا تسع الى قطع ارزاق الناس فإن قطع الارزاق من قطع الاعناق , ولا تكن حريصا فإن الارزاق قد قسمت , قال ابن زريق البغدادي:

والحرص في الرزق والارزاق قد قسمت ... بغي الا ان بغي المرء يصصره

ولا يخيفنك الفقر فإن بعد الفقر غنى , وبعد الشدة فرج , وفي امثال العرب: لكل صباح صبح , ولكل عشاء غبوق , ولكل غدٍ طعام , فلا تحرص ولا تياس , ولا تطمع فيما ايدي الناس , فإن الحرص ذل عاجل , والطمع فقر حاضر , وقيل: الطمع الكاذب فقر حاضر , وقيل: في الطمع المذلة للرقاب , ورب طمع ادنى الى عطب , واكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع , ورب اكلة تمنع اكالات , وفي الحديث (ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب) (١٦) , ورحم الله ابا العتاهية حيث يقول:

وإذا طمعت لبست ثوب مذلة ... إن المطامع معدن الازلال

وقال اخر

لاخير في طمع يدني الى طبع ... وغفة من قوام العيش تكفيني

كم من فقير غني النفس تعرفه ... ومن غني فقير النفس مسكين

فتجنب الطمع وخذ ما طف لك واستطف , وفي امثال العرب: خير الغنى القنوع والقناعة كنز لا يفنى والقناعة مال لا ينفد , وقيل من لم يقنع باليسير لم يكتف بالكثير , ويكفيك من الزاد ما بلغك المحل (٢٦) وقال الشاعر:

حسب الفتى من عيشه ... زاد يبلغه المحلا

خبز وماء بارد ... والظل حين يريد ظلا

وقال اخر:

هي القناعة فالزماها تعش ملكا ... لولم يكن لك منها الاراحة البدن

ونظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

اما عمرو بن مالك الحارثي فهو يقول:

الحرص للنفس فقر والقنوع غنى ... والقوت إن قنعت بالقوت يكفيها

والنفس لو ان مافي الارض حيز لها ... ما كان إن هي لم تقنع بكافيا

الغني المغني الرزاق من اسماء الله الحسنى

اسم الله الغني ورد ذكره في القرآن {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ} (٣٦) , وقال جل شاناه مثبتا كونه مغنيا {وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ} (٤٦) , وقال سبحانه {يَا أَيُّهَا

(١٦) - المستدرک للحاکم حديث رقم (٢٨٨٩)

(٢٦) - معجم كنوز الامثال ص (٦٩)

(٣٦) - سورة الانعام آية (١٣٣)

(٤٦) - سورة النجم آية (٤٨)

النَّاسِ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (١٦) , فالله سبحانه وتعالى الغني بنفسه عن كل ماسواه , والمغني لجميع خلقه وكل ماسواه فقير اليه , فهو سبحانه وتعالى (الغني) الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه لكامله وكال صفاته التي لا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه , ولا يمكن أن يكون إلا غنياً فإن غناه من لوازم ذاته , كما لا يكون إلا محسناً , جواداً , برأ , رحيماً كريماً , والمخلوقات بأسرها لا تستغني عنه في حال من أحوالها , فهي مفتقرة إليه في إيجادها , وفي بقائها , وفي كل ما تحتاجه أو تضطر إليه , ومن سعة غناه أن خزائن السماوات والأرض والرحمة بيده , وأن جوده على خلقه متواصل في جميع اللحظات والأوقات , وأن يده سحاء الليل والنهار , وخيره على الخلق مدرار .

والخلاصة أن الله الغني الذي له الغنى التام المطلق من كل الوجوه وهو المغني لجميع خلقه , غنيّ عاماً , المغني لخواص خلقه , بما أفاض على قلوبهم , من المعارف الربانية , والحقائق الإيمانية (٢٦) .

اما اسم الله الرزاق فقد ورد ذكره في القران الكريم {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (٣٦) ، وقال سبحانه {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا

(١٦) - سورة فاطر آية (١٥)

(٢٦) - شرح اسماء الله الحسنى للقحطاني ص ٩٨ تفسير السعدي ص ٦٢٩ والجامع لاسماء الله الحسنى ص ٢١٧

(٣٦) - سورة الذاريات آية (٥٨)

وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلِّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (١٦) ، وقال جل شانهِ {وَكَايِّنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإَيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (٢٦) ، وقال عظمت حكمته {وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (٣٦) ، والرزاق صفة مبالغة للدلالة على الكثرة ، فإذا جاء اسم الله عز وجل بصيغة المبالغة فعنى ذلك انه يرزق العباد مهما كثر عددهم، ويرزق الواحد منهم رزقا وفيرا اذا شاء وبلا حدود ، اما على مستوى مجموع المرزوقين ، واما على مستوى الرزق ، فهو يرزق كل العباد كما يرزق العبد الواحد واذا اعطى ادھش (٤٦) ، وقال الحلبي هو الرزاق رزقا بعد رزق والمكثر الموسع له ، وقال الخطابي الرزاق هو المتكفل بالرزق ، والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها (٥٦) اما رزق الله لعباده فإنه يقع على نوعين عام وخاص فالعام إيصاله لجميع الخليقة جميع ما تحتاجه في معاشها وقيامها، فسهل لها الأرزاق، ودبرها في أجسامها، وساق إلى كل عضو صغير وكبير ما يحتاجه من القوت، وهذا عام للبر والفاجر والمسلم والكافر، بل للآدميين والجن والملائكة والحيوانات كلها. وعام أيضاً من وجه آخر في حق المكلفين، فإنه قد يكون من الحلال

(١٦) - سورة هود آية (٦)

(٢٦) - سورة العنكبوت آية (٦٠)

(٣٦) - سورة البقرة آية (٢١٢)

(٤٦) - موسوعة اسماء الله الحسنى ج ١ ص ٢٧٥

(٥٦) - الاسماء والصفات للبيهقي ص ٦٦ والجامع لاسماء الله الحسنى ص ١٢٨

الذي لا تبعة على العبد فيه، وقد يكون من الحرام ويسمى رزقاً ونعمة بهذا الاعتبار.

وأما الرزق المطلق فهو النوع الثاني، وهو الرزق الخاص، وهو الرزق النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة، وهو الذي على يد رسول الله وهو نوعان:

رزق القلوب بالعلم والإيمان وحقائق ذلك، فإن القلوب مفتقرة غاية الافتقار إلى أن تكون عالمة بالحق مريدة له متألهة لله متعبدة، وبذلك يحصل غناها ويزول فقرها.

ورزق البدن بالرزق الحلال الذي لا تبعة فيه، فإن الرزق الذي خص به المؤمنين والذي يسألونه منه شامل للأمرين، فينبغي للعبد إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين، فعنى ((اللهم ارزقني)) أي ما يصلح به قلبي من العلم والهدى والمعرفة ومن الإيمان الشامل لكل عمل صالح وخلق حسن، وما به يصلح بدني من الرزق الحلال الهنيء الذي لا صعوبة فيه ولا تبعة تعتريه (١٦) .

وقال بعض العلماء: رزق الابدان بالطعمة ورزق الأرواح بالمعرفة ، والمعرفة اشرف الرزقين ، فإذا خصك الله بدخل وفير اكلت به اطيب الطعام وخص عبداً آخر برزق المعرفة فاعلم علم اليقين ان العبد الاخر اكثر

(١٦) - اسماء الله الحسنى ص ١٥٥ و ١٥٤

١١٠٨ ثمرة معرفة اسم الله الغني المغني الرزاق

حظوة منك , لانه منحه رزق النفوس رزق الارواح وهي المعارف (١٦) , قال تعالى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (٢٦) .

ثمرة معرفة اسم الله الغني المغني الرزاق

اذا عرف المكلف ان الله جل وعلى هو الغني المغني الرزاق أمن به وتعبد لله خاضعا خاشعا متذللا لربه لانه قد علم ان فقر العباد الى الله لا ينفك عنهم فهم بحاجة الى خالقهم في كل الاحوال قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (٣٦) , فالغني من الناس لم يزل عبدا فقيرا بذاته الى بارئه وفاطره ورازقه , ولما كان الفقر الى الله سبحانه هو عين الغنى به فأفقر الناس الى الله اغناهم به واذلهم له واعزهم , واضعفهم بين يديه اقواهم , فالغنى على الحقيقة لا يكون إلا لله الغني بذاته عما سواه , فهو الاحد الصمد الغني الحميد , ومن اداب العبودية ان يرجع العبد الى ربه في طلب كل ما يريد , ولذلك فإنه يجب على كل مسلم ان يعلم ان الله وحده هو الغني الحميد وان لا رازق ولا -رزاق الا الله تعالى على الاطلاق وحده , وغيره ان رزق واعطى فإنما يرزق من رزق الذي اعطى .

(١٦) - اسماء الله الحسنى ج ١ ص ٢٧٦

(٢٦) - سورة يوسف آية (٢٢)

(٣٦) - سورة فاطر آية (١٥)

١١٠٩ دعاء الله بأسمه الغني المغني الرزاق

فارزق مما رزقك الله يأتيك الخلف من الله قال تعالى {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} (١٦) , ومهما در عليك من الرزق الظاهر فوق القوت , فلا تدخره في مخداع البيوت , واخزنه في سرادق الملكوت يزدد ثمنا (٢٦) .

فإنك ان سلكت هذا المسلك كنت متعلقا بالغني المغني الرزاق من كل جانب وانتفعت بالرزق , وانتفع بك غيرك حيث لم ينقبض عنهم خيرك , وضوعف لك الرزق الظاهر والباطن في المنزل الطاهر في المقعد الصدق عند الملك القادر .

دعاء الله بأسمه الغني المغني الرزاق

ياالله ياغني يامغني يارزاق أسألك يا كريم يارحمن يارحيم ان ترزقني رضاك وان تغني وعبادك المؤمنين بغناك فأنت الغني ونحن الفقراء فصن وجهي بالله عن مد يدي الى سواك فإنك ياالله ياغني يامغني تغني من تشاء بغير حساب فاغن فقري بغناك وجميع الاحباب ورزقنا من خزائنك التي لا تنقص ولا تنفد وبارك لي فيما رزقتني ووسع علي فيه ياواسع ياغواد يا صمد وصل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد وبارك على محمد وال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد .

(١٦) - سورة سبأ آية (٣٩)

(٢٦) - الجامع لأسماء الله الحسنى ص ١٣١

١٢ الفصل الحادي عشر الملك والسياسة

الفصل الحادي عشر

الملك والسياسة

١٢.١ الملك والسياسة

الملك والسياسة
بالراعي تصلح الرعية، وتساس البرية، ومن عدل في سياسته ظفر بحاجته، ومن أثر الإحسان لم يقع في الخذلان، ومن حسنت سيرته اكتسب الثناء، ولم يقع في الكدر والعناء، فن أحسن فلنفسه أحسن، ومن أساء فعلى نفسه اعتدى، ومن مال إلى الحق ما إليه الخلق، والعامل لا يوغل في حب الرئاسة، لأن ذلك يطغي ويؤذي، قال أبو العتاهية:

حُبُّ الرِّئَاسَةِ أَطْغَى مَنْ عَلَى الْأَرْضِ ... حَتَّى بَغَى بَعْضُهُمْ فِيهَا عَلَى بَعْضٍ (١٦)
وقال ابن المبارك:

حب الرئاسة داء لا دواء له ... وقل ما تجد الراضين بالقسم (٢٦)

وقديماً قيل: "آفة الملك سوء السيرة، وآفة الوزراء خبث السيرة، وآفة الجند مخالفة القادة، وآفة العلماء حب الرئاسة، وآفة العدل ميل الولاية، وآفة الزعماء ضعف السياسة"، قال أبو الحسن علي بن عبد الكافي:

إن الولاية ليس فيها راحة ... إلا ثلاث يبتغيها العاقل
حكم بحق أو إزالة باطل ... أو نفع محتاج سواها باطل

وقال آخر:

رئاسة الرجال بغير دين ... ولا تقوى الإله هي الخساسة

وكل رئاسة من غير تقوى ... أذل من الجلوس على الكاسة (٣٦)

(١٦) - ديوان أبي العتاهية ص ١٢١.

(٢٦) - أدب الدنيا والدين للماوردي ص ١٨٩.

(٣٦) - أورد هذين البيتين ابن حبان في روضة العقلاء ص ٤٣١.

أما زكي قنصل فهو يقول:

بئس الزعامة إن تكن أهدافها ... حب الظهور وبئس من يتزعم

قلت: الظاهر أن السلطان إذا نصر المظلوم ولم يتعد في سلطانه، وأقام دعائم العدل وبنائه، وأحسن إلى رعيته وإخوانه، فإنه يكون مأجوراً غير مأزور، ويرحم الله عبد الله بن المبارك حيث يقول:

لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهياً لأقوانا

فالسلطان يجب عليه الورع والصبر والعدل، فإنه لا يرجو السلامة من لم تسلم البرية منه، وقد قيل: أن الدولة التي يحوطها الدين لا تغلب، والنعمة التي يحرسها الشكر لا تسلب، فإذا تمسك ولي الأمر بالملة، وعمل بالسنة، وحافظ على الشريعة، لزم إجلاله واحترامه، فالرشيد لا يستخف بالعلماء، ولا يعرض عن الحكماء، ولا يسيء الاختيار، ولا يغضب ويأخذ بالتأثر إلا ما كان حقاً لله الواحد القهار، فاستخفافه بالعلماء، واعراضه عنهم يثبت جهله، وينفي عقله، وإن من أحسن الاختيار لوزرائه، وعدل في سيرته، وأحسن النية في سيرته، وأجرى أمره على الخاص والعام بالسواء؛ استقام أمره، ومن أعرض عن ذلك ضاعت رعيته، وضعفت سياسته، وبطلت رئاسته، وهاجت عليه العامة، فاستباححت الحرمات، وقطعت الطرقات، ولم ينل منها طيب الوفاء، ولا حسن الثناء، ويرحم الله شوقي حيث يقول:

نجد وأيامنا هازلة ... ونهلك حرصاً على الزائلة

١٢.٢ الملك هبة الله الواحد المنان

ونذهب في الحقد أو في الهوى ... مذاهب بعد غدٍ باطلة

يغيرها دوران الزمان ... ونقلة حالته الخائفة

وكم في هوى النفس من آفة ... وفي غضب النفس من غائلة

ولولا النظام وسلطانه ... قطعنا الطريق على السابلة
ولم ينفع الخلق عند الزحام ... ولم تدفع الشيمة الفاضلة
وما أوحج الركب ركب الحياة ... إلى ما تلهى به القافلة
فراح تقل عليه الهموم ... وتقصر ساعاتها القاتلة
وتغنمه راحة في الفراغ ... على تعب العيشة الشاغلة
الملك هبة الله الواحد المنان

إن الملك هبة الله ونعمته، وفضله ورحمته، فتاج الملك عفافه، وحسن سياسته، وعدله وإنصافه، وسلاحه كفايته، فمن شكر الله النعمة ظفر بمزاده، وبلغ كنه رجائه، فمن حق السائس النبيل أن يسوس نفسه قبل رعيته، ويقهر هواه قبل أن يقهر أصداده، وأن لا يستغش النصيح، كي لا يستحسن القبيح، وأن يستشير النصحاء، ولا يستنكف عن أخذ آراء الصلحاء، فإن من يسأل ويسلم؛ خير ممن يستبد ويندم، فحسن السياسة يورث الاستقرار في الرئاسة، ومن قلد ذوي الفضائل والخبرة استقامت أحواله، ومن قلد ذوي الرذائل اضطربت أعماله.

وقد قيل: إن الاستقامة علة للفلاح والاستدامة، وحسن السيرة حسن القدرة، وحسن السياسة نور الرئاسة، وسوء التدبير سبب التدمير، فالجهل يزل القدم، والبغي يزيل النعم، ومن أعرض عن الحزم والاحتراس وبنى على غير أساس زال عنه العز، واستولى عليه العجز، ومن استشار الجاهل ضل وجهل، ومن جهل موضع قدمه زل.

فالعاقل من الملوك والرؤساء من استعان على سياسته بالعلماء وأهل الرأي، وتذكر أن نعمة الملك والمال يهبها الله لمن يشاء، وينزعها ممن يشاء: { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (١٦) . فاذا نال العاقل ملكا في مختلف البلدان وررفت اعلام السعادة في البر والبحر تذكر هبة المنان وكرم الرحمن واقام شرع الله في تلك الاوطان وادرك ان ذلك فضل الله عليه وشكر المنعم على انعامه واحسانه واحسن الى رعيته واخوانه، والله در احمد شوقي حيث يقول:

ما فوق راحتكم يوم السماح يد ... ولا كأوطانكم في البشر أوطان
نخيلة الله وشتها (٢٦) يده لكم ... فهل لها قيم منكم وجنان (٣٦)
شيدوا لها الملك وأبنوا ركن دولتها ... فالملك غرس وتجديد وبنيان
لو يرجع الدهر مفقوداً له خطر ... لآب بالواحد المبكي ثكلان
الملك أن تعملوا ما استطعتمو عملاً ... وأن يبين على الأعمال إتقان
الملك أن تخرج الأموال ناشطة ... لمطلب فيه إصلاح وعمران

(١٦) - سورة آل عمران الآيتان (٢٦ و ٢٧) .

(٢٦) - وشتها: زحرفتھا.

(٣٦) - جنان: بستاني.

الملك تحت لسان حوله أدب ... وتحت عقل على جنبه عرفان
الملك أن تتلافوا في هوى وطن ... تفرقت فيه أجناس وأديان
نصيحة ملؤها إخلاص صادقة ... والنصح خالصه دين وإيمان
والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة ... أو حكمة فهو تقطيع وأوزان
ونحن في الشرق والفصحى بنو رحيم ... ونحن في الجرح والآلام إخوان

ولله در القائل:

إن الولاية لا تدوم لواحد ... إن كنت تنكره فإين الأول (١٦)

وقال آخر:

ألا ليتني لم أغن في الملك ساعة ... ولم أك في اللذات أغشى النواظر
وكنت كذي طمرين عاش ببلغة ... ليالي حتى زار ضنك المقابر (٢٦)

فكل ملك يزول إلا ملك الله، والله در القائل:

ليس ملكٌ يزيه الموت ملكاً ... إنما الملك ملك من لا يموت

عدل السلطان

إذا وليت أمراً فاجعل العدل خلقك فيه فعمّا قليل أنت ماضٍ ومسئول عنه، قال الشاعر:

إذا كنت في أمر فكن فيه محسناً ... فعمّا قليل أنت ماضٍ وتاركه

(١٦) - المحاسن والمساوي للبيهقي ص ٢٧٦.

(٢٦) - العقد الفريد ج ٣ ص ٨٨.

وقال أبو الفتح البستي (١٦) :

عليك بالعدل إن وليت مملكة ... واحذر من الجور فيها غاية الحذر
فالعدل يقيه أذى احتل من بلد ... والجور يفنيه في بدو وفي حضر

فمن عدل في سلطانه انتهى الظلم عن أعوانه، فالظلم فساد الممالك وخرابها، والله در القائل:

ثلاثة فيهن للملك التلف ... الظلم والإهمال فيه والسرف

أما ابن خفاجه فهو يقول:

فما يستقيم الأمر والمملك جائراً ... وهل يستقيم الظل والعود معوج (٢٦)

فمن عدل في حكمه وكف عن ظلمه نصره الحق، وأطاعه الخلق، وصفت له النعمي، وأقبلت عليه الدنيا، فتهنأ بالعيش، واستغنى عن الجيش، وملك القلوب، وأمن الحروب، وصارت طاعته فرضاً، وأضحت رعيته جنداً، وإن أول العدل أن يبدأ المرء بنفسه، فيلزمها كل خلة زكية، وخصلة رضية، ومذهب سديد، ومكسب حميد، ليسلم عاجلاً، ويسعد آجلاً، وأول الجور أن يعمد إليها فيجنبها الخير، ويعودها الشر، ويكسبها الآثام، ويعقبها المذام، فيعظم وزرها، ويقبح ذكرها.

(١٦) - علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي، (٤٠٠هـ-١٠١٠م)، ولد في بست (قرب سجستان) وإليها

ينسب، وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين، وخدم ابنه يمين الدولة السلطان محمود بن سبكتكين ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر فمات غريباً في بلدة (أوزجند) ببخارى، له (ديوان شعر - ط) صغير، فيه بعض شعره، وفي كتب الأدب كثير من نظمه غير مدون، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها: (زيادة المرء في دنياه نقصان) .

(٢٦) - ديوان ابن خفاجه ج ٣ ص ٣٦٩، وهو/ إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجه الجعوارى الأندلسي، (٤٥٠هـ-

٥٣٣هـ/١٠٥٨-١١٣٨م)، شاعر غزل، من الكتاب البلغاء، غلب على شعره وصف الرياض ومناظر الطبيعة. وهو من أهل

جزيرة شقر من أعمال بلنسية في شرقي الأندلس.

وقد نسب إلى بعض الحكماء: من بدأ بنفسه فساسها أدرك سياسة الناس، فمن أصلح نفسه صلح أمره وكان الناس تبعاً له.

وفي الحديث النبوي: (من أصلح ما بينه وبين الله كفاه الناس، ومن أصلح سريره أصلح الله علانيته) (١٦) .

الرفق والكرم في السياسة

إن سياسة الناس بالرفق والحزم والبذل والسخاء دليلٌ على الكياسة والذكاء، وفي محاضرات الأدباء لأبي معاذ قال: قال أنوشروان: إن هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعف، والشدة في غير عنف، ودخل أبو معاذ على المتوكل حين استخلف فأنشده:
إذا كنت مول الناس أهل سياسة ... فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل
وفي الحديث: (إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ) (٢-)، وفي رواية لمسلم: (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ) (٣-).

- (١٦) - أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ج ٧ ص ٢١٧ حديث (٣٥٤٧٢) .
(٢٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب فضل الرفق حديث (٢٥٩٤) ، وأبو داود في سننه باب الرفق حديث (٤٨٠٨) .
(٣٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب فضل الرفق حديث (٢٥٩٣) .

١٢.٣ اختيار الوزراء

اختيار الوزراء

إن حسن اختيار الوزراء دليل توفيق الولاة، لأن بهم يدير ولاة الأمر دولتهم، وتستقيم أمورهم، ففي اختيار أهل القوة والأمانة، والمعرفة والاستقامة، صلاح الأحوال واستقامتها.

ألا ترى أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يجعل له وزيراً من أهله، قال تعالى حكايةً عن موسى عليه السلام: {وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي} (١٦) ، وهذا يوسف عليه السلام حكا الله عنه قوله لملك مصر بعد أن قال له: {إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} (٢٦) .

وقديماً قيل: "من استوزر غير كفءٍ خاطر بملكه، ومن استشار غير أمين أعان على هلكه"، فلا يغرنك كبير الجسم من صغيره في المعرفة والعلم، ولا طول القامة فيمن قصر في الكفاية والاستقامة، فإن الدرّة في صغرها أنفع من الصخرة في كبرها، واعلم أن الأيدي بأصابعها، والملوك بصنائعها، فإن وزير الملك عينه، وأمينه أذنه، وكتابه نطقه، وحاجبه خلقه، ورسوله عقله، فإذا ولى الكفء الذي يحسن، ويعلم بواطن الأمور وظواهرها، ويعرف موارد الأعمال ومصادرها؛ ظفر بالمراد، فالوزراء أركان الملك وحصون الدولة، فبهم تجمع الأموال، ويقوى السلطان، وتعمّر البلدان، فإن استقاموا استقامت الأمور، وإن اضطربوا اضطربت الأمور، وصار الملك بتسويد أهل الجهل مذموماً، حاله حال من حكى الله عنهم على لسان ملكة اليمن: {قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ} (٣٦) .

(١٦) - سورة طه الآيات (٢٨-٣٢) .

(٢٦) - سورة يوسف الآيات (٥٥ و٥٤) .

(٣٦) - سورة النمل الآيات (٣٤) .

فلا يغرك اختلاف المسميات، فالملك هو من ملك إدارة شؤون الأمة، وملك إصدار قرار تعيين الوزراء والولاة وعزلهم، سواء كان شكل النظام ملكياً أو جمهورياً، فالمسئولية ملقاة على عاتق من يملكون القرار، فإن سودوا أهل الفضل والمعرفة والكفاءة سادوا ودامت رئاستهم، واستقامت ممالكهم، وإن فسد وزراءهم فسدت ممالكهم، وذهب ملكهم، واضطرب أمرهم، وسادت الفوضى بلدانهم، وعم الفساد ممالكهم، وقد جاء في شعر الأفوه الأودي (١٦) :

البيت لا يبتني إلا على عمد ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

فإن تجمع أوتاد وأعمدة ... وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

إذا تولى سراة القوم أمرهم ... نما على ذلك أمر القوم وازدادوا
تلقي الأمور بأهل الرأي قدصلحت ... وإن تولت فبالأشرار تنقاد
كيف الرشاد إذا ما كنت في نفر ... لهم عن الرشد أغلال وأقياد (٢٦)
وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (إذا أراد الله بالأمر خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه،
وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه) (٣٦) .

(١٦) - صلاة بن عمرو بن مالك، أبو ربيعة، من بني أود، من مدح، شاعر يماني جاهلي، لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين
ظاهر الأسنان، كان سيد قومه وقائدهم في حروبهم وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره.
(٢٦) - انظر: الأمالي لعلي بن إسماعيل القالي ج ٢ ص ٢٢٥، منشورات دار الآفاق الحديثة بيروت، والعقد الفريد ج ١ ص ١١،
وروضة العقلاء ص ٤٣٣.
(٣٦) - رواه أبو داود في سننه كتاب الفيء والإمارة باب اتخاذ الوزير، حديث (٢٩٣٢) .
ولله در القائل:

فلكم راجٍ ونحن رعية ... وكل سيلقى ربه فيحاسبه (١٦)
فولي الأمر يجب عليه أن يتحرى العدل في اختيار الوزراء والولاة، قال الأخطل (٢٦) :
تسمو العيون إلى إمام عادل ... معطي المهابة نافع ضرار
وترى عليه إذا العيون لمحنه ... سيم الخليم وهيبة الجبار (٣٦)
ويرحم الله أبا العتاهية حيث يقول:

يا من ترفع بالدنيا وطينتها ... ليس الترفع رفع الطين بالطين
إذا أردت شريف القوم كلهم ... فانظر إلى ملك في زي مسكين
ذاك الذي عظمت في الناس حرمة ... وذاك يصلح للدنيا وللدين
أما الحسن بن هاني فهو يقول:

إمام عليه هيبة ومحبة ... ألا حبذا ذلك المهيب المحب

وقد قيل: من صحب السلطان فلا يجب أن يكتمه نصيحته، لأن من كتم السلطان نصيحته، والأطباء مرضه، والاخوان بته؛ فقد خان
نفسه، فمن يصحب السلطان لا ينحو من الآثام، كما أن راكب العجل لا يأمن

(١٦) - هذا البيت لابن سلام الجمحي، وانظر: طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٣٦٣، والموسوعة الشعرية ص ٥٢٠.
(٢٦) - غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب، شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره
إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق
والأخطل، نشأ على المسيحية في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة
شعره.

(٣٦) - انظر: ديوان الأخطل ص ١٤٩، والعقد الفريد ج ١ ص ٣٨.

١٢٠٤ مما يستعان به على السياسة

العتار، وخير الوزراء من إذا غفل الأمير ذكره، وإن سولت له نفسه سيئة صده، وإن أراد طاعةً نشطه، فهو المحب له إلى الناس،
والمستجلب له دعاؤهم. قال علي بن محمد البسامي:
إذا نسي الأمير قضاء حقٍ ... فإن الذنب فيه على الوزير

لأن على الوزير إذا تولى ... أمور الناس تذكير الأمير
مما يستعان به على السياسة

في أمثال الحكماء: "أربعة لا يزول معها ملك: حفظ الدين، واستكفاء الأمين، وتقديم الحزم، وإمضاء العزم، وأربعة لا يثبت معها ملك: غش الوزير، وسوء التدبير، وخبث النية، وظلم الرعية، وأربعة لا بقاء لها: مال يجمع من الحرام، وحال تعقد من الأثام، ودولة تعرت من العقل، وملك يخلو من العدل، وأربعة لا يطمع فيها عاقل: غلبة القضاء، ونصيحة الأعداء، وتغير الخلق، وإرضاء الخلق، وأربعة لا يخلو منها جاهل: قول بلا معنى، وفعل بلا جدوى، وخصومة بلا طائل، ومناظرة بلا حاصل، وأربعة تؤكد المحبة: حسن البشر، وبذل البر، وقصد الوفاق، وترك النفاق، وأربعة من علامات الكريمة: بذل الندى، وكف الأذى، وتعجيل المثوبة، وتأخير العقوبة، وأربعة يستدل بها على أربعة: العفة على الديانة، والنصيحة على الأمانة، والصمت على العقل، والعدل على الفضل، وأربعة يقضى بها على أربعة: السعاية على الدناءة، والإساءة على الرداءة، والحلف على البخل، والسخف على الجهل، وأربعة تدل على العقل: حب العلم، وحسن السلم، وصحة الجواب، وكثرة الصواب". (١٦)

(١٦) - الفرائد والقلائد ص ٧٠.

وقال أبو حاتم: "إن الواجب على الملك أن يتفقد أمور عمله حتى لا يخفى عليه إحسان محسن أو إساءة مسيء، لأنه إذا جنى عليه أعمال عمله لم يكن قائماً بالعدل"، قال علي بن محمد البساني:

إذا سست قوماً فاجعل العدل بينهم ... شعارك تأمن كل ما تتخوف

وإن خفت من أهواء قوم تشنتاً ... فبالجود فاجمع بينهم يتألفوا (١٦)

فالسطة إنما هي قول الحق والعمل بالعدل، لا التفاجر بالدنيا، واستعمال البذل، فن أوتي السلطة وجب عليه لزوم المشورة، فإن في المشورة صلاح الرعية، ومادة الرأي، قال الشاعر:

إذا نلت الإمارة فاسمُ فيها ... إلى العلياء بالأمر الوثيق

بمحظ خليفة لا عيب فيها ... وليس المحظ كاللبن المذيق

ولا تكُ عندها حلواً فتحسى ... ولا مرّاً فتشرب في الحلوق

فكلُّ إمارةٍ إلا قليلاً ... مغيرة الصديق على الصديق

وقد قال رجل لهشام بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين أحفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيته، قال: هاتهن،

قال: لا تعدن عدة لا تثق من نفسك بإنجازها، ولا يغرنك المرتقى وإن كان سهلاً إن كان المنحدر وعراً، واعلم أن للأعمال جزاءً فاتق

العواقب، وأن للأمر بغتات فكن على حذر، قال الشاعر:

بلاء الناس مذ كانوا ... إلى أن تأتي الساعة

بجب الأمر والنهي ... وحب السمع والطاعة

(١٦) - روضة العقلاء ص ٢٢٣.

١٢٠٥ وملاك الأمر في هذا كله تقوى الله والرجوع إليه.

١٢٠٦ فساد بطانة السلطان

قال أبو حاتم رضي الله عنه: لا يستحق أحد اسم الرئاسة حتى يكون فيه ثلاثة أشياء: العقل، والعلم، والمنطق، ثم يتعرى عن ستة أشياء: عن الحدة، والعجلة، والحسد، والهوى، والكذب، وترك المشاورة، ثم يلزم في سياسته على دائم الأوقات ثلاثة أشياء: الرفق في الأمور، والصبر على الأشياء، وطول الصمت، فن تعرى عن هذه الأشياء وهو ذو سلطان: عمي عليه قلبه، وتشتت عليه أمره، ومن لم يكن فيه

خصلة من هذه الخصال: نقص من ضوء بصر قلبه مثلها، ودخل الخلل في أموره نحوها، وإنما مثل الرئيس والرعية كمثل جماعة ليس فيهم إلا قائد واحد؟ فإن لم يكن ذلك القائد أحد الناس بصرًا، وألطفهم نظرًا كان خليقًا أن يوقعهم وإياه في وهدة تندق أعناقهم وعنقه معهم. (١٦)

وملاك الأمر في هذا كله تقوى الله والرجوع إليه.
فمن حظي من الملوك والرؤساء بتفهم مثل هذه الأمور ترقى في الرئاسة، وأحسن في السياسة، وأصاب في التقدير، وسلم عقاب العليّ القدير.

فساد بطانة السلطان
إذا فسدت بطانة السلطان حل محل عدله جور، واحتاج إلى من يحرسه من حارسه، قال الشاعر:
وساع مع السلطان ليس بناصح ... ومحترس من مثله وهو حارس
وقال آخر:

(١٦) - روضة العقلاء ص ٢٢٦.

١٢٠٧ السياسة الرعاء

إن الأمير إذا استعان بخائن ... كان الأمير شريكه في المأثم (١٦)
السياسة الرعاء

السياسة الرعاء شدة وبلاء، وتعب وشقاء، وسفك للدماء، مازحها الحجاج نفلت أضراره، وداعبها أبو مسلم فأحرقت لباسه، وزارها مصعب بن الزبير فقتلته وحراسه، وأحبها يزيد فقطعت أنفاسه، وصالحها المختار فزقت أحلامه، وأحبها المهلب فابتلعت أساسه، وعشقها المتوكل فسلطت عليه جلاسه، وشربها القاهر فكسرت عليه كأسه، وعانقها بن الزيات فأحرق قرطاسه، وجالسها بن المقفع فأبطلت قياسه، وبقنابل سياسة العميان دمرت اليابان، واحتل الروس الأفغان، ودمروا الشيشان، وجلد المستضعفون شاه إيران، واعتدى الألمان على الجيران (٢٦)، واحتلت أمريكا العراق وأفغانستان، وقتلت الشيوخ والنساء والصبيان، وسار صدام وحزب البعث في خبر كان، وشردت إسرائيل الشعب العربي المسلم في فلسطين، وقتلت الآلاف من المؤمنين تحت سمع وبصر المسلمين، وكثير من الساسة العرب في هو وطرب، يثرون على الرافضات والمغنيات الذهب، ويتنازلون عن الحق بلا سبب، والمنافقون يصفقون لساستهم، ويمدحونهم على سماجتهم، ويغنون لهم بالأعجاب، وتحرسهم الأجناد، فيالها من سياسة تعبانة، تكرم الزنديق وأعوانه، ويتولى الأمور فيها العرييد، ويكرم فيها أمثال الوليد بن يزيد، فكم من ذكي ضيعت مراسه، وكم من غبي أخرجت

(١٦) - خزانة الأدب للبغدادي ج ٩ ص ٣٣.

(٢٦) - مقامات القرني ص (٣٢٠-٣٢١).

١٢٠٨ خساسة السياسة

وسواسه، السياسة بالنفاق نجاسة، وبالغباء تياسه، وبالغدر تعاسة، ... وبالجور خساسة، وبالظلم شراسة، اجتنبها أهل الكياسة، ومات في حبها أهل الرياسة، بذلوا في حبها الدين والحماسة، وما حصلوا إلى على التعاسة، تقاتلوا عليها حسداً ونفاسه، وقديماً قُتل البرامكة لأجلها بحجة عباسة، فأصبحوا بعد الموت خبراً في كراسه، فكم من شجاع أذهبت بأسه، وأسقطت حواسه، وجعلته من أهل الخساسة، وأهلها يسمونهم ساسه، وقد قال بعض الصالحين: سعيد النورسي بالسياسة نسي، ولينين وإستالين قتلوا بالسياسة الملايين، فكتبوا في تاريخ الملاعين، هولاء كو الغازي، وهتلر النازي، قتلوا باسم السياسة الإنسانية، فأصبحوا في الخيانة المنسية.

الكرب أكرم عشرة ... وهو النهاية في الخساسة
من معشر طلبوا الرئاسة ... قبل تحقيق الرئاسة (١٦)
خساسة السياسة

السياسة الخسيسة تفسد النفوس، وتقطع الرؤس، وتضيع الفلوس، وتحمل الناس على اليمين الغموس، فالك في ديار السياسة تجوس، فالعاقل من هرب من ساس يسوس، لان وجهها منحوس، ورأسها منكوس، فنعمت المرزعة وبئست الفاطمة، والله جل وعلا يقول: {تَلَكِ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (٢٦)، والله در القائل:

(١٦) - مقامات القرني ص (٣٢٠) .

(٢٦) - سورة القصص (٨٣) .

١٢٠٩ السياسة الرشيدة والملك المحبوب

من مخبر القوم شطت دارهم ونأت ... إني رجعت إلى كتيبي وأورقي
عفت السياسة حتى ما الم بها ... وقد رددت إليها كل ميثاقي
لأنها جشمتني كل نائبة ... وإنما كلفتني غير أخلاقي
السياسة الرشيدة والملك المحبوب

إن السلطان وان كثر ماله، وعرض جاهه، وكبر عقله، واتسعت معلوماته، لا يستطيع القيام بتدبير شؤون الأمة بنفسه منفردا، ولا يباشر أعمال مملكته كلها بيده، ولا يستطيع رعاية كل إنسان بعينه، وإنما يساعده الأعوان من أهل الصلاح والإيمان على تحقيق ما يريد، ويعاونوه على قضاء حوائجهم، وإقامة دعائم ملكه على العدل، ويشيرون عليه بالأمر الرشيد، وما دام الأمر كذلك فإنه لن يبلغ السلطان قصده وينال إربه وأكثر ما يريد من إدارة شؤون دولته، إلا إذا تحبب إلى الناس ووادهم، وأعانوه وأعانهم، وألفهم وألفوه، ولم يستعل عليهم ويتبع عثراتهم، ويحاول القضاء على أخلاقهم وملكاتهم، فهو يبذل لهم من نفسه مثل ما يريد منهم لنفسه، فيسعى إلى إصلاح ما بينه وبين رعيتهم، يتألف الشارد، ويغضي عن الناقد، ويقيل العثرة، ويعاون ويساعد على الخروج من المحنة، حتى يبني له منزلة رفيعة في صدورهم، وعند ذلك يرفع عرشه على أكفاهم، ويحفر حبه في قلوبهم، وربما قالوا له ما قال شاعر النيل حافظ إبراهيم (١٦) رحمه الله:

(١٦) - حافظ إبراهيم، (١٢٨٨-١٣٥١هـ/١٨٧١-١٩٣٢م)، محمد حافظ بن إبراهيم فحيمي المهندس، الشهير بحافظ إبراهيم. شاعر مصر القومي، ومدون أحداثها نيفاً وربع من القرن. ولد في ذهبية بالنيل كانت راسية أمام ديروط. وتوفي أبوه بعد عامين من ولادته. ثم ماتت أمه بعد قليل، وقد جاءت به إلى القاهرة فنشأ يتيماً. ونظم الشعر في أثناء الدراسة ولما شبّ أتلّف شعر الحدائث جميعاً. التحق بالمدرسة الحربية، وتخرج سنة ١٨٩١م برتبة ملازم ثان بالطوبجية وسافر مع حملة السودان وألّف مع بعض الضباط المصريين جمعية سرية وطنية اكتشفها الإنجليز فحاكوا أعضائها ومنهم (حافظ) فأحيل إلى (الاستيداع) فلجأ إلى الشيخ محمد عبده وكان يراعه فأعيد إلى الخدمة في البوليس ثم أحيل إلى المعاش فاشتغل (محرراً) في جريدة الأهرام ولقب بشاعر النيل. وطار صيته واشتهر شعره ونثره فكان شاعر الوطنية والاجتماع والمناسبات الخطيرة. وفي شعره إبداع في الصوغ امتاز به عن أقرانه توفي بالقاهرة.

لَكَ الْعَرْشَانِ هَذَا عَرْشُ مِصْرٍ ... وَهَذَا فِي الْقُلُوبِ لَهُ مَحَلُّ
فَأَلَّفَ ذَاتَ بَيْنِهِمَا بِرَأْيٍ ... وَعَزَمَ لَا يَكِلُّ وَلَا يَمَلُّ
فَعَرَّشَ لَا تُحْفَ بِهِ قُلُوبٌ ... تُحْفَ بِهِ الْخُطُوبُ وَيَضْمَحِلُّ

والملك المحبوب يجد من شعبه معاونة ظاهرة، ومشاركة له في المسؤولية الملقاة على أكفاه الحكومات والشعوب، وما ينفذ أمره، ولا ينتصر جيشه، ولا تمتلئ بالأموال خزائنه، ولا تقوم المصانع في بلاده، إلا إذا تحبب إلى رعيتهم وأحبوه، وشعرانه واحد منهم، وليس له فضل عليهم، إلا بمنصبه الذي أهله الله له، فلا يستبد بهم، ولا يتعظم عليهم، ولا يستأثر بالمصالح دونهم، وإذا رأوا منه رفقته ورأفة بهم، وتفقد أحوالهم، قالوا له مثل ما قال (المهرمان) لما رأى عمر نائماً في ظل الجدار (أمنه عدله فنام) والملك المحبوب يصدق الناس

في الدعاء له، وفي مناصرته ومؤازرته، وإذا ظهر عليهم حيثه قلوبهم، وهتفت له أسنتهم، وأشارت له بالسلام أيديهم، وإذا شغل عن مقابلتهم والبروز لهم عذروه، واعتقدوا انه في خدمتهم، وإذا مات ترحموا عليه، وانشدوا في رثائه القصائد، ولم يطمئنوا إلى من يأتي بعده، حتى يعلموا منه التأسي بسيرة من قبله، وكلما تحبب إليهم أعجبهم الحق منه، وغضوا أبصارهم عن هفواته، وأصموا أسماعهم عن غلطاته، قال الشاعر:

وإذا المليك بعدله وبفضله ... إلى الرعية فالجميع موالي

١٢٠١٠ طاعة السلطان

وإرى المليك إذا استبد مُهدداً ... بالموت أو بتغير الأحوال (١٦) طاعة السلطان

إن طاعة السلطان الذي يلي أمور الأمة ويسوسها بالعدل ويرعى مصالحها سواءً كان ملكاً أو رئيساً أو أميراً أو إماماً، لا تستقيم شئون الناس وتنصلح أحوالهم إلا بها، وإلا تطيع الأمة أمراءها وولاة أمورها فسدت أحوالها، واضطربت أمورها، واختل أمنها، وتغول القوي على الضعيف، ولهذا أرشد الحق سبحانه وتعالى إلى طاعة أولي الأمر فقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } (٢٦) .

فطاعة الأمراء في المعروف مما تستقيم به أحوال الناس، وتوحد به كلمتهم، وتعمر به ديارهم، وترفف به السعادة على بلدانهم، وهي مع ذلك طاعة لله ولرسوله، ففي الحديث النبوي: (مَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعِصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي) (٣٦) ، ورحم عبد الله بن المبارك حيث يقول:

أطاع الله قومٌ فاستراحوا ... ولم يتجرعوا غُصَصَ المعاصي (٤٦)

(١٦) - إصلاح المجتمع ص (٩٣) .

(٢٦) - سورة النساء الآية (٥٩) .

(٣٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب يقاتل من وراء الإمام حديث (٢٧٩٧) ، ومسلم في صحيحه باب وجوب طاعة الأمراء حديث (١٨٣٥) .

(٤٦) - انظر: الموسوعة الشرعية ص ١٤٤ ، وديوان ابن المبارك ص ٥٢ .

١٢٠١١ الملك مالك الملك والمليك في الأسماء الحسنی

الملك مالك الملك والمليك في الأسماء الحسنی

إن مما يجب على المكلف العاقل أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى الملك

الحق المبين وحده لا شريك له، فهو الملك الأمر التاهي المعز المذل الذي يُصَرِّفُ أمور عباده، وانه وحده لا شريك له ملكاً ومالِكاً ومليكاً وإلهنا واليه نلجأ كما يرشدنا إلى ذلك ويأمرنا جل شأنه: { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ } (١٦) ، فهو الملك الأعظم المطلع على السر والعلانية المحيط بكل شيء، فهو الموصوف بصفة الملك وهو مالك الملك جل جلاله وتقدست أسماؤه، فقد ورد هذا الاسم في التنزيل وفي السنة النبوية وأجمعت عليه الأمة المحمدية، ففي سورة الفاتحة يقول جل شأنه: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } (٢٦) ، وفي قراءة: { مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } (٣٦) ، ... وعن أم سلمة قالت: كان رسول الله عليه وآله وسلم يقول: (الحمد لله رب العالمين) ثم يقف (الرحمن الرحيم) ثم يقف وكان يقرؤها (ملك يوم الدين) (٤٦) .

(١٦) - سورة الناس (٣-١) .

(٢٦) - سورة الفاتحة (٢) .

(٣٦) - هي قراءة نافع وهي قراءة متواترة.

(٤٦) - أخرجه الترمذي في القراءات حديث (٢٩٢٧) وقال: (هذا حديث غريب وبه يقول أبو عبيده ويختاره، هكذا روى يحيى ابن سعيد الأموي عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة، وليس إسناده بمتصل، لأن الليث بن سعد روى هذا الحديث عن ابن أبي مليكة عن يعلا بن مملك عن أم سلمة وحديث الليث اصح) ، وأبو داود في الحروف والقراءات حديث (٤٠٠١) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج (٢) ص (٤٤) واخرج الترمذي أيضاً قراءة (مالك يوم الدين) عن انس حديث (٢٩٢٨) ، وقال عنه الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث الزهري عن انس إلا من حديث هذا الشيخ ايوب بن سويد الرملي، وأخرجه أبو داود في الحروف والقراءات حديث (٤٠٠٠) مرسلًا، والخلاصة ان القراءتين (ملك) و (مالك) متواترتان.

وروي انه كان يقرأ (مالك) والقراءتان متواترتان، وثمرة اعمال القراءتين هو وجوب الإيمان بان الله جل وعلا يوصف بالملك والمالك، قال القرطبي: فأما ملك ومالك فقد جاء في القرآن قال الله تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ} (١٦) ، وقال: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ} (٢٦) ، وعند الترمذي (ملك) و (مالك) وقرأ القراء بهما ورويت القراءتان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأما ملك فجاء أيضاً في القرآن: {فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} (٣٦) ، وهو كثير في أشعار العرب من ذلك: فارض بما قسم المليك فإنما ... قسم الخلاق بيننا علامًا وقال آخر:

تبع خبايا الارض ودع مليكها ... لعلك ان تجاب يوماً فترزقا

وهذا الاسم من أمهات الأسماء لان باب التعديل والتجوير يدور عليه، ووصف التنزيه والكمال في الإثبات معنى يسند إليه (٤٦) ، فهو سبحانه الموصوف بصفة الملك، وهي صفة العظمة والكبرياء والقهر والتدبير، الذي له التصرف المطلق في الخلق والأمر والجزاء، وله جميع العالم العلوي والسفلي كلهم عبيد ومماليك (٥٦) ومضطرون إليه، ومعنى الملك الحقيقي ثابت له

(١٦) - سورة طه (١١٤) .

(٢٦) - سورة آل عمران (٢٦) .

(٣٦) - سورة القمر (٥٥) .

(٤٦) - الآسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي ص (٤٣٨-٤٣٩) .

(٥٦) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٥٩٥ و ١٠٢٣ و ١٠٣٨ ، والجامع لأسماء الله الحسنى ص (٩٦٨) .

سبحانه بكل وجه، وهذه الصفة تستلزم سائر صفات الكمال، فهو سبحانه الرب الحق، الملك الحق، الإله الحق، خلقهم برؤيته وبهرهم بملكه واستعبدهم بالاهيته، فتأمل هذه العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبداع نظام، وأحسن سياق (رب الناس - ملك الناس - إله الناس) وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان وتضمنت معاني أسمائه الحسنى، أما تضمنها لمعاني الأسماء الحسنى:

فان الرب: هو القادر، الخالق، البارئ، المصور، الحي، القيوم، العليم، السميع، البصير، الحسن، المنعم، الجواد، المعطي المناع، الضار النافع، المقدم المؤخر، الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحق من الأسماء الحسنى. وأما الملك: فهو الأمر، الناهي، المعز، المذل، الذي يصرف أمور عباده كما يحب ويقلبهم كما يشاء، وله من معنى الملك ما يستحق من الأسماء الحسنى، كالعزيز، الجبار، المتكبر، الحكم، العدل، الخافض، الرافع، المعز المذل، العظيم، الجليل، الكبير الحسيب، المجيد، الولي، المتعال، مالك الملك، المقسط الجامع إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك.

وأما (الإله): فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، فيدخل في الاسم جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، فقد تضمنت هذه الأسماء

الثلاثة جميع معاني أسمائه الحسنى، فكان المستعبد بها جديراً بان يُعَازِدَ، ويُحْفَظَ، ويُنْعَمَ من الوسواس الخناس، ولا يسلب عليه (١٦) .

ويتضح من هذا العرض ان ملك الله جل وعلا تفرد فيه بالقوة والعظمة والقدرة المطلقة، والضر والنفع، والأفضال والإحسان، والإحياء والإماتة كما قال جل شأنه: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} (٢٠٦) ، وتفرد به بالإحاطة بكل شيء، ونفاذ تصرفه في كل شيء، وحسن تدبيره وحكمته بوضع الأمور في مواضعها، فهو الملك الحق المقدس المنزه، وهو الملك القدوس العزيز الحكيم، وهو المقدم المؤخر، المعطي النافع، الذي يأتي الملك ممن يشاء وينزع الملك ممن يشاء كما يقول جل شأنه {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*تُوجِّعُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوجِّعُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (٣٠٦) .

قال القرطبي: وهذا الاسم من أمهات الأسماء وهو يحتوي على معاني أكثرها، أو على كلها، فليس في الأسماء ما يعارضه، ولهذا انفرد سبحانه اسماً واستحق التسمية به لعشرة أمور لا توجد لغيره:
أحدها: وجود افتقار الملك إليه.

(١٦) - بدائع الفوائد للعلامة الجليل الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية صاحب التأليف الماتعة والأخلاق الفاضلة والفقهاء الغزير، ج (٢) ص (٢٤٩) ، والجامع لأسماء الله الحسنى (٢٦٩) .

(٢٦) - سورة الملك الآيات (١-٢) .

(٣٠) - سورة آل عمران الآيات (٢٦-٢٧) .

والثانية: ان ملك كل الملك منه.

والثالث: انه يقول للشيء كن فيكون.

والرابعة: ثبوت الملك له قبل وجود الملك والمملوك.

والخامسة: استغناؤه عن الأعوان.

والسادسة: عموم الملك في الدنيا والآخرة.

والسابعة: ان جنده لا يحصون كثرة وقوة.

والثامنة: ان ملكه لا يبيد.

والتاسعة: ان العقول تحيل الشركة عليه.

والعاشرة: إحاطته سبحانه بملكه إحاطة لا يغيب عنه منها دقيق ولا جليل: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (١٦) .

وقال القاضي أبو بكر العربي: واختص سبحانه بنعوت - اقتضاها كونه ملكاً - جماعها احد عشر حكماً:

أحدها: انه يعز من يشاء ويذل من يشاء ويستحيل عليه الإذلال.

الثانية: انه المملك لغيره السالب له.

الثالث: انه الممكن لسواه المانع له.

الرابع: انه يولي ويعزل ولا يتوجه عليه بالعزل.

الخامس: انه المنفرد بالعز والسلطان لا يشارك فيه احد.

السادس: انه يقضي ولا يقضى عليه.

السابع: ان الإنفاق إليه، يرزق ولا يرزق، ويعطى ولا يعطى.

الثامن: انه يؤلم ولا يتألم.

(١٦) - سورة الحديد الآية (٣) .

التاسع: انه يضر وينفع، ولا يتوجه عليه الضر والنفع.

العاشر: انه يحرس ولا يحرس.

الحادي عشر: ان العرض عليه، والثواب والعقاب إليه، والعمو لا يرجى إلا لديه، وفي كل نعت منها أية وحديث يدل عليه (١٦) . وقد أحسن من قال:

ملك تدين له الملوك ويلتجى ... يوم القيامة فقرهم بغناه
هو أول هو آخر هو ظاهر ... هو باطن ليس العيون تراه
حجبتة أسرار الجلال فدونه ... تقف الظنون وتخرس الافواه
صمد بلا كفاء ولا كيفية ... أبدا فما النظراء والاشباه
شهدت غرائب صنعه بوجوده ... لولاه ما شهدت به لولاه
واليه أذعنت العقول فآمنت ... بالغيث تؤثر حبها اياه
سبحان من عنت الوجوه لوجهه ... وله سجود أوجه وجباه
طوعا وكرها خاضعين لعزه ... فله عليها الطوع والإكراه
سل عنه ذرات الوجود فانها ... تدعوه معبودا لها رباه
ما كان يعبد من اله غيره ... والكل تحت القهر وهو اله
أبدى بحكم صنعه من نطفة ... بشرا سويا جل من سواه
وبني السموات العلي والعرش ... والكرسي ثم على الجميع علاه
ودحا يبسط الأرض فرشاً مثبتا ... بالراسيات وبالنبات حلاه

(١٦) - الآسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى للإمام شمس الدين أبي عبد الله القرطبي ص (٤٥١-٤٥٢) , راجعه وأشرف على تحقيقه أبو عبد الله مصطفى بن العدوي تحقيق الشحات الطحان, الناشر مكتبة فياض المنصورة مصر الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

١٢٠١٢ ثمرة معرفة اسمه جل وعلا الملك

عن اذنه والفلك والامواه (١٦)
ثمرة معرفة اسمه جل وعلا الملك

من عرف ان الله جل وعلا هو الملك الحق وانه ملك الملوك وانه إلهنا وخالقنا ورازقنا والمتصرف في جميع أمورنا، استغنى عن الخضوع لغيره، وأفرده سبحانه بالعبادة وابتعد عن الحرص والهوى وقد أحسن بعض الشعراء حين قال:

ملك نفسي وكنت عبداً ... فزال رقي وطاب عيشي

أصبحت أرضى بحكم ربي ... ان لم أكن راضياً فأيشي (٢٦)

فإذا علم العبد ما لله من الملك والمملك فحقه ان لا يشح بما ملكه على طريق الوديعه، وان يكون سمح السجية والطبيعة، لأنه إنما استخلف على ما ملك أياماً قليلاً، فان ردها إلى مالكةا أحسن رد، عاد عليه اشرف ملك، ونال عوضاً عنها ارفع ملك، فهو وان كان ملكاً علم انه مملوك لله الذي بيده ملك الدنيا والآخرة، فهو محتاج إلى ربه، فعليه ان يحسن فيما استخلف فيه، فإلكه ملك السماوات والأرض بيده العز والقهر والعظمة، فهو الذي

(١٦) - هذه الأبيات لعبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي نسبة إلى برع وهو جبل مجاور لتهامة باليمن، شاعر متصوف من سكان (النيابتين) بيرع، وقد تغنى بذلك في أكثر من قصيدة ومن ذلك قوله:

تجري الرياح على اختلاف هبوبها ... أفني نيايتي برع تقيم ... وقد رحل الأحبة يا نديم!؟

وشعره يسيل بعذوبة اللفظ، وجمال السبك، ولطف المآخذ، ونظارة الأسلوب، وحسن الإشارة، وانتقاء العبارة، وله في مدائح النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكثير من القصائد التي كثيراً ما تتردد على لهوات المنشدين، ونسب إليه بعض العلماء الغلو في ذلك، وله أيضاً من القصائد ما ضمنها محامد أثنى بها على الله عز وجل فأبدع وأجاد، وديوانه مطبوع مشهور متداول، توفي سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م.

(٢٦) - فأيشي: أي فاي شيء

يعطي الملك وينزعه، ويبيد الدول ويقيمها، وإذا كان الله بهذه القدرة يسامح ويعفو ويعين ويصدق الوعد، فإن من ملكه الله شيئاً وجب عليه أن يعين ويعفو وان يعدل وان يحسن السياسة ويصدق الوعد، ويتعد عن الظلم فقد جاء في الحديث النبوي: (ثلاثة لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (١٦) ، وذكر منهم ملكاً كذاباً، وهذا الوعيد يأتي لأنه ليس من شيم الملك الذي يتصرف بقدرة وحنكة الكذب وإنما هو خصلة قبيحة، لذلك فإن المؤمن يجب عليه ان يتنزه عن ذلك، وأن لا يكون كما قيل:

رُزِقْتُ مُلْكًا فَلَمْ أَحْسِنِ سِيَاسَتَهُ ... وَكُلُّ مَنْ لَا يُسُوسُ الْمُلْكَ يَخْلَعُهُ
وَمَنْ عَدَا لِإِسَاءَتِ النَّعِيمِ بِلَا ... شُكْرِ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزَعُهُ (٢٦)

ومن عرف ان الله ربه ومالكة ومعبوده وجب عليه ان لا يخاف إلا ربه ولا يرجو إلا مالكة، وان يفرد بالعبادة والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والخضوع له والصدق معه ومع إخوانه المؤمنين، فهو وحده سبحانه بيده الضر والنفع، والعطاء والمنع.

(١٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب بيان غلظ تحرير إسيال الأزار حديث (١٠٧) .

(٢٦) - ديوان ابن زريق البغدادي، (٢٠٤٢٩هـ/١٠٢٩م) أبو الحسن علي (أبو عبد الله) بن زريق الكاتب البغدادي، انتقل إلى الأندلس وقيل إنه توفي فيها، وله قصيدة عينية أسماها قر في بغداد مطلعها:

لا تعذليه فإن العذل يولعه ... قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

١٢٠١٣ دعاء الله باسمه الملك والمالك ملك الملك

دعاء الله باسمه الملك والمالك ملك الملك

إن الله جل وعلا مالك ملك السماوات والأرض، ومالك الكون بمن فيه يسمع ويجيب من يناديه، وكفاني نفراً يا مالك الملك العظيم يا رب العرش الكريم يا ذا الجلال والإكرام إني لك عبد في العبيد، فوفقني والمؤمنين لطاعتك لننال رضاك ونحظى منك بما نريد، فانك أنت الله الملك الكريم الجواد المجيب، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، وقد أحسن القائل:

أَغْيِبْ وَذُو اللَّطَائِفِ لَا يَغِيبُ ... وَأَرْجُوهُ رَجَاءَ لَا يَخِيبُ
وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ زَمَانٍ ... بَلِيَتْ بِهِ نَوَائِبُهُ تَشِيبُ
وَأَنْزَلْ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالٍ ... إِلَى مَنْ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ
وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي ... زَمَانُ الْجُورِ وَالْجَارِ الْمَرِيبِ
فَكَمْ لِلَّهِ مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرِ ... طَوْتَهُ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ الْغُيُوبِ
وَكَمْ فِي الْغَيْبِ مِنْ تَيْسِيرِ عَسْرِ ... وَمَنْ تَفْرِجُ نَائِبَةَ تَنُوبِ
وَمَنْ كَرَّمَ وَمَنْ لَطَفَ خَفِي ... وَمَنْ فَرَجَ تَزُولَ بِهِ الْكُرُوبِ
وَمَالِي غَيْرِ بَابِ اللَّهِ بَابٍ ... وَلَا مَوْلَى سِوَاهُ وَلَا حَبِيبِ
كَرِيمٍ مَنْعَمٍ بِرِّ لَطِيفٍ ... جَمِيلِ السِّتْرِ لِلدَّاعِي مَجِيبِ
حَلِيمٍ لَا يَعْجَلُ بِالْخَطَايَا ... رَحِيمٍ غِيَمَ رَحْمَتِهِ يَصُوبِ

فِيَا مَلِكِ الْمُلُوكِ أَقْلَ عِثَارِي ... فإني عنك أنأتني الذنوب (١٦)
وجاء في الذكر الحكيم: {لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ
إِلَيْهِ جَمِيعًا} (٢٦) .

(١٦) - انظر ديوان البرعي.

(٢٦) - سورة النساء (١٧٢) .

١٣ الفصل الثاني عشر الشكر

الفصل الثاني عشر
الشكر

١٣٠١ الشكر

الشكر

الشكر يديم النعمة، ويزيل المحنة، فتجارته رابحة، ومكاسبه فاضلة، وقد عرّف العلماء شكر الله بأنه: ظهور نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه انقياداً وطاعة وقيل الشكر صرف النعم فيما خلقت له ، واستعمالها فيما شرعت لأجله. فلسان الشاكر مشغولٌ بالثناء على ربه، معترف بنعمه، وقلبه مملوء بحب الله، وجوارحه مشغولة بطاعة الله، لهذا كان الشكر من مظاهر العبادة التي دعا إليها القرآن، قال جل شأنه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (١٦) ، ويرحم الله علي بن الجهم حيث يقول:

إِذَا جَدَّدَ اللَّهُ لِي نِعْمَةً ... شَكَرْتُ وَلَمْ يَرِنِّي جاحِداً

وَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ بِالْعَائِدَاتِ ... عَلَيَّ مِنْ يَجُودِ بِهَا عَائِداً

فكلمة الشكر من الكلم الجوامع، لأنها تنتظم كل خير، وتشمل كل ما يصلح به قلب الإنسان ولسانه وجوارحه، فالذي لا يحب الله ولا يشهد قلبه بأن ما فيه من النعم إنما هو من الله فضلاً وإحساناً ليس بشاكر، وقد جاء في شعر محمود الوراق (٢٦) :

إِذَا كَانَ سُكْرِي نِعْمَةَ اللَّهِ نِعْمَةً ... عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

فَكَيْفَ بَلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ ... وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ

(١٦) - سورة البقرة الآية (١٧٢) .

(٢٦) - محمود بن حسن الوراق من الفضلاء والأدباء أكثر شعره في المواعظ والحكم مات نحو سنة ٢٢٥هـ في عهد المعتصم.

إِذَا مُسَّ بِالسَّرَاءِ عَمَّ سُرُورُهَا... وَإِنْ مُسَّ بِالضَّرَاءِ أَعَقَبَهَا الْأَجْرُ

وَمَا مِنْهَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ ... تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبُرُّ وَالْبَحْرُ (١٦)

فن لا يثني على ربه، ولا يحمده بلسانه؛ لم يكن شاكراً، ومن يخض في الباطل، ويشغل لسانه بلغو القول، وسمعه بلهو الحديث؛ ليس بشاكر، ومن أعطي من العلم شيئاً فكتمه ليس بشاكر، ومن بخل عن صرف المال في وجوه الخير والبر؛ ليس بشاكر، ومن لم يحافظ على النعمة بالشكر عرضها للزوال والانتقال، قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ... فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمَ

وَحَافِظِ عَلَيْهَا بِتَقْوَى الْإِلَهِ ... فَإِنَّ الْإِلَهَ سَرِيعُ النَّقْمِ

فَإِنْ تَعَطَّ نَفْسَكَ آمَالَهَا ... فَعِنْدَ مُنَاهَا يَجُلُّ النَّدَمُ
 فَإِنَّ الْقُرُونَ وَمَنْ حَوْلَهُمْ ... تَفَانُوا جَمِيعاً وَرَبِّي الْحَكَمُ
 وَكُنْ مُوسِراً شَتَّتَ أَوْ مُعْسِراً ... فَلَا بَدَّ تَلْقَى بِدُنْيَاكَ غَمٌ
 وَدُنْيَاكَ بِالْغَمِّ مَقْرُونَةٌ ... فَلَا يُقَطِّعُ الْعُمُرُ إِلَّا بِهِمْ
 حَلَاوَةٌ دُنْيَاكَ مَسْمُومَةٌ ... فَلَا تَأْكُلِ الشَّهْدَ إِلَّا بِسْمِ
 مُحَمَّدٍ دُنْيَاكَ مَذْمُومَةٌ ... فَلَا تَكْسِبِ الْحَمْدَ إِلَّا بِذِمِّ
 إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَأَ نَقْصُهُ ... تَوَقَّ زَوَالاً إِذَا قِيلَ تَمَّ
 فَكَمْ أَمِينٍ عَاشَ فِي نِعْمَةٍ ... فَمَا حَسَّ بِالْفَقْرِ حَتَّى هَجَمَ
 وَكَمْ قَدَرٍ دَبَّ فِي غَفْلَةٍ ... فَلَمْ يَشْعُرِ النَّاسَ حَتَّى هَجَمَ

(١٦) - انظر روضة الأمل ج ٤ ص ١٠٤.

١٣٠٢ استدامة النعمة بالشكر

استدامة النعمة بالشكر

نعم الله على الإنسان كثيرة، وخيراته وفيرة، ولا بقاء للنعمة إلا بالشكر، وقد أثر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: "قيد النعم بالشكر، والعلم بالكتابة"، وقال الحسن البصري: "نعم الله أكثر من أن تشكر إلا ما أعان عليه، وذنوب ابن آدم أكثر من يسلم منها إلا ما عفا عنها".

وقد قال محمد بن عبد الملك (١٦): "أنه لو لم يكن في فضل الشكر إلا أنه لا يرى إلا بين نعمتين حاضرة ومنتظرة"، وقد سؤل ابن الأعرابي (٢٦): كيف تراهما يا أبا عبد الله قال: أحسن من قرطي در وياقوت بينهما وجه حسن". (٣٦)

وجاء في شعر الحكمة المنسوب للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَهَا ... إِذَا أَطَاعَ اللَّهُ مَنْ نَالَهَا
 مَنْ لَمْ يُوَاسِ النَّاسَ مِنْ فَضْلِهِ ... عَرَّضَ لِلْإِدْبَارِ إِقْبَالَهَا
 فَاحْذَرِ زَوَالَ الْفَضْلِ يَا جَابِرُ ... وَأَعْطِ مِنْ دُنْيَاكَ مَنْ سَالَهَا
 فَإِنَّ ذَا الْعَرْشِ جَزِيلُ الْعَطَا ... ءِ يُضَعِفُ بِالْحَبَّةِ أَمْثَالَهَا
 وَكَمْ رَأَيْنَا مِنْ ذَوِي ثَرَوَةٍ ... لَمْ يَقْبَلُوا بِالشُّكْرِ إِقْبَالَهَا

(١٦) - هو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة المعروف بابن الزيات وزير المعتصم والواثق العباسيين، انظر ترجمته في تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٩٢.

(٢٦) - هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي راوية نسابة عالم باللغة توفي سنة ٢٣١ هـ انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٩٢.

(٣٦) - خاص الخالص للعلامة عبد الملك بن محمد الثعالبي تحقيق درويش الجويدي، ص ٢٦، الناشر: المكتبة العصرية بيروت الطبعة ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م.

تَاهُوا عَلَى الدُّنْيَا بِأَمْوَالِهِمْ ... وَقَيَّدُوا بِالْبُخْلِ أَقْفَالَهَا
 لَوْ شَكَرُوا النِّعْمَةَ زَادَتْهُمْ ... مَقَالَةً لِلَّهِ قَدْ قَالَهَا

لئن شكرتم لأزيدنكم ... لكنما كفرهم غالها
من جاور النعمة بالشكر لم ... يخش على النعمة مغلها
والكفر بالنعمة يدعو إلى ... زوالها والشكر أبقى لها (١٦)

وقيل: "من أعطي أربعاً لم يعد أربعاً: من أعطي الشكر لم يعد المزيد، ومن أعطي التوبة لم يعد القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يعد الخيرة، ومن أعطي المشورة لم يعد الصواب"، فلا زوال لنعمة إذا شكرت، ولا دوام لها إذا كفرت.

قال المأمون لثامة (٢٦): أيهما أفضل الشاكر أم المنعم؟ فقال: المنعم، أمنُّ فعلاً، وأعلى في فعله فضلاً، لأن الإنعام لقاح الشكر، وبه يستهل سبيل الشاكر إلى جميل الشكر، فجالب الشكر أكد سبباً من الشكر، فقال المأمون: ما علمت شيئاً، بل الشكر أفضل، والقول بتقديمه أعدل، لأن الشكر يمتري المزيد، ويحكم عقد النعمة بالتوطيد، وموجب النعمة أفضل من النعمة، فالنعمة إلى نفاذ، ويسير الشكر باقٍ إلى المعاد، ومن فضله ندب الله عباده إليه، وحظهم عليه، وأوجب لهم المزيد بإدامته، قال الشاعر:

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد ... لعزة نفس أو علو مكان
لما أمر الله الحكيم بشكره ... فقال اشكروا لي أيها الثقلان

(١٦) - ديوان الإمام علي رضي الله عنه.

(٢٦) - ثمامة بن أشرس البصري المتكلم من رؤس المعتزلة كان أحد الفصحاء البلغاء اتصل بالرشيد ثم بالمأمون، كان ذا نوادر وملح.

١٣.٣ شكر الخالق واجب

وقيل: من أراد أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليثق بالله تعالى، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه، ومن أحب بقاء جميع ذلك فليشكر الله تعالى دائماً. (١٧)
وقد جاء في محكم الذكر الحكيم: {بَلِ اللّٰهُ فاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (٢٦) .
شكر الخالق واجب

إن من أنفع القربات، وأهم الواجبات؛ شكر الخالق على نعمه، فإن من غفل عن ذلك، وتجاهل نعم الله عليه فإنه يكون مقترفاً لأشد أنواع الجحود، فشكر النعمة مما تألفه النفوس، فالناس ينكرون على الشخص الذي لا يسدي الشكر لمن أحسن إليه، ويسمون به بالجحود والكفران، فكيف بالله الذي أسدى من النعم ما لا تحصى، وخلق الإنسان أفضل النعم، وفي محكم التنزيل: {والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون} (٣٦)، وفي سورة يس يذكرنا بالنعم العزيز الحكيم حيث يقول: {وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون* وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وجرنها فيها من العيون* ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون} (٤٦) .

وفي نعمة إجراء الأنهار، وتسخير البحار، والاستمتاع بالنعم الغزار؛ من الفضل ما لا يحصيه إلا العزيز الغفار، وفي سورة الجاثية: {اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٥٦) آية واضحة تدل على عظم نعمة التسخير. وفي اختلاف الليل والنهار من النعم الكبيرة، والخيرات الوفيرة؛ ما يدعو إلى الشكر والثناء على القوي القدير، وفي سورة القصص آيات واعتبار، تدل على نعم العزيز الجبار، قال تعالى: {قل أرايتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون* قل أرايتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفلا تبصرون* ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون} (٦٦) .

فأحسن كل حسن نعمة مشكورة، وحق الله في العسر الرضى والصبر، وفي اليسر البر والشكر، وقال بعض الصالحين: إني لأصاب بالمصيبة فأشكر الله عليها أربع مرات: شكراً إذ لم تكن أعظم مما هي، وشكراً إذ رزقني الصبر عليها، وشكراً لما أرجوه من زوالها، وشكراً إذ لم تكن في ديني، وقال أبو الفرج البغاء (٧٦) :

(١٦) - أنس المسجون وراحة المخزون تأليف صفي الدين أبي الفتح عيسى بن البحترى الحلبي، تحقيق محمد أديب الجاور، ص ٣٥. الناشر: دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٢٦) - سورة الزمر الآية (٦٦) .

(٣٦) - سورة النحل الآية (٧٨) .

(٤٦) - سورة يس الآيات (٣٣-٣٥) .

(٥٦) - الآية (١٢) .

(٦٦) - سورة القصص الآيات (٧١-٧٣) .

(٧٦) - لقب بالبغاء لفصاحته وقيل: بل للتغة في لسانه، انظر: يتيمة الدهر للثعالبي ج ١ ص ٢٠٠، ووفية الأعيان لابن خلكان ج ٣ ص ١٩٩.

صَبْرْتُ وَلَمْ أُحْمَدِ عَلَى الصَّبْرِ شَيْمِي ... لِأَنَّ مَالِي لَوْ جَزَعْتُ إِلَى الصَّبْرِ
وَلِلَّهِ فِي أَثْنَاءِ كُلِّ مُلْهَةٍ ... وَإِنْ أَلَمْتُ لَطَفٌ يَحُضُّ عَلَى الشُّكْرِ

والشكر وإن قل فهو ثمن لكل نوال وإن جل، وقيل: ثلاث يبلغ بها الإنسان ما يجب: حسن الظن بالله تعالى، والمكافئة على القبيح بالجميل، وشكر الله على الشدة.

وقد نسب إلى الحسن البصري أنه قال: "الخير الذي لا شرف فيه: الصبر مع النازلة، والشكر مع النعمة"، قال الإمام علي رضي الله عنه:
لَيْتَ سَاءَ نِي دَهْرٌ لَقَدْ سَرَّنِي دَهْرٌ ... وَإِنْ مَسَّنِي عُسْرٌ فَقَدْ مَسَّنِي يُسْرٌ
لِكُلِّ مَنِ الْأَيَّامِ عِنْدِي عَادَةٌ ... فَإِنْ سَاءَ نِي صَبْرٌ وَإِنْ سَرَّنِي شُكْرٌ

وقيل: "من تلقى أوائل النعم بالشكر ثم أمضاها في سبيل البر فقد حرسها من الزوال وحصنها من الانتقال". قال الشاعر:
يُدُّ الْمَعْرُوفُ غَنَمٌ حَيْثُ كَانَتْ ... تَحْمَلُهَا شُكُورٌ أَوْ كُفُورٌ
فَفِي شُكْرِ الشُّكُورِ لَهَا جِزَاءٌ ... وَعِنْدَ اللَّهِ مَا كَفَرَ الْكُفُورُ
ومما ينسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت".

١٣٠٤ من شكر الله شكر الناس

من شكر الله شكر الناس

إن نفوس الأبرار تأبى إلا أن تشكر من أحسن إليها وأوصل معروفاً إليها، وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) (١٦) .

ويرحم الله صالح بن عبد القدوس (٢٦) حيث يقول:

لَأَشْكُرَنَّ هَمَاماً فَضَّلَ نِعْمَتَهُ ... لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَا (٣٦)

وقال آخر:

إذا الشافع استقصى لك الجهد كله ... وإن لم تتل نجحاً فقد وجب الشكر

وفي امثال العرب اذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر، وقيل: الشكر ترجمان النية ولسان الطوية، وشكر المولى هو الأولى، قال الشاعر (٤٦)

لَهُ عَلَيَّ أَيَادٍ لَسْتُ أَكْفُرُهَا ... وَإِنَّمَا الْكُفْرُ إِلَّا تُشْكِرَ النِّعَمَ

وفي الامثال السائرة النعم اذا شكرت قرت، واذا كفرت فرت (٥٦) ، والله در القائل:

(١٦) - رواه الترمذي في سننه باب ما جاء في الشكر لمن أحسن حديث (١٩٥٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢٦) - صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس الأزدي الجذامي، أبو الفضل، شاعر حكيم، كان متكلماً يعظ الناس في البصرة، له مع أبي الهذيل العلاف مناظرات، وشعره كله أمثال وحكم وآداب، اتهم عند المهدي العباسي بالزندقة، فقتله في بغداد. قال المرتضى: (قيل: رؤي ابن عبد القدوس يصلي صلاة تامة الركوع والسجود، فقيل له: ما هذا ومذهبك معروف؟ قال: سنة البلد، وعادة الجسد، وسلامة الولد!) وعمي في آخر عمره.

(٣٦) - حماسة البحري ص ١٠٩.

(٤٦) - غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، من فحول الطبقة الثانية في عصره، (٧٧-١١٧هـ/٦٩٦-٧٣٥م) قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة، كان شديد القصر دميماً، يضرب لونه إلى السواد، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين وكان مقيماً بالبادية، يختلف إلى اليمامة والبصرة كثيراً، امتاز بإجادة التشبيه، قال جرير: لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته (ما بال عينيك منها الماء ينسكب) لكان أشعر الناس، عشق (مئة) المنقرية واشتهر بها، توفي بأصبهان، وقيل: بالبادية.

(٥٦) - معجم كنوز الامثال ص ١٤٣.

شكرت فإن الشكر حظ من التقى ... وما كل من أوليته نعمة يقضي (١٦)

وقد رأى بعض الشعراء أن محاولة الزيادة عند الله والناس لا تكون إلا بالشكر، لأن الناس لا يحمدون من لا يحسن إليهم فقال:

الناس أكيس من أن يحمدوا أحداً ... حتى يروا عنده أثار إحسان (٢٦)

غير أن هناك من يرى أن من الناس من لا يحمد الفضل فزهده ذلك في فعل الخير فقال:

يُزْهِدُنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ فَعَلَّتُهُ ... إِلَى النَّاسِ مَا جَرَّبْتُ مِنْ قِلَّةِ الشُّكْرِ (٣٦)

وقال احمد شوقي:

لَا تَمْنَحَ الْمَحْبُوبَ شُكْرَكَ كُلَّهُ ... وَاقْرِنِ بِهِ شُكْرَ الْأَجِيرِ الْمُجْهِدِ

أما المتنبي فهو يقول:

إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعْكَ عَن شُكْرِنَا قِصٍ ... عَلَى هِبَةٍ فَالْفَضْلُ فِيمَن لَّهُ الشُّكْرُ

وفي الحديث النبوي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن

وظنوا أنفسكم إذا أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا) (٤٦) .

(١٦) - الأمالي لأبي علي القالي ج ١ ص ٣٠.

(٢٦) - هذا البيت للشاعر عبد الملك الحارثي من قصيدة مطلعها:

يَا أُخْتِ كِنْدَةَ عَافِي شُرْبَ عُثْمَانَ ... وَأَزْمِعِي لِبَنِي عَوْفٍ بِهَجْرَانِ

(٣٦) - هذا البيت ليحيى بن طالب، وقد ورد مستشهداً به في: الأمالي لأبي علي القالي ج ١ ص ١٢٣ ، وعيون الاخبار لابن قتيبة

ج ٣ ص ١٦٢ ، والموسوعة الشعرية ص ٤١٠ .

(٤٦) - رواه الترمذي في البر باب ما جاء في الإحسان والعتو حديث (٢٠٠٧) .

١٣٠٥ الشكر فيه الزيادة

الشكر فيه الزيادة

من أعطي وشكره؛ زاده الله وشكره، وإن من أفاضل الناس من إذا أعطوا آثروا، وإن أنعموا شكروا، وقيل: إن الشكر من الله بأحسن المواضع؛ فازدد منه تزدد به، وحافظ عليه تحفظ به، وفي محكم التنزيل: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} (١٦) .

وقد اقتبس بعض الشعراء هذا المعنى وضمنه في قوله:

اشكر ولا تكفر تزد نعمة ... واتل مقالاً من حكيم حميد

لئن شكرتم لأزيدنكم ... وإن كفرتم فعذابي شديد

وأوصى عبد الله بن شداد بن الهاد (٢٦) ولده فقال: "يا بني إني أرى الموت لا يقلع، وما مضى فليس يرجع، ومن بقي فالإله يسرع، وإني أوصيك بوصية فاحفظها: اتق الله وليكن أولى الأمور بك الشكر لله، وحسن النية في السر والعلانية، فإن الشكر مزاد والتقوى خير زاد"، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أهل الشكر في مزيد من الله". قال الشاعر:

الشكر أفضل ما حاولت ملتمساً ... به الزيادة عند الله والناس (٣٦)

الثناء على أهل الشكر

(١٦) - سورة ابراهيم الآية (٧) .

(٢٦) - هو عبد الله بن شداد الليثي الفقيه الكوفي خرج مع بن الأشعث فقتل ليلة دجيل - نهر ببغداد - سنة ٨٢ هـ وانظر: سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٨٨ .

(٣٦) - حماسة البحري ص ١٠٨ ، والموسوعة الشعرية ص ٤٠٩ .

لقد أثنى الله على أنبيائه الشاكرين لآلائه ووصف نبياً من أنبيائه بأنه كان أمةً شاكراً لأنعم الله فقال جل شأنه: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لَّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (١٦) ، فالله جل وعلا يشكر من شكره، ويرفع من ذكره.

ومن الشكر الذي يشكره الله فعل الطاعات واجتناب المقبحات، والمسارة إلى فعل الخيرات، وتعظيم شعائر الله المقدسات، ... وفي محكم التنزيل: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} (٢٦) .

وأثنى الله تعالى على نبيه نوح عليه السلام لحميد فعاله وكثير ثنائه على الله تعالى فقال: {ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} (٣٦) ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (كان نوح لا يحمل شيئاً صغيراً أو كبيراً إلا قال: بسم الله والحمد لله

فسماه الله عبداً شكوراً) (٤٦) وفي رواية: (كان نوح إذا طعم طعاماً أو لبس ثوباً حمد الله فسمي عبداً شكوراً) (٥٦) .

قصة من قصص الشاكرين لرب العالمين:

(١٦) - سورة النحل الآيتان (١٢٠ و ١٢١) .

(٢٦) - سورة النحل الآية (١٥٨) .

(٣٦) - سورة الإسراء الآية (٣) .

(٤٦) - رواه ابن مردويه .

(٥٦) - رواه الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هـ في المستدرک باب ومن تفسير سورة بني اسرائيل حديث (٣٣٧١) . وفي ذيله: تلخيص المستدرک للإمام الحافظ الحجة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد

الذهبي المتوفى سنة ٨٤٨هـ. دار الفكر - بيروت - ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، والبيهقي في شعب الإيمان حديث (٤٢٩٧) ، والطبراني في الكبير حديث (٥٢٨٢) .

١٣٠٦ الشكر أمان من العذاب

وروت عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى قام حتى تفتط رجلاه، فقلت له: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟) (١٦) .

الشكر أمان من العذاب

إن منفعة الشكر لا تعود على الخالق سبحانه وتعالى فهو الغني ولكنها تعود على الشاكر من عباده، فهو يطهر النفس، ويقربها من بارئها، ويوجه إرادتها إلى الوجهة الصالحة في وجوه البر، وقد جاء في محكم التنزيل: { وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } (٢٦) ، فالله جل وعلا لا يضل من أمن به وذكره وطلب هدايته، ولا يعذب من شكره، قال تعالى: { مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتَمْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا } (٣٦) ، ولكن الناس مع عظيم نعم الله عليهم قليلٌ شكرهم، قال تعالى: { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ } (٤٦) ، وقال تعالى: { اْعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } (٥٦) .

سؤال الشكر من الله نعمة

إذا كان الشكر صفة الأبرار وسمة الأحرار يوفي الله الشاكر جزاءه ويرفع جنابه ويضاعف ثوابه ويحفظ عليه نعمته ويديم الله عليه نعمته

(١٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة حديث (٢٨٢٠) ، والبخاري في صحيحه باب قيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث (١٠٧٨) ، واللفظ لمسلم.

(٢٦) - سورة لقمان الآية (١٢) .

(٣٦) - سورة النساء الآية (١٤٧) .

(٤٦) - سورة النمل الآية (٧٣) .

(٥٦) - سورة سبأ الآية (١٣) .

ويصرف عنه نعمته وعذابه، فإنه حري بالإنسان المؤمن أن يسأل الله أن يجعله من الشاكرين لنعمائه، وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) (١٦) .

والشكر يكون بالجنان: القلب واللسان والأركان، فهو أخص من الحمد من جهة وأعم من جهة أخرى، لأنه يكون بالقول والفعل والنية، فبينهما عموم وخصوص.

وقد كان من أدعية النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (تم نورك فهديت فلك الحمد، عظم حلمك فغفوت فلك الحمد، بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد، ربنا وجهك أكرم الوجوه، وجاهك أعظم الجاه، وعطيتك أفضل العطية وأهنؤها، تطاع ربنا فتشكر، وتعصى ربنا فتغفر، وتجب المضطر، وتكشف الضر، وتشفى السقيم وتغفر الذنب، وتقبل التوبة، ولا يجزئ بالآثك أحد، ولا يبلغ مدحتك قول قائل) (٢٦) ، وفي الذكر الحكيم: { وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ } (٣٦) .

وجاء في أدعية بعض الصالحين: (كم من نعمة أنعمتها علي قل لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قل لك عندها صبري، فيا من قل شكري عند نعمه فلم يجرمني، ويا من قل صبري عند بلائه فلم يخذلني، ويا من رأي على المعاصي والذنوب العظام فلم يهتك ستري، ويا ذا المعروف

(١٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب في الاستغفار حديث (١٥٢٢) .

(٢٦) - أخرجه الإمام الحافظ أبو يعلى محمد بن الحسن الفراء الحنبلي المتوفى سنة ٤٥٨هـ. في مسنده حديث (٤٤٥) .

(٣٦) - سورة آل عمران الآية (١٤٥) .

١٣٠٧ بحود النعمة والإعراض عن الشكر سبب في الهلاك

الذي لا ينقضي، ويا ذا النعم التي لا تحول ولا تزول صل على محمد وعلى آل محمد واغفر لنا وارحمنا (١٦) .
بحود النعمة والإعراض عن الشكر سبب في الهلاك

إن بحود النعم وكفرانها سبب لزوالها وانتقالها، فمن كفر بالنعمة فقد عرض نفسه للهلكة والنقمة، وعرض النعمة للزوال، فمن أضرع الشكر فقد خاطر بالنعمة، وقد قال الإمام علي رضي الله عنه: "الشكر أمانة من الزوال، وجنة من الانتقال"، وفي إخبار الأمم الماضية عظة واعتبار: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} (٢٦) ، وفي سورة سبأ النبأ اليقين، والعظة للمتقين، والتحذير من سلوك سبيل الجاحدين، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِیْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ* ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ} (٣٦) .

فالشكر من دعائم سعادة الأمم، والتشكر عنه لا يجلب غير الخراب والدمار والندم، فمن شكر وتفكر أفلح، ومن تكبر وأعرض هلك ولم ينجح .

(١٦) - من أدعية الإمام علي بن الحسين رضي الله عنه رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٤٤١٢) .

(٢٦) - سورة النحل الآية (١١٢) .

(٣٦) - سورة سبأ الآيات (١٥-١٧) .

١٣٠٨ الشكور الشاكر من أسماء الله الحسنى

الحمد لله حمداً لا شريك له ... من لم يقلها فنفسه ظلم (١٦)

الشكور الشاكر من أسماء الله الحسنى

الشكور هو الذي يدوم شكره ويعم كل مطيع وكل صغير من الطاعة أو كبير فضله وإحسانه، والشاكر قال الحليمي: معناه المادح لمن يطيعه والمثني عليه، والمثيب له بطاعته فضلاً من نعمته (٢٦) ، وقد جاء هذا الاسم في محكم التنزيل قال تعالى: {وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} (٣٦) ، وقال تعالى: {وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} (٤٦) .

فالشاكر والشكور لا يضيع سعي العاملين لوجهه بل يضاعفه أضعافاً مضاعفة، فإن الله لا يضيع اجر من أحسن عملاً (٥٦) ، ومع انه سبحانه هو الذي وفق المؤمنين لمرضاته، فانه شكرهم على ذلك وأعطاهم من كراماته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وكل هذا ليس حقاً واجباً عليه وإنما هو الذي اوجب على نفسه جوداً منه وكرماً (٦٦) ، واسمه سبحانه وتعالى الشكور، ورد في عداد الأسماء الحسنى ونطق به الذكر الحكيم، ولا خلاف في جواز إجرائه على العبد ان كان وصفاً منكراً، يدل

(١٦) - هذا البيت للنايعة الجعدي .

(٢٦) - البيهقي في الأسماء والصفات ص (٩١) ، والجامع لأسماء الله الحسنى ص (١٧٢) .

(٣٦) - سورة البقرة (١٥٨) .

(٤٦) - سورة التغابن (١٧) .

(٥٦) - شرح أسماء الله الحسنى للقحطاني ص (١٢٤) .

(٦٦) - الحق الواضح المبين ص (٧٠) ، وشرح أسماء الله الحسنى للعلامة القحطاني ص (١٢٤) .
على ذلك قول الحق تبارك وتعالى: {إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} (١٦) ، وأما قوله تعالى: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ} (٢٦) ، فليس بوصف لواحد بعينه وإنما المراد الجنس (٣٦) . وقد تكلم الناس في الحمد والشكر، هل هما بمعنى واحد أو هما بمعنيين، فذهب الطبري والمبرد إنهما بمعنى سوى .
والصحيح أن الحمد ثناء على المدوح بصفاته من غير سبق أحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان، هذا قول علماء اللغة، فالله سبحانه يُحمد على ما وجب له من صفات الجلال الكمال ونزاهة ذاته المقدسة عن كل نقص، ويُشكر على ما أسداه من معروف، فالشكر مقابلة المنعم على فعله بثناء عليه، وقبول لنعمه واعتراف بها، فيكون شكوراً على هذا بمعنى مشكوراً، وقيل الشكر الاعتراف بنعمة المنعم على سبيل الخضوع، وقيل ان حقيقة الشكر الاعتراف بالتقصير في الشكر للمنعم ولهذا قال تعالى: {اعملوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ} (٤٦) ، أي طلباً للزيد، فقال داود: الهي كيف أشكرك وشكري نعمة منك؟ فقال الآن عرفتني يا داود إذ عرفت أن الشكر مني نعمة (٥٦) .

- (١٦) - سورة الإسراء (٣) .
- (٢٦) - سورة سبأ (١٣) .
- (٣٦) - الجامع لأسماء الله الحسنى ص (١٧٢) .
- (٤٦) - سورة سبأ (١٣) .
- (٥٦) - الجامع لأسماء الله الحسنى ص (١٧٢) .

١٣.٩ ثمرة معرفة هذا الاسم

ثمرة معرفة هذا الاسم
المكلف إذا علم أن الله سبحانه وتعالى هو الشاكر والشكور على الإطلاق، وجب عليه أن يشكر الله تعالى، لأنه المنعم المتفضل والمعطي للزيد على الشكر، وأعلم أخي أن على كل جارحة في بدنك تستعملها شكراً، وهو امتثال ما يخصها من الطاعات واجتناب ما يخصها من العصيان، واستعمال جميع الجوارح في طاعة الله، فتحب بقلبك الله وثني عليه بلسانك، وتؤدي جميع الفرائض البدنية كما أمرك الله، أما شكر المال فإنفاقه في وجوه البر وفيما يحل ويباح الإنفاق فيه من غير سرف ولا تبذير، وعدم إنفاقه في غير مرضات الله ومحابه، وإن تشكر من أمرك الله بشكره، فتشكر والديك وتشكر من أسدى إليك معروفًا، وتطيع من أمرك الله بطاعته، وقد أمر الله الإنسان بالشكر لوالديه فقال: {اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} (١٦) ، كما أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: (مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ) (٢٦) .

وقديماً قيل: "لا انقطاع للنعم مع الشكر، ولا دوام لها مع الكفر".
قال الشاعر:
لا يغنون عليك الشكر في ثمن ... فليس شكر وإن قصرت بالغالي
الشكر يبقى على الأيام ما بقيت ... ويذهب الدهر والأيام بالمال (٣٦)
فناد ربك الشكور في السحر والبكور يا الله يا شكور، منك النعم والحمد، اجعلني يا الله مشغولاً بشكرك والحمد، وألمني يا الله حسن الثناء

- (١٦) - سورة لقمان (١٤) .
- (٢٦) - سنن الترمذي باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك حديث (١٩٥٤) .
- (٣٦) - أنس المسجون وراحة المحزون ص ٤٣ .

عليك والحمد، ولا تسلبني يا الله ما خولتني من النعم فلك الحمد ولك الثناء الحسن، وزدني من خيرك وبرك في الدارين ما تنفعني به وتنفع المؤمنين فإنك الشكور الغفور المنان الكريم، وصل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلم تسليماً كثيراً.

١٤ الفصل الثالث عشر الكبر

الفصل الثالث عشر
الكبر

١٤٠١ الكبر

الكبر

الكبر خلق ذميم، وسلوك مشين، يوصل إلى الجحيم، ألا ترى أن في سلوك المتكبرين خراب الدنيا والدين، فهو رذيلة اجتماعية تؤدي إلى الفرقة، وتقضي على المودة، وتقع بين الأفراد والجماعات فتقضي على التعاون والمحبة، والكبرياء لا يقتصر على صرف محبة الناس عن بعضهم البعض، وإنما يجعل الإصلاح الأدبي عسيراً، فالتكبر يتعمى عن نقائصه وعيوبه؛ لأنه يضع لنفسه قدراً فوق قدره، ويصم أذنيه عن سماع كل حديث ينفع عدى حديث يختص بمدحه، وينشق في عينه التملق من مادحيه، فهو يأبى أن يسمع النصيحة من غيره؛ فيكون ذلك حائلاً بينه وبين الاستفادة من علماء عصره، وأهل مصره، أو الاقتباس من فضيلة غيره، فينزل إلى هوة من الجهل والظلام، ولهذا كان من سنة الله في خلقه أن صرف قلوب المتكبرين عن سماع آياته فقال جل شأنه: {سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} (١-)، فالتكبر ينتظر من الناس أن يتلقوا كل كلمة يقولها بالقبول والتصديق المطلق، وإن أحس منهم شكاً فيما يقول رعى وزبد وأبرق وأرعد، أما لو سمع من يكذبه فلا تستبعد أن يصنع ما لا يحمد، ولذلك فإن الكبر تبغضه الكرام، وينهى عنه الكريم المنان، وقد جاء في شعر فتیان الشاغوري:

(١-) - سورة الأعراف الآية (١٤٦) .

١٤٠٢ الكبر يغضب الجبار، ويكون سبباً في دخول النار

الكبر يبغضه الكرام وكل من ... ييدي تواضعه يُحِبُّ وَيُحْمَدُ (١-)
أما أبو تمام فهو يرى بغض المتكبر فريضة واجبة عليه حيث يقول:
إثنان بغضهما عليّ فريضة ... متكبر في نفسه وبخيل (٢-)

الكبر يغضب الجبار، ويكون سبباً في دخول النار

الكبر: هو احتقار المرء غيره وزدراؤه له. الكبر خلق الجبارة الظالمين، والفسدة الجاحدين من الخلق أجمعين، فالتكبر من الناس ملوم، وهو بين الخلق مذموم، وفي سلوكه منحوس مشؤم، يستنكف من قول الحق وينكر ذلك على الخلق، ويجحد قول الحق، ويستكبر عن عبادة الله الواحد الأحد، ويتسبب في غضب الجبار، ويكون سبباً في دخول النار، وقد جاء في محكم التنزيل: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} (٣-)، وفي الحديث النبوي: (يُحْسَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَيَسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقُونَ مِنْ عَصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ) (٤-).

ومن ذلك يتبين ان الكبر نوعان:
الكبر على الله وهو كفر لان المتكبر لا يطيع الله ولا يقبل امره، فمن ترك امر الله او وقع في منيه استخفافا به تعالى فهو كافر واما من تركه لغلبه

(١٦) - ديوان الشاغوري ص ١٢٣ ، والموسوعة الشرعية ص ٢٧١ .

(٢٦) - انظر: ديوان أبي تمام .

(٣٦) - سورة غافر الآية (٦٠) .

(٤٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في أواني الحوض حديث (٢٤٩٢) .

١٤٠٣ المتكبرون شرار الناس

١٤٠٤ الكبر بطر الحق

الشهوه او الغفلة فهو عاص، اما التكبر على خلق الله فهو عصيان ان لم يكن فيه استخفاف بالشرع قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) } من

سورة الاعراف

المتكبرون شرار الناس

إن معصية الكبر من الكبائر التي يتحلى بها الأشرار، ويتعد عنها الأخيار، وفي الحديث النبوي: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ عِبَادِ اللَّهِ؟ الْقَطُّ الْمُسْتَكْبِرُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ الضَّعِيفُ الْمُسْتَضْعَفُ ذُو الطَّمَرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَ اللَّهُ قَسَمَهُ) (١٦) ، فلا تحتقر من لا ناصر له إلا الله ولا تستضعفه تهلك، فربما كان الأشعث الأغر عند الله أعلى وأشرف، قال علي بن احمد بن أبي حريصة اليماني:

ألا رب ذي طمرين أشعث أغبراً ... خفي عن النظر لم يبع منظراً

ولو أقسم الحافي الضئيل رداءه ... على الله ذي النعماء أعطى فأكثر

ولكن زوى الدنيا الدنية دونه ... ليوفيه الحظ الجزيل الموفراً

الكبر بطر الحق

الكبرياء أداة العطب وعلّة البلاء، والظلم سبباً المتكبرين، وخلق الجبارين من الخلق أجمعين، ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى حين أمر ملائكته بالسجود لآدم سجدوا خاضعين {إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (٢٦) ، فكان التواضع والعدل سلوك المتقين، والكبرياء من أخلاق الجاحدين، فمن ظلم الناس، وغمطهم حقهم، واعتدى عليهم، وعصى ربه، فهو متكبر لئيم.

وفي الامثال السائرة: الكبر قائد البغض أي ان المتكبر مكروه من الناس، أما من يحب الجمال، ويسعى إلى تحسين مظهره؛ فليس بمتكبر، وفي حديث ابن مسعود: (لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ) (٣٦) ، واطر الحق: رده، وغمط الناس: احتقارهم، وفي الناس من يسعى إلى تقويم إعوجاج المتكبرين ليرضي الخالق والخلق أجمعين، قال المتلمس:

وَكَلَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَهُ ... أَقْنَاهُ مِنْ مِيلِهِ فَتَقَوَّمَا

والمعنى: إذا أمال المتكبر خده أذلناه حتى يقوم ميله، فالعاقل يلجع رداء الكبر عنه ليفوز ويظفر، قال عبد الله الأندلسي القحطاني (٤٦) في نوبته:

وَاحْلَعْ رِدَاءَ الْكِبَرِ عَنْكَ فَإِنَّهُ ... لَا يَسْتَقِلُّ بِجَمَلِهِ الْكَتِفَانِ

(١٦) - أخرجه أحمد في المسند عن حذيفة بن اليمان حديث (٢٣٥٠٤) .

- (٢٦) - سورة البقرة الآية (٣٤) .
 (٣٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب تحريم الكبر وبيانه حديث (١٣١) .
 (٤٦) - أبو محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني السلفي المالكي، كان فقيهاً حافظاً جمع تاريخاً لأهل الأندلس وقال أبو سعيد الإدريسي في تاريخ سمرقند أنه كان من أفضل الناس ومن ثقاتهم، وقال السمعاني: كان فقيهاً حافظاً في طلب العلم إلى المشرق والمغرب له (قصيدة نونية مطبوعة) .

١٤٠٥ أسباب الكبر

أسباب الكبر

إذا كان العجب والغرور من أسباب الكبر فإن العاقل من لا يغتر بجاهه ولا ماله، ولا بحسبه ولا بنسبه، ولا برئاسته ولا بملكه، ولا بقوته ولا بشدة بطشه، ولا بأتباعه ولا بأنصاره، ولا بتلاميذه ولا بغلمانه، ولا بعشيرته ولا بقرايته، ولا بجماله ولا بكامله، ولا بزهده ولا بعبادته، فكيف يغتر العاقل بنعم ليس له في تكوينها يد، وإنما الفضل في ذلك كله لمستحق الكبرياء الواحد الأحد، ومع ذلك فإنه لا يخلو عن رذيلة الكبر، واستمالة قلوب الناس؛ شريف ولا وضع، إلا من وفقه الله فسلك طريق المتقين، فمن احتقر الناس فهو خبيث الدخلة، رديء النفس، سيء الخلق، ومن تكبر على العباد واستصغروهم وأنف من مساواتهم فقد نازع الله في صفة لا تليق إلا بجلاله، وفي الحديث القدسي: (الكبرياء ردائي فمن نازعني ردائي قصمته) (١٦) أي أنه خاص بالله لا يليق منازعته فيه، وإذا كان الكبر على عباد الله لا يليق إلا بالله، فمن تكبر على عباده فقد نازع الله في حقه. ومما تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله في أمره ونهيه؛ لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله، وشمّر لمجده، واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس، وذلك داء إبليس الذي تكبر على آدم وقال:

(١٦) - الحاكم في المستدرک حديث (١٩٠) .

{أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} (١٦) ، ورحم الله أبا مصطفى الحمامي حيث يقول:

قالوا: تكبر قلت: أف... توني لماذا ذا تكبر

قالوا: قوي قلت: قو... ته لدى بغل تصغر

قالوا: وجيه قلت: فر... عون المؤله منه أجدر

قالوا: غني قلت: أغ... نى منه قارون المدمر

قالوا: جميل قلت: أج... حل منه مومسة وأنضر

قالوا: عليم قلت: أع... لم منه إبليس وأشهر

قالوا: تقي قلت: هل... يدري التقي علام يقبر

أولى له شكر الذي... أولاه ذا الفضل المؤزر

قالوا: له جسم كيب... ر قلت: جسم الفيل أكبر

قالوا: له عصبية... تذر العدو وقد تقهقر

فأجبت يوشك أن يذل... ل بموتهم جمعاً ليزجر

قالوا: إذن ولم التكبر... ر قلت: ذا معنى ميسر

ظن الغبي بأن فض... ل الله فضل عنه يؤثر

فيه سما وإذا صحا... ملح الحقيقة فيه تزار

تلك الحقيقة فاعرفو... ها يا ذوي القلب المطهر

وعليكم مني سلا... م عزفه في الكون ينشر (٢٦)

(١٦) - سورة الأعراف الآية (١٢) .
 (٢٦) - انظر: النهضة الإصلاحية ص ٥٧٢ .
 أما منصور الفقيه فهو يقول في ذم الكبر والعجب:
 تيه وجسمك من نظفة ... وأنت وعاء لما تعلم
 وقال ابوبكر رضي الله عنه: لا يحقرن أحدٌ أحداً من المسلمين, فإن صغير المسلمين عند الله كبير.
 وقال محمد بن الحسين بن علي رضوان الله عليهم اجمعين: ما دخل قلب امرء شئ من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل او كثر. وقال الاحنف بن قيس رحمه الله: ما تكبر احد الا من ذله يجدها في نفسه. وقال حكيم رحمه الله: العجب والكبر حمق يغطي به صاحبه عيوب نفسه. وقال الشاعر:
 يا مظهر الكبر اعجابا بصورته ... انظر خلاك فإن النتن تثريب
 لو فكر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
 هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة ... وهو بخمس من الأقدار مضروب
 أنف يسيل وأذن ريحها سهك ... والعين مرفضة والثغر ملعوب
 يا ابن التراب ومأكول التراب غداً ... أقصر فإنك مأكول ومشروب
 وقال القرطبي: قال ابن العربي: وكان شيوخنا يستحبون أن ينظر المرء في الآيات الحكيمة التي جمعت هذه الأوصاف العلمية, ونقل هذه الآيات:
 كيف يزهو من رجيعه ... أبد الدهر ضجيعه
 فهو منه وإليه ... وأخوه ورضيعه

١٤٠٦ قصبه للأحنف بن قيس

١٤٠٧ الكبير والمتكبر في أسماء الله الحسنى

وهو يدعوه إلى الح ... ش بصغر فيطيعه (١٦)
 قصبه للأحنف بن قيس

كان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب ابن الزبير على سريره, فجاء يوماً ومصعب مادُّ رجله فلم يقبضهما, وقعد الأحنف فزحمه بعض الزحمة, فرأى ذلك في وجهه فقال: عجا لابن ادم يتكبر وقد خرج من مجراء البول مرتين! (٢٦)

الكبير والمتكبر في أسماء الله الحسنى
 الكبير هو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال الذي هو اكبر من كل شيء, وأعظم من كل شيء, واجل وأعلى,
 وقال أبو سليمان الخطابي: الكبير هو الموصوف بالجلال وكبر الشأن وصغر دون جلاله كل كبير (٣٦) , وقد جاء في القرآن: {عَالِمُ
 الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} (٤٦) , وقوله جل شأنه: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ
 الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} (٥٦) , وأما المتكبر فهو المتعالي عن صفات الخلق والمتره عن السوء والنقص لعظمته وكبريائه, فهو الذي يتكبر على
 عتاة خلقه.

(١٦) - الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٣٣٤ , والآيات وردت في ديوان ابن الرومي.

(٢٦) - دليل السائلين ص ٥٢٩

(٣٦) - الأسماء والصفات للبيهقي ص (٥٧) , والجامع لأسماء الله الحسنى ص (٢٤٠) .

(٤٦) - سورة الرعد (٩) .

(٥٠) - سورة الحج الآية (٦٢) .

قال القرطبي: المتكبر جل جلاله وتقدست أسماؤه جاء في سورة الحشر، وفي حديث أبي هريرة وأجمعت عليه الأمة ولا يجوز ان يوصف لغير الله باتفاق (١٠) .

وهذا الاسم يدل على قدرة الله سبحانه المستحق له وكماله كمالاً لا يتناهى، ولهذا دخلت فيه (التاء) وسماها من فهم معناه (تاء الاختصاص) ، لان هذا المعنى يختص بالله تعالى وحده، وهي في حق غيره تكلف، وتكسب ما لا يمكن كسبه، فإذا دل هذا الاسم على استحقاق العلو من غير تكلف، فهو يتضمن جميع صفات الكمال والجلال التي تنال مع بُعد الغاية وعدم النهاية، قاله ابن الحصار وهو معنى قوله ابن العربي.

قال الخطابي: (المتكبر) هو المتعالي عن صفات الخلق، ويقال هو الذي يتكبر على خلقه إذا نازعه العظمة، فيقصمهم قصماً، وفي التكبر تاء التفرد والتخصيص بالكبر لا تاء التعاطي والتكليف، والكبر لا يليق بأحد من المخلوقين وإنما سمة العبد الخشوع والتذلل، وقد روي: (الكبرياء رداء الله فمن نازعه رداءه قصمه) (٢٠) .

(١٠) - ما أشار إليه القرطبي رحمه الله أن الاسم جاء في سورة الحشر هو قوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ، وأما حديث أبي هريرة الذي أشار إليه القرطبي فهو ما ذكر فيه تعداد الأسماء الحسنى ومنها المتكبر وقد ضعفه بعض المحدثين، وقد أورده الترمذي في باب ما جاء في عقد التسييح باليد حديث (٣٤٢٩) .

(٢٠) - أخرجه مسلم في البر والصلة والادال (١٣٦٦٢٠) وأبو داود في اللباس (٤٠٩٠) ، وابن ماجه في الزهد (٤١٧٤) ، واحمد في المسند (٢/٢٤٨) ، ٣٧٦٤ ، ٤١٤ ، من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (قال الله عز وجل: الكبرياء رداً والعظمة ازاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار) لفظ أبي داود، انظر الآسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي ص (٤٦٦) .

١٤٠٨ ثمرة معرفة اسم الله الكبير المتكبر

ثمرة معرفة اسم الله الكبير المتكبر

إذا علم العاقل ان ربه وخالقه متفرد بالكبرياء والعظمة والكمال، وان كبرياءه سبحانه أزلي ابدى لا شيء مثله، وجب عليه ان يعتقد ان العظمة والكبرياء لله وحده، وان يتواضع لعظمة الله لأنه مفتقر لله المتكبر الكبير المتعال، ويتبعد عن الخيلاء والاستصغار للناس، لان المتكبرين كما جاء في الحديث النبوي: (يحشرون أمثال الذر يوم القيامة تطأهم الناس بأقدامهم) (١٠) ، وإذا كان أصل الكبرياء الامتناع وقلة الانقياد فان التكبر المحمود في حق العبد هو التكبر عن كل النقائص والدنيا (٢٠) ، وعن عبادة غير الله، وعن النظر إلى الخلق بعين الاستصغار، والعاقل هو من يشعر نفسه بكبرياء الله وربوبيته، وان الله لا شيء مثله، فهو المتكبر عن كل سوء، المتعظم عما لا يليق به سبحانه وتعالى. والله در القائل:

الله أكبر ذو القدر العلي رفيد ... ع المجد لا مجد إلا وهو لله
الله أكبر أهل الكبرياء عظيم ... م الملك حقيقة الاجار لله
الله أكبر ذو العرش المجيد منيد ... ع العز لا عز إلا وهو لله
الله أكبر ذو البطش الشديد عزيز ... ز الانتقام من العاصين لله
الله أكبر عدل قائم ملك ... حق كما يجب التكبير لله

الله أكبر حقاً ذو الجلال وذو ال... إكرام تكبير ذات الله الله
الله أكبر تكبيراً لعزته ... كما يحب ويرضى الله الله
الله أكبر تكبيراً بما جمعت ... صفاته من سمات الكبر لله

- (١٦) - حديث حسن أخرجه الترمذي في صفة القيامة، وقال حسن صحيح حديث (٢٤٩٢) .
(٢٧) - الجامع لأسماء الله الحسنى ص (١٤٣) .

١٤٠٩ دعاء الله باسمه الكبير المتكبر

الله أكبر تكبيراً بما سمرت ... أسماؤه من عظيم القدر لله
الله أكبر تكبيراً بما نطقت ... أفعاله من كمال الكبر لله
الله أكبر ما أولى مراحمه ... بحل عقدة مضطر إلى الله
الله أكبر ما أسنى جوائزه ... لمادح الله لا يرجو سوى الله
الله أكبر ما أجدى عوارفه ... لباسط القول بالتمجيد لله
الله أكبر ما أوفى مكارمه ... لتارك الخلق معطي الحق لله
الله أكبر ما أحرى عنايته ... لمن تمسك في الأطوار بالله
الله أكبر ما أعلى أياديه ... تبارك الله تمت نعمة الله
الله أكبر أصلحني وصل على ... محمد وأجزني الحب بالله (١٦)

دعاء الله باسمه الكبير المتكبر

اللهم يا كبير يا اكبر يا جليل يا متكبر يا من له الكبرياء في السماء والأرض ويا من جلاله وكبرياؤه ملئ الارض والسماء وملئ
الكون كله، أجرني وأعذني من الكبرياء والخيلاء والعجب والرياء، وجملي والمؤمنين بالتواضع والتقوى، واهدنا إلى أحسن الأخلاق
واصرف عنا سيئها، والبسنا والمؤمنين ثوب عزك وشرفك واحسانك وكرمك وامتنانك، وجعلنا رحماء مع اخواننا المؤمنين أعزة على
الكافرين، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين يا جليل يا متكبر يا ارحم الراحمين، وصلى الله وسلم على محمد النبي الأمين وآله وصحبه أجمعين.

(١٦) - هذه الأبيات من قصيدة لأبي مسلم البهلاني العماني (١٢٣٧ - ١٣٣٨ هـ / ١٨٢١ - ١٩١٩ م) ، شاعر عماني الأصل له
ديوان فيه ما يربو المائتي قصيدة فيه الكثير من الحكم والوجدانيات والإلهيات ودلائل التوحيد والأخلاق.

١٥ الفصل الرابع عشر التواضع

الفصل الرابع عشر
التواضع

١٥٠١ التواضع

التواضع

التواضع: من انحلال الحميدة، والصفات الحسنة، فالتواضع شعار الإيمان، ونور الإسلام، ومنبع الرضى، ودلائل قبول الله جل وعلا،
والتواضع يمدده الله بعنايته، ويحيطه برعايته، ويستره ويظله برضوانه، والتواضع حبيب الله تعالى وحبيب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم،

قريب من الله ورسوله، فهو بتواضعه ينال صفات الأخيار ويحظى بدرجات عظيمة من الله الواحد القهار، والمتواضع ينجو من ظلم الناس فيفوز بالسعادة والسيادة والعز، وفي محكم التنزيل: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (١٦)، نفاق المؤمنين التواضع، والابتعاد عن الكبرياء والترفع عن الخيلاء، والإحسان إلى الفقراء، وإكرام الأتقياء، لذلك يبارك الله في أموالهم، فترتفع المضرة عنهم بلطف الله الخفي، والمتواضع يسود ويعظم في القلوب ويكرم، ويرفعه الله في الدنيا، ويبلغه في الآخرة الدرجات العلاء، فيثبت له بتواضعه في القلوب منزلة محبوبة، ومكانة مكيمة مرموقة في الدنيا والآخرة، فالاختيال على الناس حماقة، والتواضع عز وريادة، وقد أوحى الله إلى نبيه من الحكمة ما فيه الخير والنعمة والريادة، فقال جل شأنه: {وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا * ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ { (٢٦) ، أي لا تكن في مشيك ذا

(١٦) - سورة المنافقون الآية (٨) .

(٢٦) - سورة الإسراء الآيات (٣٧-٣٩) .

١٥٠٢ حقيقة التواضع وفضيلته

مرح وهو الاختيال، فلن تجعل في الأرض خرقاً بشدة وطأتك (طولاً) أي بتطاولك، وهو تهكم بالختال وتعليل للنهي؛ بأن الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى، وجاء في كلام بعض الشعراء:

ملء السنابل تخني بتواضع ... والفارغات رؤسهن شوامخ

فالإنسان العاقل لا يكون كحمار السوء إن شبع جمح ورمح، وإن جاع رفع صوته بالنهيق، وقد وصف الشاعر من حاله هكذا بقوله:

كحمار السوء إن أشبعته ... رمح الناس وإن جاع نهق

وفي محكم التنزيل: {وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} (١٦) .
حقيقة التواضع وفضيلته

للتواضع مكانة جليلة وفضيلة كبيرة وقد قيل: التواضع هو اظهار الذل لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم لمن فوقه لفضله. وقال ابن عطاء: التواضع قبول الحق من كل من قاله. وخفض الجناح للمؤمنين وفي الذكر الحكيم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (٢٦) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته، وقال: انتعش رفعك الله. وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: سمو المرء في التواضع. وقالت عائشة رضي الله عنها: انكم تغفلون عن افضل العبادات التواضع. وقال الفضيل رحمه الله حينما سئل عن التواضع ماهو: ان تخضع للحق وتنقاد له ، ولو سمعته من صبي قبلته، ولو سمعته من اجهل الناس قبلته. وقال ابن المبارك رحمه الله راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة لدنيا حتى تعلمه انه ليس لك بدنياك عليه فضل. وان ترفع نفسك عن من هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل (٣٦) . وفي الذكر الحكيم: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (٤٦) . وفي الامثال السائرة: تاج المروءة التواضع وقيل: التواضع اوله تودد واخره سوؤد ، وتواضع الرجل في مرتبته ذب للشماتة عند سقطته، وقيل: رحم الله امرأ عرف قدره ، وقيل لن يهلك امرأ عرف قدر نفسه ، وقد خاطب الله رسوله بقوله {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} (٥٦) ، ووصف الله عباده المخلصين بقوله {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

- (١٦) - سورة لقمان الآية (١٩) .
- (٢٦) - سورة المائدة الآية (٥٤) .
- (٣٦) - دليل السائلين ص ١٢٧
- (٤٦) - سورة القصص الآية (٨٣) .
- (٥٦) - سورة الحجر الآية (٨٨) .

١٥٠٣ التواضع فريضة، والعجب رذيلة

الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا { (١٦) ، واخبر جل شأته عن حال من حكم لهم بالرضوان في الدار الآخرة بقوله { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } (٢٦)

التواضع فريضة، والعجب رذيلة

التواضع فضيلة، والغرور والعجب رذيلة، فتواضع يرفعك الله، المتواضع يحترمه الناس ويعظمونه ويجلونه، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْتَغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) (٣٦) ، وفي لفظ: (وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) (٤٦) ، وفي رواية للطبراني: (مَنْ تَوَاضَعَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ رَفَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ارْتَفَعَ عَلَيْهِ وَضَعَهُ اللَّهُ) (٥٦) ، فالمؤمن المتواضع يحبه الله ويحبه الناس.

قال الشاعر:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضع

فالتواضع يزيد الإنسان قوة ورفعه، وخيراً وسعة، قال الشاعر:

إذا شئت أن تزداد قدراً ورفعةً ... فلن وتواضع واترك العجب والكبرا

(١٦) - سورة الفرقان الآية (٦٣) .

(٢٦) - سورة القصص الآية (٨٣) .

(٣٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة والنار حديث (٢٨٦٥) .

(٤٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب في التواضع حديث (٤٨٩٥) .

(٥٦) - أخرجه الطبراني في الأوسط حديث (٧٧١١) .

وجاء في جواهر الأدب:

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعةً ... فإن رفيع القوم من يتواضع (١٦)

وقال آخر:

تواضع إذا ما كان قدرك عالياً ... فإن اتضاع المرء من شيم العقل

أما يوسف بن أسباط فإنه يرى أنه يكفي لعلو شأن الإنسان ورفعته التماسه للتواضع، وذلك حيث يقول:

وكفى بملتمس التواضع رفعةً ... وكفى بملتمس العلو سفلى (٢٦)

أما الكريزي فهو يقول:

ولا تمشي فوق الأرض إلا تواضعاً ... فكم تحتها قوم هم منك أرفع

فإن كنت في عزٍ وحرزٍ ومنعةٍ ... فكم مات من قوم هم منك أضعف

أما أحمد بن محمد الواسطي فهو يرى أن التواضع يستر الجاهل، وذلك حيث يقول:

كم جاهل متواضع ... ستر التواضع جهله (٣٦)

فإذا كان التواضع للناس فضيلة، فإن التواضع لرب الناس فريضة، بها الرفعة والأمان، والخلود في الجنان، قال الشاعر:

تواضع لرب العرش علك ترفع ... فما خاب عبد للمهين يخضع

(١٦) - جواهر الأدب ص ٧١٣.

(٢٦) - روضة العقلاء ص ٩٥ ، والموسوعة الشعرية ص ٢٩٩ ، والسفال: نقيض العلو، وانظر المعجم الأوسط ص ٤٣٤.

(٣٦) - معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ٢ ص ٣٣.

والتواضع خلق حسن، يدفع الله به الشرور والمحن، وتحصل به الألفة والمحبة، وفيه تعود النفس على البشاشة والخشوع، وتعودها على المحامد، وتذليلها على المكارم، قال الشاعر:

إن شئت أن تبني بناءً شامخاً ... يلزم لذا البنيان أس راسخ

إن البناء هو الكمال وأسه الصـ ... خري فهو الاتضاع الباذخ

وقد خاطب الله رسوله وهو على خلق عظيم بقوله وهو العزيز الحكيم: {وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (١٦) .

وأولى الناس بخفض الجناح، والتواضع لهما في الغدو والروح هما الوالدان والأقربون، قال تعالى: {وَإِخْفِضْ لُهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ

وَقُلْ رَبِّ ارْحَمُهُمَا كَمَا رَيَّيَانِي صَغِيرًا} (٢٦) .

وأما العجب والغرور فهما من السلوك المحذور، فالافتخار بالنفس وشعورها بالكمال، والتقصير في تشييد الصالحات، عاهة مهلكة، ألا ترى أن الناس يمتقنون لمن يروق نفسه ويقولون: فلان معجب بنفسه ورأيه، وفي الحديث: (لو لم تكونوا تذبون خشيت عليكم ما هو

أكبر من ذلك العجب العجب) (٣٦) .

ولا بن دريد:

وَأَفَةُ الْعَقْلِ الْهُوَى فَنَ عَلَا ... عَلَى هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَا

كَمْ مِنْ أُنْجٍ مَسْخُوطَةٍ أَخْلَاقُهُ ... أَصْفَيْتَهُ الْوَدَّ لِحَلْقٍ مُرْتَضَى

(١٦) - سورة الشعراء الآية (٢١٥) .

(٢٦) - سورة الإسراء الآية (٢٤) .

(٣٦) - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث (٧٠٠٦) .

وَعَطِيفِ النَّفْسِ عَلَى سَبِيلِ الْأَسَا... إِنَّ اسْتَفْزَرَ الْقَلْبَ تَبْرِجُ الْجَوَى

وفي الحديث النبوي: (مَا تَقَصَّتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ) (١٦) .

قال أبو حاتم رحمه الله: الواجب على العاقل لزوم التواضع ولو لم يكن في التواضع خصلة تجمله إلا أن المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة وكان الواجب عليه أن لا يتزيا بغيره، فالتواضع تواضعان أحدهما محمود، والآخر مذموم، والمحمود ترك التطاول على عباد الله،

والازدراء بهم، والتواضع المذموم هو تواضع المرء لذي الدنيا رغبةً في دنياه، فالعاقل يلزم مفارقة المذموم في الأحوال كلها، ولا يفارق التواضع المحمود على الجهات كلها. (٢٦)

فأفضل الناس من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدره، وأنصف عن قوة، ولا يترك المرء التواضع إلا عن استحكام التكبر، ولا يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه، وإعجاب المرء بنفسه أحد حساد عقله، وما رأيت أحداً تكبر على من دونه إلا ابتلاه الله بالدلة لمن

فوقه، وقال أبو حاتم رضي الله عنه: ما استجلبت البغضة بمثل التكبر، ولا اكتسبت المحبة بمثل التواضع. (٣٦)

وقيل: التواضع يكسب السلامة، ويورث الألفة، ويرفع الحقد، ويذهب الصد، وثمره التواضع المحبة، كما أن ثمرة القناعة الراحة، وإن تواضع

(١٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب استحباب العفو والتواضع حديث (٢٥٨٨) .

(٢٦) - روضة العقلاء ص ٥٠.

(٣٦) - روضة العقلاء ص ٥٢.

١٥٤ قصة لهارون الرشيد مع الأمام مالك

الشريف في شرفه يزيد شرفاً، وتكبر الوضيع يزيد في ضعفه، ويعجل في هلكته.

فالعاقل من الناس من إذا رأى من هو أكبر منه سناً تواضع له، وقال: سبقني إلى الإسلام، وإذا رأى من هو أصغر منه سناً تواضع له، وقال: سبقته في الذنوب والآثام، أما إذا رأى من هو مثله عدّه أخاه فتواضع له وأدى حقه.

والعاقل من الناس لا يحتقر أحداً، فإن الله لم يخلق الناس عبثاً، قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} (١٦) ، فلا تحتقر الناس وتقول: هذا منبوذ وهذا غير مرغوب، فلعلك تجد غير المرغوب في يومك مألوفاً محبوباً في غدك، أو لا ترى أن العود المنبوذ ربما انتفع به فحك به الرجل أذنه لمسيس الحاجة إلى ذلك، فلا تكن تائباً:

التيهُ مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ مَنَقِصَةٌ... لِلْعَقْلِ مَنَهْكَةٌ لِلْعَرِضِ فَانْتَبِهْ

قصة لهارون الرشيد مع الأمام مالك

بلغ هارون الرشيد ان الامام مالك يعطي دروسا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الى الامام مالك يقول له اننا نزلنا في ضاحية من ضواحي المدينة ، فتعال الى قصرنا نستمع اليك. فرد الامام مالك على هارون الرشيد وقال له: العلم لا يأتي انما يؤتى اليه. ثم قال له: وان جئتنا متأخرا ، فلن نسمح لك ان تتخطى رقاب العباد. فذهب هارون بنفسه الى

(١٦) - سورة المؤمنون الآية (١١٥) .

المسجد ليسمع العلم من مالك بن انس فوجد المسجد ملان، فتذكر قول مالك ، فأراد ان يجلس ، فجلس حيث كان واقفا على كرسي وضعه له احد حراسه. فلاحض ذلك الامام مالك فلم يسره ذلك، فغير موضع حلقتة من فرائض الصلاة الى التواضع الى الله ، فقال:

ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (من تواضع لله رفعه ، ومن تكبر وضعه الله) فرما هارون الكرسي خارج المسجد وجلس على الارض كسائر المسلمين (١٦)

قال الشاعر:

ليس التطاول رافعا من جاهل ... وكذا التواضع لا يضر بعاقل
لكن يزداد اذا تواضع رفعة ... ثم التطاول ماله من حاصل

(١٦) - دليل السائلين ص ١٢٩

١٦ الفصل الخامس عشر الحب

الفصل الخامس عشر

الحُب

١٦٠١ الحُب

الحُب

الحُب نعمة جليلة، يسعد بها المحبون، ويظفر بها المتقون، ويتمتع بها الراشدون، ويضل بها المنافقون، فنعمة الحب كبيرة وجليلة، وهي من أفضل النعم، والحب ضروب وأنواع أفضله: محبة الله، ثم محبة أنبيائه ورسله، ومحبة المتحابين فيه، ومحبة شرعه ودينه، ومحبة خيره وكرمه،

ومحبة خلقه، ومحبة ما يحببه الله، وفي الحديث النبوي: (أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي) (١٦) .

الحب أنواع

تتجلى في واقع الحياة أنواع من الحب عديدة، ودرجات رفيعة، وصفات متعددة، فهناك: حب الله ورسله ومحبة شريعته وكتبه، وهناك: الحب الأخلاقي عند العذريين، وحب الأسرة والأبناء والأباء والأقرباء والإخوة والأزواج، وحب الأوطان والمواطنين والأصدقاء والزملاء، وحب الثقافة والعلوم والفنون والآداب والرياضة والطبيعة والجمال والبحار والأنهار والسباحة والسياحة والتنقل والرحلات والمُلك والرئاسة والجاه والشجاعة والسياسة والشهرة والذات والمال والعمل والأخلاق، إلى غير ذلك من الأمور التي يحبها الإنسان فتستولي على جوارحه ومشاعره، ... وربما جعلت المحبة من المحب بصيراً يدرك الأشياء على حقيقتها فتملأ قلبه

(١٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب مناقب أهل البيت حديث (٣٧٨٩) ، والحاكم في المستدرک باب ومن مناقب أهل البيت حديث (٤٧١٦) .

حباً يبعث على الرحمة والرأفة والإخاء والمودة والصدقة والصدق والطاعة والشجاعة والبر، وربما جعلت المحبة المفرطة من المحب أعمى لا يدرك إلا ما يحب، وربما تابع المحبوب على غير بصر ولا هدى، وفي الحديث النبوي: (حُبُّ الشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ) (١٦) ، وهو في الأمثال السائرة: "حبك الشيء يعمي ويصم" أي يخفي عليك مساويه ويصمك عن سماع العذل فيه (٢٦) ، فلهجة في سلوك الإنسان، وفي عبادته، وفي غدوه ورواحه، وفي إقامته وانتقاله، وفي أعماله وآماله، الأثر الكبير.

فإذا غمر الحب قلب المحب ترك آثاره كبيرة في كلام الإنسان، وملاحم وجهه وتصرفاته، ومواقفه من الآخرين، بل ومن الكون كله، قل ما يفارق الإنسان ذلك في صباه وشبابه وشيخوخته، ومن نعم الحب أنه يجرد الإنسان من الغربة والوحشة، فيشعر المحب بأن كل ما في الوجود معجب محبوب، فهو مصدر الشعر والفنون الجميلة، وهو الذي يولد القوة، ويطرده الاكتئاب، ويحث على العمل، ويحفز على الإبداع والانتصار على الشدائد والصعاب، المرغب في طاعة الله الملك الوهاب.

(١٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب في الهوى حديث (٥١٣٠) .

(٢٦) - مجمع الأمثال للميداني ص ١٩٦ .

١٦٠٢ مفردات الحب

١٦٠٣ ضرورة الحب وحاجة الناس إليه

مفردات الحب

يتميز المحبون من الناس لخالقهم، ولما أودعه الله في هذا الكون من نعم؛ بالعواطف النبيلة، وحسن التعبير، وللعرب في العواطف الإنسانية قصب السبق.

وقد تحدث الكثير من الباحثين: بأن للمحبة في لسان العرب ستين اسماً، نذكر منها على سبيل المثال ما أورده الإمام ابن القيم في روضة المحبين ونزهة المشتاقين: "المحبة، والعلاقة، والهوى، والصبوة، والصبابة، والشغف، والمقة، والوجد، والكلف، والتيم، والعشق، والجوى، والذنف، والشجو، والشوق، والخلابة، والبلايل، والتباريح، والسدم، والغمرات، والوهل، والشجن، والاعلاج، والاكتئاب، والوصب، والحزن، والكد، والذع، والحرق، والسهد، والأرق، واللهف، والحنين، والاستكانة، والتبالة، واللوعة، والجنون، والفتون، والهم، والحبل، والرسيس، والداء المخامر، والود، والخلعة، والحلم، والغرام، والهيام، والتدليه، والوله، والتعبد". (١٦)

ضرورة الحب وحاجة الناس إليه

يمثل الحب عاطفة إنسانية نبيلة، ونعمة ربانية جليظة؛ تلي متطلبات الإنسان في حياته، وتسعده في أغلب أوقاته، فعاطفة الإنسان وحبه تلي رغبته الفطرية والضرورية، فينتشر التعاطف والتلاطف؛ الذي يحصل به التآلف، والمشاركة في بناء الحياة، ألا ترى أن الحق سبحانه وتعالى يقول: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}

(٢٦) ، والتعارف يؤدي إلى التآلف الذي يعلمنا أدب القول وحسن التصرف، فها الحضارات التي تشهدها البشرية إلا ثمرة من

(١٦) - روضة المحبين ونزهة المشتاقين للعلامة شمي الدين محمد بن أبي بكر القيم الجوزية، تحقيق الدكتور السيد الجميلي ص ٣١، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٢٦) - سورة الحجرات الآية (١٣) .

ثمار الحب والتآلف، فحب الله الواحد يدعو إلى التوحد، وبناء الأوطان، وطاعة الرحمن، والتمتع بجمال الحياة، فالحياة فنٌ والحب يجعلها أعظم الفنون، فهو الذي يسهم في اكتساب التآلف بعد مرحلة التعارف التي أرشد إليها القرآن، وقد وصف الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام: المؤمن بأنه مؤلفٌ أي يحب الألفة والتآلف، فتأليف القلوب على الطاعة والبر والخير من خلق المؤمنين ففي الحديث النبوي: (المؤمن مؤلفٌ ولا خير فيمن لا يَأْلَفُ ولا يُؤْلَفُ) (١٦) ، وليس هناك أقوى من الحب في إيجاد التآلف بين الخلق أجمعين، وفي تحقيق رغبة المحبين في بناء الحياة على النحو الذي يحبه الله ويرضاه، وقد قيل: أن الحب يسهم في تهذيب الإنسان ورفقه، والسمو بعواطفه الإنسانية وميوله الحياتية، والتمسك بالعفة، والفضيلة والمؤازرة والقيم الإنسانية والأخلاقية، وهو الذي يحرر الإنسان من عزلته وكآبته، ويخفف عنه ألامه ومعاناته المختلفة، ويشجعه على العمل في سبيل تحقيق أحلامه وأمنيته وتطلعاته، وهو الذي يدفعه إلى حب خالقه وعبادته، وشكره على آلائه ونعمه.

وقد قيل: ان الحب على المحبين فرض، وبه قامت السماوات والأرض، ومن لم يدخل جنة الحب، لن ينال القرب، فبالحب عبد الرب، وترك الذنب، وهان الخطب، واحتمل الكرب.

(١٦) - أخرجه أحمد في المسند عن أبي هريرة حديث (٩١٨٧) .

وقيل: عقل بلا حب لا يفكر، وعين بلا حب لا تبصر، وسماء بلا حب لا تمطر، وروض بلا حب لا يزهر، وسفينة بلا حب لا تجر، بالحب تتألف الحجر، وبالحب تدور المسرة، بالحب ترسم على الثغر البسمة، وتنطلق من الفجر النسمة، وتشدو الطيور بالنغمة، ارض بلا حب صحراء، وحديقة بلا حب جرداء، ومقلة بلا حب عمياء، واذن بلا حب صماء.

بالحب ترضع الأم وليدها، وتروم الناقة وحيدها، بالحب يقع الوفاق، والضم والعناق، وبالحب يعم السلام، والمودة والوثام.

الحب هو بساط القربى بين الأحباب، وهو سياج المودة بين الأصحاب، بالحب يفهم الطلاب كلام المعلم، وبالحب يسير الجيش وراء القائد ويتقدم، وبالحب تدعن الرعية، ويعمل بالأحكام الشرعية، وتصان الحرمات، وتقديس القربات.

بيت لا يقوم على الحب مهذوم، وجيش لا يحمل الحب مهزوم، لكن أعظم الحب واجله، ما جاءت به الملة، أجمل كلمة في الحب قول

الرب: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} (١٦) ، فلا تطلب حباً دونه.

ليس حبا قطعة معزوفة ... من يراع الشاعر المنتحب

ليس حبا غزل يمطرنا ... في سطور الكاتب الحر الابي

أو خطاب بارع نثقه ... واله يروي صنوف العتب

ما فقا نبكي هو الحب ولا ... ظبية البان وذكرى زينب

ما درى مجنون ليلي سره ... عبث ذاك هيام الصخب

إنما الحب دم تنزفه ... في سبيل الله خير القرب

أو دموع ثرة تبعثها ... سحراً اصدق من قلب الصبي

(١٦) - سورة المائدة (٥٤) .

١٦٠٤ امنح الثقات محبتك

أو سجد خاشع ترسمهى ... فوق خد الطين فاسجد واقرب (١٦)

امنح الثقات محبتك

من منح الثقات محبته على الخير أعانوه، وصفت له أيامه، وتحققت له أحلامه، ويرحم الله دعبل الخزاعي حيث يقول:

وَلَا تُعْطِ وَدَكَ غَيْرَ الثَّقَاتِ ... وَصَفِ الْمَوَدَّةَ إِلَّا لَبِيًّا
إِذَا مَا الْفَتَى كَانَ ذَا مُسَكَّةٍ (٢٦) ... فَإِنَّ لِحَالِيهِ مِنْهُ طَيِّبًا
فَبَعْضُ الْمَوَدَّةِ عِنْدَ الْإِخَاءِ ... وَبَعْضُ الْعَدَاوَةِ كَيْ تَسْتَنِيَا (٣٦)
فَإِنَّ الْحَبَّ يَكُونُ الْبَغِيضَ ... وَإِنَّ الْبَغِيضَ يَكُونُ الْحَبِيبَا (٤٦)

وقال آخر:

وَلَا تُصَفِّينَ بِالْوَدِّ مَنْ لَيْسَ أَهْلَهُ ... وَلَا تُبْعِدَنَّ بِالْوَدِّ مَنْ تَوَدَّدَا (٥٦)

أما الإمام الشافعي رحمه الله فهو يرى أن في محبة الصالحين نيل شفاعتهم فيقول:

أَحَبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ ... لَعَلِّي أَنْ أَنْالَ بِهِمْ شَفَاعَةً
وَأَكْرَهُ مَنْ تَجَارَتَهُ الْمَعَاصِي ... وَلَوْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةِ

أما نصيب فهو يرى أنه لا خير في محبة المتكاره ولا في صحبة من لا يوافق الصاحب فيقول:

(١٦) - مقامة القرني ص (٢٦١-٢٦٢) .

(٢٦) - مسكه: رأي وحكمة.

(٣٦) - تستنينا: طلب إنابته أي توبته.

(٤٦) - ديوان دعبل الخزاعي ص ٤٦ ، شرحه وضبطه ضياء حسين الأعلي، منشورات مؤسسة الأعلي للمطبوعات بيروت الطبعة

الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م .

(٥٦) - انظر الحماسة للبحتري ص ١٧٤ ، الموسوعة الشعرية ص ١٧٦ ، والشاعر: يزيد بن الحكم.

وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مُتَكَارِهِ ... عَلَيْكَ وَلَا فِي صَاحِبٍ لَا تُوَافِقُهُ (١٦)

قلت: الظاهر أن العاقل من الناس من يحول الأعداء إلى أصدقاء بتجيبه إليهم وإكرامه لهم، وقد فرض الله للمؤلفة قلوبهم من أعداء المسلمين سهماً في زكاة الموحدين، فالحبة والمودة أقرب الأسباب وأنفع الأخلاق، وقد نسب إلى العتابي قوله:

ولقد بلوت الناس ثم سبرتهم ... وخبرت ما وصفوا من الأسباب

فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً ... وإذا المودة أقرب الأسباب (٢٦)

والمودة لا تنال بالقتال وإنما تنال بحميد الفعال، وفي الحديث: (جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها) (٣٦)

فأقلل عتاب من استربت بوجه، وأحسن إليه بقربه، وقد جاء في شعر منصور النمري (٤٦) :

أَقْلَلُ عِتَابَ مَنْ اسْتَرَبَتْ بَوْدَهُ ... لَيْسَتْ تُنَالُ مَوَدَّةً بِقِتَالِ

فكل امرئ يولي الجميل إلى الناس محب، وعن الشري يستبعد قال الشاعر:

وَكُلُّ امْرِئٍ يُولِي الْجَمِيلَ مُحِبٌّ ... وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ

(١٦) - نيل الأمالي لأبي اسماعيل القالي ج ٣ ص ١٢٧ .

(٢٦) - الأغاني للإمام أبي الفرج الأصفهاني ج ١٣ ص ١٣١، منشورات دار الفكر بيروت.

(٣٦) - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم احمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ج ٢ ص ١٣٠،

طبعة دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ ١٩٨٩م . والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن مسعود حديث

(٤٨٦) . وأورده السيوطي في الجامع الصغير للإمام جلال الدين بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٧١١هـ، ج ١ ص ٢١٨ حديث (٣٥٨٠) ، منشورات محمد علي بيضون بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م. وابن عدي في الكامل ج ٢ ص ٢٨٦. (٤٦) - منصور بن الزبرقان بن سلمة بن شريك النمري أبو القاسم، (ت ١٩٠هـ ٨٠٥م) ، من بني النمر بن قاسط شاعر من أهل الجزيرة.

وإذا كان الود مع العتاب يبقى فإن العاقل لا يضجر منه ولا يتأذى، قال الشاعر:

إذا ذهب العتاب فليس ودٌ ... ويبقى الود ما بقي العتاب

فالقرب بالحبة والود من أعظم العلائق وأنفع الفوائد، وللهبرد:

ما القرب إلا لمن صحت مودته ... ولم يخنك وليس القرب للنسب

كم من قريب ذوي الصدر مضطغن ... ومن بعيد سليم غير مقترب (١٦)

فمن أراد بقاء الحب تواضع لمن يحبه وتغافل عن شيء من ذنبه، فتواضعك لمحبيك شرف قال الشاعر:

ذل الفتى في الحب مكرمة ... وخضوعه لحبيبه شرف (٢٦)

وقال آخر:

اخضع وذل لمن تحب فليس في ... شرع الهوى أنف يشال ويعقد (٣٦)

بل أن بعض الشعراء قد ذهب إلى التصريح بحب الديار نظراً لكبير حبه لأهلها فقال:

وَمِنْ مَدَهَبِي حُبُّ الدِّيَارِ لِأَهْلِهَا ... وَلِلنَّاسِ فِيمَا يَعَشَقُونَ مَدَاهِبُ

ولكن شاعراً آخر يرى حب الديار لحب أهلها فيقول:

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغْفَنَ قَلْبِي ... وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

(١٦) - العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٣.

(٢٦) - لطائف المعارف فيما للهوا من الوظائف تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي المتوفى

سنة ٧٩٥هـ، ج ١ ص ٢٦٦، إعداد مركز البحوث والدراسات مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

(٣٦) - روضة المحبين ص ٢٨٩.

وفي الأمثال السائرة: من صحت مودته احتملت جفوته، وقيل مودة الأبناء قرابه بين الأبناء، فاعمل على صلة اصداقك ابائك، قال الشاعر

وكل محبة في الله تبقا ... على الحالين من فرج وضيق

وكل محبة فيما سواه ... فكالحلفاء في لهب الحريق (١٦)

الإفراط في الحب لغير الله غير مرغوب

إن الحب المتوازن يدل على العقل الكامل، فالعدو ربما انقلب إلى صديق، والصديق ربما انقلب إلى عدو، فلا يوجد عدو دائم إلا الشيطان،

ولا يوجد من يجب دوام محبته إلا الرحمن وكتبه ورسله وشريعته، ومن شرع لنا محبته وأوجب علينا مودته، وقليل من الناس من تدوم

محبته وتصفي مودته، وقد جاء في كلام بعض الشعراء:

فهون في حب وبغض فرما ... بدا صاحب من جانب بعد صاحب

ومما نسب للإمام علي رضي الله عنه قوله:

وَأَحِبِّ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مَقَارِبًا ... فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعٌ

وَأَبْغُضُ إِذَا أَبْغَضْتَ بَعْضًا مَقَارِبًا ... فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعٌ (٢٦)

وقد اقتبس ذلك من الهدي النبوي ففي الحديث النبوي: (أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغُضُ بَغِيضَكَ

هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا) (٣٦) ، وفي الأمثال السائرة: "لا يكن حبك كلفاً ولا

(١٦) - هذان البيتان في المستطرف دون عزو

(٢٦) - ديوان الإمام علي رضي الله عنه ص ٤٠.

(٣٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في الاقتصاد في الحب حديث (١٩٩٧) وقال عنه الترمذي: حديث صحيح.

١٦٠٥ الحب وآدابه

١٦٠٦ آفات الحب

بغضك تلقاً، ويروى عن بعض الحكماء أنه قال: "لا تكن في الإخاء مكثراً ثم تكن فيه مدبراً فيعرف سرفك في الإثثار بجفائك في الإدبار" (١٦٠٦).
الحب وآدابه

للحب علامات ودلالات لا بد من التحلي بها والحرص عليها، فهناك: الإخلاص والوفاء والتألف والتضحية والإيثار والمناصحة والاشتياق إلى لقاء المحبوب، والغيرة عليه، والطاعة من لوازم الحب، والذكر له، قال الشاعر:

ولي فؤادٌ إذا لَجَّ الغرامُ به ... هام اشتياقاً إلى لُقيا معذِّبه

يفديك بالنفس صبَّ لو يكونُ له ... أعرُّ من نفسه شيءٌ فذاك به (٢٦)

آفات الحب

من أعظم الآفات والعيوب التي تقضي على الحب وتفصم عراه؛ كثرة العتاب ودوامه، قال الشاعر:

لا تكثر العتابا تنفر الأصحاب ... فكثرة المعاتبه تدعو إلى المجانبة

وقال آخر:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

وكذلك سوء الظن بالمحبيب، وتعنيفه ولومه، والغيرة المذمومة، والانفعال المشؤم، وهناك أعداء للحب والمحبين مثل الحاقدين، والحاسدين، والفاسدين، والمعرضين، والطائشين، والنامسين، والدساسين، وشياطين الجن والإنس أجمعين.

(١٦) - مجمع الأمثال للميداني ص ٢١٨، وهذا الكلام ينسب للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢٦) - روضة المحبين ص ٢٨٣.

١٦٠٧ الحب زينة الحياة

١٦٠٨ حب الجمال نعمة

الحب زينة الحياة

ليس في هذه الحياة من شيء يزين الحياة ويسعدها مثل الحب، فبالحب يواجه الإنسان متاعب الحياة، وبالحب تتجدد الحياة وتصفو، وبالحب يتجدد الإبداع ويعلو، ويشرق الجمال ويزهو، فهو نشيد الحياة السعيدة، وقد قيل: أن الحب يجسد المناجاة الإلهية، ويعلم الدروس العلمية، فهو عذب كأنغام الطيور، وهو من أعظم مصادر الإبداع التي تميز ذكريات الحب بالخلود، وقيل: أن الحب كالهواء يتعذر على الإنسان العيش بدونه، فهو يبدأ يوم ميلاد حياة الإنسان، وقد كان للحب دور كبير في إثارة سرور النفس وانسراحها، وتحررها من كآبتها ومعاناتها.

حب الجمال نعمة

كثيراً ما هام الشعراء في وصف جمال الطبيعة، وجمال المحبوب، وجمال الإنسان، فالجمال نعمة يحبها الله ويحبها الناس، قال الشاعر:

خلقت الجمال لنا فتنة ... وقلت لنا يا عبادي اتقون

وأنت جميل تحب الجمال ... فكيف عبادك لا يعشقون؟

وعقب على هذا الشاعر شاعر آخر بما هو أطف فقال:

خلقت الجمال لنا نعمة... وقلت لنا يا عبادي اتقون
وأنت جميل تحب الجمال... فكيف عبادك لا يتقون؟

١٦٠٩ حب الله

وقال العلامة/ عبد الحميد بن محمد المهدي (١٦) رضي الله عنه:

دعني أمتع مقلتي وجناني... فلقد نزلت- كما ترى- بجنان
المرء يعجبه الجمال بطبعه... حب الجمال غريزة الإنسان (٢٦)
حب الله

لحبة الله حلاوة في النفس توجب إتباع الحق، ومحبة الخلق، قال الشاعر:
إن المحب إذا أحب إلهه... طار الفؤاد وألهم التفكير

فأسأل هدايتك الإله بنية... فكفى بربك هادياً ونصيراً

وفي الحديث النبوي: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه
إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) (٣٦) .

فحب الله يقتضي طاعته ومحبة خلقه، ومحبة أعمال البر، والنفور عن المعصية، فإذا كنت تحب الله فلا تعصه، وإذا كنت ترجو الله فلا
تؤذنه، فإن عصيانك لله يتنافى مع ادعاء حبه، وقد جاء في شعر محمود الوراق:

(١٦) - هو الشاعر والأديب الكبير والفقير المحقق العلامة عبد الحميد بن محمد المهدي صاحب القلم السيال والذهن الوقاد واللسان
العذب، قال عنه الدكتور والأديب الكبير عبد العزيز المقالح: "عبد الحميد محمد المهدي شاعر رقيق الشعور صادق التعبير تتحرك شاعريته
تجاه كل حدث إنساني قريباً كان أو بعيداً، فهو من القلة القليلة من بني الإنسان الذين يصرون على ان يكتبوا الشعر وأن يستخدموا
كلمات اللغة في إيجاد حالات نغمية تحمل من المعاني والصور البديعة ما يعكس اهتزازات النفس تجاه ما يعترها في حالات الحزن
والسرور واستحضار القضايا والمواقف التي تؤثر في حياتنا من قريب أو بعيد". شارك في الحياة العامة بعد تخرجه من المدرسة العلمية
ثم من جامعة صنعاء وتقلد عدة مناصب كان يؤدي عمله فيها بعفة ونزاهة واقتدار، وهو الآن الوكيل المساعد لوزارة النقل، صدرت له
عدة دواوين: بين يدي الإسراء، ومن أوراق العمر، وألوان، وانظر ما قاله عنه الدكتور المقالح في مقدمة ديوانه (من أوراق العمر) .

(٢٦) - انظر: من أوراق العمر ص ١١١، من إصدارات اتحاد المبدعين العرب فرع اليمن، صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٣٦) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان حديث (١٦) .

تَعْصِي الْإِلَهِ وَأَنْتَ تُظَهِّرُ حَبَّهُ... هَذَا مَحَالٌّ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعٌ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ... إِنَّ الْحُبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ (١٦)

فلا تجعل محبتك كلها إلا لله ثم محبة من يحب؛ بكل إيمانك، ويزدهر بالخير عرفانك، وتكن في عداد المتقين، ولا تحب شيئاً محبةً
تساوي محبته لكي لا تكون من الظالمين الذي اتخذوا من دون الله أنداداً وجعلوا له من خلقه أضداداً، وفي الذكر الحكيم: {وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ} (٢٦) .

فالقلوب المحبة لله تمتلئ نوراً، وتزداد سروراً، ويجلس أصحابها على منابر من نور يوم القيامة، لأنهم أحبوا الله وأحبوا من أحب، ففي
الحديث النبوي: (قال الله عز وجل المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء) (٣٦) .

وما أجمل قول الشاعر:

قلوب براها الحب حتى تعلقت ... مذاهبها في كل غرب وشارق
تهم بحب الله والله ربها ... معلقة بالله دون الخلائق

(١٦) - ينسب هذان البيتان للوراق وللامام عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١هـ، وجاءت في ديوانه ص (٥٠) ، الطبعة الثانية
١٤٢٩هـ، دار اليقين للنشر والتوزيع المنصورة مصر، وجاء في ديوان الامام الشافعي رضوان الله عليه مع زيادة بيت يقول فيه: ...
في كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَدِيكَ بِنِعْمَةٍ ... مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعٌ،
ونسبت الى غيرهم والله اعلم.

(٢٦) - سورة البقرة الآية (١٦٥) .

(٣٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في الحب في الله حديث (٢٣٩٠) .

ولله در احمد شوقي حيث يقول:

وَمَنْ يَعْدِلْ بِحُبِّ اللَّهِ شَيْئاً ... كَحُبِّ الْمَالِ ضَلَّ هَوَىٰ وَخَابَا

وقال آخر:

أُحِبُّكَ أَصْنَافاً مِنَ الْحُبِّ لَمْ أَجِدْ ... لَهَا مَثَلاً فِي سَائِرِ النَّاسِ يُوَصِّفُ

فَمِنْ حُبِّ الْحَبِيبِ وَرَحْمَةٍ ... بِمَعْرِفَتِي مِنْهُ بِمَا يَتَكَلَّفُ

وَمِنْهُنَّ أَلَا يَعْرِضُ الدَّهْرُ ذِكْرَهَا ... عَلَى الْقَلْبِ إِلَّا كَادَتِ النَّفْسُ تَتَلَفُ

وَحُبُّ بَدَا بِالْجِسْمِ وَاللَّوْنِ ظَاهِرٌ ... وَحُبُّ لَدَى نَفْسِي مِنَ الرُّوحِ أَلْطَفُ

ويرحم الله الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث يقول:

قَرِجُ الْقَلْبِ مِنْ وَجَعِ الذَّنُوبِ ... نَحِيلُ الْجِسْمِ يَشْهَقُ بِالنَّحِيبِ

أَضْرَبُ بِجِسْمِهِ سَهْرَ اللَّيَالِي ... فَصَارَ الْجِسْمُ مِنْهُ كَالْقَضِيبِ

وغير لونه خوف شديد ... لما يلقاه من طول الكروب

ينادي بالتضرع يا إلهي ... أقلني عثرتي وأستر عيوبي

فرعت إلى الخلائق مستغيثاً ... فلم أرى في الخلائق من مجيب

وأنت تجيب من يدعوك ربي ... وتكشِفُ ضُرَّ عَبْدِكَ يَا حَبِيبِي

ودائي باطنٌ ولديك طبٌ ... ومن لي مثل طيبك يا طيبي

والإمام علي رضي الله عنه في هذه المقطوعة الشعرية يصف نفسه بأنه جريح القلب من وجع الذنوب وأنه ضعيف الجسم يشهق بالبكاء،
غير لونه خوف شديد مما يلقاه، وأنه التجأ إلى الله يناديه بالتضرع ليقيل عثرته وينهضه مما هو فيه، وأنه فرح إلى الناس فلم يجد منهم
نجدة، وإن الله هو

١٦٠١٠ محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الذي يجيب من يناديه، ويكشف مكان الداء والضر، فهو يناديه يا حبيبي ويا طيبي، وله في مناجاة الله ووصفه بالحبيب والذي يأسر
بحبه القلوب، وأنه ليس في قلبه مكان لسواه، فهو وإن كان غائباً عن عينه وجسمه ولكنه حاضر أبداً في قلبه قوله:
حبيب بات يأسرني الحبيب ... وما لسواه في قلبي نصيب

حبيب غاب عن عيني وجسمي ... وعن قلبي حبيبي لا يغيب
وهكذا المؤمن في حبه لربه تجده شديد الحب لله، ملاً الله قلبه حباً له ولرسوله ولشريعته ولمن يحبه الله من خلقه، وفي الذكر الحكيم:
{وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} (١٦) ، ومن يرتدد عن دينه ويترك حب الله ودينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه وفي محكم التنزيل:
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (٢٦) .

محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
إذا كان الحب أصناف عديدة فإن حب الله ورسوله أغلاه وأعلاه، ومن علامة محبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ التخلق بأخلاقه، وإتباع سنته، والسير على طريقته، فلا يكمل إيمان المرء دون محبته وإتباع طريقته، وفي محكم التنزيل: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

(١٦) - سورة البقرة (١٦٥) .

(٢٦) - سورة المائدة (٥٤) .

١٦٠١١ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر محبة له ولأهل بيته

رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} (١٦) ، وفي الحديث النبوي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) (٢٦) .
من تمام محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم محبة آله وما يحب

إن من تمام محبته النبي صلى الله عليه وآله وسلم محبة ما يحب ومحبة صحابته ومحبة آل بيته وأزواجه وذريته، وفي محبة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الإمام الشافعي رضوان الله عليه:
يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له
وله أيضاً:

يا راجياً قف بالحصب من مني ... واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى مني ... فيضاً كلتطم الفرات الفاض
إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أنني رافضي
أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر محبة له ولأهل بيته

لقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر الناس محبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته حتى انه اثر عن الصديق رضي الله عنه انه قال: (والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي) (٣٦) .

وعلى ذلك النهج سار الخلفاء الراشدون حتى أثر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يعطي الحسن بن علي رضي الله عنهما أكثر مما يعطي ولده عبد الله بن عمر رضي عنهما. وجاء في الحديث النبوي في حق الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) (٤٦) .

محبة الصحابة من تمام محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 إن محبة أصحاب رسول الله عليه وآله وسلم لإيمانهم بالله ورسوله، وحبهم لله ورسوله، وجهادهم في سبيل الله، هي بلا شك من محبة ما
 يحبه الله ورسوله، وهي علامة الإيمان وقد جاء في حب الأنصار رضوان الله عليهم قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يحبهم إلا مؤمن ولا
 يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله) متفق عليه (٥٠)، وجاء في الذكر الحكيم في بيان صدق المهاجرين
 في إيمانهم وابتغائهم رضوان الله، ونصر الله ورسوله: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ

(١٦) - سورة آل عمران الآيتان (٣١ و٣٢) .

(٢٦) - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب حب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الإيمان حديث (١٥) .

(٣٦) - صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،
 حديث (٣٥٠٨) .

(٤٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب مناقب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديث (٣٧٣٦) ، وقال عنه: حديث حسن
 صحيح، والنسائي في السنن الكبرى باب الفرق بين المؤمن والمنافق حديث (٨٤٨٧) ، واحمد في المسند حديث (٦٩٣) ، والطبراني
 في الأوسط حديث (٤٧٥١) ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده حديث (٢٩١) .

(٥٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب حب الأنصار من الإيمان حديث (٣٥٧٢) .

اللَّهُ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (١٦) ، وقال جل شأنه: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
 وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (٢٦)
 ، فكانت الصحابة رفيعة، وخلقهم حسنة جليلة، وصدق إيمانهم شهد به القران، ورضي عنهم الرحمن، فهم خيار الناس وقدوتهم في
 توحدهم واتحادهم ومعاملتهم وجهادهم واجتهادهم، وفي الذكر الحكيم النبؤ اليقين عن النبي الكريم وصحابته الأكرمين من الأنصار
 والمهاجرين والذين اتبعوهم بإحسان بعد الفتح المبين: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
 يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَعٌ أَخْرَجَ شَطَأَهُ
 فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}

(٣٦) .

(١٦) - سورة الحشر (٨) .

(٢٦) - سورة التوبة (١٠٠) .

(٣٦) - سورة الفتح (٢٩) .

١٦.١٢ محبة المؤمنين

١٦.١٣ محبة الله لعبده أعظم نعمة

محبة المؤمنين

إن من علامة حب الله وحب رسوله وشريعته حب عباده المؤمنين، فحب المؤمنين سعادة وريادة، وفي الإيمان زيادة، فمن لا يحب
 المؤمنين لا يدخل جنة رب العالمين، وفي الحديث النبوي: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّىٰ

تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَفَلَا أدَّكَّرُ عَلَىٰ أَمْرٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشَوْا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) (١٦) .

محبة الله لعبده أعظم نعمة

من حبه الله إلى الناس فقد أسبغ عليه النعمة، وضاعف له الكرامة والمنة، فإذا أحب الله عبداً أحبه الناس، وإنما يكون المرء محبوباً عند الناس حينما يكون محباً لهم خيراً معيناً لهم على البر، تكسوه المهابة والجلال قال الشاعر:

وَجْهٌ عَلَيْهِ مِنَ الْحَيَاءِ سَكِينَةٌ ... وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مَعَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ ... أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ (٢٦)

وفي الحديث: {إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحْبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ ينادي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ ينادي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ فَيَبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ} (٣٦) . والله جل جلاله في محكم آياته أخبرنا بأنه يحب المتقين الصادقين في إيمانهم ذوي البر والوفاء قال تعالى: {بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} (٤٦) ، ويجب المقسطين مع أهلهم وأنفسهم وإخوانهم، ويجب المقسطين في أعمالهم قال تعالى: {وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (٥٦) ، ويجب المتوكلين على ربهم الذين يفوضون الأمر إليه ويعتمدون عليه قال جل شأنه: {فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (٦٦) ، ويجب المحسنين الذين تخلقوا بالعفو عن الناس قال سبحانه: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (٧٦) ، ويجب الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس قال تعالى: {وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} (٨٦) ، ويجب التوابين المستغفرين من آثامهم، ويجب المتطهرين من أدرانهم قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} (٩٦) .

فاحرص أخي أن تكون ممن يتصفون بهذه الصفات التي يحبها الله لتكون ممن يحبهم الله لتظفر بالسعادة، وتنال الحسنى وزيادة، ولا تكن من أصحاب التعاسة والشقاء فتتصف بصفات أهل الهوى فتؤذي الناس بسلوكك وتفسد في قيامك وقعودك، فالله قد أنبأنا في القرآن وفصل لنا في الفرقان فأوضح وأبان بأنه لا يحب المفسدين ففي الذكر الحكيم: {وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي

(١٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب في إفشاء السلام حديث (٥١٩٣) .

(٢٦) - هذان البيتان لابن عبدربه ، وانظر العقد الفريد ج ٢ ص ١٥٤ .

(٣٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده حديث (٢٦٣٧) .

(٤٦) - سورة آل عمران (٧٦) .

(٥٦) - سورة المائدة (٤٢) .

(٦٦) - سورة آل عمران (١٥٩) .

(٧٦) - سورة المائدة (١٣) .

(٨٦) - سورة آل عمران (١٤٦) .

(٩٦) - سورة البقرة (٢٢٢) .

الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْذِينَ} (١٦) . فالزم الأعمال الصالحة لتفوز بالتجارة الرابحة، ولا تكن من الظالمين فإنه سبحانه لا يحب الظالمين وفي الذكر الحكيم: {وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (٢٦) ، والتزم الاعتدال في أكلك وشربك، ولا تكن من المسرفين والمبذرين قال تعالى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (٣٦) ، وإياك والهزأ بشرع الله فإن ذلك سيجعلك في عداد الكافرين، والله لا يحب الكافرين كما يقول جل شأنه: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} (٤٦) ، وإياك والخيلاء والكبرياء فإن الله لا يحب المستكبرين قال تعالى: {لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا

يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ } (٥٦) ، وقال جل شأنه: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} (٦٦) .
 فتخلق أخي بالوفاء تكن من أهل الصفاء، فالله لا يحب الخائنين وفي الذكر الحكيم: {وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} (٧٦) ، وابتعد عن الظلم والإيذاء والاعتداء؛ فإن الله لا يحب المعتدين قال تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (٨٦) ، وكن محباً للناس يرفع جنابك، ومحباً لأهل التقوى يعظم ثوابك:
 بلاد بها كما وكنا نجها ... إذ الناس ناس والزمان زمان
 وقال آخر:

لا عار في الحب إن الحب مكرمة ... لكنه ربما أزرى بذوي الخطر

وإذا كنت أخي قد عرفت الخلال التي يحبها الله من آيات الذكر الحكيم فالزمها تفرز بالخير العظيم، وتجنب الخلال التي لا يحبها الله تكن من أهل اليقين الذين يحبهم الله، فحبة الله عز وجل للمؤمن تعني حفظه، وتأييده، ونصره، وإكرامه، وانزال الرحمة على قلبه. والانسان اذا احب الله مال الى محابه، وخذ الى ظله الى انواره الى تجلياته الى سكينته، الى الشعور بان الله يحبه ويحفظه، فاذا جفاك ربك وابعدك عن انواره شعرت بالمل لا يطاق.

فما حبنا سهل ولكن من ادعى ... سهولته قلنا له قد جهلنا
 فليس مافي الحب لصب قتله ... واصعب من قتل الفتى يوم هجرنا

- (١٦) - سورة القصص (٧٧)
- (٢٦) - سورة آل عمران (٥٧)
- (٣٦) - سورة الأعراف (٣١)
- (٤٦) - سورة الروم (٤٥)
- (٥٦) - سورة النحل (٢٣)
- (٦٦) - سورة النساء (٣٦)
- (٧٦) - سورة الأنفال (٥٨)
- (٨٦) - سورة البقرة (١٩٠)

١٦٠١٤ الفرق بين الحب والود

الفرق بين الحب والود

قد يرد في اللغة اسمان مختلفان لمسمى واحد ولكن مع فرق في المعنى فالاختلاف في المبني دليل اختلاف المعنى، وقد سبق وان اشرنا الى ان بعض الباحثين ذكر ان للهجة في لسان العرب ستين اسما واوردنا ما ذكره الامام ابن القيم في روضة المحبين من اسماء المحبة ومع ان بينها اختلاف في الالفاظ فهي تطلق على مسمى واحد ولكن يوجد بينها فروق دقيقة، فان قلت ماهو الفرق بين الود والحب قلنا الحب ماستقر في القلب، والود ماطهر في السلوك، فاذا كنت تحب فلانا فمشاعر الميل نحوه هي الحب، وابتسامك في وجهه هي الود، واذا قدمت اليه هدية فهي ود، او اعنته في مشكلة فهي ود، او عدته في مرض فهي ود، او اعطيته هدية في زواجه فهي ود، او نصحته فهي ود، فالمشاعر الداخلية هي الحب، والظواهر المادية هي الود، فكل ودود محب وليس كل محب ودودا، فكل ودود من البشر مودته اساسها مشاعر الحب في قلبه (١٦) ، والله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الكون وسخر مافيه للانسان وانعم عليه بنعم لا تحصى، وجعل نعمه تظهر حبه ووده لعباده فاذا صحت محبتك لله استيقظ قلبك وتفتحت بصيرتك ورايت ان كلها في الكون ماهو الا تودد من الله لعباده فهو الذي يتودد الى عباده بالنعم فتودد اليه بالايان به، وعبادته وطاعته، وامثال امره وترك ما نهى عنه، وبالتخلق باخلاق نبيه وبالبدل والعتاء، وبالاحسان الى خلقه، وبالشكر لنعمه، وتظفر بحبه وحفظه وتأييده ونصره ورحمته واكرامه والامن من عذابه، وتعرف على اسمه الودود فهو الغفور الودود الذي خلق المودة

- (١٦) - موسوعة اسماء الله الحسنى ج ١/ص ٥٧٣.

١٦٠١٥ الودود من اسماء الله الحسنى

بين خلقه وبين المرء وزوجه قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (١٦) .

الودود من اسماء الله الحسنى

ورد اسم الله الودود في القرآن الحكيم مقترنا باسم الله الرحيم وباسم الله الودود قال تعالى: {إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} (٢٦) وقال سبحانه: {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ} (٣٦) وورد في السنة النبوية ان لله تسعة وتسعين اسما وعد منها (الودود) كما في رواية الترمذي من حديث ابي هريرة فهو سبحانه وتعالى الودود الذي وصل احسانه الى عبادته وجميع خلقه والمتحبب الى خلقه بنعمته والى اوليائه بمعرفته، والى المذنبين بعفوه ورحمته والى المؤمنين المتقين بحبته، فالودود ماخوذ من الود بضم الواو بمعنى خالص المحبة فالودود هو المحب المحبوب بمعنى واد مودود، وقال ابن القيم رحمه الله: الودود من صفات الله سبحانه وتعالى أصله من المودة واختلف فيه على قولين فقيل هو ودود بمعنى واد كضروب بمعنى ضارب وقتول بمعنى قاتل ونؤوم بمعنى نائم ويشهد لهذا

١٦٠١٥ - سورة الروم (٢١) .

٢٦ - سورة هود (٩٠) .

٣٦ - سورة البروج (١٤) .

١٦٠١٦ ثمرة معرفة اسم الله الودود

القول أن فعولا في صفات الله سبحانه وتعالى فاعل كغفور بمعنى غافر وشكور بمعنى شاكر وصبور بمعنى صابر وقيل بل هو بمعنى مودود وهو الحبيب وبذلك فسره البخاري في صحيحه فقال الودود الحبيب والأول أظهر لاقتارانه بالغفور في قوله وهو الغفور الودود وبالرحيم في قوله إن ربي رحيم ودود وفيه سر لطيف وهو أنه يحب التوابين وأنه يحب عبده بعد المغفرة فيغفر له ويحبه كما قال إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فالتائب حبيب الله فالود أصفى الحب وألطفه (١٦) .

ثمرة معرفة اسم الله الودود

إذا عرف المكلف ان الله سبحانه وتعالى الودود الذي يكرم عباده ويحسن الى جميع خلقه وانه الذي يخلق المودة بين خلقه وانه لاودود على الاطلاق الا الله سبحانه وتعالى وجب عليه ان يؤمن به وان يخلص في محبته له، وان تكون محبته في قلبه غالبية لكل محبة وان يكون شاكرا لنعمه وفضله مخلصا في عبادته لربه وكيف لا تكون محبة الله في قلب عبده المؤمن سابقة لكل محبة وغالبية عليها وهو يعلم ان مامن نعمة كانت عليه او على غيره في السماوات او في الارض او هي كائنة الا وهي من فضل ربه تودد بها الى خلقه فله الحب وله الحمد وله الشكر وله الثناء كله، فسبحان من اودع محبته في قلوب المؤمنين المتقين من عباده فأثمرت الثناء عليه والانتثار من ذكره والتقرب اليه بالفرائض والنوافل والفوز برضاه والانس بقربه وتحقيق

(١٦) - روضة المحبين وجنة المشتاقين لابن القيم ص ٤٧ .

الاخلاص له وحسن معاملة خلقه، فنعمة الله عليك ترى فهو يتودد لعباده بنعم لا تحصى ويخلق المودة في قلوب بعضهم لبعض فافضل عمل، واحكم عمل يفعلها الإنسان بعد ان يؤمن بالله ان يتودد اليه بالطاعات واجتناب المعاصي وان يتودد الى الناس بالاحسان اليهم ففظ العبد من هذا الاسم ان يتودد الى العباد، فتودد اخي الى الطفل الصغير بالرحمة والى الشيخ الكبير بالاحترام والتقدير وتودد الى الناس كافة بالاحسان اليهم واكرامهم واطهار الشفقة والرحمة عليهم تكن من الفائزين بحبة الله ورضاه والانس بقربه، وفي الحديث النبوي افضل الاعمال بعد الايمان بالله (التودد الى الناس) (١٦) . وهنا تطالعنا حقيقة ملهوسة وهي ان الإنسان اذا احب يميل فاذا ابتعد المحبوب الم بالحب الم، وهذا الم الفراق

شكا الم الفراق الناس قبلي ... وروع بالجوى حي وميت
واما مثل ما ضمت ضلوعي ... فاني ما سمعت ولا رأيت
فهل يصح معنى الميل بالنسبة الى الله سبحانه وتعالى!؟

ان علماء التوحيد قالوا: " لا، فالميل الذي من شأنه الضعف والتحسر والالم، هذا لا يصدق على الله عز وجل، ولكن الإنسان اذا احب احسن، واذا احب خضع، واذا احب تذلل" فالإنسان هكذا يفعل، ولكن الله اذا احب احسن ورحم واكرم (٢٠) .
دعاء الله باسمه الودود

(١٦) - المعجم الاوسط للطبراني، ج٦/ص١٥٦.

(٢٠) - موسوعه اسماء الله الحسنی ج١/ ص ٥٧٤.

يا الله ياودود يارحيم ياغفور ياكريم صلي على محمد وال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم واسئلك يا الله ياودود ان تغفر لي ولوالدي وللمؤمنين جميع الذنوب فكل شقيق دونك كنود فارحم ياالله ياودود خاطأ لم يوف لك بالعهود وجمله بسترك في اليوم الموعد ياالله ياغفور ياودود اغفر لي كل شيء ولا تسألني عن اي شيء انك غفور ودود وادخلي الجنة بغير حساب واسكني الفردوس الأعلى من الجنة ياالله ياودود يارحيم ياكريم يا جواد وارزقني حبك وودك وحب من يحبك وكل عمل تحبه وحبيني الى خلقك وتفضل علي بحببتك ياكريم يارحيم ياودود وصل اللهم وسلم على محمد عبدك ورسولك وعلى اله والاصحاب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

ونودع فصل الحب بالحالة التي حكى عنها دعبل الخزاعي في وداع الحبيب حيث يقول:

وَدَاعُكَ مِثْلُ وِدَاعِ الرَّبِّيعِ ... وَفَقْدُكَ مِثْلُ إِفْتِقَادِ الدِّيمِ

عَلَيْكَ السَّلَامُ فَكَمْ مِنْ وِفَاءٍ ... نُفَارِقُهُ مِنْكَ أَوْ مِنْ كَرَمِ (١٦)

(١٦) - ديوان دعبل ص١٦٨.

١٧ الفصل السادس عشر الجمال

الفصل السادس عشر
الجمال

١٧٠١ الجمال

الجمال

الجمال نعمة وزينة، وحلية عظيمة، والجمال يزين النفوس ويذهب العبوس، ويرفع الرأس، والجمال هبة من الله وإفضال، أكرم به الإنسان، وهو زيادة في الحسن بين الرجال والنساء والولدان يدل على إتقان صنع الله وعظيم فضله، من أكرمه الله به وجب عليه شكر الواهب، والجمال في النساء حسن وزيادة، وفي الرجال فضل وسعادة، وفي الكلام حكمة وبيان، وفي الصفات تمام وكمال، وفي الصناعة إتقان وإحكام، وفي الاحكام عدل وإحسان، وفي التعامل بر ووفاء، وفي الدين تقوى ويقين، وفي الدنيا خلق مستقيم، وفي السياسة حسن تدبير واحترام الصغير والكبير، وفي السماء زينة للناظرين، وفي العقل تدبر وتفكر في آلاء الله العلي الكبير، وفي خلق السماء والأرض على أحسن نظام وأكمل تقدير وقد جاء في التنزيل: { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَؤُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا

لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ { (١٦) ، فسبحان من جعل الجمال في النجوم اللامعة، والكواكب الصاعدة، ورفع سمك السماء، وانزل منها الماء، فأنبت به حدائق ذات بهجة، واخرج به الثمرات الياضعة،
(١٦) - سورة الملك (١-٥) .

١٧٠٢ جمال الإنسان

وأحيا به الارض الواسعة قال جل شأنه: {قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ} (١٦) ، وقال سبحانه: {هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (٢٦) .
جمال الإنسان

لقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وفضله على كثير من الخلق أجمعين، وزينه بالجمال فتبارك الله أحسن الخالقين، واسجد له الملائكة أجمعين فقال سبحانه: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} (٣٦) ، وقال جل شأنه: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} (٤٦) ، فسبحان من خلق الجمال في العيون بلونها الأسود وجفنهما المقعد، وجعل في روعة خطرهما سحر تكاد له النفس تذوب، وفي طرفها حور يجرح القلوب قال الشاعر:

في عيون المحب أحرف ود ... صدرت بالدموع عند الفراق

قتلت أنفساً بنظرة عين ... وقلوباً مشتاقة للتلاقي

فسبحان من جعل الجمال في الفم وهو بالحسن محبوبك، وبالأسنان مسبوك، يرسل الكلمات ويبعث النغمات بلسان فصيح، وصوت مليح، لا

(١٦) - سورة يونس (١٠١) .

(٢٦) - سورة لقمان (١١) .

(٣٦) - سورة الحجر (٢٩) .

(٤٦) - سورة الإسراء (٧٠) .

ينطق حتى يؤمر، ولا يسكت حتى يزجر، فياله من خلق ما أبدعه، ومن صنع ما أروعه، {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ} (١٦) وسبحان من جعل الجمال في الوجه بطلعته البهية، وإشراقاته الرضية، قسمات ترسم، وقبلات عليه من البهاء تبسم، خد بماء البشاشة يسيل، وطرف بإيحاء الحسن كحيل، وسبحان من جعل الجمال في قامة الإنسان، وروعة هذا البنيان، أذنان وصماخان، وعينان نضاختان، ويدان مناختان، ورجلان كادحتان، وفي الذكر الحكيم: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ* وَطُورِ سِينِينَ* وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ* لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ* ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ* فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ الْإِيمَانِ* أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} (٢٦) .

أما عن جمال المعاني والمعالي فكن معنا ولا تذهب وتدعنا والله در القائل:

أنتم جمال المعالي وهي ذخركم ... أخبارها صرحت فيكم وغيركم (٣٦)

ويرحم الله ابن الرومي حث يقول:

إذا كنت لم تلبس لبوس تجلٍ ... بعرفٍ فلم تلبس لبوس جمال

(١٦) - سورة البلد (٨-٩) .

(٢٦) - سورة التين.

(٣٦) - إبراهيم صادق (١٢٢١ - ١٢٨٤ هـ/ ١٨٠٦ - ١٨٦٧ م) إبراهيم بن صادق بن يحيى العاملي الطيبي، شاعر من أهل قرية الطيبة من جبل عامل ببلدان مولده ووفاته فيها. أقام بالنجف ٢٧ سنة تعلم فيها الأدب وفقه الإمامية. له منظومة في (الفقه)

نحو ١٥٠٠ بيت. وشعر كثير عالي الطبقة.

ويرى بن الفارض في جمال محيا المصون لثامه عن اللثم ما أعاد فيه الحياة كالموت حيث يقول:
جَمَالُ مُحْيَاكِ الْمَصُونِ لثَامُهُ ... عَنِ اللَّثْمِ فِيهِ عُدْتُ حَيًّا كَكَيْتِ

ويرحم الله ابن الوردي حيث يقول:

لِلَّهِ دَرُّ أَنَاسٍ قَدْ مَضَوْا لَهُمْ ... نَشْرُ يَفُوحُ كَنَشْرِ الْمَنْدَلِ الْعَطْرِ
جَمَالَ ذِي الدَّارِ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ وَهُمْ ... بَعْدَ الْمَمَاتِ جَمَالَ الْكُتُبِ وَالسَّيْرِ
أما أبو القاسم الشابي فهو يقول:

غَيْرُ بَاقٍ فِي الْكُونِ إِلَّا جَمَالُ ... الرُّوحِ غَضًّا عَلَى الزَّمَانِ الْأَيْدِ

ويدعو احمد شوقي إلى اغتنام ما سخره الله لبني الإنسان من الجمال وطلب العلم فيقول:

وَأَغْنَمُوا مَا سَخَّرَ اللَّهُ لَكُمْ ... مِنْ جَمَالٍ فِي الْمَعَانِي وَالصُّورِ

وَأَطْلُبُوا الْعِلْمَ لِذَاتِ الْعِلْمِ لَا ... لِشَهَادَاتٍ وَأَرَابٍ أُخْرٍ

كَمْ غُلَامٍ خَامِلٍ فِي دَرْسِهِ ... صَارَ بَحْرَ الْعِلْمِ أَسْتَاذَ الْعُصْرِ

وله أيضا:

يَصْلِحُ الْمَلِكُ عَلَى طَائِفَةٍ ... هُمْ جَمَالُ الْأَرْضِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ

مَلَأُوا الدُّنْيَا عَلَى قَلَّتِهِمْ ... وَقَدِيمًا مَلَّتْ بِالْمُرْسَلِينَ

يَحْسُنُ الدَّهْرُ بِهِمْ مَا طَلَعُوا ... وَبِهِمْ يَزْدَادُ حُسْنًا أَفْلِينَ

قَدْ أَقَامُوا قُدُورَةَ صَالِحَةٍ ... وَمَضَوْا أَمْثَلَةً لِلْمُحْتَدِينَ

أما إيليا أبو ماضي فهو يقول:

والذي نفسه بغير جمال ... لن يرى في الوجود شيئاً جميلاً

في الامثال السائرة: ليس الجمال بالثياب أي ان جمال النفس اساس قال الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه:

ليس الجمال بأثواب تزيننا ... ان الجمال جمال العقل والادب

وقال اخر

ليس الجميل جميل الوجه والحلل ... بل من ثنى العزم نحو الجد والعمل

ويغفر الله للقائل

إذا شئت ان تلقى المحاسن كلها ... ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

جمال الأنعام

لقد خلق الله الأنعام إكراما للإنسان فأتقن صنعها، واخرج من ضرعها لبناً خالصاً سائغاً للشاربين فقال وهو العزيز الحكيم: {وَالْأَنْعَامَ

خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ* وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ* وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ

إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرْؤُوفٌ رَّحِيمٌ* وَالنَّحِيلَ وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (١٦-١) .

قوله تعالى: {وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ} هي: ذات القوائم الأربع كالإبل والبقر والغنم، وفي المصباح: الأنعام: ذوات الخلف

والظلف وهي

(١٦-١) - سورة النحل (٥-٨) .

الإبل والبقر والغنم، وقيل: تطلق الأنعام على هذه الثلاثة فإذا انفردت الإبل فهي نعم وإن انفردت البقر والغنم لم تسم نعماً (١٦) .
والدفء: ما يتدفئ به فيقي البرد، قال القرطبي: الدفء: السخانة وهو ما استدفئ به من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس وحلف وقطف جمع قطفة كساء له نمل أي وبر، وروي عن ابن عباس: دفؤها نسلها، قال الجوهري في الصحاح: الدفء: نتاج الإبل وألبانها وما تنتفع به منها (٢٦) ، وفي القاموس: الدفء بالكسر ويحرك نقيض حدة البرد كالدفءة (٣٦) ، وقال الدرويش: السخونة: اسم من دفئ الرجل من باب طرب وسلم، فالذكر دَفَانٌ والأُنثى دَفَأَى؛ مثل غضبان وغضبي ورجل دفئ بالقصر ورجل دفيء بالمد (٤٦)
قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ} الجمال: كل ما يتجمل ويتزين به، والجمال: الحسن، قال الراغب: الجمال: الحسن الكثير وذلك ضربان أحدهما: جمال يختص الإنسان به في نفسه أو بدنه أو فعله، والثاني: ما يوصل منه إلى غيره، وعلى هذا الوجه ما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله جميل يحب الجمال) (٥٦) تنبيهاً أنه منه تفيض الخيرات الكثيرة فيحب من يختص بذلك، قال تعالى: {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ} ويقال: جميل وجمال وجمال على التكثير (٦٦) ، وفي القاموس: الجمال الحسن في الخلق والخلق (٧٦) ، وقد ذكر القرطبي الوجهين فقال: الجمال: ما يتجمل به، والجمال الحسن، وقد جمل الرجل -بالضم- جملاً فهو جميل، والمرأة جميلة وجملاء أيضاً عن الكسائي وأنشد:

فهي جملاء كبدر طالع ... بذت الخلق جميعاً بالجمال
وقول أبي ذؤيب:

ستلقى من تحب فتستريح ... جمالك أيها القلب القريح

يريد الزم تجملك ولا تجزع جزعاً قبيحاً، قال علماءنا: فالجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة، ويكون في الأخلاق الباطنة ويكون في الأفعال، فأما جمال الخلقة فهو أمر يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلائماً، فتعلق به النفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر، وأما جمال الأخلاق فكونها على الصفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل والعفة وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل أحد، وأما جمال الأفعال فهو

(١٦) - المصباح المنير معجم عربي عربي تأليف العالم العلامة احمد بن علي الفيومي المقري، ص ٣٦٤، طبعة دار الحديث القاهرة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

(٢٦) - القرطبي في الجامع ج ١٠ ص ٧٠.

(٣٦) - القاموس المحيط تأليف العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفي سنة ٧١٣هـ، ص ٤٠، الطبعة السابعة ١٤٢٤م، الناشر مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

(٤٦) - إعراب القرآن وبيانه للأستاذ العلامة محيي الدين الدرويش، ج ٥ ص ٢٦٩، الناشر دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع دمشق ١٤١٨هـ ١٩٨٨م.

(٥٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب تحريم الكبر وبيانه حديث (٩١) ، واحمد في المسند عن عبد الله بن عباس حديث (٣٧٨٩) .

(٦٦) - انظر: المفردات ١٠٥ ، ونحوه في البصائر ج ٢ ص ٣٩٥.

(٧٦) - القاموس المحيط ص ٩٧٩.

وجودها ملائمة لمصالح الخلق القاضية بجلب المنافع منهم وصراف الشر عنهم (١٦) .

قلت: والقول بأن الجمال يأتي في الخلق والخلق قول راجح، وهو الذي تدل عليه لغة العرب، ومن الأدعية المأثورة: (اللهم جملي بالتقوى وزيني بالحلم وأكرمني بالعافية) قال عمرو بن معد يكرب:

ليس الجمال بمئزر ... فاعلم وإن رديت برداً

إن الجمال معادن ... ومناقب أورثن مجداً

وقال آخر:

أقبل أرضاً سار فيها جمالها ... فكيف بدار دار فيها جمالها
على كل حال أم عمرو جميلة ... إذا لبست خلقانها أو جديدها
أما جمال الأنعام والدواب فهو من جمال الخلقة وهو مرئي بالأبصار موافق للبصائر، ومن جمالها كثرتها وقول الناس إذا رأوها: هذه
نعم، قاله السدي، ولأنها إذا راحت توفّر حسنها وعظم شأنها وتعلقت القلوب بها لأنها إذ ذاك أعظم ما تكون أسمنة وضروعا، قاله
قتادة. (٢٠)

قوله تعالى: {حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ} تريحون: الرواح: رجوع المواشي بالعشي من المرعى (٣٠)، وتسرحون: تخرجونها إلى
المراعي بالغداة، فالسراح يكون بالغداة.

(١٦) - القرطبي في الجامع ج ١٠ ص ٧١.

(٢٠) - القرطبي في الجامع ج ١٠ ص ٧١.

(٣٠) - صفوة التفاسير ج ٢ ص ١١٩.

وفي المصباح: سرحت الإبل سرحاً من باب نفع، وسروحاً رعت بنفسها، وسرحتها يتعدى ولا يتعدى وسرحتها - بالثقل - مبالغة
وتكثير (١٦).

والمراد: ولكم في هذه الأنعام والمواشي التي خلقها لكم جمال حين تردونها من مسارحها إلى مراحها ومنازلها التي تؤوي إليها، ولذا
يسمى المكان المراح لأنها تراح إليه عشياً فتأوي إليه، يقال منه: أراح فلان ماشيته فهو يريحها إراحة، وقوله تعالى: {وَحِينَ تَسْرَحُونَ}
قال الطبري: أي في وقت إخراجكموها غدوة من مراحها إلى مسارحها، يقال: سرح فلان ماشيته يسرحها تسريحاً إذا أخرجها للرعي
غدوة، وسرحت الماشية إذا أخرجت للرعي تسرح سرحاً وسروحاً، فالسرح بالغداة والإراحة بالعشي. (٢٠)

وقوله تعالى: {وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ} أي ما يتحمل الإنسان حملة من الأمتعة والطعام وغيره، فالأثقال جمع ثقل، سميت أثقالاً لأنها تثقل
الإنسان وتعبه؛ أو لأنها ثقيلة الحمل، قال الراغب: الثقل والخفة متقابلان فكل ما يترجح على ما يوزن به أو يقدر به يقال له ثقل وأصله
في الأجسام ثم يقال في المعاني نحو أثقله الغرم والوزر، قال: وقوله: {أَثْقَالَكُمْ} أي أحمالكم الثقيلة (٣٠).

قوله تعالى: {بِشِقِّ الْأَنْفُسِ} أي: بجهدها - بكسر الشين وفتحها - وهما لغتان بمعنى المشقة وبينهما فرق وهو أن المكسور بمعنى النصف
كأنه يذهب نصف قوته

(١٦) - المصباح المنير ١٦٥.

(٢٠) - ذكر ذلك الإمام ابن جرير الطبري ج ٨ ص ٩٧.

(٣٠) - المفردات ٨٥ و ٨٦.

لما ناله من الجهد، وأما المفتوح فهو مصدر شق عليه الأمر شقاً وحقيقة راجعة إلى الشق وهو الصدع، وفي المختار: الشق بالكسر نصف
الشيء (١٦).

قوله تعالى: {وَالْخَيْلِ} الخيل: في الأصل اسم للأفراس، ويرد للفرسان، ويستعمل في كل واحد منهما مفرداً، وفي المصباح: الخيل:
معروفة وهي مؤنثة ولا واحد لها من لفظها والجمع خيول، قال: وقال بعضهم: وتطلق الخيل على العراب، وعلى البراذين، وعلى الفرسان،
وسميت خيلاً لاختيالها وإعجابها بنفسها (٢٠)، وفي المفردات: والخيل في الأصل اسم للأفراس والفرسان جميعاً، على ذلك قوله تعالى:
{وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} ويستعمل في كل واحد منهما مفرداً نحو ما روي (يا خيل الله اركبي) (٣٠) فهذا للفرسان، وقوله صلى الله
عليه وآله وسلم: (عفوت لكم عن صدقة الخيل) (٤٠) يعني الأفراس، وذكر نحوه الفيروزآبادي (٥٠).

وقوله تعالى: {وَالْبِغَالِ} البغال: حيوان متولد من حيوانين مختلفي النوع، ومعروف أنه يطلق على الحيوان الأهلي المتولد بين الحمار والفرس،
والبغال هنا في الآية جمع بغل حيث يجمع على بغال وأبغال، وتسمى الأنثى بغلة وتجمع على بغلات وبغال أيضاً، وفي المصباح: البغل:
معروف، وجمع القلة أبغال، وجمع الكثرة بغال، والأنثى بغلة بالهاء، والجمع بغلات مثل سيدة

(١٦) - إعراب القرآن وبيانه ج ٥ ص ٢٧٠ , ومختار الصحاح ص ٨٥ .

(٢٦) - المصباح المنير ص ١١٤ .

(٣٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب يا خيل الله اركبي .

(٤٦) - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى باب لا صدقة في الخيل حديث (٧١٩٨) , وأحمد في المسند عن الامام علي بن أبي طالب

رضي الله عنه حديث (٩٨٤) , والطبراني في المعجم الصغير ج ١ ص ٣٨٧ حديث (٦٤٩) .

(٥٦) - المفردات ص ١٦٩ , والبصائر ج ٢ ص ٥٨١ .

وسيدات (١٦) , وقال الراغب: البغل: المتولد من بين الحمار والفرس (٢٦) , وفي المختار: البغل: واحد البغال، والبغال بالتشديد صاحب البغل (٣٦) .

وقوله تعالى: {وَالْحَمِيرُ} الحمار: حيوان معروف ويطلق على الذكر حمار وعلى الأنثى أتان، وفي المصباح: الحمار الذكر والأنثى أتان، وحماره

بالهاء نادر، والجمع حمير وحمير بضمهمين وأحمره، وحمار أهلي بالتنوين، وجعل أهلي وصفاً وبالإضافة (٤٦) , وقال الراغب: الحمار الحيوان

المعروف وجمعه أحمره وحمير وحمير، ويعبر عن الجاهل بذلك لقوله تعالى: {كَمَثَلِ الْحَمَارِ يَمْحُلُ أَسْفَاراً} . (٥٦) وفي المنجد: الحمار حيوان

معروف منه أهلي ومنه وحشي، ويقال لهذا حمار وحش وحمار الوحش والحمار الوحشي وحمار الزرد جنس من الحمار الوحشية أبيض

اللون مخطط بخطوط سود، والحمار البري حيوان من فصيلة الخيليات هيكله ما بين الحمار والحصان وهو يعيش في السهول الكبرى

المعشبة وفي الجبال (٦٦) .

وقوله تعالى: {وَزِينَةً} الزينة: ما يتزين به في الحياة من متع الدنيا مما لا حظ فيه ولا تحريم، قال الراغب: الزينة الحقيقة: ما لا يشين

الإنسان في

(١٦) - المصباح المنير ص ٣٨ .

(٢٦) - المفردات ص ٦٥ .

(٣٦) - مختار الصحاح ص ٥١ .

(٤٦) - المصباح المنير ص ٩٣ .

(٥٦) - المفردات ص ١٣٨ , والآية (٥) من سورة الجمعة .

(٦٦) - المنجد في اللغة والأعلام ص ١٣٥ .

١٧٠٣ جمال الكون

أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة، فأما ما يزينه من حالة دون حالة فهو من وجه شين (١٦) .

قلت: وهذه الزينة هي المدركة بالبصر في الخيل والبغال والحمير ويعرفها العامة والخاصة وينتفع بها.

قال القرطبي: المعنى وجعلها زينة، قال: والزينة ما يتزين به وهذا الجمال والتزين وإن كان من متع الدنيا فقد أذن الله تعالى لعباده فيه،

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (الإبل عز لأهلها والغنم بركة والخيل في نواصيها الخير (٢٦)) . (٣٦)

جمال الكون

إن الجمال الذي أودعه الله الكون يجذب الإنسان إلى حبه، ويدعوه إلى شكر ربه الذي أحسن كل شيء خلقه.

الم تر هذا الكون في صنعه عبر ... وفي كل شيء وفي طلعتة خبر

كأن الثريا علقت بجبينه ... وفي جيده الشعري وفي وجهه القمر

وجاء في شعر سلامة العباسي:

يخلق الله كل شيء جميلاً ... كل حسن من خالق ديان

(١٦) - المفردات ص ٢٢٢ .

(٢٦) - الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٧٩ و ٨٠ ، والحديث: أخرجه ابن ماجه في سننه باب في اتخاذ الماشية بلفظ: (الإبل عز لأهلها والغنم بركة والخير معقود في نواصي الخليل إلى يوم القيامة) حديث (٢٣٠٥) .

(٣٦) - انظر لتفصيل أوسع: مؤلفنا خلاصة الكلام في تفسير آيات الاحكام ج (٣) ص (١٢-١٨) .
فالجمال الرائع من حسن تدبير الصانع، ولضياء الدجيلي:

هو الله في الوجود تجلى ... ببدع الآثار للرواد

الله جميل يحب الجمال، موصوف بالهبة والجلال، فانظر نهجه وخلقه، وقد انبت حدائق ذات بهجة، وخلق الإنسان في أحسن تقويم، وأبدع الكائنات في تصوير مستقيم، جمال في كواكب السماء، وحسن يكسو الأشياء، نجوم زاهرة، وبحار زاخرة، وارض مكسوة بأحسن نسيج، وحدائق فيها من كل زوج بهيج، رسم الجمال في الكائنات، وخط الحسن في المخلوقات، وفطر القلوب على محبتها، وإمتاع النفوس إلى النظر إليها، { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (١٦) .

فسبحان من جعل الجمال في الروض الجذاب بجماله الخلاب محبوب، وجعل الطيور تلقي قصائد الحنان على منابر الأغصان، فناء يسكب ونسيم يكتب، وانهار تتدفق، ومسك من الروض يفوح حتى ينضب، حصن باهي، وإبداع الأهي، { سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى * لَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى * سَنَقِرُوكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى } (٢٦) ، قال الشاعر:

(١٦) - سورة الأنعام (٩٩) .

(٢٦) - سورة الأعلى (٧-١) .

١٧٠٤ الجميل في أسماء الله الحسنى

انظر إلى الروض واشهد ان مبدعه ... رب الوجود عظيم القدر والشان
وسرح الطرف فيما شئت من حسن ... ما بين زهر وأطياف وأغصان
وسبحان من جعل الجمال في الصبح إذا تنفس، وصوره وتقدس، وجعل الجمال في الشمس وهي على الكون تبرز، ليتمتع بضوئها وحسنها كل حي ويتفرج، وجعل الجمال في القمر حين يبدو علينا بوجه صبيح، ومنظر مليح قال الشاعر:
من لم ير هذا الوجود بقلبه ... خسر الجمال ولم تر عيناه
فافتح كتاب الكون تقرأ قصة ... هل في الوجود حقيقة إلا هو (١٦)
أما الشايفي فهو يقول:

وقلتُ هو الكونُ مهدُّ الجمالِ ... ولكنَّ لكلِّ جمالٍ خريفٌ

الجميل في أسماء الله الحسنى

قد ورد هذا الاسم في السنة النبوية ولم يرد في القران الكريم، والله هو سبحانه الجميل الذي لا أجمل منه بل لو كان جمال الخلق كلهم على رجل واحد منهم وكان جميعهم بذلك الجمال، لما كان جمالهم قط نسبه إلى جمال الله، فسبحانه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير، وقد روي في السنة النبوية ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ) (٢٦) ، ومن أحق بالجمال ممن كل جمال في الوجود هو من آثار

(١٦) - مقامات القرني ص (٢٧٩) .

(٢٦) - صحيح مسلم باب تحريم الكبر وبيانه حديث (٩١) .

١٧٠٥ ثمرة معرفة اسم الله الجميل

صنعه، فله جمال الذات، وجمال الأوصاف، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء، فأسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها كمال، وأفعاله كلها جميلة، فكلها حكمة ومصلحه وعدل ورحمة.

وقال الخطابي: الجميل هو المجمع المحسن، فعيل بمعنى مفعول، وقال البشري: وقد يكون الجميل معناه ذو النور والبهجة (١٦) أي مالكمها.

وقال القشيري أيضا: معناه معنى الجليل.

وقيل: المعنى جميل الأفعال بكم، والنظر لكم يكلفكم اليسر ويعين عليه، ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه، فيحب الجمال منكم، أي التجميل في قلة إظهار الحاجة إلى غيره، قاله أبو بكر الصوفي.

قال القرطبي قلت: فهذا الاسم من أسماء الذات ومن أسماء الأفعال، قال: ولا خلاف في إجرائه على العبد وصفاً وفعلاً، يقال منه جمل الشيء يجمل فهو جميل (٢٦) .

ثمرة معرفة اسم الله الجميل

إذا عرف المكلف ان الله جل وعلا جميل يحب الجمال وجب عليه ان يعتقد ان الجمال كله لله سبحانه وتعالى، وان كل جمال منه وبه، ثم ان عليه ان يتجمل بالطاعات والأعمال الصالحة ويجمل باطنه كما يجمل ظاهره وذلك بتصفيته من الأوضار، كالغل والحسد والشماتة وسوء الظن إلى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة والبدع الضالة المضلة، فيكون قلبه موافق ظاهره فيجمل به أهله وولده ومن عاشره وخالطه، ثم ان تفضل الله على

(١٦) - الاسماء والصفات للبيهقي ص ٥٩.

(٢٦) - الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى للقرطبي ص (٢٩٢-٢٩٤) .

عبد بجمال في خلقه وخلقه ليتم عليه نعمته وفضله، فالواجب إذا شكر ذلك للنعم المتفضل (١٦) ، ولا يغتر بما وهبه الله من جمال أو يتكبر وفي السنة النبوية (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ) (٢٦) ، وعن الأحوص الجشمي قال: راني النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي اطمار (٣٦) فقال: (هل لك من مال؟) قلت: نعم. قال (من أي المال) قلت: من كل ما أتى الله من الإبل والشاء، قال: (فَلْتَرِ نِعْمَةَ اللَّهِ وَكَرَامَتَهُ عَلَيْكَ) (٤٦) ، فهو سبحانه يحب ظهور اثر نعمته على عبده، فانه من الجمال الذي يحبه. وذلك من شكره على نعمه، وهو جمال باطن، فيجب ان يرى على عبده الجمال الظاهر بالنعمة، والجمال الباطن بالشكر عليه.

ولحبه سبحانه للجمال انزل على عباده لباساً وزينة تجمل ظاهريهم وتقوى تجمل باطنهم فقال: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} (٥٦) ، وقال في أهل الجنة: {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا* وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا} (٦٦) ، فجمال وجوههم بالنضرة وباطنهم بالسورور وأبدانهم بالحرير. وهو سبحانه

(١٦) - الاسنى ص (٢٩٥) .

(٢٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء ان الله تعالى يحب ان حديث (٢٧٤٤) .

(٣٦) - أطمار: جمع طمر وهو الثوب الخلق البالي.

(٤٦) - المعجم الكبير للطبراني باب (٤) حديث (١٥٩٥٠) .

(٥٦) - سورة الأعراف (٢٦) .

(٦٦) - سورة الإنسان (١١-١٢) .

كما يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهيئة، يبغض القبيح من الأقوال والأفعال ويحب الجمال وأهله (١٦) .
والمؤمن يعرف الله سبحانه وتعالى بالجمال الذي لا يماثله في شيء، ويعبد الله بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق، فيجمل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه، أو التطهير من النجاسة والأحداث، فيعرف الله بصفة الجمال ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة، فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه.

قال الإمام ابن القيم: وفصل النزاع أن يقال الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع: منه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم.

فالمحمود منه: ما كان لله، وأعان على طاعة الله، وتنفيذ أوامره والاستجابة له، كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتجمل للوفود وهو نظير لباس آله الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه. فإن ذلك محمود إذا تضمن إعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه. والمذموم منه: ما كان للدنيا والرئاسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه، فإن كثيراً من النفوس ليس لها همة في سوى ذلك.

(١٦) - الجامع لاسماء الله الحسنى ص (٦٨) .

١٧٠٦ دعاء الله باسمه الجميل الجليل

وأما ما لا يحمد ولا يذم: هو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين.

والمقصود أن هذا الحديث الشريف مشتمل على أصلين عظيمين: فأوله معرفة وأخره سلوك، فيعرف الله سبحانه وتعالى بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء، ويعبده من الجمال الذي يحبه من الأقوال والأفعال والأخلاق فيحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والأوساخ والشعور المكروهة والختان وتقليم الأظفار، فيعرفه بصفات الجمال ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة، فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه، فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة والسلوك. (١٦)

دعاء الله باسمه الجميل الجليل

نسألك اللهم يا جميل يا جليل يا من جماله وجلاله ملؤا الارض والسماء، أن توفقنا والمؤمنين إلى ما تحب وترضى من القول والفعل الجميل، وأن تجملنا بالقوى وتزيننا بالحلم وان تكرمنا بالعافية، وان تصلنا ببرك وإحسانك الجميل، وأن ترزقنا والمؤمنين محبتك ومحبة شريعتك ومحبة عبادك الصالحين، واتباع هدي نبيك خاتم المرسلين انك على كل شيء قدير،

(١٦) - الفوائد لابن القيم، ص (٣٥٧) ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبد الرحمن احمد زمري، الطبعة الأولى، الناشر: الشركة الجزائرية اللبنانية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وأزواجه وذريته وصحابه أجمعين كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد. وقد أحسن القائل:

رب رحيم مشفق متعطف ... لا ينتهي بالحصر ما أعطاه
كم نعمة أولى وكم من كربة ... أجلي وكم من مبتلى عافاه
فإذا بليت بغربة أو كربة ... فادع الإله وقل سريعا ياهو
لا محسن الظن الجميل به يرى ... سوا ولا راجيه خاب رجاه
ولحله سبحانه يعصى فلم ... يعجل على عبد عصي مولاة
يأتيه معتذرا فيقبل عذره ... كرمًا ويغفر عمده وخطاه

ياذا الجلال وَذا الجَمال وَذا الكَرَم ... يا منعمًا عم الانام نداء
يا من هوالمعروف بالمعروف يا ... غوثاه يا رباه يا مولاه
ثم الصلاة على النبي تحضه ... وتعم بالخيرات من والاه
ما صاح في عذب العذيب مغرد ... أو لاح برق الابرقين سناه (١٦)

(١٦) - ديوان البرعي.

١٨ الفصل السابع عشر الحسد

الفصل السابع عشر
الحسد

١٨٠١ الحاسد جاحد

١٨٠٢ الحسد

الحسد

الحسد يفسد القلب، ويسخط الرب، ويحرق الكبد، ويذيب الجسد، ويبعث البغضاء، من تخلق به أضر دينه ودنياه، وأضعف يقينه، واتبع هواه، فمن طال حسده دام كمده، وكثر تعبته، وضعف بصره، وزلت به إلى الحضيض قدمه، والحسد يفسد على أهل الدين دينهم، وعلى الملوك وأصحاب المال دنياهم، لأنه يحمل على البغي، وبحود النعمة، والتناول على الخلق، فهو داء عيُّ قلماً تجد له دواء، إلا من تاب وعاد إلى الحق، وأحب الخلق، فإن الله تواب رحيم، والحسد داء القلوب، ورأس العيوب، من تخلق به ركب المعاصي، واقترب المخازي، وفارق الرشد، ووقع في النكد، ذنب الحاسد لا يبلى، وجرحه لا يؤسى، من تحلى به زل قدمه، وطال ندمه، وساء خلقه، وضل عقله، لا يأمن صاحبه المكائد، ولا تفارقه الشدائد، لإفساد شهوة الحسد لدينه، وإضعافها ليقينه، وقد قيل: "الحسد أشد غرض، والطمع أضر عرض"، وأفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه، ولم تزل الشبهة يقينه، وخير الناس من أخرج الحرص من قلبه، وعصى هواه في طاعة ربه، وقد أمر الله بالاستعاذة من شر الحاسد، لأن ضرر الحسد عظيم، وخطره جسيم، وقد جاء في الذكر الحكيم: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} (١٦) .

الحاسد جاحد

الحسد من الرذائل الخلقية، وهو من أقبح الخصال التي تصيب الإنسان وتكده له عيشه، والحسود يمتنى الشقاء والنحس لغيره فيشتقي نفسه، فهو بدلاً من أن يستمد السرور مما أوتي من خير يراه يستمد الخير من الخير الذي أوتيه سواه، والله در القائل:
اصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل نفسها ... إن لم تجد ما تأكله

وقال آخر:

يا حاسداً لي على نعمتي ... أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه ... لأنك لم ترض لي ما وهب
فأخزك ربي بأن زادني ... وسد عليك وجوه الطلب
أما الشريف الرضي فهو يقول:

ولا تؤاخذ من الأقوام منطوياً ... على الضغينة مملوءاً من الحسد
ليس المؤمن بحسود

(١٦) - سورة الفلق.

المؤمن لا يكره نعم الله ولا يحب زوالها على من أنعم الله عليه، بخلاف الحاسد فإنه يحب زوال نعم الله ويكره دوامها وبقائها، والمؤمن قد يغبط ولكنه لا يفسق ويحسد، ولهذا أثنى الله تعالى على رهط من المؤمنين من أهل اليمن استوطنوا المدينة وذاقوا حلاوة الإيمان بسلامة ونقاء صدورهم وذهاب الحسد والغيط من قلوبهم حينما قدموا المهاجرين على أنفسهم وانشروا للإسلام صدورهم فقال جل شأنه: {وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (١٦) ، وقد حكى الله تعالى حسد اخوة يوسف عليه السلام وصنيعهم وعبر عما في قلوبهم وكشف ضميرهم، فقال: {إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ} (٢٦) ، وفي ذلك من البيان لمضار الحسد، وحمله على الظلم وفساد المعتقد، واقتراف الذنوب التي تغضب الواحد الأحد، وقد حمل الحسد بعض أهل الكتاب على مودة رد المؤمنين عن إيمانهم حسداً وبغياً من عند أنفسهم، فقال جل شأنه: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ

(١٦) - سورة الحشر الآيات (١٠ و ٩) .

(٢٦) - سورة يوسف الآيات (٩ و ٨) .

١٨٠٣ الحسد خطير وعلاجه عسير

كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١٦) .
الحسد خطير وعلاجه عسير
الحسد: تمني زوال النعمة عن صاحبها فهو يلعب دوراً خطيراً، فيمزق أواصر المجتمع، فربما حسد الفقير الغني فأفسد دينه، وحسد النساء الرجال، وحسدت القبيحة من النساء الجميلة، وقديماً قيل:
حَسَدُوا الْفَتَىٰ إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعِيَهُ ... فَالْقَوْمُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ
كَضَرَّائِرِ الْحَسَنَاءِ قَلْبَنَ لَوْجِهَا ... حَسَدًا وَبَغِيًّا إِنَّهُ لَدَمِيمٌ (٢٦)
أما الواواء الدمشقي (٣٦) فهو يقول:
هُمُ يَحْسُدُونِي عَلَىٰ مَوْتِي فَوَا أَسْفِي ... حَتَّىٰ عَلَىٰ الْمَوْتِ لَا أَخْلُو مِنْ الْحَسَدِ
فإذا شاع الحسد بين الناس وحسد بعضهم بعضاً زال الخير عنهم، وحل الجفاء، واشتعلت نار الفتنة، وعمتهم المصيبة والحنة، وفي الحديث النبوي: (لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا) (٤٦) أي أنهم إذا تحاسدوا زال الخير

(١٦) - سورة البقرة الآية (١٠٩) .

(٢٦) - هذان البيتان لأبي الأسود الدؤلي .

(٣٦) - الواواء الدمشقي (٣٨٥هـ/٩٩٥م) محمد بن أحمد العناني الدمشقي أبو الفرج . شاعر مطبوع، حلو الألفاظ: في معانيه رقة،

كان مبدأ أمره منادياً بدار البطيخ في دمشق . له (ديوان شعر- ط) .

(٤٦) - أخرجه الطبراني في الكبير حديث (٨١٥٧) .

عنهم، وجاء في حديث آخر: (دب إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء) (١٦) .

فالحسد خلقه اللؤم، ولذته الوشاية، والوقية بين الناس، فهو لا ينفك في الدس على المحسود الناجح لأنه يريد تشويه سمعته أو زحزحته من مكاتته، والحسود إنسان فاقد الثقة بنفسه، مستشعر العجز عن تحقيق غايته، لذلك نهى القرآن عن الحسد فقال: {وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ

اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُ لَهُمْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْتُ لَهُنَّ وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦) ، وقد نهى الله في هذه الآية عن تمني ما أوتي الغير وهو التعرض له بالقلب حسداً، فكيف إذا حاول إزالة هذه النعمة واستنكر على ربه تلك المنة إنه يكون بذلك في عداد المستكبرين، وقد حكى الله قصته في محكم الذكر الحكيم، ولقد أخبر الله في الآية السالفة البيان المؤمنين بأن ما يكتسبه الإنسان هو نتيجة عمله وسعيه وما تفضل به عليه ربه فليسأل الله المؤمن أن يعطيه من فضله وبره.

(١٦) - أخرجه الترمذي في سننه حديث (٢٥١٠) .

(٢٦) - سورة النساء الآية (٣٢) .

١٨٠٤ الحاسد لا يرد قدر الرازق.

الحاسد لا يرد قدر الرازق.

في الأمثال السائرة: "ماذا يصنع الحاسد مع الرازق" أي أن الحسد لا يرد قدر الرازق وهو الله سبحانه وتعالى، فليس له إلا الحسد وعناؤه.

وفي مجمع الأمثال لهيداني: "ليس للحاسد إلا ما حسد" أي لا يحصل على شيء إلا على الحسد فقط و (ما) مع الفعل مصدر كأنه قيل: ليس للحاسد إلا حسده. (١٦)

فالحاسد يستحق الرثاء على نفسه والشفقة عليه مما ألم به، والأحرى بالمحسودين أن يعفوا عن الحاسدين، كما أمر بذلك رب العالمين حيث يقول: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} (٢٦) . وقال معن بن زائدة:

إِنِّي حُسِدْتُ فَرَادَ اللَّهُ فِي حَسَدِي ... لَا عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مُحْسُودٍ

مَا يُحْسِدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ ... بِالْعِلْمِ وَالظَّرْفِ أَوْ بِالْبَاسِ وَالْجُودِ (٣٦)

وفي امثال العرب الحسد داء الجسد، والحسد داء لا يبرء، والحسد داعية التكدر، والحسد مطية التعب، وقيل الحسود فقير وعند الله حقير، والحسود لا يسود، وقيل لراحة الحسود، وصحة الجسد من قلة الحسد، وفي الذكر الحكيم {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَاهُمُ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} (٤٦) ، {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَاخِذُهَا ذُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَبْعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَكَ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا} (٥٦) ،

(١٦) - مجمع الأمثال ص ٢٠١ .

(٢٦) - سورة البقرة الآية (١٠٩) .

(٣٦) - انظر: أمالي المرتضى ج ١ ص ٤١٥، وزهر الأدب لأبي اسحاق القيرواني ج ١ ص ٢٠٣، والموسوعة الشعرية ص ١٨١ .

(٤٦) - سورة النساء الآية (٥٤) .

(٥٦) - سورة الفتح الآية (١٥) .

١٨٠٥ الحسد ذميم فلا تتخلق به

الحسد ذميم فلا تتخلق به

جاء في أدب الجاحظ في ذم الحسد والحاسد: "الحسد أبقاك الله داء ينهك الجسد، علاجه عسير، وصاحبه ضجر، وهو باب غامض، وما ظهر منه فلا يداوى، وما بطن منه فداويه في عناء، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (دب إليكم داء الأمم من قبلكم: الحسد والبغضاء) (١٦) ، والحسد عقيدة الكفر، وحليف الباطل، وضد الحق، منه تتولد العداوة، وهو سبب كل قطيعة، ومفرق كل جماعة، وقاطع كل رحم من الأقرباء، ومحدث التفرق بين القرناء، وملقح الشر بين الخلفاء". (٢٦)

ولا بن سعيد المغربي:
 ولا تجادل أبداً حاسداً ... فإنه أدعى إلى هيبتك
 وامشي المويبي مظهراً عفة ... واغ رضا الأعين عن هيبتك
 أفش التحيات إلى أهلها ... ونبه الناس إلى ربتك
 ولأبي حسن التهامي:
 إني لأرحم حاسدي لحر ما ... ضمت صدورهم من الأوغار
 نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار
 أما الطغرائي فهو يحذر من عداوة الحاسد فيقول:
 جامل عدوك ما استطعت فإنه ... بالرفق يطمع في صلاح الفاسد
 واحذر حسودك ما استطعت فإنه ... إن نمت عنه فليس عنك براقد
 إن الحسود وإن أراك تودداً ... منه أضر من العدو الحاقد

- (١٦) - أخرجه الترمذي في سننه حديث (٢٥١٠) .
 (٢٦) - مجلة المنار نقلاً عن رسالة الحاسد والمحسود للجاحظ ج١ ص٥٧٤.

١٨٠٦ الكرام من الناس تحسد

ولربما رضي العدو إذا رأى... منك الجميل فصار غير معاند
 ورضا الحسود زوال نعمتك التي ... أوتيتها من طارف أو تالد
 فاضبر على غيظ الحسود فناره ... ترمي حشاه بالعذاب الخالد
 أو ما رأيت النار تأكل نفسها ... حتى تعود إلى الرماد الهامد
 تضيفو على المحسود نعمة ربه ... ويذوب من كمد فؤاد الحاسد (١٦)
 الكرام من الناس تحسد

الكرام تحسد، والفضيلة بين اللئام تُجحد، فإن شئت أن تكون من أهل الفلاح فلا تحسد لترشد، وقد جاء في شعر عمر بن لجأ التيمي:
 إن العرائن تلقاها محسدة ... ولا ترى للئام الناس حسادا
 كم حاسد لهم يعي بفضلهم ... ما نال مثل مساعيمهم ولا كادا
 وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما من احد له نعمة الا وجدت له حاسدا، ولو كان المرء اقوم من القدح لوجدت له غامزا، وما
 ضرت كلمة لم يكن لها خواطب. وقال علي رضي الله عنه: لاراحة لحسود، ولا اخاء لملول، ولا محب لسيء الخلق. ... أما الكميث
 بن زيد الأسدي فهو يقول:

إن يحسدوني فإني لا ألومهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
 فدام بي وبهم مالي ومالمهم ... ودام أكثرنا غيظاً بما يجِدُ
 أنا الذي يجِدوني في حلوقهم ... لا أرتقي صعداً فيها ولا أَرُدُ
 وفي ديوان بشار بن برد:
 إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

(١٦) - ديوان الطغرائي ص ١٣٥ .
 فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ... وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ
 أما حبيب الطائي فهو يقول:
 وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسَوِدٍ
 لَوْلَا إِشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ ... مَا كَانَ يُعْرَفُ طَيْبُ عَرَفِ الْعَوْدِ (١٦)
 وكان العرب يرون أن الرجل النبيل محسود، وأن من لا يحسد ولا يعادى لا يعتد به، قال الشاعر:
 ولست بجي ولا ميت ... إذا لم تعاد ولم تحسد
 وقال عروة ابن أذينة في وصف الحسدة والدعاء لهم:
 لَا يُبْعَدُ اللَّهُ حَسَادِي وَزَادَهُمْ ... حَتَّى يَمُوتُوا بِدَاءٍ فِي مَكْنُونِ
 إِنِّي رَأَيْتُهُمْ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ ... أَجَلَ قَدْرًا مِنَ اللَّائِي يُجِبُّونِي (٢٦)
 ورحم الله دعبل الخزاعي حيث يقول:
 وَذِي حَسَدٍ يَغْتَابُنِي حِينَ لَا يَرَى ... مَكَانِي وَيُثْنِي صَالِحًا حِينَ أَسْمَعُ
 وَيَضْحَكُ فِي وَجْهِهِ إِذَا مَا لَقَيْتُهُ ... وَيَهْمِزُنِي بِالْغَيْبِ سِرًّا وَيَلْسَعُ (٣٦)
 أما عبد الرحيم البرعي فهو يقول:
 مَا زَالَ يَحْسَدُنِي دَهْرِي عَلَى نَعْمٍ ... وَالْحَرَّ مَا عَاشَ لَا يَخْلُو عَنِ الْحَسَدِ
 ويقول الإمام الشوكاني:
 فَلَرَبَّمَا نَشَرَ الْإِلَهَ فَضِيلَةً ... لِلرَّءِ قَدْ جُهِلَتْ بِقَوْلِ الْحَسَدِ

(١٦) - زهر الأدب لأبي اسحاق القيرواني ج ١ ص ٢٠٢، والموسوعة الشعرية ص ١٨٣، ونسب هذا البيت لأبي تمام.

(٢٦) - أمالي المرتضى ج ١ ص ٤١٥.

(٣٦) - ديوان دعبل ص ٢٢٦.

١٨٠٧ قصة لقيس بن زهير:

١٨٠٨ علاج الحسد

قصة لقيس بن زهير:
 قال معمر بن المثنى: مر لقيس بن زهير ببلاد غطفان، فرى ثورة وعددا، ففكره ذلك، فقليل له: ايسوؤك مايسر الناس؟ قال: انك لاتدري ان مع النعمة والثروة التحاسد والتخاذل، وان مع القلة التحاشد والتناصر.
 علاج الحسد

إن التوقي من الحسد لا يكون إلا بالالتجاء إلى الله الواحد الأحد، والاستعاذة من شر الشيطان الرجيم، والاعتراف بنعمة الله العزيز الحكيم، واجتناب تعاطي الحسد وأسبابه، فالله يهب من الفضل ما يشاء لمن يشاء وليتذكر الحاسد أن الحسد يحو الحسنات وانه لا فائدة ترجى من الحسد، وأن من تخلق به لم يكن كامل الإيمان، وأن الحسد فيه التعرض لنعمة الخالق وسخطه، وأنه يجلب المصائب، ويزيل النعم، ويفتك بصاحبه، ويحو الذكر الحسن لحامله، وإن ترك الحسد فيه الاستقامة، وعنوان العقل والكرامة، وأن الله جل وعلا يعطي الخير من يشاء ويمنع الشر ممن يشاء، وأن الرضاء بالقضاء والقدر والإيمان به من الإيمان، وأن في سؤال الله العافية الشفاء من هذا الداء، والاسترشاد بما أرشد الله عباده إليه فيه النجاة والهدى.

وقد نلخص الغزالي في إحياء علوم الدين أضرار الحسد في الدنيا والدين وأرشد إلى الدواء الذي ينفيه وهو العلم والعمل، فارجع إن شئت التوسع إليه. وسارع أخي إلى التخلص من الحسد ودائه، وتب إلى الله قبل ذهاب العمر وفنائه، ورحم الله الشريف المرتضى حيث يقول:

وَمِنَ السَّعَادَةِ أَنْ تَمُوتَ وَقَدْ مَضَى ... مِنْ قَبْلِكَ الْحُسَادُ وَالْأَعْدَاءُ (١٦)

(١٦) - ديوان الشريف المرتضى ج ١ ص ١٤٠.

وقد أحسن المتنبي حيث يقول:

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً ... لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَّقَلَّبُ (١٦)

(١٦) - ديوان المتنبي ص ٤٦٦.

١٩ الفصل الثامن عشر الغيبة

الفصل الثامن عشر
الغيبة

١٩٠١ الغيبة

الغيبة

الغيبة دأب اللثام، وهي من آفات اللسان، فمن نطق بالغيبة كثر غلظه، وحوسب على كلامه، وتضاعفت آثامه، وكثر عتابه، وفقد أصحابه؛ لقوله ما لا ينبغي، ووصفه للناس بما يؤذي، واتباعه للهوى، فمن غلبت عليه شهوة الكلام تطاول في أعراض الكرام، والغيبة رذيلة اجتماعية تولد الكراهية، وتضر بالعلاقات الإنسانية، وتسبب القطيعة والجفا، ولذا ورد النهي عنها في القرآن الكريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (١٦)، ومن ذا الذي يحب أكل لحم أخيه؟ إلا من ذكر غيره بما فيه من عيب ولم يحذر سموم الاغتياب إلى أن يقع في العذاب، فالمرء مؤاخذ بعزمه على المعصية، قال الشاعر:

أني يكون أخي أو ذا محافظة ... من كنت في غيبه مستشعراً وجلا
إذا تغيب لم تبرح تظن به ... سوءاً وتسأل عما قال أو فعلا

وقال آخر:

وأحذر سموم الإغتياب فلن ترى ... في الخلق مغتاباً صحيح أديم
ولبعضهم:

وإذا استغاب أخو الجهالة عالماً ... كان الدليل على غزارة جهله
أهل المظالم لا تكن تلي بهم ... فالمرء يحصد زرعه من حقله

(١٦) - سورة الحجرات الآية (١٢) .

١٩٠٢ حد الغيبة

حد الغيبة

حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكره لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه، أو نسبه، أو خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو دينه، أو دنياه، حتى ثوبه وداره ودابته، أما البدن فكذلك وصف مما يكره أخوك وذلك كالطول والقصر والسواد والصفرة وكل ما يتصور أن يتأذى منه،

وأما الخلق فكأن تقول: هو سيء الخلق أو بخيل أو متكبر أو عاجز أو ضعيف أو متهور أو سارق أو كذاب أو خائن أو ظالم أو متهاون أو فاسق أو خسيس إلى غير ذلك مما لا يندرج تحت حصر، وضابط الأمر أنه كلما يكره أخوك أن تذكره به فهو غيبة، ومما نسب إلى عمر رضي الله عنه أنه قال: (عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء) .

ولا ينبغي للمسلم أن يصغي لسماح الغيبة بل إنه يدفع عن أخيه، فإن بالدفاع بالكلام الحسن خير الدنيا والآخرة، ومن رذائل الغيبة أن من أصغى إلى سماعها حوسب، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال: (هي في النار) (١٦) .

وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة: الغيبة والبهتان والإفك، وكل في كتاب الله عز وجل، فالغيبة أن تقول ما فيه، والبهتان أن تقول ما ليس فيه، والإفك أن تقول ما بلغك.

(١٦) - أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب البر والصلة حديث (٧٣٠٤) ، واحمد في المسند عن أبي هريرة حديث (٩٦٧٣) .
وقد حكى بعض العلماء أن من الأسباب الداعية إلى الغيبة: اشفاء الغيظ، ومن اتقى الله لم يشف غيظه، ومن أسباب الغيبة حب موافقة الأقران، ومجاملة الرفقاء والخلان، وذلك خلق غير محمود، ومن الأسباب الداعية إلى الغيبة إرادة التصنع، والمباهاة، والتمثيل، والاستهزاء، والسخرية، والحسد، واللعب، وكل ذلك مذموم.

ويرحم الله محمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني حيث يقول:

إياك إياك أعراض الرجال وإن ... راقبت بفيك فإن السم في الدسم (١٦)

أما أبو العتاهية فهو يقول:

إياك والغيبة والتميمة ... فإنها منزلة ذميمة (٢٦)

ولبعض الشعراء:

لا تهتك من مساوي الناس ما ستروا ... فيبتك الله ستراً من مساويك
وأذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ... ولا تعب أحداً منهم بما فيك (٣٦)

وإنما يجترئ على اغتياب الناس كثير الخطايا والذنوب والعيوب، وكفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً وهو يقع في الصالحين، قال المتنبي:
وَإِذَا أَتَيْتَ مَدْمَتِي مِنْ نَاقِصٍ ... فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

(١٦) - ديوان ابن الأمير ص ٣٦٥. وهو العلامة المحدث المحقق الإمام محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسيني الكحلاني الصنعاني أبو إبراهيم عز الدين. (١٠٩٩-١١٨٢هـ/١٦٨٨-١٧٦٨م) صاحب التصانيف الفاتحة المشهور بالأمر الصنعاني، من كتبه (توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار - ط) في مصطلح الحديث (سبيل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني - ط) ، (منحة الغفار) حاشية ضوء النهار (اليواقيت في المواقيت - خ) ، وغيرها الكثير. وله (ديوان شعر - ط) .

(٢٦) - ديوان أبي العتاهية ص ٤٤٦.

(٣٦) - العقد الفريد ج ٢ ص ١٨٣ ، والموسوعة الشعرية ص ٢٥٧.

١٩٠٣ من اغتتاب اغتیب

واغتياب المرء غيره دليل على عيبه واستمراره في غيه، وقديماً قيل: "من وجدتموه غيباً وجدتموه معيباً لأنه يعيب الناس بفضل عيبه"، وفي ذلك يقول الشاعر:

ويأخذ عيب المرء من عيب نفسه ... مراد لعمرى ما أراد قريب

قال ابن عبد البر: سمع إعرابي رجل يقع في الناس فقال: قد استدلت على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس، لأن الطالب لها يطلبها بقدر ما فيه منها. قال الشاعر:

وأجرؤ من رأيت بظهر غيب ... على عيب الرجال أخو العيوب (١٦)

أما المنع الكندي فإنه يرى التعفف والترفع عن حال من يأكل لحوم الناس محل مجده ونفخه فيقول:
 وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي ... وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمْخْتَلِفٌ جِدًّا
 أَرَاهُمْ إِلَى نَصْرِي بَطَاءً وَإِنْ هُمْ ... دَعَوْنِي إِلَى نَصْرِ أَتَيْتَهُمْ شَدًّا
 فَإِنْ يَأْكُلُوا لَحْمِي وَفَرَّتْ لِحُومِهِمْ ... وَإِنْ يَهْدِمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا
 وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غَيْبَهُمْ ... وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا
 من اغتاب أغتیب

إن من يتعرض لأعراض الناس يتعرضون لعرضه، وقديماً قيل: "من رمى الناس بما فيهم رموه بما ليس فيه"، وقيل: "بحثك عن عيوب الناس يدعو إلى بحثهم عن عيوبك"، قال الشاعر:
 ومن دعا الناس إلى ذمه ... ذموه بالحق وبالباطل (٢٦)

- (١٦) - البيان والتبيين للمحافظ ج ١ ص ٥٨ ، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ج ٢ ص ٢٧٦ .
 (٢٦) - محاضرات الراغب ص ١٥٨ .

١٩٠٤ قصة للحسن البصري رحمه الله

١٩٠٥ علاج الغيبة

قصة للحسن البصري رحمه الله
 روي عن الحسن البصري قال: ان رجلاً قال: ان فلانا اغتابك فبعث اليه طبقة من الرطب ، وقال: بلغني انك اهديت الي حسناتك، فأردت ان اكفئك عليها، فاعذرني، فإني لا اقدر ان اكفئك بها على التمام (١٦) .
 وفي الأمثال السائرة: الغيبة جهد العاجز، ومن اغتاب خرق، ومن استغفر رقع (٢٦) .
 علاج الغيبة

لسانك حصانك، وخيرك يعلم من محبتك لاخوانك، فن رضي لنفسه بالإساءة شهد على نفسه بالرداءة والدناءة، ومن زال معهود إحسانه استحال موجود إمكانه، ومن عف عن الريبة كف عن الغيبة، وإن من أعظم الفجائع إضاعة الصنائع، ومن حسن الصنيفة الكف عن الأذى والقطيعة، وقديماً قيل: "التوبة تسقط العقوبة، وإحسان النية يوجب المثوبة"، وإن من يمتلق لك بذكر معائب الناس اليوم يقع في عرضك غداً.
 قال الشاعر:

إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَضْحَكُ لِي ... حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غَبْتُ شَتَمَ
 وَكَلَامٍ سَيِّئٍ قَدْ وَقَرَّتْ ... عَنْهُ أُذُنَايَ وَمَا بِي مِنْ صَمَمٍ
 وَبَعْضُ الصَّفْحِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ ... ذِي الْخَنَا أَبْقَى وَإِنْ كَانَ ظَلَمَ (٣٦)

- (١٦) - دليل السائلين ص ٤٨٢
 (٢٦) - معجم كنوز الأمثال ص ٢٤٢

(٣٦) - وردت هذه الأبيات للمثقب العبدى، وورد البيت الأول أيضاً للمتملس بلفظ: يكشر لي
 إن علامة المسلم التي يستدل بها على إسلامه سلامة المسلمين من يده ولسانه، حسن معاملته لإخوانه، وفي الحديث الذي رواه البخاري
 ومسلم عن أبي موسى الأشعري أنه قال: (قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ قَالَ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) (١٦) .

حفظ اللسان إلا فيما ينفع من علامات الإيمان، فاللسان أملك شيء للإنسان، فإذا حفظ الإنسان لسانه وصان نطقه وكلامه عن اغتيال الناس نجا، وقد جاء في الحديث الذي رواه الترمذي: (إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِرُ اللِّسَانَ فَيَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فَيُنَاقِئُ نَحْنُ بِكَ فَإِنْ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ أَعْوَجَّتْ أَعْوَجْنَا) (٢٦)، وجاء في كلام بعض الشعراء:

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَمِ

وفي الأمثال السائرة: "من أساء فعلى نفسه اعتدى، ومن طال تعديه كثرت أعاديته"، وقيل: "من ساء كلامه لم يأمن أبداً، ومن حسن كلامه لم يخف أحداً، ومن طال عدوانه زال سلطانه، ومن ظلم نفسه ظلم غيره، ومن أساء اجتلب البلاء، ومن أحسن اكتسب الثناء، وشر الأقوال ما أجب الملام، وشر الآراء ما خالف الشريعة، وأقبح الكلام ما كان غيبة أو نيمة".

(١٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب أي الاسلام أفضل حديث (١١)، ومسلم في صحيحه باب تفاضل الإسلام وأي أمره حديث (٤١) .

(٢٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في حفظ اللسان حديث (٢٤٠٧) .

١٩٠٦ الصمت وأدب اللسان

وجاء في شعر الإمام الشافعي رضي الله عنه:

إِذَا رُمْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الرَّدَى ... وَدَيْنُكَ مَوْفُورٌ وَعَرَضُكَ صَبِيحٌ
فَلَا يَنْطِقَنَّ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسُوءَةٍ ... فَكُلُّكَ سُوءَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنٌ
وَعَيْنَاكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَابًا ... فَدَعَهَا وَقُلْ يَا عَيْنَ لِلنَّاسِ أَعْيُنٌ
وَعَاشِرٌ بِمَعْرُوفٍ وَسَاحٍ مِنْ إِعْتَدَى ... وَدَافِعٌ وَلَكِنْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
الصمت وأدب اللسان

إن من لزم الصمت غدا في عقله فاضلاً، وفي جهله عاقلاً، وفي قدرته حليماً، وفي عجزه حكيماً، وقد قيل: "إياك وفضول الكلام فإنه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن، فكلام المرء بيان فضله وترجمان عقله، فالعاقل من اقتصر على الجميل، واقتصر من الكلام على القليل"، نفي الناس من حفظ لسانه، وكف عن عرض أخيه واعررض عما لا يعنيه، وفي الحديث النبوي حكمة ومثل: (مَنْ حُسِنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ) (١٦) .

وقال أبو حاتم رضي الله عنه: الصمت يكسب المحبة والوقار، ومن حفظ لسانه أراح نفسه، والرجوع من الصمت أحسن من الرجوع عن الكلام، والصمت منام العقل والمنطق يقظته، وعن أنس أن لقمان قال: "من الحكم الصمت وقليل فاعله"، وأنشد للكريري:

أقل كلامك واستعد من شره ... إن البلاء ببعضه مقرون

واحفظ لسان واحتفظ من غيبه ... حتى يكون كأنه مسجون (٢٦)

وقال مالك بن أنس: كل شيء ينتفع بفضله إلا الكلام فإن فضله يضر.

(١٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب فيمن تكلم بكلمه يضحك بها الناس حديث (٢٣١٧) .

(٢٦) - ووردت أيضاً منسوبة لعبد الله بن طاهر.

وقال أبو الدرداء: لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين منصت واعٍ أو متكلم عالم. (١٦)، ولقد أحسن من قال:

إِنْ كَانَ يُعْجِبُكَ السُّكُوتُ فَإِنَّهُ ... قَدْ كَانَ يُعْجِبُ قَبْلَكَ الْأَخْيَارَا

وَلَئِنْ نَدِمْتَ عَلَى سُكُوتِكَ مَرَّةً ... فَلَقَدْ نَدِمْتَ عَلَى الْكَلَامِ مَرَارَا

وفي الامثال السائرة: عي الصمت أحسن من عي المنطق، العيُّ-بالكسر المصدر-، والعيُّ-بالفتح-الفاعل، يعني عي مع صمت خير من عي مع منطق، وهذا كما يقال السكوت ستر ممدود على العي، وفدام (٢٠) على الفدامة.
قال الشاعر:

خَلَّ جَنبِيكَ لِرَامٍ ... وَآمَضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ
مُتَّ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ ... لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
عِشْ مِنَ النَّاسِ إِنْ اسْطَعُ ... تَ سَلَامًا بِسَلَامٍ (٣٠)

وقديماً قيل: عثرة القدم اسلم من عثرة اللسان، وليس من العدل سرعة العدل، أي لا تعجل فيما تقول أو فيما تأتي قبل ان تعرف العذر لأنك ربما وقعت في الخطأ.

وقد قال بعض الصالحين: "لزم الصمت يُكسبك صفو المحبة، ويأمنك سوء المغبة، ويلبسك ثوب الوقار، ويكفك مؤنة الاعتذار"، وقيل: "الصمت آية الفضل، وثمرة العقل، وزين العلم، وعون الحلم؛ فالزمه تلمك السلامة"،

(١٠) - روضة العقلاء ص ٣٧.

(٢٠) - الفدام - بوزن سحاب او كتاب- المصفاة تجعل على فم الابريق ليصفي ما فيه.

(٣٠) - وردت هذه الايات في مجمع الامثال للبيداني ج (٢) ص (٢٥) غير منسوبة الى قائل بعينه، غير انها وردت هذه الايات منسوبة الى ابي نواس في ديوانه والله اعلم.

١٩٠٧ الإصغاء إلى الغيبة

١٩٠٨ الأعدار المرخصة في الغيبة

فكم من دم سفكه فم، وإنسان أهلكه لسان، فن قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي، فقصر كلامك تسلم، وأطل احتشامك تكرم. (١٠) الإصغاء إلى الغيبة

من أصغى إلى الغيبة فقد وقع في الإثم والريبة، فصن سمعك عن الغيبة والأذى، فإنك مسئول عن سمعك وبصرك ولسانك، فلا تكن من الغافلين، وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} (٢٠) .

فأحسن استخدام سمعك قبل فوات وقتك وحلول سؤالك، وتب عما سمعته من القبيح؛ تستقم وتسترح، وقد جاء في شعر محمود الوراق:

وَسَمِعَكَ صُنَّ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيحِ ... كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ
فَإِنَّكَ عِنْدَ إِسْتِمَاعِ الْقَبِيحِ ... شَرِيكَ لِقَائِلِهِ فَانْتَبِهْ (٣٠)

الأعدار المرخصة في الغيبة

إذا كان الأصل هو حفظ اللسان وعدم جواز الخوض في الإعراض فان العاقل يحافظ على لسانه، أما إذا دعت الضرورة لاستماع شيء مما رخص فيه كأن تريد أن تنظلم مما وقع عليك من سلطان غشوم أو جبار نهوم أو أردت تغيير منكر، أو تغيير المعاصي التي تذكر، أو تستفتي عن حال رجل شحيح، أو تحذر من حال منافق أو مبتدع فاسق، أو كان هناك من يجاهر بالمعاصي، فإنه في مثل هذه الحالة قد ورد الترخيص في السماع والجهر بالظلامة التي اقتضت التعريف، وفي ذلك يقول الخبير اللطيف: {لَا يُحِبُّ اللَّهُ

(١٠) - الفرائد والقلائد ص ٢٧.

(٢٠) - سورة الإسراء الآية (٣٦) .

(٣٠) - الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ٢٨٣ ، والموسوعة الشعرية ص ٢٥٥.

الجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً (١٦) ، وقد جاء في الحديث الصحيح أن هند بنت عتبة قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن أبا سفيان رجل شحيح فقال عليه الصلاة والسلام: (خذي ما يكفيك) (٢٦) . وجاء في كلام بعض الشعراء: القدح ليس بغيبة في ستة ... متظلم ومعرف ومحذر
ولمظهر فسقاً ومستفت ومن ... طلب الإعانة في إزالة منكر
والعاقل لا يكون حاله كحال من وصفهم الشاعر بقوله:
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذن (٣٦)

- (١٦) - سورة النساء الآية (١٤٣) .
(٢٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه حديث (٥٠٤٩) .
(٣٦) - الأمايلي للقالي ص ١٢٦ .

٢٠ الفصل التاسع عشر النيمة

الفصل التاسع عشر
النيمة

٢٠٠١ النيمة

النيمة

النيمة خصلة ذميمة، فاحفظ لسانك عن الشتيمة والنيمة، والزم الصمت تغد في عقلك فاضلاً، وفي جهلك عاقلاً، وفي قدرتك حليماً، وفي عجزك حكيماً، واقصر كلامك على الجميل، واقصر منه إلا في الثناء على الله الملك الجليل، وإياك والكلام الذي يوحش الاخوان، ويسخط الرحمن، ورحم الله القائل:

من نمَّ في الناس لم تؤمن عقاربه ... على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدري به أحد ... من أين جاء؟ ولا من أين يأتيه (١٦)
أما الشريف الرضي فهو يقول:

وَهُمْ نَقَلُوا عَنِّي الَّذِي لَمْ أَفُهِ بِهِ ... وَمَا آفَةُ الْأَخْبَارِ إِلَّا رُوتُهَا

وكيف يكون للنمام أمانة، وسعيه بها بين الناس خيانة، وإذا كانت النيمة تعني نقل الكلام بين الناس لإيقاع الأذى وإلحاق الضرر بهم فإنها بلا شك من الكجائر، ويكفي لإثبات ذلك قول العزيز الحكيم: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} (٢٦) ، وجاء في معرض الذم للمكذبين قول العزيز الحكيم: {وَلَا تُطْعَمُ كُلُّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ} (٣٦) ، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يدخل الجنة نمام) وفي لفظ: (قتات) (٤٦) .

- (١٦) - ورد البيت الأول منسوباً لإبراهيم المهدي كما في محاضرات الراغب ص ١٥٩، وورد البيتان منسوبان إلى الكرزي كما في نهاية الأرب والمستطرف وروضة العقلاء ص ١٤٠، والموسوعة الشعرية ص ٢٩٦ .
(٢٦) - سورة الهمزة الآية (١) .
(٣٦) - سورة القلم الآيتان (١٠ و ١١) .
(٤٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب بيان غلط تحريم النيمة حديث (١٠٥) .
وقال الشاعر:

إن النيمة نار ويك محرقة ... ففر عنها وجانب من تعاطاها (١٦)
فالنيمة مضارها جسيمة، وآفتها عظيمة، فهي تقطع علائق المودة، وتبعث العداوة والبغضاء والشدة، فن جعل النمام خليله هلك، ويرحم

الله أبا العتاهية حيث يقول:

مَنْ جَعَلَ النَّمَامَ عَيْنًا هَلَكًا ... مُبْلِغَكَ الشَّرَّ كَبَاغِيهِ لَكَ

أما الأعشى الكبير فهو يقول:

وَمَنْ يُطِيعِ الْوَاشِينَ لَمْ يَتْرُكُوا لَهُ ... صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُقْرَبًا (٢٦)

أما صالح بن عبد القدوس فهو يرى أن من يخبرك بستم أخ فهو الشاتم وذلك حيث يقول:

مَنْ يُخْبِرُكَ بِسْتَمٍ عَنْ أَخٍ ... فَهُوَ الشَّاتِمُ لَا مِنْ شَتَمِكَ

ذَلِكَ شَيْءٌ لَمْ يُوَاجِهْكَ بِهِ ... إِثْمًا لِلْوَمِّ عَلَى مَنْ أَعْلَمَكَ

كَيْفَ لَمْ يَنْصُرْكَ إِنْ كَانَ أَخًا ... ذَا حِفَاظٍ عِنْدَ مَنْ قَدْ ظَلَمَكَ

قال الامام علي رضي الله عنه: يعمل النمام من ساعة فتنة اشهر. وقال الامام الشافعي رحمه الله: من نم لك نم بك ومن اذا ارضيته

قال فيك ما ليس فيك، واذا اغضبتك قال فيك ما ليس فيك، وقال وهب ابن منبه رحمه الله: من مدحك بما ليس فيك فلا تأمن ان

يدمك بما ليس فيك، وقال

(١٦) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٢٠ ص ١٦٣.

(٢٦) - الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢ ص ٥٧٦.

الحسن البصري رحمه الله، من نقل اليك حديثا، فاعلم انه ينقل الى غيرك حديثك.

ولله در النابغة الذبياني حيث يقول:

لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بَلَغْتَ عَنِّي خِيَانَةً ... لِمُبْلِغِكَ الْوَاشِيِ أَغْشُ وَأَكْذِبُ (١٦)

أما أبو الأسود الدؤلي فهو يقول:

لَا تُبَدِّينَ نَمِيمَةً حَدَّثْتَهَا ... وَتَحْفَظَنَّ مِنَ الَّذِي أَنْبَأَكَهَا

إِنَّ الَّذِي أَهْدَى إِلَيْكَ نَمِيمَةً ... سَيَمُّ عَنْكَ بِمَثَلِهَا قَدْ حَاكَهَا

وقال آخر:

تمشيت فينا بالنيمة وإنما ... تفرق بين الأصفياء النمام

ومما نسب إلى سليمان بن داود عليهما السلام أنه قال لابنه: "يا بني إياك والنيمة فإنها أحد من السيف".

وقال أبو حاتم رحمه الله: "الواجب على الناس كافة مجانبة الأفكار في السبب الذي يؤدي إلى البغضاء والمشاحنة بين الناس، والسعي

فيما يفرق جمعهم ويشتت شملهم، ولا يقبل سعاية الواشي بحيلة من الحيل لعله بما يرتكب الواشي من الإثم في العقبي بفعله". (٢٦)

(١٦) - ديوان النابغة الذبياني ص ٢٧، والموسوعة الشعرية ص ٢٩٦. والنابغة الذبياني: هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني

المصري، أبو أمامة (١٨ ق. هـ/ ٦٠٥ م)، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق

عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. كان حظياً عند النعمان

بن المنذر، حتى شذب في قصيدة له بالمتجرودة (زوجة النعمان) فغضب منه النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانين بالشام، وغاب

زمنًا. ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه. شعره كثير وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. عاش عمراً

طويلاً.

(٢٦) - روضة العقلاء ص ١٤١.

٢٠٠٢ قصة لعمر بن عبد العزيز رحمة الله:

٢٠٠٣ سوء الظن

فالواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه.

قصة لعمر بن عبد العزيز رحمة الله:

روي ان عمر بن عبد العزيز دخل عليه رجل, فذكر عنده وشاية في رجل اخر, فقال له عمر: إن شئت حققنا هذا الامر الذي تقول

فيه وننظر فيما نسبته اليه, فإن كنت كاذبا فأنت من اهل هذه الاية: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا } (١٦) , وإن

كنت صادقا فأنت من اهل هذه الاية: { هَمَّازٌ مَّشَاءً بِنَمِيمٍ } (٢٦) , وإن شئت عفونا عنك فقال: العفو يا امير المؤمنين , لأعود الى

مثل ذلك ابدا.

سوء الظن

سوء الظن يقود إلى التجسس وإفساد ما بين الراعي والرعية, ولهذا ورد في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إِيَّاكُمْ

وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) (٣٦) .

وقد قيل: التجسس من شعب النفاق كما أن حسن الظن من شعب الإيمان, والعاقل يحسن الظن باخوانه وينفرد بغمومه وأحزانه, كما

أن

(١٦) - سورة الحجرات الآية (٦) .

(٢٦) - سورة القلم الآية (١١) .

(٣٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير حديث (٥٧١٧) , ومسلم في صحيحه باب تحريم الظن

والتجسس حديث (٢٥٦٣) .

٢٠٠٤ الجاهل يسيء الظن باخوانه

الجاهل يسيء الظن باخوانه ولا يفكر في جنائته وأشجانه, ولقد أحسن الذي يقول:

ما يستريح المسيء ظناً... من طول غم وما يريح

وقل وجه يضيق إلا... ودونه مذهب فسيح

من خفف الله عنه هبت... من كل وجه إليه ريح

والجسم حيث استقر هاد... والروح جواله تسيح

كم تذيب الأم من بنيا... كل بنيا لها ذبيح

لن يهلك المرء من سماح... وقل ما يفلح الشحيح

قال أبو حاتم رضي الله عنه: "سوء الظن على ضربين: أحدهما منهي عنه بحكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم, والآخر مستحب, فأما

الذي نهى عنه فهو استعمال سوء الظن بالمسلمين كافة, وأما الذي يستحب من سوء الظن فهو كمن بينه وبين آخر عداوة أو شخاء في

دين أو دنيا يخاف على نفسه مكره فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكائده ومكره كي لا يصادفه على غرة بمكره فيهلكه", قال الشاعر:

وحسن الظن يحسن في أمور... ويمكن في عواقبه ندامة

وسوء الظن يسمح في وجوه... وفيه من سماجته حزامه (١٦)

(١٦) - روضة العقلاء ص ١٠١ و١٠٢ .

٢٠٠٥ ثمرة النميمة

ثمرة النميمة

العاقِل يجانب النميمة لأنها تثمر هتك الأستار، وتدفع إلى إفشاء الأسرار، وتورث الضغائن، وترفع المودة، وتجدد العداوة، وتبدد الجماعة، وتهيج الحقد، وتزيد الصد، فمن وشيء إليه عن أخ كان الواجب عليه معاتبته على الهفوة إن كانت، وقبول العذر إذا اعتذر، وترك الإكثار من العتب مع توطين النفس على الشكر عند الحفاظ، وعلى الصبر عند الضياع، وعلى المعاتبه عند الإساءة، قال الشاعر:

أعتاب اخواني وابقى عليهم ... ولست لهم بعد العتاب بقاطع

واغفر ذنب المرء إن زل زلة ... إذا ما أتاها كارها غير طائع

وأجزع من لوم الحليم وعدله ... وما أنا من جهل الجهول بجازع

وقد قيل أن ابن الزبير رضي الله عنهما عاتب معاوية في شيء فدخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين اسمع أبيات اعتبتك فيها، قال: هات،

فأنشده:

لعمرك ما أدري وإني لأوجل ... على أيننا تغدو المنية أول

وإني على أشياء منك تريبي ... قديماً لذو صفح على ذاك مجمل

إذا أنت لم تُصِف أخاك وجدته ... على طرف المهجران إن كان يعقل (١٦)

وروي أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "لا تكثر العتاب فإن العتاب يورث الضغينة والبغضة وكثرته من سوء الأدب"، قال الشاعر:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعبس واحداً أو صل أخاك فإنه ... مقارف ذنب مرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مرارا على القدى ... ظممت وأي الناس تصفو مشاربه

(١٦) - روضة العقلاء ص ١٤٣. والأبيات من قصيدة طويلة وردت في ديوان معن بن أوس المزني، وهو شاعر مخضرم شهد الجاهلية والإسلام وتوفي سنة ٦٤هـ.

٢٠٠٦ ذو الوجهين

ذو الوجهين

يذم الناس ذا الوجهين ويلومونه، ويبغضونه، ويمقتونه، قال الشاعر:

ومن كان ذا وجهين بين صحابه ... فذلك عند الله غير وجيه

ويرحم الله صالح بن عبد القدوس حيث يقول:

قل للذي لست أدري من تلونه ... أناصح أم علي غش يدا جيني

إني لأكثر مما سمتني عجباً ... يد تشح وأخرى منك تأسوني

تغتأبني عند أقوام وتمدحني ... في آخرين وكل عنك يأتيني (١٧)

فمن خلص سجيته وأنفت أخلاقه عن التلون فقد خلص ونجي، قال ابن عبدل:

ولست بذئ وجهين في من عرفته ... ولا البخل فاعلم من سمائي ولا أرضي (٢٠)

أما عبد الله بن محمد القحطاني (٣٠) فهو يرى أن ذا الوجهين شر البرية حيث يقول:

لا تمش ذا وجهين من بين الورى ... شر البرية من له وجهان

فالعاقل من يحفظ لسانه وعينه فرب عين أم من لسان وطرف اشد من سيف وأوجع من حتف، وقال هارون الرشيد لأبي عمرو الشفلبي: فلان نم

(١٧) - حماسة البحتري ص ٢٦٣، والموسوعة الشعرية ص ٢٩٨. وهي في ديوان صالح بن عبد القدوس

(٢٧) - الأماي للقالبي ج ٢ ص ٢٦١، والموسوعة الشعرية ص ٢٩٨.

(٣٧) - أبو محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني السلفي المالكي. كان فقيها حافظاً جمع تاريخاً لأهل الأندلس وقال أبو سعيد الإدريسي في تاريخ سمرقند أنه كان من أفضل الناس ومن ثقافتهم. وقال السمعاني: كان فقيهاً حافظاً في طلب العلم إلى المشرق والمغرب له (قصيدة نونية مطبوعة).

بك، فقال: يا أمير المؤمنين إن فلان لو كان بينك وبين الله واسطه لسعى بك إليه، قال العباس بن الأحنف: أناس أمانهم فتموا حديثنا ... فلما كتمنا السر عنهم تقولوا ومن قول أبي دهب:

أما أناساً كنت تأتمنينهم ... فزادوا علينا في الحديث وأوهموا
وقالوا لنا ما لم نقل ثم كثروا ... علينا وباحوا بالذي كنت أكنتم
وفي الأمثال السائرة: "فلان أم من الزهر"، قال ابن الرومي:
أتم بما استودعته من زجاجة ... ترى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن
وقال آخر:

قد كان صدرك للأسرار جندلة ... ضئيلة بالذي تخفي نواحيها
فصار من بئ ما استودعت جوهرة ... رقيقة تستشف العين ما فيها (١٧)

(١٧) - محاضرات الراغب ص ١٦٠. والأبيات في ديوان للسري بن أحمد بن السري الكندي أبو الحسن. شاعر أديب من أهل الموصل. المتوفى سنة ٣٦٦ هـ.

٢١ الفصل العشرون الأمانة

الفصل العشرون
الأمانة

٢١٠١ الأمانة

الأمانة: هي كل ما يؤمن عليه المرء من امر ونهي، وشأن من دين ودينيا، وهي خلق من اخلاق المسلم الاصلية التي تنبع من عقيدته، وتدل على صدق اتجاهه وشرف غايته. وبمعناها الحقيقي في نظر المسلم صفة نفسية تملي على صاحبها سلوكا لا يتبدل ازاء ما يعهد اليه القيام به، وكل ما يلتزمه ويتحمل مسؤوليته، وتشمل حياة الانسان كلها (١٧). وفي الذكر الحكيم {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً} (٢٧)، {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (٣٧)

فالأمانة من الفضائل الإنسانية، والخلال التي تستقيم بها أحوال البشرية، فالإنسان ملزم بالتحلي بها، فهي من الفضائل الخلقية التي تدعو إليها الفطرة السليمة، وهي من جملة الالتزامات التي يطالب بها الإنسان لاشتمالها على التكليف الشرعي والالتزام الأخلاقي والقانوني،

فالشرائع السماوية والنظم الوضعية تتفق على اعتبارها من الالتزامات الخلقية التي يسأل المكلف عنها ويحاسب على تضييعها، وتأتي في رأس جدول الأعمال الحسنة والأخلاق الفاضلة في جميع المجتمعات ذات الديانات السماوية وغيرها، وحتى في العصر الجاهلي الذي كان يحوي دنيا ورذائل، فإنه رغم ذلك كان يحوي بعض خلال مكارم الأخلاق التي جاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليؤكد لها ويتمها كما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وفي لفظ: (صالح الأخلاق) (٤٦)، ولا يزال أهل الفضل من الناس يثنون عليها في مختلف البلدان في كل زمان ومكان، وقد أشاد المجتمع العربي بالأمانة ورفع مكانة الأمين والأمناء في الجاهلية والإسلام، وجعلها من الصفات الرئيسة التي يسود بها، وأكبر شاهد على ذلك ما ورد في آثار العرب وقصصهم وأخبارهم وأمثالهم، ومن ذلك قول لبيد:

وَإِذَا الْأَمَانَةُ قَسِمَتْ فِي مَعْشَرٍ ... أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظِّنَا قَسَامُهَا (٥٦)
وقول زهير:

وَحِفْظِي لِلْأَمَانَةِ وَأَصْطِبَارِي ... عَلَى مَا كَانَ مِنْ رَبِّ الزَّمَانِ
أما النابغة فهو يقول:

سَأرعى كلما استودعت جهدي ... وقد يرعى أمانته الأمين (٦٦)

وقد ضرب العرب بوفاء السموأل (٧٦) الأمثال ما ذلك إلا لأنه ضحى بانه من أجل الوفاء بحفظ الأمانة، فقليل: "أوفى من السموأل". قصة السموأل

ذكر الميداني: أن امرئ القيس لما أراد الخروج إلى قيصر استودع السموأل دروعاً فلها مات امرئ القيس غزى ملك من ملوك الشام فتحرز

(١٦) - دليل السائلين ص ٥٩

(٢٦) - سورة ال عمران آية (٧٥)

(٣٦) - سورة النساء آية (٥٨)

(٤٦) - أخرجه البيهقي في سننه الكبرى باب بيان مكارم الأخلاق حديث (٢٠٥٧١) .

(٥٦) - ديوان لبيد ص ١٨٠.

(٦٦) - ديوان النابغة ص ١٦٢.

(٧٦) - هو السموأل بن غريظ بن عادي الأزدى شاعر جاهلي يهودي من سكان خيبر.

منه السموأل فأخذ الملك ابنه وكان خارجاً من الحصن فصاح الملك بالسموأل، فأشرف عليه فقال: هذا ابنك في يدي وقد علمت أن امرئ القيس ابن عمي ومن عشيرتي وأنا أحق بميراثه فإن دفعت إليّ الدروع وإلا ذبحت ابنك، فقال: أجّلي، فأجله فجمع أهل بيته ونساءه وشاورهم فكل أشاره أن يدفع الدروع ويستنقذ ابنه فلما أصبح أشرف عليه، وقال: ليس إلى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع، فذبح الملك ابنه وهو مشرف ينظر إليه، ثم انصرف الملك بالخبية، فوافى السموأل بالدروع الموسم فدفعها إلى ورثة امرئ القيس وقال في ذلك:

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِنْدِيِّ إِيَّيْ ... إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

وَقَالُوا: إِنَّهُ كَنْزٌ رَغِيبٌ ... فَلَا وَاللَّهِ أَغْدِرُ مَا مَشَيْتُ (١٦)

وإلى ذلك يشير الأعشى حيث يقول:

كُنْ كَالسَّمَوَالِ إِذْ سَارَ الْهَمَامُ لَهُ ... فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارٍ

إلى أن قال:

وَقَالَ: لَا أَشْتَرِي عَارًا بِمَكْرَمَةٍ ... فَاخْتَارَ مَكْرَمَةَ الدُّنْيَا عَلَى الْعَارِ

وَالصَّبْرُ مِنْهُ قَدِيمًا شَيْعَةً خَلَقَ ... وَزَنَدَهُ فِي الْوَفَاءِ الثَّاقِبُ الْوَارِي

ولقد كان العرب في الجاهلية يفاخرون بالأمانة وينتصرون لها، ولقد انتصر العرب في حربهم ضد الفرس في يوم ذي قار في القصة المشهورة حينما رفض هاني بن مسعود الشيباني تسليم ما استودع من الدروع فاجتمع العرب وقتلوا الفرس وانتصروا وكان ذلك مفخرة لهم، والقصة

(١٧) - مجمع الأمثال للميداني ص ٣٧٤.

مبسوطة في كتب التاريخ، لا داعي لذكر تفاصيلها نظراً لشهرتها، ومن أراد التوسع فليرجع إلى مظانها من كتب التاريخ (١٧) .
وقد كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قومه من أول نشأته متحلياً بالأمانة، واشتهر بها، وفي ذلك يقول عمه أبو طالب موضحاً لأمانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومصداقاً وشاهداً له بها:

إن الأمين محمداً في قومه ... عندي يفوق منازل الأولاد (٢٧)
ويقول:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا (٣٧)

أما أحمد شوقي فهو يقول واصفاً لأمانة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنكراً على من أنكروا نبوته بقوله:

لَقَبْتُمُوهُ أَمِينَ الْقَوْمِ فِي صِغَرٍ ... وَمَا الْأَمِينُ عَلَى قَوْلِ بِمَتِّمْ

فالأمانة والثقة أساس المعاملات، والأمانة خلق قويم ودين مستقيم؛ دعا الإسلام إليها، وحث عليها، وكيف تستقيم أحوال البشرية بدون أدائها والحفاظ عليها؟

(١٧) - انظر: تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق مصطفى السيد وطارق سالم، ج ٢ من ص ١٩٣ إلى ص ٢١٣، المكتبة التوفيقية القاهرة مصر، والكامل في التاريخ للإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين، المتوفى ٦٣٠هـ، ج ١ ص ٤٣٦-٤٤٣، الناشر دار الفكر ١٣٩٨ م، ومعجم البلدان ج ٤ ص ٣٣٣ وما بعدها.

(٢٧) - ديوان أبي طالب جمعه وعلق عليه عبد الحق العاني ص ١٠٨.

(٣٧) - ديوان أبي طالب جمعه وعلق عليه عبد الحق العاني ص ١٠٨.

قال الشاعر:

وإنني لأرى من لا حياء له ولا ... أمانة وسط القوم عريانا (١٧)

وقد جاءت الشريعة الإسلامية لتحث على الأمانة بمفهومها الواسع؛ فهي تشمل الدين كله عبادات ومعاملات، وفضائل خلقية واجتماعية، وهذا المفهوم تميز به الدين الإسلامي الحنيف، وجاء في الذكر الحكيم: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} (٢٧) .

فمن حافظ على الأمانة سلم، ومن أداها غنم، فإذا طلبت الخير فاطلبه في أداء الأمانة، وإذا عملت البر ففتح فيه أداء الأمانة، وإذا أردت العز فالزم في سلوكك الأمانة، وأد في مسئوليتك الأمانة، وتعامل مع أهل الصدق والأمانة تفرز بفضل الله ورضوانه، فمن لزم الأمانة صلحت أعماله، واستقامت أحواله، واحتاط لنفسه، ومن أدى الأمانة أطاع ربه وصلاح أمره، وكان بعيه بصيراً، ولم تفسد الشهوة دينه، ولم تزل الشبهة يقينه، وفي الأمانة حفظ للكرامة، وأساس للتقوى، وحرز يقي الانزلاق في المعاصي، ويبعد الإنسان عن المخازي، فالزم الأمانة تلزمك الاستقامة، فمن ضيع الأمانة ضاع، وسقط في وحل الخيانة، فلا تتضرر من حفظها وأدائها، ولا تفرط فيها تفرط في حق نفسك، فإن من زرع خيراً حصد أجراً، واستفاد شكراً، ومن وقع في الخيانة عرض نفسه للهانة، ومن ضيع ذمة اكتسب مذمة.

(١٧) - ورد هذا البيت في الموسوعة الشعرية ص ١٦٢ من غير نسبة إلى شاعر معين وأورده الماوردي أيضاً في أدب الدنيا والدين ص ٢٥٨.

(٢٧) - سورة الأحزاب الآية (٧٢) .

٢١٠٢ تقدير الناس للأمانة

٢١٠٣ الأمانة في الإيمان بالله وعبادته

تقدير الناس للأمانة

الأمانة من الأخلاق العملية التي يتفق الناس على أهميتها في الحياة لأنها تعني أن يكون الإنسان أميناً في عبادته، أميناً في عمله، أميناً في حديثه، أميناً في مجتمعه، أميناً في سلوكه، أميناً مع نفسه، فالنفوس بفطرتها التي فطرها الله عليها تميل إلى تقدير الأمانة والأمانة، فإنهم وإن قصرُوا في المحافظة عليها إلا أنهم يقدرُون الأمانة كأحسن سياسة.

فالقاعدة العامة المشتركة في تقدير الأمانة أن الإنسان بفطرتِه يحب أن يعامله الآخرون بتقدير واحترام، فإذا أحب أن يكونوا معه أمناء فليكن معهم أميناً، وكفى بالمرء نخراً وعزاً أن يوصف بالأمانة، قال الأعشى:

وَإِنَّ أَمْرًا أَسَدَىٰ إِلَيْكَ أَمَانَةٌ... فَأَوْفِ بِهَا إِنْ مِتَّ سُمِّيتَ وَافِيَا

فالأمانة أهمية كبرى في التعامل مع الناس، وللأمانة أهمية كبرى في أداء الفرائض والواجبات، وفي السلوك والمعاملات، فيجب أن تكون أميناً في رأيك، وفي مشورتك ونصحك، فقد جاء في الحديث النبوي الشريف: (المستشار مؤتمن) (١٦)، والأمانة مطلوبٌ أدائها في الحكم، وفي السلوك، وحتى مع المخالفين في الدين، فقد جاء في الذكر الحكيم: {فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فليؤدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَليَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ} (٢٠)، فنزلة الأمانة رفيعة يقدرها العقلاء، ويلتزمها الفضلاء، فالتاجر يجب أن يكون أميناً، والزارع فيما يزرع ويحصد يجب أن يكون أميناً، والصانع فيما يصنع ويبدع يجب أن يكون أميناً، والعالم فيما يعلم وينتج يجب أن يكون أميناً، والموظف فيما يعمله ويؤديه يجب أن يكون أميناً، والمؤذن أمين مؤتمن، والصلاة أمانة، والزكاة أمانة، والحج أمانة، والسر أمانة، والعمل أمانة، والوديع أمين، ولا يؤدي الأمانة إلا كريم، ولا يخون فيما أتمن عليه إلا ذميم، وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (تقبلوا لي ستاً أتقبل لكم الجنة: إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا يخلف، وإذا أتمن فلا يخن) (٣٦) وفي رواية: (اضمنوا لي ستاً أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا أتمنتم) (٤٠).

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أَدِّ الْأَمَانَةَ وَأَخْلِيَانَةَ فَاجْتَنِبْ... وَأَعْدِلْ وَلَا تَظْلِمِ يَطِيبُ الْمَكْسَبُ

الأمانة في الإيمان بالله وعبادته

لقد أنزل الله الأمانة في جذور قلوب المؤمنين من عباده، فطهرهم عليها، وأرشدهم إليها، وحملهم إياها، فالمؤمن مفطور على الأمانة وسلامة الخلق، ومأموراً بأداء الأمانة والحفاظ عليها، فلا يجتمع الإيمان والخيانة أبداً، ولا يجتمع الإيمان والكفر أبداً، ولهذا جاء في الحديث النبوي الشريف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب امرئ، ولا يجتمع الصدق والكذب جميعاً، ولا تجتمع الأمانة والخيانة جميعاً) (٥٠)، وجاء في رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يطبع المؤمن على

(١٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب في المشورة حديث (٤٤٦٣) .

(٢٠) - سورة البقرة الآية (٢٨٣) .

(٣٦) - أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث (٤٢٥٧)، والحاكم في المستدرک کتاب الحدود باب اضمنوا لي ستاً حديث (٨٠٦٧) .

(٤٠) - أخرجه أحمد في المسند عن عبادة بن الصامت (٢١٦٩٥)، وابن حبان في صحيحه باب الصدق والأمر بالمعروف حديث

(٢٧١)، والحاكم في المستدرک کتاب الحدود باب اضمنوا لي ستاً حديث (٨٠٦٦) .

(٥٠) - أخرجه أحمد في المسند عن أبي هريرة حديث (٨٥٧٧) .

كل خلة إلا الخيانة والكذب (١٦) ، فلا يستقيم إيمان عبد دون المحافظة على الأمانة فقد جاء في الحديث: (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له) (٢٦) ، وقد أمر الله جل وعلا بالمحافظة على الصلوات وأداء الفرائض والواجبات وجعل ذلك أمانة يسأل عنها المرء يوم القيامة، فلا بد للمؤمن من أن يتصف بالأمانة، فقد وصف الحق سبحانه وتعالى المؤمنين بأنهم يراعون أمانتهم وجعل الأمانة مظهراً من مظاهر وحدتهم فقال جل شأنه: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} (٣٦) ، قال سيد قطب: "ذلك أن الأمانة صفة دائمة لهم في كل حين، وما تستقيم حياة المجتمع إلا أن تؤدى فيه الأمانات، وتراعى فيه العهود، ويطمئن كل ما فيها على هذه القاعدة الأساسية للحياة المشتركة الضرورية لتوفير الثقة والأمن والاطمئنان" (٤٦) .

قلت: الأمانة داخلية في كل شيء: في الصلاة والزكاة والحج والوضوء والطهارة وغير ذلك، ففي الحديث النبوي: (الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن) (٥٦) ، وقد جاء في حديث آخر: (لا يؤم رجل قوماً فيخص نفسه بالدعاء دونهم فإن فعل فقد خانهم) (٦٦) ، وقال تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

(١٦) - أخرجه احمد في المسند عن أبي أمامة حديث (٢٢٢٢٤) .

(٢٦) - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى باب ما جاء في الترغيب في أداء الأمانة حديث (١٢٤٧٠) ، وأحمد في المسند عن أنس ابن مالك حديث (١٢٤٠٦) .

(٣٦) - سورة المؤمنون الآية (٨) .

(٤٦) - في ضلال القرآن للأستاذ سيد قطب، ج ٤ ص ٢٤٥٦، الطبعة الشرعية التاسعة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م، دار الشروق، مصر.

(٥٦) - رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب ما يجب على المؤذن من تعهد الوقت حديث (٥١٧) ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ج ١ ص ٥٥ ،

(٦٦) - رواه أبو داود في كتاب الطهارة حديث (٩٠) ، وأشار إلى ضعفه الألباني، وحسنه شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط في تحقيق زاد المعاد ج ١ ص ٢٦٤ .

٢١٠٤ ترك الأمانة نفاق

٢١٠٥ الأمانة في الولايات

جَهْلُوكُمْ (١٦) يعم جميع الأمانات من حقوق الله على عباده ومن حقوق العباد بعضهم على بعض ومما يؤتمنون به، ومما يؤيد ذلك قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (٢٦) .

ترك الأمانة نفاق

إن لكل شيء علامة، وعلامة النفاق الخيانة، جاء في الحديث النبوي الشريف: (أَيُّ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ) (٣٦) .

الأمانة في الولايات

الأمانات في الولايات من أكبر الأمانات التي تطوق صاحبها، فمن استعمل العدل وشكر الحق، وتباعد عن ظلم الخلق؛ فقد أدى الأمانة، ومن أسعد اخوانه، وحسن مقاله، وصان نعمته، وأدى فرائضه؛ فقد أدى الأمانة، ومن غش رعيته، واتبع هواه؛ فقد خان أمانته، وفرط في ديانتها، جاء في الحديث النبوي الشريف تحذير الولاة من الغش في واجباتهم: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرِعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) (٤٦) ، وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشعر مسؤولية أمانة الخلافة

في البحث عن الأمانة والنصحاء فيقول: (أنا مسئول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطلع على ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله، لا أكله إلى أحد ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمانة وأهل النصح منكم للعامة، ولست أجعل امامي أحداً سواهم إن شاء الله) (٥٦) ، وجاء في الحديث النبوي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من استعمل رجلاً من عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى الله منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين) (٦٦) وفي رواية: (من ولي من أمر المسلمين شيئاً، فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخل جهنم) (٧٦) ، وجاء في رسالة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الأشر رضي الله عنه: (أنظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباة وأثرة، فإنها جماع من شعب الجور والخيانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً وأقل في المطامع إشراقاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً، ثم أسبغ عليهم الرزق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح

(١٦) - سورة الأحزاب الآية (٧٢) .

(٢٦) - سورة النساء الآية (٥٨) .

(٣٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب علامة المنافق حديث (٣٣) ، ومسلم في صحيحه باب خصال المنافق حديث (٥٩) .

(٤٦) - رواه مسلم في كتاب الإمامة باب استحقاق الوالي العاش لرعيته النار حديث (١٤٢) .

(٥٦) - انظر تأريخ الطبري ج ٤ ص ٢١٥ .

(٦٦) - الحاكم في المستدرک، كتاب الأحكام، حديث (٧٠٢٣) .

(٧٦) - الحاكم في المستدرک، كتاب الأحكام، حديث (٧٠٢٤) .

أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، ووجه عليهم إن خالفوا أمرك وثلثوا أمانتك) ، قال أبو مسلم العماني: أمانة الله تسطيع الأداء لها ... إذا علمت بعون الله ما شرعا

وله أيضاً:

أحسن أمانتك التي قلدتها ... طوق الحمامة ما تسر وما ظهر
لقد تجرت على الذين تؤمهم ... فاختر على الخسران ربح المتجر
قد قلدوك أمانة مضمونة ... فاحذر ضمان مضيع كل الحذر
واعرف لها تيك الأمانة قدرها ... ليس الضمان بها ضماناً يغتفر
وقال المؤيد في الدين (١٦) :

أُمَّةٌ ضَيَّعَ الْأَمَانَةَ فِيهَا ... شَيْخُهَا الْخَامِلُ الظَّلُومُ الْجَهْلُ

أما الشريف الرضي فهو يقول:

وَمَا كُلُّ مَنْ لَمْ يُعْطِ نَهْضاً بِعَاجِزٍ ... وَلَا كُلُّ لَيْثٍ خَادِرٍ بِجَبَانٍ
وَأَنْتَ مَا إِسْتَرَعَيْتَ مِنِّي سِوَى فَتَى ... صَمُومٍ عَلَى رَعِي الْأَمَانَةِ حَانَ
حَفِيفٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ الْمَرْءَ قَوْمَهُ ... وَفِي إِذَا مَا خَوَّنَ الْعَضْدَانَ

فتولية القوي الأمين هو مطلب أهل التقى من الصالحين، وكأنها شرط في صحة الولاية وطلبها، ولهذا حكى الله تعالى عن يوسف عليه السلام

(١٦) - هذا البيت للمؤيد في الدين (٣٩٠ - ٤٧٠ هـ / ٩٩٩ - ١٠٧٧ م) هبة الله بن أبي عمران موسى بن داؤد الشيرازي. ولد في شيراز، وكان باكورة أعماله اتصاله بالملك البويهبي أبو كاليجار الذي أعجب به واستمع إليه، وحضر مجالس مناظراته مع العلماء من المعتزلة والزيدية والسنة. خرج المؤيد إلى مصر سنة ٤٣٩. وقد كان من ألمع الشخصيات العلمية والسياسية التي أنتجها ذلك العصر،

فقد كان عالماً متفوقاً، قوي الحجبة في مناظراته ومناقشاته مع مخالفيه. قال عنه أبو العلاء المعري: والله لو ناظر أرسططاليس لتغلب عليه. وقد تمكن من إحداث إنقلاب عسكري على الخليفة العباسي القائم بأمر الله سنة ٤٥٠ هـ وأجبره على مغادرة البلاد ورفع راية الدولة الفاطمية فوق بغداد. ومن ذلك كله استحق لقب داعي دعاة الدولة الفاطمية.

قوله: { قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } (١٦) ، وقد شهدت ابنة شعيب لموسى عليه السلام بالأمانة والقوة قبل أن يكون نبياً وحكى المولى جل وعلا ذلك في كتابه فقال: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ* فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ* فَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْثِيًّا عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ* قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } (٢٦) ، وقد قال ابن عباس في تأويل (القوي الأمين) : "قوي فيما ولي وأمين فيما استودع".
قال الشاعر:

حاملُ النارِ والحديدِ قوياً ... والذي يحمل الأمانة أقوى (٣٦)

ومما لا شك فيه أن الأمانة والقوة هما الركبان المقصودان في القدرة على العمل وإدارته، والحفاظ عليه وأدائه بدون تفريط أو خلل، فالبيعة والاستفتاء والانتخاب كلها أمانة فإياك أن تضعها فتضعها في غير أهلها، وقد جاء في محكم التنزيل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم

(١٦) - سورة يوسف الآية (٥٥) .

(٢٦) - سورة القصص الآيات (٢٣-٢٦) .

(٣٦) - هذا البيت ينسب لأحمد الكاشف.

بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تُحْكَمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً} (١٦) . فالواجب على من ولي أمانة الأمة أن ينظر في أحوال الرعية وأن لا تلهيه جلبة الملك عن أداء الأمانة، قال الشاعر:
لا يَسْتَوِي ملك تلهيه مملكة ... وذو ضرائر لا يَنْتَابِه الوسن
عار عليك عمارات مشيدة ... وللرعية دور كلها دَمَن
فانظر إليهم فعين الله ناظرة ... هم الأمانة والسلطان مؤتمن (٢٦)
أما احمد شوقي فيقول:

إِنَّ أَنْتَ أَطْلَعْتَ الْمُثَلَّ نَاقِصاً ... لَمْ تَلَقْ عِنْدَ كَجَالِهِ التَّمَثِيلَا

فَادْعُوا لَهَا أَهْلَ الْأَمَانَةِ وَاجْعَلُوا ... لِأَوْلَى البَصَائِرِ مِنْهُمُ التَّفْضِيلَا

وقد نسب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في خطبة له: (ألا وإني وجدت صلاح ما ولاني الله سبحانه وتعالى بالأمانة والأخذ بالقوة) (٣٦) .

قلت: وفي ذلك الوصول إلى الغاية وأداء أمانة الولاية، ولا تعني القوة في الولاية العنف وعدم مراعاة الرفق، فإن الله سبحانه وتعالى يحب الرفق في الأمر كله، فن تولى أمانات المسلمين فرفق بهم استحق دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم من ولي من أمري شئنا فشقق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمري شئنا فرفق بهم فارقق به) (٤٦) .

(١٦) - سورة النساء الآية (٥٨) .

(٢٦) - هذه الأبيات لأحمد بن علوان.

- (٣٦) - عيون الأخبار ج ١ ص ١١٧ .
- (٤٦) - رواه مسلم في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل حديث (١٨٢٨) .
- فالراعي يجب عليه الرفق برعيته والإحسان في تدبير سياسته، فقد جاء في الحديث النبوي: (ألا كلّمكم راعٍ وكل راعٍ مسؤل عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسؤل عن رعيته) (١٦) .
- فالعقل لا يأتمن ذا سلوكٍ وضعيف ولا يصطنع من فاته العقل، لأن من غش نفسه في سلوكه لا يحتزم من غش غيره فلا يأمن أن يغش من حيث ينصح، أما من لا عقل له فربما أفسد من حيث يظن أنه يصلح وذلك مما يعيب توقيه ويفوت تداركه وتلافيه، وإنما يؤتمن المؤمن القوي صاحب الخلق الرضي والسلوك المرضي .
- وما ضياع الأمانة في الولايات كافة إلا في تولية من لا أمانة له، وقد عد ذلك النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من علامات الساعة حيث يقول: (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قيل: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا اسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة) (٢٦) ، وقد ذكر بعض شراح الحديث أنه ينبغي تولية أهل الأمانة والإيمان والصلاح في أمور المسلمين عموماً كالخلافة والإمارة والقضاء والإفتاء وغير ذلك فإذا ولي غيرهم فقد ضيعت الأمانة. (٣٦)
- (١٦) - رواه البخاري في كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن حديث (٨٩٣) ، ورواه مسلم واللفظ له في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل حديث (١٨٢٩) .
- (٢٦) - رواه البخاري في كتاب الرقاق باب رفع الأمانة حديث (٦٤٩٦) .
- (٣٦) - انظر فتح الباري للإمام ابن حجر ج ١١ ص ٤٣٤ .

٢١٠٦ الأمانة في الأسرة

الأمانة في الأسرة

الأسرة نواة المجتمع واللبننة الأساسية فيه فمن رعى فيها فريضة الأمانة أداها، ووفى فيها ما عليه من الرعاية والديانة، حصل له الحظ الأوفر والجزاء الأكبر، فقيام الرجل بحق زوجته أمانة، وتربية الأولاد على البر والتقوى وحسن التعامل أمانة، وفي الحديث النبوي: (وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَلَا فُكُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) (١٦) ، والرعاية بمعنى الحفظ والأمانة، فالحديث دل على أن كل هؤلاء المذكورين فيه على اختلاف مراتبهم مؤتمنون يجب عليهم الوفاء بأمانتهم، وقد قال النووي في شرحه للحديث: "الراعي: هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما قام عليه وهو ما تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته" (٢٦) ، وذلك مأخوذ من ظاهر الحديث .

فالنصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية تدل على أنه يتساوى كل من الرجل والمرأة في المسؤولية على حفظ الأمانة وأدائها مع مراعاة خصوصية كل منهما في القوامة والحفظ والتربية وتدابير شؤون الأسرة وحفظ الأسرار، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ)

- (١٦) - رواه البخاري في كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن حديث (٨٩٣) ، ومسلم واللفظ له في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل حديث (١٨٢٩) .
- (٢٦) - شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٢ ص ٢١٣ .

٢١٠٧ أمانة الزوجة تقتضي حفظ أسرار زوجها

﴿ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا﴾ (١٦) ، وفي رواية: (إِنَّ مِنْ أَشْرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا) (٢٦) ، فالحديث صريح في وجوب المحافظة على الأمانة وحفظ الأسرار بين الزوجين، وإن الأزواج الذين ينشرون أسرار أزواجهم شر الناس عند الله تعالى منزلة يوم القيامة.

أمانة الزوج تقتضي عدم جواز تخون أهلها

إن الزوج الأمين يرضى زوجته ويكرمها ويحافظ على أمانته فيها ويرحمها، ويشعرها بالأمان ولا يتخونها، فالغيرة المذمومة في الأزواج هي تلك التي تدعوهم إلى طلب التماس عثرات زوجاتهم أو التجسس عليهن وتخونهن ومقتن في أخلاقهن، فقد جاء في الحديث: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا يَتَخَوَّنُهُمْ أَوْ يَلْتَمِسُ عَثْرَتَهُمْ) (٣٦) .

أمانة الزوجة تقتضي حفظ أسرار زوجها

الزوجة مؤتمنة على حفظ أسرار زوجها، وحفظ أمواله، وتربية أولاده، ومراعاة عدم الخروج من منزله إلا بإذنه، وعدم إيذاء فراش الزوج من يكرهه، فلا تدخل أحداً منزله وهو يكره دخوله، فالزوجة مؤتمنة وملزمة بإطاعة زوجها في غير معصية، والمرأة الصالحة الأمانة هي التي تحفظ معروف زوجها وتطيعه فيه، وفي الذكر الحكيم: {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا

(١٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب تحريم افشاء سر المرأة حديث (١٤٣٧) .

(٢٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب تحريم افشاء سر المرأة حديث (١٤٣٦) .

(٣٦) - أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلاً لمن ورد من سفر حديث (٧١٥) .

٢١٠٨ تربية الأولاد وتعليمهم أمانة

حَفِظَ اللَّهُ { (١٦) ، فالمرأة مؤتمنة على حفظ نفسها وعرضها فلا تتبرج ولا تتبدل، وقد روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: (من الأمانة أن المرأة أوئمتت على فرجها) ، وقال جرير (٢٦) يريثي امرأته في عفافها:

كَانَتْ إِذَا هَجَرَ الْحَلِيلُ فِرَاشَهَا ... خُزِنَ الْحَدِيثُ وَعَقَّتِ الْأَسْرَارُ

تربية الأولاد وتعليمهم أمانة

إن تربية الأولاد وتهذيبهم وتعليمهم أمور الدنيا والدين أمانة يجب أداؤها، فتوجيه الأولاد للعالي وتربيتهم على الفضيلة وتعويدهم على البر والأخلاق الحميدة وطلب الرزق من وجوه الحلال وتعليمهم الصلاة والصيام والزكاة أمانة، فالله جل وعلا يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } (٣٦) ، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمانة تربية الأولاد في قوله: (أَلَا كَلِمٌ رَاعٍ وَكَلِمٌ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ ... الخ) الحديث السالف بيانه، فالزوجان مؤتمنان على تربية أولادهم على الفضيلة وإبعادهم عن الرذيلة وتعليمهم ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، وقد قال ابن القيم رحمه الله: فمن أهمل تعلم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك

(١٦) - سورة النساء الآية (٣٤) .

(٢٦) - جرير بن عطية الخطفي من بني تميم ولد سنة ٣٠ هـ ومات في اليمامة سنة ١١٥ هـ ، انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٣٢١ .

(٣٠) - سورة التحريم الآية (٦) .

٢١٠٩ الأمانة في الأخلاق والمعاملات

تعليمهم فرائض الدين وسننه, فأضاعوها صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كباراً. (١٦) , قال ابن قم الزبيدي:

خير ما ورث الرجال بنبيهم ... أدب صالح وحسن ثناء

ويرحم الله شوقي حيث يقول:

فَرَبِّ صَغِيرٍ قَوْمٍ عَلَّوهُ ... سَمَا وَحَمَى الْمُسَوِّمَةَ الْعَرَابَا

وَكَانَ لِقَوْمِهِ نَفْعًا وَنَخْرًا ... وَلَوْ تَرَكَوهُ كَانَ أَدَى وَعَابَا

أما الإمام علي بن أبي طالب فهو يقول:

حَرَضَ بَنِيكَ عَلَى الْآدَابِ فِي الصِّغَرِ ... كَيْمَا تَقَرَّبَ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ

فَإِنَّمَا مَثَلُ الْآدَابِ تَجْمَعُهَا ... فِي عِنْفُونَِ الصَّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجْرِ

الأمانة في الأخلاق والمعاملات

تعد الأمانة خاصية إنسانية في العلاقات الاجتماعية من حيث تعامل الفرد مع الآخرين, سواءً كان مع جاره أو مع مجتمعه أو مع أسرته أو مع قبيلته, ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى برعاية أمانة الجار وحفظ حقوقه فقال: (وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ, قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ, قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقِهِ) (٢٦) , فالعاقل حري به أن يبني علاقته مع الآخرين من الأبعد والأقرب من الأفراد والجماعات والدول على أساس الأمانة, ومن ثم يكون أميناً في علاقته معهم, حافظاً لعهده وسره, وقد جاء في محكم التنزيل: {وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} (٣٦) . ومن أشد الخيانة أن يجلس الرجل فيطمئن إلى أخيه فيفشي سره وينقل عنه ما لا يجب, وقد جاء في الحديث النبوي: (إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة) (٤٦) , ويرحم الله حسان بن ثابت حيث يقول:

وَأَمِينٍ حَدِيثُهُ سِرُّ نَفْسِي ... فَوَعَاهُ حِفْظَ الْأَمِينِ الْأَمِينَا

وقد جاء في الأمثال السائرة: "قلوب العقلاء حصون الأسرار", وإنما تستعزز الثقة بالناس وتزدهر حياتهم وتنمو تجارتهم بالأمانة, وفي الحديث (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ) (٥٦) , فالأمناء هم الذين يراعون واجبات العبادات والمعاملات, فلا يمكن أن ينهض مجتمع لا تؤدي فيه الأمانة.

فأداء الأمانات من الأمور الأساسية التي تقوم عليها نهضة المجتمعات في كافة المجالات, ألا ترى أن الله جل وعلا يقول: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} (٦٦) , ولا بد للحياة من ضوابط ترتب علاقة الفرد مع نفسه ومع الناس, وهي تتمثل في الغالب الأعم في الوفاء بعقود المعاوضات وعقود التبرعات

(١٦) - تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم, تحقيق عبد القادر الأرئوط , ص ١٣٩, الناشر دار عالم الكتب الرياض, الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

(٢٦) - رواه البخاري في كتاب الآداب باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه حديث (٥٦٧٠) .

(٣٦) - سورة الإسراء الآية (٣٤) .

(٤٦) - رواه الترمذي ما جاء أن المجلس أمانة حديث (١٩٥٩) , وحسنه الألباني.

(٥٦) - أخرجه الترمذي في صحيحه باب ما جاء في التجار حديث (١٢٠٩) .

(٦٧) - سورة النساء الآية (٥٨) .

٢١.١٠ الخيانة مذمة وندامة

ونحوها، فمن أدى في ذلك الأمانة فقد أدى ما يجب عليه. وإنما تشرف الأمة ويعلو بنيانها ويسعد أبنائها بالمحافظة على الأمانة وأداؤها، قال كعب بن زهير:

أرعى الأمانة لا أخون أمانتي ... إن الخؤون على الطريق الأنكب (١٧)
الخيانة مذمة وندامة

الخيانة من الصفات المشئومة والخلال المذمومة، وقد عدها بعض العلماء من الكبائر، وعرفها الجاحظ بأنها: الاستبداد بما يؤتمن الإنسان عليه من الأموال والأعراض والحرم، وتملك ما يستودع، ومجاهدة مودعه، وفيها أيضاً: طي الأخبار إذا نذب لتأديتها، وتحريف الرسائل إذا تحملها فصرها عن وجوهها (٢٧) .

وهي في اللغة: مشتقة من مادة (خ ون) ، قال ابن فارس: الخاء والواو والنون أصل واحد يقال: خانه يخونه خونا وخيانة (٣٧) .
والخيانة ضد الأمانة (٤٧) .

وعند فقهاء القانون جريمة موضوعها: استيلاء شخص أو تبديده بسوء قصد أو بغير وجه حق لمال كان أميناً أو واضح يد عليه (٥٧) .
(١٧) - ديوان كعب بن زهير ص ١٨٩، والموسوعة الشعرية ص ١٦٢.

(٢٧) - تهذيب الأخلاق لأبي عثمان الجاحظ، فرعه وعلق عليه أبو حذيفة إبراهيم بن محمد ص ٣١، دار الصحابة للتراث في مصر الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، والأمانة في الإسلام وأثرها في المجتمع تأليف الدكتور عبد اللطيف بن إبراهيم ابن عبد اللطيف الحسين عضو هيئة التدريس والدراسات الإسلامية في الأحساء جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ص ١٠٧، الناشر: دار ابن الجوزي الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

(٣٧) - معجم المقاييس للعلامة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفي سنة ٣٩٥هـ، ص ٣٥٨. الناشر: دار الفكر بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ-١٩٩٨م.

(٤٧) - مفردات الراغب ص ١٦٨.

(٥٧) - معجم المصطلحات القانونية للدكتور عبد الواحد كرم ص ٢١٥، الناشر: عالم الكتاب ومكتبة النهضة العربية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢١.١١ الخيانة أسوأ ما يبطنه الإنسان

وقد تضافرت النصوص الربانية والأحاديث النبوية على تحريمها والتحذير منها، وتكرر لفظ الخيانة ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين موضعاً (١٧) ، منها قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (٢٧) .

وجاء في الحديث النبوي: (أد الأمانة إلى من أئتمنك ولا تخن من خانك) (٣٧) أي لا تقابل خيانة من خان بخيانة مثلها، فالخيانة لا تباح فيها العقوبة بالمثل، وإنما جعلت عقوبة خائن الأمانة في الدنيا التعزير والضمان.

والخيانة شر كلها لما فيها من مخالفة الحق وخيانة الخلق والضرر بهم، والخائن لا تقبل شهادته ولا تصح روايته، وقد قضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك حيث يقول: (لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة) (٤٧) أي لا تقبل، وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رد شهادة الخائن والخائنة) (٥٧) .

والخيانة شؤم في الدنيا عذاب في الآخرة، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (وأهل النار خمسة: ذكر منهم: (وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ) (٦٧) .

واخيانة صفة المنافقين والمشركين والكفار والجاحدين من لا يحبهم الله رب العالمين، وفي الذكر الحكيم: {وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانذِرْ لَهُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} (٧٦)، وفي سورة الحج: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} (٨٦) .
اخيانة أسوأ ما يبطنه الإنسان

اخيانة مبعوضة عند الله سبحانه وتعالى في جميع صورها ومظاهرها، فلا وسيلة لحفظ الإيمان إلا بتجنبها واتقاء ضررها والمساورة إلى التوبة منها والبعد عنها، فالخيانة أسوأ ما يبطنه الإنسان، وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يستعيز منها فقد جاء في الأدعية المأثورة: (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ومن الخيانة فإنه بئس البطانة) (٩٦) .
قال الأعرابي الشامي:

(١٦) - انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف. وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، ص ٢٤٨، الناشر: دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

(٢٦) - سورة الأنفال الآية (٢٧) .

(٣٦) - رواه أبو داود في كتاب البيوع باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده حديث (٣٥٣٥)، وصححه الألباني.

(٤٦) - أخرجه أحمد في المسند حديث (٦٤١١) .

(٥٦) - رواه أبو داود في كتاب الأفضية باب من ترد شهادته حديث (٣٦٠٠)، وهو حديث حسن.

(٦٦) - رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار حديث (٢٨٦٥) .

(٧٦) - سورة الأنفال الآية (٥٨) .

(٨٦) - سورة الحج الآية (٣٨) .

(٩٦) - رواه الإمام الحافظ المحدث أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ، في سننه كتاب الاستعاذة باب الاستعاذة من اخيانة حديث (٥٤٦٩)، الطبعة الثانية، مطبوع مع شرح السيوطي، وحاشية السندي، بيروت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

لا تأمن امرءاً خان امرءاً أبداً... إن من الناس ذا وجهين خوانا (١٦)

ولله در القائل:

ألا رب من تغتشه لك ناصحٌ... ومؤتمن بالغيب غير أمين (٢٦)

فن حنث في أيمانه اخل بأمانته وإيمانه، وتمادى في غروره وعنفوانه، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وما يخون الأمانة لييب، ولا يفرط فيها حبيب، قال صالح بن عبد القدوس:

لا أخون الخليل في السرِّ حتى... ينقل البحر في الغرايل نقلا

أو تمور الجبال مور سحاب... مثقلاتٍ وعت من الماء حملا (٣٦)

أما جميل العذري فهو يقول:

لحا الله من لا ينفع الوعد عنده... ومن حبله إن مد غير متين

ومن هو ذو وجهين ليس بدائم... على العهد حلاف بكلِّ يمين (٤٦)

(١٦) - الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢ ص ٦٤٣، تحقيق أحمد شاكر دار التراث العربي الطبعة الثالثة ١٩٧٧م، والموسوعة الشعرية ص ٢٠١.

(٢٦) - حماسة البحري ص ١٧٥، والموسوعة الشعرية ص ٢٠١.

(٣٦) - معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ٣ ص ٤٢١، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ، والموسوعة الشعرية ص ٢٠٢. وينسب هذان البيتان لصالح بن عبد القدوس.

(٤٦) - بهجة المجالس ج ٢ ص ٥٨٠.

٢٢ الفصل الحادي والعشرون الحلم

الفصل الحادي والعشرون
الحلم

٢٢٠١ الحلم

الحلم

الحلم: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، ويشتمل على الصبر والابتناء والرفق والسكون مع القدرة والقوة. وفي المصباح: حلم حلما: صفح وستر، وهو صفة من صفة الله الحليم. وفي الذكر الحكيم {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} (٢٢٥) من سورة البقرة، وفي سورة ال عمران يقول الحليم المنان {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ} (٢٦٣) ، والحلم من الخلال الحميدة، والصفات الرشيدة، وهو حلية المتقين، وسمة أولي العزم من النبيين والمرسلين، ولا ارتفاع قدر الحلم فان الله جل وعلا تسمى به وسمى خليله إبراهيم عليه السلام ووصفه به فقال جل شأنه {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَاهٌ مُنِيبٌ} (١٦) .

وبشر الحق سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام بغلام يتصف بالحلم فقال سبحانه {فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} (٢٦) .

فالحليم من الناس عظيم الشأن، رفيع المكان، محمود السيرة، رضي الفعل، والحليم ما أغناك جده، وأهلك هزله، والحليم من يستلهم في كل أمر خاتمته، ويتدبر من كل شي عاقبته والحليم من يتعمق النظر في السؤال ويتعلم عن الجهال، واللثيم يسرع إلى السؤال ويعرض عن النوال وقديم

(١٦) - سورة هود (٧٥) .

(٢٦) - سورة الصافات (١٠١) .

قيل: (الحليم من لم يكن حلمه لفقد النصرة وعدم القدرة، والجواد من لم يكن جوده لدفع الأعداء، وطلب الجزاء، والصموت من لم يكن صمته لكثرة لسانه وقلة بيانه، والمنصف من لم يكن إنصافه لضعف يده، وقوة خصمه) (١٦) . من غرس شجرة الحلم اقتنى ثمرة السلم، ومن صحة ديانته تمت مروءته، لان الديانة تصد عن المحارم، وقديم قيل: (أربعة تترقى إلى أربعة: العاقل إلى الرئاسة، والرأي إلى السياسة، والعلم إلى التصدير، والحلم إلى التوقير) ، وإنما يعرف الحليم باحتماله، والحليم من يتعلم عن سهو الذنوب، ويترك البحث عن مستور العيوب والحلم: الأناة وضبط النفس، وفي مفردات الراغب: الحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب (٢٦) . وفي لسان العرب والقاموس: الحِلْمُ بالكسر الأناة والعقل وجمعه أحلام وحُلومٌ (٣٦) ، وفي التنزيل العزيز (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ) بهذا قال جرير:

هَلْ مِنْ حُلُومٍ لَأَقْوَامٍ فَنُنْدِرُهُمْ ... مَا جَرَّبَ النَّاسُ مِنْ عَضِيٍّ وَتَضْرِيْسِي؟

وقال أبو حاتم: الحلم: (اسم يقع على زم النفس عن الخروج عند الورد عليها ضد ما تحب إلى ما نهى عنه وقال. الحلم يشتمل على المعرفة والصبر والأناة والثبوت، ولم يقرب شي إلى شي أحسن من عفو إلى مقدره (٤٦) ، والحلم أجمل ما يكون من المقتدر على الانتقام، والحلم خلق حميد فتحل به يحبك الله ويحبك الناس، وفي الحديث النبوي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال للأشج حين قدم عليه في وفد عبد القيس: (إِنَّ فِيكَ خَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ) (٥٦) ، وفي رواية: (الْحِلْمُ وَالتَّوَدَّةُ) (٦٦) ، قال الشاعر:

وما الحلم إلا ردك الغيظ في الحشا ... وصفحك بالمعروف والصدر واغر (٧٦)

وقال آخر:

وليس يتم الحلم للمرء راضياً... إذا هو عند السخط لم يتعلم
كما لا يتم الجود للمرء موسراً... إذا هو عند العسر لم يتجشم (٨٦)
أما الأحنف بن قيس فهو يرى أن الحلم يكظم غيظه ويضحك عند سماع الأذى وفؤاده يتقد من حر ما يجد حذراً في الأمر وذلك
مستفاد من قوله:

ولربما ضحك الحلم من الأذى... وفؤاده من حره يتأوه
ولربما شكل الحلم لسانه... حذر الجواب وانه لمفوه (٩٦)
أما صلاح الدين الصفدي فهو يرشد إلى ضرورة استشعار الحلم في كل الأمور وعدم التسرع وذلك حيث يقول:
واستشعر الحلم في كل الأمور ولا... تسرع ببادرة يوماً إلى رجل
وان بليت بشخص لا خلاق له... فكن كأنك لم تسمع ولم يقل

- (١٦) - الفرائد والقلائد ص (٤٠) .
- (٢٦) - مفردات الراغب ص (١٣٦) .
- (٣٦) - لسان العرب ج ١٢ ص (١٤٥) . والقاموس المحيط ص ١٠٩٦ .
- (٤٦) - روضة العقلاء ص (١٧٠) .
- (٥٦) - رواه مسلم في صحيحه باب الأمر بالإيمان حديث (١٧) .
- (٦٦) - رواه ابن ماجه في سننه باب الحلم حديث (٤١٨٧) .
- (٧٦) - النوادر لأبي علي القالي ص (٢١٧) ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
- (٨٦) - العقد الفريد ص (١٤١) .
- (٩٦) - العقد الفريد ص (١٤٢) .

٢٢٠٢ الحلم حلية العلم

ولله در بشار حيث يقول:
قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ... حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمَاءٍ (١٦)
قال الاكثم بن صيفي رحمه الله دعامة العقل الحلم، وجماع الامر الصبر وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: حلمك على السفية يكثر
انصارك عليه. وقال الاحنف بن قيس: أفة الحلم الذل.
قال الشاعر:

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ... حَلِيمٌ إِذَا مَا أوردَ الأَمْرَ أَصدَرَ
وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ... بَوادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا
فَقَبِي الحِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ... وَفِي الجَهْلِ أحياناً إِذَا مَا تَعَدَّرَا (٢٦)
الحلم حلية العلم

الحلم حلية العلم وعلّة السلم، والسلم علّة السلامة وسبب الاستقامة، والحلم لا يجاري السفية ولا يماريه، قال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم. قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:
وَذِي سَفِهِ يُخاطِبُنِي بِجَهْلٍ... فَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجِيباً
يَزِيدُ سَفَاهَةً وَأَزِيدُ حِلْمًا... كَعُودٍ زَادَ بِالإِحْرَاقِ طِيباً

- (١٦) - ديوان بشار ص (٣٢) .
(٢٦) - هذه الأبيات للناطقة الجعدي.

٢٢٠٣ الحلم حاذق لبيب

٢٢٠٤ الحلم ثبات ورفعة

الحلم حاذق لبيب

الحلم حاذق يحترس من نفسه كما يحترس من غيره ويصون نفسه عن الدناءة والوقوع في المعاصي فهو كما قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وَمُحْتَرَسٍ مِنْ نَفْسِهِ خَوْفٌ ذِلَّةٌ ... تَكُونُ عَلَيْهِ حُجَّةً هِيَ مَا هِيََا
فَقَلَّصَ بَرْدِيهِ وَأَفْضَى بِقَلْبِهِ ... إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى فَنَالَ الْأَمَانِيَا
وَجَانِبَ أَسْبَابِ السَّفَاهَةِ وَانْحَنَا ... عَفَافًا وَتَنْزِيهًا فَأَصْبَحَ عَلِيَا
وَصَانَ عَنِ الْفَحْشَاءِ نَفْسًا كَرِيمَةً ... أَبَتْ هَمَّةً إِلَّا الْعُلَى وَالْمَعَالِيَا
تَرَاهُ إِذَا مَا طَاشَ ذُو الْجَهْلِ وَالصَّبِي ... حَلِيمًا وَقَوْرًا صَائِنَ النَّفْسِ هَادِيَا
لَهُ حِلْمٌ كَهَلٍ فِي صَرَامَةِ حَازِمٍ ... وَفِي الْعَيْنِ إِنْ أَبْصَرْتَ أَبْصَرْتَ سَاهِيَا
يَرُوقُ صَفَاءَ الْمَاءِ مِنْهُ بِوَجْهِهِ ... فَأَصْبَحَ مِنْهُ الْمَاءُ فِي الْوَجْهِ صَافِيَا
وَمِنْ فَضْلِهِ يَرَعَى ذِمَامًا لِجَارِهِ ... وَيَحْفَظُ مِنْهُ الْعَهْدَ إِذْ ظَلَّ رَاعِيَا
صَبُورًا عَلَى صَرْفِ اللَّيَالِي وَرَزْئِهَا ... كَتَمُوا لِأَسْرَارِ الضَّمِيرِ مُدَارِيَا
لَهُ هَمَّةٌ تَعْلُو عَلَى كُلِّ هَمَّةٍ ... كَمَا قَدَ عَلَا الْبَدْرُ النُّجُومِ الدَّرَارِيَا
الحلم ثبات ورفعة

الحلم ثبات ورفعة فمن أراد أن يسود في قومه ويوقر في أهله فيمكن حلِيمًا. قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقل يلزم الحلم عن الناس كافة، فان صعب ذلك عليه فليتحلم، وأول الحلم: المعرفة ثم التثبت، ثم العزم، ثم التصبر، ثم الصبر، ثم الرضى، ثم الصمت والغضاء، وما الفضل إلا للمحسن إلى المسيء فأما من

أحسن إلى المحسن، وحلم عمن لم يؤذنه فليس ذلك بحلم ولا إحسان (١٦) ، قال شاعر:
إذا أنا كافيت الجهول بفعله ... فهل أنا إلا مثله إذ أحاوره؟
ولكن إذا ما طاش بالجهل طائش ... علي فاني بالتحلم قاهره
وقال آخر:

إذا المرء لم يصرف عذاباً من الأذى ... حياء، ولم يغفر لأخرق مذنب
فلم يصطنع إلا قليلاً صديقه ... ومن يدفع العوراء بالحلم يغلب

قال الإمام علي رضي الله عنه: ليس الخير ان يكثر مالك وولدك، ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك، والا تباهي الناس بعبادة الله وحده، اذا احسنت حمدت الله تعالى واذا اسأت استغفرت الله تعالى. وقال الحسن رضي الله عنه: اطلبوا العلم وزينوه بالوقالوقار والحلم.

وقال أبو العتاهية:

أَمْ تَرَأَنَّ الْحِلْمَ لِلْجَهْلِ قَاطِعٌ ... وَأَنَّ لِسَانَ الرُّشْدِ لِلْغِيِّ مُسِكْتُ
وله أيضاً:

ذو الْحِلْمِ فِي جَنَّةٍ تَرُدُّ سَهَابًا ... مَ الْجَهْلِ عَنْهُ إِنْ جَاهِلٌ جَهْلًا

وقد روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتوخ الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه) (٢٠)، فمن أراد أن يسود قومه تحلى بالحلم قال الشاعر.

(١٧) - روضة العقلاء ص (١٧٢) .

(٢٠) - ورد مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الخطيب البغدادي في كتابه: اقتضاء العلم العمل.. حديث حسن

٢٢٠٥ الحلم ذو عزة

لم ترأَنَّ الْحِلْمَ زَيْنَ مَسْوَدٍ ... لِمَا حَبَّه وَالْجَهْلَ لِلْهَرِّ شَائِنَ
لصاحبه

فَكَنْ دَافِنًا لِلشَّرِّ بِالْخَيْرِ تَسْتَرِحُ ... مِنْ الْهَمِّ إِنْ الْخَيْرُ لِلشَّرِّ دَافِنٌ
ولأبي العتاهية:

مَا أَزِينَ الْحِلْمَ لِأَرْبَابِهِ ... وَغَايَةَ الْحِلْمِ تَمَامُ التَّقَى

وله أيضاً:

وَقَارَ الْحِلْمُ يَقْرَعُ كُلَّ جَهْلٍ ... وَعَزَمَ الصَّبْرُ يَنْهَضُ بِالْجَلِيلِ
ويقول ابن شيخان السالمي:

وَمَنْ تَرَقَّى بِمِرْقَى الْحِلْمِ مَا عَرَضَتْ ... فِي قِصْدِهِ حَاجَةٌ إِلَّا وَحَصَّلَهَا
الحلم ذو عزة

الحلم حلية رفيعة يحسن أن يتحلى به الملوك والعبد المملوك، فقد وورد في حديث أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا حليم إلا ذو عثرة ولا حليم إلا ذو تجربة) (١٧) . وفي رواية: (لا حليم إلا ذو عثرة ولا حليم إلا ذو تجربة) (٢٠) ، أي انه لا يحصل له الحلم ويوصف به حتى يركب وتخرق عليه ويعثر فيها فيعتبر بها ويستبين مواضع الخطاء ويتجنبها، وقال أبو حاتم: العرب تضيف الاسم إلى الشيء للقرب إلى التمام وتنفي الاسم عن الشيء للنقص من الكمال، فلها كان الغالب

(١٧) - رواه احمد في المسند حديث (١٠٦٣٤) ، وأورده العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإباس عما اشتهر من الأحاديث على الألسنة الناس ج (٢) ص (٣٦٢) طبعه دار الإحياء بيروت.

(٢٠) - رواه الترمذي في سننه باب ما جاء في التجارب حديث (١٩٥٦) .

على المرء إلا يكون حليماً حتى يكون ذا عثرة نفى النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسم الحليم عن من لم يكن بذي عثرة، لنقصه عن الكمال (١٧) .

والحليم شأنه رفيع لا يهين نفسه ولا يسيء إلى أهله، والعامل لا يفارق الحلم ما وجد لاستعماله سبيلاً، والحلم لا يكون إلا عن قدره. قال الشاعر:

كُلُّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ إِقْتِدَارٍ ... حُجَّةٌ لِأَجَى إِلَيْهَا اللَّئَامُ (٢٠)

وقال سالم ابن واضبه:

ان من الحلم ذلاً أنت عارفه ... والحلم عن قدرة فضل من الكرم (٣٠)

وقال المتنبي:

إِذَا قِيلَ رِفْقًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ ... وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلٌ
ويقول ابن زيدون (٤٦) :

حَلِيمٌ تَلَا فِي الْجَاهِلِينَ أَنَاتُهُ ... إِذِ الْحِلْمُ عَنِ بَعْضِ الذُّنُوبِ عِقَابٌ
أما صالح ابن جناح فهو يقول:

لَئِنْ كُنْتُ مُحْتَاجًا إِلَى الْحِلْمِ إِنِّي ... إِلَى الْجَهْلِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَحْرَجُ

(١٦) - روضة العقلاء ص (١٧٠) .

(٢٦) - هذا البيت ينسب للمتنبي .

(٣٦) - محاضرة الأدباء ص (٩٥) .

(٤٦) - ابن زيدون: (٣٩٤-٤٦٣هـ/١٠٠٣-١٠٧٠م) أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي الأندلسي، أبو الوليد. وزير، كاتب وشاعر من أهل قرطبة، انقطع إلى ابن جهور من ملوك الطوائف بالأندلس، فكان السفير بينه وبين ملوك الأندلس فأعجبوا به. واتهمه ابن جهور بالميل إلى المعتضد بن عباد فحبسه، فاستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة فلم يعطف. فهرب واتصل بالمعتضد صاحب إشبيلية فولاه وزارته، وفوض إليه أمر مملكته فأقام مبعثاً مقرباً إلى أن توفي بإشبيلية في أيام المعتضد على الله ابن المعتضد. ويرى المستشرق كور أن سبب حبسه اتهامه بمؤامرة لإرجاع دولة الأمويين. وفي الكتاب من يلقبه بحتري المغرب، أشهر قصائده: أضحى التناهي بديلاً من تدانينا. ومن آثاره غير الديوان رسالة في التهم بعت بها عن لسان ولادة إلى ابن عبدوس وكان يزاحمه على حبها، وهي ولادة بنت المستكفي. وله رسالة أخرى وجهها إلى ابن جهور طبعت مع سيرة حياته في كوينهاغن وطبع في مصر من شروحها الدر المخزون وإظهار السر المكنون.

٢٢٠٦ قصة للرشيدي

٢٢٠٧ الحليم اسم من أسماء الله تعالى

وَلِي فَرَسٌ لِلْحِلْمِ بِالْحِلْمِ مُلْجَمٌ وَلِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بِالْجَهْلِ مُسْرَجٌ
فَمَنْ شَاءَ تَقْوِيماً فَإِنِّي مُقَوْمٌ ... وَمَنْ شَاءَ تَعْوِيْجاً فَإِنِّي مُعَوِّجٌ

وَمَا كُنْتُ أَرْضِي الْجَهْلَ خَدَانًا وَصَاحِبًا ... وَلَكِنِّي أَرْضِي بِهِ حِينَ أُحْرَجُ (١٦)
وله من قصيده أخرى يقول فيها:

إِذَا كُنْتُ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْجَهْلِ مَائِلاً ... وَخَيْرْتُ أَنَا شِئْتُ فَالْحِلْمُ أَفْضَلُ

ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً ... ولم ير فضلاً منك فالجهل أفضل (٢٦)

أما الفرزدق فهو يقول:

أَحْلَامُنَا تَزِنُ الْجِبَالَ رِزَانَةً ... وَتَخَالُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجَهْلُ (٣٦)

ويقول ابن مجير الأندلسي:

لَيْتَ الشَّبَابَ الَّذِي وَلَّتْ نَضَارَتُهُ ... أَعْطَانِي الْحِلْمَ فِيمَا كَانَ أَعْطَانِي

فَلَمْ تَكُنْ مِثْلَ اللَّشِيبِ أَحْمَلُهَا ... وَلَمْ يَكُنْ مِنْ سُرُورِي بَعْضُ أَحْزَانِي

قال أبو عبيد: من أمثالهم في الحلم: "إذا نزا بك الشر فابعد - أي فاحلم ولا تسارع إليه"، ومنه قول الآخر: "الحليم مطية الجهول - أي

يحتمل جهله ولا يؤاخذ به، يضرب في وجوب الإغضاء عن الجاهل-، وقولهم: "لا ينتصف حلیم من جاهل"، وقولهم أيضاً: "أخّر الشر فإن شئت تعجلته"، وقولهم في الحلیم: إنه لواقع الطير ولساكن الريح"، وقولهم في الحلماء: "كأنما على رؤسهم الطير"، ومنه قولهم: "إنما أسمع فأذّر"، وقولهم: "حلمي أصم وأذني غير صماء- يضرب به الحلیم للجهول أي أعرض عن الخلق بلحبي وإن سمعته بأذني-". (٤٦) قصة للرشيد

اختار الرشيد رجلاً صالحاً يوليه القضاء. فجاء إليه الرجل وقال: يا أمير المؤمنين، إني لا أحسن القضاء ولست بفقير. قال له الرشيد: إنما فيك ثلاث خلال: لك الشرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة، وفيك الحلم والحلم يمنع صاحبه من العجلة، ومن لم يجعل قل خطأه، وانت تشاور في امرك ومن شاور أكثر صوابه. وأما الفقه فنحضر لك من تفقه على يديه، وولاه الرشيد القضاء فما وجد فيه مطعنة (٥٦). والله در أبي العتاهية حيث يقول:

فَيَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ حِلْمًا فَإِنِّي ... أَرَى الْحِلْمَ لَمْ يَنْدَمْ عَلَيْهِ حَلِيمٌ
وَيَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ عَزَمًا عَلَى التَّقَى ... أَقِيمُ بِهِ مَا عَشْتُ حَيْثُ أُقِيمُ
أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَكْرَمُ نِسْبَةً ... نَسَامِي بِهَا عِنْدَ الْفَخَارِ كَرِيمٌ
إِذَا مَا اجْتَنَبْتَ النَّاسَ إِلَّا عَلَى التَّقَى ... نَخَرَجْتَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ سَلِيمٌ

الحلیم اسم من أسماء الله تعالى

الحلیم اسم من أسماء الله الحسنی فقد ورد في الحديث النبوي: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَسَعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) (٦٦)، وقد عد منها

(١٦) - ونسبت هذه الأبيات أيضا لمحمد بن حازم الباهلي، ومحمد بن وهيب الحميري، والله أعلم.

(٢٦) - الموسوعة الشعرية (٩٢).

(٣٦) - سمط اللألي لأبي عبيد البكري ج (١) ص (٢١٨)، تحقيق عبد العزيز الميني ١٣٥٤هـ، الموسوعة الشعرية ص (١٩٢).

(٤٦) - العقد الفريد ج ٣ ص ٥٠.

(٥٦) - دليل السائلين ص ٢١٦.

(٦٦) - صحيح البخاري باب ان لله مائة اسم إلا واحداً حديث (٦٩٥٧).

(الحلیم) في رواية الترمذي، ونقل أبو حاتم عن ضمرة قال: الحلم ارفع من العقل لان الله تبارك وتعالى تسمى به (١٦).

وقال الاقليشي أن اتصاف الله سبحانه بمعنى الحلم يعني البراءة عن الطيش، فعلوم بالبرهان المودي إلى معرفة كمال الله تعالى، أما اتصافه بالحلم بمعنى تأخير العقوبة أو رفعها، فاحدهما: معلوم بالمشاهدة والثاني بالموارد الثقيلة وإجماع أهل الملة الخفيفة. وقال أبو سليمان الخطابي: الحلیم هو ذو الصفح والأناة الذي لا يستغزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص، ولا يستحق الصالح مع العجز اسم الحلیم، إنما الحلیم هو الصفوح مع القدرة المتأني الذي لا يجعل بالعقوبة.

وقيل في معنى الحلیم: أنه الذي يدر على خلقه النعم الظاهرة والباطنة مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم. ويستعذبهم كي يتوبوا ويمهلهم كي يتوبوا. (٢٦)

قال الحلیمي: في معنى الحلیم: انه الذي لا يجبس إنعامه وإفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكن يرزق العاصي كما يرزق المطيع، ويبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البر التقي، وقد يقية الآفات والبلايا، وهو غافل لا يذكر فضلا عن أن يدعوه كما يقية الناسك الذي يسأله (٣٦)، وفي الذكر

(١٦) - روضة العقلاء ص (١٧٠).

(٢٦) - شرح أسماء الله الحسنی في ضوء الكتاب والسنة للعلامة سعيد بن وهاف القحطاني ص (١٠٥) الطبعة (١٠) ١٤٢٥هـ.

(٣٦) - البيهقي في الأسماء والصفات ص (٧٢) ، والجامع لأسماء الله الحسنى دراسة وتحقيق حامد احمد الطاهر الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ دار الفجر للتراث القاهرة.

٢٢٠٨ ثمرة معرفة اسم الله الحليم

الحكيم {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} (١٦) ، وفي سورة الحج يقول الحق: {لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَانِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ} (٢٦) .

ثمرة معرفة اسم الله الحليم

من عرف أن ربه حليم على من عصاه وجب عليه هو أن يحلم على من خالف أمره فذاك به أولى حتى يكون حليماً فينال من هذا الوصف قدراً يكسر سورة غضبه ويرفع الانتقام عن أساء إليه، بل يتعود الصفح حتى يعود الحلم له سجيّة، وكما تحب أن يحلم عنك مالكك، فاحلم أنت عن تملك الإساءة إليه، لأنك متعبد بالحلم، والصبر قد يكون داخلاً تحت الحلم، إذ كل حليم صابر وقد وصف الله عز وجل بالصبر كما في حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لَيْسَ أَحَدٌ أَوْ لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أذى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلِذَا وَانَّهُ لِيَعْفِيَهُمْ وَيَرْزُقُهُمْ) (٣٦) ، وبناءً على هذا فوصف الله تعالى بالصبر يأتي بمعنى الحلم، ومعنى وصفه بالحلم هو تأخير العقوبة عن المستحقين لها فن عرف هذا الاسم حفظ الود، وأحسن العهد، وأنجز الوعد وستر العيوب التي راءها، ولم يستفزّه الخلق بطغيانهم وعصيانهم (٤٦) ، قال الشاعر:

وَفِي الْحِلْمِ وَالْإِسْلَامِ لِلْهَرِّ وَازْعٌ ... وَفِي تَرْكِ طَاعَاتِ الْفُؤَادِ الْمَتَمِّمِ

(١٦) - سورة البقرة (٢٣٥) .

(٢٦) - سورة الحج (٥٩) .

(٣٦) - صحيح البخاري باب الصبر على الأذى حديث (٥٧٤٨) ، وصحيح مسلم باب صفة القيامة حديث (٢٨٠٤) .

(٤٦) - الجامع للأسماء الحسنى ص (٩٨) .

٢٢٠٩ دعاء الله باسمه الحليم

بَصَائِرُ رُشْدٍ لِلْفَتَى مُسْتَبِينَةٌ... وَأَخْلَاقُ صِدْقٍ عَلَيْهَا بِالتَّعَلُّمِ (١٦)

وقال زهير بن أبي سلمى:

وَفِي الْحِلْمِ إِدْهَانٌ وَفِي الْعَفْوِ دُرْبَةٌ ... وَفِي الصِّدْقِ مَنَاجَاةٌ مِنَ الشَّرِّ فَاصْذُقِ (٢٦)

وفي محكم التنزيل: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (٣٦) .

دعاء الله باسمه الحليم

نسألك اللهم يا حليم يا عظيم يا من تعاليت عن الشبه والنظير، أن ترزقنا من الحلم ما تزين به أخلاقنا وترضى به عنا في أقوالنا وأفعالنا وأعمالنا، إنك حليم رحيم كريم وصلى الله على محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. ويرحم الله أبا مسلم العماني حيث يقول:

أتيت ذنوباً يا غفور فكن لها ... وقد تبت منها يا حليم مبدلاً

وله أيضاً:

الله بسم الله عبدك مسرف ... وعظيم حلمك يا حليم هو الأمل

ومن قصيدة أخرى له:
سيدي يا غفور قد تبت فاغفر ... وتجاوز عن قبح سوءة فعلي
سيدي يا حلیم عادتك الحد ... م ومن عادتي اقترافي وبطلي
أما عبد الرحيم البرعي فهو يقول:

- (١٦) - البيان والتبيين للجاحظ جزء (١) ص (١٩٧) ، والموسوعة الشعرية ص (١٩٤) . وينسب البيتان لكثير عزة .
(٢٦) - فصل المقال لأبي بكر البكري ص (٣٢٨) ، والموسوعة الشعرية ص (١٩٠) .
(٣٦) - سورة آل عمران (١٣٤) .
كريم منعم بر لطيف ... جميل الستر للداعي مجيب
حلیم لا يعاجل بالخطايا ... رحيم غيم رحمته يصوب

٢٣ الفصل الثاني والعشرون الرفق

الفصل الثاني والعشرون
الرفق

٢٣.١ الرفق

الرفق: لين الجانب بالقول والفعل والاختصاص بالأسهل ما لم يكن مكروها او حراما، وهو خلاف العنف وسبب كل خير، والرفق من سمات المؤمن التي زين الإسلام بها حياته. والرفق من الخلال الجميلة، والصفات الحميدة، والفضائل الجليلة، فمن استعمل الرفق في أموره غنم، ومن ركب العنف ندم، ومن اقتحم اللجة اتلف المهجة، ومن أعجبه آراؤه غلبته أعداءه، ومن اقتحم الأمور لقي المحذور، ومن جعل الرفق دليله كان الإحسان رفيقه، والأناة نصيبه، وتجنب في أموره العجل، ولم يقع في مستنقع الزلل، والرفق مفتاح الرزق، صنيعه يصل إلى القلوب، ويرضى عن صاحبه علام الغيوب، وصاحب الرفق أليف محبوب، فمن جعل الرفق حليته حسنت سيرته، وتآلف الأضداد، ووصل إلى المراد، ومن جانب الرفق جانب السلامة، ووقع فيما يوجب الندامة والملامة، وعجل في أموره، وزال سروره، فالعجول مخطئ وإن ملك، والمتأني مصيب وإن هلك، فمن أعطي الرفق فقد أعطي حظه من الخير، وأحبه الله والناس، وفي الحديث النبوي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ) (١٦) ، قال الذهبي رحمه الله: وعن نصر بن علي قال دخلت على المتوكل، فإذا هو يمدح الرفق فأكثر، فقلت يا أمير المؤمنين أنشدني الأصمعي:

- (١٦) - سنن الترمذي باب ما جاء في الرفق حديث (٢٠١٣) .

٢٣.٢ الرفق يحبه الله

لم أر مثل الرفق في لينه ... اخرج للعدراء من خدرها
من يستعن بالرفق في أمره ... يستخرج الحية من جحرها (١٦)
وفي الأمثال السائرة: من لانت كلمته وجبت محبته وقيل: الكلمة الينة تخرج الحية من جحرها، والأناة نجاة قال الشاعر:
والرفقُ يمينُ والأناةُ سعادةٌ ... فتأَنَّ في أمرٍ تلاقٍ نَجَاحا (٢٦)
أما سابق البربري فهو يقول:

إِذَا زَجَرْتَ لَجُوجًا زِدْتَهُ عُلُقًا ... وَلَجَّتِ النَّفْسُ مِنْهُ فِي تَمَادِيهَا
فَعُدُّ عَلَيْهِ إِذَا مَا نَفْسُهُ جَمَحَتْ ... بِاللِّينِ مِنْكَ فَإِنَّ اللَّيْنَ يَثْنِيهَا
الرفق يحبه الله

الرفق يحبه الله فكن رفيقاً بالناس تغم وتسلم، وتظفر بما تحلم، وتبتعد عن الذم، وتألف القلوب، وتكون عند الله وعند الناس محبوباً. قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها، وترك العجلة والخفة فيها، إذ الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها، ومن منع الرفق منع الخير، كما أن من أعطي الرفق أعطي الخير، ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحب إلا بمقارفة الرفق ومفارقة العجلة (٣٦) .

(١٦) - سير أعلام النبلاء ج (١٢) ص (١٣٤) والموسوعة الشرعية ص (٢٠٥) .

(٢٦) - هذا البيت ينسب إلى النابغة الذبياني وينسب أيضاً إلى الإمام علي رضي الله عنه.

(٣٦) - روضه العقلاء ص (١٧٦) .

وما ذكره أبو حاتم صحيح خليف الأخذ به، ففي الحديث النبوي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ) (١٦) .

فن تحلى بالرفق أقال العثرات، وأغضى عن المفوات وفي الهدي النبوي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثْرَاتِهِمْ) (٢٦) أي أهل المروءة والصلاح، والعثرات هي الزلات.

فالمحظوظ من أخذ بالمنهاج السوي وتبع الهدي النبوي، واجتنب التعالي والخرق، ولم يظلم من الناس احداً، وابتعد عن التعالي والخرق، ففي الحديث النبوي الشريف: (لا يكون الخرق في شيء إلا شانه، وإن الله رفيق يحب الرفق) (٣٦) ، وفي صحيح مسلم: (إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ) (٤٦) ، والعاقل يحب ما يحبه الله، ولا يرضى لنفسه إلا بما يرضى به الله، والرفق يمن، والعنف زلل وفشل.
قال الشاعر:

الرفق يمن سيلقى اليمن صاحبه ... والخرق منه يكون العنف والزلل
والحزم أن يتأني المرء فرصته ... والكف عنها إذا ما أمكنت فشل
والبر لله خير الأمر عاقبة ... والله للبر عون ماله مثل

(١٦) - صحيح البخاري باب الرفق في الأمر كله حديث (٥٦٧٨) .

(٢٦) - الأدب المفرد الجامع للأدب النبوية للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ص (١٣٥) طبعة دار المعرفة بيروت

١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، وسنن أبي داود باب في الحدود حديث (٤٣٧٥) .

(٣٦) - الأدب المفرد ص (١٣٥) .

(٤٦) - صحيح مسلم باب فضل الرفق حديث (٢٥٩٤) .

٢٣.٣ التزام الرفق ومباينة العنف

خير البرية قول خيرهم عملاً... لا يصلح القول حتى يصلح العمل (١٦)

وروي انه كتب عمر رضي الله عنه إلى معاوية يعاتبه في التأني: أما بعد فإن التفهم في الخير زيادة ورشد، وانه من لا ينفعه الرفق يضره الخرق، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعاني- أو قال: المعالي- ولا يبلغ الرجل مبلغ الري حتى يغلب حلمه جهله وتصبره شهوته، ولا يدرك ذلك إلا بالقوة والحلم (٢٦) ، وفي الحديث: (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ) (٣٦) ، قال الشاعر:

بني إذا مسك الضر فامد ... فالرفق أولى بالأريب وأحرز
فلا تمجن عند الأمور تعزراً ... فقد يورث الذل الطويل التعزراً (٤٦)
التزام الرفق ومباينة العنف

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقل يلزم الرفق في الأوقات، والاعتدال في الحالات، لان الزيادة على المقدار في المبتغى عيب، كما أن النقصان في ما يجب من المطلب عجز، وما لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف، ولا دليل امهر من رفق، كما لا يظهر أوثق من العقل، والرفق أوثق من العقل، ومن الرفق يكون الاحتراز، وفي الاحتراز ترجى السلامة، وفي ترك الرفق يكون الخرق، وفي لزوم الخرق تخاف الهلكة (٥٦) .

- (١٦) - أورد هذه الآيات بن حبان في روضة العقلاء ص (١٧٦) وقال وأشدني المنتصر بن بلال الأنصاري وذكر الآيات.
(٢٦) - روضه العقلاء ص (١٧٨) .
(٣٦) - سنن أبي داود باب في الرفق حديث (٤٨٠٧) , وجاء أيضاً في سنن ابن ماجه باب الرفق حديث (٣٦٨٨) .
(٤٦) - الأدب المفرد ص (١٣٧) .
(٥٦) - روضه العقلاء ص (١٧٧) .

٢٣٠٤ الرفيق من الأسماء الحسنى

ومن صحب العنف في أعماله تضعضعت أحواله، وانتقضت عليه رجاله، وأدبر بعد الإقبال، ووقع في البوار والوبال، قال الشاعر:
إذا ما أتيت الأمر من غير بابه ... تصعب حتى لا ترى فيه مرتقى
وان الذي يصطاده الفخ أن أتى ... على الفخ كان الفخ اعنى واضيقا
وفي الذكر الحكيم: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } (١٦) .
قصة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:

خرج عمر بن الخطاب من المدينة قاصدا بيت المقدس ومعه راحلة وغلالم، فلها صار في ظاهر المدينة قال لغلالمه: نحن اثنان والراحلة واحدة، فإن ركبت انا ومشيت انت ظلمتكم، وان ركبت انت ومشيت انا ظلمتني، وإن ركبنا الاثنان، قصبنا ظهرها فالنقسم الطريق مثالثة، واخذ عمر رضي الله عنه يركب مرحلة، ويقود مرحلة، وتمشي الراحلة امامهما.

الرفيق من الأسماء الحسنى

عد بعض العلماء الرفيق في أسماء الله الحسنى، ولم يرد في القرآن اسماً ولا فعلاً، ولكن ورد في صحيح مسلم: (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ) ، أي متصف بصفة الرفق.

- (١٦) - سورة آل عمران (١٥٩) .

رفيق فعيل بمعنى فاعل. وقال المازري: رفيق: صفة فعل، وهي ما يخلقه الله من الرفق بعباده، وقال النووي: فيه تصريح بتسميته سبحانه وتعالى ووصفه برفيق، وفيه فضل الرفق، والحث على التخلق به، وذم العنف (١٦) .

وفي النهاية: الرفق لين الجانب وهو خلاف العنف (٢٦) ، وهو سبب كل خير، والرفيق أيضا ضد الأخرق وهو مشترك، وقيل أصل الرفق الاحتياال لإصلاح الأمور وإتمامها، والله تعالى عن ذلك ما يليق بجلاله سبحانه فهو الرفيق أي: الكثير الرفق، وقد يجيء الرفق بمعنى الإرفاق وهو الإعطاء إذ هو اليسر والمسهل لأسباب الخير مُجْلِها والمعطي لها، وقد يجيء الرفق بمعنى التمهّل في الأمور والتأني فيها (٣٦) .

فإنه تعالى رفيق في أفعاله، خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئاً فشيئاً بحسب حكمته ورفقه، مع انه قادر على خلقها دفعة واحدة (٤٦)

، وقال الخطابي قوله: إن لله رفيق معناه ليس بعجول، وإنما يجعل من يخاف الفوت، فأما من كانت الأشياء في قبضته ومملكه فليس يعجل فيها (٥٦) .

- (١٦) - شرح النووي على صحيح مسلم ج ٨ ص ٤٠٧ .
- (٢٦) - النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ ص ٦٠٢ .
- (٣٦) - الجامع لأسماء الله الحسنى ص (١٤٧) .
- (٤٦) - شرح أسماء الله الحسنى للقحطاني ص (١٨٣) .
- (٥٦) - الجامع لأسماء الله الحسنى ص (١٤٨) .

٢٣.٥ ثمرة معرفة اسمه تعالى الرفيق

ثمرة معرفة اسمه تعالى الرفيق إذا عرف الإنسان أن الله جل وعلى رفيق يحب الرفق ويثيب عليه ما لا يثيب على غيره، ويسهل من المطالب ما لا يتأتى لغيره تحلى بالرفق في أقواله

وأفعاله، فكان لين الجنب بالقول والفعل واخذ بالأسهل والأيسر من الأمور، فمن تدبر المخلوقات كلها وعرف أن الله خلقها شيئاً فشيئاً بحسب حكيمته ورفقه مع قدرته على خلقها دفعة واحدة، وجب عليه أن يكون رفيقاً في أقواله وأفعاله وترك العجلة في أموره وجميع أحواله لأن العجلة من الشيطان، فمن تعجل في أموره وأحواله قل ما تفارقه الخيبة والخسران، ومن تدبر الشرائع كيف أتى بها الله شيئاً بعد شيء شهد من ذلك العجب العجيب.

فالتأني الذي يأتي الأمور بسكينه ووقار إتباعاً لسنن الله في الكون وإتباعاً لهدي نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيجد أن بهديه وطريقه تيسر له الأمور، وبالأخص الذي يحتاج إلى أمر الناس ونهيمهم وإرشادهم فإنه مضطر إلى الرفق واللين (١٦) ، وفي الذكر الحكيم { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (٢٦) .

ومن أذاه الخلق بالأقوال البشعة وصان لسانه عن مشامتهم، ودافع عن نفسه برفق ولين، اندفع عنه من أذاهم ما لا يندفع بمثل مقالهم وفعالهم، ومع ذلك فقد كسب الرحمة والطمأنينة والرزانة والحلم (٣٦) ، وفي الذكر الحكيم: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

- (١٦) - شرح أسماء الله الحسنى للقحطاني ص (١٨٤) .
- (٢٦) - سورة النحل (١٢٥) .
- (٣٦) - الحق الواضح المبين ص (٦٣) .

حَمِيمٌ } (١٦) ، فالؤمن رفيق في أخلاقه، رفيق في أعماله وتعامله، رفيق مع أهله وإخوانه، رفيق في رعيته، رفيق في شجاعته وسياسته، رفيق في وصيته وجميع أحواله، ويرحم الله أبا العتاهية حيث يقول:

الرَّفْقُ يَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ الْخُرْقُ ... وَقَلَّ فِي النَّاسِ مَنْ يَصْفُو لَهُ خَلْقُ

وفي الأمثال السائرة: "الرفق يمن والخرق شؤم"، قال الميداني: اليمن: البركة، والرفق الاسم من رفق به يرفق، وهو ضد العنف، والذي في المثل من قولهم (رفق الرجل فهو رفيق) وهو ضد الخرق من الأخرق، والمثل يضرب في الأمر بالرفق والنهي عن سوء التدبير (٢٦) ، لان الرفق مطلوب في كل الأحوال حتى عند النصر والظفر. قال شوقي:

إن تكن ظافراً فكُنْه برفقٍ ... فشجاعٌ بغيرِ رفقٍ جبانٌ

إن عندي لكل شيءٍ تماماً ... وتمامُ الشجاعةِ الإحسانُ
ويرى المتنبي أن الرفق بالجاني عتاب فيقول:
تَرَفَّقَ أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيْهِمْ ... فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابُ
أما ابن زريق البغدادي (٣٦) فهو يرى أن الرفق خير من التأنيب والعدل فيقول:
لَا تَعْدِلِيهِ فَإِنَّ الْعَدْلَ يُؤْلَعُهُ ... قَدْ قَلَّتْ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
جَاوَزَتْ فِي لَوْمِهِ حَدًّا أَضْرَبَهُ ... مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتَ أَنَّ اللَّوْمَ يَنْفَعُهُ
فَاسْتَعْمِلِي الرَّفْقَ فِي تَأْنِيهِ بَدَلًا ... مِنْ عَدْلِهِ فَهُوَ مُضْنِي الْقَلْبِ مُوجَعُهُ
ويرى ابن الهباريه (٤٦) لزوم الرفق بالرعية وذلك في أرجوزته التي يقول فيها:
حَفِظَ الْحُقُوقَ الضَّائِعَةَ ... وَضَعَ النَّدَى مَوَاضِعَهُ
إِزَالَةَ الْمُنَاكِرِ ... خُطَابَةَ الْمُنَابِرِ
الرَّفْقَ بِالرَّعَايَا ... إِزَالَةَ الشُّكَايَا
ويقول أيضا:
الرَّفْقَ بِالرَّعِيَةِ ... مِنْ كَرَمِ السَّجِيهِ
ويرشد ابن الهباريه إلى سلوك سبيل الرفق والثاني فيقول:
فَكُنْ كَثِيرَ الْحَفِظِ وَالتَّوْقِي ... وَسَالِكًا فِيهِ سَبِيلَ الرَّفْقِ
ويقول:

نعم الرفيق الرفق ... بنس القرنين الخرق
أما بن معصوم فهو يرى أن من لوازم وشروط الصداقة والصحبة الرفق والمحبة فيقول:

(١٦) - سورة فصلت (٣٤) .

(٢٦) - الميداني في مجمع الأمثال ص (٣٠٥) .

(٣٦) - ابن زريق البغدادي (المتوفى ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م) أبو الحسن علي (أبو عبد الله) بن زريق الكاتب البغدادي، انتقل إلى الأندلس وقيل إنه توفي فيها، وله هذه القصيدة العينية اوردنا منها الثلاثة الايات وقد اسمى هذه القصيده قر في بغداد ومطلعها: ...
لَا تَعْدِلِيهِ فَإِنَّ الْعَدْلَ يُؤْلَعُهُ ... قَدْ قَلَّتْ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ

(٤٦) - ابن الهباريه (٤١٤ - ٥٠٩هـ / ١٠٢٣ - ١١١٥م) محمد بن محمد بن صالح العباسي الهاشمي نظام الدين أبو يعلى، ابن الهباريه: سمي بذلك نسبة إلى هبار جده لأنه شاعر هجاء ولد في بغداد، وأقام مدة في أصبهان، وفيها ملكشاه ووزيره نظام الملك. وله مع الوزير أخبار، فقد كان شاعراً خفيف الظل طيب النفس ظريفاً. قال ابن خلكان: كان شاعراً مجيداً حسن المقاصد، لكنه كان خبيث اللسان كثير الهجاء، والوقوع في الناس لا يكاد يسلم من لسانه أحد. وتوفي في كرمان، من كتبه (الصادح والباغم-ط) أراجيز في ألفي بيت على أسلوب كليله ودمنة، و (نتائج الفطنة في نظم كليله ودمنة - ط) ، و (فلك المعاني) ، و (ديوان شعر) أربعة أجزاء.

٢٣٠٦ دعاء الله باسمه الرفيق

صَدَاقَةُ الْإِخْوَانِ ... انْخَلَّصِ الْأَعْوَانَ

لَهَا شُرُوطٌ عَدَّةٌ ... عَلَى الرَّخَا وَالشَّدَّةِ

الرَّفْقُ وَالتَّلَطُّفُ ... وَالْوَدُّ وَالتَّعَطُّفُ

ويرحم الله أبا الفتح البستي حيث يقول:

ورافق الرفق في كل الأمور فلم ... يندم رفيق ولم يذمه إنسان
دعاء الله باسمه الرفيق

اللهم يا رفيق يا قدير يا علي يا كبير يا من هو على كل شيء قدير نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن ترزقنا والمؤمنين الرفق وحسن التدبير في كل قول وعمل انك على كل شيء قدير، وان تجنبنا الخرق والحق وسوء الأخلاق، وان تحبب إلينا الإيمان، وترزقنا التسامح والتعاون مع جميع المؤمنين، والرفق بالآباء والاخوان والخلق أجمعين، وان تجعل ذلك كله محل رضوانك يا رفيقاً بالخلق أجمعين وصلى الله على محمد النبي الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.

٢٤ الفصل الثالث والعشرون الصبر

الفصل الثالث والعشرون
الصبر

٢٤٠١ الصبر

الصبر

الصبر: مشتق من صبر اذا حبس ومنع، وهو حبس النفس عن الجزع وحملها على ما يقتضيه الشرع والعقل، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوها. وانواع الصبر ثلاثة: صبر على ما امر الله به، وصبر عما نها الله عنه، وصبر على ما قدره الله من المصائب، وفي الذكر الحكيم {وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} (١٦) ، وفي سورة الزمر يقول الحق جل وعلى {قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (٢٦) والصبر من الفضائل الخلقية الذي تعود الإنسان السكينة والاطمئنان، وتكون بلسماً لجراحه، ودواءً لمرضه وبلائه، فالصبر يتلقى المكاره بالقبول فيحبس نفسه عن السخط فيتعلى بالسكينة والوقار، والصبر سبب لحصول الضياء في القلب، والهدوء في الطبع، لأن الصابر يعلم أن حبس النفس في الطاعة، وحبسها عن المعصية شجاعة، فالصابر يرى في الشدة حكمه فعليه أن يتلقاها بالرضا ليظفر بالثواب والأجر، والجاهل يضجر ويحزن ويكتئب، ولولا الصبر لانهار الإنسان من البلاء الذي ينزل عليه، ولأصبح عاجزاً عن السير في ركب الحياة على النحو الذي يحبه الله، وقد عني القرآن بالصبر ومدحه، ورفع قدره وأعلى منزلته، وأثنى على المتحلين به ثناء لا مزيد عليه، وذكره في القرآن نحو سبعين مرة مما يدل على عظم أمره وعلو شأنه، فهو أساس لكثير من الفضائل بل هو أمها، لأنه يربي ملكات الخير في النفس.

وقد قال بعض العلماء: "الشجاعة هي الصبر على مكاره الجهاد، والعفاف هو الصبر على الشهوات، والحلم هو الصبر على المثبرات، والكتمان هو الصبر على إذاعة الأسرار". (٣٦)

والصابرون مؤيدون بمعونة الله، وصاحب الصبر مهتد مستضيء بنور الله، وفي الحديث النبوي الشريف: (وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ) (٤٦) ، والصبر خير كله، ومن يتصبر يصبره الله، ومن يتحمل المكاره والمصائب يعنه الله ويساعده، وفي الحديث النبوي أن رسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: (وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يَصْبِرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ) (٥٦) ، وما رزق الله أحداً خيراً من الصبر، والصابر يحبه الله ويكرمه ويثيبه ويقدمه، كما قال جل شأنه {وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} (٦٦) ، والصبر عزيمة ورشد، وثبات ونجاح، وفي الذكر الحكيم {قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (٧٦) ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (عليكم بالصبر، فانه

(١٦) - سورة البقرة آية (٤٥) .

- (٢٦) - سورة الزمر آية (١٠) .
 (٣٦) - روح الدين الإسلامي تأليف العلامة عفيف عبد الفتاح طباره، ص (٢١٤) ، الطبعة (٢٧) ١٩٨٨م، دار العلم للملايين بيروت لبنان.
 (٤٦) - رواه مسلم في صحيحه باب فضل الوضوء حديث (٢٢٣) .
 (٥٦) - رواه البخاري في صحيحه باب الاستغفار عن مسألة حديث (١٤٠٠) .
 (٦٦) - سورة آل عمران (١٤٦) .
 (٧٦) - سورة الزمر (١٠) .

٢٤٠٢ الصبر مفتاح النجاح

لا إيمان لمن لا صبر له) ، وقد قيل الكمال في ثلاث الثبات في الدين، وإصلاح المال، والصبر على النوائب. الصبر مفتاح النجاح

الصبر مفتاح النجاح، وسبب الفلاح، وقديماً قيل: من علامة حسن النية الصبر على الرزية، ويرحم الله علي بن الجهم حيث يقول:

سَهَّلَ عَلَى نَفْسِكَ الْأُمُورَا ... وَكُنْ عَلَى مَرَّهَا صَبُورَا

وَأَنْ أَلَمْتَ صُرُوفَ دَهْرٍ ... فَاسْتَعْنِ الْوَاحِدَ الْقَدِيرَا

فَكَمْ رَأَيْنَا أَخَا هُمُومٍ ... أَعْقَبَ مِنْ بَعْدِهَا سُرُورَا

وَرَبَّ عَسْرَاتِي يَبْسُرُ ... فَصَارَ مَعْسُورَهُ يَسِيرَا

ويقول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إِصْبِرْ قَلِيلًا فَبَعْدَ الْعُسْرِ تَيْسِيرٌ ... وَكُلُّ أَمْرٍ لَهُ وَقْتُ وَتَدْبِيرٌ

وَلِلْمُهَيِّمِينَ فِي حَالَاتِنَا نَظْرٌ ... وَفَوْقَ تَقْدِيرِنَا لِلَّهِ تَقْدِيرٌ

وإذا كان المؤمن يعلم أن الله مصدر كل خير، وهو أولى بعرفان الجميل، وهو الذي يعين على الصبر، ويثيب عليه صبراً جميلاً،

وليعقوب عليه السلام في الصبر الجميل مخاطباً أولاده الذي سولت لهم أنفسهم إلقاء يوسف عليه السلام في غيابة الجب ما حكاه الله

في التنزيل {وَجَاؤُوا عَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبِرْ جَمِيلاً وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} (١٦) .

(١٦) - سورة يوسف (١٨) .

وقد أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصبر، وان يهجر أهل الأذى هجراً جميلاً أولئك الذين كانوا يقلون الرسول صلى

الله عليه وآله وسلم، ولا يقابل إساءتهم بمثلها بل يعفو عنهم فقال جل شأنه: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً} (١٦) . قال

الشاعر:

صَبِراً جَمِيلاً عَلَى مَا نَابَ مِنْ حَدَثٍ ... وَالصَّبْرُ يَنْفَعُ أَحْيَاناً إِذَا صَبِرُوا

الصبر أفضل شيء تستعين به ... على الزمان إذا ما مسك الضرر

وقد قال الإمام علي رضي الله عنه:

أَلَا فَاصْبِرْ عَلَى الْحَدَثِ الْجَلِيلِ ... وَدَاوِ جَوَاكَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ

وَلَا تَجْزَعْ وَإِنْ أَعْسَرَتْ يَوْماً ... فَقَدْ أَيْسَرَتْ فِي الزَّمَنِ الطَّوِيلِ

وَلَا تَيَأَسْ فَإِنَّ الْيَأْسَ كُفْرٌ ... لَعَلَّ اللَّهَ يَغْنِي مِنْ قَلِيلِ

وَلَا تَظُنَّنْ بَرِّكَ غَيْرَ خَيْرٍ ... فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ

وَأَنَّ الْعُسْرَ يَتَّبِعُهُ يَسَارٌ ... وَقَوْلُ اللَّهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلٍ
فَلَوْ أَنَّ الْعُقُولَ تَجَرَّرُ رِزْقًا ... لَكَانَ الرِّزْقُ عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ
وَكَمْ مِنْ مُؤْمِنٍ قَدْ جَاعَ يَوْمًا ... سَيُرَوَى مِنْ رَحِيقِ سَلْسَبِيلٍ

وفي الأمثال السائرة: "الصبر مفتاح الفرج" (٢٦) ، وقيل: إن العاقل يتعزى فيما ينزل به من مكروه بأمرين: الأول: بما يبقى له من الأجر، والأخر: رجاء الفرج، والجاهل يجزع فيما ينزل به لأمرين: خوف الشماتة، وضيق الحال، ويخاف التقي لما ينزل به بأمرين: الأول منهما: في مصيبتة استجباره ما أتى به، والأخر: خوف ما هو أشد منه (٣٦) ، ولهذا فإن التقي لا يكون إلا صابرا، وقديم قيل: صبرك عن محام الله أيسر من صبرك على عذاب الله، وفي الأمثال السائرة: صبر ساعة أطول للراحة (٤٦) ، ويقال لا تلقى العاقل إلا نائفاً لهم عن قلبه بأحد أمرين منها: إن كان لما أتى من مكروه مدفعا فاحتال له بعقل، وإن لم يكن لما أتاه مدفع كان الحيلة فيه الصبر، وقد نسب إلى بعض الرهبان انه قال: من احتمل المحنة وصبر رضي بتدبير الله وشكره، كشف الله له عن منفعتها حتى يقف على المستور عنه من مصلحتها (٥٦) ، وقيل للمحن أوقات ولأوقاتها غايات، قال علي بن الجهم:

هِيَ النَّفْسُ مَا حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ ... وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ
وَعَاقِبَةُ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ جَمِيلَةٌ ... وَأَفْضَلُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ التَّفَضُّلُ
وَلَا عَارَ أَنْ زَالَتْ عَنِ الْحُرِّ نِعْمَةٌ ... وَلَكِنَّ عَارًا أَنْ يَزُولَ التَّجَمُّلُ
ويرحم الله عبد الله بن ثابت حيث يقول:

الصبر من كرم الطبيعة ... والمن مفسدة الصنعة
والحر امنع جانبا ... من ذروة الجبل المنيعه (٦٦)
وللإمام علي رضي الله عنه:

- (١٦) - سورة المزمل (١٠) .
(٢٦) - مجمع الأمثال للميداني ص (٤١٨) .
(٣٦) - انس المسجون وراحة المحزون ص (٥٢) .
(٤٦) - مجمع الأمثال للميداني ص (٤١٨) .
(٥٦) - انس المسجون وراحة المحزون ص (٥١) .
(٦٦) - عبد الله بن ثابت المقرئ سكن ببغداد ومات بالرملة سنة ١٣٠٨ هـ ، وانظر تاريخ بغداد جز (٩) ص (٤٢٦) .

٢٤٠٣ الصبر يعقبه الفرج

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ مَا يُرْجَى ... وَكُلُّ خَيْرٍ بِهِ يَكُونُ
فَاصْبِرْ وَإِنْ طَالَتِ اللَّيَالِي ... فَرُبَّمَا طَاوَعَ الْحَزْنَ
وَرُبَّمَا نِيلَ بِاصْطِبَارٍ ... مَا قِيلَ هَيْهَاتَ مَا يَكُونُ
وله أيضا:

لَا تَكْرَهُ الْمَكْرُوهَ عِنْدَ نَزْوِلِهِ ... إِنَّ الْمَكَارِهِ لَمْ تَزَلْ مُتَبَايِنَةً
كَمْ نِعْمَةٍ لَمْ تَسْتَقِلْ بِشُكْرِهَا ... لِلَّهِ فِي طِيِّ الْمَكَارِهِ كَامِنَةٌ
أما الفرزدق فهو يقول:

الدَّهْرُ يَوْمَانِ ذَا ثَبْتٍ وَذَا زَلَلٍ ... وَالْعَيْشُ طَعْمَانِ ذَا صَابٍ وَذَا عَسَلٍ
 كَذَا الزَّمَانُ فَمَا فِي نِعْمَةٍ بَطْرٌ ... لِلْعَارِفِينَ وَلَا فِي نِقْمَةٍ فَشَلٌ
 سَعَادَةُ الْمَرْءِ فِي السَّرَّاءِ إِنْ رَجَحَتْ ... وَالْعَدْلُ أَنْ يَتَسَاوَى الْهَمُّ وَالْجَدَلُ
 وَمَا الْهَمُّومُ وَإِنْ حَاذَرْتَ ثَابِتَةً ... وَلَا السُّرُورُ وَإِنْ أَمَلْتَ يَتَّصِلُ
 فَمَا الْأَسَى لِهَمُّومٍ لَابِقَاءَ لَهَا ... وَمَا السُّرُورُ بِنُعْمَى سَوْفَ تَنْتَقِلُ
 لَكِنَّ فِي النَّاسِ مَغْرُورًا بِنِعْمَتِهِ ... مَا جَاءَهُ الْيَأْسُ حَتَّى جَاءَهُ الْأَجَلُ
 الصبر يعقبه الفرج

بالصبر يرتفع البلاء، وتحل السكينة، ويأتي الفرج، وقد قيل: إنكم لا تدركون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون، فلا يبلغ المرء ما يؤمل إلا بالصبر على ما يكره، وقد قيل: انتظر الفرج بالصبر عباده، وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إِنِّي أَقُولُ لِنَفْسِي وَهِيَ ضَيْقَةٌ ... وَقَدْ أَنَاخَ عَلَيْهَا الدَّهْرُ بِالْعَجَبِ
 صَبْرًا عَلَى شِدَّةِ الْأَيَّامِ إِنَّ لَهَا ... عُنْقِي وَمَا الصَّبْرُ إِلَّا عِنْدَ ذِي الْحَسَبِ
 سَيَفْتَحُ اللَّهُ عَن قُرْبٍ بِنَافِعَةٍ ... فِيهَا لِمِثْلِكَ رَاحَاتٌ مِنَ التَّعَبِ

٢٤٠٤ الصبر والرضا به

ويرحم الله إسماعيل بن صلاح الأمير حيث يقول:

لا تضق بالأمر صدرا ... واعتمد صبرا وشكرا
 إن في القرآن حرفا ... جاء للمكروه بشرا
 ان بعد العسر يسرا ... ان بعد العسر يسرا
 ان يسرا مع يسر ... يطردان العسر قسرا
 رب يسر كامن قد ... ظنه الإنسان ضرا
 ان في تدير أمر الع ... عالم الكلي سرا
 حكمة دقت وجلت ... عند رب العرش قدرا
 انه لا بد يحلو ... ما تجرعناه مرا
 وإذا الشدة زادت ... وتناهت فهي بشرا (١٧)

وقال آخر:

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فَالصَّبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَّأَ
 لَا تَيَأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبَةٌ ... إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجًا
 أَخْلَقَ بَذَى الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَأَ (٢٧)
 وجاء في شعر جميل صدقي الزهاوي:

تمسك بجبل الصبر في كل كربة ... فلا عسر إلا سوف يعقبه يسر
 أما الخنساء فهي ترى أن الصبر يعقبه السرور فهي تقول:
 فَإِنْ تَصَبَّرِ النَّفْسُ تَلَقَّ السُّرُورَ ... وَإِنْ تَجَزَّعَ النَّفْسُ أَشْقَى لَهَا

وفي الذكر الحكيم: {لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (٣٧) .

الصبر والرضا به

الصبر جماع الأمر، ونظام الحزم، ودعامة العقل، وبذر الخير، وحيلة من لا حيلة له.

قال أبو حاتم رضي الله عنه: يجب على العاقل إذا كان مبتدئاً أن يلزم عند ورود الشدة سلوك الصبر، فإذا تمكن حينئذ يرتقي من درجة الصبر إلى درجة الرضا، فليلزم التصبر لأنه أول مراتب الرضا ولو كان الصبر من الرجال لكان كريماً، إذ هو بذل الخير وأساس الطاعات، وقيل: أول درجة الاهتمام ثم التيقظ، ثم التثبت، ثم التصبر، ثم الرضا، وهو النهاية في الحالات، وقيل: ما نال عبد شيئاً من جسم الخير من نبي أو غيره إلا بالصبر (٤٦) ، ولهذا أمر الله عباده المؤمنين بالصبر ووعدهم بعظيم الأجر فقال جل شأنه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٥٦) ، وقال جل

(١٦) - هو العلامة أبو محمد إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسيني اليميني المعروف بالأخير، والد البدر المنير محمد بن إسماعيل صاحب التصانيف الفاتحة، وقد وردت هذه الأبيات في ترجمة إسماعيل الأمير في نشر العرف لنبلأء اليمن بعد الألف، للعلامة محمد بن محمد زباره، طبعة مركز الدراسات والبحوث ج (١) ص (٣٧٤) .

(٢٦) - هذه الأبيات نسبت لمحمد بن زنجي البغدادي، وانظر شرح الحماسة لأبي تمام ج (٢) ص (٦٤١) ، وفي البيان والتبيين للجاحظ، والشعر والشعراء لأبن قتيبة ورد ذكر البيتين الأولين لمحمد بن بشير ورويت لغيرهم. ونسبت أيضا لابن يسير الرياشي ، وأيضاً لمحمد بن حازم الباهلي، والله أعلم.

(٣٦) - سورة آل عمران (١٨٦) .

(٤٦) - روضة العقلاء ص (١٢٦) .

(٥٦) - سورة آل عمران (٢٠٠) .

شأنه: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (١٦) ، فن تآزر بالصبر ورضي بما قدره الله استحق الأجر، والمؤمن يعلم أن ما أصابه لم يكن يخطئه، وما أخطئه لم يكن ليصيبه.

كما ورد ذلك في حديث ابن عباس ووصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم له: (يَا غُلَامُ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدَهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفْ عَلَيَّ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخِطِّبِكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْخَلَائِقَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ أَنْ يُعْطَوْكَ شَيْئًا لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُعْطِيكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، أَوْ يَصْرِفُوا عَنْكَ شَيْئًا أَرَادَ أَنْ يُصِيبَكَ بِهِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيَّ ذَلِكَ، فَإِذَا سَأَلْتَ فَسَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَلَمَ قَدْ جَرَىٰ بِمَا هُوَ كَاتِبٌ) (٢٦) .

الصبر عواقبه محمودة، وما قدره الله كائن، فالعاقل يقابل الشدائد والمحن بالرضا والتسليم لينال ثواب الصبر، ويظفر بتدبير الأمر، قال الشاعر:

إِذَا عَقَدَ الْقَضَاءُ عَلَيْكَ أَمْرًا ... فَلَيْسَ يَحِلُّهُ إِلَّا الْقَضَاءُ (٣٦)

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ ... وَطَبِ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ

وَلَا تَجْزِعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي ... فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ

وَكُنْ رَجُلًا عَلَى الْأَهْوَالِ جَلَدًا ... وَشِمَّتِكَ السَّمَاحَةَ وَالْوَفَاءُ

وَإِنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي الْبَرَايَا ... وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءُ

تَسْتَرِّ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ ... يُغْطِيهِ كَمَا قِيلَ السَّخَاءُ

وَلَا تَرِ لِلْأَعَادِي قَطُّ ذُلًّا ... فَإِنَّ شِمَاتَةَ الْأَعْدَا بَلَاءُ

وَلَا تَرَجُ السَّمَاحَةَ مِنْ بَخِيلٍ ... فَمَا فِي النَّارِ لِلظَّمَانِ مَاءٌ
وَرِزْقُكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَّائِي ... وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ الْعَنَاءُ
وَلَا حُزْنٌ يَدُومُ وَلَا سُرُورٌ ... وَلَا بؤْسٌ عَلَيْكَ وَلَا رَخَاءٌ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ ... فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءٌ

والصبر من التقوى قال جل شأنه {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ
وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (٤٦) ، فبالصبر
على ما تكره تنال ما تحب، وبالصبر عن ما تحب تنجو مما تكره، وقيل: ثمرة القناعة الراحة، وثمرتها التواضع المحبة، وثمرتها الصبر الظفر، وقد
حكى الله عن أمة صبروا استخلافتهم في الأرض وجعلهم أئمة فقال جل شأنه {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا
يُوقِنُونَ} (٥٦) ، ونسب إلى الفضل بن سهل أنه قال: إن في العلل نعماً لا ينبغي للعقلاء أن

(١٦) - سورة النحل (٩٧) .

(٢٦) - رواه الطبراني في المعجم الكبير باب (٣) ج (٩) ص (٣٣١) حديث (١١٢٤٣) .

(٣٦) - جاء هذا البيت في قصيدة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ونسب أيضاً لجميل بثينة .

(٤٦) - سورة البقرة (١٧٧) .

(٥٦) - سورة السجدة (٢٤) .

يجهلها منها: تحييص للذنب، وتعرض للثواب - ثواب الصبر-، وإيقاظ من الغفلة، وإذكاء بالنعمة في حال الصحة، واستدعاء للتوبة،
وحض على الصدقة، وفي قضاء الله وقدره يعد الخيار (١٦) . وجاء في شعر أمية بن أبي الصلت:

تَجْرِي الْأُمُورُ عَلَى حُكْمِ الْقَضَاءِ وَفِي ... طَيِّ الْحَوَادِثِ مَحْبُوبٌ وَمَكْرُوهٌ

فَرُبَّمَا سَرَّنِي مَا بَتَّ أَحْذَرُهُ ... وَرُبَّمَا سَاءَنِي مَا بَتَّ أَرْجُوهُ (٢٦)

وفي أمثال العرب: "من أراد طول البقاء فليوطن نفسه على المصائب". وقولهم: "المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان".

وقال أكرم بن صيفي: حيلة من لا حيلة له الصبر. وذكروا عن بعض الحكماء أنه أصيب بابن له فبكى حولاً ثم سلا، فقيل له: ما لك

لا تبكي؟ قال: كان جرحاً فبرأ. قال أبو خراش الهذلي:

بَلَى إِنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومُ وَإِنَّمَا ... نُوكَلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

ومن ذلك قولهم: "لا تلهف على ما فات"، وقولهم: "هون عليك ولا تولع بإشفاق" (٣٦) ، وهذا المثل مأخوذ من قول ابن حذاق:

هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تَوَلَّعْ بِإِشْفَاقٍ ... فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلوَارِثِ الْبَاقِي

(١٦) - انس المسجون وراحة المحزون ص (٥٩) .

(٢٦) - الموسوعة الشعرية ص (٧٤) .

(٣٦) - العقد الفريد ج ٣ ص ٥٢ .

٢٤٠٥ الحر الصابر لا يريق ماء وجهه

فالصبر على المكاره تحمد عواقبه، ولهذا قيل: "عواقب المكاره محمودة"، وقيل: "عند الصباح يحمد القوم السرى"، وقولهم: "لا تدرك الراحة

إلا بتعب"، قال ابن عبدربه: أخذ هذا المثل حبيب فقال:

على أنني لم أحو مالاً مجماً ... ففزت به إلا بشمل مبدد

ولم تعطني الأيام يوماً مسكناً ... أذ به إلا بنوم مشرد
وأحسن منه قوله:
بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا ... تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ
الحر الصابر لا يريق ماء وجهه
الصابر لا يريق ماء وجهه ولا يظهر التأفف والتضجر من حكم ربه، فحفظ ماء الوجه يعني عدم الابتدال والإسراف في الطلب، ورحم
الله علي بن الجهم حيث يقول:

أَقْبَلِي فَإِنَّ اللَّوْمَ أَشْكَلَ وَاضْهِئِي ... وَكَمْ مِنْ نَصِيحٍ لَا تُمَلُّ نَصَائِحُهُ
مَتَى هَانَ حُرٌّ لَمْ يُرِقْ مَاءَ وَجْهِهِ ... وَلَمْ تُخْتَبَرْ يَوْمًا بِرِدِّ صَفَائِحِهِ
سَأَصْبِرُ حَتَّى يَعْلَمَ الصَّبْرُ أَنِّي ... أَخُوهُ الَّذِي تُطْوَى عَلَيْهِ جَوَائِحُهُ
وَأَقْبَلُ مَيْسُورَ الزَّمَانِ وَإِنَّمَا ... أَرَى الْعَيْشَ مَقْصُورًا عَلَى مَنْ يُسَاحِحُهُ
فالظفر والنصر والفرج والعز والفلاح تأتي مع الصبر قال الشاعر:
صَبْرَ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ مُلْمٍ ... إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
لَا تُضَيِّقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ تَكُ ... شَفَّ عَمَّاؤُهَا بِغَيْرِ إِحْتِيَالِ
رُبَّمَا تَجَزَعُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمِّ ... رِلَهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ (١٦)

ولبعضهم:
قد يصاب الجبان في آخر الصف ... وينجو مقارع الأبطال
ولالإمام الشافعي رضي الله عنه:
صُنِّ النَّفْسَ وَأَحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا ... تَعَشَّ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فَيْكَ جَمِيلُ
وَلَا تَوْلِيَنَّ النَّاسَ إِلَّا تَجَمُّلاً ... نَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلُ
وَأَنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ ... عَسَى نَجَاتُ الدَّهْرِ عَنكَ تَزُولُ (٢٦)
ولإبراهيم بن عباس الصولي:
ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعاً وعند الله منها مخرج
كَلَّمَتْ فَلَمَّا اسْتَكَلَّتْ حَلَقَاتُهَا ... فُرْجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لَا تُفْرَجُ
وقال القاضي شمس الدين احمد بن خلكان في وفيات الأعيان انه ما ردد هذين البيتين من نزلت به نازلة إلا فرج الله عنه، وقد جاء
في شعر الحكمة:

وكل شديدة نزلت بقوم ... سيأتي بعد شدتها رخاء
فان الضغط يحويه وعاء ... ويتركه إذا فرغ الوعاء
وما ملأ الإناء وسد إلا ... ليخرج ما به امتلأ الإناء (٣٦)
أما الإمام إبراهيم بن قيس الهمداني الحضرمي فهو يرى انه بالصبر يبلغ ما يؤمله وذلك حيث يقول:

- (١٦) - تنسب هذه الأبيات لعبيد بن الأبرص ونسبها بعض العلماء إلى أمية بن أبي الصلت والله اعلم.
(٢٦) - نسبت هذه الأبيات للشافعي، وكذلك للإمام علي، رضي الله عنهما.
(٣٦) - نسبت هذه الأبيات لقيس بن الخطيم، ونسبت أيضا إلى الربيع بن أبي الحقيق، ونسبت لعلبي بن مقلة، والله اعلم.

٢٤٠٦ الصبور في الأسماء الحسنى

الصبر يبلغني المأمول والجلد ... والطيش يبعديني عن ذاك وانخرط
فالحر لا يبلغ مأموله إلا بالصبر، ولا يسود قومه إلا بالصبر، ولا يدير سياسته إلا بالصبر، ولا يتعامل مع جيرانه وإخوانه وأبناء زمانه
إلا بالصبر.

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

اصْبِرْ عَلَى الدَّهْرِ لَا تَغْضَبْ عَلَى أَحَدٍ ... فَلَا يَرَى غَيْرَ مَا فِي الدَّهْرِ مَخْطُوطٌ
وَلَا تَقِيمَنَّ بِدَارٍ لَا انْتِفَاعَ بِهَا ... فَلِالأَرْضِ وَاسِعَةٍ وَالرِّزْقِ مَبْسُوطٍ
أما ابن الوردي فهو يقول:

دَارِ جَارَ الدَّارِ إِنْ جَارَ وَإِنْ ... لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى النُّقْلِ
الصبور في الأسماء الحسنى

الصبور من أمثله المبالغة (صبار وصبور) ابلغ من الصابر، والصبور في أسماء الله الحسنى وان لم يرد به التنزيل فقد ورد في الحديث
النبي الشريف (مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنْ اللَّهِ يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ يَعْفِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ) (١٦) ، وقد اختلف العلماء في تأويل
الصبر على أقوال:

الأول: انه من صفات ذاته سبحانه بمعنى انه حلیم .

الثاني: انه من صفات الذات لكن يرجع إلى تأخير العقوبة، والحليم يرجع إلى إسقاطها.

الثالث: انه من صفات الفعل ويرجع إلى تأخير العقوبة.

والظاهر أن الحلم أعم من الصبر، والذي دل عليه نص الحديث هو أن الصبور يرجع إلى الصبر إرادة تأخير العقوبة، ففيه إشارة إلى
تأخير العقوبة عن الكبائر في الدنيا، فهو يعاني ويرزق بعد أن سمع أذى الظالمين، وادعاءهم أن الله ولدأ تعالى الله عما يقول الظالمون
علواً كبيراً، فلا احد اصبر من الله وان كان لا بد من معاقبة في الآخرة، فالصبر يرجع إلى تأخير العقوبة التي قدر الله لها وقتاً وحد
لها أجلاً ممدوداً (٢٦) . وقال الاقليشي: والصبر في وصف الله تعالى، يحتمل أن يكون وصفاً لذاته سلبياً، ويحتمل أن يكون وصفاً
ذاتياً، ويحتمل أن يكون فعلياً.

فأما الصفة السلبية: فبراءته عن الطيش والعجلة، ولصبره عن دعوى المفترين، ولهذا أشار النبي صلى عليه وآله وسلم إذ قال: (لا احد
اصبر من الله) .

وأما الصفة الثابتة: فان روح الصبر وتحقيقه هو الثبات، والله سبحانه هو الثابت الذي لا يحول، والدائم الذي لا يزول، فان قلنا: إن
الصبر بمعنى الثبوت صح انه وصف ذاتي.

أما الصفة الفعلية: فهو أن يكون صبور من الصيغ المتعددة كضروب وقطوع من ضرب وقطع، فيكون الله تعالى اتصف بالصبور،
لأنه صبر قلوب عباده الصابرين بخلق الصبر فيها، حتى لا تميل إلى دواعي الهوى (٣٦) .

فمن علم ما وجب لله سبحانه من العزة والجلال والعظمة والكمال والكبرياء والجلال، وعلم اقتداره سبحانه على ما يشاء، علم انه الصبور

(١٦) - صحيح البخاري باب قول الله تعالى (ان الله هو) حديث (٦٨٣٠) .

(٢٦) - الجامع لأسماء الله الحسنى ص (١٨٣) .

(٣٦) - الجامع لأسماء الله الحسنى ص (١٨٤) .

على آذية من أذاه واقترى عليه، وعلم أن صبره سبحانه ليس حبس النفس على ما يكره، وعلم انه سبحانه لا يتألم بالإمهال، وكل ما

يؤذى به أولياؤه فهو صبور عليه وهذه وجوه لا تصح إلا لله تعالى.

وقد فرق ابن القيم في عدة الصابرين بين صبر الله تعالى وصبر العباد، وبين الصبر وبين الحلم، فقال: وصبر الله تعالى يفارق صبر المخلوق من وجوه متعددة منها: انه عن قدرة تامة، ومنها: انه لا يخاف الغوث، والعبد إنما يستعجل الخوف الغوث، ومنها انه لا يلحق بصبره ألم ولا حزن ولا نقص بوجه ما، وظهور اسمه الصبور في العالم مشهود بالعيان كظهور اسمه الحليم.

أما الفرق بين الصبر والحلم، فان الصبر ثمرة الحلم وموجبه، فعلى قدر حلم العبد يكون صبره، فالحلم في صفات الله تعالى أوسع من الصبر، ولهذا جاء اسم الحلم في القرآن في غير موضع (١٦) ، والمخلوق يحلم عن جهل ويعفو عن عجز، والرب تعالى يحلم مع كمال علمه ويعفو مع تمام قدرته، وما أضيف شي إلى شي أزين من حلم إلى علم، ومن عفو إلى اقتدار، ولهذا كان في دعاء الكرب وصفه سبحانه وتعالى بالحلم مع العظمة، وكونه حليم من لوازم ذاته سبحانه وتعالى.

وأما صبره فتعلق بكفر العباد، وشركهم ومسببتهم له سبحانه، وأنواع معاصيهم وخطورهم، فلا يزعجه ذلك كله إلى تعجيل العقوبة، بل يصبر

(١٦) - عدة الصابرين للإمام العلامة بن قيم الجوزية شرح ومراجعة سعيد اللحام ص ٢٧٦، الطبعة الأولى دار الفكر اللبنانية بيروت ١٩٩٢م.

٢٤٠٧ ثمرة معرفة اسمه تعالى الصبور

على عبده ويمهله، ويستصلحه ويرفق به، ويحلم عنه حتى إذا لم يبق فيه موضع ليضعه أخذه أخذ عزيز مقتدر، بعد غاية الأعدار إليه، وبذل النصيحة له، ودعاه إليه من كل باب. وهذا كله من موجبات صفات حلمه، وهي صفه ذاتيه لا تزول. وأما الصبر فإذا زال متعلقة، كان كسائر الأفعال التي توجد بوجود الحكمة، وتزول بزوالها. فتأمل انه فرق لطيف ما عثرت الخدق بعثره، وقل من تنبه له ونبه عليه، وأشكل على كثير هذا الاسم وقالوا: لم يأت في القرآن، فاعرضوا عن الاشتغال به صنفًا، ثم اشتغلوا بالكلام في صبر العبد وأقسامه، ولو أنهم أعطوا هذا الاسم حقه لعلموا ان الرب تعالى أحق به من جميع الخلق، كما هو أحق باسم العليم، والرحيم، والقدير، والسميع، والبصير، والحي، وسائر أسمائه الحسنى ... وان التفاوت الذي بين صبره سبحانه تعالى وصبرهم كالتفاوت الذي بين حياته وحياتهم، وعلمه وعلهم، وسمعه وسمعهم، وكذا سائر صفاته (١٦) .

وقد قيل لما كان اسم الحليم قد ادخل في الأوصاف، واسم الصبور في الأفعال كان الحلم أصل الصبر، فوقع الاستغناء بذكره في القرآن عن اسم الصبور والله أعلم (٢٦) .

ثمرة معرفة اسمه تعالى الصبور

إن المؤمن الذي يعرف أن الله جل وتعالى صبور وجب عليه أن يصبر ويتصابر، وان يقطع الالتفات عن غير الله، وان لا يتوكل في جميع أموره إلا على الله تعالى، وان يفرد الله تعالى بالخوف والرجاء، ودفع الضر وجلب الخير والنفعة، فهو الذي يمس بالضر بمشيئته، ويدفعه بمشيئته، وفي الذكر الحكيم: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٣٦) ، وقوله جل: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (٤) ، وقوله جل وعلا: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (٥) ، فعلى المؤمن أن يصبر في البأساء والضراء، وأن يتحمل أذى الخلق، وان يكون صابراً في جده واجتهاده وجهاده، وان يحبس نفسه عن الشهوات، وان يصبر نفسه في الجلوس مع أهل الذكر والدعاء، ويتعد عن طاعة النفس بولوج الشهوات وإتباع الأهواء، قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} (٦) ، وقال جل شأنه: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا

لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى { (٧٦) ، وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: الإيمان نصفان نصف صبر

(١٦) - الجامع لأسماء الله الحسنى ص (١٨٤-١٨٦) ، وعدة الصابرين للإمام بن القيم ص (٢٧٦-٢٧٧) بتصرف يسير .

(٢٦) - الجامع لأسماء الله الحسنى ص (١٨٧) ، وعدة الصابرين ص (٢٨٠) .

(٣٦) - سورة الأنعام (١٧) .

(٤٦) - سورة الأعراف (١٨٨) .

(٥٦) - سورة فاطر (٢) .

(٦٦) - سورة الكهف (٢٨) .

(٧٦) - سورة طه (١٣٢) .

ونصف شكر (١٦) ، ومن قهر نفسه عن دواعي الهوى ظفر، وذكر بعض العلماء أن الصبر ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل ومكروه .

فالصبر عن الوقوع في المحظورات فرض وكذلك الصبر على أداء الواجبات، وعلى المكاره نفل، والصبر على الأذى المحظور محظور، كمن تقطع يده وهو ساكت والصبر المكروه هو الصبر على الأذى يناله بجهة مكروهه في الشرع (٢٦) ، فليس من معاني الصبر المحمود الخضوع والتسليم لأمر يحضره الشرع، وعدم إنكار المعاصي، فإذا كان هناك من يريد مراودة اهلك فترى ذلك وتسكت على ما يجري فهذا الصبر محرم، وإنما الصابر الذي ينكر المنكر، ويصبر على ما أصابه بسبب إنكاره للمنكر، ... وفي الذكر الحكيم ما حكاه الله عن لقمان الحكيم { يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } (٣٦) ، والمؤمن يظهر الحق، ويجتهد في الطاعة، ويصبر على امثال ما أمر الله به ورسوله، ويوصي نفسه بإتباع الحق كما يوصي غيره به، وصدق الله حيث يقول { وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ } (٤٦) .

(١٦) - انظر هامش الترغيب والترهيب للمندري ج (٤) ص (٣٠٤) ، طبعة دار التراث العربي بيروت ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

(٢٦) - هامش الترغيب والترهيب للمندري ج (٤) ص (٣٠٤) .

(٣٦) - سورة لقمان (١٧) .

(٤٦) - سورة العصر .

٢٤٠٨ دعاء الله باسمه الصبور

والصابر يحسن ظنه بربه، ويتبع ما جاء به نبي الله وخاتم رسله، ولا يجزع من شدة الأيام، ولا يفزع من تقلب الشهور والأعوام، فهو يحسن ظنه بربه في جميع الأحوال والله در القائل:

أحسن الظن برب عودك ... حسناً أمس وسوء أودك
ان رباً كان يكفيك الذي ... كان منك أمس يكفيك غدك

ويرحم الله القائل:

أما والذي لا خلد إلا لوجهه ... ومن ليس في العز المبين له كفو
لئن كان طعم الصبر مر مذاقه ... لقد يجتنى من غبه الثمر الحلو

دعاء الله باسمه الصبور

يا الله يا صبور يا سميع يا بصير يا قوي يا مجيب يا قدير نسألك أن تصلي على محمد واله كما صليت على ابراهيم وان ترزقنا والمؤمنين الصبر على طاعتك وأداء الفرائض والواجبات التي افترضتها، واجعلنا من الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس وصبرنا على بلائك، واجعلنا من الحامدين لك على آلائك وبلائك، وافرح علينا صبراً وتوفناً مسلمين، واجعلنا مع النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين من

عبادك وجميع المؤمنين انك صبور كريم مجيب عظيم وصلى الله وسلم على محمد النبي الأمي وآله وأزواجه وذريته وأصحابه والسائرين على نهجه إلى يوم الدين.

٢٥ الفصل الرابع والعشرون العفو

٢٥٠١ العفو

الفصل الرابع والعشرون

العفو

العفو

العفو: الصفح عن الذنب، وقيل ان العفو مأخوذ من عفت الريح الأثر اذا درسته، فكأن العافي عن الذنب يحوه بصفحه عنه، والعفو من الصفات الحميدة، والخلال الطيبة الرشيدة، التي يتحلى بها المرء المؤمن الفاضل، فالعاقل يوطن نفسه على لزوم العفو عن الناس كافة، فمن تحلى بالعفو ساد وأحبه العباد، ورضي عنه رب الأرباب، وكتب له عظيم الأجر والثواب، ومن عفا عن الناس عفا الله عنه، والعفو من الإحسان، وقد مدح الله العفو في كثير من المواضع في القرآن فقال جل شأنه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (١٦) ، وقد وصف الله المؤمنين الصادقين بقوله: {وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} (٢٦) ، ودعا إلى مقابلة شرور الناس بالإحسان إليهم، فذلك ادعى إلى نزع العداوة من قلوبهم وإحلال المودة محلها فقال جل شأنه: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (٣٦) ، ولما كانت بعض النفوس جبلت على الاعتداء فقد وضع سبحانه وتعالى علاجاً لمنعها من التماذي في غيها مقابلة السيئة بمثلها بدون

(١٦) - سورة التغابن (١٤) .

(٢٦) - سورة الرعد (٢٢) .

(٣٦) - سورة فصلت (٣٤) .

إسراف أو اعتداء أو ظلم فقال سبحانه: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ} (١٦) .

فمن أراد الأجر الجزيل والذكر الجميل، فعليه بالعفو عمن ظلمه والإحسان إلى من أساء إليه، ويرحم الله الشافعي حيث يقول:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نَفْسِي مِّنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ

إِنِّي أُحْيِي عَدَوِي عِنْدَ رُؤْيَيْهِ ... لِأَدْفَعِ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ

وَأُظْهِرُ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضَهُ ... كَأَنَّمَا قَدْ حَشَى قَلْبِي مَوَدَّاتِ

وله أيضا:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَصَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ الرَّجَاءَ مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْمًا

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتَهُ ... بَعْفُوكَ رَبِّي كَانَ عَفْوِكَ أَعْظَمًا

فَمَا زِلْتَ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكْرُمًا

أما بشار بن برد فهو يقول:

تُخَذُ مِنْ أَعْيُنِكَ الْعَفْوُ وَرَغْفِرَ ذُنُوبَهُ ... وَلَا تَكُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُجَانِبَهُ
(١٦) - سورة الشورى (٤٠-٤٣) .

٢٥٠٢ الكريم يعفو

الكريم يعفو

العفو خالق كريم، وسلوك مستقيم، يتخلى به كرام الناس نخلق الكريم من الناس العفو، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعفو عن ظلمه ويحسن إلى من يسيء إليه، ولما وفد عليه كعب بن زهير وانشده القصيدة التي مطلعها بانت سعاد ومنها:

أُنْبِتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي ... وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ ال ... قُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِيظُ وَتَفْصِيلُ
لَا تَأْخُذَنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ ... أَذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ عَنِّي الْأَقَاوِيلُ
فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَرْدَهُ.

أما احمد شوقي رحمه الله فهو يصف عفو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

وَإِذَا عَفَوْتَ فَقَادِرًا وَمُقَدَّرًا ... لَا يَسْتَهِنُ بِعَفْوِكَ الْجُهْلَاءُ
وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أُمَّ أَوْ أَبٌ ... هَذَا فِي الدُّنْيَا هُمَا الرَّحْمَاءُ

فالعاقل يترفع عن الأذى ويعفو عن أساء، قال أبو حاتم رضي الله عنه: أغنى الناس عن الحقد من عظم عن المجازاة، واجل الناس مرتبة من صد الجهل بالحلم، وما الفضل إلا لمن يحسن إلى من أساء إليه، فأما مجازاة الإحسان إحسانا فهو المساواة في الأخلاق، فلربما استعملها البهائم في الأوقات، ولو لم يكن في الصفح وترك الإساءة خصلة تحمذ إلا رجاحة النفس ووداع القلب لكان الواجب على العاقل أن لا يكدر وقته بالدخول

في أخلاق البهائم، بالمجازاة على الإساءة إساءة، ومن جازى بالإساءة إساءة فهو المسيء، وان لم يكن بادئا.

قال هلال بن العلاء البهلوي: جعلت على نفسي منذ أكثر من عشرين سنة أن لا أكفئ أحدا بسوء، وذهبت إلى هذه الأبيات:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ ... أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ
إِنِّي أُحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَيْهِ ... لِأَدْفَعِ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
وَأُظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ ... كَأَنَّمَا قَدْ حَشَى قَلْبِي مَوَدَّاتِ (١٦)

وقديماً قيل: من تمام الكرم أن تذكر الخدمة لك، وتنسى النعمة منك، وتنظر الرغبة إليك، وتتغابى عن الخيانة إليك. من تمام المروءة أن تنسى الحق لك، وتذكر الحق عليك. وتستكبر الإساءة منك، وتستصغر الإساءة إليك. من أحسن المكارم عفو المقتدر، وجود المفتقر

(٢٠) . قال الشاعر يصف كريماً:

كَرِيمٌ لَهُ وَجْهَانِ وَجْهٌ لَدَى الرِّضَا ... أَسِيلٌ وَوَجْهٌ فِي الكَرِيمَةِ بِاسِلٌ
وَلَيْسَ بِمَعْطِي العَفْوِ عَنِ غَيْرِ قُدْرَةٍ ... وَيَعْفُو إِذَا مَا أَمَكَّنْتَهُ الْمُقَاتِلُ (٣٦)

فما أحوج الناس إلى العفو والتجاوز عن الإساءة والتخلي بالأخلاق الفاضلة، ففي العفو شرف الدنيا والآخرة.

أما ابن أبي حصينة فهو يرى أن في العفو عن الحر تأديباً له فيقول:
لَكَ الْخَيْرُ إِنْ يُجْرِمَ رَعَايَاكَ فَاعْتَفِرْ ... جَرَاثِمُهُمْ إِنْ الْمُدَبِّرَ مَرْيُوبُ

- (١٦) - روضة العقلاء ص (١٣٣) . وتنسب هذه الأبيات للإمام الشافعي رحمه الله، كما سبق .
 (٢٦) - الفرائد والقلائد ص (٤٠) .
 (٣٦) - ديوان إبراهيم بن هرمة .

٢٥.٣ العز في العفو

هَفَوَا هَفْوَةً مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ فَأَدْبُوا ... بَعْفُوكَ إِنَّ الْعَفْوَ لِلْحُرِّ تَأْدِيبُ
 خُلِقْتَ كَرِيماً لَمْ يَفْتِكْ تَفْضُلٌ ... وَطَوَّلَ وَلَا أَخْطَاكَ حَزْمٌ وَتَهْدِيبُ
 فَعَفُوا عَفَاً عَنْكَ الْإِلَهِ وَرَأْفَةً ... فَعَفُوكَ مِنْ عَفْوِ الْمُهِمِّنِ مُحْسُوبُ
 تَرَبَّى عَلَى إِنْعَامِكَ الْطِفْلُ مِنْهُمْ ... وَشَبَّ عَلَى إِحْسَانِكَ الْمُرْدُ وَالشَّيْبُ

ويرى أبو الطيب المتنبي أن في العفو تملكاً للأحرار حيث عبر عنه بقوله وما قتل الأحرار كالعفو عنهم وذلك في قصيدته التي يقول فيها:

وَمَنْ يَجْعَلُ الضَّرْغَامَ بَازاً لِيَصِيدَهُ ... تَصِيدُهُ الضَّرْغَامُ فِيمَا تَصِيدَا
 رَأَيْتَكَ مَحْضَ الْحِلْمِ فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ ... وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمُهَنْدَا
 وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ ... وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا
 إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ ... وَإِنَّ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَا ... مُضِرُّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
 وما أروع قول ابن الأبار الاشبيلي:

ومعرض بالغصن في حركاته ... تمل القلوب العفو من لحظاته
 وأطعت سلطان العفاف تكراً ... والمرء مجبول على عاداته
 العز في العفو

من أراد الثواب الجزيل، واسترهان الود الأصيل، وتوقع الذكر الجميل، فليصل من قطعه، وليحسن إلى من أساء إليه، وليعفُ عمن ظلمه، وقد روى أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: أحب الأمر إلى الله ثلاثة: العفو في القدرة، والقصد في الجدة، والرفق في العبادة، وما رفق احد بأحد في الدنيا إلى رفق الله به يوم القيامة، وعن بن عائشة قال كتب الحجاج إلى

عبد الملك: (انك اعز ما تكون أحوج ما تكون إلى الله، فإذا تعززت بالله فاعفُ فانك به تعز وإليه ترجع) ، وروى عن داود بن الزبير انه قال: قال أيوب) لا يَنْبُلُ الرَّجُلُ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ خَصْلَتَانِ: الْعَفْةُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَالتَّجَاوُزُ عَنْهُمْ) ، قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود الإساءة عليه من العالم بأسرهم، رجاء عفو الله عز وجل وعلا عن جنائياته التي ارتكبها في سالف أيامه، لان صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء، وصاحب العقاب وإن انتقم كان إلى الندم اقرب، فأما من له أخ يودُّه فانه يتحمل عنه الدهر كله زلاته.

قال الفضيل بن عياض: احتمال لأخيك إلى سبعين زلة، وقيل له: وكيف ذلك يا أبا علي؟ قال: لان الأخ الذي آخيته في الله ليس يزل سبعين زلة.

وأُشْدَّ عَلِيَّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَسَامِيِّ:

إذا لم تتجاوز عن أخ لك عثرة ... فلست غداً من عثرتي متجاوزا

وكيف يرجيك البعيدُ لنفعه ... إذا كان عن مولاك بركٌ عاجزا (١٦)

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا) (٢٦) .

ولما في العفو من العز والثواب والشرف الكبير فقد أمر الله به، وارشد إليه، فقال جل شأنه: {فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ

(١٦) - روضة العقلاء ص (١٣٢) .

(٢٦) - رواه مسلم في صحيحه باب استحباب العفو والتواضع حديث (٢٥٨٨) .

٢٥٠٤ العفو في أسماء الله الحسنى

حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٦) ، وقد أمر الله جل وعلا بالمسارعة إلى مغفرته وإلى الجنة دار كرامته التي أعدها لأوليائه المتقين الذين ينفقون أموالهم في السراء والضراء والشدة والرخاء ويكظمون غيظهم، ويعفون عن ظلمهم حيث يقول سبحانه: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ*الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ*وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَنْ يَسْرُحَهُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ*وَأُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهم وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} (٢٦) ، وقد روى ابن حبان عن هشام عن أبيه عن ابن عمر في هذه الآية: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} (٣٦) قال: أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالعفو عن أخلاق الناس (٤٦) .

العفو في أسماء الله الحسنى

العفو اسم من أسماء الله الحسنى الذي ورد في القرآن الكريم وفي سنة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والعفو هو الذي له العفو الشامل

(١٦) - سورة آل عمران (١٥٩) .

(٢٦) - سورة آل عمران (١٣٣-١٣٦) .

(٣٦) - سورة الأعراف (١٩٩) .

(٤٦) - روضة العقلاء ص (١٣٥) .

الذي وسعه ما يصدر من عباده من الذنوب، سيما إذا أتوا بما يسبب العفو عنهم من الاستغفار والتوبة والإيمان والأعمال الصالحة، فهو كما قال جل شأنه: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} (١٦) ، وفي سورة الحج يقول جل شأنه: {إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ} (٢٦) ، وجاء في الحديث النبوي الشريف أن عائشة رضي الله عنها قالت: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أُمَّي لَيْلَةَ الْقَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوفٌ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) (٣٦) .

قال أبو سليمان: العفو: وزنه فعول من العفو وهو بناء المبالغة، والعفو الصفح عن الذنب وقيل: إن العفو مأخوذ من عفت الريح الأثر إذا درسته، فكأن العافي عن الذنب يحوه بصفحه عنه (٤٦) ، ويجوز إجراؤه على المخلوق، وفي التنزيل: {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} (٥٦) ، وقيل العفو: هو الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً، كل واحد مضطر إلى عفو ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها (٦٦) .

(١٦) - سورة الشورى (٢٥) .

- (٢٦) - سورة الحج (٦٠) .
- (٣٦) - سنن الترمذي حديث (٣٥١٣) .
- (٤٦) - البيهقي في الأسماء والصفات ص (٧٥) الجامع لأسماء الله الحسنى ص (٢٠٣) .
- (٥٦) - سورة آل عمران (١٣٤) .
- (٦٦) - الاسماء والصفات ص ٧٥ .

٢٥٠٥ ثمرة التعرف على اسم الله العفو

وقال الحلبي في معنى العفو: انه الواضع عن عباده تبعة خطاياهم وآثامهم، فلا يستوفيا منهم، وذلك إذا تابوا واستغفروا أو تركوا لوجهه أعظم مما فعلوا ليكفر عنهم ما فعلوا بما تركوا، أو بشفاعة من يشفع لهم، أو يجعل ذلك كرامة لذي حرمة لهم به وجزاء. وقيل: العفو في حق الله تعالى: عبارة عن إزالة آثار الذنوب بالكلية، فيمحوها من ديوان الكرام الكاتبتين، ولا يطالب العباد بها يوم القيامة، وينسيها من قلوبهم كي لا ينجلوا عند تذكرها، ويثبت مكان كل سيئة حسنة، قال تعالى: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} (١٦) ، وقال: {فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} (٢٦) .

والعفو أبلغ من المغفرة، لأن الغفران يشعر بالستر، والعفو يشعر بالمحو، والمحو أبلغ من الستر. والعفو هو الله سبحانه الذي يعطي الكثير، ويهب الفضل، ولا يعتب عليه المنعم البتة (٣٦) .

ثمرة التعرف على اسم الله العفو

العاقِل إذا عرف أن ربه عفو يصفح عن الذنب ويقبل التوبة ويعفو عن السيئات، وجب عليه أن يؤمن به ويتقرب إليه ويسأله العفو عن جميع الذنوب والآثام، فالله جل وعلا هو العفو، يعفو عمن يشاء، ويغفر لمن تاب وأناب، ويشمل الخلق جميعاً بعفوه إلا من أشرك وكفر بربه ومات على ذلك أعادنا الله والمسلمين من ذلك. قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} (٤٦) ، وقال جل شأنه {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ} (٥٦) ، ثم انه يجب على من عرف أن ربه عفو كريم أن يستعمل العفو ويتخلق به حيي يدخل في مدح الله للعافين الذين أثنى الله عليهم بقوله: {وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (٦٦) .

وفي الحديث النبوي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَخْلَاقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُخَيَّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ) (٧٦) ، والعاقِل يسعى إلى تحصيل سبب العفو من الله بترك الذنوب والاستغفار وطلب العفو من الله جل وعلا.

ولله در القائل:

يَسْتَوْجِبُ الْعَفْوَ الْفَتَىٰ إِذَا اعْتَرَفَ ... وَتَابَ مِمَّا قَدْ جَنَاهُ وَاعْتَرَفَ

لِقَوْلِهِ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ... إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ (٨٦)

أما الحسن بن هانئ المعروف بابي نواس فهو يقول في طلب العفو من الله:

(١٦) - سورة الرعد (٣٩) .

(٢٦) - سورة الفرقان (٧٠) .

(٣٦) - شرح لأسماء الله الحسنى للرازي ص (٣٢٥-٣٢٦) ، والجامع لأسماء الله الحسنى ص (٢٠٤) .

(٤٦) - سورة النساء (٤٨) .

(٥٦) - سورة الأنفال (٣٨) .

- (٦٧) - سورة آل عمران (١٣٤) .
- (٧٧) - سنن أبي داود باب من كظم غيظاً حديث (٤٧٧٧) .
- (٨٧) - أورد هذين البيتين صاحب الموسوعة الشعرية ونسبهما إلى ابن غلبون الصوري، ورويت لأبي سعيد الزبيري انظر الموسوعة الشعرية ص (٢٤٢) وبتيممة الدهر للشعالي ج (١) ص (٣١٦) والجامع لأحكام الله للقرطبي ج (٧) ص (٢٢٥) .
- يَا رَبِّ إِنِّ عَظُمْتُ ذُنُوبِي كَثْرَةً ... فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
 إِن كَانَ لَا يَرَجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ ... فِيمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمَجْرِمُ
 أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعاً ... فَإِذَا رَدَدْتَ يَدَيَّ فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
 مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَاءُ ... وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمٌ
- فاطلب أخي من الله العفو يعف عنك فهو يحب العفو قال يحيى بن معاذ: لو لم يكن العفو أحب الأشياء إلى الله، لم يتل بالذنب أكرم الخلق عليه قال الشاعر:
- يا رب أنت رجائي ... وفيك حسنت ظني
 يا رب فاغفر ذنوبي ... وعافني واعف عني
 العفو منك الاهي ... والذنب قد جاء مني
 والظن فيك جميل ... حقق بحقك ظني (١٧)
- ولله در القائل:

فيا ربِّ برد العفو هب لي إذا غلا ... من الحرِّ في يوم الحسابِ دماغُ (٢٧)

فن علم أن الله سبحانه وتعالى يشمل بالعفو من أناب إليه ورضي عنه، وجب عليه أن يأتي ما يكون سبباً لعفو الله من الإيمان، والتوبة، والاستغفار، والأعمال الصالحة، وأداء الواجبات، والإحسان إلى عباد الله، فمن كمال عفو الله انه مهما أسرف العبد ثم رجع إلى الله جل وعلا عفا عنه، ومن كمال عفو الله جعل الإسلام يجب ما قبله، والحج يهدم ما قبله، والتوبة

- (١٧) - أورد هذه الآيات الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي في لطائف المعارف جزء (١) ص (٢٣) دون ان ينسبها لأحد.
- (٢٧) - ديوان بن الحاج البلفيقي.

٢٥٠٦ قصة للقمان مع ابنه

تجب ما قبلها أي تحو ما قبلها، فالعفو فيه كفاة الذنوب، واللبيب من عفا عن ظلمه وأحسن إلى من أساء إليه وطلب العفو من الله، قال الشاعر:

يكفيك في العفو أن الله قرظهُ ... وَحَيًّا إِلَى خَيْرٍ مِنْ صَلَّى وَمِنْ بَعَثَا (١٧)

قصة للقمان مع ابنه

وروي أن لقمان الحكيم قال لابنه: (أي بني، أي شيء أقل؟ وأي شيء أكثر؟ وأي شيء أحلى؟ وأي شيء أبرد؟ وأي شيء أنسى؟ وأي شيء أوحش؟ وأي شيء اقرب؟ وأي شيء ابعد؟ قال: أما أقل شيء: فاليقين، وأما أي شيء أكثر: فالشك، وأما أي شيء أحلى: فروح الله بين العباد يتحابون بها، وأي شيء أبرد: فعفو الله عن عباده، وعفو الناس بعضهم عن بعض، وأي شيء أنسى: حبيبك إذا أغلق عليك وعليه باباً واحداً، وأي شيء أوحش جسد إذا مات، فليس شيء أوحش منه، وأي شيء أقرب: فالآخرة من الدنيا، وأي شيء أبعد: فالدنيا من الآخرة) (٢٧) .

ويغفر الله للقائل:

يا رَبِّ أَثْقَلَتِ الْأَوْزَارُ ناصِيتِي ... وليس لي مَزَكاً يَرَجِي ولا وَزراً
يا رَبِّ أَقْوَى قُوَايِ الذَّنْبُ مُقْتَفِراً ... مَفَاقِرِي وَأَنَا رُحْمَاكَ أَقْتَفِرُ
يا رَبِّ بِالْعُتُ فِي الْعَصِيَانِ وَاانْتَشَرَتْ ... مِنِّي الْمَعَاصِي وَمِنْكَ الْعَفْوُ مُنْتَشِرٌ (٣٦)

(١٦) - ديوان بن الرومي.

(٢٦) - روضة العقلاء ص (١٣٤) .

(٣٦) - ديوان ابن الطيب الشرقي الفاسي.

أما ابن المقرب العيوني فيقول:

لَكِنِ عَفَوْنَا وَكَانَ الْعَفْوُ عَادَتَنَا ... وَلَمْ نُوَاخِذْ أَخَا جُرْمٍ بِمَا اجْتَرَمَا

ويرى ابن المباريه أن العفو عند القدرة يكون فيه شكر على النصر وذلك حيث يقول:

إِذَا اسْتَشَرْتُ فَاِنْصَحْ ... إِذَا سَأَلْتُ فَاسْمَحْ

الْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ ... شُكْرٌ لِحَسَنِ النَّصْرِ

وقد حكا الله تعالى أن يوسف عليه السلام قال لإخوته بعد أن اعترفوا بالذنب: { قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (١٦) ، وحكت كتب السيرة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن انتصر على قريش يوم فتح مكة خاطبهم بقوله: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ، والله در القائل:

دَانِي الْقُطُوفِ جَمِيْلُ الْعَفْوِ مُقْتَدِرٌ ... مَا ضَاقَ مِنْهُ لِحَانٌ وَاسِعُ الْكَرَمِ (٢٦)

ويرحم الله أبا الفتح البستي حيث يقول:

وَلَقَدْ جَمَعْتَ مِنَ الذَّنُوبِ فَنَوْنَهَا ... فَاجْمَعْ مِنَ الْعَفْوِ الْجَمِيْلِ فَنُونَهُ

مَنْ كَانَ يَرْجُو عَفْوً مَنْ هُوَ فَوْقَهُ ... عَنِ ذَنْبِهِ فليَعْفُ عَمَّنْ دُونَهُ

أما شوقي فهو يقول:

وَأَنْتَ وِلِيُّ الْعَفْوِ فَاحْ بِنَاصِجٍ ... مِنْ الصَّفْحِ مَا سَوَّدَتْ مِنْ صَفْحَاتِي

(١٦) - سورة يوسف (٩٢) .

(٢٦) - ديوان ابن جابر الأندلسي.

٢٥٠٧ دعاء الله باسمه العفو

دعاء الله باسمه العفو

اللهم يا عفويا غفاريا غفوريا حلِيمَ نَسَأَلُكَ أَنْ تَصَلِيَ عَلَيَّ مُحَمَّدَ وَالْمُحَمَّدِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَيَّ اِبْرَاهِيمَ وَعَلَى اَلْاِبْرَاهِيمِ اَنْكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ وَاَنْ تَحُو عَنِي وَعَنْ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعَ الذَّنُوبِ وَالرَّيْبِ، وَاَنْ تَغْفِرَ لَنَا الذَّنُوبَ الَّتِي تَوْجِبُ الْغَضَبَ، يَا اَللَّهُ يَا عَفْوِيَا غَفَارِيَا غَفُورِيَا اغْفِرْ لَنَا فَقَدْ تَعَدَيْتُنَا الْحُدُودَ، وَنَقَضْنَا الْعَهْدَ فَاعْفُ عَنَّا اِنَّكَ عَفْوٌ كَرِيمٌ يَا اَللَّهُ يَا عَفْوِيَا رَحِيمٌ يَا غَفُورِيَا حَلِيمٌ اغْفِرْ لِي هَفْوَاتِ لِسَانِي، وَشَهَوَاتِ جَنَانِي، وَمَا فَعَلْتُهُ جَوَارِحِي وَاَرْكَانِي، وَاغْفِرْ لِآبَائِي، وَاَبْنَائِي، وَاِخْوَانِي وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ اِنَّكَ عَفْوٌ كَرِيمٌ، اَللَّهُمَّ اِنَّكَ عَفْوٌ كَرِيمٌ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا وَاَجْعَلِ الْعَفْوَ مِنْ اَخْلَاقِنَا وَاَرْضْ عَنَّا وَصَلِّ اَللَّهُ وَسَلِّمْ عَلَيَّ مُحَمَّدِ اِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَخَتَامِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ.

٢٦ الفصل الخامس والعشرون الكرم

الفصل الخامس والعشرون
الكرم

٢٦٠١ الكرم

الكرم

الكرم: الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه، وهو بذل ما ينبغي من مال فيما ينبغي. والسخاء: سهولة الانفاق وتجنب اكتساب مالا يحمده، وهو الجود، وضده التقتير. وفي الشفاء للقاضي عياض: الكرم والجود والسخاء والسماحة معانيها متقاربة. والكرم شرف في النفس وشرف في الخلق، والكرم كثرة الخير ويسرته، والكريم يعطي من غير منه، والكريم يقبل العثرة ولا يتبع العورة، والكريم يلين إذا استعطف، واللئيم يقسو إذا ألطف، والكريم يجلب الكرام، ويصفح عن اللثام.

وفي المصباح المنير: كرم الشيء كرمًا نفس وعز فهو كريم واجمع كرام وكرماء والأثنى كريمة وجمعها كريمات وكرائم، وكرائم الأموال نفائسها وخيارها، واسم المفعول مكرم. (١٦)

وروي عن زيد بن ثابت أنه قال: ثلاث خصال لا تجتمع إلا في كريم: حسن المحضر، واحتمال الزلة، وقلت الملافة، وان كرام الناس أسرعهم مودة واقطعهم عداوة، وقيل: أكرم الناس من اتقى الله، والكريم التقي، والكريم لا يتعالى على الناس، والكرم فضل وشرف، فأكرم الناس اتقاهم وفي الذكر الحكيم: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (٢٦)، وفي الحديث النبوي: (أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ؟ قَالَ: أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَأَكْرَمُ

(١٦) - المصباح المنير ص ٣١٦.

(٢٦) - سورة الحجرات (١٣).

النَّاسِ يُوسِفُ نَبِيَّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ، قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: نَحْيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خَيْرُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَهَمُوا) (١٦). والله در المتنبّي حيث يقول:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ ... وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الكرم لا يكون حقوداً ولا حسوداً، ولا شامتاً، ولا باغياً، ولا ساهياً، ولا لاهياً، ولا فاجراً، ولا نفوراً، ولا كاذباً، ولا ملولاً، ولا يقطع إلفه، ولا يؤذي إخوانه، ولا يضيع الحفاظ، ولا يجفو في الوداد، يعطي من لا يرجو، ويؤمن من لا يخاف، ويعفو عن قدرة، ويصل عن قطيعة.

عن إبراهيم بن شكلة قال: (إن لكل شيء حياة وموتاً، وإن مما يحيي الكرم مواصلة الكرماء، وإن مما يحيي اللؤم معاشرته اللثام). وقال الشاعر:

رَأَيْتَ الْحَقَّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ ... لَصَاحِبِهِ وَيَنْكَرُهُ اللَّئِيمُ

إذا كان الفتى حسناً كريماً ... فكل فعاله حسن كريم

إذا ألفتته سمجاً لئيماً ... فكل فعاله سمج لئيم (٢٦)

(١٦) - البخاري في صحيحه باب لقد كان في يوسف واخوته حديث (٤٤١٢).

(٢٦) - روضة العقلاء ص (١٣٦-١٣٧).

٢٦.٢ خلق الكريم المحافظة على مكارم الأخلاق

خلق الكريم المحافظة على مكارم الأخلاق

الكريم يحافظ على الأخلاق الفاضلة، فهو محمود الأثر في الدنيا، مرضي العمل في العقبى، يحبه القريب والقاصي، ويألفه المتسخط والراضي، ويفارقه اللئام ويصاحبه العقلاء والكرام، والكريم يحفظ المروءة، ويقبل العثرة، ويتعفف عن الحرام، ولا يستطيل على اللئام، ولا يسن ما يعقب الوزر والإثم، ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم، وليس من عادة الكرام سرعة الانتقام، ولا من شروط الكرم إزالة النعم، والكريم من كبرت همته، لا من كبرت عمته فن كبرت همته كثرت قيمته، ومن كرم خلقه وجب حقه، ومن ساء خلقه ضاق رزقه، ومن أجاد السفيه سفه، ومن اعرض عن جوابه نبه، ومن قابل السخيف سخف، ومن كرم عن مقابلته شرف، وإذا كرمت السجيه حسنت الطوية، ومن كرم حلم، ومن تمام الكرم إتمام النعم، والكريم لا يستخف بشريف، ولا يميل إلى سخيف. وقد قيل: أن من مكارم الأخلاق الصون للعرض، والقيام للفرض، والأخذ بالفضل، والوفاء بالعهد، والانجاز بالوعد. وقيل: في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق، وقال الأصمعي: سمعت سيداً من قيس يقول لقومه: إنما أنا رجل منكم، ليس لي فضل عليكم، ولكن أبسط لكم وجهي، وأبذل لكم مالي، وأحفظ حريمكم، واقضي حقوقكم، وأعود مرضاكم، واتبع جنائزكم، فمن فعل هذا فهو مثلي، ومن زاد عليه فهو خير مني، ومن قصر عنه فانا خير منه. قيل له: فما حملك على هذا؟ قال: أحثكم على مكارم الأخلاق (١٧) .

(١٧) - انس المسجون وراحة المحزون ص (٢١٦) .

٢٦.٣ الكريم يكرم ضيفه

وإلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينتهي الكرم ومكارم الأخلاق، ويرحم الله القائل:

مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهُدِهِ ... لَوْلَا التَّشْهُدُ كَانَتْ لَاءَهُ نَعْمٌ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا ... إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكِرْمُ (١٧)

الكريم يكرم ضيفه

الكريم يكرم ضيفه، ويكرم أهله، ويكرم جاره، وفي الحديث النبوي قال رسول الله عليه وآله وسلم: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) (٢٧) ، وفي الأمثال السائرة: "أكرم من العذيق المرجب" والعذيق النخلة يكثر حملها فيجعل تحتها دعامة وتسمى الرجبة، ويقولون: رجبت النخلة، ونخلة مرجبة، وعذق مرجب، فيقول: هو في الكرم كهذه النخلة من كثرة حملها (٣٧) .

يروى لحاتم الطائي أنه قال:

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا ... وَمَا فِي إِيَّاكَ مِنْ شِيْمَةِ الْعَبْدِ
أَمَا مَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ فَهُوَ يَقُولُ:

طَعَامِي طَعَامِ الضَّيْفِ وَالرَّحْلُ رَحْلُهُ ... وَلَمْ يَلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مَقْنَعٌ
أَحْدَثُهُ إِنْ الْحَدِيثُ مِنَ الْقُرَى ... وَتَعَرَّفَ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ

(١٧) - ديوان الفرزدق، والبيتين في مدح الإمام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه، وهي تنطبق على الصفات والخلال

النبوية.

(٢٧) - البخاري في صحيحه باب اكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه حديث (٥٧٨٧) .

(٣٧) - مجمع الأمثال للميداني ج (١) ص (١٢٧) .

٢٦٠٤ الكرم يجود ولا يبخل

وقال آخر:

وأكرم الضيف إذا ما جاء يطرفني ... قبل العيال على عسري وإيساري

ويرى الأمير الصنعاني أن حق الضيف هو الإكرام والإعزاز فيقول:

وحق الضيف إكرام وعز ... ولا يلقي بهضم واهتضام

أما عبد الله بن مبارك فهو يرشد بإحضار الطعام وبذله لمن يأكله فيقول:

أحضر طعامك وبذله لمن أكلا ... واحلف على من أبي واشكر لمن فعلا

وما أروع ما قال عبد قيس بن خفاف البرجمي:

وَالضَيْفَ أَكْرَمُهُ فَإِنَّ مَبِيَّتَهُ ... حَقٌّ وَلَا تَكُ لُعْنَةً لِلنَّزْلِ

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الضَّيْفَ مُحِبُّرُ أَهْلِهِ ... بِمَبِيَّتِ لَيْلَتِهِ وَإِنْ لَمْ يُسَأَلْ

وَدَعِ الْقَوَارِصَ لِلصَّدِيقِ وَغَيْرِهِ ... كَيْ لَا يَرُوكَ مِنَ اللِّثَامِ العُزْلِ

وقد كان العرب يذمون من لا يكرم الضيف ويهجونه، وفي ذلك يقول الأخطل:

قَوْمٌ إِذَا اسْتَبَحَّ الأَضْيَافُ كَلِمَهُمْ ... قَالُوا لِأُمَّمِ بُولِي عَلَى النَّارِ

والكريم من يكرم ضيفه ويؤنسه، قال الشاعر:

يستأنس الضيف في آياتنا ابداً ... فليس يعلم خلق إينا الضيف

الكريم يجود ولا يبخل

الكريم يصل رحمه، ويحسن إلى أهله، ويواسي المسكين، ويبذل المال لمن طلبه في وجوه البر، قال الحسن بن علي رضوان الله عليهم اجمعين: الكرم:

٢٦٠٥ قصة لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم

٢٦٠٦ اللؤم ضد الكرم

التبرع بالمعروف قبل السؤال، والأطعام في الحل، والرأفة بالسائل مع بذل النائل. قال الشاعر:

سابذل مالي كلما جاء طالب ... واجعله وقفاً على القرض والقرض

فاما كريماً صنت بالجود عرضه ... واما لئيماً صنت عن لؤمه عرضي

قصة لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم

كان الرسول عليه الصلاة والسلام اجود الناس واسخاهم وقد اتاه رجل فسأله فأعطاه غنما سدّت ما بين جبلين فرجع الى قومه، وقال:

اسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة (١٧) . وما سئل شيئاً قط فقال لا (٢٦) . قال بكر بن النطاح:

كريمٌ إذا ما جئتَ طالبَ فضله ... حباك بما تحوي عليه أنامله

فلو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتيق الله سائله

وما بعثت في العالمين فضيلةً ... من المجد إلا مجده وفضائله

اللؤم ضد الكرم

يضاد الكرم اللؤم، فاللؤم صفة ذميمة، وخلة غير مستقيمة، واللئيم الدنيء الأصل، والشحيح النفس، والدنيء: الخسيس، فاحذر مجالسة اللئيم فالكرام لا يعاشرون اللئام قال الشاعر:

(١٦) - صحيح مسلم باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٤٢٧٥)

(٢٦) - صحيح البخاري باب حسن الخلق والسخاء حديث رقم (٥٥٧٤)

وَاحْذَرِ مُصَاحِبَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ ... يُعْذِي كَمَا يُعْذِي الصَّحِيحُ الْأَجْرَبُ (١٦)

أما عبد الله فرج فهو يقول:

وَاحْذَرِ مُصَاحِبَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ ... كَالْقَحْطِ فِي إِعْجَالِ خَيْرِ مُجْدِبِ

فالكرام لا يصاحب اللئيم خوفاً من اكتساب شيء من أخلاق اللئيم، لأن الكرم يترفع عن اللؤم قال الشاعر:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُدْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عَرَضَهُ ... فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ

وَإِنْ هُوَ لَمْ يَجْمَلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمًا ... فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلٌ

إِذَا سَيِّدٌ مَنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ ... قَوْلٌ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولٌ (٢٦)

أما أبو العتاهية فهو يرى أن من لم ينفع الناس ولم يأمنوا أذاه فهو لئيم وذلك حيث يقول:

وإن امرأ لم يربح الناس نفعه ... ولم يأمنوا منه الأذى للئيم

وقال آخر:

لا تطلبن إلى لئيم حاجة ... واقعد فانك قائماً كالقاعدي (٣٦)

والكرام يعرف الحق، واللئيم ينكره، والكرام فعاله حسنة، واللئيم فعاله سمجة منتنة، والكرام يفى بالعهد والوعد، واللئيم يغدر ويفجر

ويخون قال الشاعر:

ما بال قوم لئام ليس عندهم ... عهد وليس لهم دين إذا أئمنوا

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً ... مني وما سمعوا من صالح دفنوا

(١٦) - هو في ديوان صالح بن عبد القدوس، وأورده الدميري في حياة الحيوان الكبرى من غير أن ينسبه إليه.

(٢٦) - هذه الأبيات تنسب للسؤال بن عدي.

(٣٦) - عيون الاخبار لابن قتيبة ج (٣) ص (١٣٥) .

٢٦٠٧ الكرم والبخل لا يتفقان

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به..... وإن ذكرت بسوء عندهم اذنوا (١٦)

أما المتوكل اللبي فهو يقول:

إِنَّ الْأَذْلَةَ وَاللَّثَامَ مَعَاشِرٌ ... مَوْلَاهُمُ الْمُتَهَمُّ الْمَظْلُومُ

وَإِذَا أَهَنْتَ أَخَاكَ أَوْ أَفْرَدْتَهُ ... عَمْدًا فَأَنْتَ الْوَاهِنُ الْمَذْمُومُ

لَا تَتَّبِعْ سُبُلَ السَّفَاهَةِ وَانْحَنَّا ... إِنَّ السَّفِيهَ مَعْنَفٌ مَشْتُومٌ

وَأَقِمْ لِمَنْ صَافَيْتَ وَجْهًا وَاحِدًا ... وَخَلِيقَةً إِنَّ الْكَرِيمَ قَوْمٌ

لَا تَنْهَ عَن خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

وفي أمثال العرب السائرة: "الأم من راضع اللبن" راضع اللبن: هو رجل من العرب كان يرضع اللبن من حلمة شاته ولا يحلبها مخافة أن يسمع وقع الحلب في الإناء فيطلب منه، فمن هنا قالوا: لثيم راضع، وقال رجل يصف ابن عم له بالبعد من الإنسانية والمبالغة في التوحش والإفراط في البخل:

أحب شيء إليه أن يكون له ... حلقوم واد له في جوفه غار
لا تعرف الريح ممساه ومصبحه ... ولا تشب إذا أمسى له نار

لا يحلب الضرع لؤماً في الإناء ولا ... يرى له في نواحي الصحن اثار (٢٦)
الكرم والبخل لا يتفقان

كرم الشيء كرمًا نفس وعز فهو كريم والجمع كرام وكرماء، والأثنى كريمة وجمعها كرىمات وكرائم (٣٦) ، وكرام الرجال أكثرهم خيراً، وأشرفهم

(١٦) - الموسوعة الشعرية ص (٢٨٤) .

(٢٦) - مجمع الأمثال للميداني ج (٢) ص (٢٥١) .

(٣٦) - المصباح المنير ص (٣١٦) .

نفساً، وأكثرهم برأ، وأجملهم صفحاً، وأكثرهم عطاءً، فإن البخل في الشرع منع الواجب، وعند العرب منع السائل مما يفضل عنده (١٦) ، والبخل مذموم صاحبه، يوصف به اللئيم ويتعالى عنه الكريم، فمن كان ذا فضل ومال وبخل به عند الحاجة إليه استغني عنه قال الشاعر:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَعْنَى عَنْهُ وَيَذْمَى
وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرَضِهِ ... يَقْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يَشْتَمُ (٢٦)

أما الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه يرى أن البخل شر الآفات فيقول:

إِذَا اجْتَمَعَ الْآفَاتُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا ... وَشَرُّ مِنَ الْبُخْلِ الْمَوَاعِيدِ وَالْمَطْلُ (٣٦)

وفي أمثال العرب السائرة: "أبخل من مادر" وهو رجل من بني هلال ابن عامر بلغ ببخله أنه سقى أبله فبقي في أسفل الحوض ماء قليل، فسبح فيه ومدد الحوض به، فسمي مادر لذلك، واسمه مخارق، وفي الأمثال أيضاً: "البخل من الضنين بنائل غيره" مأخوذ من قول الشاعر:

(١٦) - المصباح المنير ص (٢٨) .

(٢٦) - ورد هذان البيتان في ديوان زهير بن أبي سلمى ص (٨٠) ، وفي شرح المعلقات السبع منسوبة إلى زهير، وورد البيت الأول في ديوان مصطفى صادق الرافعي ضمن قصيدة مطلعها:

بلادِي هَوَاهَا فِي لِسَانِي وَفِي دَمِي ... يَجِدُّهَا قَلْبِي وَيَدْعُو لَهَا فِي
وَجَاءَ بَعْدَهُ الْبَيْتُ الثَّانِي الْمُنْسُوبُ لَزَهَيْرٍ:

وَمَنْ يَتَقَلَّبُ فِي النِّعَمِ شَقِيٌّ بِهِ ... إِذَا كَانَ مِنْ آخَاهُ غَيْرُ مَنْعَمٍ
وهو جميل ولعل الرافعي قد أورد البيت:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ ... عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَعْنَى عَنْهُ وَيَذْمَى ... (على سبيل التضمين) .

(٣٦) - ورد هذا البيت في ديوان الإمام علي ص (١٨٥) ، وفي الموسوعة الشعرية منسوب إليه أيضاً، وورد أيضاً منسوباً إلى دعبل الخزاعي كما في ديوانه، وورد أيضاً منسوباً إلى علي بن الجهم، ومنسوباً أيضاً إلى الاقيشر الاسدي، والله اعلم.

وَإِنَّ امْرَأً ضَمَّتْ يَدَاهُ عَلَى امْرِئٍ ... بِنَيْلِ يَدٍ مِنْ غَيْرِهِ لَبَّخِيلٌ (١٦)

ومن أمثال العرب: "ما عنده خير ولا مير سواء هو العدم"، يضرب للبخیل الذي إذا نزلت به كأنك نازل بالبلاء والموحلة، ومنه قولهم: "ما تبل إحدى يديه الأخرى".

وقولهم: "البخیل يعتل بالعسر"، ومنه قولهم: "قبل البكاء كان وجهك عابساً"، ومنه: "قبل النفاس كانت مصفرة".

وقولهم: "اغتم ما يعطي البخیل وإن قل"، ومنه: "خذ من الرضفة ما عليها، وخذ من جذع ما أعطاك".

وقولهم: "البخیل يمنع غيره ويجود على نفسه"، ومنه قولهم: "سمنكم هريق في أديمكم"، ومنه: "يا مهدي المأل كل ما أهديت"، ومنه قول العامة: "الحمار جبله والحمار أكله".

وقولهم: "مات البخیل وماله وافر"، ومنه: "مات فلان عريض البطن، ومات ببطنته لم يتفضض منها شيء".

وقولهم: "البخیل يعطي مرة"، ومنه قولهم: "ما كانت عطيته إلا بيضة العقر. وهي بيضة الديك. قال الزبير: الديك ربما باض بيضة، وأنشد لبشار:

قد زرتني زورة في الدهر واحدة ... ثم ولا تجعلها بيضة الديك
ومنه قول الشاعر:

(١٦) - العقد الفريد ج ٣ ص ٥٢.

لا تعجن نخب زل عن يده ... فالكوكب النحس يسقي الأرض أحيانا (١٦)

ومنه قولهم: "من الخواطي سهم صائب". (٢٦)

أما إسحاق الموصلي فهو يرى أن البخل يزري بأهله وأن الناس يجعلون خلتهم وصدقاتهم للكرام وأن البخیل لا خليل له فيقول:

وأمره بالبخل قلت لها اقصري ... فذلك شيء ما إليه سبيل

أرى الناس خلان الكرام ولا أرى ... بخيلاً له حتى الممات خليل

وإني رأيت البخل يزري بأهله ... فأكرمت نفسي أن يقال بخیل

والبخل مذموم وصاحبه منحوس مشؤم، ومادح البخیل نادم قال الشاعر:

لا يُحمد البخل أن دان الأنام به ... وحامد البخل مذموم ومدحور (٣٦)

ويرى الإمام الشافعي رحمه الله انه لا يرجا السماح من اللئيم البخیل وذلك حيث يقول:

ولا ترج السماح من بخیل ... فما في النار للظمان ماء

ولما كان البخل بهذه المكانة الشنيعة فقد نهت عنه الشريعة، لأنه يفضي إلى القطيعة، ويقضي على المودة بين الناس، فالبخیل يمنع

الواجب، ولا تسمح نفسه الدنيئة ببذل شيء من ماله لمساعدة الضعفاء والفقراء، فتمتلئ قلوبهم حقداً عليه.

(١٦) - البيت للخليل بن احمد، خاص الخاص ص ٢٢.

(٢٦) - العقد الفريد ج ٣ ص ٧٧.

(٣٦) - وردت هذه الايات في ديوان علي بن الزقاق ص (١٨٥)، وفي الموسوعة الشعرية ص (١٦٤).

وإذا فشا البخل في امة كانت نتيجته انهيار روح التعاون بين أفراد المجتمع، ولهذا نفر الله من البخل في القرآن وجاء في سورة آل

عمران: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١٦)، وقد وعد الله من يتخلص من هذه الرذيلة بالفلاح والفضيلة وفي الذكر الحكيم:

{وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٢٦).

والبخل على شدة تعلقه بالمال يبقى معوزاً، لان جمع المال مع عدم الانتفاع به ضرب من الفقر وقد أدرك هذه الحقيقة بعض الشعراء

فقال:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله ... مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقال بعضهم: "الناس من خوف الفقر في فقر".

وفي الذكر الحكيم: {هَاتَمٌ هَوْلًا تَدْعُونَ لِنَفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَنْ يَخْلُ مِنْ يَخْلُ وَمَنْ يَخْلُ فِيمَا يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَبَدَّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ} (٣٦) .

الكرم أفضل ما يقتنى

قال أبو حاتم رضي الله عنه: أجمع أهل التجارب للدهر، وأهل الفضل في الدين، والراغبون في الجميل: على أن أفضل ما اقتنى الرجل لنفسه في

(١٦) - سورة آل عمران (١٨٠) .

(٢٦) - سورة الحشر (٩) .

(٣٦) - سورة محمد (٣٨) .

٢٦٠٨ نخر الرجال كرمهم

الدنيا، واجل ما يدخر لها في العقبى هو لزوم الكرم، ومعاشرة الكرام، لان الكرم يحسن الذكر، ويشرف القدر، وهو طباع ركبها الله في بني آدم، فن الناس من يكون أكرم من أبيه، ... وربما كان الأب أكرم من ابنه، وربما كان المملوك أكرم من مولاه، ورب مولى أكرم من مملوكه، قال الشاعر:

رب مملوك إذا كشفته ... كان من مولاه أولى بالكرم

فهو ممدوح على أحواله ... وترى مولاه يهجي ويذم

وتراه كيف يعلو دائماً؟ ... وترى مولاه من تحت القدم

وفتى تلقى اباه دونه ... وaba تلقاه اعلى واتم

من بنيه، ثم لا يعتلُّ ان ... طلب المعروف منه بالصمم

وكذلك الناس -فاعلم- ربنا ... قدر الاخلاق فيهم وقسم (١٦)

نخر الرجال كرمهم

الكرم هو الصنعة والعطاء والبذل والسخاء، واصطناع المعروف، والكرم يجازي على الصنعة ويثني على من يولي الجميل، وليس كرم الرجال بصباحة وجوههم. قال الشاعر:

وما عظم الرجال لهم بفخر ... ولكن نخرهم كرم وخير (٢٦)

أما المتنبى فهو يقول:

وما الحسنُ في وجهِ الفتى شرفاً له ... إذا لم يكن في فعله والخلايق

(١٦) - روضة العقلاء ص (١٣٨) .

(٢٦) - من شعر الحكمة لعباس بن مرداس .

٢٦٠٩ الأكرم الكرم في أسماء الله الحسنى

أما ابن غريص فهو يقول:

إرفع ضعيفك لا يجربك ضعفه ... يوماً فتدركه عواقب ما جنى

يجزيك أو يثني عليك وإن من ... أثنى عليك بما فعلت كمن جزي

إن الكرم إذا أراد وصالنا ... لم يلف حبل واهياً رث القوى

أرعى أماته وأحفظ غيبه... جهدي فيأتي بعد ذلك ما أتى (١٦) ويرى أمية بن أبي الصلت أن الكريم لا يغيره مرور الوقت فيقول:
كريم لا يغيره صباح... عن الخلق السني ولا مساء
فأرضك كل مكرمة بناها... بنو تيم وأنت لها سماء
إذا أثنى عليك المرء يوماً... كفاه من تعرضه الشاء
الأكرم الكريم في أسماء الله الحسنى

إن الله جل وعلا أكرم الأكرمين، فهو الذي يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق، ويتبرع بالإحسان من غير سؤال، والكريم هو الذي يعطي الكثير ويعفو عن التقصير، وقد قيل: إن من كرم عفوهُ أن العبد إذا تاب بعد السيئة عفا عنه وكتب له مكانها حسنة وذلك في كتاب الله: {إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً} (٢٦) ، والكريم والأكرم تتقارب معانيها وقد وردا في القرآن ففي سورة الانفطار:

(١٦) - اورد هذه الايات ابن ابي الدنيا في قضاء الحوائج ص (٧١) ، ورويت هذه الايات لزهير بن جناب الكلبي، وايضا روية لورقه بن نوفل، والله اعلم.

(٢٦) - سورة الفرقان (٧٠) .

{ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ } (١٦) ، وفي سورة النمل: { قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ } (٢٦) .

أما اسمه سبحانه الأكرم فقد ورد في سورة العلق قال تعالى: { اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } (٣٦) ، قال ابن تيمية في تفسير ذلك: سمي ووصف نفسه بالكرم، وبأنه الأكرم، بعد إخباره أنه خلق ليتبين انه ينعم على المخلوقين ويوصلهم إلى الغايات المحمودة، ولفظ الكرم جامع للمحاسن والمحامد لا يراد به مجرد الإعطاء بل الإعطاء من تمام معناه، فإن الإحسان إلى الغير تمام المحاسن، والكرم كثرة الخير ويسرته، والله سبحانه أخبر أنه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها، فدل على أنه الأكرم وحده بخلاف ما لو قال: (وربك أكرم) فانه لا يدل على الحصر، وقوله: (الأكرم) يدل على الحصر ولم يقل: (الأكرم من كذا) بل أطلق الاسم، ليبين انه الأكرم مطلقاً غير مقيد فدل على انه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه (٤٦) .

وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: الرحمن، الرحيم، البر، الكريم، الجواد، الرؤوف، الوهاب؛ هذه الأسماء

(١٦) - سورة الانفطار (٦) .

(٢٦) - سورة النمل (٤٠) .

(٣٦) - سورة العلق (٣-٥) .

(٤٦) - فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٩٣/١٦-٢٩٦ - بتصرف يسير-، وشرح اسماء الله الحسنى ص (١٥١-١٥٢) .

٢٦٠١٠ ثمرة معرفة اسم الله الكريم الأكرم

تتقارب معانيها، وتدل كلها على اتصاف الرب بالرحمة، والبر، والجود، والكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه التي عم بها جميع الوجود بحسب ما تقتضيه حكمته (١٦) .

وبهذا يتضح أن الكريم والأكرم يؤديان معنى واحداً وهو كرم الله تعالى وجوده، وانه سبحانه وتعالى أكرم الأكرمين لا يوازيه كرم ولا يعادله فيه نظير، سبحانه وتعالى ليس كمثل شيء وهو السميع البصير.
ثمرة معرفة اسم الله الكريم الأكرم

إذا عرف المكلف أن ربه كريم، وانه أكرم الأكرمين، وانه يعطي بغير حساب، ويبتدئ بالنعمة، ويعفو عن السيئات، وانه واهب الإنسان كل خير، وانه المتفضل عليه بجميع النعم، وجب عليه أن يؤمن أن الله تعالى أكرم الأكرمين لا يوازيه كرم ولا يعادل فيه نظير، وان يتخلق بخلق كريم في جميع أقواله وأفعاله التي يحب الله أن يكون الإنسان فيها كريماً، وان يتحلى بالكرم والجود والسماحة. فالؤمن كما ورد في الحديث النبوي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الْمُؤْمِنُ غَرٌّ كَرِيمٌ وَالْفَاجِرُ حَبٌّ لَيْمٌ) (٢٦) فالواجب على المؤمن أن يتعدى عن اللؤم والدناءة، فالؤمن الحق يطمع في إثارة جود الله وكرمه، فيجود بكل ما يقدر عليه من مال وجاه وعلم

(١٧) - نقل ذلك العلامة سعيد بن علي القحطاني في كتابه شرح أسماء الله الحسنى ص (١٥٠) .

(٢٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب في حسن العشرة حديث (٤٧٩٠) ، والترمذي في سننه باب ماجاء في البخيل حديث (١٩٦٤) .

٢٦٠١١ دعاء الله باسمه الكريم

وحكمة وبر ومساعدة وتعاون على البر والتقوى فنفس المؤمن كريمة تجود في أعمال البر كلها، والمؤمن أخلاقه حسنة كريمة، فهو كريم الأخلاق في نفسه، وكريم الأخلاق مع أهله وولده، وكريم في تعامله مع الناس، وكريم في عطائه، بعيد عن الدناءة واللؤم، فهو يقبل العثرات ولا يتتبع العورات، ومن أعظم كرمًا من الله الذي إن أتاه عباده بالطاعة اليسيرة أعطاهم الثواب الجزيل، وشرفهم بالثناء الجميل، فكم له من نعم على العباد في كل يوم صادرة، ومن وخيرات دارة وفي الذكر الحكيم: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (١٧) .

دعاء الله باسمه الكريم

يا الله يا كريم يا بار يا جواد يا رحمن يا رحيم، نسألك اللهم أن تصلي على محمد خاتم الانبياء والمرسلين وان تكرمنا والمؤمنين من خيرك وبرك برزق واسع حلال، وأن نتكرم علينا بالفردوس الأعلى في الجنة، وبرضاك عنا في الآخرة والحياة الدنيا، وأن تمطر علينا من سماء جودك أحب الآلاء، وأن تجعل أخلاقنا كريمة، وأن توفقنا إلى كل عمل تحبه وترضاه يا كريم، وأن تكرمنا والمسلمين أجمعين باتباع نهج نبيك محمد عليه وعلى وآله أفضل الصلاة والتسليم، وأن تكرمنا والمؤمنين بالعفو والعافية يا بر يا جواد يا أكرم الأكرمين يا رحمن يا رحيم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١٧) - سورة النحل (١٨) .

وصلى الله وسلم على محمد وآله الميامين وأصحابه المنتجبين وتابعيهم بإحسان من إخواننا المؤمنين يا أكرم الأكرمين. وقد أحسن القائل:

قَفِّ بِالْخُضُوعِ وَنَادِرْبِكَ يَا هُوَ ... إِنَّ الْكَرِيمَ يَجِيبُ مَنْ نَادَاهُ

وَاطْلُبْ بِطَاعَتِهِ رِضَاهُ فَلَمْ يَزَلْ ... بِالْجُودِ يَرْضَى طَالِبِينَ رِضَاهُ

وَاسْأَلْهُ مَسْأَلَةً وَفَضْلًا إِنَّهُ ... مَبْسُوطَانِ لِسَائِلِيهِ يَدَاهُ

وَاقْصِدْهُ مَنْقَطَعًا إِلَيْهِ فَكُلُّ مَنْ ... يَرْجُوهُ مَنْقَطَعًا إِلَيْهِ كَفَاهُ

شَمِلَتْ لَطَائِفَهُ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا ... مَا لِلْخَلَائِقِ كَافِلٌ إِلَّا هُوَ (١٧)

وما أروع ما قاله ابو مسلم العماني:

إلى كرم الله الكريم وجوده ... أوجه آمالي وأوفد رغبتي
 بباب الكريم الأكرم المكرم الذي ... له مطلق الإكرام أنزلت بغيتي
 بباب كريم الذات قدراً ورفعة ... كريم الصفات الطاهرات الزكية
 بباب كريم العفو عن أي مذنب ... بباب كريم الجود قبل الوسيلة
 بباب الكريم المطلق النفع والجداء ... بباب الكريم المبتدي بالعطية
 بباب الكريم المجزل الفيض والعطا ... بدون سؤال العبد من غير منة
 بباب كريم لم يقنط عصيه ... بباب كريم لا يبالي بنعمة
 بباب كريم لم يضع متوسلاً ... ولا لاجياً سبحانه بمضيعة
 بباب كريم الفعل من غير حاجة ... بباب كريم جابر كل خلة
 ببابك يا من بابه وجهة الرجا ... وإن قبحت بيني وبينك سيرتي
 فإكرم مقامي بالذي أنت أهله ... وما أنت أهل يا كريم لخيتي

(١٦) - ديوان البرعي.

٢٧ الفصل السادس والعشرون العدل

٢٧٠١ العدل

الفصل السادس والعشرون

العدل
 العدل

العدل: في اللغة: الاعتدال والاستقامة والميل الى الحق، واصطلاحاً: الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محذور ديناً. اما في اصطلاح الفقهاء: العدالة استواء احوال الانسان في دينه واعتدال اقواله وافعاله. وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (١٦) وفي سورة الشورى يقول الحق سبحانه وتعالى: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ نَحْوِ مَا أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} (٢٦) والعدل من المثل العليا وهو صفة جميلة، وخلة حميدة، وهو اسم من أسماء الحق تبارك وتعالى تقدرت بالجلال والكمال اسماؤه، والعدل صفة من صفات العلي المتعالي تنزهت عن التأويل والتبديل صفاته، والعدل اسم لشريعة الله وحكمه، قال تعالى: {وَوَسَّاتُ كَلِمَاتٍ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (٣٦) ، وبالعدل أمر الله قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (٤٦) ، والعدل واحد من أغلى وأسمى مقومات الحياة، والعدل مبدء أساسي دبر به رب الكون نظامه، وأسس عليه وجوده ودورانه،

(١٦) - سورة النساء اية (٥٨) .

(٢٦) - سورة الشورى (١٥)

(٣٦) - سورة الأنعام (١١٥) .

(٤٦) - سورة النحل (٩٠) .

والعدل رسالة رب الأرض والسماء، وتحقيقه واحد من مهمة الرسل والأنبياء، والعدل وطيدة الحكم الصالح ودعامته المتينة، والعدل له معنى جليل تطمئن إليه النفوس، وترتاح إليه الأفتدة، وبه تصان القيم، وتستقر المبادئ، ويتضاعف شعور المواطن بالانتماء إلى وطنه، وبالعدل يعلو بناء الإنسان، وبه يصر دمعه وماله وعرضه، وقديماً قيل: بالعدل ثبات الأشياء، وبالجزور زوالها، ونسب لاسكندر انه قال لجماعة من الهند: لم صارت شُرط بلادكم قليلة؟ قالوا: لاعطائنا الحق من أنفسنا، ولعدل ملوكنا وحسن سيرتهم فينا. فقال لهم: أيهما أفضل العدل أم الشجاعة؟ قالوا: إذا ستعمل العدل، استغنى عن الشجاعة، وقيل: العدل ميزان الباري، ولذلك كان مبراً من كل زيغ وميل، وقيل لأنوشروان: أي الجنن أقوى؟ قال: الدين، قيل: فأبي العدد أقوى، قال: العدل، وقيل لأردشير: من الذي لا يخاف احداً؟ قال: الذي لا يخافه احد. فمن عدل في حكمه، وكف عن ظلمه نصره الحق، وأطاعه الخلق، وصفت له النعمى، وأقبلت عليه الدنيا، فتهناً بالعيش، واستغنى عن الجيش. وملك القلوب، وأمن الحروب. وصارت طاعته فرضاً، وظلت رعيته جنداً. وأن أول العدل أن يبدأ المرء بنفسه، فيلزمها كل خلة زكية، وخصلة رضية. ومذهب سديد، ومكسب حميد، لتسلم عاجلاً، وتسعد آجلاً. وأول الجزور أن يعمد إليها، فيجنبها الخير، ويعودها الشر، ويكسبها الآثام، ويعقبها المذام، فيعظم وزرها، ويقبح ذكرها (١٦). قال الشاعر:

عَلَيْكَ بِالْعَدْلِ إِنْ وُلِّيتَ مَمْلَكَةً ... واحذر من الجزور فيها غاية الحذر

(١٦) - الفرائد والقلائد ص (٤-٦) .

٢٧٠٢ العدل في الكلام

فَالْعَدْلُ يُبْقِيهِ أُنَى احْتِلَّ مِنْ بَلَدٍ ... وَالْجَوْرُ يَفْنِيهِ فِي بَدْوٍ وَفِي حَضْرٍ (١٦)

أما الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهو يقول:

أَدِّ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَانَةَ فَاجْتَنِبْ ... وَأَعْدِلْ وَلَا تَظَلِّمْ يَطِيبُ الْمَكْسَبُ (٢٦)

ويرى صالح بن عبد الله بن مغفل أن الجزور في الناس لا تخفى معاملة، فيقول:

والجزور في الناس لا تخفى معاملة ... والعدل من دنه الاستار والظلم

العدل في الكلام

والعدل في الكلام يحفظ الإنسان، ويعزز مكانة المتكلم بين الاخوان، وقد جاء في القرآن: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (٣٦)، فمن لم يكن عادلاً في كلامه تسبب في قطيعة أرحامه، ومعاداة اخوانه، ومن الإنصاف أن تنصف أخاك وتكف أذاك، قال الشاعر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ ... عَلَى طَرْفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ

أما المتنبي فهو يقول:

وَلَمْ تَزَلْ قَلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً ... بَيْنَ الرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمٍ

- (١٦) - ديوان أبي الفتح البستي ص (٨١)، والموسوعة الشعرية ص (٢٣٠) .
- (٢٦) - ديوان الامام علي ص (٥٠) .
- (٣٦) - سورة الأنعام (١٥٢) .

٢٧٠٣ العدل في الشهادة

العدل في الشهادة

إن ميزان العدل يجب أن لا يميل مع الهوى، ولا يتزحج مع العصبية، ولا يتأرجح مع العداوة، ولا يحيف مع الشئان وفي الذكر الحكيم: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُكُمْ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (١٦) ، وفي سورة النساء: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } (٢٦) .
العدل في الولاية

من عدل في ولايته ظفر بغايته، وأمن في بداية أمره ونهايته، وفي الحديث النبوي: (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّمَا يَدِيهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا) (٣٦) .
ومما نسب إلى انوشروان انه قال: ما عدل من جار وزيره، ولا صلح من فسد مشيره، ومما يعين على العدل اصطناع من يؤثر التقى، واطراح من يقبل الرشا، واستكفاء من يعدل في القضية، واستخلاف من يشفق على الرعية.

(١٦) - سورة المائدة (٨) .

(٢٦) - سورة النساء (١٣٥) .

(٣٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب فضيلة الامام العادل حديث (١٨٢٧) .

٢٧٠٤ وصف الحسن البصري للإمام العادل

وقال الأحنف بن القيس: من ظلم نفسه كان لغيره اظلم، ومن هدم دينه كان لمجده اهدم (١٦) .
وقديماً قيل: العدل نتيجة العقل، والنفو نتيجة الشرف، ومن عدل في سلطانه استغنى عن أعوانه، والعدل ميزان الله وضعه للخلق، ونصبه للحق، فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعد حدوده وأحكامه، وفي الذكر الحكيم النبا اليقين قال تعالى: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } (٢٦) .
وقال الشاعر:

أرى العدل عند الناس مثل حروفه ... غدا مهملا لا يشغلون به جولا
ولكنه عند العزيز شريعة ... منزلة لن تقبل الدهر تبديلا
لقد جمل الدنيا به خالق الورى ... وكل أحكام السياسة تكميلا (٣٦)

وصف الحسن البصري للإمام العادل

لقد أورد ابن عبدربه في العقد الفريد رسالة الحسن البصري إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، وقد أجاد وأفاد في وصف الإمام العادل فقال: "إعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر،

(١٦) - الفرائد والقلائد ص (٧) .

(٢٦) - سورة الحديد (٢٥) .

(٣٦) - وردت هذه الايات في ديوان احمد فارس الشدياق.

وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المراعي، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً، ويعلمهم كباراً؛ يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها، حملته كرها، ووضعت كرها، وربته طفلاً تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتقطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته. والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغيروهم،

ويمون كبيرهم. والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح، تصلح الجوارح بصلاحيه، وتفسد بفساده والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويربهم، وينقاد إلى الله ويقودهم. فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله عز وجل كعبد أئمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرذ العيال، فأفقر أهله وفرق ماله، واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاها من يليها! وأن الله أنزل القصص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم! واذكري يا أمير المؤمنين الموت وما بعده، وقلة أشياعك عنده، وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفرع الأكبر، واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه،

يطول فيه ثوائك، ويفارقك أحباؤك، يسلمونك في قعره فريداً وحيداً. فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه واذكري يا أمير المؤمنين "إذا بعث ما في القبور. وحصل ما في الصدور"، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فالآن يا أمير المؤمنين وأنت مهمل قبل حلول الأجل، وانقطع الأمل. لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين؛ فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فتبوء بأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالاً مع أثقالك. ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك، وبأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك. ولا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم. إني يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلغ بعضتي ما بلغه أولو النهى من قبلي، فلم آك شفقة ونصحاً، فأنزل كتابي إليك كهداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريمة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة. والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته" (١٦) .

ولله در القائل:

ما كان أهدأنا بالاً وأحسننا ... حالاً وأبعدنا عن كل عدوان
إذ الحكومة عدلٌ في يدي ملكٍ ... صافي السريرة ذي رفق وإيمان

(١٦) - العقد الفريد لابن عبد ربه ج (١) ص (٩-١٠) .

٢٧٠٥ العدل في القضاء بين الناس

ثمسي ونصبح في حرية ولنا... على صروف الليالي كل سلطان (١٦)

العدل في القضاء بين الناس

القضاء قيس من نور الله الحق. لانه القوام على اقامة العدل. به بعث الله انبياءه ورسله. ليقوموا حجته على خلقه. قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} من سورة الحديد، فالكتاب والميزان نزلا من عند الله أعدل الحاكمين، وبهما بعث الانبياء والرسل واستخلفهم واتباعهم في الارض، ليعلموا كلمته، ويسيروا حكمه، ويحققوا عدله، الذي قامت به الأرض والسماوات، ولهذا كان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة كما يقول الخليفة العادل عمر بن الخطاب في مستهل رسالته الى ابي موسى الأشعري حين ولاه قضاء الكوفة، فقد حمل القضاء امانة تحقيق العدل، والى ساحته يهرع الناس جميعا يلتمسون فيه العدل والنصفة فالناس كلهم في ساحته سواء، لا قوي لديه ولا ضعيف، ولا شريف امامه ولا مشروف، لا يرهب احد من قوته ولا يستخف بحق احد لهوانه وضعف حيلته، فهو حصن الامان لمن داهمه الخواف، وهو سيف الحق يتر كل يد تمتد الى حرمت الناس، لتهدر دماءهم او تهتك أعراضهم، او تستبيح مالهم، او توهن من عزائمهم، في اتباع لمعروف او نهي عن منكر، ويرحم الله ابا بكر الصديق حيث يقول: الا ان اقوامك الضعيف حتى اخذ الحق له، واضعفكم

(١٦) - ديوان احمد الكاشف.

القوي عندي حتى اخذ الحق منه، ورضي الله عن عمر بن الخطاب حيث خاطب ابا موسى الاشعري: بقوله سو بين الناس في وجهك وعدلك، ومجلسك، حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك.

فالعدل أساس الملك، والعدل أساس الحكم، وإذا كان العدل لا يتحقق من تلقاء نفسه، إذ ليس للإنسان أن يقضي لنفسه بنفسه وإنما تحقيق العدل هو واجب الدولة ورسالتها ينقطع لفرائضه، ويصبر على مناسكه، ويتجرد له القضاء نظاماً شاملاً متكاملماً مستقراً مستقلاً محايداً، ويسعى به حثيثاً بين الناس فكان لا بد من إحياء هذه الفريضة إعلاءً لرسالة العدل، والعمل على ضمانته استقلاله، فالقضاء دون ضمانات تؤكد استقلال رجاله لا يعد بقضاء عادل، وإنما هو انصياع لمركز القوة في الخصومة.

وفي محكم التنزيل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (١٦) .

فمن قضى بالعدل سلم، ومن مال عن العدل هلك وندم، قال الشاعر:

إِذَا خَانَ الْأَمِيرُ وَكَاتَبَهُ ... وَقَاضِي الْأَرْضِ دَاهَنَ فِي الْقَضَاءِ

فَوَيْلٌ لِّمَنْ وَبِيلٌ لِّمَنْ وَبِيلٌ ... لِقَاضِي الْأَرْضِ مِنْ قَاضِي السَّمَاءِ

وَإِنْ كَانَ الْوِدَادُ لِدِي وَدَادٍ ... يَزْحِزُّهُ عَنِ الْحَقِّ الْجَلَاءِ

فَلَا أَبْقَاهُ رَبُّ الْعَرْشِ يَوْمًا ... وَكَلَّهُ بِمِيلٍ مِنْ عَمَاءِ (٢٦)

(١٦) - سورة النساء (٥٨) .

(٢٦) - وردت هذه الايات في ديوان الإمام الشوكاني رحمه الله، وقد ورد البيتان الاولان في امالي الزجاجي تحقيق عبد السلام هارون دار الجيب بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ، وفي المستطرف للابشيبي منشورات دار الندوة بيروت لبنان، من دون نسبة إلى قائل معين والله سبحانه وتعالى اعلم، والموسوعة الشعرية ص ٥٣٤.

٢٧٠٦ قصة رواها الأمام علي بن ابي طالب رضي الله عنه

٢٧٠٧ قصة روتها خولة بنت قيس

فالقضاة هم ضمير امتهم ورمز ارادتها ومعقد رجائها في اعلا كلمة الحق والعدل، التي اودعها خالقهم امانه مقدسة بين ايديهم لينطقوا في امرها بعد بذل الجهد ولهذا كان القاضي هو الركيزة الاساسية التي تقوم عليها خدمة العدالة في أي نظام قضائي فتحقيق العدالة يتوقف اساسا على حسن وسلامة ودقة من يتولى القضاء فإذا اسئ اختيار القاضي ضاع العدل، فقاض عادل وامام فاضل خير من مطر وابل، وفي الأمثال السائرة: عناية القاضي خير من شاهدي عدل، ومن لم يرض بحكم موسى رضي بحكم فرعون، وقال الشاعر:

ظهور العدل يحو كل شر ... إذا جاء الصباح مضى الظلام

وفي أمثال العرب: إذا كذب القاضي فلا تصدقه، ومن خصمه القاضي الى من يشتكي (١٦) ، فاذا تركت عملية اختيار القاضي للأهواء فقد عمت البلوى وكيف يحقق العدل غير الأكفاء الذين لا يقدرون خطورة الرسالة ولا يباليون بثقل الأمانة، وليس شيء اضر بالعدالة من ان يقوم عليها من لا يدرك كنهها او لا يشعر بقدسيته. قال الشاعر:

وكنا نرجي ان نرى العدل ظاهرا ... فأعقبنا بعد الرجاء قنوط

متى تصلح الدنيا ويصلح اهلها ... وقاضي قضاة المسلمين يلوط (٢٦)

ورحم الله شوقي حيث يقول:

رَبِّوا عَلَى الْإِنصَافِ فِتْيَانِ الْحَمِي ... تَجِدُوهُمْ كَهْفَ الْحُقُوقِ كُهُولَا

فَهُوَ الَّذِي يَبْنِي الطِّبَاعَ قَوِيمةً ... وَهُوَ الَّذِي يَبْنِي النُّفُوسَ عُدُولاً وَيُقِيمُ مَنطِقَ كُلِّ أَعْوَجٍ مَنطِقِي ... وَيُرِيهِ رَأْيًا فِي الْأُمُورِ أَصِيلًا وَقَالَ آخِرُ:

والخصم لا يرتجى النجاح له ... يوماً إذا كان خصمه القاضي (٣٦)

ويرحم الله ابن عطية حيث يقول:

لا يثبت الحق المبين لحاكم ... في الحق حتى ينطق الخصمان (٤٦)

قصة رواها الإمام علي بن ابي طالب رضي الله عنه

عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: (بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ وَيُنْبِتُ لِسَانَكَ فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ انْخَصِمَانِ فَلَا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخِرِ كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ، قَالَ: فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا أَوْ مَا شَكَّكْتُ فِي قَضَاءٍ بَعْدُ) (٥٦) .
قصة روتها خولة بنت قيس

روي عن خولة بنت قيس امرأة حمزة بن عبد المطلب انها قالت: كان على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وسق من تمر لرجل من بني ساعدة، فأتاه يقتضيه، فقضاه تمرًا دون تمره فأبى ان يقبله، فقال: اترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم، ومن احق بالعدل من رسول

(١٦) - معجم كنوز الأمثال ص ١٢٨

(٢٦) - نسب البيتان في وفيات الأعيان وفي شرح مقامات الحريري الى ابي حكيمة راشد بن اسحاق الكاتب، وفي شذرات الذهب الى المأمون في القاضي يحيى بن اكرم، وهما بدون نسبة في ثمار القلوب، وانظر معجم كنوز الأمثال والحكم ص ١٢٩

(٣٦) - ورد هذا البيت في التمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي.

(٤٦) - تمام الفتون في شرح رسالة بن زيدون للصفدي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الناشر المكتبة العصرية صيدى بيروت.

(٥٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب كيف القضاء حديث (٣١١١) .

٢٧٠٨ العدل يحبه الله والظلم لا يحبه

الله صلى الله عليه وسلم؟ فاكتملت عيناء رسول الله صلى الله عليه وسلم بدموعه ثم قال: (صدق ومن احق بالعدل مني! لا قدس الله امة لا يأخذ ضعيفها حقه من شديدها ولا يتعته) ثم قال: (ياخولة عديه واقضيه فإنه ليس من غريم يخرج من عند غريمه راضيا الا صلت عليه دواب الارض ونون البحار، وليس من عبد يلوي غريمه وهو يجد إلا كتب الله عليه في كل يوم وليلة إثما (١٦))
العدل يحبه الله والظلم لا يحبه

إن العادل المقسط في حكمه وما ولي يحبه الله، ويظله الله في ظله، ويفوز العادل بالجنة، ويحظى بحبة الله، ويعد العادل من أفضل خلق الله جل وعلا، وفي الحديث النبوي: (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّمْنَا يَدَيْهِ يَمِينُ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا) (٢٦) ، في الذكر الحكيم: {وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (٣٦) ، أما الظلم فهو سبب هلاك الأمم، وفساد الذمم، والطريق إلى جهنم قال تعالى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} (٤٦) ، وقال تعالى: {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ

مَوْعِدًا} (٥٦) ، والله لا يحب الظالمين، ولقد جاء في سورة آل عمران: {وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (٦٦) .

(١٦) - المعجم الكبير للطبراني حديث (٥٩٢)

(٢٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب فضيلة الامام العادل حديث (١٨٢٧) .

(٣٦) - سورة المائدة (٤٢) .

(٤٦) - سورة يونس (١٣) .

(٥٦) - سورة الكهف (٥٩) .

(٦٦) - سورة آل عمران (٥٧) .

٢٧٠٩ الظلم في الأمثال السائرة

ولله در القائل:

أما والله إنَّ الظلمَ لومٌ ... وما زال المسيءُ هوَ الظلومُ
إلى ديَّانِ يومِ الدينِ نمضي ... وعندَ اللهِ تجتمعُ الخُصومُ
ستعلمُ في الحسابِ إذا التقينا ... غداً عندَ الإلهِ مِنَ المَعلومِ (١٦)
ويرحم اللهُ الإمامَ علي بن أبي طالب رضي اللهُ عنه حيث يقول:
لا تظلمنَّ إذا ما كُنْتَ مُقتدراً ... فالظلمُ مرَّعهُ يفضي إلى الندمِ
تنامُ عينُكَ والمظلومُ مُنتبهُ ... يدعو عليكُ وعينُ اللهِ لم تَمَّ

أما محمد بن عيسى بن طلحة فهو يقول:

ولا تعجل على احد بظلم ... فان الظلم مرَّعهُ وخيم (٢٦)

الظلم في الأمثال السائرة

والظلم قبيح ومرَّعهُ وخيم، وفي الأمثال السائرة: "الظلم مرَّعهُ وخيم"، وقال حنين بن خشرم السعدي، أي عاقبته مذمومة، وجعل للظلم مرَّعاً لتصرف الظالم فيه، ثم جعل المرَّع وخيماً لسوء عاقبته إما في الدنيا وإما في العقبى، وفي الحديث النبوي ما يجري مجرى الأمثال السائرة أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الظُّلمُ ظُلماتٌ يومَ القِيامةِ) (٣٦) ، وفي اختلاط القوم وتساويهم في الفساد ظاهراً وباطناً تقول العرب: ظلة الغم عبيثة واحدة، وذلك إذا لقي الغم غمماً أخرى فاختلط بعضها ببعض.

(١٦) - وردت هذه البيات في ديوان أبي العتاهية، كما انه وردت في ديوان الامام علي مع اختلاف في بعض الالفاظ والله اعلم.

(٢٦) - ورد هذا البيت في نهاية الارب للنويري ج (٣) ص (٢٨٩) ، والعقد الفريد ج (٢) ص (١٨٠) ، والموسوعة الشعرية ص (٢٢٨) غير منسوب الى شاعر باسمه، ويروى فان البغي مصرعه وخيم والمعنى متقارب.

(٣٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب الظلم ظلمات يوم القيامة حديث (٢٣١٥) .

وفي أمثال العرب عن الظلم والبغي والمكر الكثير، ومن ذلك قولهم: "أظلم من حية" لان الحية تجيء إلى حجر غيرها فتدخله وتغلبه عليه، وكذلك قولهم: "أظلم من أفعى"، يقال: انك لتظلمني ظلم الأفعى.

قال الشاعر:

وأنت كالأفعى التي لا تحتفر ... ثم تجيء سادرة فتنجحر

وقد كثرت أمثال العرب وأشعار الشعراء بظلم الذئب من ذلك قولهم: (أظلم من الذئب) ، و (من استرعى الذئب ظلم) و (مستودع الذئب اظلم) و (كافأه مكافأة الذئب) .

قال الميداني: وأما ما جاء في أشعارهم فحكي ابن الأعرابي أن اعرابياً ربي بالبادية ذئباً فلها شب اقترس سخلة له، فقال الأعرابي: فرست شويهي وججعت طفلاً... ونسواناً وأنت لهم ربيب نشأت مع السخال وأنت طفل... فما أدراك أن أباك ذيب إذا كان الطباع طباع سوء... فليس بمصلح طباعاً أديب وقال آخر:

وأنت كجرو الذئب ليس بآلف... أبي الذئب إلا أن يخون ويظلماً (١٦)
أما قولهم: "أظلم من الليل" فهذا يراد من الظلمة، وإن قال بعضهم: هذا شاذ أن يبنى أفعال التفضيل من الاظلام، وليس كما ظن، فإن ظلم يظلم ظلمة لغة في أظلم إظلاماً، وإذا صح هذا فالبنى وقع على سمته وقاعدته،
(١٦) - مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص (٤٤٥-٤٤٦) .

٢٧.١٠ دعوة المظلوم لا ترد

وإنما نسب إلى الظلم لأنه يستر السارق وغيره من أهل الريبة (١٦) ، ... وقولهم: "كالأرقم إن يقتل ينقم، وإن يترك يلقم"، يقول: إن قتله كان له من ينقم له منك وإن تركته قتلك.

وقولهم في الانتصار من الظلم: "هذه بتلك والبادئ أظلم"، ومنه: "من لم يزد عن حوضه يهدم"، وهذا المثل لعله أخذ من قول الشاعر:
وَمَنْ لَا يَزِدُّ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ... يَهْدِمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ (٢٦)

فقد أصاب الشاعر في صدر البيت وأخطأ في عجزه. وفي الذكر الحكيم: {ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوِّبَ بِهِ ثُمَّ بَغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصِرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} (٣٦) .

وقولهم في الظلم ترجع عاقبته على صاحبه: "من حفر مغواة وقع فيها". والمغواة: البئر تحفر للذئب ويجعل فيها جدي ليصيده فيصطاد (٤٦) . ومنه قولهم: "من حفر حفرة لأخيه وقع فيها".

وفي أمثال العامة: "من ظلم لا بد يظلم".

ويرى صالح بن عبد الله بن مغفل أن من ظلم سيبتلى بظالم فيقول:

وما من يد إلا يدُ الله فوقها... ولا ظالم إلا سيبتلى بظالم

دعوة المظلوم لا ترد

دعاء المظلوم يستجيب له الله، فلا تظلم عباد الله حتى لا تعرض نفسك لدعاء المظلومين، فينتقم منك الجبار القوي القهار العظيم، ويرحم الله الإمام علي رضي الله عنه حيث يقول:

(١٦) - الميداني ج ١ ص ٤٤٧ .

(٢٦) - هذا البيت ينسب لزهير بن أبي سلمى .

(٣٦) - سورة الحج الآية (٦٠) .

(٤٦) - العقد الفريد ج ٣ ص ٨٧ .

٢٧.١١ الشرك أعظم أنواع الظلم

أَدِّ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَانَةَ فَاجْتَنِبْ ... وَاعْدِلْ وَلَا تَظْلِمْ يَطْبُ الْمَكْسَبُ
وَاحْذَرْ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا ... وَاعْلَمْ بِأَنَّ دَعَاءَهُ لَا يُجِيبُ
أما ابن الوردي فهو يحذر من دعوات المظلومين في الأَسْحَارِ فيقول:
إِيَّاكَ مِنْ عَسْفِ الْأَنَامِ وَظَلْمِهِمْ ... واحذر من الدعواتِ في الأَسْحَارِ
وإن ابتليت بزلةٍ وخطيئةٍ ... فاندم وبادرها بالاستغفارِ
واسأل إلهك عصمةً وحمايةً ... فالسيئاتُ قواصِفُ الأعمارِ

وفي السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ) (١٦) .
الشرك أعظم أنواع الظلم

وإذا كان الظلم بكل أشكاله قبيح فإن الشرك بالله أعظمه، وأكثره خطراً، وأبلغه ضرراً، فلا تشرك بالله تهلك، ويحبط عملك وفي الذكر
الحكيم فيما حكاه الله عن لقمان الحكيم: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} (٢٦) ، ولقد
خاطب الله نبيه الكريم: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٣٦) .
لئيم من يظلم قرابته

إذا كان الظلم كله سيئاً فإن من أسوء الظلم ظلم القرابة، فهو يدل على الخساسة والندالة والدناءة قال الشاعر:

(١٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب الالتقاء والحدز من دعوة المظلوم حديث (٢٣١٦) .

(٢٦) - سورة لقمان (١٣) .

(٣٦) - سورة الزمر (٦٥) .

٢٧.١٢ عاقبة الظلم

وُظِلُّ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدَّ مَضَاظَةً ... عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ
وقال آخر:
حذار بني البغي لا تقربنه ... حذار فان البغي وخم مراتعه (١٦)

إذا كان الظلم يعني وضع الشيء في غير موضعه، فان عواقبه ذميمة وخيمة، وفي الحديث القدسي: (يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى
نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا) (٢٦) ، وجاء في حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ
ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٣٦) ، وجا في شعر الحكمة للإمام الشافعي رضي الله عنه:

إذا ما ظالمٌ استحسنَ الظلمَ مذهباً ... وَجَّ عَتَوْاً فِي قَبِيحِ إِكْتِسَابِهِ
فَكَلَهُ إِلَى صَرْفِ اللَّيَالِي فَإِنَّهَا ... سَتُبْدِي لَهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِهِ
فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا ظَالِمًا مُتَمَرِّدًا ... يَرَى النُّجْمَ تَبَاهًا تَحْتَ ظِلِّ رِكَابِهِ
فَعَمَّا قَلِيلٍ وَهُوَ فِي غَفْلَاتِهِ ... أَنَاخَتْ صُرُوفُ الْحَادِثَاتِ بِبَابِهِ
فَأَصْبَحَ لَا مَالَ وَلَا جَاهُ يُرْتَجَى ... وَلَا حَسَنَاتٌ تَلْتَقِي فِي كِتَابِهِ

وَجُوزِي بِالْأَمْرِ الَّذِي كَانَ فَاعِلاً ... وَصَبَّ عَلَيْهِ اللَّهُ سَوَطَ عَذَابِهِ
وقريب من هذا ما جاء في شعر محرز بن خلف:
إذا ظالم قد عاهد الظلم مذهباً ... وجار علواً في قبيح اكتسابه

- (١٦) - مجمع الحكم والامثال في الشعر العربي لاحمد قبش ص (٣٠٦) ، دار الرشيد، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ.
(٢٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب تحريم الظلم حديث (٢٥٧٧) .
(٣٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب تحريم الظلم حديث (٢٥٧٨) .

٢٧.١٣ العدل في الأسماء الحسنى

فكم قد راينا ظالماً متكبراً... يرى النجم تهباً تحت ظل ركابه
فلها تمارى واستطال بجوره ... اناخت صروف الحادثات ببابه
فلا فضة تحميه عند انفضاضه ... ولا ذهب يثنيه عند ذهابه
العدل في الأسماء الحسنى

العدل اسم من أسماء الحق تبارك وتعالى، والعدل صفة من صفات الله تبارك وتعالى، والعدل أمر الله وكلماته، وقد جاء في القرآن الكريم: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (١٦) ، وجاء في سورة النحل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (٢٦) ، فهو العدل سبحانه في تدييره وتقديره، وهو سبحانه موصوف بالعدل في فعله، وأفعاله جاريه على سنن العدل، والاستقامة ليس فيها شائبة جور أصلاً، فهي كلها بين الفضل والرحمة، وبين العدل والحكمة (٣٦) ، وقد جاء في صحيح البخاري وغيره: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَن أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) ، وقد عد منها في رواية الترمذي: (الحَكْمُ الْعَدْلُ) ، وإذا كانت كلماته العدل فهو العدل لان كلماته هي كلامه، والعدل في صفة الله تعالى يكون وصفاً ذاتياً بمعنى: سلب الجور-الظلم- عنه، فالله تعالى العادل المطلق فهو يتصرف في عباده بالعدل في فعله وقوله وقضائه، وأمره ونهيه، وثوابه وعقابه، نخبه كونه

- (١٦) - سورة الانعام (١١٥) .
(٢٦) - سورة النحل (٩٠) .
(٣٦) - شرح اسماء الله الحسنى ص (١٣٩) ، وتفسير العلامة السعدي ج (٥) ص (٦٢٧) .

٢٧.١٤ ثمرة معرفة اسمه تعالى العدل

صدق، وقضاؤه كله عدل، وأمره كله مصلحة، والذي نهى عنه كله مفسدة، وثوابه لمن يستحق الثواب بفضله ورحمته، وعقابه لمن يستحق العقاب بعدله وحكمته (١٦) ، فهو الحكم العدل، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَإِبْنُ عَبْدِكَ وَإِبْنُ أُمَّتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِي حُكْمِكَ عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ أَوْ عَلِمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتُ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِبْعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحَزَنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا، قَالَ: فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَتَعَلَّمُهَا، فَقَالَ: بَلَىٰ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا) (٢٦) ، فقوله: (عَدْلٌ فِي قَضَاؤِكَ) يتضمن جميع أفضيته في عبده من كل الوجوه من صحة وسقم، وغنى وفقر، ولذة وألم، وحياة وموت، وثواب وعقوبة، ... وغير ذلك، قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ

كثير} (٣٦) ، فكلمها يقضي به الله على العبد فهو عدل فيه .

ثمرة معرفة اسمه تعالى العدل

إذا عرف المكلف أن أسماء الله سبحانه وتعالى كلها حسنى، وأنه العدل في كل أفعاله، وأن أحكامه كلها صواب وحق، وأنه سبحانه قد أوضح

(١٦) - الجامع لأسماء الله الحسنى ص (١٩٥) .

(٢٦) - أخرجه احمد في سننه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حديث (٣٧١٢) .

(٣٦) - سورة الشورى (٣٠) .

٢٧.١٥ دعاء الله باسمه وصفته العدل

السبل، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأزاح العلل، ومكن من أسباب الهداية والطاعة بالأسماع والأبصار والعقول، وهذا عدله، وأن لا عدل على الإطلاق إلا لله وحده، وجب عليه أن يؤمن به، وأن يؤمن بأن كل قضاء الله عدل، وأن يسلم لأمر الله ونهيه وقضائه وقدره، وأن يتحلى بالعدل في أقواله وأفعاله وأحكامه امتثالاً لأمر الله سبحانه، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } (١٦) ، فالمؤمن يكون عادلاً مع نفسه وأهله يخاف الظالم من عدله، ويرجو المظلوم منه إعادته على اخذ حقه، فهو يسوي بين الفقير والغني، والضعيف والقوي، والقريب والأجنبي، ويعدل بين الأهل والعيال، ويأخذ بهدي النبي المختار صلى الله عليه وآله وسلم: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ) (٢٦) .

ولله در احمد شوقي حيث يقول:

لَمْ يُعَادِ اللَّهُ الْعَبِيدَ وَلَكِنْ ... شَقِيَّتْ بِالْغَبَاوَةِ الْأَغْيَاءُ
وَإِذَا جَلَّتِ الذُّنُوبُ وَهَالَتْ ... فَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ يَهْوَلَ الْجَزَاءُ

دعاء الله باسمه وصفته العدل

يا الله يا حكم يا عدل نسألك أن تصلي على محمد وازواجه وذريته واصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وان تجعلنا والمؤمنين على

(١٦) - سورة النساء (١٣٥) .

(٢٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب الاشهاد في الهبة حديث (٢٤٤٧) .

فضلك وجودك وعفوك وغفرانك، وأن تلهمنا العدل مع أنفسنا وأهلنا وأولادنا واخواننا والخلق أجمعين، وأن تجعلنا من المقسطين في أقوالهم وأفعالهم المتبعين لسنة نبيك، وأن تكرمنا بالإيمان والأمان في الدنيا والآخرة، وأن تجعلنا في ظلك وفضلك يوم القيامة، وأن تسامحنا ولا تحاسبنا بعدلك يا كريم، فإننا يا الله يا عفو يا كريم نسألك أن تعفو عنا، وتجعلنا على عفوك، وتجعل منازلنا في الفردوس الأعلى من الجنة يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على محمد النبي الأمين وعلى آله الطاهرين واصحابه الراشدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سبحان ذي العدل ما قدمت مظلتي ... إلا تناولها عدل من الله

سبحان ذي الحكم لا ميل ولا شطط ... ولا معقب في حكم من الله

سبحان ذي المنة الكبرى التي شملت ... بمنة الله أرجو منة الله

سبحان ذي النعمة المحصي مطالبنا ... وليس تحصى بعد نعمة الله (١٦)

٢٨ الفصل السابع والعشرون الصدق

٢٨٠١ الصدق

الفصل السابع والعشرون

الصدق الصدق

الصدق: هو الأخبار عن الشيء على ما هو عليه، أي مطابقة الخبر للواقع، ويكون في القول والعمل والاعتقاد، والصدق حلية المتقين وصفة المرسلين، وبه جاء النبي الأمين، وفي الذكر الحكيم {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (١٦) ، وفي سورة الاحزاب بناء نجاة الصادقين من العذاب {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (٢٦) وفي سورة المائدة بيان منافع الصدق وفوائده، {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (٣٦) والصدق صفة كمال ومدح، وخلة ثناء وحمد، وليست هناك صفة تكفل استقرار المجتمع، وتضمن الثقة بين الأفراد مثل الصدق، ولذلك اعتبر أساساً من أسس الفضائل الذي يبنى عليه المجتمع الفاضل، وقد اعتبر بعض العلماء الصدق عنواناً لرقى الأمم، فإذا فقد المجتمع الصدق حل محله عدم الثقة، وفقدان التعاون، والصدق نجاة وعز، والكذب هلاك وذل، والصدق ضرورة من ضرورات المجتمع التي ينبغي أن ينال حظاً عظيماً من العناية في الأسرة، والمدرسة، والجامعات، والوزارات، والحقول،

(١٦) - سورة الزمراية (٣٣) .

(٢٦) - سورة الاحزاب (٢٣) .

(٣٦) - سورة المائدة (١٩٩) .

والمصانع، وكافة المؤسسات والمنشآت، والجمعيات والنقابات، فبالصدق ترد الحقوق، وبالصدق تحصل الثقة بين الناس، وبالصدق تزدهر الحياة، والصدق من ارفع الصفات الإنسانية، واكبر الدعائم التي يقوم عليها أي مجتمع ينشد فلاحاً ونجاحاً، ولما يتبوؤه الصدق من المكانة الرفيعة، والخلق الحميد، فقد دعاء الله المؤمنين للتخلق به فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} (١٦) .

والصادق هو الله جل وعلا، نطق به القران اسماً وفعلاً للهولى تبارك وتعالى، فقد جاء في سورة الأنعام: {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْثِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} (٢٦) ، وقال سبحانه: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} (٣٦) ، وقال تبارك اسمه: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} (٤٦) ، والصدق وعد الله، والصدق كلام الله، والصدق صفة من صفات النبيين والمؤمنين، ومن لزم الصدق وتحلى به ظفر وغنم.

بالصدق تعمّر الديار، وتصح الأخبار، وتدار المصانع، وتزدهر الحياة، وتحصل النجاة، ويرتفع قدر الإنسان، وتنعزز الثقة بين الاخوان، ويثمر التعاون، ويقوم العدل، ويعم الخير، ويكثر النفع، وتنشور البلاد.

والعاقل لا يختار في إدارة الأعمال الهامة إلا أهل الصدق، قال الشاعر:

لَيْسَ بِالْأَمْرِ جَدِيراً... كُلُّ مَنْ أَلْقَى خِطَاباً

(١٦) - سورة التوبة (١١٩) .

(٢٦) - سورة الأنعام (١٤٦) .

(٣٦) - سورة النساء (٨٧) .

(٤٦) - سورة النساء (١٢٢) .

٢٨٠٢ الصدق يألفه الكريم

أَوْ سَخَا بِالْمَالِ أَوْ قَدَّ ... دَمَ جَاهَا وَإِنْتَسَابَا
أَوْ رَأَى أُمَّيَّةً فَآخَ ... تَلَبَّ الْجَهْلَ إِخْتِلَابَا
فَتَخَيَّرَ كُلَّ مَنْ شَبَّ ... بَبَ عَلَى الصَّدَقِ وَشَابَا
وَأَذْكَرَ الْأَنْصَارَ بِالْأَمِّ ... سِسِ وَلَا تَنْسِ الصِّحَابَا (١٦)

الصدق يألفه الكريم

يتخلى الكريم من الناس بالصدق ويتخلق به، والكذب يألفه الخلب اللثيم ويهلك به، قال طرفه ابن العبد:

الصدق يألفه الكريم المرتجى ... والكذب يألفه الدنيء الاخيبي
وفي الأمثال السائرة: لا يكذب الرائد اهله، وقيل من صدق الله نجا، ومن صدقت لهجته ظهرت حجته، والصدق سفينة النجاة، وقال الشاعر:

عُودَ لِسَانِكَ قَوْلَ الصَّدَقِ تَحْظُ بِهِ ... إِنْ اللِّسَانَ لَمَّا عَوَدْتَ مَعْتَادَ
مُوكَلِّ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ ... فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ وَانظُرْ كَيْفَ تَرْتَادَ
أَمَّا صَفِي الدِّينِ الحَلِي فَقَدَ عَبَّرَ عَن قَوْلِ الصَّدَقِ بِلَفْظِ الخَيْرِ وَذَلِكَ حَيْثُ يَقُولُ:

عُودَ لِسَانِكَ قَوْلَ الخَيْرِ تَنْجُ بِهِ ... مِنْ زَلَّةِ اللِّفْظِ بَلْ مِنْ زَلَّةِ القَدَمِ
وَاحْرَزْ كَلَامَكَ مِنْ خِلِّ تَنَادِمِهِ ... إِنْ النَّدِيمَ لَمْشْتَقُّ مِنَ النَّدَمِ

والصدق مهما صادفته عقبات وأشواك؛ فعاقبته السلامة، ومآله النجاح، وآخر أمرك فيه الفوز والفلاح.. قال الشاعر:

عليك بالصدق ولو انه ... احرقك الصدق بنار الوعيد

(١٦) - هذه الأبيات لاحمد شوقي رحمه الله.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عليك بالصدق وان قتلك، ولأن يضعني الصدق - وقلها يضع - أحب الي من ان يرفعني الكذب - وقلها يفعل - وقال بعض الحكماء:

الصدق منجيك وإن خفته، والكذب مرديك وإن امتته. وقال الشاعر:

عليك بالصدق في كل الأمور ولا ... تكذب فأقبح ما يزي بك الكذب

وقال الجاحظ رحمة الله: الصدق والوفاء توأمان، والحلم والصبر توأمان فيهن تمام كل دين، وصلاح كل دنيا، وأضدادهما سبب كل فرقة، وأصل كل فساد. قال الشاعر:

ما أحسن الصدق في الدنيا لقائله ... وأقبح الكذب عند الله والناس

أما احمد شوقي فهو يرى أن الإنسان لا يكون صادقاً في قوله حتى يصدق فعله وذلك حيث يقول:

والمراء ليس بصادق في قوله ... حتى يؤيد قوله بفعله

وفي السنة النبوية أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي

إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا) (١٦) .

(١٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله حديث (٢٦٠٧) .

٢٨٠٣ الصدق يرفع المرء في الدارين والكذب يهوي به في الحالين

الصدق يرفع المرء في الدارين والكذب يهوي به في الحالين

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الصدق يرفع المرء في الدارين والكذب يهوي به في الحالين، ولو لم يكن في الصدق خصلة تجحد، إلا أن المرء إذا عرف به قبل كلامه عند من يسمعه، لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه، حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب والعي في بعض الأوقات خير من النطق، لأن كل كلام أخطأ صاحبه موضعه فالعي خير منه (١-٦) ، والصدق نجاة وشرف. قال الشاعر:

وَفِي الْحِلْمِ إِدْهَانٌ وَفِي الْعَفْوِ دُرْبَةٌ ... وَفِي الصِّدْقِ مَنَاجَاةٌ مِنَ الشَّرِّ فَاصْدُقْ (٢-٦)

والصدق فلاح وأمان، والصدق يدعو إلى حسن الخاتمة، ويدل على سجية كاملة، وفطرة سليمة، وخليقة مستقيمة، والصدق يزيد المسلم نوراً وثباتاً على الحق، والصدق يجلب محبة الله ورسوله، ومحبة الناس، والصدق يهدي إلى البر، والبر التوسع في فعل الخير، بحيث يشمل الإيمان، وإنفاق المال، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر الذي أرشد إليه الإسلام وجعله سبباً للفلاح والنجاح، وفي الذكر الحكيم: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (٣-٦) ، فقد بينت الآية صفات أهل الصدق في إيمانهم وأخلاقهم، وحصرتهم بالإشارة إليهم (أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) ، والصادق يستحق كل ثناء وإطراء، ويعد الصادق من الأخيار الأبرار، ولقد نعت الله النبيين بالصدق فقال في حق خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام: {وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} (٤-٦) ، وقال في حق ادريس عليه السلام: {وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} (٥-٦) .

والصدق وفاء وإخلاص، وعزيمة وثبات، وفي الذكر الحكيم: {مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (٦-٦) ، وقد اثنا الله على نبي من أنبيائه بصدقه ووفائه بوعده فقال: {وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا} (٧-٦) ، ونعت الله به نبينا فقال: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (٨-٦) ، وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالصدق ولقب بالصادق الأمين، ليعلم الناس الصدق في إيمانهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، لأن الصدق يكون في القول، وفي النية والإرادة، وفي العزم، وفي الوفاء، وفي العمل، فالصادق في إيمانه ناجح، والصادق في تجارته راجح، ولو ألقيت نظرك على أسواق العالم لوجدت أن

(١-٦) - روضة العقلاء ص (٤٦) بتصرف يسير.

(٢-٦) - ديوان زهير بن أبي سلمى.

(٣-٦) - سورة البقرة (١٧٧) .

(٤-٦) - سورة مريم (٤١) .

(٥-٦) - سورة مريم (٥٦) .

(٦-٦) - سورة الأحزاب (٢٣) .

(٧-٦) - سورة مريم (٥٤) .

(٨-٦) - سورة الزمر (٣٣) .

٢٨٠٤ الكذب يضاد الصدق ويجانبه فتجنبه

٢٨٠٥ مضرة الكذب

الراجحين في تجارتهم الذين تحسن أحوالهم، ويتكاثر الوافدون عليهم، وتحسن سمعتهم، وتحصل الثقة بهم؛ هم أهل الصدق، فالصدق يدر على الصادقين الخير الوفير، والبر والعز، والسلامة والأمن في الدنيا قبل الآخرة، فالصدق طمأنينة وفضيلة وخيرات وفيرة. الكذب يضاد الصدق ويجانبه فتجنبه

الكذب خصلة رذيلة ذميمة تدل على النفاق ومساوئ الأخلاق، ضرره كبير على الأسرة والمجتمع، من تحلى به هلك وعثر، فهو منافى للإيمان، ومجافى للإسلام، وفي الحديث (لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب امرئ ولا يجتمع الصدق والكذب جميعاً ولا يجتمع الخيانة والأمانة جميعاً) (١-)، وفي الذكر الحكيم: {إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ} (٢-)، وقيل: الكذب عار لازم وذل دائم، وقيل: ما عز ذو كذب ولو اخذ القمر بيده، وما ذل ذو صدق ولو اتفق العالم عليه (٣-)، قال الشاعر:

لا يكذب المرء إلا من مهاتته ... أو فعلة السوء أو من قلة الادب
لبعض جيفة كلب خير رائحة ... من كذبة المرء في جد وفي لعب

وقال آخر:

إِيَّاكَ مِنْ كَذَبِ الْكَذُوبِ وَأَفْكَه ... فَلَرُبَّمَا مَرَجَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ

وَلَرُبَّمَا كَذَّبَ امْرُؤٌ بِكَلَامِهِ ... وَبِصَمْتِهِ وَبُكَائِهِ وَبِضَحْكِهِ

ولبعض الشعراء:

إذا عرف الإنسان بالكذب لم يزل ... لدى الناس كذاباً ولو كان صادقاً

فإن قال لم تصعب له جلساؤه ... ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقاً

أما الإمام علي بن أبي طالب فهو يحذر من مصاحبة الكاذب فيقول:

وَدَعِ الْكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا ... إِنَّ الْكَذُوبَ لِبَيْسٍ خِلَا يُصْحَبُ (٤-)

مضرة الكذب

قيل: "دع الكذب فإنه يضرك حيث ترى انه ينفك، وعليك بالصدق فإنه ينفك حيث ترى انه يضرك"، وقيل: "إذا كذب السفير

بطل التدبير، وإذا كذب الرائد هلك الوارد"، وقيل: الصدق عز والباطل ذل، وقيل: "من عرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف

بالكذب لم يجز صدقه"، وقيل: "اجعل قول الكذب ريحاً لتستريح"، وقالوا: "نزه سمعك عن سماع الكذب كما تنزه لسانك عن التفوه به"،

وقيل: "من حدث بحديث وهو يرى أنه كاذب فهو أحد الكذابين، وقيل: "إياك أن تكون للكذب راوياً وواعياً"، وفي السنة النبوية أن

النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) (٥-). وقال الشاعر:

(١-) - أخرجه احمد في المسند عن أبي هريرة حديث (٨٥٧٧).

(٢-) - سورة النحل (١٠٥).

(٣-) - روضة العقلاء ص (٥٤).

(٤-) - ورد هذا البيت في ديوان الامام علي رضي الله عنه، وورد في ديوان صالح بن عبد القدوس، والله سبحانه أعلم.

(٥-) - أخرجه البخاري في صحيحه باب اثم من كذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث (١٠٩).

وَلَا خَيْرَ فِي عَيْشٍ يَكُونُ قِوَامُهُ ... بِمِحْنَةٍ مَكْذُوبٍ وَمِدْحَةٍ كَذَّابٍ (١-)

أما عمر بن أبي ربيعة فهو يقول:

لِلنَّاسِ فَضْلُكَ فِي حُسْنِ الصَّفَاءِ وَفِي ... صِدْقِ الْحَدِيثِ وَشَرِّ الْخَلَّةِ الْكَذِبِ

وقال بشار بن برد:
الصدق أفضل ما حضرت به... ولربما ضرر الفتى كذبه
وله أيضا:

لي حيلة في من يئد... لم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلف ما يقو... ل خيلتي فيه قليله
ولسليمان الصولة:

لي حيلة في من يئد... لم بصون أسراري الجليله
حفظ اللسان بما ألم... لم وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو... ل فداؤه يعدي خليله
ودواؤه صعب يطو... ل خيلتي فيه قليله

وفي الذكر الحكيم: { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ } (٢٦) .

(١٦) - الشاعر هو ابن شرف القيرواني.

(٢٦) - سورة الزمر (٦٠) .

٢٨٠٦ مكانة الصدق رفيعة

مكانة الصدق رفيعة

أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث فيها النجاة: الإسلام الخالص عن البدعة والهوى، والصدق لله تعالى في الأعمال، وطيب المطعم.
وقال محمد سعيد المروزي: إذا طلبت الله بالصدق آتاك الله مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة. (١٦)
وللصادقين مكانة رفيعة يرضونها في الجنة تخصهم قال تعالى: { فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ } (٢٦) ، وروى عبيد الله بن محمد التيمي عن أبيه قال: (كان عمر بن الخطاب بمنى فعطش، فانتبه إلى عجوز، فاستسقاها ماء، فقالت: ما عندنا، فقال: لبناً، فقالت: ما عندنا، فبدرت جارية، فقالت لها: تكذبين وما تستحيين؟ ثم قالت لعمر: هذا السقاء فيه لبن، فسأل عمر عن الجارية فإذا أبوها ثقيفي فخطبها على عاصم بن عمر، فزوجها منه، فولد له منها أم عاصم، فتزوجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له عمر بن عبد العزيز بن مروان رحمة الله عليه) (٣٦) ، والمرء مسؤل عن إيمانه وصدقه وعن وفائه بعهد، وفي الذكر الحكيم: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا } (٤٦)

الصادق في أسماء الله وصفاته

نطق به القرآن اسماً وفعلاً قال تعالى: { ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبِعْثِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } (٥٦) ، وقال: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا } (٦٦) ، وقال: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا } (٧٦) ،

وقال: { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدُهُ } (٨٦) . والصادق في وصفه سبحانه صفة ذاتية له راجعة إلى معنى كلامه، إذ الصدق هو ما تضمنه كلامه وهو المتكلم به، قال تعالى: { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ } (٩٦) ، فالله تعالى صادق في قوله، صادق في حديثه، صادق في وعده، خاطب عباده فأخبرهم بما يرضيه عنهم ويسخطه عليهم، وبما لهم من الثواب عنده إذا أرضوه، ومن العقاب لديه إذا أسخطوه، فصدقهم ولم يغررهم ولم يلبس عليهم، قاله الحلبي. (١٠٦)

وقال بعض العلماء: أنه لم يرد في القرآن، وقد أنكر عليهم بعض الباحثين وقال: عجبا لهؤلاء الأئمة مع تجرهم في كتاب الله تعالى والبحث في معانيه وتفسيره وتلاوته ليلاً ونهاراً كيف غفلوا عن هذا الاسم العظيم، حتى يقولوا: إنه لم يرد في القرآن وإنما ورد فعله؟! فكأنهم

-رحمهم الله-

- (١٦) - الترغيب والترهيب للهندري تحقيق مصطفى محمد عمارة المجلد الثالث ص ٦٠١ .
 (٢٦) - سورة القمر (٥٥) .
 (٣٦) - روضة العقلاء ص (٤٥-٤٦) .
 (٤٦) - سورة الأحزاب (٧-٨) .
 (٥٦) - سورة الأنعام (١٤٦) .
 (٦٦) - سورة النساء (١٢٢) .
 (٧٦) - سورة النساء (٨٧) .
 (٨٦) - سورة الزمر (٧٤) .
 (٩٦) - سورة آل عمران (١٥٢) .
 (١٠٦) - الجامع لأسماء الله الحسنی ص ١٨١ .

لم يقرأوا سورة الأنعام لكن الذهول والنسيان يعتري الإنسان، والكمال إنما هو لذي الجلال. (١٦) ويجوز إجراء هذا الوصف منكراً على العبد من غير خلاف، وفي الذكر الحكيم: {رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} (٢٦) ، {إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ} (٣٦) .
 يقال: صدق الرجل فهو صادق وصدوق للمبالغة.

وأما قوله تعالى: {وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} (٤٦) ، فالألف واللام إنما جاءت للتعريف والتفخيم لكثرة تصديقهم، وسمي أبو بكر رضوان الله عليه بالصديق لتصديقه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل ما جاء به عن ربه، والصديق -بوزن فَعِيل للمبالغة- سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فيما رواه علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين، والصديق هو الدائم الصدق الذي كثر صدقه في قوله وعمله وصدق الله في آياته وشواهد ودلائله وأسمائه وصفاته وأفعاله وحكمه وكلماته.
 ثمرة معرفة هذا الاسم الجليل

إذا عرف المكلف أن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه صادق في أقواله وأفعاله وجب عليه أن يؤمن بأنه لا أحد أصدق من الله، وأن أقواله الحق وأفعاله وحديثه ووعدته ووعدته كلها صادق، ثم يجب عليه أن يتحلى بالصدق في جميع أقواله وأفعاله، لأن الصدق درجة رفيعة وحلة سنية جليلة، وهو

(١٦) الجامع لأسماء الله الحسنی ص ١٨٠ .

- (٢٦) - سورة الأحزاب (٢٣) .
 (٣٦) - سورة مريم (٥٤) .
 (٤٦) - سورة التوبة (١١٩) .

أصل لكل حال، وأُس لكل فضيلة، وامثالاً لقول الحق: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} (١٦) ، وامثالاً لقول الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (عليكم بالصدق... الحديث) ، ولأن كل من صدق وتحقق من صدقه فقد نجا، فعليك أخي بدوام الصدق تكتب صديقاً، وتكون من الصادقين الذين بذلوا المجهود من أنفسهم لربهم فيما بينهم وبينه فاستحقوا مدحه والثناء عليه بما جاء في كتابه: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} (٢٦) ، وفي الحديث النبوي: (الصدق طمأنينة والكذب ريبة) (٣٦) .

وروي عن الفضيل بن عياض أنه قال: (ما من مضغة أحب إلى الله من لسان صدوق، وما من مضغة أبغض إلى الله من لسان كذوب) ، وفي الحديث النبوي: (فإن أحببتكم أن يحبكم الله ورسوله فادوا إذا أوتمتم واصلقوا إذا حدثتم وأحسنوا جوار من جاوركم) (٤٦) ، وفي رواية: (أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة) (٥٦) .

- (١٦) - سورة التوبة (١١٩) .
- (٢٦) - سورة الأحزاب (٢٣) .
- (٣٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب صفة القيامة حديث (٢٥١٨) .
- (٤٦) - الآحاد والمثاني للإمام محمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني المتوفى سنة (٢٨٧هـ) ج٣ ص٨١ حديث (١٣٩٧) ، الناشر دار راية الرياض الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م .
- (٥٦) - أخرجه احمد في المسند عن عبد الله بن عمرو حديث (٦٦٥٢) .

٢٨٠٧ دعاء الله الصادق الكريم

دعاء الله الصادق الكريم
 اللهم يا أصدق القائلين، ويا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين، نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا ان تصلى على محمد النبي الامين وأن تجعلنا من الصادقين في إيماننا وجميع أقوالنا وأفعالنا وأن تدخلنا والمؤمنين مدخل صدق وأن تجعل منازلنا والمؤمنين في دار كرامتك بالفردوس الأعلى من الجنة وأن تبوء لنا فيها مقعد صدق كراماً منك وفضلاً يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آل محمد وأصحابه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين .
 ولأبي مسلم العماني:

الحمد لله استعطي الجزاء به ... في مقعد الصدق مجلى الحمد لله
 الحمد لله أحياني وعلمني ... وساسني وهداني الحمد لله
 الحمد لله أغناني وآثرني ... وقام بي ورعاني الحمد لله
 الحمد لله عافاني وأكرمني ... وخصني وحباني الحمد لله
 الحمد لله أعطاني وخولني ... وسد أبواب فقري الحمد لله
 الحمد لله زكاني وسددني ... وحاطني وكفاني الحمد لله
 الحمد لله تجيداً لعزته ... وجهد عبد يبيث الحمد لله
 الحمد لله ذي الحمد الحميد وما ... عساه أبلغه في الحمد لله
 الحمد لله أنعشني وصل على ... محمد مع أهل الحمد لله
 وله أيضاً:

سبحانه له البقا والسبق ... من وعده الوعد الأتم الصدق
 وصدق أسمائك عجل المدد
 بصدق لا إله إلا الله
 والنصر والتفريج والفتح القريب

٢٩ الفصل الثامن والعشرون الصديق والجليس

الفصل الثامن والعشرون
 الصديق والجليس

الصديق والجليس

الصديق: سمي الصديق صديقاً لصدقه، وسمي الخليل خليلاً لأن محبته تتخلل القلب، فلا تدع فيه خلاً إلا ملأته. وفي الذكر الحكيم {الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} (١٦)، والصدقة سجية كريمة، وفضيلة عليا، وجليس الانسان صديقه وصاحبه، وهو اما ان يكون صالحا او فاسدا، ونقصد بالجليس الصالح: الصديق الفاضل المتحلي بالأخلاق الكريمة. وهو الذي ترتاح اليه النفس ويطمئن به الفؤاد وتنتعش الروح. ويقصد بجليس السوء: الصديق اوالصاحب الذي فسدت طباعه وساءت اخلاقه (٢٧). ويتحقق نجاح الانسان اذا احسن اختيار جليسة وصديقه فحسن اختيار الصديق والجليس فلاح ونجاح، وتوفيق وصلاح، فالصديق الصالح زينة في الرخاء، وعدة البلاء، وعون على الأعداء، فالعاقل من أزم نفسه صحبة الأخيار وفارق مجالسة الأشرار، لأن مودة الأخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها، ومودة الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها، فرأس الفضائل اصطناع الأفاضل ورأس الرذائل اصطناع الأراذل، ومن حسن صفاه وجب اصطفاؤه، ومن اصطنع الكرام نسب إليه الإحسان، ومن جالس اللثام فقد الإنعام، وتفرق عنه الإخوان. وقد روي عن الحارث بن وجيه قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إنك إن تنقل الحجرة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص (٣٧) مع الفجار.

(١٦) - سورة الزخرف آية (٦٧)

(٢٧) - دليل السائلين ص ١٥٤

(٣٧) - الخبيص نوع من الحلوى يصنع من التمر مخلوطاً بالسمن.

وفي الحديث النبوي الشريف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُجْدِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تُجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تُجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً) (١٦).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وحدة المرء خير من جليس السوء، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما من شيء ادل على شيء، ولا الدخان على النار، من الصاحب على الصاحب، وروى أبو حاتم: أن جعفر بن محمد قال: من كان فيه ثلاث فقد وجب له على الناس أربع: إذا خالطهم لم يظلمهم، وإذا حدثهم لم يكذبهم، ... وإذا وعدهم لم يخلفهم، وعلى الناس: أن يظهروا عدله، وأن تكلم فيهم مروءته، وأن يجب عليهم أخوته، وأن يحرم عليهم غيبته.

قال الشاعر:

أصبح خيار الناس أين لقيتهم ... خير الصحابة من يكون ظريفاً

والناس مثل دراهم ميزتها ... فرأيت فيها فضة وزيوفا (٢٧)

وفي الحديث النبوي (لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا) (٣٧) ولالإمام علي رضي الله عنه في اختيار الصديق والقرين: هُمُومُ رِجَالٍ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ... وَهَمِّي مِنَ الدُّنْيَا صَدِيقٌ مُسَاعِدٌ يَكُونُ كَرُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ قُسِمَتْ ... فَجِسْمُهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدٌ

(١٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب استحباب مجالسة الصالحين حديث (٢٦٢٨).

(٢٧) - روضة العقلاء ص ٨١.

(٣٧) - رواه أبو داود حديث رقم (٤١٩٢)

وله أيضاً:

وَاحْتَرِ قَرِينَكَ وَاصْطَفِيهِ تَفَاخُراً ... إِنَّ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارَنِ يُنْسَبُ

وَإِذَا الصَّدِيقَ رَأَيْتَهُ مُتَقَلِّبًا ... فَهُوَ الْعَدُوُّ وَحَقُّهُ يَجْتَنِبُ
لَا خَيْرَ فِي وَدِّ إِمْرِيٍّ مُتَمَلِّقٍ ... حُلُوُّ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ
يَلْقَاكَ يَحْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَائْتِ ... وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْعَقْرَبُ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرْفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً ... وَيَرَوِّغُ مِنْكَ كَمَا يَرَوِّغُ الثَّعْلَبُ
وللإمام الشافعي رضي الله عنه:

إِذَا الْمَرْءُ لَا يَرَعَاكَ إِلَّا تَكَلَّفًا ... فَدَعُهُ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيْهِ التَّأْسِفَا
فَقِي النَّاسِ أَبْدَالُ وَفِي التَّرِكِ رَاحَةٌ ... وَفِي الْقَلْبِ صَبْرٌ لِلْحَبِيبِ وَلَوْ جَفَا
فَمَا كُلُّ مَنْ تَهَوَّاهُ يَهْوَاكَ قَلْبُهُ ... وَلَا كُلُّ مَنْ صَافَيْتَهُ لَكَ قَدْ صَفَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ صَفْوُ الْوِدَادِ طَبِيعَةً ... فَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ يَجِيءُ تَكَلَّفًا
وَلَا خَيْرَ فِي خِلِّ يَخُونُ خَلِيلَهُ ... وَيَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ الْمَوَدَّةِ بِالْجَفَا
وَيُنْكِرُ عَيْشًا قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ... وَيُظْهِرُ سِرًّا كَانَ بِالْأَمْسِ قَدْ خَفَا
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا ... صَدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقُ الْوَعْدِ مُنْصَفَا

وفي الذكر الحكيم: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} (١٦) ، وورد عن الحسن البصري في تفسير الآية قال: حلما علماء صبر ثبت إن ظلموا لم يظلموا، وإن بغى عليهم لم ييغوا، قد براهم الخوف كأنهم القداح.

(١٦) - سورة الفرقان الآية (٦٣) .

٢٩٠٢ اصطفاء الصديق من الأخيار

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل أن يستعيد بالله من صحبة من إذا ذكر الله لم يعنه، وإن نسي لم يذكره، وإن غفل حرضه على ترك الذكر، ومن كان أصدقاؤه شراراً كان هو شرهم، وكما أن الخير لا يصحب إلا البررة، كذلك الرديء لا يصحب إلا الفجرة، فإن المرء إذا اضطره الأمر فليصحب أهل المروءات. قال عبد الواحد بن زيد: جالسوا أهل الدين من أهل الدنيا ولا تجالسوا غيرهم فإن كنتم لا بد فاعلين فجالسوا أهل المروءات فإنهم لا يرفثون في مجالسهم. (١٦)

وفي الذكر الحكيم: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} (٢٦) .

اصطفاء الصديق من الأخيار

إن صداقة الأخيار، ومصاحبة المؤمنين الأبرار، ومحبتهم؛ تنجي من الهلكة والبوار، وتنقذ من الوقوع في الوحل والعار، وتجنب الإنسان العثرة والندم، قال الشاعر:

وصاحب خيار الناس تنج مسلماً ... وصاحب شرار الناس يوماً فتندا (٣٦)

أما لبيد بن ربيعة فهو يقول:

ما عاتب الحرَّ الكريمَ كَنَفْسِهِ ... وَالْمَرْءُ يُصَلِّحُهُ الْجَلِيسُ الصَّالِحُ

الجليس الصالح كحامل المسك كما ورد في الحديث إما يحذيك وإما أن يتباع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، والجليس الصالح يدل على الخير، ويورث الشرف، فإن أخيته كان لك قوة، فالواجب على العاقل أن لا يغفل عن مؤاخاة الاخوان، وإعدادهم للنوائب والحدثان،

ونسب إلى محمد بن واسع أنه قال: "لم يبقَ من العيش إلا ثلاث: الصلاة في الجماعة ترزق فضلها وتكفي سهوها، وكفاف المعاش ليست لأحد من الناس عليك فيه منة والله عليك فيه تبعة (٤٦) ، وأخ محسن العشرة". وقال محمد بن عمران الضبي:

وما المرء إلا بإخوانه ... كما تقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعةً ... ولا خير في الساعد الأجدم

وقال آخر:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ ... كَسَاعٍ إِلَى الْمُهْجَا بِغَيْرِ سِلَاحٍ

فصل جناح أخيك في الخير تؤجر، وصل جناح أخيك بالأجر تظفر، واصطف من تختاره لصداقتك وتواخيه، قال الشاعر:

إِنَّ أَخَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكَ ... وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ

وَمَنْ إِذَا رَيْبَ الزَّمَانُ صَدَعَكَ ... شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ (٥٦)

(١٦) - روضة العقلاء ص ٨٢.

(٢٦) - سورة الكهف الآية (٢٨) .

(٣٦) - أحكام القرطبي ج ١٣ ص ٢٠ ، والموسوعة الشعرية ص ٣٠٧ .

(٤٦) - أي تبعة كثيرة وإلا فكل نعمة من نعم الله مهما رأيتها صغيرة فإن الله يحاسب عليها (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

(٥٦) - هذان البيتان للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه .

وقليل من الناس من يتخلق بالوفاء ويلتزم في اختيار الصديق الوفاء، فالأخ الصديق هو الذي ينصرك مظلوماً بالعون، وينصرك حينما تكون ظالماً يردك عن ظلمك، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: (انصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرَهُ إِذَا كَانَ مَظْلُوماً أَوْ ظَالِماً كَيْفَ أَنْصُرُهُ، قَالَ: تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ) (١٦) .

فالعاقل يصطفي جليسه ومن يؤاخيه، فلا يؤاخي اللئام، ولا يصادق أصحاب الذنائة والمدام، لأن اللئيم كالحية الصماء لا يوجد عندها إلا اللدغ والسّم، وإنما يؤاخي الكريم الكرام، وقد روي عن سعيد بن المسيب أنه قال: وضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس ثمانية عشر كلمة كلها حكم، قال: ما كافأت من يعصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شراً وأن تجد لها محملاً، ومن تعرض للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن، ومن كتم سره كانت الخيرة في يديه، وعليك باخوان الصدق فعش في أكفاهم، ولا تعرض لما لا يعينك، ولا تسأل عما لم يكن فإن فيما كان شغل عما لم يكن، ولا تطلبن حاجة إلى من لا يحب لك نجاحها، ولا تصحبن الفاجر فتتعلم فجوره، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشى الله، وتخشع عند القول، وذل عند الطاعة، واعتصم

(١٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه حديث (٦٥٥٢) .

عند المعصية، واستشر في أمرك الذين يخشون الله، يقول الله: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (١٦) .

قال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقل لا يؤاخي إلا ذا فضل في الرأي والدين والعلم والأخلاق الحسنة، ذا عقل نشأ مع الصالحين، لأن صحبة بليد نشأ مع العقلاء خير من صحبة لبيب نشأ مع الجهال. قال الشاعر

لا يغرنك صديق أبداً ... لك في المنظر حتى تخبره

كم صديق كنت منه في عمي ... غرني منه زماناً منظره

كان يلقاني بوجه طلق ... وكلام كالآلي ينثره

فإذا فتشته عن غيبه ... لم أجد ذاك لود يضمه

فدع الإخوان إلا كل من ... يضمم الود كما قد يظهره
 فإذا فزت بمن يجمع ذا ... فاجعله لك ذخراً تذخره (٢٦)
 أما محمد مصطفى الماحي فهو يرى أن الخلل الناصح أهدى وأنفع من الأخ الشقيق فيقول:
 ولرب خل ناصح مترفقٍ ... أهدى وأنفع من أخٍ وشقيقٍ
 وقال آخر:

تَكَثَّرَ مِنَ الْإِخْوَانِ مَا إِسْطَعَتِ إِيْنَهُمْ ... بَطُونٌ إِذَا إِسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظُهُورٌ
 وَمَا بِكَثِيرِ أَلْفِ خَلٍّ لِعَاقِلٍ ... وَإِنَّ عَدُوًّا وَاحِدًا لَكَثِيرٌ

(١٦) - سورة فاطر الآية (٢٨) .
 (٢٦) - روضة العقلاء ص ٧٢ و٧٣ .

٢٩٠٣ صداقة الأشرار عار

صداقة الأشرار عار

العاقل يستعيد بالله من مصاحبة الأشرار، ومعاشرة الأندال، فصاحبة الأشرار داء عيا، وبلاء وأذى، فصديق من هذا القبيل ما هو إلا كالجاسوس يتتبع العثرات، ويدل على العورات، ما رأى من صالح دفنه، وما رأى من سيء أذاعه، وفي الأدعية المأثورة: (وأعوذ بك من خليل ما كره عيناه تراني وقلبه يرعاني إن رأى حسنة دفنها وإن رأى سيئة أذاعها) .

فالصديق والجليس السيئ إن ذكرت الله لم يعنك، وإن نسيت لم يذكرك، وإن غفلت ولهوت حرصك على اتباع الهوى واللهو وترك الذكر والخير، فمن كان أصدقاؤه أشراراً كان شرهم، قال الشاعر:

وَصَاحِبِ السُّوءِ كَالِدَاءِ الْعِيَاءِ إِذَا ... مَا إِرْفَضَ فِي الْجِلْدِ يَجْرِي هَاهُنَا وَهَنَا
 يَبْدِي وَيَخْبِرُ عَنْ عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ ... وَمَا يَرَى عِنْدَهُ مِنْ صَالِحٍ دَفْنَا (١٦)
 أما صالح بن عبد القدوس فيقول:

شَرِ الْإِخْلَاءِ مَنْ تَسَعَى لِتَرْضِيهِ ... وَلَا يَزَالُ عَلَيْكَ الدَّهْرُ غَضْبَانًا
 وله أيضاً:

تَجْنِبُ قَرِينَ السُّوءِ وَاصْرَمَ حِبَالَهُ ... فَإِنْ لَمْ تَجِدْ عَنْهُ مَحِيصًا فَدَارِهِ
 وَأَحْبَبُ حَبِيبِ الصَّدَقِ وَأَحْذَرُ مِرَاءِهِ ... تَتَلَّ مِنْهُ صَفْوُ الْوَدِّ مَا لَمْ تَمَارِهِ
 وله أيضاً:

وَاحْذَرِ مُصَاحِبَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ ... يُعْدي كَمَا يُعْدي الصَّحِيحُ الْأَجْرَبُ
 وَدَعِ الْكُذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا ... إِنْ الْكُذُوبُ يَشِينُ حَرًّا يَصْحَبُ (٢٦)

(١٦) - الأمالي للقالبي ج ٢ ص ١٨٢ ، والموسوعة الشعرية ص ٣١١ . والبيتان للمقنع الكندي .

(٢٦) - ورد هذان البيتان في ديوان صالح بن عبد القدوس، وكذلك في ديوان الإمام علي رضي الله عنه، والله أعلم .

٢٩٠٤ التلون في الصداقة

أما محمد البغدادي فهو يرى أن من لم تتوفر فيه سلامة الصدر والصدق وكتمان السر فإنه يباع ولو بكف من رماد وذلك حيث يقول:
 إذا المرء أخطأه ثلاث ... فبعه ولو بكف من رماد
 سلامة صدره والصدق منه ... وكتمان السرائر في الفؤاد (١٦)

التلون في الصداقة

إن التلون في الصداقة مذموم، فالعاقل يحافظ على صديقه وجليسه، وإن من أعظم العيوب التلون في وداد الصديق، وكثرة التأفف والضيق، قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وَلَا خَيْرَ فِي وِدِّ امْرِئٍ مَّتَلَوْنٍ ... إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ تَمِيلُ
جَوَادٌ إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَخَذِ مَالِهِ ... وَعِنْدَ إِحْتِمَالِ الْفَقْرِ عَنْكَ بِخَيْلٍ
فَمَا أَكْثَرَ الإِخْوَانَ حِينَ تَعُدَّهُمْ ... وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلٌ

وقد قيل في صداقة المتلون: مودته متقلبة كتنقل الأفياء، وأخوته متلونة كملون الحبراء، قال الشاعر:

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَدرِي مِنْ تَلُونِهِ ... أَنَا صَاحِبُ أُمِّ عَلِيٍّ غَشَّ يَدَاجِينِي
تَغْتَابُنِي عِنْدَ إِقْوَامٍ وَتَمْدَحُنِي ... فِي آخَرِينَ وَكُلَّ عَنكَ يَا تَيْبِي

وقال آخر:

أخ لي كأيام الحياة اخاؤه ... تلون ألوان علي خطوبها
إذا عبت منه عيبة فتركته ... دعيتي منه خلة لا أعيها

(١٦) - الموسوعة الشعرية ص ٣١٤.

٢٩٠٥ فراق الصديق المتلون

٢٩٠٦ مفارقة جليس السوء

٢٩٠٧ وفاء الصديق

فراق الصديق المتلون

قال اسحاق الموصلي: "ذكرت للعباس العلوي رجلاً فقال: دعني أتذوق طعم فراقه، فهو والله لا تشجى له النفس، ولا يدمى لفراقه الجفن". وقيل: "لا تصحب من لا يرى لك في الود مثلها ترى له". وقيل: "شغل المرء بمشغله عنه مسقطه من العيون وإقباله على معرض عنه معرضة به لسوء الظنون"، قال الشاعر:

إذا لم يزل صاحبي يلتوي ... فقطع قرابته أروج
مفارقة جليس السوء

أجهل الناس من استأنس بالوحدة، واستكثر من الخلوة، وقيل: اياك من العزلة فإن في ملاقاته الناس معتبراً نافعاً، ومتعضاً واسعاً، فإن البيت رمس ما لزمته، قال الشاعر:

وحدة الإنسان خير ... من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير ... من جلوس المرء وحده (١٦)

وفاء الصديق

نعم انحل الرضي، والصديق الوفي، والجليس الذكي التقى، فن لا وفاء له لا خلق له، وفي الأمثال السائرة: الصديق عند الضيق، وحافظ على الصديق ولو في الحريق.

(١٦) - محاضرات الراغب صص ٢٤٥.

قال ابوالعتاهية:

أحبُّ من الإخوانِ كُلِّ مَوَاتٍ ... وَفِي يَغْضُ الطَّرْفِ عَنْ عَثْرَاتِي

يُوافِقُنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ أُرِيدُهُ ... وَيَحْفَظُنِي حَيًّا وَبَعْدَ وَفَاتِي

وَمَنْ لِي بِهَذَا لَيْتَ أَنِّي أَصَبْتُهُ ... فَقَاسَمْتُهُ مَالِي مِنَ الْحَسَنَاتِ

تَصَفَّحْتُ إِخْوَانِي فَكَانَ أَقْلَهُمْ ... عَلَى كَثْرَةِ إِخْوَانِ أَهْلِ ثِقَاتٍ
وقال آخر:

وَكُلُّ أُنْحٍ يَقُولُ أَنَا وَفِي ... وَلَكِنْ لَيْسَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ
سِوَى خَلٍّ لَهُ حَسَبٌ وَدِينٌ ... فَذَلِكَ لِمَا يَقُولُ هُوَ الْفَعُولُ (١٦)

أما الشافعي رضي الله عنه فهو يقول:

إِذَا لَمْ أَجِدْ خِلا تَقِيًّا فَوَحِدَتِي ... أَلِدُّ وَأَشْمِي مِنْ غَوِيِّ أَعَاشِرِهِ

قال أبو حاتم رضي الله عنه: الواجب على العاقل إذا رزقه الله ود امرئ مسلم صحيح الوداد محافظاً عليه أن يتمسك به، ثم يوطن نفسه على صلته إن صرمه، وعلى الإقبال عليه إن صد عنه، وعلى البذل له إن حرمه، وعلى الدنو منه إذا باعده، حتى كأنه ركن من أركانه، وإن من أعظم عيب المرء تلونه في الوداد، فالعاقل لا يقصر في تعهد الوداد، ولا يكون ذا لونين، وذا قلبين، بل يوافق سره علانيته، وقوله فعله، ولا خير في متآخيين ينمو بينهما الخلل ويزيد في حالهما الدغل، قال الشاعر:

وكم من صديق وده بلسانه ... خوون بظهر الغيب لا يتندم
يضاحكني كرهاً لكيما أوده ... وتبعني منه إذا غبت أسهم (٢٦)

(١٦) - هذان البيتان لحسان بن ثابت.

(٢٦) - روضة العقلاء ص ٨٣.

٢٩٠٨ مصاحبة الجاهل والأحمق

وقال آخر:

أف وتف لمن مودته ... إن زلت عنه سويعةً زالت
إن مالت الريح هكذا أو كذا ... مال مع الريح حيثما مالت (١٦)
ولبعض الشعراء:

وما أحب إذا أحببت مكتتماً ... ييدي العداوة أحياناً ويخفيها
تظل في قلبه البغضاء كامنةً ... فالقلب يكتمها والعين تبديها
والنفس تعرف في عيني محدثها ... من كان من سلمها أو من أعادها
عينك قد دلتا عيني منك على ... أشياء لولاهما ما كنت أدريها

مصاحبة الجاهل والأحمق

الناس في أخلاقهم وأوصافهم أجناس وإن كان أصلهم واحداً، فإنهم يختلفون باختلاف البيئات التي تربوا فيها، والأمور التي نشأوا عليها، ولهذا اعتبر الناس باخذانهم -أي أصدقاءهم- وروي عن مالك أنه قال: الناس أشكال كأجناس الطير: الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط، والصعو (٢٦) مع الصعو، وكل إنسان مع شكله. قال الشاعر:

يقاس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه ... وذو العر (٣٦) إذا ما احتك ذا الصحة أعداه
وللشيء من الشيء مقاييس وأشباه ... وللروح على الروح دليل حين يلقاه

(١٦) - بهجة المجالس ج ٢ ص ٧٢٠، والموسوعة الشعرية ص ٣١٣.

(٢٦) - الصعو: طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس.

(٣٦) - العر: بظم العين الجرب.

وقال آخر:

إِنَّ الْقُلُوبَ لِأَجْنَادٍ مُجَنَّدَةٍ ... لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ بِالْأَهْوَاءِ تَخْتَلِفُ
فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهَوَ مُؤْتَلِفٌ ... وَمَا تَنَآكَرَ مِنْهَا فَهَوَ مُخْتَلِفٌ

وفي الحديث النبوي: (الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَآكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ) (١٦) .

وقال أبو حاتم رضي الله عنه: العاقل يجتنب مواشاة المريب في نفسه، ويفارق صحبة المتهم في دينه، لأن من صحب قوماً عرف بهم، ومن عاشر أمراً نسب إليه، والرجل لا يصاحب إلا مثله أو شكله، فإذا لم يجد المرء بداً من صحبة الناس تحرى صحبة من زانه إذا صحبه، وإن رأى منه حسنة عدّها، وإن رأى منه سيئة سترها، وإن سكت عنه ابتدأه، وإن سأله أعطاه (٢٦) ، وذلك لا يكون في أحمق أو جاهل، ... لأن الجاهل يجهل حق الصداقة وحفظها، والأحمق إن لم يعدك من حمقه تدنست بعشرته، بل ربما أصابك ضرر من صداقته، فإنك إن أعرضت عنه اغتم، وإن أقبلت عليه اغتر، وإن حلمت عنه جهل عليك، وإن أحسنت إليه أساء إليك، قال الشاعر:

لا تصحب الجاهد ... ل إياك وإياه

فكم من جاهل أردى ... حليماً حين آخاه

(١٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب الأرواح جنود مجنّدة حديث (٤٧٧٣) .

(٢٦) - روضة العقلاء ص ٨٨ .

يقاس المرء بالمرء ... إذا ما هو ماشاه

وللشيء من الشيء ... مقاييس وأشباه

وللقب على القلب ... دليل حين يلقاه

قال مسكين الدارمي:

اتق الأحمق أن تصحبه ... إنّما الأحمق كالثوب الخلق

كلما رقعت منه جانباً ... حرّكته الريح وهناً فانخرق

أو كصدع في زجاج فاحش ... هل ترى صدع زجاج متفق

وإذا جالسته في مجلسٍ ... أفسد المجلس منه بالخرق

وإذا نهنته كي يرعوي ... زاد جهلاً وتمادى في الحمق

وإذا الفاحش لاقى فاحشاً ... فهناكم وافق الشن الطباق

إنما الفحش ومن يعتاده ... كغراب السوء ما شاء نطق

أو حمار السوء إن أشبعته ... رمح الناس وان جاع نهق

وغلام السوء إن جوعته ... سرق الجار وان يشبع فسق

أيها السائل عما قد مضى ... هل جديد مثل ملبوس خالق

أنا مسكين لمن انكرني ... ولمن يعرفني جد نطق

لا أبيع الناس عرضي إنني ... لو أبيع الناس عرضي لنفق

وقال آخر:

لن يسمع الأحمق من واعظ ... في رفعه الصوت وفي همه

لن تبلغ الأعداء من جاهل ... ما يبلغ الجاهل من نفسه

والحق داء ما له حيلة ... ترجى كبعد النجم في لمسه

وقيل: "لا تؤاخ الفاجر فإنه يزين لك فعله، ويحب لو أنك مثله، ويزين لك أسوء خصاله، ومدخله عليك ومخرجه من عندك شين وعار. ... ولا الأحق فإنه يجتهد بنفسه لك ولا ينفعك، وربما أراد أن ينفعك فيضرك، فسكوتة خير من نطقه، وبعده خير من قربه، وموته خير من حياته. ... ولا الكذاب فإنه لا ينفعك معه عيش، ينقل حديثك، وينقل الحديث إليك، حتى كأنه ليحدث بالصدق فيصدق." (١٦)

وقال بعض الحكماء: "من أخلاق الحمق: العجلة والخفة والجفاء والغرور والفجور والسفه والجهل والتواني والخيانة والظلم والضياع والتفريط والغفلة والسرور والخيلاء والفجر والمكر، وإن استغنى بطر، وإن افتقر قنط، وإن فرح أشر، وإن قال فحش، وإن سأل ألح، وإن قال لم يحسن، وإن قيل له لم يفقه، وإن ضحك نهق، وإن بكى خار".

وقيل: "يعرف الأحق بست خصال: الغضب من غير شيء، والإعطاء في غير حق، والكلام من غير منفعة، والثقة بكل أحد، وإفشاء السر، وأن لا يفرق بين عدوه وصديقه، ويتكلم ما يخطر على قلبه، ويتوهم أنه أعقل الناس".

وقال أبو حاتم بن حيان الحافظ: من علامات الحمق سرعة الجواب، وترك التثبت، والإفراط في الضحك، وكثرة الالتفات، والوقوع في الأختيار، والاختلاط بالأشرار. فن ابتلي بصحبة الأحق فليكثر من حمد الله على ما وهب له مما حرمه ذلك. قال محمد الشامي:

(١٦) - روي هذا الكلام عن الإمام علي رضي الله عنه.

٢٩٠٩ صداقة الكسلان ومجالسته

٢٩٠١٠ صداقة العدو

لنا جليس ترك للأدب ... جليسه من قوله في تعب

يغضب جهلاً عند حال الرضى ... ومنه يرضى عند حال الغضب (١٦)

صداقة الكسلان ومجالسته

من علامة الخذلان مصاحبة الكسلان، ومفارقة الاخوان، والبعد عن خلال الإيمان، قال الشاعر:

لا تصحب الكسلان في حاجة ... كم صالح بفساد آخر يفسد

عدوى البليد إلى الحديد سريعة ... والجمر يوضع في الرماد فيخمد (٢٦)

فالكسل الداء، والعامل لا يكسل بل يجد ويجتهد في عمله، والمؤمن يستعيد بالله من الكسل ويشمر للجد في العمل، وفي الحديث النبوي

الشريف: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَلَمِ الْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلْبَةِ الرَّجَالِ) (٣٦) .

صداقة العدو

أعقل الناس من استطاع أن يحول العدو إلى صديق، لا أن يتذلل للعدو ويداهنه في الصداقة خشية ضره، فذلك نكد ومرض، قال المتنبي:

وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحَرِّ أَنْ يَرَى ... عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بَدُ

(١٦) - أخبار الحمقى والمغفلين تصنيف الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي القرشي البغدادي، شرحه عبد الأمير مهني،

ص٣٧، الناشر: دار الفكر اللبناني الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٢٦) - هذا البيت ينسب للخوارزمي، وانظر الموسوعة الشعرية ص٣١٢.

(٣٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب من غزا بصبي للخدمة حديث (٢٦٧٩) .

٢٩٠١١ من الصداقات ما يؤذي

وقال آخر:

وَاللَّيْثُ يُظْهِرُ أَنْ يَرَاكَ تَوَدُّدًا ... مِنْ رَوْعِهِ وَالْقَلْبُ فِيهِ ضَعَائِنُ

وقيل: "من عاشر الاخوان بالمكر كافؤه بالصدر"، قال الشاعر:
إِذَا أَنْتَ قَنَسْتَ الْقُلُوبَ وَجَدْتَهُ ... قُلُوبَ الْأَعَادِي فِي جُسُومِ الْأَصَادِقِ (١٦)
وقال آخر:

عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب
من الصداقات ما يؤذي

الصداقة قوة وأخوة، والغالب عليها النفع، ومنها ما يضر وينفع، قال المتنبي:
وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ ... وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ
أما منصور بن اسماعيل الفقيه فهو يقول:

احذر عدوك مرّة ... واحذر صديقك ألف مرّة
فلربما إنقلب الصديق ... فكأن أعلم بالمضرة

وفي الحديث النبوي الشريف: (أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما) (٢٦) .

أما عبد الله البردوني فهو يرى في الصداقات ما يؤذي وذلك حيث يقول:
(١٦) - هذا البيت للشريف الرضي .

(٢٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في الاقتصاد في الحب حديث (١٩٩٧) .

٢٩.١٢ الاحتمال للصديق واستبقاء وده

والصداقات كالعداوات تؤذي ... فسواء من تصطفي أو تعادي
وقال آخر:

وزهدني في الناس معرفتي بهم ... وطول اختياري صاحباً بعد صاحب
فلم تربي الأيام خلاً تسرني ... بواديه إلا ساءني في العواقب
ولا صرت أدعوه لدفع مله ... من الدهر إلا كان إحدى النوائب
الاحتمال للصديق واستبقاء وده

العاقل يحتمل لإخوانه وأصدقائه، ولا يقصر في تعهد وداد أصدقائه، فإن أعجز الناس من قصر عن طلب الإخوان، وأعجز منه من ظفر
بذلك منهم فأضاع مودتهم، وأكثر معاتبتهم، قال الشاعر:

أخوك الذي إن ربه قال إنما ... أربت وإن عاتبتك لأن جانبك
إذا كنت في كل الذنوب معاتباً ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فمش واحداً أو صل أخاك فإنه ... مفارق ذنب مرّة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ... ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه (١٦)

وقال آخر:

وكنت إذا الصديق أراد غيظي ... وأشرقني على حتى بريقي
غفرت ذنوبه وصفح عنه ... مخافة أن أعيش بلا صديق (٢٦)

(١٦) - هذه الأبيات لبشار بن برد.

(٢٦) - ذيل الأمالي للقالي ج ٣ ص ١١١، والموسوعة الشعرية ص ٣٠٧. والبيتان ينسبان لأبي زبيد الطائي، وينسبان أيضاً إلى كثير عزه، والله أعلم.

فإذا لم تجد صديقاً صادقاً فإن الانفراد والخلوة أجمع لدواعي السلوة، وفيها الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم، قال الشاعر:

وَقَالُوا لِقَاءِ النَّاسِ أَنْسٌ وَرَاحَةٌ... وَلَوْ كُنْتُ أَرْضَى النَّاسَ مَا كُنْتُ مُفْرَدًا (١٦)

وقال أبو الدرداء: كان الناس ورقات لا شوك فيه، وقد صاروا شوكاً لا ورق فيه، إذا نافرتم نفروك وإن تركتهم ما تركوك. (٢٦)

فإذا تأذى الإنسان بالجليس وقل من الأصدقاء الأنيس فلا تجعل من نفسك صديقاً للأشرار، ولا تشتغل عن الله بمداناة الفجار، قال الشاعر:

طب عن الأمة نفساً... وارض بالوحدة أنساً
لست بالواجد خلاً... أو ترد اليوم أمسا
فإذا أردت الصاحب فالله يكفيك، وإن أرت أنيساً فالقرآن يؤنسك ويؤاسيك.

(١٦) - هذا البيت للشريف الرضي.

(٢٦) - محاضرات الراغب ص ٢٥٥.

٣٠ الفصل التاسع والعشرون الأخلاق الحسنة

الفصل التاسع والعشرون

الأخلاق الحسنة

٣٠٠١ الأخلاق الحسنة

الأخلاق الحسنة

الأخلاق الحسنة هي الدعامة الأولى لحفظ كيان الأمم، فلا تنهض الجماعات البشرية، ويعلو بنيانها، وتستقيم أحوالها، وتسمو حضارتها؛ إلا بالأخلاق الحسنة الفاضلة، فهي الركيزة الأساس في بناء كل مجتمع ينشد المحبة والإخاء، ويحرص على النهضة والبناء، ومن أجل

ذلك كانت رسالة الأنبياء تحث على الأخلاق الفاضلة، وفي الحديث النبوي الشريف: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) (١٦)،

فانخلق الحسن يعني بسط الوجه، وبذل الندي، وكف الأذى، فتحلى أخي بانخلق الحسن تكن من الناس قريباً، وفيما بينهم حبياً، وقد

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (حسن الخلق في ثلاث خصال: إجتنب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة على العيال)

، وقد روى مسلم في صحيحه والترمذي في سننه من حديث النواس ابن سنعان رضي الله عنه قال: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وآلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ: فَقَالَ: الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ) (٢٦) .

وقال الغزالي: الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معاً، يقال: فلان حسن الخلق والخلق -أي حسن الباطن والظاهر- فيراد بالخلق

الصورة الظاهرة، ويراد بالخلق الصورة الباطنة. وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك

(١٦) - أخرجه أحمد في المسند عن أبي هريرة حديث (٨٥٩٥) .

(٢٦) - أخرجه مسلم في صحيحه باب تفسير البر والإثم حديث (٤٦٣٢) ، والترمذي في سننه باب ما جاء في البر والإثم حديث

(٢٣١١) .

٣٠٠٢ الخلق الحسن منزلة رفيعة

بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة. ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة. فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر. (١٦)

الخلق الحسن منزلة رفيعة

لخلق الحسن منزلة رفيعة يبلغ بها الإنسان الدرجات العالية في الدنيا والآخرة، فمن حسنت أخلاقه وجبت محبته، ونال مراده، وفي الحديث النبوي الشريف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْثَفًا، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْمُتَمَسِّمُونَ لِلْبِرَاءِ الْعَنَتِ، الْعَيْبِ) (٢٦) .

وقيل: "في حسن الأخلاق سعة كنوز الأرزاق"، وقيل: "صفاء الأخلاق من نقاء الأعراق، وإنما تحيا الأمم بأخلاقها"، ويرحم الله شوقي حيث يقول:

إِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ ... فَإِنَّ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا (٣٦)

وله أيضاً:

وَأَمَّا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ ... فَإِنَّ تَوَلَّتْ مَضَوْا فِي إِثْرِهَا قَدْماً (٤٦)

(١٦) - إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج ٢ ص ٢٥٣ .

(٢٦) - أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي هريرة ج ١٩ ص ٨٠ حديث (١٨٣) .

(٣٦) - هذا البيت أورده أحمد قبش في كتابه مجمع الحكم والأمثال ص ٢٤٠، ونسبه لأحمد شوقي وليس في ديوانه الذي بين أيدينا .

(٤٦) - ديوان شوقي ج ١ ص ٢٥٩ ، والموسوعة الشعرية ص ١٥٧ .

٣٠٠٣ التآلف والحب بحسن الخلق

ولله در القائل:

ولو أنني خيرت كل فضيلة ... ما اخترت غير مكارم الأخلاقِ

والعاقل من يحفظ على الأخلاق الفاضلة لأنها تجارة رابحة، وفي الحديث النبوي الشريف: (مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ) (١٦) .

في حسن الخلق التقرب إلى الرحمن، والأخذ بهدي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وفي ذلك دليل على كمال الإيمان، وفي حسن الخلق التوسعة على الأهل والأولاد والإخوان، والإحسان إلى الجيران، والابتعاد عن خطوات الشيطان، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فالذي نفس محمد بيده ما عمل الخلاق عملاً أحب إلى الله منهما) (٢٦) ، فحسن الخلق زيادة في الخير، وكسب للمعروف، وتقدم وعلو، وفي حسن الخلق نماء، وزيادة في العمر، ودليل على الشرف، ويرحم الله القائل:

أحب مكارم الأخلاق جهدي ... وأكره أن أعيب وأن أعابا

وأصفح عن سباب الناس حلماً ... وشر الناس من يهوى السبابا

التآلف والحب بحسن الخلق

بحسن الخلق تألف الاخوان، وطاعة الرحمن، وهو باب من أبواب الإحسان، ففي الحديث النبوي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق) ، قال أبو هريرة رضي الله عنه: ... وما حسن الخلق يا رسول الله؟ قال: (تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك) ، ولا يخفى أن ثمرة الخلق الحسن الألفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت

الثرة، وكيف وقد ورد في الثناء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحب الله من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع، قال الله تعالى مظهراً عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة: {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٣٦) وقال: {فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً} (٤٦) أي بالألفة. ويرحم الله القائل:

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل (٥٦)

استحباب اكتساب الأخلاق الفاضلة حتى تكون خلقاً وطبعاً
دأب الفاضل ودينه تعلم الأخلاق الفاضلة، واكتساب الأخلاق الحسنة، فإنه لن يبلغ الإنسان ما يريده من الأخلاق الحسنة حتى يبحث عنها ويتعلمها، فالعاقل من يسعى لاكتساب علم الأخلاق التي تبحث عن معنى الخير والشر، وتبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس مع بعضهم بعضاً، حتى ينير علم الأخلاق سبيله، ويكون هدفه ودينه، فهو أقوى الدعائم التي تحفظ كيان الأمم، ولهذا نرى الباحثين والفلاسفة يتفقون على ضرورة

(١٦) - أخرجه أبو داود في سننه باب ما جاء في حس الخلق حديث (٤١٦٦) .

(٢٦) - أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي ذر حديث (٧٣٠٤) .

(٣٦) - سورة الأنفال الآية (٦٣) .

(٤٦) - سورة آل عمران الآية (١٠٣) .

(٥٦) - البيت لمنقر بن فروة ، وانظر البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ١٠٣ ، والموسوعة الشعرية ص ١٥٧ .

اكتساب الأخلاق الفاضلة لأنها تصلح الفرد نفسه والمجتمع في جملة، فكما أن الفرد يزكو وتحسن أعماله بالأخلاق الفاضلة، فكذلك يفسد بالأخلاق الفاسدة، وتفسد المجتمعات أيضاً بشيوع الصفات والأخلاق السيئة في آحادها، ولهذا فإن أول ما تتوجه عناية المصلحين والفلاسفة والمشرعين العاملين على إنهاض الجماعات البشرية إلى الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة لأنها الدعامة الأولى في بناء كل مجتمع سليم، ولم يبلغ (شاتوبريان) حين قال: "الأخلاق أساس كل مجتمع" . (١٦)

ولله در القائل:

فَلَمْ أَجِدِ الْأَخْلَاقَ إِلَّا تَخَلُّقاً ... وَلَمْ أَجِدِ الْأَفْضَالَ إِلَّا تَفَضُّلاً (٢٦)

وقال آخر:

وَفِي الْحِلْمِ وَالْإِسْلَامِ لِلْمَرْءِ وَازِعٌ ... وَفِي تَرْكِ طَاعَاتِ الْفُؤَادِ الْمُتَمِّمِ

بَصَائِرِ رُشْدٍ لِلْفَتَى مُسْتَبِينَةٌ ... وَأَخْلَاقُ صِدْقٍ عَلَيْهَا بِالْتَعَلُّمِ (٣٦)

أما حاتم الطائي فهو يقول:

تَحَلَّلْ عَنِ الْأَدْنَيْنِ وَاسْتَبِقِ وُدَّهُمْ ... وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّى تَحَلِّمَا (٤٦)

وقال آخر:

كَذَاكَ أَدَّبَتْ حَتَّى صَارَ مِنْ خَلْقِي ... أَنِي وَجَدْتُ مَلَكَ الشِّيمَةِ الْأَدَبِ (٥٦)

(١٦) - روح الدين الإسلامي ص ٢٠٤ .

(٢٦) - روح الدين الإسلامي ص ٢٠٤ .

(٣٦) - البيت ينسب لأبي تمام .

(٤٦) - ورد هذا البيت لحاتم الطائي، وورد في الموسوعة الشعرية منسوباً للمتلهم والله أعلم .

(٥٦) - الموسوعة الشعرية ص ١٦٠ .

ولكن بعض الشعراء يرى غلبة الخلق على التخلق، والطبع على التطبع، وفي ذلك يقول محمد الاشبيلي:
 وكل إلى طبعه عائد ... وإن صده المنع عن قصده
 كذا الماء من بعد سخنانه ... يعود سريعاً إلى برده
 ويرى آخر أن من شب على شيء شاب عليه وأن الشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه فيقول:
 وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ إِخْلَاقَهُ ... حَتَّى يُوَارِيَ فِي ثَرَى رَمْسِهِ (١٦)
 ولا بن بسام الشنتريني:
 يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّيْ غَيْرِ شَيْمَتِهِ ... إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ (٢٦)
 وقال آخر:

إذا ما طلبت شيمةً غير شيمةٍ ... طبعت عليها لم تجبك الطباع
 أما ذو الأصبع العدواني فهو يقول:

كُلُّ إِمْرِيٍّ صَائِرٌ يَوْمًا لِشَيْمَتِهِ ... وَإِنْ تَخَلَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينِ
 وقال آخر:

ارجع إلى خلقك المعروف ديدنه ... إن التخلق يأتي دونه الخلق
 أما اسحاق الخريمي فهو يقول:

النَّاسُ أَخْلَاقُهُمْ شَتَّى وَإِنْ جُبِلُوا ... عَلَى تَشَابُهٍ أَرْوَاحٍ وَأَجْسَادِ
 (١٦) - البيت ينسب لصالح بن عبد القدوس.

(٢٦) - ورد هذا البيت في الذخير في محاسن أهل الجزيرة لابن بسان الشنتريني.

٣٠٠٤ من حسن الله خلقه ينبغي أن يحسن خلقه

والظاهر أن من عود نفسه الفضيلة واخلق الحسن اعتادها، قال عبد الله ابن المبارك:
 خَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ... لَا تَكُنْ كَلْبًا عَلَى النَّاسِ تَهْر (١٦)

وفي الحديث النبوي الشريف: (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) (٢٦) .
 من حسن الله خلقه ينبغي أن يحسن خلقه

إن من أكرمه الله بحسن الخلق ينبغي أن يكون حسن الخلق، وقد قيل أن الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الأفعال بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحدودة شرعاً وعقلاً سميت تلك الأفعال خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً. (٣٦)

وفي الحديث النبوي: (أطلبوا الخير عند حسان الوجوه) (٤٦) ، وفي الذكر الحكيم: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (٥٦) ، وفي سورة التغابن يقول العزيز الحكيم: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ

(١٦) - وورد في الموسوعة الشعرية لمحمد بن زنجي البغدادى.

(٢٦) - أخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في معاشره النساء حديث (١٩١٠) .

(٣٦) - دليل السائلين ص ١٩٣ .

(٤٦) - أخرجه الطبراني في الأوسط ج٦ ص١٧٦، وفي الكبير ج١١ ص٨١.

(٥٦) - سورة غافر الآية (٦٤) .

المصيرُ (١٦) ، فسبحان من أحسن خلق الإنسان وأوجد من العدم الصور الحسان، وجاء في سورة الرحمن مزيد بيان: {الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان} (٢٦) ، فمن خلقه الله في أحسن تقويم وجب عليه أن يكون من المحسنين الشاكرين للعزيم الرحيم: {والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم} (٣٦) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال) . وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: "إن العبد ليبليغ بحسن خلقه أعلى درجات الجنة وهو غير عابد، ويبليغ بسوء خلقه أسفل درجات جهنم وهو عابد". وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: "حسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات، وسوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات" (٤٦) .

وإن حسن الوجه إذا كان حسن الأخلاق كان قريباً من الله قريباً من الناس، يحبهم ويحبوه، ويألفهم ويألفوه، يسعى بالبر ويعين عليه، بحسن أخلاق المرء تنصلح أحواله، وتزكو أعماله، وتحسن طويته، وتكبر همته، ويعظم نفعه، قال الشاعر:

حَسَنُ الْوَجْهِ وَالْخَلَاتِقِ وَالْعَهْدِ ... كَرِيمُ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ

(١٦) - سورة التغابن الآية (٣) .

(٢٦) - سورة الرحمن الآيات (٤-١) .

(٣٦) - سورة التين الآيات (٤-١) .

(٤٦) - دليل السائلين ص ١٨٥ .

٣٠٠٥ قصة خروج جابر مع رسول الله (ص) في غزوة ذات الرقاع

يُشْرِقُ الدَّسْتُ مِنْهُ بَيْنَ جَمَالٍ ... رَائِحٌ بَاهِرٌ وَبَيْنَ جَلَالٍ

فهو كالجونة المضيفة للأعين ... لكن محلها جدُّ عالٍ (١٦)

وقال آخر:

حَسَنُ الْوَجْهِ وَالصَّفَاتِ جَمِيعاً ... مُرْتَضَى الْفِعْلِ أَشْرَفُ الشَّرَفَاءِ (٢٦)

وقال أبو العتاهية:

وَسِعَ النَّاسُ بِخُلُقِ حَسَنِ ... لَمْ يَضِقْ شَيْءٌ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ

كُلُّ مَنْ لَمْ تَتَّسِعْ أَخْلَاقَهُ ... بَعْدَ الْإِحْسَانِ مِنْهُ وَتَحَقَّقَ

قصة خروج جابر مع رسول الله (ص) في غزوة ذات الرقاع

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرَّقَاعِ مُرْتَحِلاً عَلَى جَمَلٍ لِي ضَعِيفٍ فَلَمَّا قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جَعَلَتْ الرَّفَاقُ تَمْضِي وَجَعَلْتُ أُتَخَلَّفُ حَتَّى أَدْرِكُنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (مَا لَكَ يَا جَابِرُ؟) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هَذَا، قَالَ: (فَأَنْخُهُ) وَأَنَاخَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: (أَعْطِنِي هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ) ، أَوْ قَالَ:

(١٦) - هذا البيت ينسب لسعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي أبو الفوارس، الملقب بـ (الحيص بيص) ، (٤٩٢-٤٥٧٤هـ/١٠٩٨م)

شاعر مشهور من أهل بغداد كان يلقب بأبي الفوارس نشأ فقيهاً وغلب عليه الأدب والشعر وكان يلبس زي أمراء البادية ويتقلد سيفاً ولا ينطق بغير العربية الفصحى، وتوفي ببغداد عن ٨٢ عاماً، له (ديوان شعر-ط) الجزء الأول منه ببغداد ورسائل أورد

ابن أبي أصيبعة نتفاً منه.

(٢٦) - هذا البيت ينسب للمفتي عبد اللطيف بن علي فتح الله، (ت ١٢٦٠هـ-١٨٤٤م) أديب من أهل بيروت، تولى القضاء والإفتاء، له نظم جيد في (ديوان-ط) و (مقامات-خ) ، و (مجموعة شعرية-خ) بخطه، ألقاها في صباه سنة ١٢٠٠هـ في خزانة الرباط ١٧٤٥ كتاني.

(أَقَطْعُ لِي عَصًا مِنْ شَجَرَةٍ) قَالَ: فَفَعَلْتُ، قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَخَسَهُ بِهَا نَخَسَاتٍ ثُمَّ قَالَ: (ارْكَبْ) ، فَرَكِبْتُ، فَفَرَجَ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ يُوَاهِقُ نَاقَتَهُ مُوَاهِقَةً، قَالَ: وَتَحَدَّثَ مَعِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (أَتَبِعُنِي بِجَمَلِكَ هَذَا يَا جَابِرُ؟) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أَهْبَهُ لَكَ، قَالَ: (لَا وَلَكِنْ بَعْنِيهِ) ، قَالَ: قُلْتُ: فَسَمِنِي بِهِ، قَالَ: (قَدْ قُلْتَ أَخَذْتَهُ بِدِرْهِمٍ) قَالَ: قُلْتُ: لَا إِذَا يَغْنُبُنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (فَبِدِرْهِمَيْنِ) ، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ الْأُوقِيَّةَ، قَالَ: قُلْتُ: فَقَدْ رَضَيْتُ، قَالَ: (قَدْ رَضَيْتَ) قُلْتُ: نَعَمْ، قُلْتُ: هُوَ لَكَ، قَالَ: (قَدْ أَخَذْتَهُ) ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: (يَا جَابِرُ هَلْ تَزَوَّجْتَ بَعْدُ) ، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (أَيْبَاءُ أُمَّ بَكْرًا) ، قَالَ: قُلْتُ: بَلْ نَيْبًا، قَالَ: (أَفَلَا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ) ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَبِي أُصِيبَ يَوْمَ أَحَدٍ وَتَرَكَ بَنَاتٍ لَهُ سَبْعًا فَفَكَحْتُ امْرَأَةً جَامِعَةً يَجْمَعُ رُءُوسَهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: (أَصَبْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) ، قَالَ: (أَمَّا إِنَّا لَوْ قَدْ جِئْنَا صِرَارًا أَمْرًا نَجْزُرُ فَنُحْرِتُ وَأَقْنَأُ عَلَيْهَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَسَمِعْتَ بِنَا فَنَفَضْتَ نَمَارِقَهَا) ، قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ نَمَارِقٍ، قَالَ: (إِنَّهَا سَتَكُونُ فَإِذَا أَنْتَ قَدِمْتَ فَاعْمَلْ عَمَلًا كَيْسًا) ، قَالَ: فَلَمَّا جِئْنَا صِرَارًا أَمْرًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِجَزُورٍ فَنُحْرِتُ فَأَقْنَأُ عَلَيْهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ فَلَمَّا أَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ وَدَخَلْنَا، قَالَ: فَأَخْبَرْتُ الْمَرْأَةَ الْحَدِيثَ وَمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: فِدُونِكَ فَسَمِعًا وَطَاعَةً، قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخَذْتُ بِرَأْسِ الْجَمَلِ فَأَقْبَلْتُ بِهِ حَتَّى أُنْحَتُهُ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَرِيبًا مِنْهُ قَالَ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى الْجَمَلَ، فَقَالَ: (مَا هَذَا؟) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا جَمَلٌ جَاءَ بِهِ جَابِرٌ، قَالَ: (فَأَيْنَ جَابِرُ؟) فَدُعِيَتْ لَهُ، قَالَ: (تَعَالَ - أَيُّ يَا ابْنَ أَخِي - خُذْ بِرَأْسِ جَمَلِكَ فَهُوَ لَكَ) ، قَالَ: فَدَعَا بِلَالًا، فَقَالَ: (أَذْهَبْ بِجَابِرٍ فَأَعْطِهِ أُوقِيَّةً) ، فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَأَعْطَانِي أُوقِيَّةً وَزَادَنِي شَيْئًا يَسِيرًا، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَنْبِي عِنْدَنَا وَنَرَى مَكَانَهُ مِنْ بَيْتِنَا. (١٦)

إن في هذه القصة من الخلق الكريم ما يدل على علو مكانة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولطف معاشرته، وفكاهة محاورته، ولين خطابه، وهو ما يدفع العاقل إلى حسن الاقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم، ويستفاد من ذلك أن حسن الخلق هو أفضل ما اقتنى الإنسان لنفسه في الدنيا وأجل ما يذخر له في العقبى، والله در القائل:

مَا مِنْ جَمِيلٍ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا حَسَنٍ ... إِلَّا وَأَكْثَرُهُ فِي ذَلِكَ الْخَلْقِ (٢٦)

وإلى هنا تم بحمد الله وعونه وتوفيقه

ويليه الجزء الثاني

(١٦) - أخرجه أحمد في المسند حديث (١٤٤٩٥) .

(٢٦) - هذا البيت لأبي تمام.

المحتويات

مقدمة ... ٣

الفصل الأول ... ٩

العلم هو إدراك الشيء بحقيقته ... ١١

بقاء العلم ... ١٤

- العلم عون الدين ... ١٦
العلم يرفع الله به الوضيع ... ١٧
العلم عنوان العز ... ١٨
أشرف العلوم ... ٢٠
مبادئ العلوم ... ٢١
الجد في طلب العلم ... ٢٢
محبة العلم ... ٢٥
تعظيم العلم ... ٢٥
تكريم المعلم ... ٢٦
المعلم الذي لا يؤدي واجبه ... ٢٨
المعلم الذي يخالف علمه عمله ... ٢٩
حق التعليم مكفول للصغير والكبير ... ٢٩
ترك المعاصي سبب في حفظ العلوم وجمعها ... ٣٣
إنفاق العلم وعدم جواز كتبه ... ٣٤
القصة في الحديث النبوي ... ٣٥
الجهل يضاد العلم ... ٣٥
الفتيا بغير علم إثم ... ٣٨
العليم الخبير في أسماء الله الحسنى ... ٣٩
علم الله جل وعلا علم تفرد به ... ٤٤
ثمره معرفة اسم الله تعالى العليم الخبير ... ٤٥
دعاء الله باسمه العالم العليم ... ٤٨
الفصل الثاني ... ٥١
العقل ... ٥٣
العقل والهوى متعاديان ... ٥٦
عداوة العاقل خير من صداقة الأحمق ... ٦٠
العقل مناط التدبير وطريق الهدى والرشاد ... ٦٠
العقل نوعان: مطبوع ومسموع ... ٦٣
الإنكار على من لم يعمل عقله ... ٦٤
إغفال العقل ... ٦٥
التجارب تزيد في العقل ... ٦٥
الأدب النفسي ودوره في تنمية العقل ... ٦٦
كمال العقل ... ٦٧
القصة ... ٦٨
الفصل الثالث ... ٧٥
الإنسانية أصلها واحد ... ٧٧
القصة ... ٨٠
الأمثال العربية ... ٨١
الإسلام يدعو إلى الأخوة والتعاون ... ٨٤
مبدأ الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية ... ٨٧

- نجاح الأفراد والأمم وأثر الاتفاق والاختلاف على الأسرة الإنسانية ... ٨٨
مراحل نمو خلق الإنسان تدل على أن الله وحده الخالق المنان ... ٩٦
الخالق في أسماء الله الحسنى ... ١٠٠
ثمرة معرفة اسم الله الخالق وحده لا شريك له ... ١٠١
دعاء الله باسمه الخالق ... ١٠٣
الفصل الرابع ... ١٠٥
القلم ... ١٠٧
القلم تحيا به الأمم وتتعلم ... ١٠٨
دور القلم في سعادة الأمم وشقاؤها ... ١٠٩
القلم الإلكتروني ... ١١٣
الكتابة الإلكترونية: ماهيتها وطبيعتها ... ١١٤
القوة الثبوتية للكتابة الإلكترونية ... ١١٦
تسمية ما يكتب فيه عند العرب ... ١١٩
الكتبُ إنشأؤه وزبره ... ١٢٦
السطر ... ١٢٨
الكتاب عرضه وحفظه ... ١٢٨
الحفيظ والمحصي من أسماء الله الحسنى ... ١٣٠
ثمرة معرفة اسم الله الحفيظ الحافظ المحصي ... ١٣٤
دعاء الله باسمه الحفيظ الحافظ المحصي ... ١٣٧
الفصل الخامس ... ١٣٩
الإيمان ... ١٤١
النجاة في الإيمان بالله ... ١٤٣
الرفعة بالإيمان ... ١٤٤
الإيمان بالقضاء والقدر ... ١٤٥
القدر في القرآن ... ١٥٠
الرضا والتسليم دليل الإيمان ... ١٥٤
قصة إيمان أهل الكهف في القرآن ... ١٥٥
الإيمان بالله يزيل الهم ... ١٥٦
من يؤمن بالله يهدي قلبه ... ١٥٧
الخلال الدنيئة ليست من صفات المؤمن ... ١٥٨
النفاق يضاد الإيمان ... ١٥٨
الإيمان بالغيب ... ١٦١
إخبار المنجم عن علم الغيب كذب والتصديق به كفر ... ١٦٤
علم الفلك والنجوم ... ١٦٦
الإيمان بأسماء الله وصفاته ... ١٦٨
الذكر يقوي الإيمان ... ١٧٠
ذكر الله في جوف الليل ... ١٧٢
ذكر الله شرف ونعمة ... ١٧٣

- الدعاء يقوي الإيمان ... ١٧٤
من تقرب إلى الله بالدعاء ضمن الإجابة ... ١٧٥
المؤمن من أسماء الله الحسنى ... ١٧٦
ثمرة التعرف على اسم الله المؤمن ... ١٧٧
دعاء الله باسمه المؤمن ... ١٧٨
الفصل السادس ... ١٧٩
العمل ... ١٨١
العمل سبب الغنى ... ١٨٢
البكور في طلب الرزق ... ١٨٤
الحرفة أو الصنعة ضرورة ... ١٨٧
أصناف الصناعات ... ١٨٨
إتقان العمل ... ١٩٠
البحث عن العمل ... ١٩٣
القصة ... ١٩٣
إعطاء العامل أجره ... ١٩٤
إعطاء العامل حظه من الراحة ... ١٩٤
بعث الهمم على العمل ... ١٩٥
الباعث في أسماء الله الحسنى ... ١٩٦
ثمرة معرفة اسم الله الباعث ... ١٩٨
الدعاء باسم الله الباعث ... ١٩٩
الفصل السابع ... ٢٠١
السفر والسياحة ... ٢٠٣
حقيقة السفر ... ٢٠٤
السفر فيه قضاء الحوائج ... ٢٠٦
التغيير بالسفر يكسر (الروتين) وينقي الفكر ... ٢٠٧
علاج (الروتين) الممل ... ٢١٠
تأكد من قدرتك الصحية على السفر ... ٢١٢
آداب السفر ... ٢١٣
الابتسام والبهجة في السفر ... ٢١٩
الاستمتاع بالسفر والسياحة لا يعني السقوط في الوحل ... ٢٣٣
حاجة المسافر إلى قراءة شيء من القرآن في أسفاره ... ٢٣٧
المشي يعين على الطاعة ويجلب السعادة ... ٢٤١
العز والشرف في التنقل ... ٢٤٤
أخطار السفر في هذا الزمن قليلة فتمتع بنعمته الكبيرة ... ٢٤٦
الطائرات السابحات في الجو ... ٢٤٩
السفر يهدي إلى التعرف على عظمة الصانع جلت قدرته ... ٢٥٠
الهادي من أسماء الله الحسنى ... ٢٥٢
ثمرة معرفة اسم الله الهادي ... ٢٥٦
دعاء الله باسمه الهادي ... ٢٥٨
الفصل الثامن ... ٢٦١

- الحرية والإباء ... ٢٦٣
الحرية التي ليس عليها ضوابط ... ٢٦٥
الحرية ليس لها ثمن ... ٢٦٦
لوم الحر نجاة له ... ٢٦٨
الحر لا يريق ماء وجهه ... ٢٦٩
الحر يأبى الذل والهوان ... ٢٧٠
الحر يقاوم الطغيان ... ٢٧١
الحر يحفظ الود ... ٢٩٠
فقد الحر رزيفة ... ٢٩١
الفصل التاسع ... ٢٩٣
الوطن ... ٢٩٥
حب الوطن ووصفه ... ٢٩٧
دعائم المواطنة ... ٣٠١
خيانة الأوطان جنائية ... ٣٠٧
مرارة الغربة عن الأوطان ... ٣٠٩
وطن العرب والمسلمين واحد ... ٣١٠
خصوصية الوطن الأول ... ٣١٣
في الانتقال عن الأوطان ... ٣١٣
الفصل العاشر ... ٣١٧
المال ... ٣١٩
حب المال ... ٣٢١
السعي في طلب المال وإصلاحه ... ٣٢٢
إنفاق المال في وجوه البر ... ٣٢٥
لا تبخل عن بذل المال ... ٣٢٦
فتنة المال وميل الناس إلى صاحبه ... ٣٢٧
ذهاب المال ... ٣٢٨
الغنى والفقر ... ٣٣١
دعاء الله بأسمه الغني المغني الرزاق ... ٣٤٤
الفصل الحادي عشر ... ٣٤٥
المُلك والسياسة ... ٣٤٧
الملك هبة الله الواحد المنان ... ٣٤٩
عدل السلطان ... ٣٥١
الرفق والكرم في السياسة ... ٣٥٣
اختيار الوزراء ... ٣٥٣
مما يستعان به على السياسة ... ٣٥٧
فساد بطانة السلطان ... ٣٥٩
السياسة الرعناء ... ٣٦٠
خساسة السياسة ... ٣٦١
السياسة الرشيدة والملك المحبوب ... ٣٦٢
طاعة السلطان ... ٣٦٤
الملك مالك الملك والمليك في الأسماء الحسنى ... ٣٦٤
ثمرة معرفة اسمه جل وعلا الملك ... ٣٧١
دعاء الله باسمه الملك والمالك ملك الملك ... ٣٧٢
الفصل الثاني عشر ... ٣٧٥

- الشُّكر ... ٣٧٧
استدامة النعمة بالشكر ... ٣٧٩
شكر الخالق واجب ... ٣٨١
من شكر الله شكر الناس ... ٣٨٣
الشكر فيه الزيادة ... ٣٨٦
الثناء على أهل الشكر ... ٣٨٦
الشكر أمان من العذاب ... ٣٨٨
سؤال الشكر من الله نعمة ... ٣٨٨
بحود النعمة والإعراض عن الشكر سبب في الهلاك ... ٣٩٠
الشكور الشاكر من أسماء الله الحسنى ... ٣٩١
ثمرة معرفة هذا الاسم ... ٣٩٢
الفصل الثالث عشر ... ٣٩٥
الكبر ... ٣٩٧
الكبر يغضب الجبار, ويكون سبباً في دخول النار ... ٣٩٨
المتكبرون شرار الناس ... ٣٩٩
الكبر بطل الحق ... ٣٩٩
أسباب الكبر ... ٤٠١
قصه للأحنف بن قيس ... ٤٠٤
الكبر والمتكبر في أسماء الله الحسنى ... ٤٠٤
ثمرة معرفة اسم الله الكبير المتكبر ... ٤٠٦
دعاء الله باسمه الكبير المتكبر ... ٤٠٧
الفصل الرابع عشر ... ٤٠٩
التواضع ... ٤١١
التواضع فريضة, والعجب رذيلة ... ٤١٤
قصة لهارون الرشيد مع الإمام مالك ... ٤١٨
الفصل الخامس عشر ... ٤٢١
الحب ... ٤٢٣
الحب أنواع ... ٤٢٣
مفردات الحب ... ٤٢٤
ضرورة الحب وحاجة الناس إليه ... ٤٢٥
امنح الثقات محبتك ... ٤٢٨
الإفراط في الحب لغير الله غير مرغوب ... ٤٣١
الحب وآدابه ... ٤٣٢
آفات الحب ... ٤٣٢
الحب زينة الحياة ... ٤٣٣
حب الجمال نعمة ... ٤٣٣
حب الله ... ٤٣٤
محبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... ٤٣٧
من تمام محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم محبة آله وما يجب ... ٤٣٨

- أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر محبةً له ولأهل بيته ... ٤٣٨
محبة الصحابة من تمام محبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ... ٤٣٩
محبة المؤمنين ... ٤٤٠
محبة الله لعبده أعظم نعمة ... ٤٤١
الفصل السادس عشر ... ٤٥١
الجمال ... ٤٥٣
جمال الإنسان ... ٤٥٤
جمال الأنعام ... ٤٥٧
جمال الكون ... ٤٦٤
الجميل في أسماء الله الحسنى ... ٤٦٦
ثمرة معرفة اسم الله الجميل ... ٤٦٧
دعاء الله باسمه الجميل الجليل ... ٤٧٠
الفصل السابع عشر ... ٤٧٣
الحسد ... ٤٧٥
الحاسد جاحد ... ٤٧٦
ليس المؤمن بحسود ... ٤٧٦
الحسد خطير وعلاجه عسير ... ٤٧٨
الحسد ذميم فلا تتخلق به ... ٤٨١
الكرام من الناس تُحسد ... ٤٨٢
علاج الحسد ... ٤٨٤
الفصل الثامن عشر ... ٤٨٧
الغيبة ... ٤٨٩
حد الغيبة ... ٤٩٠
من اغتاب أغتیب ... ٤٩٢
قصة للحسن البصري رحمه الله ... ٤٩٣
علاج الغيبة ... ٤٩٣
الصمت وأدب اللسان ... ٤٩٥
الإصغاء إلى الغيبة ... ٤٩٧
الأعذار المرخصة في الغيبة ... ٤٩٧
الفصل التاسع عشر ... ٤٩٩
التميمة ... ٥٠١
سوء الظن ... ٥٠٤
ثمرة التميمة ... ٥٠٥
ذو الوجهين ... ٥٠٧
الفصل العشرون ... ٥٠٩
الأمانة ... ٥١١
تقدير الناس للأمانة ... ٥١٦
الأمانة في الإيمان بالله وعبادته ... ٥١٧
ترك الأمانة نفاق ... ٥١٩
الأمانة في الولايات ... ٥١٩
الأمانة في الأسرة ... ٥٢٥
أمانة الزوج تقتضي عدم جواز تخون أهله ... ٥٢٦

- أمانة الزوجة تقتضي حفظ أسرار زوجها ... ٥٢٦
تربية الأولاد وتعليمهم أمانة ... ٥٢٧
الأمانة في الأخلاق والمعاملات ... ٥٢٨
الخيانة مذمومة وندامة ... ٥٣٠
الخيانة أسوء ما يبطنه الإنسان ... ٥٣٢
الفصل الحادي والعشرون ... ٥٣٥
الحلم ... ٥٣٧
الحلم حلية العلم ... ٥٤٠
الحليم حاذق لبيب ... ٥٤٠
الحلم ثبات ورفعة ... ٥٤١
الحليم ذو عزة ... ٥٤٣
الحليم اسم من أسماء الله تعالى ... ٥٤٦
ثمرة معرفة اسم الله الحليم ... ٥٤٨
دعاء الله باسمه الحليم ... ٥٤٩
الفصل الثاني والعشرون ... ٥٥١
الرفق ... ٥٥٣
الرفق يحبه الله ... ٥٥٤
التزام الرفق ومباينة العنف ... ٥٥٦
الرفيق من الأسماء الحسنى ... ٥٥٧
ثمرة معرفة اسمه تعالى الرفيق ... ٥٥٨
دعاء الله باسمه الرفيق ... ٥٦٢
الفصل الثالث والعشرون ... ٥٦٣
الصبر ... ٥٦٥
الصبر مفتاح النجاح ... ٥٦٧
الصبر يعقبه الفرج ... ٥٧٠
الصبر والرضا به ... ٥٧٢
الحر الصابر لا يريق ماء وجهه ... ٥٧٦
الصبور في الأسماء الحسنى ... ٥٧٨
ثمرة معرفة اسمه تعالى الصبور ... ٥٨١
دعاء الله باسمه الصبور ... ٥٨٤
الفصل الرابع والعشرون ... ٥٨٥
العفو ... ٥٨٧
الكريم يعفو ... ٥٨٨
العز في العفو ... ٥٩١
العفو في أسماء الله الحسنى ... ٥٩٣
ثمرة التعرف على اسم الله العفو ... ٥٩٥
دعاء الله باسمه العفو ... ٦٠٠
الفصل الخامس والعشرون ... ٦٠١
الكرم ... ٦٠٣
خالق الكرم المحافظة على مكارم الأخلاق ... ٦٠٥

- الكريم يكرم ضيفه ... ٦٠٦
الكريم يجود ولا يبخل ... ٦٠٧
اللؤم ضد الكرم ... ٦٠٨
الكرم والبخل لا يتفقان ... ٦١٠
الكرم أفضل ما يقتنى ... ٦١٤
نخر الرجال كرمهم ... ٦١٥
الأكرم الكريم في أسماء الله الحسنى ... ٦١٦
ثمرة معرفة اسم الله الكريم الأكرم ... ٦١٨
دعاء الله باسمه الكريم ... ٦١٩
الفصل السادس والعشرون ... ٦٢١
العدل ... ٦٢٣
العدل في الكلام ... ٦٢٥
العدل في الشهادة ... ٦٢٦
العدل في الولاية ... ٦٢٦
وصف الحسن البصري للإمام العادل ... ٦٢٧
العدل في القضاء بين الناس ... ٦٣٠
قصة روتها خولة بنت قيس ... ٦٣٣
العدل يحبه الله والظلم لا يحبه ... ٦٣٤
الظلم في الأمثال السائرة ... ٦٣٥
دعوة المظلوم لا ترد ... ٦٣٧
الشرك أعظم أنواع الظلم ... ٦٣٨
لئيم من يظلم قرابته ... ٦٣٨
عاقبة الظلم ... ٦٣٩
العدل في الأسماء الحسنى ... ٦٤٠
ثمرة معرفة اسمه تعالى العدل ... ٦٤١
دعاء الله باسمه وصفته العدل ... ٦٤٢
الفصل السابع والعشرون ... ٦٤٥
الصدق ... ٦٤٧
الصدق يألفه الكريم ... ٦٤٩
الصدق يرفع المرء في الدارين والكذب يهوي به في الحالين ... ٦٥١
الكذب يضاد الصدق ويجانبه فتجنبه ... ٦٥٣
مضرة الكذب ... ٦٥٤
مكانة الصدق رفيعة ... ٦٥٥
الصادق في أسماء الله وصفاته ... ٦٥٦
ثمرة معرفة هذا الاسم الجليل ... ٦٥٨
دعاء الله الصادق الكريم ... ٦٥٩
الفصل الثامن والعشرون ... ٦٦٣
الصديق والجليس ... ٦٦٥
اصطفاء الصديق من الأخيار ... ٦٦٨

- صداقة الأشرار عار ... ٦٧٢
التلون في الصداقة ... ٦٧٣
فراق الصديق المتلون ... ٦٧٤
مفارقة جليس السوء ... ٦٧٤
وفاء الصديق ... ٦٧٤
مصاحبة الجاهل والأحمق ... ٦٧٦
صداقة الكسلان ومجالسته ... ٦٨٠
صداقة العدو ... ٦٨٠
من الصداقات ما يؤدي ... ٦٨١
الاحتمال للصديق واستبقاء وده ... ٦٨٢
الفصل التاسع والعشرون ... ٦٨٥
الأخلاق الحسنة ... ٦٨٧
الخلق الحسن منزلة رفيعة ... ٦٨٨
التألف والحب بحسن الخلق ... ٦٨٩
استحباب اكتساب الأخلاق الفاضلة حتى تكون خلقاً وطبعاً ... ٦٩٠
من حسن الله خلقه ينبغي أن يحسن خلقه ... ٦٩٣
قصة خروج جابر مع رسول الله (ص) في غزوة ذات الرقاع ... ٦٩٥
المحتويات ... ٦٩٩
صيد الأفكار
في
الأدب والأخلاق والحكم والأمثال
الجزء الثاني
تأليف:
القاضي حسين بن محمد المهدي
عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية
راجعه الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
سجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة
بدار الكتاب برقم إيداع (٤٤٩) لسنة ٢٠٠٩ م

٣١ الفصل الثلاثون التوكل على الله

الفصل الثلاثون
التوكل على الله

٣١.١ التوكل على الله

التوكل على الله

التوكل على الله هو تفويض الأمر إلى الله عز وجل، والثقة بحسن النظر فيما أمر به، فهو اثر من اثار الايمان وخلق ارشد اليه القرآن، فالذي يؤمن بان الله سبحانه وتعالى بيده تصاريف الحياة، ويده النفع والضرر، يكون قويا سويا في خلقه، حكيما في تصرفه مطيعا لله، ومتبعا لهدي نبيه يعيش مطمئنا فلا يفزعه المستقبل، ولا ما يحدث في الحياة من مفاجئات اذ لا محل في نفسه للخوف، والقلق

والاضطراب، فهو يستعيز بالخوف بسكينة وأطمئنان إلى عدل الله ورحمته، ولهذا فإن الإيمان يجب ان يصاحبه التوكل، فمن يؤمن بالله يهد قلبه وفي الذكر الحكيم: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} (١٦) فالتوكل على الله يعمل ولا يعجز، ويفوض امره إلى الله ويثق بعونه ونصره وتأييده قال الشاعر:

لا تجزعن متى اتكلت على الذي ... ما زال مبتدئاً يجود ويفضل

ولقد يريخ أخو التوكل نفسه ... إن المريح لعمرك المتوكل (٢٦)

وإذا كانت المدنية اليوم قد افلحت بعض الشي في تيسير العيش والترفيه عن الناس فإنها قد فشلت في بث السكينة في النفس، فلا يزال القلق

(١٦) - سورة هود الآية (١٢٣) .

(٢٦) - هذان البيتان ليحيى بن زياد الحارثي ١٦٠ هـ - / ٧٧٦ م شاعر، من أهل الكوفة، له في السفاح والمهدي العباسيين مدائح، وهو ابن خال السفاح. أقام ببغداد مدة ولم يحمد زمانه فيها، نفرج عنها. وفي أمالي المرتضى: (كان يعرف بالزنديق، وكانوا إذا وصفوا إنساناً بالظرف قالوا هو أظرف من الزنديق، يعنون يحيى لأنه كان ظريفاً)، توفي في أيام المهدي.

والخوف بشتى صوره يصيطر على مختلف مجالات الحياة، فالخوف على المستقبل الاقتصادي والاجتماعي، والخوف من الفشل والخوف من الصحة وكل هذه الامور ترك في النفس الانسانية متاعب نفسية، وليس سوء الصحة الذي يعتري كثيرا من الناس إلا ستارا لخاوف عميقة القرار، وقد جاءت الشريعة الاسلامية بما هو علاج للخوف والقلق والاضطراب فأرشد الحق سبحانه وتعالى عباده

المؤمنين إلى تفويض الامر اليه والتوكل في كل الامور عليه حتى لا يثبط الفشل همهم قال تعالى: {فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (١٦) . وقال سبحانه {وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون} (٢٦) بل قد جاء

في القرآن الكريم حصر صفات المؤمنين في الخشية من الله ووجل القلوب عند ذكره، وزيادة الإيمان عند تلاوة آياته والتوكل عليه، والانفاق ممارزتهم الله فقال جل شأنه: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ} (٣٦)

أتى بصيغة الحصر والقصر لصفات المؤمنين فقال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ} خافت وفزعت لمجرد ذكر الله استعظاما لشأنه {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ} آيات القرآن {زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} وتصديقاً، وهذه هي الصفة الثانية من صفات المؤمنين، والصفة

الثالثة هي رجوع المؤمنين إلى الله واعتمادهم عليه

(١٦) - سورة الشورى الآية (٣٦) .

(٢٦) - سورة المائدة الآية (١١) .

(٣٦) - سورة الانفال الآية (٢) .

ولذلك وصفهم بقوله: {وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} ، قال الإمام ابن كثير: أي لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجانبه

ولا يطلبون الحوائج إلا منه ولا يرغبون إلا إليه ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك

له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان (١٦) . اما الانفاق فالظاهر أن في

قوله تعالى: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} يشمل النفقة الواجبة على الأهل والولد وذوي القربى، وصدقة التطوع، والزكاة المفروضة، وما ينفق

في مصالح الأمة، لأن التعبير بالإنفاق أعم من التعبير بالزكاة، وهذا الوصف للمؤمنين بأنهم مما رزقهم الله ينفقون أموالهم من أقوى

أمارات الإيمان، ولهذا فقد جاء الحصر والقصر بعد هذه الصفات الخمس في الآية بالإشارة إليهم أولئك هم المؤمنون حقاً، أي أولئك

الموصوفون بتلك الصفات هم دون سواهم ممن لم يتصف بها المؤمنون إيماناً حقاً (٢٦) .

وجاءت في سورة ابراهيم اخباراً عن رسل الله إلى الامم الماضية: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (٣٦)

قال العلامة محمد بن عبد الله الغشم: ألا ولا يحزنك الامتحانات وتفتنك وتوهي توكلاتك وتغلطك، ولا يغرنك الاستدراجات ونعم الدنيا ونحو ذلك.

وكن رجلاً رجلاً في الثرى... وهامة همته في الثريا

واكتف بالله تعالى يكفك ويجعل الخيرات في كفك إن شاء الله تعالى، {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} (٤٦)، {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} (٥٦) وهو الرؤوف الرحيم الحكيم الكريم العلي العظيم. (٦٦)

التوكل عبادة قلبية

التوكل عبادة قلبية قال ابن الجوزي: التوكل اعتماد القلب على الوكيل

وحده، وذلك لا يناقض حركة البدن في التعلق بالأسباب ولا ادخار المال، فقد قال تعالى: {وَلَا تَتُوتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا} أي قواماً لأبدانكم (٧٦)، وقال الشيخ محمد رشيد رضا: في تفسيره المنار: فَالتَّوَكَّلُ مَحَلُّهُ القَلْبُ، وَالْعَمَلُ بِالْأَسْبَابِ مَحَلُّهُ الأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ، وَالْإِنْسَانُ مَسُوقٌ

(١٦) - ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٧.

(٢٦) - مؤلفنا خلاصة الكلام في تفسير آيات الاحكام، ج ٢ ص ٨٨٣.

(٣٦) - سورة ابراهيم الآية (١١).

(٤٦) - سورة الطلاق الآية (٢-٣).

(٥٦) - سورة القصص الآية (٦٨).

(٦٦) - انظر كتاب روح العلوم في تفسير كلام الله الحي القيوم، للعلامة الزاهد العابد أويس قرنه وكنيعي زمانه بدر الدين/ محمد بن عبد الله بن علي الغشم رحمه الله، نسخة مخطوطة، في تاريخ ٣ جماد الاولى سنة ١٣١٦ هـ بقلم العلامة/ محمد بن حسين بن علي بن محمد بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن علي الغشم. رحمهم الله جميعاً.

(٧٦) - تلبيس إبليس لمؤلفه/ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ص ٢٤٨ (المتوفى: ٥٩٧ هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

٣١٠٢ القوة في التوكل على الله

إِلَيْهِ مِمَّقَضَى فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ (١٦) وفي السنة النبوية أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بغيرِ حِسَابٍ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢٦) وفي الذكر الحكيم: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا* الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} (٣٦)

القوة في التوكل على الله

في التوكل على الله قوة وعزة وأمن وسكينة وعزيمة وطمأنينة وأخذ بالاسباب واعتماد على الله الملك الوهاب وفي الذكر الحكيم: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (٤٦) وقد وعد الله من يتوكل عليه بالمعونة والتأييد والتوفيق والتسديد قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} (٥٦) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار وقالها محمد

(١٦) - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمؤلفه: العلامة محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤ هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م جزء ٤ ص ١٧٠.

(٢٦) - أخرجه البخاري في صحيحة باب ومن يتوكل على الله فهو حسبه حديث رقم (٥٩٩١) .

(٣٦) - سورة الفرقان الآية (٥٨-٥٩) .

(٤٦) - سورة آل عمران الآية (١٥٩) .

(٥٦) - سورة الطلاق الآية (٣) .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ { (١٦)

فالتوكل على الله يعني تفويض الامر والاعتماد عليه والثقة به، وعدم الركون التام إلى الاسباب الدنيوية والغفلة عن خالقها ومدبرها الذي يمنح القوة والعون والذي بيده الضر والنفع والمنع والعطاء
قال الشاعر:

وما دابة إلا على الله رزقها ... وخاب الذي من غيره يتبغي الرفدا

وكيف يُذَلُّ المرء نفساً للقمّة ... يحاولها من مثله يبذل الجهداً

ولو أخلصوا حق التوكل صادفوا ... بلا سبب رزقاً من الله ممتداً

ولكن على الآلاتِ والخلقِ عولوا ... فجاء لأجل الخلق رزقهم كدّاً

وخاتمة الأمر الخلاصُ فمن حظي ... به منحةً يستوجب الفوز والحمدا (٢٦)

وفي الحديث النبوي الشريف: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو نحاصاً وتروح بطاناً (٣٦)

وقال الشاعر:

توكل على الله العظيم جلاله ... وسلم إليه الأمر تسلّم وتغنم

ألم تكن الأسباب مخلوقة له ... وهل خالق غير العليم المعظم

(١٦) - أخرجه البخاري في صحيحة باب ان الناس قد جمعوا لكم فخشوهم حديث رقم (٤١٩٧) .

(٢٦) - هذه الايات لابن شيخان السالمي .

(٣٦) - أخرجه الترمذي باب في التوكل على الله حديث رقم (٢٢٦٦) .

بِمَنْعٍ وَأَعْطَاءٍ وَبُؤْسٍ وَأَنْعَمٍ (١٦)

حكيم بما قد شاء يقضي بحكمه

وقال اخر:

واغم زمانك راحة وتروحا ... ودع الهموم فإنها محض الضر

وادخل ميادين التوكل والرضا ... واشكر على ما ساء من حال وشر

واقنت بتاج الأصفيا علم الهدى ... زين الوجود محمد خير البشر (٢٦)

وفي الحديث النبوي: (من سره ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله) (٣٦)

التوكل على الله واتخاذ الأسباب

التوكل على الله من اعظم الاسباب التي يحصل بها النجاح والفلاح وعدم اهمال الاسباب التي اوجدها الله لعباده وجعلها سبيلا للوصول إلى مراده، وقد قيل لبعض الحكماء: ما الفرق بين اليقين والتوكل؟ قال: اما اليقين فهو ان تصدق الله بجميع اسباب الآخرة، والتوكل ان تصدق الله بجميع اسباب الدنيا، وقال الامام ابن القيم رحمه الله: فإن التوكل من أقوى الأسباب في حصول المراد ودفع

المكروه، بل هو أقوى الأسباب على الاطلاق. ويقول: التوكل القيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطلها لم يصح توكله، كما أن القيام بالأسباب المفضية الى حصول الخير يحقق رجاءه، فمن

(١٦) - هذه الايات لعبد اللطيف بن علي فتح الله. أديب من أهل بيروت، تولى القضاء والإفتاء؟ - ١٢٦٠ هـ / - ١٨٤٤ م له نظم جيد في (ديوان - ط) و (مقامات - خ) ، و (مجموعة شعرية - خ) بخطه، ألقاها في صباه سنة ١٢٠٠ هـ في خزنة الرباط ١٧٤٥ كتاني.

(٢٧) - هذه الايات لعبد الله بن علوي الحداد وانظر ديوانه الدر المنظوم.
(٣٧) - كتاب التوكل على الله تأليف ابي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن ابي الدنيا ص ٥٠ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان الطبعة الاولى ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.

لم يقيم بها كان رجاءه تمنيًا، كما أن من عطّلها يكون توكله عجزًا وعجزه توكلًا (١٦). وذلك حق، فالأدب الذي ارشدت الشريعة الاسلامية اليه هو اتخاذ الاسباب بحسب ما يعلمه الانسان من سنن الله تعالى في نظام الاسباب وارتباطها بالمسببات معتقدا ان الاسباب ما يعقل منها وما لا يعقل لم تكن اسبابا الا بتسخير الله تعالى، وان ما يناله باستعمالها فهو من فضل الله الذي سخرها وجعلها اسبابا وعله ذلك، فتبارك الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم، قال الشيخ محمد رضى: **وَأَمَّا تَرْكُ الْأَسْبَابِ وَتَنَكُّبُ سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْخَلْقِ وَتَسْمِيَةِ ذَلِكَ تَوَكُّلاً فَهُوَ جَهْلٌ بِاللَّهِ وَجَهْلٌ بِدِينِهِ وَجَهْلٌ بِسُنَنِ اللَّهِ الَّتِي أَخْبَرَنَا بِأَنَّهَا لَا تَبْدَلُ وَلَا تَتَحَوَّلُ** (٢٧) ويرحم الله الامام الشوكاني: حيث يقول:

لَقَدْ عَجِبْتُ وَمَا فِي الدَّهْرِ مِنْ عَجَبٍ ... فَشَأْنُهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى الْعَجَبِ
لَكِنْ إِذَا خَفِيَتْ أَسْبَابُ حَادِثَةٍ ... كَانَ التَّعَجُّبُ مَحْمُولًا عَلَى السَّبَبِ (٣٧)

وفي الامثال السائرة: احفظ ما في الوعاء بشد الوكاء، وقديما قيل لا تشرب السم اتكالا على الترياق، ومن تذكر بعد السفر استعد، وفي امثال العرب: من الكيس ختم الكيس (٤٧) وذلك لا ينافي التوكل، وان من الحزم الاخذ بالاسباب.

- (١٦) - القوائد لابن القيم ج ١ ص ٨٨.
(٢٧) - المنارج ٩ ص (٤٩٣-٤٩٤).
(٣٧) - انظر ديوان الامام الشوكاني.
(٤٧) - معجم كنوز الامثال ص ١١٢، مصدر سابق.

٣١٠٣ السنة النبوية ترشد إلى الأخذ بالأسباب

قال الشاعر:

لاتسع للامر حتى تستعد له ... سعي بلا عدة قوس بلا وتر
لم ينج نوح ولم يغرق مكذبه ... حتى بنى الفلك بالالواح والدر
السنة النبوية ترشد إلى الأخذ بالأسباب

الاعتماد على الله لا يتعارض مع اتخاذ الاسباب واتخاذ الاحتياطات اللازمة فقد ارشد النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه إلى ذلك، ففي سنن الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رجل يا رسول الله أعقلها وتوكل أو أطلقها وتوكل قال اعقلها وتوكل (١٦) ، فالتوكل لا يكون الا مع اتخاذ الاسباب الظاهرة، ولنا في رسول الله قدوة حسنة اذ اعد لهجرته من مكة إلى المدينة اعدادا محكما واخذ بكل سبب ممكن، ورغم ذلك فقد استطاع بعض فرسان قريش ان يصلوا إلى الغار ويقفوا على بابه حتى اصاب الصديق رضي الله عنه جزع او فزع ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم طمئننه وهو عند ذلك، وقد فوض الامر الى الله بعد اخذه بالأسباب وتوكله

على الله القوي القادر على كل شيء، يقول لصاحبه قولاً يذهب الحزن، ويبرؤ من الفزع والألم ما حكى القرآن الحكيم من الاحكام والحكم: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدَهُ بِمَجْنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٢٦) .

(١٦) - الترمذي حديث رقم (٢٤٤١) .

(٢٦) - سورة التوبة الاية (٤٠) .

قال الشاعر:

تَوَجَّهْ إِلَى مَوْلَاكَ وَارْضَ بِفَصْلِهِ ... تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ
فَمَا خَابَ حَقًّا مَنْ عَلَيْهِ تَوَكَّلَا

أَلَا كُلُّ مَقْدُورٍ يَكُونُ بَعْلَهُ ... فَكُنْ رَجُلًا لِلْحَقِّ مِنْ أَهْلِ فَهْمِهِ
وَسَلِّمْ إِلَيْهِ الْأَمْرَ تَحْظُ بِحُكْمِهِ ... وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ وَاصْبِرْ لِحُكْمِهِ (١٦)

وقال اخر:

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ ... أَرَدْتَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْضِي وَيَقْدِرُ
مَتَى مَا يُرِيدُ ذُو الْعَرْشِ أَمْرًا بَعْدَهُ ... يُصِيبُهُ وَمَا لِلْعَبْدِ مَا يَتَخَيَّرُ
وَقَدْ يَهْلِكُ الْإِنْسَانُ مِنْ بَابِ أَمْنِهِ ... وَيَنْجُو لِعَمْرِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ يَحْذَرُ (٢٦)

التوكل على الله يذهب الهم والحزن

التوكل على الله زاد روعي يجعل المؤمن يتغلب على الخوف والقلق، وهو الذي يعطي المؤمن بسمة امام احلك الساعات التي تمر به، وبهبه سكينه النفس التي حرم منها كثير من سكان هذه الارض، والتوكل على الله يقوي الهمة ولا يضعفها، ويشجع على العمل ولا يؤدي الى الكسل ولكن لا بد ان يسبقه التشاور والاخذ بالاسباب كما ارشد الى ذلك العزيز الوهاب: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (٣٦) وقد روى ابن ابي الدنيا عن سعيد بن جبير، قال: (التوكل على الله جماع الإيمان) (٤٦) ومتى اعتمد القلب على الله ولم يستسلم للاوهام وتوكل على الله ووثق به اندفعت عنه الهموم والغموم وكثير من الاسقام القلبية والبدنية، وحصل للقلب من القوة والانشراح والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، فالمتوكل على الله قوي القلب لا تزججه الحوادث لعله أن ذلك من ضعف النفس ومن الخور والخوف، فهو يعلم ان الله سبحانه وتعالى قد تكفل من توكل عليه بالنصر والتأييد والكفاية، فهو يثق بالله ويطمئن لوعده فيزول همه وقلقه ويتبدل عسره يسرا وترحه فرحا قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} (٥٦) وقد ورد في السنة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قضى بين رجلين فقال المقتضي عليه لما أدبر حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل (٦٦) وقال الشوكاني وفي الحديث دليل على أنه لا يقال هذا الدعاء إلا إذا غلبه أمر وعجز عن دفعه، قوله نعم الوكيل أي نعم الكفيل بأمر عباده العالم بها فهو المستقل بالأمور، وكلها موكولة إليه (٧٦) ، وروى الحاكم من حديث ابي هريرة ان

(١٦) - هذه الايات للمفتي فتح الله عبد اللطيف سبق ترجمته.

(٢٦) - هذه الايات لابي العتاهية.

(٣٦) - سورة آل عمران الاية (١٥٩) .

(٤٦) - كتاب التوكل على الله تأليف ابي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بأبن ابي الدنيا ص ٤٨ الناشر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان الطبعة الاولى ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.

(٥٦) - سورة الطلاق الاية (٣) .

- (٦٦) - أخرجه إبي داود في سننه باب الرجل يحلف على حقه حديث رقم (٣١٤٣) .
 (٧٧) - تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني الناشر / دار القلم - بيروت - لبنان - ١٩٨٤م ص ٢٩٦.

٣١٠٤ القيام بالاسباب يحقق التوكل

النبي صلى الله عليه واله وسلم قال: (ما كربني أمر إلا تمثل لي جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا) (١٦) قال الشاعر:

واغم زمانك راحة وتروحا ... ودع الهموم فإنها محض الضرر
 وادخل ميادين التوكل والرضا ... واشكر على ما ساء من حال وشر
 واقتد بتاج الأصفيا علم الهدى ... زين الوجود محمد خير البشر (٢٦)
 القيام بالاسباب يحقق التوكل

الذي يحقق التوكل على الله هو القيام بالاسباب المأمور بها؛ فمن عطلها لم يصح توكله؛ فلم يكن التوكل داعية للبطلية، او الاقلال من العمل البتة. بل كان له الاثر العظيم في اقدام عظماء الرجال على جلائل الاعمال التي يسبق إلى ظنونهم ان استطاعتهم وما لديهم من الاسباب الحاضرة يقصران عن ادراكها، ذلك ان التوكل من اقوى الاسباب في حصول المراد ودفع المكروه، بل هو اقوى الاسباب على الاطلاق، فاعتماد القلب على قدرة الله وكرمه ولطفه يستأصل جرائم اليأس ومنابت الكسل، ويشد ظهر الامل

- (١٦) - المستدرک على الصحيحين للحاكم كتاب باب الدعاء والتكبير حديث رقم (١٨٧٦) وقال عنه الحاكم حديث صحيح الاسناد.
 (٢٦) - هذه الايات في ديوان الحداد: عبد الله بن علوي بن محمد بن أحمد المهاجر بن عيسى الحسيني (١٠٤٤-١١٣٢هـ/١٦٣٤م) - (١٧٢٠م) ، الناشر: مؤسسة عبد الحفيظ البساط بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.
 الذي يلج به الساعي اغوار البحار العميقة، ويقارع به السباع الضارية في فلواتها (١٦) ، هذا هو التوكل في الحقيقة، فاذا فسر بانه قبض اليد عن العمل وطرح الاسباب جملة فذلك تفسير لا يقره الشرع الذي يقول {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} (٢٦) ويقول: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (٣٦) ويقول: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٤٦) وما اقترن العزم الصحيح بالتوكل على من بيده ملكوت كل شئ الا كانت العاقبة رشدا ونجاحا، قال تعالى: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (٥٦) وما جمع قوم بين الاخذ بالاسباب، وقوة التوكل على الله الا احرزوا الكفاية لأن يعيشوا سعداء وما بذل احد جهده وسعى في الامور النافعة سعيه واستعان بالله عليها، واتاها من ابوابها ومسالكها الا وأدرك مقصوده، فإن لم يدركه كله ادرك بعضه، وان لم يدرك منه شئ لم يلم نفسه، ولم يذهب عمله سدى خصوصا اذا ثابر ولم يتضجر (٦٦) فان الله يثيبه على ذلك. ولعظم شان التوكل اكثر الله من ذكره في القران العظيم

- (١٦) - الهمة العالية معوقاتهما ومقوماتها تأليف العلامة محمد بن ابراهيم الحمد، ص ٢٠٨-٢٠٩، الطبعة السابعة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م الناشر دار ابن خزيمة الرياض.

- (٢٦) - سورة الانفال الاية (٦٠) .
 (٣٦) - سورة الملك الاية (١٥) .
 (٤٦) - سورة الجمعة الاية (١٠) .
 (٥٦) - سورة آل عمران الاية (١٥٩) .
 (٦٦) - الهمم العالية ص ٢١٠.

٣١٠٥ قصة وردت في الهدي النبوي

وبين حسن العاقبة للمتوكلين قال تعالى: {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (١-٦) وقال جل شانه: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} (٢-٦) وقال سبحانه: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} (٣-٦) قصة وردت في الهدي النبوي

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ لِجَعَلِ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمْرُونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ قُلْتُ مَا هَذَا أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ فَإِذَا سَوَادٌ يَمَلَأُ الْأَفْقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلَأَ الْأَفْقَ، قِيلَ هَذِهِ أُمَّتُكَ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَوَآءٍ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، ثُمَّ دَخَلَ وَلَمْ يَبْيِّنْ لَهُمْ، فَأَفَاضَ الْقَوْمُ وَقَالُوا: نَحْنُ الَّذِينَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَهُ فَحَنُّهُمْ أَوْ أَوْلَادُنَا الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ فَإِنَّا وُلِدْنَا فِي

(١-٦) - سورة آل عمران الآية (١٦٠) .

(٢-٦) - سورة آل عمران الآية (١٢٩) .

(٣-٦) - سورة آل الفرقان الآية (٥٨) .

الجاهلية فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفرج فقال: هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَلَا يَكْتُونُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (١-٦) .
الوكيل، الكفيل في اسماء الله الحسنى

الوكيل، الكفيل، جاء ذكرهما في كلام الله العلي الكبير فجاء ذكر اسم الله الوكيل في القرآن الكريم اربعة عشر مرة منها:

قوله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (٢-٦)

وقوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} (٣-٦)

وقوله تعالى: {إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (٤-٦)

وقوله تعالى: {فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} (٥-٦)

وقوله تعالى: {وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا} (٦-٦)

ومعنا الوكيل: القيم الكفيل بأرزاق العباد يدبر امورهم ويتولى شؤونهم ويسخر ما يحتاجون اليه فهو الوكيل او هو الذي اوكل اليه كل امر.

(١-٦) - اخرج البخاري في صحيحه باب يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب حديث رقم (٦٠٥٩) .

(٢-٦) - سورة الزمر الآية (٦٢) .

(٣-٦) - سورة النساء الآية (٨١) .

(٤-٦) - سورة هود الآية (١٢) .

(٥-٦) - سورة يوسف الآية (٦٦) .

(٦-٦) - سورة الاسراء الآية (٢) .

قَالَ الْحَلِيمِيُّ: الْوَكِيلُ هُوَ الْمُوَكَّلُ وَالْمَفُوضُ إِلَيْهِ، عَلِمًا بِأَنَّ الْخَلْقَ وَالْأَمْرَ لَهُ سَبْحَانَهُ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ دُونِهِ شَيْئًا (١-٦) .

وقال أبو سليمان: ويقال معناه أنه الكفيل بأرزاق العباد والقائم عليهم بمصالحهم، وحقيقته أنه يستقل بالأمر الموكل إليه، ومن هذا قول المسلمين حسبنا الله ونعم الوكيل، أي نعم الكفيل بأمرنا والقائم بها (٢-٦) .

واما اسم الله الكفيل فقد ورد ذكره في القرآن الكريم مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} (٣٦) . وورد في السنة في قصة الرجل من بني إسرائيل، الذي أسلف آخر ألف دينار، وفيه أنه قال: ((... اللهم إنك تعلم أنني كنت تبلت فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك)) (٤٦) .

ومعنى الكفيل: المتكفل بامور الخلق وارزاقهم والمتكفل بكل شؤونهم في الدنيا والاخرة، ويأتي بمعنى الشهيد والوكيل والرقيب، وقد ذكر بعض الباحثين ان الوكيل هو: الحفيظ، والكفيل، والمقصد، والكافي (٥٦) .

(١٦) - الاسماء والصفات للبيهقي.

(٢٦) - الاسماء والصفات للبيهقي، والجامع لأسماء الله الحسنى ص ٣٠٩.

(٣٦) - سورة النحل الاية (٩١) .

(٤٦) - اخرجه البخاري في صحيحه باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان.

(٥٦) - ذكر ذلك حامد احمد الطاهر في الجامع لاسماء الله الحسنى ص ٣٠٩ مصدر سابق.

٣١٠٦ ثمرة التعرف على اسمه سبحانه وتعالى الوكيل الكفيل

اما الدكتور محمد راتب النابلسي: فهو يقول: الوكيل هو اسم من اسماء الله تبارك وتعالى، هذا الاسم بالتعريف الدقيق هو القيم الكفيل بارزاق العباد.

ومن هذا العرض يتبين ان الوكيل اسم من اسماء الله تبارك وتعالى الحسنى، وان من معانيه ان الحق سبحانه وتعالى القيم الكفيل بارزاق العباد يدبر امورهم ويتولى شؤونهم وانه سبحانه وتعالى المتفرد بحفظ الخلق وكفائتهم القادر على تسخير كل ما يحتاجون اليه واليه يرجع الأمر كله.

ثمرة التعرف على اسمه سبحانه وتعالى الوكيل الكفيل

ان من ثمرة التعرف على اسمه سبحانه وتعالى الوكيل الكفيل الايمان به وتفويض الامور إلى الله تعالى بما يحصل للمؤمن به حقيقة التوحيد، فاذا توجه العبد إلى الله متوكلاً عليه تولاه بحسن رعايته، وختم له بحميل ولايته، فالتوكل على الله يكون قويا في ايمانه، كريما في اخلاقه، محبا لخالقه، محبا لاخوانه، يعلم ان الله بيده حياته ورزقه، وبيده من فوقه ومن تحته، وبيده اقرب الناس اليه وابعده الناس عنه، وبيده الضر والنفع فهو على كل شي وكيل قال تعالى: {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (١٦) فاذا اردت ان تكون اقوى الناس فتوكل على الله، واذا

(١٦) - سورة الانعام الآية (١٠٢) .

٣١٠٧ دعاء الله باسمه الوكيل الكفيل

ارت ان تكون اكرم الناس فأتق الله، وما توكل على الله احد وخيب ظنه، ولا توكل على الله احد الا وكفاه واغناه، فتدبر اخي قول الحق جل وعلى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} (١٦) ، وفي مدارج السالكين: التوكل نصف الدين والنصف الثاني الإناية فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإناية هي العبادة (٢٦) ، وفي الحديث النبوي مَنْ قَالَ يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ يُقَالُ لَهُ كُفَيْتَ وَوَقِيَتْ

وَتَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ (٣٦)

دعاء الله باسمه الوكيل الكفيل

يا الله يا وكيل يا كفييل يا علي يا عظيم يا مجيب الدعاء نسالك اللهم باسمائك الحسنی وصفاتك العلاء يا الله يا وكيل يا من هو على كل شيء قدير ان تكفني في كل اموري وان تصبرني وتحفظني وترزقني وتكفلي وتوفقي فاني توكلت عليك يا الله توكل مفوض ورغبت اليك رغبة ملح ومتعرض فأنلي والمؤمنين من معروفك في الدارين ما تصلح لي وللمؤمنين به امور الدنيا والآخرة وتبلغنا به الدرجات العلاء من الجنة وان تعطيني من خيرك وفضلك

(١٦) - سورة آل عمران الآية (١٧٣) .

(٢٦) - مدارج السالكين الكتاب: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمؤلفه الامام العلامة ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ج ٢ ص ١١٣، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ تحقيق: محمد حامد الفقي .

(٣٦) - اخرجه الترمذي باب ماجاء ما يقول اذا خرج من بيته حديث رقم (٣٣٤٨) .

الذي لا راد له ورحمتك التي لا ممسك لها انك على كل شي قدير: { رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (١٦) ومن دعائه صلى الله عليه وآله وسلم اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنيبون حق ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك ولا حول ولا قوة إلا بالله (٢٦)

(١٦) - سورة الممتحنة الآية (٤-٥) .

(٢٦) - اخرجه البخاري في صحيحه باب التهجذ بالليل حديث رقم (١٠٥٣) .

٣٢ الفصل الواحد والثلاثون الشورى

٣٢٠١ الشورى

الفصل الواحد والثلاثون

الشورى

الشورى

بالشورى تبنى المجتمعات الفاضلة والدول القوية، ويحصل النصر وتستمال القلوب، ويتعاون أهل الشورى من أجل بناء الأوطان وعمارة الأرض وإرضاء الرب، قال تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} (١٦) وقال تعالى حكاية عن ملكة سبا: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ} (٢٦)

والشورى هي من أهم خصائص الأمة الإسلامية والشرايع الربانية، فهي من صفات المؤمنين الموحدين الذين استجابوا لله رب العالمين كما ورد ذلك في الذكر الحكيم، قال تعالى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} (٣٦) ولأهمية الشورى جاء ذكرها في هذه الآية بين الصلاة والزكاة، فقد وصف الله المؤمنين بأنهم الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأدوا الزكاة وكان منهج الشورى هو منهجهم. وقد قال بعض الباحثين إن سياق النص قد نبه عليه بعض المؤصلين والبلاغيين من حيث أن لفظ وجملة (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) جاءت متوسطة بين الصلاة والزكاة لتدل بتنبية عبارة النص وإشارته على ضرورة مداومتها بما يشبه

(١٦) - سورة آل عمران الآية (١٥٩) .

(٢٦) - سورة النمل الآية (٣٢) .

(٣٦) - سورة الشورى الآية (٣٨) .

الصلاة والزكاة، وعموم خطاب الآية الكريمة هو من الوجوب الشمولي في الأمة. ففهوم الأمر جاء بطبيعة الخبر والمدح وهو أعظم من الأمر الصريح عند البيانين من علماء اللغة الذين قرروا أن طرق الأمر الحتمي في اللغة تصل إلى ثمانية وعشرين وجهاً (١٦) . وجاء في السنة النبوية ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال (المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ) (٢٦) وفي لفظ لابن ماجه (إِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُشِرْ عَلَيْهِ) (٣٦) وقال حكيم: المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأي، وفي امثال العرب اول الحزم المشورة، قال حافظ ابراهيم:

يا رافعاً راية الشورى وحارسها ... جزاك ربك خيراً عن محبها
رأي الجماعة لا تشقى البلاد به ... رغم الخلاف ورأي الفرد يشقىها
وقال اخر:

شاور أبا الحزم إن تدهى بمشكلة ... فالمستبدون لا يخلون من ندم
ليس التفرد بالآراء ممتدحاً ... ولو تفرد مبدي الرأي بالحكم
فالحزم بالرأي أن تبدى مشاورة ... إلى الثقة أولى الإرشاد والهمم
إن يشكل الأمر شاور من به ثقة ... ديناً ورشداً فتأمن زلة القدم
واحذر مشاورة الملاق إن بها ... افشاء سرٍّ وما يلقيك بالعدم
كما الوجوب على المرء المشير بأن ... يبدي اتباعاً لأمر الدين والذمم

(١٦) - انظر مولفنا الشورى في الشريعة الاسلامة دراسة مقارنة بالديمقراطية والنظم القانونية ص (٩-١٠) ، الناشر مكتبة الارشاد

صنعاء الطبعة الاولى ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ .

(٢٦) - اخرجه ابو داود في سننه باب في المشورة حديث رقم (٤٤٦٣) وابن ماجه باب المستشار مؤتمن حديث رقم (٣٧٣٥)

والترمذي في سننه باب ان المستشار مؤتمن حديث رقم (٢٧٤٧) .

(٣٦) - اخرجه ابن ماجه حديث رقم (٣٧٣٧) .

٣٢٠٢ الشورى بركة

إني نصوح لأرباب المشاكل عن ... إيثار خير ذوي الحاجات في الأمم (١٦) ولبعض الشعراء:

وإن باب أمر عليك التوى ... فشاور لبيباً ولا تعصه (٢٦)

الشورى بركة

قال القرطبي: الشورى بركة، وروى سهل بن سعد الساعدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ما شقي قط عبد بمشورة، وما سعد باستغناء رأي) (٣٦) وفي الحديث (ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار) (٤٦) . قال العجلوني: رواه الطبراني في الصغير، والقضاعي عن أنس، وفي سننه ضعيف، وما أحسن ما قيل:

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يوماً وإن كنت من أهل المشورات

فالعين تلقى كفاحاً من نأى ودنى ... ولا ترى نفسها إلا بمرأة

(١٦) - هذه الايات لحنا الأسعد حنا بن أسعد بن جريس أبي صعب اللبناني المعروف بحنا بك الأسعد. ١٢٣٥ - ١٣١٥ هـ /

١٨٢٠ - ١٨٩٧ م متأدب له نظم، من مشايخ الموارنة في نواحي البترون تعلم العربية والسريانية وسافر مع الأمير بشير الشهابي (سنة

١٨٤٠) إلى مالطة وإسطنبول فقرأ بعض العلوم الإسلامية وعاد إلى لبنان (١٨٥٠) فأنشأ في بيت الدين مطبعة حجرية. وبعد فتنة

١٨٦٠ أقامه المتصرف داود باشا رئيساً للقلم العربي، فاستمر إلى أن توفي. له (ديوان - ط) بالعربية والتركية.
(٢٠) -- هذا البيت مما اشتهر في ذلك وقبله:

إذا كنت في حاجة مرسلًا ... فأرسل حكيمًا ولا توصه
وإن باب... ..

ونص الحديث إلى أهله ... فإن الوثيقة في نصه
إذا المرء أضمر خوف الإله ... تبين ذلك في شخصه

(٣٠) - القرطبي ٤ / ٢٥٢ , وقد ورد الحديث في مسند الشهاب تأليف العلامة المحدث محمد بن سلامة بن جعفر, أبو عبد الله
القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هـ ج ٢ ص ٦ حديث (٧٧٣) الناشر مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م.

(٤٠) - المعجم الصغير تأليف العلامة المحدث سليمان بن أحمد بن أيوب, أبو القاسم الطبري, ج ٢ ص ١٧٥ حديث (٩٨٠) , الناشر
المكتب الاسلامي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م. ومسند الشهاب للقضاعي ج ٢ ص ٧ حديث (٧٧٤) .

وقال النجم: روى ابن أبي الدنيا في العقل عن زائدة. قال: إنما نعيش بعقل غيرنا - يعني المشاورة، ولبعضهم: الناس ثلاثة: فواحد
كالغذاء لا يستغنى عنه، وواحد كالغذاء يحتاج إليه في بعض الأوقات، وواحد كالغذاء لا يحتاج إليه أبدًا.

وللخطيب في تلخيص المتشابه - عن قتادة - قال: الرجال ثلاثة: رجل ونصف رجل ولا شيء، فأما الذي هو رجل: فرجل له عقل
ورأي يعمل به وهو يشاور. وأما الذي هو نصف رجل: فرجل له عقل ورأي يعمل به وهو لا يشاور. وأما الذي هو لا شيء: فرجل
له عقل وليس له رأي يعمل به وهو لا يشاور. قال النجم:

ليس من عاش بعقله ... مثل من عاش بفضله
إنما الفضل ما انضم ... حجب الناس بعقله

وكذا الجاهل من لم ... يرفي الناس كمثل

نفسه يبصرها كما ... ملة من فرط جهله (١٠)

وصحيح ما ذكره النجم - فإنك إن شاورت مجرباً للأمر، فإنه يعطيك من رأيه ما يقع عليه غالباً وأنت تأخذه مجاناً، فيكون من الحمق
ترك المشاورة.

أما الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس - فيقول عن الشورى أنها مدرسة تربوية للأمة تظهر من خلالها شخصيتها وتحقق ذاتها وهي
سبب من

(١٠) - كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني: وهو المفسر المحدث الشيخ إسماعيل بن
محمد العجلوني الجراحي - ٢/١٨٦ الطبعة الثالثة ١٣٥٢ هـ - دار إحياء التراث العربي.

أسباب النصر على أعدائهم، حقق المسلمون بها انتصاراتهم على أعدائهم وأضحوا سادة الأمم بعد أن كانوا رعاة الشاء والغنم. (١٠)
قلت: وليس ذلك فحسب وإنما حققوا بها العدالة وحصل لهم بها المودة والألفة وقد أحسن بشار بن برد في قوله:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي لبيب أو نصيحة حازم

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة ... فريش الخوافي تابع للقوادم (٢٠)

وقال آخر:

خليلي ليس الرأي في صدر واحد ... أشيرا علي اليوم ما تريان (٣٠)

وفي الأثر: ما سعد أحد برأيه ولا شقي عن مشورة غيره.

وإذا كانت الشورى من الأهمية بذاك المكان، فإنها ليست قصرًا على شؤون الحكم والسياسة، وإنما تشمل كل ما لم يرد فيه نص قطعي
من الأمور العامة والخاصة وكل ما فيه صلاح للأمة والأسرة. وكل ما فيه رعاية مصلحة أو دفع مفسدة، فقد أرشد القرآن الكريم

إلى التشاور في ذلك حتى في فطام الرضيع وفصله عن ثدي أمه، قال تعالى: (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ

- (١٦) - د. محمد عبد القادر أبو فارس: النظام السياسي في الإسلام ص ٧٦ دار الفرقان- عمان - الأردن ١٩٨٦ م.
- (٢٧) - ولهذين البيتين رواية أخرى وردت في الموسوعة الشعرية وهي:
إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي حكيم أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... مكان الخوافي قوة للقوادم.
وهناك رواية ثالثة وردت في ديوان بشار المطبوع في لبنان سنة ١٤١٣ هـ , جاء فيها:
إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي لبيب أو مشورة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فإن الخوافي قوة للقوادم.
والجميع من حيث المعنى والوزن والروية صحيح.
- (٣٧) - ورد هذا البيت مستشهداً به في الامالي لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي, ج ١ ص ٤٤ , وفي الموسوعة الشعرية. للكاتب والاديب والواعظ والخطيب بدر بن عبد الله بن عبد الكريم الناصر ص ١٤٥ , الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٦ م, دار العاصمة بالمملكة العربية السعودية الرياض ص ٩.

٣٢٠٣ الشورى لغة واصطلاحاً

أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ (١٦) .

الشورى لغة واصطلاحاً

الشورى هي في الاصل: الاستخراج أو اختبار الشيء لمعرفة حاله, وقيل هي استخراج اراء في المساله بغية الاحاطة بجوانبها لاصابة الخير, وتجنب الزلل. وهي اسم مصدر اشتور بمعنى التشاور, أي اشار عليه بمعنى امره ونصحه, ودله على الصواب, وشاوره في الامر طلب منه المشورة, قال الراغب: التشاور والمشاورة والمشورة: استخراج الرأي بمراجعة البعض إلى البعض من قولهم: شرت العسل إذا اتخذته من موضعه واستخرجته منه, وشرت العسل وأشرته: أخرجته (٢٧) ,

الشورى: اصطلاحاً طلب الرأي من أهله, وإجالة النظر فيه, وصولاً إلى الرأي الموافق للصواب (٣٧) . أما الشيخ أحمد محي الدين العجوز - فعرفها بقوله:

(١٦) - سورة البقرة آية (٢٣٣) .

- (٢٧) - المفردات في غريب القرآن ٢٧٣ للراغب: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ) تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني - الطبعة الثالثة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م - دار المعرفة. بيروت - لبنان.
- (٣٧) - انظر مولفنا الشورى في الشريعة الاسلامة دراسة مقارنة بالديمقراطية والنظم القانونية ص (٩-١٠) , الناشر مكتبة الارشاد صنعاء الطبعة الاولى ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ .

٣٢٠٤ الفرق بين الشورى والمشورة

الشورى: هي تبادل الآراء في أمر من الأمور لمعرفة أصوبها وأصلحها لأجل اعتماده والعمل به. (١٦)

الفرق بين الشورى والمشورة

الشورى تكون عامة في كل رأي والمشورة تكون خاصة في الرأي الملزم, وهناك فرق بين الشورى والمشورة عند بعض العلماء, وفي ذلك يقول الدكتور محمود الخالدي: إذا ما نظرنا بدقة في النصوص التفصيلية الواردة في الشورى نجد أن مدلول كلمة الشورى يختلف

عن مدلول كلمة المشورة، إذ تعني الشورى أخذ الرأي مطلقاً، ما كان ملزماً لرئيس الدولة وما لم يكن ملزماً، سواء الذي يرحح فيه قوة الدليل كالأمر التشريعية وما يرحح فيه جانب الصواب كالأمر الفنية والفكرية فجاء التعبير فيها عاماً في كل الأمور. أما المشورة فإنها وردت في النصوص على أنها أخذ الرأي الملزم لرئيس الدولة فقط، والدليل على أن المشورة أخص من الشورى وأنها أخذ الرأي الملزم فقط عدة أمور:

أولاً: وردت كلمة المشورة في الحديث للدلالة على أخذ الرأي الملزم فقط وذلك في قوله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: (وأيم الله لو أنكما تفتقان لي على أمر واحد ما عصيتكما في

(١٦) - الشيخ أحمد محيي الدين العجوز: مناهج الشريعة الإسلامية ٢/١٢٨ مكتبة المعارف - بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م. مشورة أبدأ) ، وفي لفظ: (لو اجتمعنا في مشورة ما خالفتكما) (١٦) فقد اقترنت كلمة المشورة بصفة الإلزام، والصيغة تفيد ذلك، وهذا واضح في قوله صلى الله عليه وآله وسلم (ما خالفتكما) (ما عصيتكما) ، ومن مناسبة الحديث يتضح أن المشورة لا تكون إلا في أخذ الرأي على سبيل الإلزام لأنه رأي يرشد إلى عمل من الأعمال من أجل القيام به، وما كان كذلك كان ملزماً لأن الترجيح إنما يكون لرأي الأغلبية فتكون المشورة أخص من الشورى لأنها في الرأي الملزم فقط.

ثانياً: إن كلمة المشورة الواردة في الحديث وإن كانت اسم جنس ولكنها لا تدل على العموم لأن اسم الجنس حتى يدل على العموم لا بد أن يقترن بأل أو يضاف، فإذا لم يقترن بأل ولم يضاف فلا يدل على العموم، وهي وإن كانت نكرة ولكنها لا تدل على العموم لأن النكرة لا تدل على العموم إلا إذا اقترنت بنفي فالتكرة في سياق النفي تعم، أما في الإثبات فليست من ألفاظ العموم، فلا يكون الدليل عاماً في كل شورى فيكون الحديث نصاً في موضوع من موضوعات الشورى العامة، وهو الرأي الملزم ويرجح فيه جانب الأكثرية فقط، وكذلك ما قاله الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد إتمام بيعة الانعقاد للصدوق أبي بكر رضي الله عنه: فلا يغرن امرأ أن يقول أن بيعة أبي بكر رضي الله عنه كانت فلتة فتمت، وأنها وإن كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها وليس فيكم من

(١٦) - مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، مسند الشاميين ، رقم الحديث (١٧٩٩٠ و١٧٣٠٩) - طبعة بيت الأفكار الدولية ٢٠٠٤م.

٣٢.٥ الفرق بين الشورى العامة والديمقراطية

تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر فن رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فإنه لا بيعة له هو، ولا الذي بايعه (١٦) .
الفرق بين الشورى العامة والديمقراطية

الشورى في النظام الإسلامي صورة من صور المشاركة في الحكم تستمد جذورها من أصول الدين وجذوره، وهي من أهم المبادئ الشرعية التي يقوم عليها النظام السياسي في الإسلام، بل إن بعض الباحثين يرى أن الشورى هي النظام السياسي ذاته، وليس واحداً من مبادئه، أو قاعدة من قواعده، نظراً لما يترتب على الشورى في المنظور الإسلامي من بيان العلاقة بين الحاكم وأهل الشورى، والتزام الدولة بالقواعد المشروعة (٢٠) .

والشورى قاعدة أساسية في النظام الإسلامي، وأصل من أصول الشريعة الإسلامية ومن عزائم الأحكام فيها، وهي بهذا المعنى كما يقول الدكتور فؤاد محمد النادي لا تقتصر على كونها من القواعد الأساسية للنظام السياسي الإسلامي فحسب، وإنما تمثل الإطار العام والنطاق الذي يجب أن تعمل في حدوده كافة السلطات الحاكمة في الدولة الإسلامية التشريعية والتنفيذية والقضائية، وهي بذلك تحول دون الاستبداد بالرأي أو الانفراد

(١٦) - السيرة النبوية لابن هشام - حققها وضبطها ووضع فهرسها مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري وعبد الحفيظ شليبي - الناشر دار إحياء التراث - بيروت - ج ٤ - ص ٣٠٨ . وانظر أيضاً نظام الشورى في الإسلام - تأليف الدكتور عمر الخالدي - مكتبة الرسالة

الحديثة - عمان الأردن - الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ
 (٢٦) - الشورى في الإسلام - رؤية نياية- تجربة المملكة العربية السعودية ص ٣ , بحث منشور على الانترنت.
 به، الأمر الذي يؤدي إلى الرأي الصواب وتحقيق وحدة الأمة وتأليف القلوب بين أفرادها. (١٦)
 اما الديمقراطية: بمفهومها الأساسي فهي تعني حكم الشعب لنفسه دون أن تستأثر طبقة أو جماعة أو فرد بهذا الحكم، ومن دون أن يصبح كل أفراد الشعب حكاماً، فيصبحوا بحاجة عندئذ إلى شعوب يحكمونها. (٢٦)
 وبهذا التعريف تأتي الديمقراطية رديفة للشورى في بعض الوجوه من حيث إعطاء حق المشاركة للشعوب في صناعة القرار وإدارة شؤون الحكم، عدا أن الشورى نظام تميزت به الشريعة الإسلامية باعتباره جزءاً من العقيدة، بينما الديمقراطية نظام وضعي أي من وضع الإنسان فهي نظام سياسي إجتماعي غربي النشأة عرفه الغرب من الحقبة اليونانية ودخل عليه تطوير في الحضارة المعاصرة، كما أنها تنظم العلاقة بين الفرد والمجتمع والدولة من منطلق مبدأ المساواة بين المواطنين، ومنح حق المشاركة في صنع التشريعات، وسن القوانين التي تنظم الحياة العامة وفق مبدأ أن الشعب مصدر السلطات، فالسلطة في النظام الديمقراطي هي للشعب بواسطة الشعب (٣٦) .

(١٦) - د. فؤاد محمد النادي: رئيس قسم القانون العام بجامعة صنعاء وأستاذ القانون العام المساعد بجامعة الأزهر- موسوعة الفقه السياسي ونظام الحكم في الإسلام - الكتاب الخامس: مبدأ المشروعية وضوابط خضوع الدولة للقانون في الفقه الإسلامي ص ٢٢٠ الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - دار الكتاب الجامعي.
 (٢٦) - د. هاني سليمان الطعيمات: حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ص ٢٤٩ الطبعة العربية الأولى ٢٠٠١ م. دار الشروق للنشر والتوزيع.
 (٣٦) - انظر مولفنا الشورى في الشريعة الاسلامة مصدر سابق ص ٣٢.

٣٢٠٦ في الشورى قوة واخوة

في الشورى قوة واخوة
 في الشورى القوة والاخوة والمحبة وقديما قيل اذا نويت فاستشر واذا مضيت فاستخر ومن استشار استبصر قال الشاعر:
 الرأي كالليل مسوداً جوانبه ... والليل لا ينجي إلا بإصباح
 فاضم مصابيح آراء الرجال إلى ... مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح (١٦)
 وقد جاء في العقد الفريد لابن عبدربه أن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ذكر في المشورة سبع خصال: استنباط الصواب، واكتساب الرأي، والتحصن من السقطه، والتحرز من الملامه، والنجاه من الندامة، وإفقه القلوب، واتباع الأثر (٢٦) . وجاء في جواهر الأدب أن بيهس الكلبي قال:
 عقل الفتى ليس يغني عن مشاورة ... كحده السيف لا تغني عن البطل
 إن المشاور إما صائبٌ غرضاً ... أو مخطئٌ غير منسوبٍ إلى الخطل (٣٦)
 قال الراغب الأصفهاني: قيل إن الأحقق من قطعه العُجب عن الاستشارة، والاستبداد عن الاستخارة، فالرأي الواحد كالسجيل، والرأيان كالخيطين، والثلاثة إصرار لا ينقض. (٤٦)

(١٦) -أورد هذين البيتين العلامة والأديب الكبير أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي في العقد الفريد، ج ١ ص ٦٠، طبعة دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ووردت في الموسوعة الشعرية للكاتب والأديب والواعظ والخطيب بدر بن عبد الله بن عبد الكريم الناصر ص ١٤٥ الناشر دار العاصمة الرياض المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م.
 (٢٦) - العقد الفريد للملك السعيد لأبي سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي المتوفى سنة ٦٥٢-٦٤٢. طبع في القاهرة بمطبعة الوطن ١٣٠٦ هـ.

- (٣٦) - جواهر الادب للعلامة أحمد الهاشمي - بيروت لبنان ، الطبعة الخامسة والثلاثين ١٤١٦ هـ.
 (٤٦) - الذريعة إلى مكارم الشريعة ١٩٢ - للشيخ أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٣٢٠٧ لاخير في امر ابرم من غير مشورة

وصحيح ما ذهب إليه الراغب، فإن رأيين خير من واحد، وقديماً قيل: ورأيان خير من واحد، ورأي الثلاثة لا ينقض، ولذا يقال: من أُجِبَ برأيه ضل، ونقل القرطبي عن الحسن البصري والضحاك أنهما قالوا: ما أمر الله نبيه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم، وإنما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل، ولتقتدي به أمته بعده، ولقد أحسن القائل:
 شاور صديقك في الخفي المشكل ... واقبل نصيحة ناصح متفضل
 فالله قد أوصى بذلك نبيه ... في قوله (شاورهم) و (توكل) (١٦)
 لاخير في امر أبرم من غير مشورة

أثر عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: لا خير في أمر أبرم من غير مشورة. ولهذا يقال: انخطأ مع المشورة أصلح من الصواب مع الإنفراد والاستبداد. وفي الامثال السائرة ما هلك امرءٌ بعد مشورة وليس الخبير كالمشير (٢٦)
 وقد نقل صاحب العقد الفريد - في الشورى - أقوالاً مشهورة، وحقاً مأثورة نلخصها فيما يأتي:
 (١) لا معين أقوى من المشورة ولا عون أنفع من العقل. فالمشورة تقوي العزم وتمنح النجاح وتوضح الحق وتبسط العذر وتزحزح عن مواقف الندامة، والعقل يهدي صاحبه إلى الأخذ بثمرة المشورة.

(٢)
(٣)

- (١٦) - الجامع لأحكام القرآن ٤/٢٥٠ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي (المتوفى في ٩ شوال سنة ٦٧١ هـ) .
 (٢٦) - معجم كنوز الامثال ص ٧٩.

٣٢٠٨ الشورى والزماميتها

- (٤) من استشار ذوي الرأي والمعرفة في فعل ما عناه فقبل المشورة منهم واقتدى بأرائهم فيها ولم يعدل عنها وعن قويم نهجها قل أن يخفق مسعاه ويفوت مطلوبه، فإن أعجزه القدر فهو معذور غير ملوم.
 (٥) من ترك المشورة وعدل عنها، فلم يظفر بحاجته صار هدفاً لسهام الملام ومضغة في أفواه العاذلين.
 (٦) من فضل المشورة أنها تكشف لك طباع الرجال. ففتى طلبت اختبار رجل فشاوره في أمرٍ من الأمور يظهر لك من رأيه وفكره وعدله وجوره وخيره وشره مكانته.
 من أكثر الاستشارة لم يعدم عند الإصابة مادحاً وعند الخطأ عاذراً (١٦)
 الشورى والزماميتها

إنه مما لا شك فيه أن الشورى واحدة من المبادئ التي يقوم عليها نظام الحكم، أمر بها الشارع سبحانه وتعالى لتكون أداة لتقويم الفكر وتدعيم الرأي ووحدة الصف واحترام العقل الذي زود الله به الإنسان وفضله على كثير مما خلق من خلقه تفضيلاً، والشورى يمكن أن تتوحد بها الصفوف فتتوحد الأمة حتى تكون كالبنان أو كالبنيان يشد بعضه بعضاً، والشورى فيها تطيب للنفوس وجمع للكلمة

واستخراج للرأي السديد، فالقرآن يأمر الرسول بالمشاورة، وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ برأي الأغلبية، وقد استدلت القائلون بوجوب الشورى وإلزاميتها بعدة أدلة من الكتاب والسنة من ذلك قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا) (١٦) - العقد الفريد. ص ٥٨.

٣٢٠٩ فضل الشورى

غَيْظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٦) ، وجه الاستدلال أن هذه الآية نزلت بعد غزوة أحد والتي كان قرار الخروج فيها مبنياً على الشورى وأخذ صلى الله عليه وآله وسلم برأي الأكثرية فنزلت هذه الآية بعد النتائج الأليمة التي حلت بالمسلمين تأمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالمشاورة حتى لا يظن ظان بضرورة استبعاد الشورى، فإذا أمر الله بها رسوله، وهو أرحم الناس عقلاً، فالأمر في حق غيره من قادة المسلمين أولى وأوجب، فصيغة الأمر عند علماء الأصول تفيد الوجوب ما لم ترد قرينة تصرفه عن ذلك، وهذه الصيغة (وَشَاوِرْهُمْ) صيغة أمر وهي تدل على وجوب الشورى ولم ترد نصوص أخرى تصرفها إلى الندب، بل جاءت النصوص الأخرى من الكتاب والسنة تؤكد هذا الوجوب وتؤيده، ويقول الفخر الرازي في التفسير الكبير: ظاهر الأمر للوجوب، فقوله (وَشَاوِرْهُمْ) يقتضي الوجوب (٢٦) .
فضل الشورى

قال الماوردي: اعلم أن من الحزم لكل ذي لب أن لا يبرم أمراً ولا يضيء عزماً إلا بمشورة ذي الرأي الناصح، ومطالعة ذي العقل الرَّاجح.

(١٦) - سورة آل عمران الآية (١٥٩) .

(٢٦) - التفسير الكبير للفخر الرازي العلامة: محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله نفي الدين، ولد بالري من أعمال فارس، من تصانيفه الكثيرة: مفاتيح الغيب من القرآن الكريم الموسوم بمفاتيح الغيب ج ١ - ص ١٢٩٢ .
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَعَمُ الْمُوَاظَرَةُ الْمَشَاوِرَةُ وَيَسَّسَ الْأَسْتِعْدَادُ الْأَسْتِبْدَادُ .
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الرَّجَالُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ تَرُدُّ عَلَيْهِ الْأُمُورُ فَيَسُدُّهَا بِرَأْيِهِ، وَرَجُلٌ يَشَاوِرُ فِيمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ وَيَنْزِلُ حَيْثُ يَأْمُرُهُ أَهْلُ الرَّأْيِ، وَرَجُلٌ حَاطَرٌ بِأَمْرِهِ لَا يَأْتِمُرُ رُشْدًا وَلَا يُطِيعُ مَرْشِدًا .
وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: إِنَّ الْمَشُورَةَ وَالْمُنَاطِرَةَ بَابَ رَحْمَةٍ وَمِفْتَاحَ بَرَكَةٍ لَا يَضِلُّ مَعَهُمَا رَأْيٌ وَلَا يَفْقَدُ مَعَهُمَا حَزْمٌ .
وَقَالَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنَ: مَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ لَمْ يَشَاوِرْ، وَمَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ كَانَ مِنَ الصَّوَابِ بَعِيدًا .
وَقَالَ عَبْدُ الْحَمِيدِ: الْمَشَاوِرُ فِي رَأْيِهِ نَاطِرٌ مِنْ وَرَائِهِ .
وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ: الْمَشَاوِرَةُ رَاحَةٌ لَكَ وَتَعَبٌ عَلَى غَيْرِكَ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهُدَايَةِ وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَعْنَى بِرَأْيِهِ (١٦) . قلت: وقد وصف الله المؤمنين الموحدون بأن أمرهم شورى بينهم، ليدل على أن نظام الشورى أرقى النظم وأسماها، وأن الاستبداد في الحكومات وفي كل الأمور التي ينبغي التشاور فيها ليس من نظام الدين ولا من شأن المؤمنين، وأن الأمة التي تتخذ الشورى منهجاً وسلوكاً هي الأحرى بالإجبار والتقدير، والله در القائل:
اقرن برأيك رأي غيرك واستشر ... فالحق لا يخفى على اثنين
للبرئ امرأة تريبه وجهه.....ويرى قفاه يجمع مرأتين

(١٦) - ادب الدنيا والدين تأليف الامام علي بن محمد بن حبيب الماوردي ص ٣٠١ الطبعة الاولى ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م الناشر الشركة الجزائرية اللبنانية.

٣٢.١٠ الخلال المطلوب توافرها في المشير

الخلال المطلوب توافرها في المشير

من حق العاقل ان يضيف إلى رأيه رأي العلماء، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، ويحسن اختيار المشير، ويدعم الاسترشاد، ويترك الاستبداد، فالرأي الفرد ربما زل، والعقل الفرد ربما ضل، وزلة الرأي تأتي على الفرد فتضعفه، وتأتي على الملك وتؤدي إلى الهلك، فنن التوفيق حسن اختيار المشير، وقدما قيل من احسن الوفاء استوجب الاصطفاء، ومن استشار الرشيد عمل بمشورته، ومن استنصح الصديق وبني على نصيحته لم يفته حزم ولم يغلبه خصم، ومن استشار العاقل فيما ينويه، واسترشد العالم فيما يأتيه صحت له الامور، وصلح به الجمهور، واستنار منه القلب، وسهل عليه الصعب. فمن جهل المرء وسخفه وسقم رأيه وضعفه ان يتصور في نفسه ويتقرر في حسه. ان في استمداد الاراء واستشارة النصحاء ما يزرى به، ويضع من قدره فيستبد بالتدبير ويعرض عن المشير؛ فيبقي في ظلمة الحيرة، ويحصل على الهم والحسرة، فإذا اشكلت عليك الامور، وتغير لك الجمهور فارجع الى رأي العقلاء، وافزع إلى استشارة النصحاء ولا تأنف من الاسترشاد، ولا تستكف من الاستمداد، فإن تسأل وتسلم، خير من ان تستبد وتدم، ولا تستشر الجاهل بالامور فإن من استرشد الجاهل ضل، ومن جهل موضع قدمه زل، وفي الامثال السائرة: جهل المشير قتل المستشير، واذا استشرت الجاهل اختار لك الباطل، فاستعن بذوي العقول لتدرك المامول فمن استشار ذوي الالباب، سلك سبيل الصواب (١٦) وقد ذكر الماوردي في المشير خصالا خمسا نلخصها في الآتي:

الخصلة الاولى: عقلٌ كاملٌ مع تجرّبةٍ سالفةٍ فإن بكثرة التجارب تصح الرؤية.

وقد روى أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: {استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا} (٢٦).

وقال عبد الله بن الحسن لابنه محمد: احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً كما تحذر عداوة العاقل، إذا كان عدواً فإنه يوشك أن يورطك بمشورته فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل.

وقيل لرجل من عبس: ما أكثر صوابكم؟ قال: نحن ألف رجلٍ وفينا حازمٌ ونحن نطيعه فكأننا ألف حازم.

وقال أبو الأسود الدؤلي:

وما كلُّ ذي نصيحٍ بمؤتيتك نصحه ... ولا كلُّ مؤتٍ نصحه بلبيبٍ

ولكن إذا ما استجمعا عند صاحب ... فحق له من طاعة بنصيبٍ

والخصلة الثانية: أن يكون ذا دينٍ وتقى، فإن ذلك عماد كلِّ صلاحٍ وباب كلِّ نجاحٍ.

(١٦) - الفرائد والقلائد تأليف ابي الحسين محمد بن الحسين الأهوازي ص (٥٩-٦١) بتصرف، الناشر دار الرازي، طبعة دار ابن حزم بيروت لبنان ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ الطبعة الاولى.

(٢٦) - السيوطي في الجامع الصغير باب حرف الألف حديث رقم (٩٧٥).

ومن غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة. روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم: {من أراد أمراً فشاور فيه أمراً مسلماً وفقه الله لأرشد أموره}.

والخصلة الثالثة: أن يكون ناصحاً ودوداً، فإن النصح والمودة يصدقان الفكرة ويحصان الرأي.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَا تُشَاوِرْ إِلَّا الْحَازِمَ غَيْرَ الْحُسُودِ، وَاللَّبِيبَ غَيْرَ الْحُقُودِ، وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ: مَشُورَةُ الْمُشْفِقِ الْحَازِمِ ظَفَرٌ، وَمَشُورَةُ غَيْرِ الْحَازِمِ خَطَرٌ.

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

أَصْفِ صَمِيرًا لِمَنْ تَعَاشِرُهُ ... وَأَسْكُنْ إِلَى نَاصِحٍ تُشَاوِرُهُ
وَارْضَ مِنَ الْمَرْءِ فِي مَوَدَّتِهِ ... بِمَا يُؤَدِّي إِلَيْكَ ظَاهِرَهُ
مَنْ يَكْشِفُ النَّاسَ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا ... تَصِحُّ مِنْهُمْ لَهُ سِرَائِرُهُ
أَوْشَكَ أَنْ لَا يَدُومَ وَصَلُ أَخٍ ... فِي كُلِّ زَلَّاتِهِ تَنَافِرُهُ

وَالْخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ: أَنْ يَكُونَ سَلِيمَ الْفِكْرِ مِنْ هَمِّ قَاطِعٍ، وَغَمِّ شَاغِلٍ، فَإِنَّ مَنْ عَارَضَتْ فِكْرَهُ شَوَائِبُ الْهَمُومِ لَا يَسْلُمُ لَهُ رَأْيٌ وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُ خَاطِرٌ.

وَقَدْ قِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكَمِ: كُلُّ شَيْءٍ يَحْتَاجُ إِلَى الْعَقْلِ وَالْعَقْلُ يَحْتَاجُ إِلَى التَّجَارِبِ.

وَكَانَ كَسْرَى إِذَا دَهَمَهُ أَمْرٌ بَعَثَ إِلَى مَرَازِبَتِهِ فَاسْتَشَارَهُمْ فَإِنْ قَصَّرُوا فِي الرَّأْيِ ضَرَبَ قَهَارِمَتَهُ وَقَالَ: أَبْطَأْتُمْ بِأَرْزَاقِهِمْ فَأَخْطَأُوا فِي آرَائِهِمْ.

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُوسِ:

وَلَا مُشِيرَ كَذِي نَصِيحٍ وَمَقْدِرَةٍ ... فِي مُشْكِ الْأَمْرِ فَاخْتَرْتَ ذَاكَ مُنْتَصِحًا

وَالْخَصْلَةُ الْخَامِسَةُ: أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ فِي الْأَمْرِ الْمُسْتَشَارِ غَرَضٌ يَتَّبِعُهُ، وَلَا هَوَى يُسَاعِدُهُ، فَإِنَّ الْأَغْرَاضَ جَاذِبَةً وَالْهَوَى صَادًا، وَالرَّأْيُ إِذَا عَارَضَهُ الْهَوَى وَجَاذَبَتْهُ الْأَغْرَاضُ فَسَدَ.

وَقَدْ قَالَ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ:

وَقَدْ يَحْكُمُ الْأَيَّامَ مَنْ كَانَ جَاهِلًا ... وَيُرِدِّي الْهَوَى ذَا الرَّأْيِ وَهُوَ لَيْبٌ

وَيُحْمَدُ فِي الْأَمْرِ الْفَتَى وَهُوَ مُخْطِئٌ ... وَيَعْدِلُ فِي الْإِحْسَانِ وَهُوَ مُصِيبٌ

فَإِذَا اسْتَكْمَلْتَ هَذِهِ الْخِصَالَ الْخَمْسَ فِي رَجُلٍ كَانَ أَهْلًا لِمَشُورَةٍ وَمَعْدِنًا لِلرَّأْيِ، فَلَا تَعْدِلْ عَنْ اسْتِشَارَتِهِ اعْتِمَادًا عَلَى مَا نَبَّهْتَهُ مِنْ فَضْلِ رَأْيِكَ، وَثِقَةً بِمَا تَسْتَشْعِرُهُ مِنْ صِحَّةِ رَوِيَّتِكَ، فَإِنَّ رَأْيَ غَيْرِ ذِي الْحَاجَةِ أَسْلَمٌ، وَهُوَ مِنَ الصَّوَابِ أَقْرَبُ، نِخْلُوصِ الْفِكْرِ وَخُلُوقِ الْخَاطِرِ مَعَ

عَدَمِ الْهَوَى وَارْتِفَاعِ الشَّهْوَةِ. وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ،

وَمَا اسْتَغْنَى مُسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ، وَمَا هَلَكَ أَحَدٌ عَنْ مَشُورَةٍ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ هَلَكَةً كَانَ أَوَّلُ مَا يُهْلِكُهُ رَأْيُهُ} (١٦) .

(١٦) - انظر ادب الدنيا والدين للامام الماوردي ص (٣٠٢-٣٠٤) .

٣٢.١١ الحكمة في الشورى

٣٢.١٢ الحكيم من أسماء الله الحسنى

الحكمة في الشورى

الحكيم من الناس من يستشير وياخذ بالحكمة ويجتنب الاستبداد بالرأي، والحكيم من يضع الأشياء في مواضعها فيبحث عن الحق من أجل

إصابة الصواب، وموافقة الحق والعدل في القول والعمل، فالإنسان لا يكمل بنفسه وإنما يستعين بالله وحده، ويستشير غيره من أهل الشورى حتى تكون أقواله وأفعاله منتظمة محكمة، سائرة على منهج العدل الذي أمر الله به، فمن أراد حسن التدبير، والحكم بأمر العزيز القدير، فليجعل الشورى سبيله ومنهجه ودليله، فإن ذلك من الحكمة، وفيه طاعة لله، وفضل من الله فإسأله أن يعطيك التوفيق والحكمة، فهو يؤتي الحكمة من يشاء، وهو المعطي لجميع الأشياء، وفي الذكر الحكيم: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (١٦) واعلم أخي انه لا حكيم على الاطلاق الا العزيز الوهاب، ولن تكون حكيماً الا باتباع امر الله وامر نبيه صلى الله عليه واله وسلم، فاحرص على الاتباع وابتعد عن الاستبداد والابتداع، فالؤمن الحق حكيم، وحكمته يستقيها من معرفته بالله، فاستمد منه الحكمة، ومن الحكمة ان تتعرف على افضل المعلومات بافضل العلوم وتستشير ثم تتكل على العزيز القدير، واعلم ان العلم المطلق انما هو لله العزيز الحكيم، الذي لا يحتاج إلى مشير ولا وزير والذي احسن كل شئ خلقه واتقنه واحسن تدبيره وتقديره وهو على كل شئ قدير.

الحكيم من اسماء الله الحسنی

الحكيم من اسماء الله الحسنی وقد ورد في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه في عدة مواضع منها قوله جل وعلى في سورة البقرة: {وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٢٦)

وفي سورة النساء قوله تبارك وتعالى: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (٣٦)

وقوله تعالى: {وَإِنْ يَتَرَفَقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً} (٤٦)

وفي سورة الأنعام قوله تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} (٥٦)

وفي سورة النور قوله سبحانه: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ} (٦٦)

وورد في السنة النبوية من حديث أبي هريرة عند الترمذي: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) وعد منها: (الحكيم) (٧٦)

وفي صحيح مسلم من حديث: مُوسَى الْجُهَنِيُّ عَنْ مُضْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عَلَيَّ كَلَامًا أَقُولُهُ قَالَ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ

(١٦) - سورة البقرة الآية (٢٦٩) .

(٢٦) - سورة البقرة الآية (٢٢٨) .

(٣٦) - سورة النساء الآية (٢٦) .

(٤٦) - سورة النساء الآية (١٣٠) .

(٥٦) - سورة الانعام الآية (١٨) .

(٦٦) - سورة النور الآية (١٠) .

(٧٦) - باب ماجاء في عقد التسييح باليد حديث رقم (٣٤٢٩) .

لِلَّهِ كَثِيرًا سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ قَالَ فَهَوْلَاءُ لِرَبِّي فَمَا لِي قَالَ قُلْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَهْدِنِي وَارزُقْنِي (١٦)

والحكيم له عدة معان منها: حكيم على وزن فعيل، بمعنى مفعول، تقول جرح اليم بمعنى مؤلم، فحكيم بمعنا محكم، ومعنا المحكم المتقن والله جل وعلا حكيم في خلقه وتقديره وحكيم في جميع اقواله وافعاله، وقال ابن جرير الحكيم الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل: وقال في موضع: حكيم فيما قضى بين عباده من قضاياه (٢٦) وقال الامام ابن كثير: الحكيم في افعاله واقواله فيضع الاشياء في محلها بحكمته وعدله.

وَقَالَ الْحَلِيمِيُّ فِي مَعْنَى الْحَكِيمِ: الَّذِي لَا يَقُولُ وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا الصَّوَابَ، وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوصَفَ بِذَلِكَ لِأَنَّ أَفْعَالَهُ سَدِيدَةٌ، وَصَنَعُهُ مَتَّقَنٌ، وَلَا يَظْهَرُ الْفِعْلُ الْمَتَّقَنُ السَّدِيدُ إِلَّا مِنْ حَكِيمٍ، كَمَا لَا يَظْهَرُ الْفِعْلُ عَلَى وَجْهِ الْاِخْتِيَارِ إِلَّا مِنْ حَيٍّ عَالِمٍ قَدِيرٍ. قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: الْحَكِيمُ هُوَ الْمُحْكَمُ لِخَلْقِ الْأَشْيَاءِ صُرْفَ عَنْ مَفْعَلٍ إِلَى فَعِيلٍ، وَمَعْنَى الْإِحْكَامِ لِخَلْقِ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا يَنْصَرِفُ إِلَى إِتْقَانِ التَّدْبِيرِ فِيهَا، وَحُسْنِ التَّقْدِيرِ لَهَا (٣٦) .

وقال القحطاني: (الحكيم) الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، فالحكيم هو واسع العلم والإطلاع على مبادئ الأمور

(١٦) - باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء حديث رقم (٤٨٦٢) .

(٢٦) - جامع البيان ج ١ ص (٤٣٦) ج ٢ ص (٣٦٣) .

(٣٦) - الاسماء والصفات للبيهقي ج ١ ص ٦٧ .

٣٢.١٣ ثمرة معرفه اسم الله الحكيم

وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، غزير الرحمة فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللاتقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. وقال القرطبي: الحكيم جل جلاله وتقدست أسماؤه ورد في الذكر الحكيم أكثر من موضع وجاء في حديث أبي هريرة واجمعت عليه الأمة ولا خلاف في إجرائه على المخلوق وصفًا.

ومن هذا العرض يتبين أن الله حكيم في خلقه وتقديره، وحكيم في شرعه وأحكامه، وحكيم في جميع أقواله وأفعاله، وقد وصف الله جل وعلا القرآن الكريم بالحكيم واقتضت حكمته أن يكون القرآن حكيماً ومحكماً، وانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم، قال تعالى: {الرِّبَّكَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (١٦) وفي سورة لقمان {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} (٢٦)

فالقرآن حكيم في أسلوبه وبيانه، حكيم في هدايته ورحمته، وحكيم في أمره ونهيته، وحكيم في إيضاحه وبيانه، وحكيم في وعده ووعدته، وحكيم في ترغيبه وترهيبه، وحكيم في تشريعه، فما شرعه الله فيه لعباده من الاحكام والمعاملات مبنية على الحكمة قال تعالى: {ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (٣٦) وقال في آية المواريث: {فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} (٤٦) وجاء في سورة التحريم في حكم اليمين النبأ اليقين، قال تعالى: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلَةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (٥٦) فما شرعه الله لعباده في القرآن الحكيم جاء في منتهى الحكمة والاحكام فهو تشريع الحكيم العليم الذي لا يدخل في حكمه خلل ولا زلل، فمن اخذ بذلك فقد اهتدى، ومن أعرض عنه فقد ضل ضلالاً مبيناً، فإن كنت تريد الحكمة والامن والسلامة والسعادة والفلاح فتعلم احكامه وحلاله وحرامه من القرآن الحكيم ومن هدي النبي الكريم تكن حكيماً.

ثمرة معرفه اسم الله الحكيم

اذا علم المرء ان الله جل وعلى خالقه ورازقه حكيم، خلق الخلق واتقن صنعه، وخلق كل شئ واحكم تدبيره وتقديره، وانه سبحانه وتعالى خلق الخلق لحكمة عظيمة، وغاية جليله وهي عبادته قال جل شأنه {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (٦٦) وانه سبحانه وتعالى الحكيم في أقواله وأفعاله، الحكيم في تشريعه، وان الامور كلها بيده تجري وفق حكمته وتدبيره وتقديره سبحانه وتعالى، وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، وجب عليه ان يؤمن به ويوحده سبحانه لا شريك له ولان له ولا مثيل في اسمائه وصفاته (ليس كمثل شئ وهو السميع البصير) ، فهو سبحانه لا يقول ولا يفعل الا الصواب، والمؤمن يصف ربه الحكيم بما وصف به نفسه من صفات التعظيم والمدح، ويسأله الحكمة،

ويتخلق بالاخلاق الحسنة، ويجعل اعماله وافعاله كلها لله فيضع الاشياء في محلها فلا يحكم الا بالحق والعدل،

- (١٦) - سورة هود الاية (١)
- (٢٦) - سورة لقمان الاية (٢)
- (٣٦) - سورة الممتحنة الاية (١٠)
- (٤٦) - سورة النساء الاية (١١)
- (٥٦) - سورة التحريم الاية (٢)
- (٦٦) - سورة الذاريات الايات (٥٦-٥٨)

ولا يتعامل مع الناس الا بالصدق والامانة، وان يجعل أعماله متصفة بالحكمة، ويحرص ان يكون حكيما في عمله حكيما في صنعته حكيما في وظيفته، حكيما في تعليمه حكيما في ادارته حكيما في اخلاقه حكيما في اهله ومجتمعه وادارة شؤنه، يتنزه عن ظلم غيره ويرفع عن فعل مالا ينبغي، فالحكيم من الناس هو من يتحلّى بالاخلاق الفاضله ويتخلق باخلاق الله الحكيم الذي علّم الحكمة، وكانت شريعته واوامره ونواهيه التي يجب ان يلتزم بها الانسان جارية على الحكمة، فالحكيم الذي يفعل ما ينبغي، بالقدر الذي ينبغي، وفي الوقت الذي ينبغي، وبالمكان الذي ينبغي، اخذا بما علّمه الله، ومستقيما كما يحب الله فهذا هو الحكيم، الحكيم الذي يتقي الله، ويسعى إلى نفع الناس ابتغاء ثواب الله، والحكيم الذي يغض بصره ويحفظ فرجه وفضول كلامه ويؤدي الفرائض والواجبات التي فرضها الله، فأنت اخي حين تطبق امر الله تكون حكيما وحينما تتبع نهج محمد صلى الله عليه وآله وسلم تكون حكيما، وأنت أخي بالحكمة يمكن ان تكون اسعد الناس، فلو ان الله اعطاك مالا ولم تكن حكيما فيه، متبعا لمنهج العدل الذي اراده الله وكنت مبذرا فيه فستكون سفيها، مع انه في الامكان ان تكون اسعد الناس بدخل قليل اذا اتبعت منهج الملك الجليل، ولكنك بالحق والمخالفة لاوامر الله يمكن ان تشقى بالدخل الكثير لانفاقك المال بالاسراف والتبذير فيما يغضب الملك الجليل، ولو اعطاك الله الصحة، ولم تحافظ على هذه النعمة، وتستغلها فيما يعود عليك من الخير في طاعة الله، واستهلكت هذه الصحة في سفاسف الأمور لم تكن حكيما، فأى شيء اعطيت ولم تستعمل فيه الحكمة فانك لم تكن حكيما، وسوف يكون حسرة عليك يوم القيامة، وانظر إلى فرعون وقارون فإن المال والجاه لم ينفعهما مع البغي والاستبداد، لأنهما عرضا عن الحكمة في امر الله ونهيه، وتدبر معي اخي قول العزيز الحكيم: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ } (١٦) وانظر اخي فضل الله عليك، واحسانه اليك، فإن تفضل الله عليك بالحكمة والعلم فهذا العطاء من نوع ما أعطى الانبياء، فاحمد الله، وان اعطاك مالا فقل الحمد لله، وان زادك صحة فاحمد الله، وان زادك قوة فاحمد الله، وان اعطاك سلطانا وجاها فاحمد الله، وان اعطاك صحة وأولادا فقل الحمد لله مقتديا بخليل الله ابراهيم عليه السلام الذي حكا الله عنه في لقرآن الحكيم حمده للرب الكريم: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ } (٢٦) ، وعليك ان تضع الامور في نصابها وتستشير أهل الفضل والصلاح، فالأصل ان يكون المؤمن حكيما، يستعمل الحكمة ويطلب من الله المزيد والرحمة قال تعالى: { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَنَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (٣٦) وقال تعالى: { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } (٤٦) وصلوات الله وسلامه على عبده ونبيه ورسوله ابراهيم فقد نادى الرب الكريم: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (٥٦) فاستجاب له العزيز الحكيم،

- (١٦) - سورة الانفطار الايات (٦-٨)
- (٢٦) - سورة ابراهيم الاية (٣٩)
- (٣٦) - سورة آل عمران الايات (١٦٤)
- (٤٦) - سورة البقرة الايات (٢٦٩)
- (٥٦) - سورة البقرة الايات (١٢٩)

٣٢.١٤ دعاء الله باسمه الحكيم

فسبحانه من رحيم كريم، وجاء في الذكر الحكيم: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (١٦) .

دعاء الله باسمه الحكيم

ياالله ياحكيم يارزاق ياوهاب ارزقني الحكمة وفصل الخطاب وعرفني معرفة الخطا من الصواب، وفهمني معنى (انما يتذكر اولو الالباب) ، واجعلني والمؤمنين في الفردوس الاعلا من الجنة انك انت الكريم العزيز الحكيم الوهاب ووفقني والمؤمنين للعمل بالسنة والكتاب وصلى الله وسلم على محمد نبي الرحمة معلم الحكمة وعلى آله واصحابه.

(١٦) - سورة الجمعة الآية (٢-١) .

٣٣ الفصل الثاني والثلاثون النصيحة

٣٣.١ النصيحة

الفصل الثاني والثلاثون

النصيحة

النصيحة

النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الخير للمنصوح له، وهي مأخوذة من: نصح الرجل ثوبه: اذا خاطه، وشبه فعل الناصح فيما يتجراه للمنصوح له لسد الخيط خلل الثوب واصلاحه. وقيل انها مأخوذة من: نصحت العسل اذا صفيته من الشمع، وهي عماد الدين وقوامه، وفي الذكر الحكيم اخبار عن نوح عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والتسليم فيما حكاه الله عنه: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (١٦) وفي الامثال السائرة: من لزم العافية سلم ومن قبل النصيحة غم وقال ابو الدرداء رضي الله عنه: ان شئت لأنصح لكم: ان احب عباد الله إلى الله الذين يحبون الله تعالى إلى عباده ويعملون في الارض نصحاء. وقال حكيم: ودك من نصحك وقلاك من مشي في هواك. ولشرف النصيحة وعلو شأنها كانت خلق النبيين، وسبيل المتقين، وفي الذكر الحكيم حكى الله عن هود عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والتسليم: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} (٢٦) وفي السنة النبوية أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكَلْبِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّتِهِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ (٣٦) ، وفي روضة العقلاء: الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة، وترك الخيانة

(١٦) - سورة الاعراف الاية (٦٢) .

(٢٦) - سورة الاعراف الاية (٦٨) .

(٣٦) - اخرجه مسلم باب بيان ان الدين النصيحة حديث رقم (٨٢) .

لهم بالاضرار والقول والفعل معا، اذ المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يشترط على من بايعه من اصحابه: النصح لكل مسلم، مع اقامة الصلاة، وابتاء الزكاه (١٦) ، قال الشاعر:

اذا خلت النصيحة حين تسدي ... من الاخلاص مجتبا القلوب (٢٦)

وقال اخر:

لا تجنن بالنصح إنَّ ضؤولةً ... بالمرء غشَّ المُستشِير المُجْهِدِ
وأَجِبْ أَخَاكَ إِذَا اسْتَشَارَكَ نَاصِحاً ... وَعَلَى أَخِيكَ نَصِيحَةً لَا تَرُدُّ (٣٦)
اما ابوالاسود الدؤلي يقول:

فَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمَوْتِكَ نَصَحَهُ ... وَمَا كُلُّ مَوْتٍ نَصَحَهُ بِلَيْبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ ... فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيْبٍ
وقال اخر:

النصح ارحص ما باع الرجال فلا ... تردد على ناصح نصحا ولا تلم
ان الناصح لا تخفى مناهجها ... على الرجال ذوي الالباب والفهم

(١٦) - روضة العقلاء ص (١٥٧) مصدر سابق.

(٢٦) - ورد هذا البيت في الموسوعة الشعرية منسوباً لمحمد سليم الجندي وكذلك في الشوارد لابن نحميس.

(٣٦) - عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب؟ - ١٢٩ هـ / ؟ - ٧٤٦ م من شجعان الطالبين وأجوادهم وشعرائهم،
وكان فتاكاً سيء الحاشية طلب الخلافة في أواخر دولة بني أمية (سنة ١٢٧ هـ) بالكوفة وبيع له بعض أهلها، وخلعوا طاعة بني
مروان. وأنته بيعة المدائن. ثم قاتله عبد الله بن عمر (والي الكوفة) ففرق عنه أصحابه (سنة ١٢٨ هـ) فخرج إلى المدائن، ولحق
به جمع من أهل الكوفة فغلب بهم على حلوان والجبال وهمدان وأصبهان والري وقصده بنو هاشم كلهم حتى أبو جعفر (المنصور)
واستفحل أمره، فجبي له خراج فارس وكورها. وأقام باصطخر، فسير أمير العراق (ابن هبيرة) الجيوش لقتاله فصبر لها ثم انهزم إلى
شيراز ومنها إلى هراة فقبض عليه عاملها وقتله خنقاً بأمر أبي مسلم الخراساني، وضع الفراش على وجهه فمات وقيل مات في سجن أبي
مسلم سنة ١٣١ هـ.

٣٣.٢ خير الاخوان اكثرهم مبالغة في النصيحة

اما ابوالعتاهية فهو يقول:

لَوْ بَدَّلْتُ النَّصْحَ الصَّحِيْحَ لِنَفْسِي ... لَمْ تَذُقْ مُقْلَتَايَ طَعْمَ الرَّقَادِ

لَوْ بَدَّلْتُ النَّصْحَ الصَّحِيْحَ لِنَفْسِي ... هِمَّتْ أُخْرَى الزَّمَانِ فِي كُلِّ وادٍ

خير الاخوان اكثرهم مبالغة في النصيحة

ان خير الاخوان اشدهم مبالغة في النصيحة، كما ان خير الاعمال احدها عاقبة، واحسنها اخلاصا وفي الامثال السائرة: (ضرب الناصح
خير من تحية الشاني) وقيل يجب ان يكون للعاقل نصيحة مقبولة، وقيل ليس الناصح باولى بالنصيحة من النصح له. قال الحسن:
المؤمن شعبة من المؤمن، وهو مرآة اخيه؛ ان رأى منه مالا يعجبه سدده وقومه، ونصحه في السر والعلانية. وفي الامثال السائرة: "من
احبك نهاك ومن ابغضك اغراك" وقيل "النصيحة آمن من الفضيحة"، وفي الحديث النبوي (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) (١٦)
وقال ابن الرومي:

غَشَّنَ مِنْ أُخْرٍ النَّصِيْحَةَ عَمْدًا ... عَنْ إِمَامٍ عَلَيْهِ جُلُّ اعْتِمَادِهِ

لَيْسَ يُوهِي أَخَاكَ شِدْكَ إِيَّأ ... هُ بِهِ بَلْ يَزِيْدُهُ فِي اشْتِدَادِهِ

وقال عبد الله بن معاوية:

وَإِنْ قَالَ لِي مَاذَا تَرَى يَسْتَشِيرُنِي ... أَخِي لَمْ أُشْرِ إِلَّا بِمَا كُنْتُ فَاعِلًا

ويروي لاوس ابن حجر:

وان قال لي ماذا ترى يستشيرني ... فلم يك عندي غير نصح وارشاد

(١٦) - صحيح مسلم، باب قول النبي من غشنا، حديث رقم (١٤٦).

٣٣.٣ النصح لا يجب في العلانية

اما ابن حمديس فهو يقول:

لي صديقٌ مُحضُ النصيحة كالمُر... آه إذ لا تريك منها اختلالاً
قَتْرِيكَ اليمينَ منك يمينا... بالمحاذاة والشمالَ شمالاً

ولله در القائل:

وَمِنْ أَعْظَمِ التَّقْوَى النَّصِيحَةُ أَنهَا ... مِنَ الدِّينِ أَضَحَّتْ مِثْلُ أُسِّ بِنَائِهِ (١٦)
النصح لا يجب في العلانية

النصيحة محاطة بالتهمة ولهذا فانه لا ينبغي ابدؤها الا سرا غالبا (٢٦) , لأن من وعظ اخاه علانية فقد شانه. ومن وعظه سرا فقد زانه, وقديما قيل: علامة الناصح اذا اراد زينة المنصوح له ان ينصحه سرا, وعلامة من اراد شينة ان ينصحه علانية, ورحم الامام الشافعي حيث يقول:

تَعَمَّدَنِي بِنُصْحِكَ فِي إِفْرَادِي ... وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ
فَإِنَّ النَّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ ... مِنَ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى إِسْتِمَاعَهُ
وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي ... فَلَا تَجْرِعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهُ
اما ابوالعتاهية فيقول:

يريك النصيحة عند اللقاء ... ويبريك في السريري القلم

(١٦) - هذا البيت لاحمد بن علي مشرف.

(٢٦) - قولنا غالبا نحترز بها من بعض احوال النصيحة التي يجوز ابدؤها سرا وعلانية خاصة في بعض ماتعلق من النصيحة لله ولكتابه, ومن ذلك الخضوع لله ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه بفعل طاعته والرغبة من سخطه بترك معاصيه سرا وعلنا ووصفه سبحانه وتعالى بما هو اهله, وتعليم كتاب الله ونحو ذلك من الامور التي لا غضاضة من ابداء النصح علانية فيها.

٣٣.٤ عدم قبول النصيحة حسرة وندامة

وفي الامثال السائرة: النصح بين الملا تقريع, وقال سفيان قلت لمسعر: تحب ان يخبرك رجل بعيوبك؟ قال: اما ان يبجي انسان فيوبخني بها فلا, واما ان يبجي ناصحا فنعم.

قال ابن المبارك: كان الرجل اذا رأى من اخيه مايكره امره في ستر, ونهاه في ستر؛ فيؤجر في ستره, ويؤجر في نهيه. فأما اليوم اذا فانه اذا رأى احد من احد ما يكره استغضب اخاه, وهتك ستره. قلت وقد افاد ابن المبارك واجاد, فالناصح انما يبتغي بنصحه الاجر والثواب من العزيز الوهاب, أما اذا قصد غير ذلك من امور الدنيا التي يبتغي من ورائها جاها او مالا فربما ذهبت اماله وانقطع رجاءه ولم يتحقق من وراء نصيحته نفع قال الشاعر:

ولرب راج حيل دون رجائه ... ومؤمل ذهبت به الامال

أما من قصد بالنصح رضاء الله وحده ونفع اخوانه واصلاح شؤونهم فلن فلن يهتك ستر اخوانه ولن يضيع اجر نصحه واحسانه, قال الشاعر:

ان كان حمدي ضاع في نصحك ... فان اجري ليس بالضائع

عدم قبول النصيحة حسرة وندامة

من لم يقبل نصيحة العاقل تتعاطم عليه المشاكل, وقديما قيل من لم يقبل نصيحة اخوانه عاد ضرره عليه كالمرضى الذي يترك مايصف له الطبيب ويعمد إلى ما يشتهي فيهلك, فن اعرض عن الحكماء واستخف بنصيحة العلماء ضل فالحزم الاخذ بالنصيحة, والبعد عن

العجب الذي يؤدي إلى الهلكة والفضيحة، وفي الامثال السائرة: من اتم النصح الإشارة بالصلح، فمن استغنى بعقله ضل، ومن اكتفى برايه زل، والعاقل يلوم نفسه ولا يعجب برايه بل

٣٣٠٥ الغش في النصيحة

يصلح من اعماله قبل ان يلومه صديق ناصح او عدو كاشح، فمن اصلح نفسه صلح له اخوانه وكان الناس تبعاً له، وقديماً قيل: اربعة تدل على صحة الراي: طول الفكر، وحفظ السر، وفرط الاجتهاد، وترك الاستبداد (١٦)، وقال الشاعر:

اذا نصحت لذي عجب لترشده ... فلم يطعك فلا تنصح له أبدا
فإن ذا العجب لا يعطيك طاعته ... ولا يجيب إلى ارشاده احدا
الغش في النصيحة

الغش في النصيحة خيانة، وتضييع للأمانة، ولكن قد يستغش الناصح ولا يصغى إلى نصيحة الرجل الصالح، وقديماً قيل: وقد يستغش المرء من لا يغشه، ويقبل نصيحة عدوه: قال محمد بن زنجي البغدادي الشاعر:

فكم من عدو معلن لك نصحه ... علانية والغش تحت الاضالع
وكم من صديق مرشد قد عصيته ... فكنت له في الرشد غير مطاوع
وما الأمر إلا بالعواقب إنها ... سيبدو عليها كل سر وذائع
واما ابن المقرب فهو يقول:

وَمَنْ يَسْتَمِعْ فِي قَوْمِهِ قَوْلَ كَاشِحٍ ... أُصِيبَتْ كَمَا شَاءَ الْمُعَادِي مَقَاتِلُهُ
وَمَا كُلُّ مَنْ يُبْدِي الْمَوَدَّةَ نَاصِحاً ... كَمَا لَيْسَ كُلُّ الْبَرِّقِ يَصْدُقُ خَائِلُهُ (٢٦)

(١٦) - الفرائد والقلائد ص ٧١.

(٢٦) - هذان البيتان لابن المقرب العيوني ٥٧٢ - ٦٢٩ هـ / ١١٧٦ - ١٢٣١ م علي بن المقرب من منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار الربيعي العيوني جمال الدين أبو عبد الله. شاعر مجيد، من بيت إمارة، نسبته إلى العيون (موضع بالبحرين) وهو من أهل الأحساء في السعودية، أضطهده أميرها أبو المنصور علي بن عبد الله بن علي وكان من أقاربه، فأخذ أمواله وسجنه مدة. ثم أفرج عنه فأقام على مضض، ورحل إلى العراق، فكث في بغداد أشهراً، وعاد فنزل هجر ثم في القطيف، واستقر ثمانية في الأحساء محاولاً استرداد أمواله وأملاكه ولم يفلح. وزار الموصل سنة ٦١٧هـ، للقاء الملك الأشرف ابن العادل، فلما وصلها كان الأشرف قد برحها لحاربة الإفرنج في دمياط. واجتمع به في الموصل ياقوت الحموي، وروى عنه بيتين من شعره، وذكر أنه مدح بالموصل بدر الدين - لؤلؤاً - وغيره من الأعيان.

٣٣٠٦ احذر نصائح الشيطان فانها غش وبهتان

احذر نصائح الشيطان فانها غش وبهتان

احذر اخي تلبس الشيطان وغشه فر بما خدعك بزعم النصيحة ووقعك في البلاء والفضيحة، وسيرك الى مستنقعات الرذيلة، فاحذر نصائحها فانها غش وتدليس، فلا تتبع خطوات ابليس، واستعد بالله من وسوسته واتباع خطواته، ألا ترى غشه لأينا ادم وأمنا حواء بقصد ابداء سواتهما واخراجهما من الجنة، فغشهما في نصحه وقسمه انه لهما من الناصحين مين وبهتان، فلا تركزن إلى تزيينه، ولا تتخذع بسراب كذبه في نصحه فانها الخديعة، وتدبر قول العزيز الحكيم: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} * فوسوس لهما الشيطان ليبيدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكأمن الناصحين * فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما

وَوَظِيفًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ { (١٧) }
النصيحة لله ولكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم

(١٧) - سورة الاعراف الايات (١٩ الى ٢٢) .

ان الاخلاص لله بالقول والعمل نصح ودين، فناصح العمل خالصه، وفي غريب القران: النصح تحري فعل او قول فيه صلاح لصاحبه: {وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} (١٧) وقد جاء في حديث تميم الداري رضي الله عنه يرفعه إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ) (٢٠) قال الخطابي: النصيحة كلمة جامعة معناها: حيازة المنصوح له. وهي من وجيز الكلام، بل ليس في الكلام كلمة مفردة تستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة. وهذا الحديث من الاحاديث التي قيل فيها انها احد ارباع الدين. وقال النووي: بل وحده محصل لفرض الدين كله، لانه منحصر في الامور التي ذكرها، فالنصيحة لله وصفه بما هو له أهل، والخضوع له ظاهرا وباطنا، والرغبة في محابه بفعل طاعته والرغبة من مساحطه بترك معاصيه والجهاد في رد العاصين له. وروى الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن ابي ثمامه صاحب علي قال: قال الحواريون لعيسى عليه السلام: ياروح الله من الناصح لله؟ قال: الذي يقدم حق الله على حق الناصح. والنصيحة لكتاب الله تعلمه وتعليمه واقامة حروفه في التلاوة وتحريرها في الكتابة وتعلم معانيه وحفظ حدوده والعمل بما فيه وذبح تحريف المبطلين عنه. والنصيحة لرسوله تعظيمه ونصره حيا وميتا واحياء سنته بتعلمها وتعليمها والافتداء به في اقواله وافعاله ومحبة اتباعه.

(١٧) - سورة الاعراف الايات (٧٩) .

(٢٠) - اخرج مسلم حديث رقم (٨٢) .

والنصيحة لأئمة المسلمين اعانتهم على ما حملوا القيام به وتنبههم عند الغفلة وسد خلتهم عند الهفوة وجمع الكلمة عليهم ورد القلوب النافرة اليهم، ومن اعظم نصيحتهم دفعهم عن الظلم بالتي هي احسن، ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد وتقع النصيحة لهم ببث علومهم ونشر مناقبهم وتحسين الظن بهم. والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم والسعي فيما يعود نفعه عليهم وتعليمهم ماينفعهم وكف وجوه الاذى عنهم، وان يجب لهم ما يجب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه (١٧) . وفي الحديث فوائد اخرى يطول شرحها منها ان الدين يطلق على النصيحة لكونه سمي النصيحة دينا، وقد ورد عند الترمذي من حديث ابي هريرة بالتكرار (الدِّينُ النَّصِيحَةُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) (٢٠) وذلك فيه تعظيم لشأن النصيحة. قال الشاعر:

وقم بالنصح ان النصح دين ... به تجزى الجزيل من العطاء
فقد اوصى النبي به ثلاثا ... فقدمه لدى كشف الغطاء

وجاء في حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه: (بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ) (٣٦) قال في الفتح: التقييد بالمسلم للاغلب والا فالنصح للكافر معتبر بأن يدعى إلى الإسلام ويشار عليه بالصواب إذا استشار (٤٦) ، فاحرص اخي على بذل النصيحة تكن

(١٧) - مشار الى ذلك في هامش الترغيب والترهيب للمندري، ج ٢ ص ٥٧٦ .

(٢٠) - اخرجه الترمذي في سننه باب ما جاء في النصيحة حديث رقم (١٨٤٩) .

(٣٦) - اخرجه البخاري حديث رقم (٥٥) ومسلم حديث رقم (٨٣) .

(٤٦) - فتح الباري ج ١ ص ١٤٠ .

مصلحا رشيدا، فأنت حينما تستجيب لامر الله وتقبل على تطبيق منهج الله تفوز بتعلم علم العليم وقدرة القدير ورحمة الرحيم وحكمة الحكيم، فأسعد انسان هو الذي يبحث عن منهج الله ليطبقه في حياته ليكون سعيدا رشيدا مستقيما، قال العلماء: الرشد هو النصح والاستقامة، والرشد خلاف الغي والضلال، اما الاستقامة فهي تعني: ان تتحرك تحركا صحيحا، ان تصل إلى قصدك النبيل باسلم الطرق والاتحاد عن الحق، وانت حينما تتصل بالله تطهر نفسك من كل ادانها فلا تحقد ولا تتكبر ولا تبخل بالنصيحة فأنت رشيد، لأنك

تسير على صراط مستقيم تتصل بالله وتعلم انك بالنصيحة تفوز بالدنيا والاخرة تنصح الله ولكاتبه ولرسوله وللأمة المسلمين وعامتهم، انك بالنصيحة والحكمة تصلح الزوجة الفاسده، وتعلم أبناءك الفرائض والسنن، وانك بالحق تفسد الزوجة الصالحة وتهلك وتضيع الاولاد النجباء، وانك بالنصيحة بجميل الكلام وطيبه تصلح الاخوان وتكسبهم وتحافظ على الفرائض والسنن وتسعد في الدنيا والاخرة، فأنت تعلم ان الله رشيد ارشدنا الى طاعته وعبادته وارشد الخلائق الى هدايته ذو الحبل الشديد، والامر الرشيد فاذا كنت مع الله الرشيد فلن تضل ابدا وفي الذكر الحكيم: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} (١٦) .

(١٦) - سورة الكهف الاية (١٧) .

٣٣٠٧ الرشيد من اسماء الله الحسنی

الرشيد من اسماء الله الحسنی

اسم الله الرشيد اشار اليه التنزيل فقال: {وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا} (١٦) وقال: {وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} (٢٦) وجاء في السنة النبوية في حديث ابي هريرة عند الترمذي: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) وعد منها: (الرشيد) (٣٦) قال الحلبي: الرشيد هو المرشد وهذا مما يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم يعني في خبر الأسماء ومعناه الدال على المصالح والداعي إليها، وهذا من قوله عز وجل. {وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا} فإن مهياً الرشد مرشد وقال تعالى: {وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} فكان ذلك دليلاً على أن من هداه فهو وليه ومرشده (٤٦) .

وقال الدكتور محمد راتب النابلسي: من اسماء الله الحسنی الرشيد. صيغة الرشيد فاعيل، وصيغة فاعيل في علم الصرف تعني المبالغة فهناك اسم فاعل، وهناك اسم فاعل مبالغ فيه. تقول مثلاً: صادق: اسم فاعل، وصدوق اي كثير الصدق، فهذا مبالغة اسم فاعل، بوزن فاعول اما الاسم (الرشيد) فهو على وزن فاعيل، وماذا يعني اسم المبالغة في حق ذات الله عز وجل؟ يعني شئئين. فهو يعني عدداً ونوعاً. فكل افعال الله عز وجل رشيدة هذا عدد، والرشيد، اذا وصف الله بهذا الوصف فهو الرشد المطلق (هذا نوع) فالله عز وجل مطلق.

(١٦) - سورة الكهف الاية (١٠) .

(٢٦) - سورة الكهف الاية (١٧) .

(٣٦) - باب ماجاء في عقد التسييح باليد حديث رقم (٣٤٢٩) .

(٤٦) - الاسماء والصفات للبيهقي ص (٢٠١-٢٠٢) .

فاعلمه مطلق، قدرته مطلقة، يجب ان تعلم علم اليقين ان الله سبحانه وتعالى في كل اسمائه وصفاته مطلق (١٦) . والرشد قد يكون وصفا ذاتيا لله تعالى وقد يكون فعليا اما كونه ذاتيا فراجع إلى العلم والارادة؛ لأن الرشد في اللسان يقع على العالم بما يقدم ويؤخر فيتصف الله به من طريق كمال علمه واتقان صنعه ووجود العالم منه على النظام الجميل، والذي هو عليه على مقتضى علمه الرشيد، واما كونه من صفات السلب فهو بمعنى تعاليه عن السفه وصفات النقص التي تشوب المخلوق، اذا عدم الرشد في العلم والعمل، واما كونه من اصفات الافعال فيكون فاعيل بمعنى مفعول (٢٦) . والذي يتضح من هذا العرض ان اسم الله رشيد يأتي بمعنى راشد اي حكيم في كل اقواله وافعاله وتدييره لشؤون الخلق حكيم في كل شئ، وذلك مايدل على كمال علمه واتقان صنعه وعظيم قدرته. ويأتي بمعنى مرشد اي يرشد عباده إلى الصواب وإلى طريق الحق وإلى الدين المستقيم وإلى المصالح التي ينتظم بها شؤون خلقه جل وعلا.

ولا خلاف في جواز اجرائه على العبد بغير خلاف قال سبحانه وتعالى مخبرا عن قوم شعيب: {إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} (٣٦) وقال سبحانه {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا} (٤٦)

ثمره معرفة اسم الله الرشيد

(١٦) - موسوعة اسماء الله الحسنی ج ٣ ص (٢٠١) .

(٢٦) - الجامع لاسماء الله الحسنی ص (١٣٣) .

(٣٦) - سورة النساء الآية (٦) .

(٤٦) - سورة هود الآية (٨٧) .

إذا علم المكلف ان الله سبحانه وتعالى هو الرشيد المرشد الراشد على الاطلاق في جميع الامور، وانه ارشد الخلق إلى طريق الحق وإلى المصالح التي ينتظم بها وجودهم وإلى كل ما يحتاجون إليه ووجب عليه ان يؤمن به لأنه هو الذي ارشده إلى الايمان به وإلى منهج العدل وإلى الدين القيم بما انزله في القرآن الحكيم، وان يحسن معاملة مولاه بما امره به ونهاه عنه، لأن في ذلك غاية الرشد، دل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: {مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ وَمَنْ يَعَصِيهِمَا فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا} (١٦) فقد بين صلى الله عليه وآله وسلم ان الرشد في طاعة الله، والغني في معصيته، فعلى المؤمن ان يرشد عباد الله إلى طاعة الله وعبادته، وان يخلص لهم النصيحة في ذلك، ويحذرهم حبائل العصيان، واتباع خطوات الشيطان، فالرشيد الذي يرشد الناس إلى طاعة الله، ويعلم ان الله جل وعلا اسعده برشاده، وارشده إلى دينه وكتابه، وارشده إلى محبته ومحبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فالانسان اذا اتصف بهذه الصفات وكان متبعاً لهدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مستقيماً في اخلاقه وسلوكه كان رشيداً، ونال من الله حظاً مجيداً، والله سبحانه وتعالى عليه في هذه المنة والفضل، وقد امتن الله على ابراهيم عليه السلام من قبل، فقال سبحانه: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ} (٢٦) فاذا كنت اخي مع الله الرشيد، فستكون سعيداً رشيداً، فالله جل وعلا هو الذي اهم

(١٦) - اخرجه ابي داود في سننه باب الرجل يخطب على قوس حديث رقم (٩٢٥) .

(٢٦) - سورة الانبياء الآية (٥١) .

٣٣٠٨ دعاء الله باسمه الرشيد

أهل الرشد إلى طاعته، وهو الذي ارشد الخلائق إلى هدايته، فانظر إلى الفتية الذين امنوا بربههم وسالوه الرحمة والرشاد، كما حكي الله عنهم ذلك في محكم الكتاب فقال: {إِذْ أَوَى الْفِتْيَةَ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا} (١٦) والرشيد من الناس من اخلص الطاعة لله، والغني من اثر القناعة، فاغتم عمرك في طاعة ربك قبل ان يذهب شبابك وتنقضي اوقاتك، قال الشاعر:

مَضَى مِنْ شَبَابِكَ مَا قَدْ مَضَى ... فَلَا تُكْثِرَنَّ عَلَيْهِ الْبُكََا

وَشَعَلَ شَيْبِكَ مِصْبَاحَهُ ... وَلَسْتَ الرَّشِيدَ أَمَا قَدْ تَرَى (٢٦)

دعاء الله باسمه الرشيد

يا الله يا حكم يا رشيد ارشدني والمؤمنين إلى أحب الأعمال إليك وإلى كل اسم قد عظم لديك واعني يا الله يا رشيد إلى الوقوف بابابك الكريم والعكوف بين يديك، وارشدني إلى كل عمل يقربني إليك وأسعدني بإرشادك واهدني إلى كل عمل ينفعني وينفع عبادك، وأبعدني والمؤمنين عن الغي والمهلك، (اللَّهُمَّ ذَا الْحَبْلِ الشَّدِيدِ وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعْدِ وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ الرَّكْعِ السُّجُودِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْهُدَى إِنَّكَ رَحِيمٌ دُودٌ وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ سَلَامًا لِأَوْلِيَائِكَ وَعَدُوًّا لِأَعْدَائِكَ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَحَبَّكَ وَنُعَادِي بِعِدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ، اللَّهُمَّ

(١٦) - سورة الكهف الآية (١٠) .

(٢٦) - هذان البيتان لابن المعتز.

هَذَا الدُّعَاءُ وَعَلَيْكَ الْإِجَابَةُ وَهَذَا الْجُهْدُ وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي وَنُورًا فِي قَبْرِي وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَنُورًا مِنْ خَلْفِي

وَنُورًا عَنِ يَمِينِي وَنُورًا عَنِ شِمَالِي وَنُورًا مِنْ فَوْقِي وَنُورًا مِنْ تَحْتِي وَنُورًا فِي سَمْعِي وَنُورًا فِي بَصَرِي وَنُورًا فِي شَعْرِي وَنُورًا فِي بَشْرِي وَنُورًا فِي لِحْيِي وَنُورًا فِي دِمِي وَنُورًا فِي عِظَامِي، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ لِي نُورًا وَأَعْظِمِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا، سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ الْعِزَّ وَقَالَ بِهِ سُبْحَانَ الَّذِي لَبَسَ الْمَجْدَ وَتَكْرَمَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ، سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِي الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ، سُبْحَانَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (١٦) وصلّى الله على محمد وآله وصحبه والتابعين له باحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً يا ارحم الراحمين.

(١٦) - سنن الترمذي حديث رقم (٣٣٤١) .

٣٤ الفصل الثالث والثلاثون التقوى

الفصل الثالث والثلاثون
التقوى

٣٤.١ التقوى

التقوى

التقوى ان يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه. فتقوى العبد لله ان يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهي امتثال اوامره واجتناب نواهيه. ويدخل في التقوى الكامله فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات وهي اعلا درجات التقوى (١٦) ، وفي الذكر الحكيم: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (٢٦) وفي السنة النبوية: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) (٣٦)

وقال ابو العتاهية:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التَّقَى ... تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا

وله ايضا:

وَإِذَا بَحِثْتَ عَنِ التَّقَى وَجَدْتَهُ ... رَجُلًا يَصْدُقُ قَوْلَهُ بِفِعَالٍ

وَإِذَا اتَّقَى اللَّهَ إِمْرُؤٌ وَأَطَاعَهُ ... فَتَرَاهُ بَيْنَ مَكَارِمٍ وَمَعَالٍ

وَعَلَى التَّقَى إِذَا تَرَسَّخَ فِي التَّقَى ... تَاجَانِ تَاجُ سَكِينَةٍ وَجَلَالٍ

وقال اخر:

وَخَيْرَ لِبَاسِ الْمَرْءِ طَاعَةَ رَبِّهِ ... وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ اللَّهُ عَاصِيًا

(١٦) - دليل السائلين ص ١١٢ .

(٢٦) - سورة آل عمران الآية (١٠٢) .

(٣٦) - سنن الترمذي حديث رقم (١٩١٠) .

٣٤.٢ التقوى فضيلة

واما امية ابن أبي الصلت فهو يقول:

وَحَلَّ الْمُتَّقُونَ بِدَارِ صِدْقٍ ... وَعَيْشٍ نَاعِمٍ تَحْتَ الظَّلَالِ

لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَمَا تَمَنَّوْا ... مِنْ الْأَفْرَاحِ فِيهَا وَالْكَأَلِ

التقوى فضيلة

التقوى فضيلة اراد بها القرآن احكام ما بين الانسان والخلق, واحكام ما بين الانسان وخالقه, ولذلك تدور هذه الكلمة ومشتقاتها في اكثر ايات القرآن الاخلاقية والاجتماعية, والمراد بها ان يتقي الانسان ما يغضب ربه وما فيه ضرر لنفسه او اضرار بغيره, الا ترى ان كلمة التقوى في اصل معناها جعل النفس في وقاية, ولا تجعل النفس في وقاية الا بالنسبة فيما يخاف, نخوف الله اصلها, والنخوف يستدعي العلم بالخوف, ومن هنا كان الذي يعلم الله هو الذي يخشاه, وكان الذي يخشاه هو الذي يتقيه, فالمتقون هم الذين يقون انفسهم عذاب الله وسخطه في الدنيا والآخرة, وذلك بالوقوف عند حدوده وامتنال او امره واجتناب نواهيه, وهو لا يامر الا بما فيه خير للانسانية, ولا ينهى الا عما يضرها (١٦), نخشية الله والتقوى توأمان لا يصل الانسان إلى السعادة الا بهما, فلولا التقوى والنخشية من الله لاسترسل الإنسان في شروره, وانكب على شهواته, واضاع حياته, نخشية الله المقرونة بالتقوى تربي الضمير الانساني وتجعله متحليا بالاخلاق الفاضلة كريمة شجاعا بعيدا عن الرذائل, يحافظ على حق الله وحق عباده, وفي

(١٦) - روح الدين الاسلامي ص ٢١١.

٣٤.٣ صفة التقوى والمتقين عند العلماء

الذكر الحكيم على ذلك دليل وشاهد, قال تعالى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} (١٦) وفي امثال العرب: "السعيد من اتقى الله"

قال الشاعر:

ولست ارى السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد (٢٦)

وقال اخر:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ ... خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً ... وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى عَلَيْكَ يَغِيبُ (٣٦)

صفة التقوى والمتقين عند العلماء

قال الامام علي بن ابي طالب: التقوى هي الخوف من الجليل, والعمل بالتنزيل, والرضا بالقليل, والاستعداد ليوم الرحيل, وقال ابن عباس رضي الله عنهما: المتقون الذين يحدرون من الله عقوبته, ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به, وقال ابوهريرة رضي الله عنه: حينما سئل عن التقوى: هل اخذت طريقا ذا شوك؟ قال: نعم, قال فكيف صنعت؟ قال اذا رايت الشوك عزلت عنه او جاوزته او قصرت عنه, قال ذاك التقوى. وقال الحسن رحمه الله: ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام. وكان ابوبكر الصديق رضي الله عنه يقول في خطبته: اما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله, وان ثنوا عليه بما هو اهله, وان تخلطوا الرغبة بالرهبة,

(١٦) - سورة النور الآية (٥٢) .

(٢٦) - نسب هذا البيت للحطيئة في الموسوعة الشعرية.

(٣٦) - ينسب هذان البيتان لأبي العتاهية, وتنسب ايضا للحسن الاباضي, ولابي نواس, ولصالح بن عبد القدوس, والله اعلم.

٣٤.٤ التقوى في القرآن الحكيم

وتجمعوا الاحلاف بالمسالة فان الله عز وجل أثنى على زكريا واهل بيته فقال: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (١٦)

ولله در القائل:

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُجِدْ فِي عَوَاقِبِهِ ... وَيَكْفِهِ شَرَّ مَنْ عَرَّوْا وَمَنْ هَانُوا
وَاشَدُّ يَدَيْكَ بِجَبَلِ الدِّينِ مُعْتَصِمًا ... فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَاطَكَ أَرْكَانُ

مَنْ اسْتَعَانَ بِغَيْرِ اللَّهِ فِي طَلَبٍ ... فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجَزٌ وَخِذْلَانٌ (٢-)

التقوى في القرآن الحكيم

لقد وصف القرآن التقوى بأنها صيانة النفس عن كل ما يضر ويؤذي، والابتعاد عن كل ما يحول بين الانسان والغايات النبيلة التي بها كماله في جسمه وروحه، ولهذا وصف الله المتقين بانهم الذين تحلوا بالفضائل الإنسانية الحقة (٣-) ففي القرآن الحكيم يقول الرب العظيم: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (٤-) فملتصفون بهذه الصفات السامية هم الذي وصفهم الله بصفة

- (١٦-) - سورة الانبياء الاية (٩٠) .
- (٢-) - هذه الايات لابي فتح البستي .
- (٣-) - الروح الانساني ص ٢١١ .
- (٤-) - سورة البقرة الاية (١٧٧) .

٣٤٠٥ ثمرات التقوى

التقوى، وابان صدق ايمانهم، وعلو مقامهم، ومما لا ريب فيه ان المتقين يتحلون بخلال حميدة، واخلاق كريمة، اشار اليها القرآن في اكثر من آية.

فالعدل واحد من اغلا واسمى مقومات الحياة من التقوى قال تعالى: {اعْدِلُوا هُوَ اقْرَبُ لِلتَّقْوَى} (١-)

والعفو خلق كريم، وسلوك مستقيم من التقوى، قال تعالى: {وَأَنْ تَعْفُوا اقْرَبُ لِلتَّقْوَى} (٢-)

والاستقامة مع الاعداء هي من التقوى قال تعالى: {فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} (٣-)

وللتقوى ثمار طيبة، ولو ان العالم عرف التقوى لانطفأت ثورة الشر وساد السلام في ربوعه، وهل ينال الرحمة ويظفر بالحكمة، ويحظى بالثواب العظيم، ويفوز بجنة النعيم إلا أهل الايمان والتقوى، وفي الذكر الحكيم: {لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (٤-)

ثمرات التقوى

ان من ثمار الايمان والتقوى نيل رحمة الله والامن من الخوف يوم القيامة، قال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (٥-) .

ومن ثمرات التقوى البشرية بان يكون الله مع المتقين يعينهم وينصرهم ويحفظهم ويرزقهم، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} (٦-) .

ومن ثمرات التقوى ايضا تنوير البصيرة بالعلم والحكمة قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (٧-) فالفرقان ما يفرق بين شيئين ملتبسين او اشياء مشتبهة، فثمره التقوى هي نور البصيرة الذي يفرق بين الحق والباطل، واختيار طريق النجاة

ومن ثمرات التقوى البشرية بتكفير الذنوب، وحصول عظيم الاجر، قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا} (٨-)

ومن ثمرات التقوى نيل رحمة الله والفوز بنوره وتوفيقه قال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} (٩٦) وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

- (١٦) - سورة البقرة الاية (١٧٧)
- (٢٦) - سورة البقرة الاية (٢٣٧)
- (٣٦) - سورة التوبة الاية (٧)
- (٤٦) - سورة آل عمران الاية (١٥)
- (٥٦) - سورة يونس الايات (٦٢ الى ٦٤)
- (٦٦) - سورة النحل الاية (١٢٨)
- (٧٦) - سورة الانفال الاية (٢٩)
- (٨٦) - سورة الطلاق الاية (٥)
- (٩٦) - سورة الاعراف الاية (١٥٦)

آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمَنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (١٦) .
فالتقوى قوة وعفاف، واستقامة واخلاص، وبالتقوى يحافظ الانسان على الفرائض والواجبات، ويتعدى عن المحرمات، وبالتقوى تستقيم النفوس، وتوصل الأرحام، ويفتح الله على المتقين ابواب الخيرات، وينزل عليهم البركات، وفي الذكر الحكيم: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَبُوا فَاَخَذْنَاَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (٢٦) .
فأهل التقوى في امان وايمان، وراحة واطمئنان، قلوبهم طاهرة وامورهم ميسرة،

ومن ثمرات التقوى اليسر والسهولة في امور المتقين، فقد بشرهم الله بقوله: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} (٣٦) .
اذا كان القلق والغم الذي يصيب الانسان يسبب له الاحباط فان المتقين قد بشرهم الله بالخروج من المحن التي تسبب الغم والهم والقلق والاضطراب، ووعدهم بالرزق والخروج من المحن.

- (١٦) - سورة الحديد الاية (٢٨)
- (٢٦) - سورة الاعراف الاية (٩٦)
- (٣٦) - سورة الطلاق الاية (٤)

٣٤.٦ المتقون يستشعرون عظمة الله ويدركون رقابته

ومن ثمرات التقوى البشرى بالخروج من الغم والمحن، وحصول الرزق الواسع والنعم، قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} (١٦) .
ومن ثمرات التقوى ان المتقين يتقبل الله اعمالهم، ويصلح احوالهم، وينجيهم الله من العذاب، قال تعالى: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (٢٦) وقال تعالى: {وَيُحْيِي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمْسُهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (٣٦) فاحرص اخي على التقوى فانها افضل عدة، وخير زاد، يقضي على الفساد، ويوصلك إلى المراد، قال تعالى: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} (٤٦) وفي الامثال السائرة: (اوثق العرى كلمة التقوى) . وقدما قيل: (التقوى رئيس الاخلاق) و (التقوى هي العدة الوافية والجنة الواقية) (٥٦) قال الشاعر:

مَوْتُ التَّقِيِّ حَيَاةٌ لَا انْقِطَاعَ لَهَا ... قد مات قومٌ وهم في الناسِ أحياءُ (٦٦)

وقال اخر:

لا شيء اعلى من التقوى وصحبها ... ان التقى عزيز حيث ما كانا
اما الاعشى فهو يقول:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَحَلْ بَزَادٍ مِنَ التَّقَى ... وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمَثَلِهِ ... وَأَنْتَ لَمْ تُرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا (٧٦)

المتقون يستشعرون عظمة الله ويدركون رقابته

من عرف الله عظمه، وخاف رقابته، فإذا تمكن المرء لمعرفة الله وحده في اسمائه وصفاته خافه، واتقاه في أمور دينه ودنياه، وبلغ درجة المتقين قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (٨٦) فالمرابعة لله تجعل الانسان من المتقين، والعلماء يرون ان المرابعة لله حال يصير العبد فيها ذا كراً لله بقلبه ان شغل لسانه، لان الله مطلع عليه دائماً، وشعور العبد ان الله مطلع عليه سمو وارتقاء، وخوف ورجاء، وتعظيم لخالق جميع الاشياء، وخضوع وتوحيد، وورع وتقوى، فلتكن اخي من أهل التقوى تكن سعيداً، وتعرف على اسماء الله الحسنى وصفاته العلى تكن رشيداً، وتفهم معنا اسم الله الرقيب الشهيد، فهو الحافظ الذي لا يغيب، والموفق لكل امر سديد، وفي الحديث النبوي الشريف: (إن أفضل إيمان العبد أن يعلم العبد أن الله معه حيثما كان) (٩٦) وفي الذكر الحكيم: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتَلَوُّ

منه

- (١٦) - سورة الطلاق الايتان (٣ و ٢) .
- (٢٦) - سورة المائدة الاية (٢٧) .
- (٣٦) - سورة الزمر الاية (١٩٧) .
- (٤٦) - سورة الزمر الاية (٦١) .
- (٥٦) - كنوز الامثال ص ٣٥١ .

(٦٦) - هذا البيت لسابق بن عبد الله البربري .

(٧٦) - ونسب هذان البيتان ايضاً لسابق بن عبد الله البربري، والله سبحانه اعلم .

(٨٦) - سورة النساء الاية (١) .

(٩٦) - اخرج السيوطي في جمع الجوامع حديث رقم (٨٨٥) ، واورده علا الدين المتقي في كنز العمال حديث رقم (١٣٤٠) وعزياه الى الحكيم عن عبادة بن الصامت، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، رواه الطبراني في الاوسط والكبير وقال: تفرد به عثمان بن كثير: ولم أر من ذكره بثقة ولا جرح. ورواه ايضاً الحكيم في نوادر الاصول، والبيهقي في الاسماء والصفات وابونعيم في الحلية وقال غريب من حديث عروة .

٣٤٠٧ الرقيب الشهيد من اسماء الله الحسنى

مَنْ قُرَّانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كَأَنَّكُمْ شُهِدَا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ { (١٦)

الرقيب الشهيد من اسماء الله الحسنى

اسم الله الرقيب ورد ذكره في القرآن في ثلاثة مواطن في سورة النساء والمائدة والاحزاب ففي فاتحة سورة النساء: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (٢٦) وفي سورة المائدة يقول الله سبحانه: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (٣٦) وفي سورة الاحزاب يقول الحق سبحانه وتعالى: {لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

رَقِيبًا} (٤٦) والرقيب اسم من أسماء الله الحسنى يعني انه سبحانه وتعالى المطلع على ما اكتته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الحافظ للمخلوقات المراقب لجميع احوال الانسان والمطلع على

- (١٦) - سورة يونس الاية (٦١)
- (٢٦) - سورة النساء الاية (١)
- (٣٦) - سورة المائدة الاية (١١٧)
- (٤٦) - سورة الاحزاب الاية (٥٢)

سرايره، الشهيد على كل شيء، اما اسم الله الشهيد فقد ورد في القرآن في اكثر من موضع منها قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (١٦) وقوله تعالى: {يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (٢٦) وقوله تعالى: {قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} (٣٦) ويعني اسم الله الشهيد انه المطلع على كل شيء، فهو يشهد على كل شيء اذ لا يخفى عليه شيء، وقد قال بعض العلماء ان الرقيب من أسماء الله الحسنى واسمه جل وعلا الشهيد مترادفان.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: (الرقيب) و (الشهيد) مترادفان، وكلامها يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات، وبصره بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجليلة والخفية، وهو الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحق، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (٤٦) {والله على كل شيء شهيد} (٥٦) ولهذا كانت المراقبة التي هي من أعلى أعمال القلوب هي التبع لله باسمه الرقيب الشهيد، فتي علم العبد أن حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر هذا العلم في كل أحواله، أوجب له ذلك

- (١٦) - سورة الحج الاية (١٧)
- (٢٦) - سورة المجادلة الاية (٦)
- (٣٦) - سورة الاسراء الاية (٩٦)
- (٤٦) - سورة النساء الاية (١)
- (٥٦) - سورة المجادلة الاية (٦)

٣٤.٨ ثمرة معرفة اسم الله الرقيب، الشهيد

حراسة باطنة عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبّد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه، فإن الله يراه (١٦) .

فإذا الله كان رقيباً على دقائق الخفيات، مطلعاً على السرائر والنيات، كان من باب أولى شهيداً على الظواهر والجليات، وهي الأفعال التي تفعل بالأركان أي الجوارح (٢٦) .
ثمرة معرفة اسم الله الرقيب، الشهيد

اذا عرف المكلف ان الله سبحانه وتعالى رقيب عليه وعلى كل مخلوق، وأنه المطلع على الضمائر، الشاهد على السرائر الذي يعلم ويرى، ولا يخفى عليه السر والنجوى، وأنه على كل شيء شهيد عليم، وجب عليه ان يؤمن به، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْتِسُوْسٌ بِهِ نَفْسَهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} (٣٦) فمن اللوازم القطعية للايمان باسم الله الرقيب الشهيد الاستقامة، فمن صح علمه بان الله عليه رقيب شهيد لم يفن عمره في البطالة، ولم ينفق اوقاته في الغفلات، بل يصل اوقاته في طاعة الله ليله ونهاره، وجهده بكده في احساسه، واختلاف انفاسه، فمن راقب الله في سره وجهره واتقاه في امره ونهيه، اوصله ذلك إلى الصراط المستقيم، فهو يحب الأبراه الله الا فيما يحب

(١٦) - الحق الواضح المبين ص (٥٩ و ٥٨) .

(٢٦) - شرح القصيدة اللنوية للهراش ٢/٨٨ .

(٣٦) - سورة ق الآية (١٦) .

سبحانه، قال ابن القيم: المراقبة دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه.

فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة، وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة وكل نفس وكل طرفة عين والغافل عن هذا بمعزل عن حال أهل البدايات فكيف بحال المريدين فكيف بحال العارفين قال الجريري: من لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة؛ لم يصل إلى الكشف والمشاهدة وقيل: من راقب الله في خواطره عصمه في حركات جوارحه (١٦) . فالزم التقوى تفز في الدنيا والاخرة، ولا تنس ان الله شهيد عليك رقيب على كل اقوالك وافعالك واقوالك.

ورحم الله الشافعي حيث يقول:

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطْنَا ... تَرَكَوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا

نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا ... أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيِّ وَطْنَا

جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا ... صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفْنَا

وقال اخر:

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً ... وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْكَ يَغِيبُ

إِذَا مَا خَلُوتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ ... خَلُوتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلِيٌّ رَقِيبٌ (٢٦)

(١٦) - مدارج السالكين ج ٢ ص ٦٥ .

(٢٦) - ينسب هذان البيتان لأبي العتاهية، وتنسب أيضا للحسن الاباضي، ولابي نواس، ولصالح بن عبد القدوس، والله اعلم.

٣٤٠٩ دعاء الله باسمه الرقيب، الشهيد

دعاء الله باسمه الرقيب، الشهيد

يا الله يارقيب يا شهيد يامن هو على كل شي شهيد، ومن كل شي قريب يا الله يا رقيب يا شهيد علمك في البعيد كالقريب وفقني إلى كل ما يرضيك ... من العمل والقول السديد، واستر ما علمت مني من قول او عمل معيب، وجنبي المعاصي وكل عمل مريب يا الله يارقيب يا شهيد، شهدت ما خلقت قبل ان تخلقهم فتغمد ماشهدت مني ومنهم وثبتني على الايمان واهدني إلى ماتحب من القول والعمل الرشيد واحفظني والمؤمنين من الشيطان وعمله، انك على كل شي شهيد وتوفني مسلما، والحقني بالصالحين، واغفر لي ولوالدي، وللمؤمنين، يا الله يارقيب يا شهيد يا مجيب، وصلني الله وسلم على محمد وآله وصحبه، ومن اتبع هداه كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد

٣٥ الفصل الرابع والثلاثون الحياء

الفصل الرابع والثلاثون

الحياء

٣٥٠١ الحياء

الحياء

الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من اتباع الهوا والتقصير في حق ذي الحق، ومن تخلق بالحياء صان عرضه، ودفن مساوئه، ونشر محاسنه، ومن قل حياؤه ذهب سروره، وهان على الناس، ومن جمع بين الحياء والسخاء تقدم على اقرانه، وظفر بمودة جلسائه واخوانه، والحياء من الايمان، وقد قيل في حقيقته بانه: هو انقباض النفس عن اتيان امر مخافة الدم، ويكون في ثلاثة اوجه:

١. الحياء من الله تعالى، عند الاهتمام بمباشرة ما خطر على الانسان، ويكون بامثال اوامره جل وعلا، والكف عن زواجه.
٢. الحياء من الناس ويكون بكف الاذى وترك المجاهرة بالقبيح. وهذا النوع من الحياء يكون من كمال المرأة وحب الثناء.
٣. حياء الانسان من نفسه، ويكون بالعفة وصيانة الخلوات وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ} (١٦) وفي الحديث النبوي الشريف: (دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ) (٢٦) وقال ابن قتيبة: معناه ان الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي كما يمنع الايمان، فسمي ايمانا كما يسمى الشيء باسم ما قام مقامه. وقال الراغب: والحياء انقباض النفس عن القبائح (٣٦) . وقال

٠٤

(١٦) - سورة الاحزاب الاية (٥٣) .

(٢٦) - صحيح البخاري باب الحياء من الايمان حديث رقم (٢٣) .

(٣٦) - مفردات الراغب ص ١٤٠ .

٣٥٠٢ الحياء في القرآن الكريم

٥. الحلبي: (حقيقة الحياء خوف الدم بنسبة الشر إليه، وقال غيره: إن كان في محرم فهو واجب وإن كان في مكروه فهو مندوب وإن كان في مباح فهو العرفي وهو المراد بقوله: الحياء لا يأتي الا بخير، ويجمع كل ذلك أن المباح إنما هو ما يقع على وفق الشرع اثباتا ونفيا، وحكي عن بعض السلف رأيت المعاصي مذلة فتركتها مرواة فصارت ديانته، وقد يتولد الحياء من الله تعالى من التقلب في نعمه فيستحي العاقل أن يستعين بها على معصيته، وقد قال بعض السلف: خف الله على قدر قدرته عليك واستحي منه على قدر قربك منك والله أعلم (١٦))

وقال الشاعر:

يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ ... وَيَبْقَى الْعُودُ مَا بَقِيَ الْحَيَاءُ
فَلَا وَاللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ ... وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي ... وَلَمْ تَسْتَحِ فَافْعَلْ مَا تَشَاءُ (٢٦)

الحياء في القرآن الكريم

قال الفيروز ابادي: الحياء في القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: بمعنى الاستبقاء للخدمة: {وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ} (٣٦) أي يستبقونهن للخدمة.

الثاني: بمعنى الترك والإعراض: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا} (٤٦) أي لا يترك.

الثالث: بمعنى استعمال الحياء. وهو لغة: انقباض النفس عن القبيح وتركه، يقال حي فهو حي، واستحيا فهو مستحي. وقيل: استحي فهو مستح. وفي الحديث "إن الله يستحي من ذى الشبهة المسلم أن يعذبه" (٥٦) وليس المراد به: انقباض النفس، وإنما المراد به: ترك تعذيبه. وعلى هذا ما يروى (إن الله حي) أي تارك للمقايح، فاعل المحاسن (٦٦) . وفي الحديث "إذا لم تستحي فاصنع ما شئت" (٧٦)

فضل الحياء

الحياء خلق كريم، والحياء من الايمان، فمن استحيا من الحق فقد كل ايمانه وتم دينه، وكان ذلك عنوان تقواه، فعاقبة الاستحيا النجاة والسلامة من ادران النقائص، ودخول الجنة، وثواب الحياء كنوز مدخرة، واجر جليل في الآخرة، والله در القائل:

أَذْكُرُ حَاجَتِي أُمَّ قَد كَفَانِي ... حَيَاؤُكَ إِن شِئْتِكَ الْحَيَاءُ

(١٦) - فتح الباري ج ١ ص ٧٥.

(٢٦) - هذه الايات لابي تمام.

(٣٦) - سورة البقرة الاية (٤٩).

(٤٦) - سورة البقرة الاية (٢٦).

(٥٦) - لم نجد هذا اللفظ الذي اورده الفيروز ابادي ولكن اورده العجروني بلفظ (إن الله يستحي أن يعذب شيبه شابت في الإسلام) هكذا ذكره الغزالي في الدررة الفاخرة، ورواه السيوطي في الجامع الكبير عن ابن النجار بسند ضعيف بلفظين آخرين: أحدهما إن الله ليستحي من عبده وأمه يشيبان في الإسلام يعذبهما، ثانيهما إن الله عز وجل يستحي من ذي الشيبة إذا كان مسددا كروما للسنة أن يسأله فلا يعطيه انتهى. وانظر كشف الخفاء ج ١ ص ٢٤٤.

(٦٦) - بصائر ذوي التمييز ج ٢ ص ١٥٥.

(٧٦) - البخاري في الادب المفرد باب الحياء حديث رقم (٥٩٧).

٣٥٠٣ قليل الحياء ممقوت

كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ النَّأْيُ (١٦)

إِذَا أَتَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا

وَقَالَ آخِرُ:

وَرَبُّ قَبِيحَةٍ مَا حَالَ بَيْنِي ... وَبَيْنَ رُكُوبِهَا إِلَّا الْحَيَاءُ

وَكَانَ هُوَ الَّذِي أَلْهَى وَلَكِنْ ... إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ فَلَا دَوَاءَ (٢٦)

وقال ابي: عليك بالحياء والانفة، فانك ان استحييت من الغضاضة اجتنبت من الخساسة وان انفت من الغلبة لم يتقدمك احد في مرتبة. وقيل أحي حياءك بمجالسة من يستحي منه. ويغفر الله للمتنبي حيث يقول:

وَأَوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءً تَلَّثَمُوا ... عَلَيْهِنَّ لَا خَوْفًا مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ

وَلَيْسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ فِي الذُّبِّ شِيمَةً ... وَلَكِنَّهُ مِنَ شِيمَةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ

اما عبد الله بن محمد الاندلسي فهو يقول:

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَبِيَّةٍ فِي ظُلْمَةٍ ... وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ

فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا ... إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

قليل الحياء ممقوت

التبجح وقلة الحياء تسبب المصائب وتجلب غضب الله الخالق، وقدما قيل: قليل الحياء سيء السيرة، خبيث السريرة، يرتكب الجرام الموبقات، قلبه خال من الرأفة والرحمة، قد حل به القسوة والجفوة. وعدم الحياء مصيبة ودمار، تجلب سخط الجبار، ويكون سببا لدخول النار وقليل الحياء ذليل حقير، لا يوقر الكبير ولا يرحم الصغير، ولا يستحي من الله العلي الكبير، فاحذر اخي من مجالسة قلبي الحياء، قال الشاعر:

إني لارى من لاحياء له ... ولامانة وسط القوم عريانا

وقال آخر:

إِذَا رَزَقَ الْفَتَى وَجْهًا وَقَاحًا ... تَقَلَّبَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يَشَاءُ

وَلَمْ يَكُ لِلدَّوَاءِ وَلَا لِشَيْءٍ ... يُعَالِجُهُ بِهِ عَنْهُ غَنَاءُ

وَرَبُّ قَبِيحَةٍ مَا حَالَ بَيْنِي ... وَبَيْنَ رُكُوبِهَا إِلَّا الْحَيَاءُ (٣٦)

الحياء من الايمان
الحياء من الله، ان تحفظ حدوده، وتمثل اوامره، وتكف عن زواجره ونواهيه، فالعاقل يستحي ان يستعين بنعم الله على معاصيه، وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (الإيمان بضع وسبعون شعبةً والحياء شعبةٌ من الإيمان) (٤٦) وقد كان الحياء من الايمان لانه للدين خلق، فحركات المستحي وسكاته كلها في طاعة الله، والمستحي اعماله سالحة، وهيئته جميلة يكسوها الوقار والهيبة وتحفها الزينة والاجلال ولو مثل كان رجلا صالحا (٥٦) ، (وما كان الحياء في شي الا زانه) (٦٦) ، كما ورد ذلك في السنة النبوية وجاء في الحديث: الحياء والإيمان قرنا جميعا فإذا رفع أحدهما

(١٦) - هذان البيتان لامية ابن ابي الصلت.

(٢٦) - هذان البيتان ل (علي بن الجهم) .

(٣٦) - هذه الايات لعلي بن الجهم.

(٤٦) - صحيح مسلم باب عدد شعب الايمان حديث رقم (٥٠) .

(٥٦) - ورد ذلك من حديث عائشة مرفوعا عند الطبراني بلفظ (لو كان الحياء رجلا كان رجلا صالحا) .

(٦٦) - ورد ذلك في حديث انس عند ابن ماجه بلفظ (ما كان الحياء في شي الا زانه) .

رفع الآخر (١٦) ، فلزوم الحياء عند مجانبه مانهى الله عنه فرض، ولزوم الحياء عند مقارفة ماكره الناس فضل، فلا تترك اتيان ما امر الله به حياءً من خلقه، الا ترى ان الحق سبحانه وتعالى يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرِ إِيَّاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاحَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا } (٢٦) قال البيضاوي: {إِنَّ ذَلِكُمْ} اللبث {كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ} لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وإشغاله بما لا يعنيه. {فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ} من إخراجكم قوله: {والله لا يستحي من الحق} يعني أن إخراجكم حق فينبغي أن لا يترك حياء كما لم يتركه الله فأمركم بالخروج (٣٦) . وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها، وقد روي انه قال صلى الله عليه وآله وسلم: استحيوا من الله حق الحياء قال قلنا يا رسول الله إنا نستحي والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى ولتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء (٤٦) .
وقد احسن من قال:

وليس بمنسوب إلى العلم والنبي ... فتى لا ترى فيه خلائق أربع

فواحدة: تقوى الإله التي بها ... ينال جسم الخير والفضل اجمع

وثانية: صدق الحياء فإنه ... طباع عليه ذو المروءة يطبع

وثالثة: حلم إذا الجهل أطلعت ... إليه خبايا من فجور تسرع

ورابعة: جود بملك يمينه ... إذا نابه الحق الذي ليس يدفع

حياء الانسان من نفسه

العاقل من عود نفسه لزوم الحياء وستحي من نفسه، وقديما قيل: من يستحي من الناس ولا يستحي من نفسه فلا قدر لنفسه عنده، فمن استحيا في سريره كما يستحي من الناس في علانيته استحي من الله وكل ايمانه، قال رجل للنعمان اوصني قال استحي من الله كما تستحي من رجل من عشرينك (٥٦) ، وقال زيد بن ثابت: من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله، قال الشاعر:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ... ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

- (١٦) - المستدرک علی الصحیحین حدیث رقم (٥٨) .
- (٢٦) - سورة الاحزاب الاية (٥٣) .
- (٣٦) - تفسير البيضاوي ج ٢ ص ١٩ .
- (٤٦) - سنن الترمذي حدیث رقم (٢٣٨٢) .
- (٥٦) - محاضرة الادباء للراغب ص ١٢٥ .

٣٥٠٤ الخیر کله فی الحیاء

حَيَاءُكَ فَاحْفَظْهُ عَلَيَّكَ فَإِنَّمَا..... يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْكَرِيمِ حَيَاؤُهُ (١٦)
الخیر کله فی الحیاء

قال أبو حاتم إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه ودفن مساويه ونشر محاسنه ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ومن ذهب سروره هان على الناس ومُتَّتْ ومن مُتَّتْ أودى ومن أودى حزن ومن حزن فقد عقله ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لا له ولا دواء لمن لا حياء له ولا حياء لمن لا وفاء له ولا وفاء لمن لا إياء له (٢٦) , فن لزم الحياء كان قويا في ايمانه كريما في خلقه يؤمن ان الله معه يسمع ويرى, وانت اخي اذا كنت تؤمن ان الله معك يسمعك ويراك, وانت في بيتك وانت في عملك وانت في الطائفة او على ظهر السفينة او في غابة او في اعماق البحار او بطون الاودية يسمعك ان نطقت او سكت, وان ناجيته بخواطرك او بلسانك فهو سميع بصير مجيب, فانك اخي ستكون قويا في ايمانك سويا في سلوكك تستحيي من الله وتستعين به فهو معك اينما كنت, دعاؤك مسموع, وطلبك ملبي, وهذا نبي الله يونس عليه السلام: ينادي الله في بطن الحوت وظلمة البحر فيستجيب له: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّبُ الْمُؤْمِنِينَ} (٣٦) وهذا ايوب نبي الله عليه السلام: يصاب بالمرض والضرر فينادي الله الذي

(١٦) - هذان البيتان لصالح بن عبد القدوس .

(٢٦) - روضة العقلاء ص ٤٩ .

(٣٦) - سورة الانبياء الاية (٨٧-٨٨) .

٣٥٠٥ السميع البصير من اسماء الله الحسنی

يسمع ويرى فيستجيب له: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} (١٦) اما هؤلاء الذين يقترفون المعاصي والاثام فانهم اقبلوا على المعاصي لأنهم لا يشعرون ان الله معهم يسمع ويرى, فلم يستحيوا من الله ولا من الناس ولا من انفسهم, وتوهموا ان تلك المعاصي تسعدهم ولم يدركوا انها مهلكة لهم, فانت اخي اذا رايت الحق حقا فستاتيه واذا رايت الباطل باطلا فستجتنبه, فالرؤية والبصر نور وبرهان يقذفه الله في قلوب المخلصين من عباد الله المستحيين من الله حق الحياء, وتامل اخي في قصة نبي الله يوسف عليه السلام: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} (٢٦)

وسئل الجنيد: بما يستعان على غض البصر؟ قال بعلمك ان نظر الله اليك اسبق إلى ماتنظره, وكان الامام احمد ينشد:

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَغْفِلُ مَا مَضَى ... وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل علي رقيب (٣٦)

وكان ابن السماك ينشد:

يامدمن الذنب اما تستحي ... والله في الخلوة ثانيكا

غرك من ربك امهاله ... وستره طول مساويكا
فاذا عرف الانسان ان الله هو السميع البصير استحي من الله وكان عاقلا يزين باطنه بالمراقبة وظاهره بالمحاسبة، فمن تعرف على اسم
الله السميع البصير، فاز بالخير الكثير واستحي من الله العلي الكبير.

السميع البصير من اسماء الله الحسنی

السميع البصير من اسماء الله الحسنی وقد ورد اسم الله السميع البصير في القرآن الحكيم: في عدة مواضع في القرآن الكريم منها: قوله
تعالى: {وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (٤٦) وفي قوله تعالى: {وَهُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ} (٥٦) وفي سورة المجادلة: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}
(٦٦) وجاء في السنة النبوية في حديث أبي هريرة عند الترمذي: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ
اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) وعد منها: (السميع البصير) (٧٦) ومعنى السميع البصير الذي

(١٦) - سورة الانبياء الاية (٨٣-٨٤) .

(٢٦) - سورة يوسف الاية (٢٤) .

(٣٦) - هذان البيتان لابوالعناهيبة.

(٤٦) - سورة غافر الاية (٢٠) .

(٥٦) - سورة الشورى الاية (١١) .

(٦٦) - سورة المجادلة الاية (١) .

(٧٦) - باب ماجاء في عقد التسييح باليد حديث رقم (٣٤٢٩) .

احاط سمعه بجميع المسموعات، والبصير الذي احاط بصره بجميع المبصرات في الارض والسماوات، وفي كل المخلوقات، فقد احاط علمه
وسمعه وبصره بجميع الكائنات، فسبحان من تحيرت العقول في عظمتها، وسعت متعلقات صفاته، الذي خاطب نبيه بقوله: {وَتَوَكَّلْ عَلَى
الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (١٦) وقال الخطابي: (السميع بمعنى السامع، إلا
أنه أبلغ في الصفة، وبناء فعيل بناء المبالغة، وهو الذي يسمع السر والنجوى، سواء عنده الجهر والخفت، والنطق والسكوت) (٢٦)
وقال ابن القيم: (السميع الذي قد استوى في سمعه سر القول وجهره وسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه أصوات الخلق ولا تشبهه
عليه ولا يشغله منها سمع عن سمع ولا تغلظه المسائل ولا يبرمه كثرة السائلين، قالت عائشة الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد
جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله وإني ليخفى علي بعض كلامها فأنزل الله عز وجل (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) (٣٦) وقال الدكتور محمد راتب النابلسي: الله عز وجل سميع لكل الموجودات،
كل ماسواه يسمعه دون حاسة كبني البشر، دون آلة دون البشر، هناك آلة تلتقط الاصوات عند المخلوقات، او هناك حاسة لديهم

(١٦) - سورة الشعراء الايات (٢١٧ الى ٢٢٠) .

(٢٦) - الاسماء والصفات للبيهقي ص ٧٩ .

(٣٦) - طريق المهجرتين لابن القيم ص ٢١٢ .

٣٥٠٦ ثمرة معرفة اسم الله السميع البصير

تسمع الاصوات، لكن الله جل جلاله، ليس كمثل شئ (١٦) . وقال القحطاني: وكثيراً ما يقرب الله بين صفة السمع والبصر فكل
من السمع والبصر محيط بجميع متعلقاته الظاهرة والباطنة، فالسميع الذي احاط سمعه بجميع المسموعات، فكل ما في العالم العلوي والسفلي
من الأصوات يسمعها سرّاً وعلناً وكأنها لديه صوت واحد، لا تختلط عليه الأصوات، ولا تخفى عليه جميع اللغات، والقريب منها
والبعيد والسر والعلانية عنده سواء: {سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار} (٢٦) ، وسمعه

تعالى نوعان:

أحدهما: سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة الخفية والجلية، وإحاطته التامة بها.
الثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم، ومنه قوله تعالى: {إن ربي لسميع الدعاء} (٣٦) وقول المصلي

(سمع الله لمن حمده) أي استجاب (٤٦)

ثمرة معرفة اسم الله السميع البصير

من عرف ان الله جل وعلا سميع بصير وجب عليه الايمان به وزين باطنه بالمراقبة وظاهره بالمحاسبة وسار خائفا من الله حيبا منه , يهابه ان يراه حيث راه , او يفتقده حيث اقتضاه فهو يعلم انه بمرءى من الله تعالى ومسمع فلا يستهين بنظر الله اليه واطلاعه عليه , ولهذا فان ثمرة معرفة ان الله السميع البصير مراقبة الله في كل ماياتي ويذرفلا يكون نظره الا عبرة, فهو ان نظر إلى مصنوعة الله الدالة على كمال قدرته وتمام حكمته وشمول علمه ونفوذ اردته ازداد ايمانا وبصيرة وتدبر في آيات الله الدالة على كمال قدرته قال تعالى: {قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (٥٦) وقال تعالى: {انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (٦٦) وقال جل شاناه: {وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا} (٧٦) فأحسن سماعك لكتاب الله وهو يهدي القلوب إلى علام الغيوب ويسوق الارواح الى ديار الافراح, فاسعد انسان هو الذي يبحث عن منهج الله ليطبقه في حياته لانه لن يفاجأ ولن يشعر بالاحباط اطلاقا, خطه البياني صاعدا صعودا مستمرا لانه يتحرك وفق خبرة السميع البصير فما في الارض انسان الا ويتمنى شيئين: السلامة والسعادة ولن يحصل عليهما الا انسان الابطاعة السميع البصير الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء, وان اشكل عليه امر دعى بما كان يدعو به عمر رضي الله عنه: (اللهم ارنا الحق حقا ورزقنا اتباعه, وارنا الباطل باطلا ورزقنا اجتنابه) واحسن في دعائه واحسن في سماعه لكتاب الله وسنة رسوله

(١٦) - موسوعة اسماء الله الحسنى ج ٢ ص ٤٠٥.

(٢٦) - سورة الرعد الاية (١٠) .

(٣٦) - سورة ابراهيم الاية (٣٩) .

(٤٦) - شرح اسماء الله الحسنى ص ٤٤ .

(٥٦) - سورة يونس الاية (١٠١) .

(٦٦) - سورة الانعام الاية (٩٩) .

(٧٦) - سورة البقرة الاية (٢٥٩) .

٣٥٧ دعاء الله باسمه السميع البصير

واحسن في عمله وتدبر قول الرحمن: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (١٦) وقوله تعالى: {فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ

يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} (٢٦)

فكن اخي رجلا قد شمر بهمة وعزيمة لإدراك اماله من الخير مستعينا بالله السميع البصير الذي يسمع ويرى وقد روي ان عمر بن الخطاب الخليفة الراشد قال لاصحابه: تمنوا.. فتمنوا فقال: أما انا فاتمنى دارا كهذه مملوءة رجالا مثل ابي عبيدة عامر بن الجراح!!.. ما قرت عيني ولا امتلاءت أما لا احب اليها من رجال يمشون على الارض ورؤوسهم تطاول السماء أمان واحلام!!.. لكن لديهم.. لمنهجهم.. لرسالتهم.. لمجدهم...

واشوقاه إلى قوم يؤمنون ان الله معهم يسمع ويرى يطيعونه ويعبدونه تمتأؤ بهم الارض خيرا ويباهي الله بهم الملائكة!! والهنافه عليهم!!

دعاء الله باسمه السميع البصير

ياالله يا سميع يا بصير يا قوي يا قدير يا قريب يا مجيب اسألك ان تسمع دعائي وان تسمع قلبي مرادك ليعي، وان تسمع منادي الجنة مسمعي، وان تبصرني ياالله يا سميع يا بصير في جميع اموري، وان تستر ما علمت من عيوبي وان تغفر برحمتك ذنوبي فانك ياالله انت السميع البصير القوي القدير

(١٦) - سورة الاعراف الاية (٢٤١) .

(٢٦) - سورة الزمر الاية (١٧ و١٨) .

واجعلني لك من المشاهدين، وفي حماك من القائمين انك على كل شيء قدير واغفر لي ولوالدي والمؤمنين وصلي الله على محمد واهل بيته واصحابه وازواجه وذريته والتابعين له باحسان إلى يوم الدين

ويغفر الله للقائل:

وَعَلِمَكَ كَافٍ يَا سَمِيعٌ فَكُنْ إِذَنْ ... بَصِيرًا بِحَالِي مُصَلِحًا مُتَقَبِّلًا (١٦)

(١٦) - هذا البيت لعبد القادر الجيلاني.

٣٦ الفصل الخامس والثلاثون الشباب

الفصل الخامس والثلاثون
الشباب

٣٦.١ الشباب

الشباب

الشباب قوة وفتوة وحركة ونشاط، وامل وعمل، والشباب مرحلة من مراحل العمر التي يكتمل فيها بناء جسم الانسان، وتبرز فيها مواهبه، وتظهر شخصيته، ويعلو بنيانه، والشباب الحداثة، وكذا الشبيبة، وفي مرحلة الشباب يحقق الانسان احلامه، ويشد عوده، وتظهر قوته، وتتجدد صحته، وتبرز مواهبه، ويتحول ضعفه إلى قوة، وفي الذكر الحكيم: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} (١٦) .

والشباب صدر حياة الانسان وغرتها، فاذا قضى الانسان شرح شبابه وريعانه في طاعة الحق واکرام الخلق، وانفق في البر فتوته، شبابه وعنفوانه، كان تاجا للخير وعنوانه، وفي الحديث الشريف: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة ربه) (٢٦) فالانسان لا يمل الشباب في حضر ولا سفر حتى تنصرم ايامه وتأتي الشيخوخة فتريه اسقامه. قال الشاعر:

آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ ... فَإِذَا وَلِيََا عَنِ الْمَرْءِ وَوَلَّى

(١٦) - سورة الروم الاية (٥٤) .

(٢٦) - اخرجه البخاري، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة حديث رقم (٦٢٠) . ومسلم، باب فضل اخفاء الصدقة حديث

رقم (١٧١٢) .

لَ حَيَاةٍ وَإِنَّمَا الضَّعْفُ مَلَأَ (١٦)

وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أَفِّ فَمَا مَلَّ

والشباب بهجة وسرور، ونفرة وغرور، فالشباب اللبيب لا يستخف بشريف، ولا يميل إلى سخيف، ولا يقولن هجرا، ولا يفعلن شرا، والله درالقائل:

يَا رَافِلًا فِي الشَّبَابِ الْوَحْفِ مُنْتَشِيًا ... مِنْ كَأْسِهِ هَلْ أَصَابَ الرُّشْدَ نَشْوَانُ

لَا تَغْتَرَّرَ بِشَبَابٍ وَارِفٍ خَضِلٍ ... فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانٌ (٢٠٧)
 اما ابوالعتاهية فهو يقول:

أَلَا إِنَّ الشَّبَابَ ثِيَابَ لِبْسٍ ... وَمَا الْأَمْوَالُ إِلَّا كَالظَّلَالِ
 فَإِنَّ يَبِيلَ الشَّبَابِ فَكُلُّ شَيْءٍ ... سَمِعْتَ بِهِ سِوَى الرَّحْمَنِ بِالِ
 وَقَالَ آخَرَ:

خُذْ مِنْ شَبَابِكَ صَفْوَةَ الْعَيْشِ مَبْتَدِرًا ... فَقَدْ أَتَاكَ نَذِيرُ الشَّيْبِ يَبْتَدِرُ
 وَاسْتَوْفِ حَظَّكَ مِنْهُ قَبْلَ فُرْقَتِهِ ... بِحَيْثُ لَا أَثْرٌ يَبْقَى وَلَا خَبْرٌ
 بَقِيَّةً مِنَ شَبَابٍ بَانَ أَكْثَرُهُ ... كَأَنَّهُ لَيْلٌ وَصَلُّ كَادَ يَخْسِرُ
 فَاعْرِفْ لَهَا حَقَّهَا وَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِهَا ... فَإِنَّهُ الصَّفْوُ يَأْتِي بَعْدَهُ الْكَدْرُ (٣٠٧)
 اما أبو الحسن التهامي فهو يقول:

شَيْثَانٌ يَنْقَشِعَانِ أَوَّلٌ وَهَلَةٌ ... ظِلُّ الشَّبَابِ وَخِلَّةُ الْأَشْرَارِ
 لَا حَبْدًا الشَّيْبِ الْوَفِيُّ وَحَبْدًا ... شَرِخُ الشَّبَابِ الْخَائِنِ الْغَدَّارِ

- (١٠٧) - هذان البيتان لابي الطيب المتني.
 (٢٠٧) - هذان البيتان لابي الفتح البستي.
 (٣٠٧) - هذه الايات للطغرائي.

٣٦٠٢ مكانة الشباب

فَإِذَا انْقَضَى فَقَدْ انْقَضَتْ أَوْطَارِي
 وَطَرِي مِنَ الدُّنْيَا الشَّبَابُ وَرَوْقُهُ
 قَصُرَتْ مَسَافَتُهُ وَمَا حَسَنَاتُهُ ... عِنْدِي وَلَا آوُهُ بِقِصَارِ (١٠٧)
 مكانة الشباب

بالشباب تعمر البلدان، ويتعاون الاخوان، وتعمر الجامعات والمدارس، فالشباب في حياة الامم طاقات مبدعة، وزهور متفتحة، وقوة هادرة، ان وجهت نحو النمو السليم كانت الحياة عامرة بالعلم والايمان، والحب والوفا، ترفرف عليها اعلام السعادة، والشباب في كل عصر ومصر اساس لبناء المجتمع، ولبناء الحياة بكل اطيافها بناء سليما، فالنظر إلى مستقبل الامة يعني العناية بالشباب من اجل استنهاض مكان القوة التي تجري في اوصال الامة، فالشباب في حياة الانسان مجموع طاقات جامحة، فان كانت موجّهة نحو الاستقامة والخير تهيئ للامة خير كبير، اما اذا تركت هذه الطاقات تتجه نحو الشذوذ والانحراف فانه يتهيؤ للامة كلها من هذه الطاقات شر كبير، ولهذا ندرك اهمية اعداد الشباب، والمحافظة عليهم، فالشباب بحيويته

(١٠٧) - هذه الايات للتهامي أبو الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي، ؟ - ٤١٦ هـ / ؟ - ١٠٢٥ م، من كبار شعراء العرب، نعته الذهبي بشاعر وقته. مولده ومنشؤه في اليمن، وأصله من أهل مكة، كان يكتم نسبه، فينتسب مرة للعلوية وأخرى لبني أمية. وانتحل مذهب الاعتزال، وسكن الشام مدة، ثم قصد العراق والتقى الصحاب ابن عباد، وعاد فتقلد الخطابة بجامع الرملة، واتصل بالوزير المغربي فكان من أعوانه في ثورته على الحاكم الفاطمي، قال البخارزي: (وقصد مصر واستولى على أموالها، وملك أزمة أعمالها، ثم غدر به بعض أصحابه فصار ذلك سبباً للظفر به، وأودع السجن في موضع يعرف بالمنسي حتى مضى لسبيله) . ونقل ابن خلكان عن كتاب مجهول في يوميات مصر خبر مقتله في دار البنود بمصر، وكان يسجن فيها من يراد قتله، وذلك يوم ٩ جمادى الأولى ٤١٦ هـ. وفي (نصرة الإغريض) نوادر من أخباره، منها أن حسان الطائي أقطع حمة لقصيدة قالها في مدحه. ولم يثبت ابن خلكان قصيدته المشهورة (حكم المنية في البرية جار) لأنها كما قال من القصائد المحدودة.

ونشاطه يشكل امداداً قويا لحياة المجتمع كله وهل تبني الحياة الا بسواعد الشباب قال الشاعر:

حيَّ الشبابَ وقُلْ سلا ... ما إنكُم أَمَلُ الغَدِ
صَحَّتْ عزائمكم على ... دَفَع الأثيم المعتدي

والله مدَّ لكم يداً ... تعلو على أقوى يدِ

وطني أَرْفُ لك الشبا ... ب كأنه الزهرُ الندي

لا بدُّ من ثمر له ... يوماً وإن لم يعقد (١٦)

وفي امثال العرب: الشباب باكورة الحياة، وقيل الشباب مظنة الجهل، وقيل مطية الجهل، فالشباب الذي لا يتعلم سرعان ما يسوقه عمله إلى مايورث الندم، ولهذا قيل الشباب شعبة من الجنون، لان الشباب طامح جاح، وانما يهذبه العلم، ويجمله الخلق الحسن، ويرفع من مكانته الايمان، فتوق اخي سكرة الشباب، ومصاحبة الاشرار، وفي امثال العرب: سكر الشباب اشد من سكر الشراب، فلا يقودك بسكره الى حتفك فان النفس امارة بالسوء فلا تقودك اليه فغرام الشباب تشبهه النفوس، قال الشاعر:

وغرام الشباب اشهى الى النفس ... وان كان في المشيب الوقار (٢٦)

(١٦) - هذه الايات لإبراهيم طوقان، ١٣٢٣ - ١٣٦٠ هـ / ١٩٠٥ - ١٩٤١ م، إبراهيم بن عبد الفتاح طوقان شاعر غزل، من أهل نابلس (بفلسطين) قال فيه أحد كتباها: (عذب النغمات، ساحر الرنات، تقسم بين هوى دفين ووطن حزين) تعلم في الجامعة الأمريكية ببيروت، وبرع في الأدبين العربي والإنكليزي، وتولى قسم المحاضرات في محطة الإذاعة بفلسطين نحو خمس سنين، وانتقل إلى بغداد مدرساً، وكان يعاني مرضاً في العظام، فأنهكه السفر فمات شاباً.

(٢٦) - هذا البيت للعالم والاديب والشاعر الكبير القاسم بن علي بن هتميل.

٣٦٠٣ الشباب وانتهاز الفرصة واغتنام الوقت

الشباب وانتهاز الفرصة واغتنام الوقت

ان الشباب اذا اغتم وقته وانتهاز الفرصة في تحقيق هدف والوصول الى غرض شريف وصل الى هدفه وحقق مطلبه فالفرصة ثمينة وانتهازها دليل الحزم، وعنوان العقل والجد ومهما حفظ الانسان من الحكم وكانت رغبته صالحة فلن تتحسن اخلاقه وتقوا الا اذا انتهاز كل فرصة تسنح له قال البارودي:

بَادِرِ الفُرْصَةَ وَاحْذَرِ فَوْتَهَا ... فَبُلُوغِ العَزِّ فِي نَيْلِ الفُرْصِ

وَاعْتَمِ عُمْرَكَ إِبانَ الصِّبَا ... فَهوَ إِنْ زَادَ مَعَ الشَّيْبِ نَقْصُ

فَابْتَدِرْ مَسْعَاكَ وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ ... بَادَرَ الصَّيْدَ مَعَ الفَجْرِ قَنَصَ (١٦)

ان الوقت راس مال الانسان وان ساعات العمر هي انفس ماعني بحفظه ونحن نعيش في زمن محدود، ليل ونهار يتعاقبان بانتظام، وحياة مقسمة تقسيما محدودا، صبا فشباب، فكهوة فشيخوخة، ولكل قسم عمل خاص لا يليق ان يعمل في غيره، كالزراع اذا فات اوانه لم يصح ان يزرع في غيره.

(١٦) - هذه الايات للعلامة محمود سامي البارودي ١٢٥٥ - ١٣٢٢ هـ / ١٨٣٩ - ١٩٠٤ م محمود سامي باشا بن حسن حسين بن عبد الله البارودي المصري أول ناهض بالشعر العربي من كبوته، في العصر الحديث، وأحد القادة الشجعان، جركسي الأصل من سلالة المقام السيفي نوروز الأتابكي (أخي برسباي) . نسبته إلى (إيتاي البارود) ، بمصر، وكان لأحد أجداده في عهد الالتزام، مولده ووفاته بمصر، تعلم بها في المدرسة الحربية. ورحل إلى الأستانة فأتقن الفارسية والتركية. الأولى في ثورة كريد سنة ١٨٦٨، والثانية في الحرب الروسية سنة ١٨٧٧، وتقلب في مناصب انتهت به إلى رئاسة النظار، واستقال. ولما حدثت الثورة العراقية كان في صفوف الثائرين، ودخل الإنجليز القاهرة، فقبض عليه وسجن وحكم بإعدامه، ثم أبدل الحكم بالنفي إلى جزيرة سيلان. حيث أقام سبعة عشر

عاماً، أكثرها في كندا تعلم الإنجليزية في خلالها وترجم كتباً إلى العربية وكفَّ بصره وعفي عنه سنة ١٣١٧ هـ فعاد إلى مصر. أما شعره فيصح اتخاذه قاتحة للأسلوب العصري الراقي بعد إسفاف النظم زمناً غير معتبر. له (ديوان شعر - ط) ، جزآن منه، (ومختارات البارودي - ط) أربعة أجزاء..

فاغتتم الشاب قبل الشيخوخة والهزم فما فات من الزمن لا يعود فالصبا اذا فات فات ابداء والشباب اذا مر مر ابداء، والزمن المفقود لا يعود ابداء، قال الشوكاني رحمه الله: " فان من ارسل عنان شبابه في البطالات، وحل رباط نفسه فاجراها في ميادين اللذات - ادرك من اللذة الجسمانية من ذلك بحسب ما يتفق له منها، ولا سيما اذا كان ذا مال وجمال، ولكنها تنقضي عنه اللذة، وتفارقه هذه الخلاوة- اذا تكامل عقله ورجح فهمه، وقوي فكره؛ فانه لا يدري عند ذلك ما يدهمهم من المرات التي منها الندامة على ما اقترفه من معاصي الله، ثم الحسرة على ما فوته من العمر في غير طائل، ثم على ما انفقته من المال في غير حله، ولم يفز من الجميع بشيء، ولا ظفر من الكل بطائل. (١٦)

اما ابو العتاهية فهو يقول:

عَلِمْتُ يَا مُجَاشِعُ بَنَ مَسْعَدَةَ ... أَنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ
مَفْسَدَةٌ لِلرَّءِ أَيُّ مَفْسَدَةٍ

يا للشباب المرحج التصابي ... روائح الجنة في الشباب

ان الانسان لا يستطيع ان يتصور همم الشباب على حقيقتها ويستنهض مكان القوة فيها حتى يرى اثار الرجال التي كتب تاريخها قبل ان ترحل من على وجه الارض، وحكي عن ثعلب انه كان لا يفارقه كتاب يدرسه فاذا

(١٦) - مشار الى ذلك في كتاب المهمة العالية لفضيلة الدكتور محمد بن ابراهيم الحمد، ص ٢٤٣، الناشر دار ابن خزيمة المملكة العربية السعودية الرياض، الطبعة السابعة ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.

٣٦.٤ الشباب يخلفه المشيب

دعاه احد الى دعوة، شرط عليه ان يوسع له مقدار المتكأة من الجلد يضع فيها كتابا ويقرأ.. وصدق قائلهم:

ما شابَ عَزَمِي وَلَا حَزَمِي وَلَا خُلُطِي ... وَلَا وَفَائِي وَلَا دِينِي وَلَا كَرَمِي
وَأَمَّا اِعْتَاضُ رَأْسِي غَيْرَ صِبْغَتِهِ ... وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ دُونَ الشَّيْبِ فِي الشِّمِّ (١٧)

الشباب يخلفه المشيب

الشباب يمر وتأتي الشيخوخة والمشيب فاستنهض همتك في العمل الصالح الذي يبقى ذخره واجره قبل المشيب قال الشاعر:

من عاشَ أَخْلَقَتِ الأَيَّامُ جَدَّتَهُ ... وَخَانَهُ الثَّقَاتَانِ السَّمْعُ وَالْبَصْرُ

قالت عهدتك مجنوناً فقلت لها ... إنَّ الشَّبَابَ جَنُونٌ بَرُوءُهُ الكَبِيرُ (٢٠)

وقال اخر:

نَقَضَ المشيبُ قُوَى الشَّبَابِ ولم يَزَلْ ... شَيْبُ الفَتَى لِشِبَابِهِ نَقَاضاً

لا بأس أن نشر المشيب قناعه ... إنَّ الجواهرَ تَقْبَلُ الأَعْرَاضاً

يا صاح ما في الشيب من عهد الصبا ... عَوْضٌ لَهُ أُضْحَى بِهِ مَعْتَاضاً (٣٠)

اما المستوغر فهو يقول:

سَلَنِي أَنْبَتُكَ بِأَيَاتِ الكَبَرِ ... نَوْمُ العِشَاءِ وَسَعَالٌ بِالسَّحَرِ

وَقَلَّةُ النَوْمِ إِذَا اللَّيْلُ اِعْتَكَرَ ... وَقِلَّةُ الطَّعْمِ إِذَا الزَّادُ حَضَرَ

وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ وَتَحْمِيحُ النَظَرِ..... وَتَرَكُّ الحَسَنَاءِ فِي قُبُلِ الطُّهْرِ

وَالنَّاسُ يَلُونُ كَمَا يَلِي الشَّجَرُ

(١٦) - هذان البيتان للتهايمي.

- (٢٦) - هذان البيتان لأحمد بن أبي فنز ١٨٨ - ٢٧٨ هـ / ٨٠٣ - ٨٩١ م أحمد بن صالح بن أبي معشر، أبو عبد الله بن أبي فنز. شاعر عباسي، كان مولى لبني هاشم. كان من الشعراء المشهورين في عصره حيث كان يجتمع مع عدد من شعراء عصره كل جمعة في القبة المعروفة بهم في جامع المدينة في بغداد أمثال علي بن الجهم، ودعبل له شعر جيد..
- (٣٦) - هذه الايات للصنوبري.

٣٦٠٥ البكاء على الشباب

البكاء على الشباب

مما لا ريب فيه ان الانسان اذا ضيع شيئاً ندم وتحسر عليه، فكيف به اذا اضاع اجمل ايام حياته واكثرها عطاءً، وهل الانسان الا ذلك الطفل الصغير الذي تحرص على تربيته واكرامه، فاذا وصل الى مرحلة شبابه واخذ من الحياة ارايه، في حيوية ونشاط وابداع وتقوى وصلاح، سعدت الامة وتعاضم بناؤها، وزدهرت ايامها، وتبدل شقاؤها سعادة وراحة، فايام الشباب هي ايام البناء الثقافي والاقتصادي والاجتماعي ومرحلة العطاء الذي يؤدي الشباب فيه واجبه نحو الامة والوطن، فالتطور الايجابي والنمو السليم لا يكون الا حيث يكون شباب الامة في عافية، ومن اجل ذلك فان الاعداء لا يضعون همهم لافساد الامة والقضاء على خيراتها وقدراتها الا بالتجاهل نحو افساد شبابها، ذلك لانهم يفهمون انها لاتنهض الامة الا بسواعد الشباب، ولا تكون ناجحة في مناهجها التربوية والثقافية الا حين يتحصن شبابها بالعلم والمعرفة، ويتجهون نحو عبادة خالقهم وبناء اوطانهم، فاذا اضاع الانسان شبابه باتباع طرق الشيطان والانخداع لمكاييد الاعداء فانه سيندم ويبكي، ويتحسر على ما مضى وانقضى من ايام شبابه في غير صلاح ولا اصلاح، وفي الحديث النبوي الشريف: (لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن شبابه فيما ابلاه وعن عمره فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه) (١٦) وقديما قيل: ان العرب لم تبك شيئاً بكاءها على الشباب وفواته وضياعه، قال ابو العتاهية:

بَكَيتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي ... فَلَمْ يَغْنِ الْبُكَاءُ وَلَا النَّحِيبُ
فِيَا أَسْفًا أَسْفَتْ عَلَى شَبَابٍ ... نَعَاهُ الشَّيْبُ وَالرَّأْسُ الْخَضِيبُ
عَرَيْتُ مِنَ الشَّبَابِ وَكَانَ غَضًّا ... كَمَا يَعْرِى مِنَ الْوَرَقِ الْقَضِيبُ
فِيَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا ... فَأُخْبِرُهُ بِمَا صَنَعَ الْمَشِيبُ

وقال اخر:

وودعني الشباب وكنت أسعى ... إلى داعي الشباب إذا دعاني
وإن يفن الشباب فكل شيء ... من الدنيا فلا يغرك فاني (٢٦)

القوة في الشباب ولكنها تنتهي الى ضعف، فالله وحده هو القوي، وهو الذي يهب اسباب القوة والفتوة، فان كنت شابا فلا تغتر بقوتك، فهؤلاء قوم عاد عصو الله وقالوا من اشد منا قوة فاخذهم الله بذنوبهم كما حكي الله ذلك في كتابه: {فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيقَهُمْ عَذَابَ الْخَزْزِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ} (٣٦) .

(١٦) - المعجم الأوسط للمؤلف العلامة: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥ هـ تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، حديث رقم (٤٧١٠) .

(٢٦) - هذان البيتان لنصيب بن رباح.

(٣٦) - سورة فصلت الايتان (١٥-١٦) .

فالله جل وعلا هو القوي المتناهي بالقوة، والتي تتصاغر كل قوة امام قوته وعظمته فهو الذي اعطا الملائكة قوة عظيمة، وهو الذي اعطا

الجن القوة، وهو الذي علم الانسان واعطاه القوه، وتدبر قول القوي العزيز حكاية عن قوم سبا حينما قالوا لملكهم: {لَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ} (١٦) هل اغنى ذلك عنهم من شيء؟ وكيف انبرى عفريت من الجن ليخبر سليمان بقدرته على نقل عرش بلقيس من ارض سبا الى ارض الشام؟ وكيف استطاع الذي عنده علم من الكتاب ان ياتي بعرش بلقيس في لحظة عين؟ فشكر سليمان ربه، وفي الذكر الحكيم النبأ اليقين: {قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} * قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} (٢٦)

فقوة الشباب تؤل الى الضعف وقوة الخلق جميعا مستمدة من قوة الله، فلو تحلى عنهم لأصبحوا ضعفاء ايا كانت قوتهم او اسلحتهم، فان قوتهم ثلاثى ولها نهاية محتومة، فالله وحده القوي الذي له كمال القوة والعظمة فهو غالب لا يغلب وقادر لا يعجز فلا يلحقه ضعف في ذاته، ولا في صفاته، ولا في افعاله، فقوته فوق كل قوة، فاعتمد عليه، فانه يخيك ويوفئك

(١٦) - سورة النمل الاية (٣٣) .

(٢٦) - سورة النمل الايات (٤٠-٣٨) .

ويهديك وفي سورة هود يقول الملك الجليل: {فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيتَنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} (١٦) قال الشاعر:

اذا كنت يا هذا قويا فلا تكن ... غريرا فكم خيل بفرسانها تكبو (٢٦)
وقال اخر:

فما ظالم إلا ويجزي بظلمه ... وما محسن إلا يوفى ولا هضم (٣٦)

فلا تضعف ولا تتلق ولا تياس ولا يهولك قوة الاشخاص فانهم اذا استكبروا في الارض بغير الحق فان الذي منحهم هذه القوة قادر على ان يسلبهم في اي لحظة، فالله اذا اعطى ادهش واذا سلب فتش واذا اخذ بطش قال تعالى: {كَذَّابٍ آلٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (٤٦)

فاعمل في شبابك ولا تكسل، ولا تعاند الله القوي فانه اذا قال فعل، واعلم ان الله القوي مع المؤمن التقي يدفع عنه وينصره وفي سورة الحج: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَسَادًا وَاللَّهُ عَظِيمٌ}

(١٦) - سورة هود الاية (٦٦) .

(٢٦) - ورد هذا البيت في الموسوعة الشعرية لبدر الدين الحاق.

(٣٦) - هذا البيت لأحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهبي التميمي . ? - ١٢٨٥ هـ / ? - ١٨٦٨ م فقيه مالكي، كثير النظم، سلفي العقيدة، من أهل الأحساء بنجد تعلم ودرس وتوفي فيها، ولي قضاءها مدة. له منظومات في التوحيد، ومدائح جمعت في (ديوان ابن مشرف - ط) ..

(٤٦) - سورة الانفال الاية (٥٢) .

٣٦.٦ القوي المتين العزيز القادر المقتدر في اسماء الله الحسنى

صَوَامِعُ وَيَبِيعُ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (١٦)

فالله القوي هو الذي خلقك وربى جسدك، وهو الذي اعطاك الشباب والقوة وهو الذي يعطيك ويمنعك ويقلب احوالك، فهو القوي وحده فاطمن وتوكل عليه، والتفت اليه وأقبل عليه، وأخلص له، ولا تلتفت الى سواه لانهم لاشيء الى جانبه وتعرف على اسمه القوي

يرزقك ويعافك ويكفك، وفي سورة الشورى: {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} (٢٦)
القوي المتين العزيز القادر المقتدر في اسماء الله الحسنى

هذه الاسماء العظيمة معانيها متقاربة، فقد ورد اسم الله القوي في القرآن الكريم مقترنا باسم الله العزيز في عدة مواضع، منها قوله تعالى: {وَلِيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (٣٦) وقوله جل شاناه: {مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (٤٦) ومنها قوله تعالى: {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} (٥٦) ومنها قوله تعالى: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (٦٦) وورد ايضا

- (١٦) - سورة الحج الاية (٤٠) .
- (٢٦) - سورة الشورى الاية (١٩) .
- (٣٦) - سورة الحج الاية (٤٠) .
- (٤٦) - سورة الحج الاية (٧٤) .
- (٥٦) - سورة الشورى الاية (١٩) .
- (٦٦) - سورة المجادلة الاية (٢١) .

مقترنا باسم الله المتين قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (١٦) وجاء في السنة النبوية في حديث أبي هريرة عند الترمذي: {قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةَ وَسَعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ} وعدّ منها: (القوي المتين) (٢٦) قال القرطبي واجمعت عليه الامة ولاخلاف في اجرائه وصفا على العبد (٣٦) ، وفي التنزيل: {إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ} (٤٦) وفي سورة النمل: {وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ} قال: أبو سليمان: القوي قد يكون بمعنى القادر، ومن قوي على شيء فقد قدر عليه، وقد يكون معناه التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال، والمخلوق وإن وصف بالقوة، فإن قوته متناهية، وعن بعض الأمور قاصرة (٥٦) . قلت ويأتي اسم الله القوي في الترتيب مع اسمه المتين، فبينهما مشاركة في اصل المعنى، فقد نقل بعض العلماء ان الخطابي قال (المتين) الشديد القوي الذي لا تنقطع قوته، ولا تلحقه في افعاله مشقة، ولا يمسه لغوب (٦٦) ، وقال القرطبي: في اسم الله المتين ورد به التنزيل وجاء في حديث أبي هريرة واجمعت عليه الامة، وتاوله بعض العلماء على ان معنى (المتين) قوته (٧٦) . قرأ ابن محيصر وغيره {الرزاق} {ذو القوة المتين} أي الشديد القوي. وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب والنخعي {المتين} بالجر على النعت للقوة. وقرأ الباقون بالرفع على النعت ل {الرزاق} أو {ذو} من قوله: {ذو القوة} أو يكون خبر لمبتدأ محذوف (٨٦) ، واما اسمه سبحانه وتعالى العزيز فقد ورد في القرآن مقترنا باسمه القوي وباسمه الحكيم وباسمه الرحيم وباسمه الغفار وباسمه الغفور وباسمه الحميد وتكرر في القرآن في عدة مواضع منها قوله تعالى: {فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٩٦) وفي قوله تعالى: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (١٠٦) وقوله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} (١١٦) وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} (١٢٦) وقوله تعالى: {الرِّكَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (١٣٦) وقال القرطبي: (العزيز) جاء في الكتاب والسنة واجمع عليه علماء الامة. وجاء معرفاً ومنكراً، ولا خلاف في جواز اجرائه على غير الله تعالى كما قال في كتابه: {قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ

- (١٦) - سورة الذاريات الاية (٥٨) .
- (٢٦) - باب ماجاء في عقد التسييح باليد حديث رقم (٣٤٢٩) .
- (٣٦) - الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى، للقرطبي، ص ٣٢٨ .
- (٤٦) - سورة القصص الاية (٢٦) .
- (٥٦) - الاسماء والصفات للبيهقي ص ١١٧ .

(٦٦) - مختصر النهج الاسمي في شرح اسماء الله الحسنى، تاليف محمد الحمود النجدي، ص ٢٩٠، الناشر مكتبة الامام الذهبي، الطبعة الثانية ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م.

(٧٦) - الاسنى للقرطبي ص ٣٣٣.

(٨٦) - تفسير القرطبي ج ١٧ ص ٥٦.

(٩٦) - سورة البقرة الاية (٢٠٩) .

(١٠٦) - سورة الشعراء الاية (٩) .

(١١٦) - سورة ص الاية (٦٦) .

(١٢٦) - سورة فاطر الاية (٢٨) .

(١٣٦) - سورة ابراهيم الاية (١) .

الحق { (١٦) قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْعَزِيزُ هُوَ الْمَنِيْعُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، وَالْعَزِيزُ قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْعَلْبَةِ، يُقَالُ مِنْهُ: عَزَّ يَعِزُّ بِضَمِّ الْعَيْنِ وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الشَّدَةِ وَالْقُوَّةِ، يُقَالُ مِنْهُ: عَزَّ وَيَعِزُّ بِفَتْحِ الْعَيْنِ، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى نَفَاسَةِ الْقَدْرِ، يُقَالُ مِنْهُ: عَزَّ الشَّيْءُ يَعِزُّ بِكَسْرِ الْعَيْنِ، فَيَتَأَوَّلُ مَعْنَى الْعَزِيزِ عَلَى هَذَا أَنَّهُ لَا يُعَادِلُهُ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ (٢٦) . اما اسم الله القادر والقدير والمقتدر: فقد وردت في كتاب الله تعالى: في عدة مواضع منها قوله تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ} (٣٦) وقوله تعالى: {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ} (٤٦) وقوله تعالى: {وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ} (٥٦) . ومنها قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٦٦) وقوله تعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} (٧٦) . ومنها قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا} (٨٦) .

(١٦) - سورة يوسف الاية (٥١) .

(٢٦) - الاسماء والصفات للبيهقي، ص ٩٦.

(٣٦) - سورة الانعام الاية (٦٥) .

(٤٦) - سورة المرسلات الايات (٢٠-٢٣) .

(٥٦) - سورة المؤمنون الاية (١٨) .

(٦٦) - سورة البقرة الاية (٢٠) .

(٧٦) - سورة النساء الاية (١٤٩) .

(٨٦) - سورة الكهف الاية (٤٥) .

وقال القرطبي (١٦) : القادر والقدير والمقتدر جل جلاله وتقدست اسمائه اتفقت عليه الامة في الكتاب والسنة ... وجميعها من القدرة، وهي القوة ولاخلاف في اجرائها على العبد ووصفا. يقال رجل قادر اذا كان قويا على الشيء مستطيعا له، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابي ذر وقد شاهد سطاها: (ياايها القدير الله اقدر منك) (٢٦) وقال الدكتور النابلسي: القادر والمقتدر.. اما من القدرة او من التقدير، وفرق بين القدرة والتقدير، القدرة القوة، والتقدير متعلق بالعلم والمهارة، فلذلك جاء في بعض المعاجم ان القدير من صفات الله عز وجل، يكون من التقدير ويكون من القدرة. (٣٦) قلت الظاهر ان القادر في اسماء الله الحسنى وصفاته العلا معناه المتمكن من الفعل بلا واسطة، فهو القادر على ايجاد المعلوم واعدام الموجود، فهو الذي اوجد الكون وهو القادر على اعدامه، قال تعالى: {مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} (٤٦) وقال سبحانه: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (٥٦) وقال جل شاناه: {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ

(١٦) - الاسنى للقرطبي ص ٣١٤.

(٢٦) - الذي في صحيح مسلم من حديث ابي مسعود البديري قال كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي أَعْلَمُ أَبَا مَسْعُودٍ فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتِ مِنَ الْغَضَبِ قَالَ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ أَعْلَمُ أَبَا مَسْعُودٍ أَعْلَمُ

- أَبَا مَسْعُودٍ قَالَ فَالْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي فَقَالَ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ قَالَ فَقُلْتُ لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا) حديث رقم (٣١٣٥) .
- (٣٦) - موسوعة الاسماء الحسنى ج ٣ ص ٢٧ .
- (٤٦) - سورة لقمان الآية (٢٨) .
- (٥٦) - سورة يس الآية (٨٢) .

٣٦٠٧ ثمره معرفة اسم الله القوي المتين العزيز القادر المقتدر

العَلِيمُ { (١٦) فهو سبحانه وتعالى قادر ذو مقدرة يصرف الامور كيفما شاء فهو الذي لا يعجزه شيء، فهو سبحانه وتعالى قادر ذو مقدرة وتقدير فهو المقدر بقضائه، المدبر لشؤون الكون بقدرته وحكمته قال تعالى: {فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ} (٢٦) وقال سبحانه: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} (٣٦) اما المقتدر: فهو الذي يقدر على اصلاح الخلائق على وجه لا يقدر عليه الا الله قال تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا} (٤٦)

ثمره معرفة اسم الله القوي المتين العزيز القادر المقتدر

اذا عرف المكلف وعلم ان الله سبحانه وتعالى القوي المتين العزيز القادر المقتدر وان القوة لله جميعا وانه سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، لا اراد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لامره، يعز من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، وان العزيز من اعزه الله، والذليل من اذله الله، والمنصور من نصره الله والمخذول من خذله، وان العزة لله جميعا، وجب عليه ان يؤمن به سبحانه الملك القوي المتين العزيز القادر المقتدر، وان يشهد ان الكمال والحمد والغناء التام والعزة كلها لله، فهو القوي الذي لا تنقطع قوته، ولا تلحقه في افعاله مشقة، ولا يمسه لغوب، فذلك قوة للمؤمن لانه يزيل عن نفسه الخوف والقلق باعتماده على اقوى الاقوياء

- (١٦) - سورة يس الآية (٨١) .
- (٢٦) - سورة المرسلات الآية (٢٣) .
- (٣٦) - سورة القمر الآية (٤٩) .
- (٤٦) - سورة الكهف الآية (٤٥) .

وهو الله عز وجل، فحال المؤمن امام الله انه يرى ويعلم ان كل الخلق بيد الله وهو مع الله وذلك سر قوة المؤمن، الا ترى ان الحق سبحانه وتعالى يقول على احد لسان انبياءه: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (١٦) فالانسان المؤمن اذا شعر بقوة الله وقدرته وعزته وحكمته فانه يقوى على خصمه وعلى شهواته وعلى اعدائه، اما اذا شعر بالضعف وغاب عنه حقيقة الايمان بقوة الله وعزته وقدرته فانه قد يضعف ومع الضعف الذلة والخنوع والتذلل والشعور بالنقص والخوف وبذل ماء الوجه، قال الشاعر:

إِنَّ الْهَوَانَ حِمَارُ الْقَوْمِ يَعْرِفُهُ ... وَالْحُرُّ يَنْكِرُهُ وَالرَّسَلَةُ الْأَجْدُ
وَلَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُسَامُ بِهِ ... إِلَّا الْأَذْلَانَ عَيْرُ الْأَهْلِ وَالْوَتْدُ (٢٦)

وقال اخر:

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هُوَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ ... وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالْعَدَمُ
واما سلطان الخطاب فهو يقول:

وعافت وروود الذل لي نفس ماجد ... ترى سفها وردي له وخبالا (٣٦)

- (١٦) - سورة هود الآية (٥٦) .

(٢٧) - المتلمس الضبي، ؟ - ٤٣ ق. هـ / ؟ - ٥٨٠ م جريز بن عبد العزى، أو عبد المسيح، من بني ضبيعة، من ربيعة. شاعر جاهلي، من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد. كان ينادم عمرو بن هند ملك العراق، ثم هجاه فأراد عمرو قتله ففرَّ إلى الشام ولحق بآل جفنة، ومات ببصرى، من أعمال حوران في سورية. وفي الأمثال: أشأم من صحيفة المتلمس، وهي كتاب حمله من عمرو بن هند إلى عامله بالبحرين وفيه الأمر بقتله ففضه وقُرأ له ما فيه فقتله في نهر الحيرة ونجا.

(٣٧) - السلطان الخطاب ٤٧٥ - ٥٣٣ هـ / ١٠٨٢ - ١١٣٨ م السلطان الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري. أحد شعراء القرن السادس الهجري من أهل اليمن، متصوف، فارس، في شعره لين وقسوة وله هجاء مر مخالفية في العقيدة. فلو كنت أخي مع الله فسترع راسك دون كبر، ودون استطالة على احد، ودون عدوان، لأنك تشعر ان الله معك وان الله القوي لن يتركك ولن يسلمك الى خصومك، فالله عز وجل قادر على ان يعطي وقادر على ان ياخذ، وقد وعد المنحرف والمعرض بمعيشة ضنك، ووعد المستقيم بحياة طيبة والله القوي العزيز قادر على ان يحقق وعده ووعيده، فافعال الله كلها تطابق اقواله في كتابه، ومطابقة افعاله لأقواله شهادة منه بانه القوي العزيز القادر المقدر وان القرآن الكريم كلامه قال تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ} (١٧) فايك والشك في قوة الله وعزته وقدرته فان ذلك راس البلاء فاعتقد جازما ان الله على كل شيء قدير، يعطيك، ويعنيك، ويقويك، ويحفظك، ويؤيدك، ويحميك، ويشفيك، ويعافيك، فايك والشك فانه راس الشر، فقو اعتقادك في الله، فانه اذا لم يساورك شك بان الله على كل شيء قدير فانت في كنف الله وفي رحمته ورعايته، فتوجه اليه، واجعل عملك كله في الله، واقطع الامال بسواه، فهذا هو الدين وهذا هو التوحيد الخالص، فتطلع الى رب المخلوقين والى من بيده القدرة والقوة والعزة، وهذا لا يعني ان تترك الاسباب ولكن اتجه الى الله خالق الاسباب ومهيئها ومقدر الامور ومديرها، فالانسان وان كانت له قدرة فانها ناقصة، فاذا اعتمد على قوة الله وقدرته شعر بالقوة، فن آمن بقوة الله شعر بالضعف، فالانسان ضعيف، ولهذا فان المؤمن لا يفتأ يقول: انشاء الله في كل احواله، فان جاءه

(١٧) - سورة المعارج الاية (٤٠) .

خير قال: هذا من فضل الله، وان نجح في عمل قال: هذا بتوفيق الله، وان رزقه الله مالا قال: هذا من كرم الله، وان ادبه الله عز وجل قال هذا من رحمة الله، فان ابتلي المؤمن صبر وحمد الله فكان خيرا له، وان اصاب نعمة شكر الله فكان خيرا له، وهذا هو حال المؤمن الذي استشعر قوة الله وعزته وقدرته وتقديره وتصريفه للامور، ولم يجعل للشك سبيلا الى قلبه، قال الشاعر:

الشك والوهم رأس الشر والحذر ... والجد والصبر باب الفوز والظفر
والعزم والحزم لا ينجي من القدر ... سلم هديت لماضي الحكم واصطبر

واسأل من الله كشف البؤس والضرر
حسن ظنونك في المولى ترى البشرى ... فالرب عند ظنون العبد فلتدر

جاء الحديث بذا فاصغ إلى الذكرى ... والبس من الصبر سر بالاً لدى الضجر

واسأل من الله كشف البؤس والضرر

لا تجزعن ولا تياس من الفرج الذكرى ... وقل إذا لح خطب الضيق والخرج الضجر
اشتد أزمة إن تشتد تنفججي ... فالعسر باليسر متبوع على الأثر

واسأل من الله كشف البؤس والضرر

روح فؤادك من هم ومن حزن الذكرى ... فإنه تعب للروح والبدن

وارجع إلى الله في السراء والمحن ... رجوع مفتقر مضطر منكسر

واسأل من الله كشف البؤس والضرر

كم شدة ضباق منها الصدر والنادى ... تخوف القلب منها شرها العادي

أمست فما أصبحت حتى بداباد
من لطف ربك لم يبق ولم يذر
واسأل من الله كشف البؤس والضرر
وللنواب والأكدار أوقات ... إذا انقضت تنقضي منها إقامات
وفي التحرك قبل الوقت آفات ... فاسكن لها وارثقبا يا قلب واصطبر
واسأل من الله كشف البؤس والضرر
وإن قولك لم هذا وكيف وهل ... من اعتراض على الرحمن عز وجل
قل قدر الله ما شاء الإله فعل ... إذا غلبت كما قد صح في الخبر
واسأل من الله كشف البؤس والضرر
قل حسبي الله ذو العرش الذي يعلم ... بالسر والجهر واستسلم له تسلم
ولا تقل لو كذا كان كذا تندم ... وارض بمر القضا تنج من الخطر
واسأل من الله كشف البؤس والضرر
فرب أمر مهول يضجر الإنسان ... في طية موجبات العفو والغفران
وفي عواقبه الخيرات والإحسان ... فارم العواقب وادخل روضة الفكر
واسأل من الله كشف البؤس والضرر
وبشر القلب بالأفراح والفرح ... وبالعواقي من الأكدار والترح الفكر
وبالهناء والمنى والفوز بالمنح ... من فضل ربك واشكر مدة العمر
واسأل من الله كشف البؤس والضرر
قل يا سميع الدعاء يا عالم الأسرار ... يا كاشف الضريا غفارا يا قهار
يا جابر الكسريا جباريا ستار ... إليك فوضت أمري وانتهى نظري
واسأل من الله كشف البؤس والضرر
باعدتي يا رجائي في المهمات ... ومفرعي وملاذي في المهمات
ضاقت بما حال حالاتي وأوقاتي ... فاكشفه في عجل يا بارئ الصور
واسأل من الله كشف البؤس والضرر
إليك وجهت وجهي وانتهى سيري ... ولم أرج لكشف البؤس والضرر
سواك يا رب يا فتاح بالخير ... سبحانك الله يا ركني ويا وزري
واسأل من الله كشف البؤس والضرر
يا ذا الجلال وذا الإكرام والإعظام ... يا مالك الملك يا ذا الطول والإنعام
يا رب يا رب ثبتنا على الإسلام ... والحق والصدق واحفظنا من الغير
واسأل من الله كشف البؤس والضرر (١٧)

ان من ثمار الايمان بقوة الله وعزته وقدرته استفادة الانسان معرفة مخافة الله تعالى واجلاله والاعتماد على قوته، ويستفيد المؤمن ايضا ان يكون قويا في دينه متينا في يقينه متمتعا بطاعة ربه، فيمتنع عند ذلك عن ظلم الناس.
احيانا يغيب على الانسان استشعار قوة الله وقدرته وعزته فيظلم الناس ويعتدي عليهم ويتجاهمهم، وياخذ مافي ايديهم ويهينهم، فياتي عقاب الله الرادع له، فالانسان ان اعتر بالله شعر بالقوة، وان راي قوة الله شعر بالضعف امامه، فتادب اخي باداب الله، فانت بحاجة الى ان تعرف قوة الله وعزته وقدرته، كيف تقف عند حدك، ورحم الله عبدا عرف قدر نفسه.
ولم يتعد طوره وأمن الناس شره، واستمد العز والقوة والقدرة من الله واعتمد في كل الامور عليه.

(١٦) - هذه الايات للسيد العلامة/ عبد الله بن علوي الحداد، سبق ترجمته في الجزء الاول، وانظر ديوانه الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم.

٣٦٠٨ دعاء الله باسمه القوي المتين العزيز القادر المقدر

دعاء الله باسمه القوي المتين العزيز القادر المقدر

ياالله يا قوي يا متين يا عزيز يا قادر يا مقدر يا كريم اسالك ان تصلي على محمد النبي الامين وآله وان تقويني على طاعتك لأنال منك الرضا وان تجليني بالتقى، وان تنصرتني على العدى، وان تحمل ضعفي واولادي واخواني المؤمنين على قوة اسمك القوي لافوز واكفي، فانت القادر على ما خلقت وما لم تخلق فاقدرني على طاعتك، وجنبي التعوق، وهبني بالعفو والعافية ماتعطي وترزق، ياالله يا قوي يا مقدر كلما احاط به علمك في حكمك فاستجلي ماسالتك من خير وبر، وتفضل علي فيما لم اسالك من كل خير في علمك، واجعل عقلي مقدرًا على هوا نفسي بعظيم اسمائك وصفاتك، ياالله يا معز أعزني بعزك لأنال منك عزا وزدني اليك افتقارًا، وذللني لعظمتك والجلال، وذلل لي جبارة خلقك وكلما يصعب من الامور، ياالله يا معز يا مدل يا قوي يا قدير يا مقدر وفقني لطاعتك، وأصلح جميع احوالي بحولك وقوتك، وأسكنني الفردوس الأعلى من الجنة، واغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات يا عزيز يا رحيم يا قادر يا مقدر يا قريب يا مجيب، وصل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد، وسلم تسليما كثيرا.

٣٧ الفصل السادس والثلاثون صلة الرحم وبر الوالدين

٣٧٠١ صلة الرحم وبر الوالدين

الفصل السادس والثلاثون

صلة الرحم وبر الوالدين

صلة الرحم وبر الوالدين

ان صلة القرابة والاحسان اليهم من اعظم القربات، وانفع الاعمال التي يكون بها صلاح المجتمع والاسرة، ويضعف الله لمن يصل القرابه الحسنات وفي مختار الصحاح: (الرحم القرابة) (١٦) وسميت القرابة رحما لانها داعية التراحم بين الاقرباء، والمراد محبتهم وموالاتهم والاحسان اليهم، او هي اثر من اثار الرحمة، فالقاطع لها منقطع من رحمة الله، والرحم يجب مواصلتها بالتوادد، والتناصح، والعدل والانصاف، والقيام بالحقوق الواجبة، والنفقة على القريب المعسر، والتغافل عن زلاته، وصلة الرحم تكون بالمال وبالعون على الحاجة وبدفع الضرر وبطلاقة الوجه وبالبدعاء، وايصال ما يمكن من الخير ودفع ما يمكن من الشر وفي الذكر الحكيم: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } (٢٦) وقال جل شانہ: { وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ } (٣٦) وقال سبحانه: { وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (٤٦) وفي الحديث النبوي الشريف: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١٦) - مختار الصحاح للرازي، ص ٢٣٨، مصدر سابق.

(٢٦) - سورة النساء الاية (١) .

(٣٦) - سورة الرعد الاية (٢١) .

(٤٦) - سورة الانفال الاية (٧٥) .

الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ ...) (١٦) وفي رواية: (الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ) (٢٦) وفي فتح الباري لابن حجر: قال بن أبي جمرة الوصل من الله كفاية عن عظيم إحسانه وإنما خاطب الناس بما يفهمون، ولما كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه الوصال وهو القرب منه وإسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه وكانت حقيقة ذلك مستحيلة في حق الله تعالى عرف أن ذلك كفاية عن عظيم إحسانه لعبده (٣٦)

وقال الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه:

واخفض جناحك للقراءة كلهم ... بتدلل واسمح لهم ان أذنبوا
واما عبيد السلامي فهو يقول:

وَحَسْبُكَ مِنْ جَهْلٍ وَسَوْءٍ صَنِيعَةٍ ... مُعَادَاةُ ذِي الْقُرْبَىٰ وَإِنْ قِيلَ قَاطِعُ
وَلَكِنْ أُوَاسِيهِ وَأَنْسَىٰ ذُنُوبَهُ ... لِتَرْجِعَهُ يَوْمًا إِلَى الرَّوَاجِعِ (٤٦)
وقال اخر:

وَاصِلٌ ذَوِي الْأَرْحَامِ مِنْكَ وَإِنْ جَفَوْا ... فَوِصَالُهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُهْجَرَانِ (٥٦)

(١٦) - اخرجه البخاري حديث رقم (٥٦٧٣) .

(٢٦) - اخرجه مسلم حديث رقم (٤٦٣٥) .

(٣٦) - فتح الباري لابن حجر ج ١٠ ص ٤١٧ .

(٤٦) - هذان البيتان لعبيد بن عبد العزى السلامي. شاعر جاهلي أحد بني سلامان بن مفرج وهو ابن عم الشنفرى وهو أزدى. وهو من الشعراء الجاهليين المجيدين ففي شعره قوة ومثانة ولغة عالية وتعبير رصين. وقد اختار له ابن ميمون صاحب منتهى الطلب ثلاث قصائد هي من عيون الشعر العربي.
(٥٦) - هذا البيت لعبد الله محمد القحطاني.

٣٧٠٢ صلاة الرحم قوة وسعادة

صلاة الرحم قوة وسعادة

ان صلاة الارحام قوة واخوة، فمن اعانه اخوانه عظم شأنه، وكثر اعوانه فضلة العشيرة نعمة كبيرة، فبادر بالاحسان اليهم يكثر مالك، ويسعد حالك، ويبارك في عمرك، فواسمهم بالمال واحسن اليهم في المقال، فمن لم ينفع الاهل ماله مات ولم تجزع عليه اهله واقاربه، قال الشاعر:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ ... كَسَاخٍ إِلَى الْمُهَيْجَا بَغِيرِ سِلَاحٍ

وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه ... وهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بَغِيرِ جَنَاحِ (١٦)

وفي الامثال السائرة: بالساعد تبطش الكف، ولن يعجز القوم اذا تعاونوا، وفي الحديث (الْبِرُّ كَمَعَ الْجَمَاعَةَ) (٢٦) وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ (٣٦) ، فمن وصل قرابته واخوانه اضاف الى قوته قوتهم، وفي امثال العرب: كدر الجماعة خير من صفو الفرقة، واذا تفرقت الغنم قادتها العنز الجرباء، (٤٦) قال الشاعر:

كُونُوا جَمِيعًا يَا بَنِيَّ إِذَا اعْتَرَىٰ ... خَطْبٌ وَلَا تَنْتَفِرُوا أَحَادًا

تَأْتِي الْقِدَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكْسُرًا ... وَإِذَا اقْتَرَفْنَ تَكْسُرَتْ أَفْرَادًا (٥٦)

وقال اخر:

وَقُلْ كُونُوا جَمِيعًا فِي إِتْلَافٍ ... يَزِدُ رِفْدُ الْبِلَادِ مِنَ الْمَوَاتِ

(١٦) - هذان البيتان لمسكين الدارمي.

- (٢٦) - سنن ابن ماجه حديث رقم (٣٢٨٧) .
 (٣٦) - صحيح مسلم, حديث رقم (٤٨٦٧) .
 (٤٦) - كنوز الامثال ص ٣١٢ .
 (٥٦) - هذان البيتان للطغرائي وقيل لغيره .

٣٧.٣ قصة للاكتم بن صيفي

وَتَحْيُوا وَالْهَنَاءَ مَا سَعَيْتُمْ وَيَبْغُ فِيكُمْ فَذُ الدُّهَاءِ
 فالمرء يتقوى باقاربه, فليس الدلو الا بالرشاء, والقدر الا الاثافي, فاحسن الى اقاربك, فالاقربون اولى بالمعروف, وفي الذكر الحكيم:
 { كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ } (١٦) .
 قصة للاكتم بن صيفي

روي ان اكرم بن صيفي دعا اولاده عند موته فاستدعى بضمامة من السهام وتقدم الى كل واحد ان يكسرها فلم يقدر احد على كسرها ثم بددها وتقدم اليهم ان يكسروها فاستهلوا كسرها فقال كونوا مجتمعين ليعجز من ناوأكم عن كسركم كعجزكم (٢٦) . وقال عبد العنبري:

إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ ذُلَّ قَبِيلَةٍ ... رَمَاهَا بِتَشْتِيتِ الْهَوَى وَالتَّخَاذُلِ
 واما المقنع الكندي فهو يقول:

وَأَنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي ... وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمْخْتَلَفٌ جِدًّا
 أَرَاهُمْ إِلَى نَصْرِي بَطَاءً وَإِنْ هُمْ ... دَعَوْنِي إِلَى نَصْرِ أَيْتَهُمْ شِدًّا
 فَإِنْ يَأْكُلُوا لَحْمِي وَفَرَّتْ لِحُومِهِمْ ... وَإِنْ يَهْدِمُوا مَجْدِي بَنِيَتْ لَهُمْ مَجْدًا
 وَإِنْ ضَيَعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غَيْبَهُمْ ... وَإِنْ هُمْ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا
 وَإِنْ بَادَهُونِي بِالْعَدَاوَةِ لَمْ أَكُنْ ... أَبَادُهُمْ إِلَّا بِمَا يَنْعَتُ الرُّشْدًا

- (١٦) - سورة البقرة الاية (١٨٠) .
 (٢٦) - محاضرة الادباء ص ١٤٤ .

٣٧.٤ القريب له حق فلا تخذله

وَإِنْ قَطَعُوا مِثْقَالَ مِسْكٍ مِنْ الْأَوْصِرِ ضَلَّةً وَصَلَتْ لَهُمْ مِثْقَالَ مِسْكٍ مِنَ الْحَبَّةِ وَالْوُدِّ
 وَلَا أَجْمَلُ الْحِقْدِ الْقَدِيمِ عَلَيْهِمْ ... وَلَيْسَ كَرِيمُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحِقْدَا (١٦)
 ويغفر الله لشوقي حيث يقول:

وَنَحْنُ فِي الشَّرْقِ وَالْفَصْحَى بَنُو رَحِمٍ ... وَنَحْنُ فِي الْجُرْحِ وَالْآلَامِ إِخْوَانُ
 القريب له حق فلا تخذله

لا تخذل قرابتك ولا تستبد برايك, تظفر في امرك, صل قريبك وقومه ان اعوج, وحاول اصلاحه وان فسد, وفي امثال العرب: (ادناك ادناك وان رفضك وقلاك. ويدك منك وان كانت شلاء) وفي امثال العرب السائرة ايضا: اكل لحمي ولا ادعه لآكل (٢٦) , وهذا المثل يضرب لمن يصيب نفسه وعشيرته بالمكروه ويأبى ان يصيبهم به غيره. ويراد به ايضا نصر القريب على الغريب, وان كان بينك وبينه تنافر,
 قال الشاعر:

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ ... وَإِلَّا فَادْرِكْنِي وَمَا أُمَرْتُ (٣٦)

(١٦) - هذه الايات للمقنع الكندي محمد بن عميرة بن أبي شمر بن فرعان بن قيس بن الأسود عبد الله الكندي. شاعر، من أهل حضرموت. مولده بها في (وادي دوعن) ، اشتهر في العصر الأموي، وكان مقنعاً طول حياته، و (القناع من سمات الرؤساء) كما يقول الجاحظ. وقال التبريزي في تفسيره لقبه: المقنع الرجل اللابس سلاحه، وكان مغط رأسه فهو مقنع، وزعموا أنه كان جميلاً يستر وجهه، فقليل له: المقنع! وفي القاموس والتاج: المقنع، المغطى بالسلاح أو على رأسه مغفر خوذته. قال الزبيدي: وفي الحديث أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) زار قبر أمه في ألف مقنع أي في ألف فارس مغطى بالسلاح..

(٢٦) - كنوز الامثال ص ١٢.

(٣٦) - هذا البيت للممقن العبدى شأس بن نهار بن أسود بن جزييل بن حيي بن عاس بن سود بن عذرة بن منبه. شاعر جاهلي، هو ابن أخت المثقب العباسي (العائد بن محصن بن ثعلبة المتوفى سنة ٣٦ ق. هـ ٥٨٧ م) له شعر في المفضليات..

٣٧٠٥ معاداة ذوي القربا وقطيعتهم

وقال اخر:

أخي أنت درعي إن أمت ملة... وإن فدحتني عابسات النوازل
أخي أنت من نفسي دماؤك من دمي... فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل
أرمني أخي يا ويل ما صنعت يدي... فيا ليتها كانت بغير أنامل (١٦)

وفي الحديث (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقال رجل يا رسول الله انصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً كيف انصره قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره) (٢٦)

معاداة ذوي القربا وقطيعتهم

من تعمد ذم اقربائه دل على دناءة اخلاقه، واعترف بلؤم اعراقه، ومن انكر حسن الصنعة، استوجب قبح القطيعة، ومن امتن في هبته وعطائه بالغ في اساءته وخيالاته ومن رجع في هبته، بالغ في خسته، ومن رضي لنفسه بالاساءة، شهد على نفسه بالرداءة، ومن اغلق عن اخيه بابه، ذم اليه خلقه وادابه، ومن بخل على نفسه بخيره لم يجد به على غيره، ومن تصرف على حكم المروءة دل على شرف الابوة. ومن كرم على الاقرباء دل على كرامة الاباء، فلا تسء الى من احسن اليك من القرابة ولا تعن على من انعم عليك، والتزم الادب مع الاقرباء، والاعتدال مع الاصدقاء، فانت تعلم ان

(١٦) - هذه الايات لعلي الجارم ١٢٩٩ - ١٣٦٨ هـ / ١٨٨١ - ١٩٤٩ م علي بن صالح بن عبد الفتاح الجارم. أديب مصري، من رجال التعليم له شعر ونظم كثير، ولد في رشيد، وتعلم في القاهرة وإنجلترا، واختير ليكون كبير مفتشي اللغة العربية بمصر. ثم وكيلاً لدار العلوم حتى عام (١٩٤٢) ، مثل مصر في بعض المؤتمرات العلمية والثقافية، وكان من أعضاء المجمع اللغوي وتوفي بالقاهرة فجأة، وهو مصغ إلى أحد أبنائه يلقي قصيدة له في حفلة تأبين لمحمود فهمي النقراش. له (ديوان الجارم-ط) أربعة أجزاء، (قصة العرب في إسبانيا - ط) ترجمة عن الإنكليزية. و (فارس بن حمدان-ط) ، (شاعر ملك-ط) ، وقد شارك في تأليف كتب أدبية منها: (المجمل-ط) ، و (المفصل-ط) وكتب مدرسية في النحو والتربية..

(٢٦) - صحيح البخاري، باب يمين الرجل لصاحبه انه أخوه اذا خاف، حديث رقم (٦٤٣٨) .

الادب ادبان: ادب شريعة وادب سياسة، فادب الشريعة ما أدى الى قضاء الفرض، وادب السياسة ما أعان على عمارة الارض، وانت مع القرابة محتاج لهما، حتى تؤدي ما لهم من الواجب المفترض، وتجعل منهم قوة لك، فعادة الكرام الجود، وعادة اللئام الجحود، فاذا اذنت فاعتذر، واذا اذنب اليك فاغتفر، فالمعذرة بيان العقل، والمغفرة برهان الفضل، واياك ان تسن فيهم ما يعقب الوزر والاثم، قال الشاعر:

تلوم على القطية من اتاها ... وانت سنتها في الناس قبلي
وقال اخر:

إِذَا كَانَ فِي صَدْرِ ابْنِ عَمِّكَ إِحْنَةٌ ... فَلَا تَسْتَرْهَا سَوْفَ يَبْدُو دَفِينُهَا
وَأَنْ حَمَاءَ الْمَعْرُوفِ أَعْطَاكَ صَفْوَهَا ... نَخْذُ عَفْوِهِ لَا يَلْتَبِسُ بِكَ طِينُهَا (١٦)

أما الشريف الرضي فهو يقول:

لِلذَّلِّ بَيْنَ الْأَقْرَبِينَ مَضَاضَةٌ ... وَالذُّلُّ مَا بَيْنَ الْأَبَاعِدِ أَرْوَحُ
وَإِذَا رَمَتَكَ مِنَ الرِّجَالِ قَوَارِصُ ... فَسِهَامُ ذِي الْقُرْبَى الْقَرِيبَةَ أَجْرَحُ
ولله در القائل:

وَأَنَّ امْرَأً لَا يَتَّقِي سَخَطَ قَوْمِهِ ... وَلَا يَحْفَظُ الْقُرْبَى لِعَيْرِ مُوَفَّقٍ (٢٦)

(١٦) - هذان البيتان لابي الطمحان القيني ٤٥ ق. هـ - ٣٠ هـ / ٥٧٨ - ٦٥٠ م حنظلة بن شرقي، أحد بني القين، من قضاة. شاعر، فارس، معمر، مخضرم عاش في الجاهلية، وكان فيها من عشراء الزبير بن عبد المطلب، وهو ترب له، أدرك الإسلام وأسلم ولم ير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وقيل في اسمه ونسبه: ربيعة بن عوف بن غم بن كنانة بن القين بن جسر. وفي الأغاني: كان جيد الشعر وهو صاحب البيت المشهور:
أضأت لهم أحسابهم ووجوههم ... دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
(٢٦) - هذا البيت لابي زبيد الطائي.

٣٧٠٦ فوائد اعطاء ذوي القربى

وقال اخر:

وظلمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً ... عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامُ الْمُهَنْدِ (١٦)

وفي صحيح مسلم من حديث جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع (٢٦) قال سفيان يعني قاطع رحم، وقال علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم ولده: يابني لاتصحبن قاطع رحم فاني وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواضع. وقال الحسن البصري رحمه الله: اذا اظهر الناس العلم، وضيعوا العمل، وتحابوا بالالسن، وتقاطعوا بالارحام، لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم. وفي الذكر الحكيم: { فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ } (٣٦)

فوائد اعطاء ذوي القربى

إن اعطاءك ذوي القرباء من مالك، وايتاءهم من الخير الوافر من حلالك به تنصلح احوالك، ويعود ذلك عليك بنفع عظيم، وفضل عميم، فلا يفوتك هذا الفضل فتحرم من الاجر، ونلخص لك من تلك الفوائد ما يذكرك بتلك الفضيلة، ويدفعك الى الاحسان، والإبتعاد عن الرذيلة، في الامور التالية:

١.
٢.

(١٦) - هذا البيت لطرفه بن العبد.

(٢٦) - صحيح مسلم حديث رقم (٤٦٣٦).

(٣٦) - سورة محمد الاية (٢٣ و٢٢).

١. ايتاء ذوي القربى احسان امر به الرحمن, وفيه صلة للارحام, قال تعالى: {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ} (١٦) اي احسنوا الى الوالدين واحسنوا الى ذوي القربى, واعطائهم المال فيه احسان اليهم, وانعام عليهم.
٢. اعطاء ذوي القربى سبب في رضوان الله واحسانه, ففي الحديث النبوي: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّىٰ إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحْمُ هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ نَعَمْ أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ قَالَتْ بَلَىٰ يَا رَبِّ قَالَ فَهُوَ لَكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَقْرَأُوا إِنَّ شِئْتُمْ {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ} (٢٦) .
٣. اعطاء ذوي القربى سبب لاستجلاب مودة القربى ومحبتهم, ففي الحديث النبوي: جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَىٰ حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا وَبَغْضِ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا (٣٦) .

٤. اعطاء ذوي القربى فيه دليل على الشفقة على الاهل من القرابة, وفي الذكر الحكيم يقول العزيز الحكيم: {وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ} (٤٦) .

٥٧
٥٨

(١٦) - سورة النساء الاية (٣٦) .

(٢٦) - البخاري في صحيحه باب من وصل وصله الله, حديث رقم (٥٥٢٨) .

(٣٦) - اورده السيوطي في الجامع الصغير ونسبه الى ابن عدي في الكامل, وابي نعيم في الحلية, وصحح البيهقي في شعب الايمان وقفه ورمز له السيوطي بالضعف, وانظر الجامع الصغير حرف الجيم حديث (٣٥٧٩) .

(٤٦) - سورة الاسراء الاية (٢٦) .

٥. اعطاء ذوي القربى يعتبر صدقة وصلة, فاذا اعطيتهم من مالك حصلت على اجر الصدقة والصلة, وفي البخاري عَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَوَلِدَةً فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَوْ أَعْطَيْتَهَا أَخْوَالِكَ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ (١٦)

٦. ان افضل الصدقة هو ما اعطيته ذوي القربى, وفي الحديث النبوي: إِنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ الصَّدَقَةُ عَلَىٰ ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ (٢٦) .

٧. اعطاء ذوي القربى فيه كفارة للذنوب, وفي الحديث النبوي: ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إني أذنبت ذنبا كبيرا

فهل لي من توبة؟ قال: ألك والذان؟ قال: لا قال: فلك خالة قال: نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبرها إذا (٣٦) .

٨. عطاء ذوي القربى فيه بسط الرزق, وبركة العمر, بسبب التوفيق الذي يحصل لمن يعطي رحمه, بعمارة الوقت بما ينفع الانسان في الدنيا والاخرة, وقد سبق حديث من احب ان يبسط له في رزقه ... الخ.

١٣
١٤

(١٦) - صحيح مسلم, باب فضل النفقة والصدقة على الاقربين والزوج حديث رقم (١٦٦٦) .

(٢٦) - احمد في المسند حديث رقم (٢٢٤٣٠) .

(٣٦) - المستدرک على الصحيحين للحاكم حديث رقم (٧٢٦١) .

٩. اعطاء ذوي القربى يقرب من الجنة, ويباعد من النار, ففي الحديث أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ أَوْ بِزِمَامِهَا ثُمَّ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ يَا مُحَمَّدَ أَخْبِرْنِي بِمَا يَقْرِبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ قَالَ فَكَفَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ لَقَدْ وَفَّقَ أَوْ لَقَدْ هَدَيْتُ قَالَ كَيْفَ قُلْتَ قَالَ فَأَعَادَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ دَعَا النَّاقَةَ (١٦) .

١٠. اعطاء ذوي القربى سبب للشفاء من الامراض، والاسقام، ففي الحديث الشريف: داووا مرضاكم بالصدقة (٢٦) وافضل الصدقة على ذوي القربى.

والمتبع لنصوص القرآن والسنة النبوية سيجد الكثير من الفوائد والمنافع التي تحصل للانسان باعطائه لقربته مما اعطاه الله، وقد اشرنا الى بعض من ذلك، ويكفي العاقل اللبيب ان يتدبر في قول العزيز الحكيم: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ} (٣٦) وقوله تعالى: {فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٤٦)

(١٦) - مسلم في صحيحه باب بيان الايمان الذي يدخل به الجنة حديث رقم (١٤) .

(٢٦) - المعجم الاوسط للطبراني حديث رقم (١٩٦٣) .

(٣٦) - سورة النحل الاية (٩٠) .

(٤٦) - سورة الروم الاية (٣٨) .

٣٧٠٧ الوالدان من القرابة

الوالدان من القرابة

والوالدان: هما أبو الإنسان وأمه، قال الراغب: الأب يقال له: والد، والأم: والدة، ويقال لهما: والدان (١٦) ، وفي المصباح: الوالد: الأب وجمعه بالواو والنون، والوالدة: الأم وجمعها بالألف والتاء، والوالدان: الأب والأم للتغليب (٢٦) ، وقال الفيروزآبادي: الوالد: الأب، وهي والد والدة، وهما الوالدان، قيل على تغليب الذكر وقيل ثنية والد التي يطلق عليها، كما هو مصرح في القاموس (٣٦) . أما التعريف الإصطلاحي للوالد: أي: الأب، فقد عرفه الجرجاني بقوله: هو حيوان يتولد من نطفته شخص آخر من نوعه (٤٦) . وعرفت الموسوعة الفقهية الأب: بأنه رجل تولد من نطفته المباشرة على وجه شرعي أو على فراش إنسان آخر (٥٦) . وتعريف الموسوعة أخص من تعريف الجرجاني، الذي يشمل الإنسان وغيره من الحيوانات ويشمل الوالد الشرعي وغير الشرعي، لهذا كان تعريف الموسوعة أخص وأضبط.

(١٦) المفردات ص ٥٤٧ .

(٢٦) المصباح المنير ص ٣٩٩ .

(٣٦) بصائر ذوي التمييز ج ٥ ص ٢٧٨ .

(٤٦) التعريفات للجرجاني ص ٤٨ .

(٥٦) الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف الكويتية ج ١ ص ١٢٦ .

وأما الأم وان كانت في اللغة بإزاء الأب وتعم والوالدة القريبة والبعيدة وكل ما كان أصلاً لوجود الشيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه فإنه يقال له: أم، إلا أن المراد هنا بالوالدة: من ولده.

فالبر بالوالدين من انفع القربات، وقيل البر هو الاحسان وهو في حق الوالدين وحق الاقربين من الاهل ضد العقوق، وفي الذكر الحكيم: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (١٦) أي: أمر وألزم وأوجب، قال الراغب: القضاء: فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً وكل واحد منهما على وجهين: إلهي وبشري، فن القول الإلهي قوله تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} (٢٦) وقال الشوكاني: أي أمر أماً جازماً وحكماً قطعاً وحثماً مبرماً (٣٦) بأن لا تعبدوا لها غير الله، والنص القرآني يفيد وجوب أفراد الله جل وعلا بالعبادة.

{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} أي: وقضى بأن تحسنوا بالوالدين إحساناً، أو وأحسنوا بهما إحساناً، ولا يجوز أن يتعلق الجار والمجرور في قوله تعالى: {بِالْوَالِدَيْنِ} بـ {إِحْسَانًا} لأن المصدر لا يتقدم عليه ما هو متعلق به أي لا يتقدم عليه صلته (٤٦) ،

٣٧٠٨ خير الدنيا والاخرة في بر الوالدين

وسلم فقلت: إن أُمِّي قد قدمت راغبة أفأصلها؟ قال: نعم صلي أمك (١٦) ، وروي أيضاً عن أسماء قالت: (أتني أُمِّي راغبة في عهد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فسألت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أأصلها؟ قال: نعم) (٢٦) .
ويثبت حق الأم في البر والاحسان والارضاع لمجرد الولادة، وقد أدخل بعض العلماء الجدات باعتبار الجدة ولدت من ولدته فهي أم بعيدة، وقد نقل القرطبي عن ابن المنذر: أن الأجداد آباء والجدات أمهات فلا يغزُ المرأةُ إلا بإذنه قال: ولا اعلم دلالة توجب ذلك لغيرهم من الاخوة والقرابات (٣٦) .
خير الدنيا والاخرة في بر الوالدين

ان بر الوالدين واکرامهما من العمل الذي يحبه الله تعالى، ويساوي الجهاد في سبيل الله، بل هو عند بعض العلماء افضل، ويساوي ثواب الحاج والمعتمر، ويوصل الى نعيم الجنة، ويزيد في العمر والرزق، ويسبب البركة في المال، فمن سره ان يضع الله له النجاة في إبنائه، فليكن باراً بوالديه، ومن احب الطهارة، والهداية، والتوفيق، فليكن محباً لوالديه، ومن اراد ان يبره ابناؤه، فليبر والديه، فبر الوالدين يعتبر فرصة سانحة لضمان دخول الجنة، فمن ضيعها خاب وخسر، ففي الحديث: عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

(١٦) أنظر: الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٢٤٠ ، والحديث: أخرجه البخاري في صحيحه باب صلة المرأة أمها ولها زوج حديث (٥٦٣٤) .

(٢٦) أنظر: الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٢٤١ ، والحديث: أخرجه البخاري في صحيحه باب صلة الوالد المشرك حديث (٥٦٣٣) .
(٣٦) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٢٤١ .

وَسَلَّمَ قَالَ رَغِمَ أَنْفٌ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مَنْ أَدْرَكَ أَبُوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ (١٦) ، وبر الوالدين يزيل الهموم، ويجلب اليسر والسرور، ويضمن النجاة، ويكون سبباً للسعادة، فقد قرن الله سبحانه رضاه برضاها، في فادّ حقوقهما تظفر بالسعادة في الدنيا والاخرة، قال الشاعر:

وكم أب قد علا بابن ذراً شرف ... كما علا برسول الله عدنان

تَسْمُو الرِّجَالُ بِآبَاءٍ وَأَوْنَةً ... تَسْمُو الرِّجَالُ بِأَبْنَاءٍ وَتَزْدَانُ

ولم أَقْصِرْ بِشِيْبَانِ التِّي بَلَّغَتْ ... بِهَا الْمَبَالِغُ أَعْرَاقُ وَأَغْصَانُ

لِلَّهِ شِيْبَانُ قَوْمًا لَا يَشِيْبُهُمْ ... رَوْعٌ إِذَا الرَوْعُ شَابَتْ مِنْهُ وِلْدَانُ (٢٦)

وقال اخر:

لَأُمَّكَ حَقٌّ لَوْ عَلِمْتَ كَثِيرٌ ... كَثِيرُكَ يَا هَذَا لَدَيْهِ يَسِيرُ

فَكَمْ لَيْلَةٌ بَاتَتْ بِثِقَلِكَ تَشْتَكِي ... لَهَا مِنْ جَوَاهِرِ أُنَّةٍ وَزَفِيرِ

وفي الوضع لو تدري عليها مشقة ... فمن غصص منها الفؤاد يطير

وكم غسلت عنك الأذى يمينها ... وما جرحها إلا لديك سرير

وتفديك مما تشتكيه بنفسها ... ومن ثديها شرب لديك نعيم

وكم مرة جاعت وأعطتكَ قوتها ... حناناً وإشفاقاً وأنت صغير

فآها لذي عقل ويتبع الهوى ... وآها لأعمى القلب وهو بصير

فدونك فارغب في عميم دعائها ... فأنت لما تدعو إليه فقير (٣٦)

(١٦) - صحيح مسلم، باب رغم انف من ادرك ابويه أو احدهما، حديث رقم (٤٦٢٧) .

(٢٦) - هذه الايات لابن الرومي.

(٣٦) - اورد هذه الايات الامام الذهبي في كتابه الكجائر دون نسبتها الى قائل معين.

٣٧.٩ حقوق الوالدين

حقوق الوالدين
حقوق الوالدين عظيمة فلا تهملها، فيها تحصل على السعادة، وتنال الحسنى وزيادة، وقد قال بعض العلماء إن حقوق الوالدين على الولد سواء كان ذكراً أو أنثى عشرة:

- ١- أن الأبوين إذا احتاجا إلى طعام أو دواءٍ أو أحدهما، وجب على أولادهم القادرين إطعامهما ومعالجتهما.
- ٢- إذا احتاجا إلى الكسوة، وجب على الولد كسوتهما.
- ٣- إذا احتاجا إلى الخدمة وجبت خدمتهما، وهذا ليس تفضلاً وإنما يجب ذلك عند الضرورة.
- ٤- إذا دعا الوالدان ولدهما وجب إجابتهما.
- ٥- إذا أمر الوالد بأمر فيه طاعة وجب تنفيذه.

٦- إذا تكلم الولد مع والديه وجب عليه أن يتكلم معهما باللين وبالكلام الحسن، لقوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (١٦) وقوله {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا}

(١٦) - سورة لقمان الآية (١٤ و١٥) .

٣٧.١٠ قصة اوردها القرطبي في التفسير

وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا نَفُورًا} (١٦) .

- ٩- أن لا يدعو والده باسمه، بل يصفه بالأبوة.
- ١٠- إذا مشى معه أن يمشي خلفه تأدباً. وقيل أن يمشي خلفه نهاراً وأمامه ليلاً.
- ١١- أن يرضى لهما ما يرضى لنفسه ويكره لهما ما يكره لنفسه.

??? أن يدعو لهما بالمغفرة والرحمة لقوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (٢٦) وأن يثني عليهما بالخير لقوله تعالى: {أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ} (٣٦) .

قصة اوردها القرطبي في التفسير

ذكر الإمام القرطبي رحمه الله في كتابه الجامع لأحكام القرآن، قال: وقد روينا بالإسناد المتصل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: يا رسول الله إن أبي أخذ مالي، فقال النبي: إئتني بأبيك، فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك: إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه، فلما جاء الشيخ قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ما بال ابنك يشكوك، أتريد أخذ ماله؟ فقال: سله يا رسول الله هل أنفقتة إلا على إحدى عماته أو خالاته أو

(١٦) - سورة النساء الآية (٣٦) .

(٢٦) - سورة الاسراء الآية (٢٤) .

(٣٦) - سورة لقمان الآية (١٤) .

على نفسي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إيه دعنا من هذا، أخبرني عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذنك؟ فقال الشيخ: والله يا رسول الله ما زال الله عز وجل يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت في نفسي شيئاً ما سمعته أذنائي، قال: قل وأنا أسمع، قال: قلت:

غَدَوْتُكَ مَوْلُوداً وَعَلْتُكَ يَافِعاً ... تَعَلُّ بِمَا أَحْنَى عَلَيَّكَ وَتَنْهَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالسَّقْمِ لَمْ أَبْت ... لَسَقْمِكَ إِلَّا سَاهِراً أَتَمَلُّهُ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي ... طُرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعِينَايَ تَهْمَلُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنهَا ... لِتَعْلَمَ أَنَّ الْمَوْتَ حَتِماً مُؤَجَّلُ
فَلَهَا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالغَايَةَ الَّتِي ... إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتَ فِيكَ أُمَّلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غَلْظَةً وَفَضَاظَةً ... كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنْعَمُ الْمَتَفَضَّلُ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبَوَيْ ... فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْجَارُورُ يَفْعَلُ
فَأَوْلَيْتَنِي حَقَّ الْجَوَارِ وَلَمْ تَكُنْ ... عَلِيٍّ بِمَالِ دُونَ مَالِكَ تَجْجَلُ

قال: فحينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بتلايب ابنه وقال: (أنت ومالك لأبيك) (١٦) .

(١٦) - أوردته الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في كتابه تفسير القرآن المسمى الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٢٢٠ مطبعة دار الكتب. والحديث في مسند احمد، برقم (٦٩١٩) .

٣٧٠١١ عقوق الوالدين من الكبائر

عقوق الوالدين من الكبائر

إذا كان حق الوالدين هو برهما والاحسان اليهما فان عقوقهما ينافي كل ذلك، وفي الحديث النبوي: قال أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ثَلَاثًا قَالُوا بَلَى يَا

رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الْإِشْرَاقُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِّفًا فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ فَمَا زَالَ يَكْرِهَهَا حَتَّى قَلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ (١٦) فابتعد اخي عن عقوق الوالدين وعن جميع الكبائر، فاضرار عقوق الوالدين كثيرة وكبيرة، فلا تقع في هذه الجريرة، فهي محرمة كبيرة، توصل الى الجحيم، وتمنع من قبول العمل، وتقرب الاجل، فعاق الوالدين لا يقبل عمله، وتعجل عقوبته، ومن عق والديه طمس الله بصيرته، ونزع منه الايمان، وانخط اهله عليه، فهو في الدنيا حقير فقير، وفي الآخرة بعيد من رحمة الله العلي الكبير، وعاق الوالدين لا يجد شذا الجنة ولا ريحها، فابتعد من هذا الذنب الكبير، فان حق من تولا تربيتك، ورعايتك في صغرك ان تبره، وتحسن اليه، فكان حق والديك ان تبرهما، وتطيعهما، وتدعو لهما، وتحسن اليهما، فكم سعى والدك كي يوفرا لك حاجتك المادية، من طعام، وشراب، وكساء، وحاجات شتى، وكم قاما برعاية اخلاقك، وثقيف طباعك، وتعليمك وارشادك، فانت مدين لهما كل حياتك، فتذكر ان حملك كان في بطن امك كرها، ووضعك كرها، وان حملك وارضاعك من لبن امك كان ثلاثين شهرا، وتذكر كم اماطا الا اذا عن جسدك، وسهرا من اجل راحتك في صحتك ومرضك، واستمع الى كلام الرحمن في محكم القرآن: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (٢٦) . فلا تنس ان والديك قد احسنا تربيتك، واصلاح شأنك، فكان حقهما ان تبرهما، وتحسن اليها، ولا تعقهما، ثم عليك الا تنس ان الله جل وعلا مرب ومدرخلقه، وانه الذي يمدك بكل ماتحتاج اليه، فهو الذي يربي نفوسنا، ويهدينا ويحسن لنا، ويعافينا، فلا تشرك به شيئا، فالاب اذا كان يربي اولاده لكنه لم يخلقهم، ولم يرزقهم،

فنعمة الایجاد، ونعمة الامداد، ونعمة الارشاد والهدى، هي لله وحده، هي للرب الخالق، الذي اوجدك ولم تك شيئا، امدك بما تحتاج اليه ثم هداك وعافاك، ورباك، فتعرف على اسم الرب سبحانه وتعالى، لتؤدي حقه، وتشكر له فضله واحسانه اليك: وفي الذكر الحكيم: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (٣٦) فاسأل الرب سبحانه وتعالى يعطك، ويهدك، ويغنىك، ويكفك فهو على كل شيء قدير، فلا تضق بك الدنيا، فتعرف عليه فانه اللطيف الخبير، فان اذنبت ووقعت في خطيئة فقل رب اني ظلمت نفسي، فهذا ابو البشرية ادم وزوجته حواء عليهما السلام حينما وقعا في الخطيئة: {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٤٦) فاستجيب لهما فلا تياس من رحمة الله، واسأله المغفرة

(١٦) - البخاري في صحيحه، حديث رقم (٢٤٦٠) .

(٢٦) - سورة لقمان الاية (١٥ و١٤) .

(٣٦) - سورة غافر الاية (٦٤) .

(٤٦) - سورة الاعراف الاية (٢٣) .

والرحمة، فان الله سبحانه وتعالى يجيب من دعاه، وينصره على من عصاه، فلا يهولنك قوة عدوك ولا كثرتة اذا كان عاصيا لله، فهذا نوح عليه السلام ينادي ربه بعد ان كذبه قومه فيستجاب له: {وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْنَهُمْ يَظْلِمُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا} (١٦) وهذا موسى عليه السلام قبل نبوته يستغيثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه: {قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (٢٦) وهذا ايوب عليه السلام يصاب بالمرض والضرر فينادي ربه، وقد امر الله بذكره في محكم التنزيل فقال: {وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (٣٦) وهذا عيسى عليه السلام ينادي ربه بان ينزل عليه مائدة من السماء فيستجاب له: {اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنَّا وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (٤٦) وهذا سليمان عليه السلام ينادي ربه فيستجاب له: {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (٤٦)

(١٦) - سورة نوح الاية (٢٦-٢٨) .

(٢٦) - سورة القصص الاية (١٦) .

(٣٦) - سورة ص الاية (٤١-٤٣) .

(٤٦) - سورة المائدة الاية (١١٤) .

٣٧.١٢ الرب في اسماء الله الحسنی

الْوَهَّابُ} (١٦) ، وهذا زكريا عليه السلام يذكرنا الله رحمته له ودعاه لربه وستجابته له فيقول سبحانه: {كَهَيْعِص * ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكِيًّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِيئِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيٍّ هِينٌ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتَيْكَ مِنَ النَّاسِ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا *

فُجِرَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْحَرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا { (٢٦) وهذا محمد صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه يستغيثون ربهم فيستجيب لهم: { إِذْ نَسْتَعِيْثُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ { (٣٦) وليس اجابة الدعاء من الله جل وعلا مقصور على الانبياء، فالرب العظيم مالك الملك العظيم المالك لكل شيء والقادر على كل شيء والمنعم علينا بكل شيء يقول سبحانه: { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ * اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * ذَلِكَ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تَوْفُكُونَ { (٤٦) .

الرب في اسماء الله الحسنی

الرب في اسماء الله الحسنی هو الخالق الرازق مالك الملك رب كل شيء ومليكه رب الاولين والآخرين، رب المشرقين ورب المغربين، رب السماوات والارض وما بينهما، رب الآخرة والاولى، رب العالمين لا شريك له في ملكه، ولا اله سواه، قال ابن الاثير: الرب يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْمَالِكِ وَالسَّيِّدِ وَالْمُدَبِّرِ وَالْمُرَبِّيِّ وَالْقَيِّمِ وَالْمُنْعِمِ وَلَا يُطْلَقُ غَيْرَ مُضَافٍ إِلَّا عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِ أُضِيفَ فَيُقَالُ رَبُّ كَذَا (٥٦) . وقال ابن كثير: والرب هو: المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى.

[ولا يستعمل الرب لغير الله الا بالإضافة تقول: رب الدار، رب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل، وقد قيل: إنه الاسم الأعظم] (٦٦) قلت: الرب اسم من اسماء الله الحسنی الا انه لم يرد في الاسماء التسعة والتسعين التي وردت في الحديث النبوي، وورد عند مسلم من حديث العباس رضي الله عنه (أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول

(١٦) - سورة ص الآية (٣٥) .

(٢٦) - سورة مريم الايات (١-١١) .

(٣٦) - سورة الانفال الآية (٩-١٠) .

(٤٦) - سورة غافر الآية (٦٠-٦٢) .

(٥٦) - النهاية في غريب الحديث والاثار، تأليف العلامة/ أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ج ٢ ص ٤٥٠ الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

(٦٦) - تفسير ابن كثير، ج ١ ص ١٣١ .

ذَاقَ طَعْمَ الْإِيْمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُوْلًا (١٦) ولا يطلق غير مضاف الا اذا توجه الى الله تعالى: رب، او الرب، اما اذا اضيف فانه يتوجه الى الله تعالى، او الى عباده، كقولنا رب الدار اي صاحبها، اما دون اضافة ... رب او الرب فلا يتوجه الا الى الله تعالى، فهو رب كل شيء، وخالق كل شيء، { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } (٢٦) { قُلْ أَغْيَرَ اللهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ } (٣٦) وقد ورد في كتاب الله في مواضع كثيرة جدا. فالله سبحانه وتعالى رب الأرباب، ومعبود العباد، ومالك الملك، وخالق جميع العباد ورازقهم، وكل رب سواه غير خالق ولا رازق، وكل مخلوق فلك بعد ان لم يكن، ومنتزع ذلك بيده، وانما يملك شيء دون شيء. وصفة الله مخالفة لهذا المعنى، فهذا الفرق بين صفات الخالق والمخلوقين (٤٦) ليس كمثل شيء وهو السميع العليم فهو الرب لجميع عباده بالتدبير واصناف النعم، فعلى انه مدير خلقة ومربيهم ومصالحهم وجابرهم يكون صفة فعل، وعلى ان الرب المالك السيد يكون صفة ذات (٥٦) .

(١٦) - صحيح مسلم باب من رضي بالله رباً، حديث رقم (٤٩) .

(٢٦) - سورة الاعراف الآية (٥٤) .

(٣٦) - سورة الاعراف الآية (١٦٤) .

- (٤٦) - مختصر النهج الاسمي، ص ٢٤٦.
 (٥٧) - مختصر النهج الاسمي، ج ١ ص ٢٤٧.

٣٧.١٣ ثمرة معرفة اسم الله رب العالمين

ثمرة معرفة اسم الله رب العالمين

اذا عرف المكلف ان ربه الله عز وجل رب كل شيء ومليكه، رب الارباب ورب الاولين، والاخرين رب السماوات والارضين مالك الملك لا شريك له في ملكه يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويسعد من يشاء، ويرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، ويبسط الرزق لمن يشاء، ويستجيب لمن يشاء، ويحيي من يشاء، ويميت من يشاء، وانه يخلق كيفما يشاء ويحكم بما يشاء ولا معقب لحكمه، ولا شريك له في ملكه، ولا اله غيره، ولا رب سواه، ماشاء كان وما لم شيئاً لم يكن، وانه لا حول ولا قوة الا بالله، وجب عليه ان يؤمن به، وان يعلم ان لا رب على الحقيقة الا الله وحده، وان يحسن تربية من جعل التربيته اليه، فيقوم بامر، ومصالحه، كما قام الحق به، فيرقه شياً فشيئاً، وطوراً فطوراً، ويحفظه ما استطاع جهده كما حفظه الله (١٦) . وان يكون مصلحاً عابداً تائباً راجعاً الى الله، فانت حينما تتخذ قراراً حكيماً في صالح ايمانك يشرح الله لك صدرك، ويحفظك من بين يديك ومن خلفك، فربك الذي يركعك، ويؤيدك، وينصرك، فيبد الله سبحانه وتعالى امور كل الخلق، بيده قلوب العباد، فهو رب كل شيء، بيده الرياح، وبيده الجبال، وبيده الارض، وبيده العواصف، وبيده الاعاصير، وبيده الامطار، وبيده النباتات، وبيده الاسباب والمسببات، وتأمل في قصة الفتية الذين امنوا بربهم وحكى الله قصتهم في

(١٦) - الجامع لاسماء الله الحسنى ص ١٣٨.

٣٧.١٤ دعاء الرب المجيب العظيم بما ورد في القرآن الحكيم

سورة الكهف: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} (١٦) فربنا سبحانه وتعالى بيده العز، وبيده الغنا، وبيده المال، وبيده الصحة، وبيده الخير كله، وبيده الجنة، وبيده النار، فاعتصم بالله رب العالمين، في كل شؤنك وتوكل عليه، واسأله ان يشرح صدرك وييسر امرك: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٢٦)

وقال الشاعر:

بشر فؤادك بالنصيب الوافي ... من قرب ربك واسع الألفاف
 الواحد الملك العظيم فلذ به ... واشرب من التوحيد كأساً صافي
 واشهد جمالاً أشرفت أنواره ... في كل شيء ظاهراً لا خافي
 والبس لرب العرش في أقداره ... ثوباً من التسليم واف ضافي
 واستكف ربك كل هم إنه ... سبحانه البر اللطيف الكافي
 واسأله أن يلبسك ثوب إنابة ... وهداية وسلامة وعوافي
 واشكر على النعماء واصبر للبلا ... وتحل بالإفضال والإنصاف (٣٦)

ان ربنا سبحانه وتعالى يصلح امور العباد بجميع رعايته، ويصلح امور العابدين بحسن كفايته، ويصلح امور الوالدين بتقديم عنايته، ويصلح امور قوم يستغنون بعبثائه، ويصلح امور الخلق اجمعين، فأسأله اخي اصلاح امورك، وامور المؤمنين والخلق اجمعين، ولاتكن من القانطين فانه لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون، واعلم اخي ان من افضل الدعاء ما حكاه الله تعالى في القرآن الحكيم.

دعاء الرب المجيب العظيم بما ورد في القرآن الحكيم
 {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا
 وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (٤٦)
 {رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ
 لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} (٥٦)
 {رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} * {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (٦٦)

(١٦) - سورة الكهف الاية (١٣-١٤) .

(٢٦) - سورة الانعام الاية (١٧) .

(٣٦) - هذه الايات للعلامة عبد الله الحداد.

(٤٦) - سورة البقرة الاية (٢٨٦) .

(٥٦) - سورة آل عمران الاية (٨-٩) .

(٦٦) - سورة الممتحنة الاية (٤-٥) .

{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ
 النَّارِ} * {رَبَّنَا إِنَّكَ مِنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} * {رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا
 فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} * {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} (١٦)
 {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (٢٦)

{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} (٣٦) .

(١٦) - سورة آل عمران الاية (١٩١-١٩٤) .

(٢٦) - سورة البقرة الاية (٢٠١) .

(٣٦) - سورة الحشر الاية (١٠) .

٣٨ الفصل السابع والثلاثون الرحمة

الفصل السابع والثلاثون

الرحمة

٣٨٠١ الرحمة

٣٨٠٢ الرحمة من سماة المؤمنين

الرحمة

الرحمة خلة حميدة، وصفة جلييلة يتراحم بها الناس ويتعاضدون ويتعاونون ويتعاطفون، وهي في الانسان رقة في القلب تحمله على التفضل
 والاحسان، والرحمة من سمات المؤمن التي زين الاسلام بها حياته، والرحمة التامة هي افاضة الخير على المحتاجين، وارادته لهم عناية
 بهم، والرحمة من الله انعام وافضال، ومن الادميين رقة وتعطف، ينال بها الرضا والعفو، فمن رحم الناس رحمه الله، وبالرحمة ترضع
 الام وليدها، وتروم الناقة وحيدها، وبالرحمة تتعطف على ابنائنا الصغار، ونحسن الى ابائنا الكبار، وبالرحمة يتعطف الاغنياء على الفقراء
 ويكرمونهم ويحسنون اليهم، وبالرحمة نحسن الى الحيوان، ونكرم الاخوان، ونرحم الصغير، ونوقر الكبير، وبالرحمة أمرنا بخفض الجناح

لوالدين، والدعاء لهما، والأحسان اليهما، وفي الذكر الحكيم: {وَإخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} (١٦) وقال الشاعر:

ارحم أخي عباد الله كلهموا ... وانظر اليهم بعين العطف والشفقة (٢٠)

الرحمة من سماة المؤمنين
الرحمة جاء بها الاسلام، واتصف بها سيد ولد عدنان المبعوث الى كافة الانام محمد عليه وعلى آله افضل الصلاة والسلام، وتحلى بها اصحابه الكرام، وفي

(١٦) - سورة الاسراء الاية (٢٤) .

(٢٠) - هذه البيت ورد في الموسوعة الشعرية منسوباً لمحمد الخسيكي، انظر الموسوعة الشعرية لمحمد الناصر، ص (٢٠٣) .

٣٨٠٣ رحمة الله واثارها

الذكر الحكيم يقول العزيز الرحيم: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (١٦) ويقول سبحانه وتعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} (٢٠) ويقول سبحانه وتعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّاعِدَ لِيَغِیْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (٣٦)

رحمة الله واثارها

المسلم به انه لاشيء يضر بشخصية الانسان مثل التشاؤم، فهو من اخطر الامراض التي تصيب النفس وتعصف بها، وتقعدها عن العمل، وكثيرا ما يجرها الى الهلاك، ويجعلها ترمي في الاخطار، وتقسو على الاخرين وعلى نفسها، لان الحياة تصبح في نظرها جحيما لا يطاق، ولكن النفس المؤمنة بالله المدركة لرحمة الله لا يغادرها الا مل، فهي تعالج مشاكل الحياة بحكمة وصبر وايمان، فهي تنظر الى اثار رحمة الله وتطلب من الله الرحمة والعون لا يصيبها خيبة ولا يدركها ملل، فهناك قوة روحية تدخل في نفوس المؤمنين، تبعدها عن القنوط، وتجعلها في فرح وسرور، فرحمة الله قريبة من المؤمنين المحسنين، وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} (٤٦) وفي سورة يونس يقول العزيز الحكيم: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} (٥٦) فقد جاء القرآن الحكيم بالرحمة قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} (٦٦) ففي القرآن شفاء النفوس من اسقامها، والامها، وفي القرآن الهدى والرحمة: {وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} (٧٦) ومن رحمة الله ان خلق للانسان في هذه الحياة شريك حياة يانس اليه ويعينه على بناء أسرته وتحقيق رغبته، والامتع ببلدته، وحفظ نسله، وبناء داره، واعمار ارضه، قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (٨٦) ومن رحمة الله ان خلق الليل والنهار، وجعل في الارض انهارا وبحارا، وانبت في الارض حقائق ذات بهجة وأزهارا وثمارا، قال تعالى: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (٩٦) ومن رحمة الله انه يحيي الارض بعد موتها، ويفيض على الخلائق نعما لا تحصى عددها، وينزل

(١٦) - سورة الانبياء الاية (١٠٧) .

(٢٠) - سورة التوبة الاية (١٢٨) .

(٣٦) - سورة الفتح الاية (٢٩) .

(٤٦) - سورة الاعراف الاية (٥٦) .

(٥٦) - سورة يونس الاية (٥٨) .

- (٦٦) - سورة يونس الاية (٥٧) .
- (٧٦) - سورة الاسراء الاية (٨٢) .
- (٨٦) - سورة الروم الاية (٢١) .
- (٩٦) - سورة القصص الاية (٧٣) .

٣٨٠٤ صلاح الانسان يكسبه رحمة الله

من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَيَقْرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ مُلْبَسِينَ * فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١٦) .

فما جاء به القرآن الكريم من شأنه ان يكون شفاء لقلوب الملايين من المحرومين الذين يطلبون رحمة الله وبيتغون ثوابه , وينظرون الى الناس نظر رحمة وشفقة, ويسعون الى انقاذ الملايين وتعليمهم, والاحسان اليهم, فهم لا يحسدون, ولا يستكبرون, ولا يتناولون على عباد الله, لانهم ينتظرون من الله جل وعلا الرحمة, ويعلمون ان الله قد قسم بين العباد ارزاقهم بحكمة ورحمة, وقد جاء في الذكر الحكيم: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ لِنَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَةَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} (٢٦)

صلاح الانسان يكسبه رحمة الله

ان ايمان الانسان وصلاحه ينال بهما الرحمة من الله, والمحبة من الناس, والتوفيق في العمل, وتوصله الرحمة الى الجنة, وتبعده عن النار, وفي الذكر الحكيم: {وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ} (٣٦) فتقوى الانسان وصلاحه وصلاته وزكاته واتباعه لهدي محمد عليه الصلاة والسلام تكسبه رحمة الله قال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتَبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرِمُهُمُ الْعِلْبَاءَ وَيُضَعُّ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٤٦)

فوائد الرحمة وضرر القسوة والجفوة

للرحمة فوائد جمّة ومنافع عظيمة, بها تنصلح احوال البشرية وتستقيم امورهم, ونلخص بعضها من هذه الفوائد في النقاط التالية:

١. ان رحمة الانسان للناس تكون سببا لرحمة الله له فمن يرحم الناس يرحمه الله, وقد كان خلقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشريعته كلها رفقا ورحمة, وروي عنه انه قال في الحث على الرحمة: (الراحمون يرحمهم الرحمن) (٥٦) . وهذا يفيد أن الإنسان الذي يرحم الناس ويرحم الصغير ويتحلى بالرحمة في سلوكه وأدبه ومع أهله وولده أهل لأن يرحمه الله جل وعلا, وقد روى البخاري في الأدب المفرد أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء) (٦٦) روي: (يرحمكم) مرفوعاً على الاستئناف البياني,

٢.

- (١٦) - سورة الروم الاية (٤٧-٥٠) .
- (٢٦) - سورة الزخرف الاية (٣٢) .
- (٣٦) - سورة الانبياء الاية (٨٦) .
- (٤٦) - سورة الاعراف الاية (١٥٦-١٥٧) .
- (٥٦) - أخرجه الإمام أحمد في المسند, عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها, حديث (٢٤٤٣٠) .

(٦٧) - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرحمة، حديث (٤٩٤١) .

٣٠ ويجوز جزمه لوقوعه في جواب الأمر، وقد روى هذا الحديث أيضاً أحمد في المسند وأبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وروى البخاري ومسلم أيضاً في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد: (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) (١٧) ونظم ذلك ابن حجر بقوله:

إن من يرحم أهل الأرض قد ... أن أن يرحمه من في السماء
فارحم الخلق جميعاً إنما ... يرحم الرحمن منا الرحماء
ولغيره:

من يرحم الخلق فالرحمن يرحمه ... ويكشف الله عنه الضر والباسا
ففي صحيح البخاري جاء متصلاً ... لا يرحم الله من لا يرحم الناسا
وللعجلوني أيضاً:

كن يا أُنْحِي رَحِيمَ الْقَلْبِ طَاهِرِهِ ... يَرْحَمُكَ مَوْلَاكَ بَلْ يُؤْنِسُكَ إِيْنَاْسَا
ففي الصحيحين ما معناه متصلاً ... لا يرحم الله من لا يرحم الناسا (٢٧)

٤. ان الرحمة علامة الايمان، فلا يكتمل ايمان المرء حتى يكون رحيماً في خلقه وتعامله، وفي الحديث النبوي: (لن تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على ما تحابون عليه قالوا: بلى يا رسول الله قال: أفشوا السلام بينكم تحابوا والذي نفسي بيده لن تدخلوا الجنة حتى تراحموا قالوا:

٥٥

(١٧) - صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالى: (إن رحمة الله قريب من المحسنين) ، حديث (٧٤٤٨) .
(٢٧) - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للمحدث الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني، الجرجاني ج ١ ص ١١٠ .

٥٦. يا رسول الله كلنا رحيم قال: إنه ليس برحمة أحدكم ولكن رحمة العامة رحمة العامة) (١٧) .
وقال الشاعر:

ان كنت لا ترحم المسكين ان عدما ... ولا الفقير اذا يشكو لك العدما
فكيف ترجو من الرحمن رحمته ... وانما يرحم الرحمن من رحما (٢٧)

٧. ان الرحمة تكون سببا في التوحد والقوة والتعاطف والاخوة، وفي الحديث النبوي (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى) (٣٧) .

٨. ان رحمة أهل الارض جميعا تكون سببا في رحمة أهل السماء ففي الحديث النبوي: ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ (٤٧) وفي الذكر الحكيم: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (٥٧) .

٩. ان رحمة الاطفال والصغار فيه غرس للمحبة في قلوبهم، وكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعتبر تقبيل الأطفال من مظاهر حبهم والرحمة بهم، فقد روى البخاري من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخذ ابنه إبراهيم فقبله وشمه (٦٧) . فقد ورد أنه كان يدخل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لسانه في فم الحسن بن علي ثم يقول: (اللهم إني أحبه فأحبه) (٧٧) ، وكان يقول: (ريحانتي حسنٌ وحسينٌ) (٨٧) وقدم عليه مرة جماعة من الأعراب فقال أعرابي للنبي: تقبلون الصبيان فما نقبلهم، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة) (٩٧) ، ويقول أنس: (ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم) (١٠٧) ومن أعجب ما روي عنه في رحمته للأولاد ما أورده الهيثمي عن أبي ليلى قال: كنت

عند النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعلى صدره أو بطنه الحسين أو الحسن رضوان الله عليهما، فبال فرأيت بوله أساريع - أي طراً - فقامت إليه فقال:

١٠.

- (١٦) - الحاكم في المستدرک باب البر والصلة حديث رقم (٧٣١٠) .
 (٢٦) - ورد هذان البيتان في الموسوعة الشعرية منسوبة للحافظ زين الدين العراقي .
 (٣٦) - صحيح مسلم باب تراحم المؤمنين حديث رقم (٤٦٨٥) .
 (٤٦) - الترمذي باب ما جاء في رحمة الناس حديث رقم (١٨٤٧) .
 (٥٦) - سورة غافر الآية (٧) .
 (٦٦) - صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي: (إنا بك لمحزونون) ، حديث (١٣٠٣) .
 (٧٦) - أخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب معرفة الصحابة، حديث (٤٨٤٤) .
 (٨٦) - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث (٥٩٩٤) .
 (٩٦) - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث (٥٩٩٨) - وأورده البغوي في شرح السنة ج ١٣ ص ٣٦) ، والبغوي هو أبو محمد الحسين بن سعود الفراء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاوش: المكتب الإسلامي - بيروت - سنة ١٤٠٣ هـ - وأخرجه أحمد في المسند، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حديث (٢٣٨٩٨) - وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته الصبيان والعيال، حديث (٢٣١٧) .
 (١٠٦) - صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته الصبيان والعيال، حديث (٢٣١٦) - وأحمد في المسند، ومسند أنس بن مالك، حديث (١١٨٤٧) .

١١ (دعوا ابني هذا لا تفرغوه حتى يقضي بوله) ثم اتبعه الماء، وفي رواية: (لا تستعجلوه) (١٦) والرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم يبين في هذه الأحاديث حق الطفل ومكاته، لا ينشغل عن بيان ذلك بالأمر السياسية أو غيرها، ولقد كان كما ذكر أسامة بن زيد في رواية للبخاري يأخذه فيقعه على نخذه ويقعد الحسن على نخذه الأخرى ثم يضمهما ويقول: (اللهم أرحمهما فإني أرحمهما) (٢٦) .

١٢ ان من يرحم الضعفاء والمساكين ويحسن إليهم مبشر بالجنة، ففي الحديث النبوي: طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة وأنفق مالا جمعه من غير معصية ورحم المساكين أهل المسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وأصلح سريره وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعله وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله (٣٦) .
 وطوبى هي شجرة أو مكانة في الجنة.

١٣ ان رحمة الحيوان والرفق به، وعدم مؤذاته تكون سببا في رحمة الله، وفي الحديث النبوي: أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَذْبِحُ الشَّاةَ وَأَنَا أَرْحَمُهَا أَوْ قَالَ إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا فَقَالَ (وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا) (١٤) .

(١٦) - الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: كتاب الطهارة، باب بول الصبي والجارية ج ١ ص ٢٨٩ .

(٢٦) - صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب وضع الصبي على الفخذ، حديث (٦٠٠٣) .

(٣٦) - المعجم الكبير للطبراني حديث رقم (٤٦١٥) .

١٥ رَحِمَكَ اللَّهُ (١٦) . وفي رواية لابن مسعود رضي الله عنه قال كما مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر ومررنا بشجرة فيها فرخا حمرة فأخذناهما قال: فجاءت الحمرة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي تصيح فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من فجع هذه بفرخيهما؟ قال: فقلنا: نحن قال: فردهما (٢٦) .

١٦ ان انعدام الرحمة يعني القسوة والغلظة وهما من اسباب التنافر والتناحر وخراب الديار، وفي الذكر الحكيم: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ} (٣٦) .

١٧. الغلظة والقسوة والجفوة من اخلاق أهل النار ففي الحديث النبوي: **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ، كُلُّ عُتْلٍ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ** (٤٦) و {عتل} بضم العين والتاء وتشديد اللام: هو الغليظ الجافي. و {الجواظ} بفتح الجيم وتشديد الواو وبالطاء المعجمة: هو الجموع المنوع. وقيل الضخم المختال. وقيل الجواظ الغليظ الفظ كما في سنن أبي داود الجواظ الغليظ الفظ (٥٦).

١٨

١٩

(١٦) - مسند الامام احمد حديث رقم (١٥٠٣٩)

(٢٦) - الحاكم في المستدرک وقال صحيح الاسناد حديث رقم (٧٥٩٩)

(٣٦) - سورة آل عمران الآية (١٥٩).

(٤٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٤٥٣٧).

(٥٦) - سنن أبي داود باب في حسن الخلق، حديث رقم (٤١٦٨).

٢٠. ان من اسباب قسوة القلب قطيعة الارحام، والاساءة الى الاخوان، والبعد عن ادراك نعم الرحمن، وعدم الاخذ بالقرآن، والاعراض عن هدي محمد عليه وعلى وآله افضل الصلاة والسلام، فقاسي القلب لا يتعظ بالمواعظ، ولا ينتفع بمواعظ السماء، ولا يعتبر بمصارع الامم، ولا يشكر الله النعم، وفي الذكر الحكيم: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)}**.

٢١. ان من اضرار القسوة انها تمنع من الخشوع عند ذكر الله، والخضوع لاوامره، فقاسي القلب لا يخضع للحق، ولا يتبع الحق، ولا يذكر الله ربه ورب كل الخلق، وقد جاء في التنزيل: **{قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٦)}** فقاسي القلب اعمى البصيرة سيء السريرة، سلوكه مشين، وسلوكه غير مستقيم، لا يعرف طريقه، ولا يدرك نور الحقيقة، وفي الذكر الحكيم: **{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَكُونُ حُمْلًا (٢٢)}**.

٢٢

(١٦) - سورة الانعام الآية (٤٢-٤٣).

(٢٦) - سورة الزمر الآية (٢٢).

٢٣. يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون (١٦).

علاج قسوة القلب

ان التعرف على الله، وطلب رحمته، واتباع اوامره، والرجوع اليه، والتواضع له وعدم القنوط من رحمته، والاقلاع عن المعاصي، مما يقرب من رحمته، قال تعالى: **{كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمَلٍ مِّنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٦)}** فما يعانیه العالم اليوم من تدهور في الاخلاق وانكباب على الرذائل، وانتشار للجرائم، انما هو ثمرة قسوة قلوب بعض البشر وغفلتها عن استحضار عظمة الله جل جلاله التي تجعل في القلب رهبة تحول بينه وبين الميل الى الشر، وتجعل منه مدركا لأنعم الله التي افاض بها على البشرية كلها، وافاض بها على كافة بني الانسان اكراما واحسانا وانعاما وافضالا، فاذا انغمس الانسان في المعاصي ضل وقتل من رحمته **{وَمَنْ يَقْنُطْ مِّن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٣٦)}** فما على اصحاب النفوس المتشائمة الا ان تيمم نحو ربنا جل وعلا وتطلب الرحمة منه سبحانه وتعالى، وتقلع عن المعاصي، وستدرك ان رحمة الله لا يعجزها شيء في هذا الوجود، وهي قريبة ممن يعود الى الله، وستوصله الى بر الامان لينعم بالراحة والاطمئنان، والسعادة الدائمة في الدنيا والاخرة، ورحم الله الامام الشافعي حيث يقول:

(١٦) - سورة البقرة الآية (٧٤).

(٢٦) - سورة الانعام الآية (٥٤).

(٣٦) - سورة الحجر الآية (٥٦).

٣٨٠٥ الرحمن الرحيم في اسماء الله الحسنى

وَمَا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتَ الرَّجَاءَ مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْمًا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَّرْتَهُ ... بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
فَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ ... تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكْرُمًا
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَصْمُدْ لِإِبْلِيسَ عَابِدٌ ... فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيكَ آدَمًا
فَلِلَّهِ دَرُ الْعَارِفِ النَّدْبِ إِنَّهُ ... تَفِيضُ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمًا
يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ ظِلَامَهُ ... عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مَا تَمَّا
فَصِيحًا إِذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ ... وَفِي مَا سِوَاهُ فِي الْوَرَى كَانَ أَعْجَمًا
وَيَذْكُرُ أَيَّامًا مَضَتْ مِنْ شِبَابِهِ ... وَمَا كَانَ فِيهَا بِالْجَهَالَةِ أَجْرَمًا
فَصَارَ قَرِينُ الْهَمِّ طَوْلُ نَهَارِهِ ... أَخَا السَّهْدِ وَالنَّجْوَى إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا
يَقُولُ حَبِيبِي أَنْتَ سُؤْلِي وَبَغِيَّتِي ... كَفَى بِكَ لِلرَّاجِينَ سُؤْلًا وَمَغْنَمًا
أَلَسْتَ الَّذِي غَدَّيْتَنِي وَهَدَيْتَنِي ... وَلَا زِلْتُ مَنَانًا عَلَيَّ وَمُنْعَمًا
عَسَى مِنْ لَهُ الْإِحْسَانُ يُغْفِرُ زَلَّتِي ... وَيَسْتُرُ أَوْزَارِي وَمَا قَدْ تَقَدَّمَ
الرحمن الرحيم في اسماء الله الحسنى

الرحمن الرحيم من اسماء الله الحسنى مشتقان من الرحمة، على وجه المبالغة، والرحمن اشد مبالغة من الرحيم، وهما اسمان دالان على انه سبحانه وتعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء وعمت كل حي، قال الخطابي: فالرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معاشهم ومصالحهم، وعمت المؤمن والكافر، والصالح والطالح، وأما الرحيم فخاص للمؤمنين كقوله: (وكان بالمؤمنين رحيماً) (١٦) وقال القرطبي: الرحمن الرحيم جل جلاله وتقدست اسماؤه نطق بهما التنزيل، وجاء في حديث ابي هريرة، وتكررا في غير موضع في الكتاب والسنة واجمعت عليهما الامة (٢٦) ، قلت ذكر (الرحمن) في القرآن الكريم سبعة وخمسين مرة منها قوله تعالى: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (٣٦) وقوله تعالى: {وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} (٤٦) وقوله تعالى: {إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا} (٥٦) وقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (٦٦) وقوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} (٧٦) وقوله تعالى: {الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ} (٨٦) ، اما اسمه جل وعلا الرحيم فقد ذكر في القرآن مائة واربع عشرة مرة، منها ما سلف الاشارة اليه ومنها قوله تعالى: {إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (٩٦) ومنها قوله: {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ} (١٠٦) ومنها: {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (١١٦) وسبق الإشارة الى ان

(١٦) - الاسماء والصفات للبيهقي، ص ٩١.

(٢٦) - الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى، ص ٤٧٦.

(٣٦) - سورة الفاتحة الاية (١-٣) .

(٤٦) - سورة البقرة الاية (١٦٣) .

(٥٦) - سورة مريم الاية (٩٣) .

(٦٦) - سورة طه الاية (٥) .

(٧٦) - سورة الاسراء الاية (١١٠) .

- (٨٦) - سورة الفرقان الآية (٢٦) .
- (٩٦) - سورة البقرة الآية (٣٧) .
- (١٠٦) - سورة البقرة الآية (١٤٣) .
- (١١٦) - سورة البقرة الآية (١٧٣) .

٣٨٠٦ ثمره معرفة اسم الله الرحمن الرحيم وفائدته

الاسمين مشتقان من الرحمة، الا ان اسم الله (الرحمن) يدل انه ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة، نخص المؤمنين باسمه الرحيم فقال: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} (١٦) وقيل أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال أن الرحمة صفته والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته (٢٦) . وقيل اسم الرحمن مختص بالله تعالى، وقال ابن عباس في قوله تعالى (هل تعلم له سميا) قال لم يسمى الرحمن غيره. واكثر العلماء على ان الرحمن مختص بالله عز وجل ولا يجوز ان يسمى به غيره، قال تعال: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ} (٣٦) وقال: {وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} (٤٦) فاخبر ان الرحمن هو المستحق للعبادة عز وجل، وقد قيل في اسمه (الرحمن) اسم الله الاعظم. (٥٦) وقال ابن كثير: والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره، كاسم الله والرحمن والخالق والرزاق ونحو ذلك؛ فلهذا بدأ باسم الله، ووصفه بالرحمن؛ لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأن التسمية أولاً إنما تكون بأشرف الأسماء، فلهذا ابتداء بالأخص فالأخص. (٦٦)

ثمره معرفة اسم الله الرحمن الرحيم وفائدته

اذا عرف المكلف ان الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وان رحمته سبحانه وتعالى وسعت الخلق في ارزاقهم، ومعاشهم، ومصالحهم، وانه سبحانه وتعالى برحمته ارسل الينا رسله وهدانا من الضلالة وبصرنا من العمى، وعلمنا ما لم نكن نعلم، وبرحمته سخر الليل والنهار وسخر الشمس والقمر والنجوم، واسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وجب عليه ان يؤمن به، وان يفرد بالعبودية، ويشكر له النعمة، وان يسأل من ربه الرحمة، فرحمة الله واسعة، وربه رحيم، سبغت رحمته غضبه كما في الحديث النبوي (ان رحمتي سبقت غضبي) (٧٦) وهذا الحديث موافق لقوله تعالى {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} (٨٦) وجاء في حديث (ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار) (٩٦) وفي رواية (ان لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والحوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة) (١٠٦) ومن ثمره معرفة اسم الله الرحيم ان يكون المرء راحما لعباد الله محسنا اليهم مطيعا لله فيما امر

- (١٦) - سورة الاحزاب الآية (٤٣) .
- (٢٦) - بدائع الفوائد لابن القيم ص ٢٨٠ .
- (٣٦) - سورة الاسراء الآية (١١٠) .
- (٤٦) - سورة الزخرف الآية (٤٥) .
- (٥٦) - الاستنى للقرطبي، ص ٤٧٧ .
- (٦٦) - ابن كثير ج ١ ص ١٢٦ .
- (٧٦) - البخاري حديث رقم (٦٨٧٢) .
- (٨٦) - سورة الانعام الآية (٥٤) .

- (٩٦) - البخاري حديث رقم (٥٩٨٨) .
 (١٠٦) - مسلم حديث رقم (٤٩٤٤) .

ونهى، فكلها اطاع الانسان ربه كان اقرب الى الله سبحانه وتعالى مستحقا لرحمته، وفي الذكر الحكيم: {وَاطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (١٦) {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكًا فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (٢٦) {وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (٣٦) {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (٤٦) {إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} (٥٦)

فرحمة الله يتخلق بها عباد الله الرحماء، فهي من الاخلاق العظيمة التي حض الله سبحانه عباده على التخلق بها، وانما الشقي من الناس الذي نزع من قلبه الرحمة، لان ذلك معناه المنع من الدخول في رحمة الله، وفي الحديث النبوي (لاتنزع الرحمة الا من شقي) (٦٦) فاسأل الله الرحمة فانه كريم واعزم على ذلك فقد جاء في السنة النبوية (لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شئتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شئتَ لِيَعِزُّمُ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مَكْرَهَ لَهُ) (٧٦) وفي الذكر الحكيم: {يُدْخِلْ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} (٨٦)

- (١٦) - سورة آل عمران الآية (١٣٢) .
 (٢٦) - سورة الانعام الآية (١٥٥) .
 (٣٦) - سورة النور الآية (٥٦) .
 (٤٦) - سورة الاعراف الآية (٢٠٤) .
 (٥٦) - سورة الاعراف الآية (٥٦) .
 (٦٦) - سنن ابي داود حديث رقم (٤٢٩١) .
 (٧٦) - البخاري حديث رقم (٥٨٦٤) ومسلم حديث رقم (٤٨٣٩) .
 (٨٦) - سورة الانسان الآية (٣١) .

٣٨٠٧ دعاء الله باسمه الرحمن الرحيم

دعاء الله باسمه الرحمن الرحيم

يا الله يارحمن يا رحيم يا سميع يا عليم رحمتك نرجو فلاتكلنا الى انفسنا طرفة عين، يا الله يارحمن يارحيم ارحم تعلقني اليك وتملقي عليك وخضوعي بين يديك

وارحم تضرعي، وتولني برحمتك واسكني الدرجات العلا من الجنة بفضلك ورحمتك، يا الله يا رحمن يا رحيم افض علي والمؤمنين من رحمتك التي لاراد لها ولا ممسك، وتفضل علي ووالدي والمؤمنين والمؤمنات برحمتك واحسانك وكرمك وعفوك في الدنيا والاخرة، وكن بنا رحيمًا، وتوفني مسلما والحقني بالصلحين يا سميع يا عليم يا ارحم الراحمين وصل اللهم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد، وسلم تسليما كثيرا وارض اللهم على اصحاب نبيك وازواجه وذريته ومن تبعه باحسان الى يوم الدين.

ورحم الله أبا العتاهية حيث يقول:

أَيَا رَبِّ يَا ذَا الْعَرْشِ أَنْتَ رَحِيمٌ ... وَأَنْتَ بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ عَلِيمٌ
 فَيَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ حِلْمًا فَإِنِّي ... أَرَى الْحِلْمَ لَمْ يَنْدَمْ عَلَيْهِ حَلِيمٌ
 وَيَا رَبِّ هَبْ لِي مِنْكَ عَزْمًا عَلَى التُّقَى ... أَقِيمُ بِهِ مَا عَشْتُ حَيْثُ أُقِيمُ
 أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَكْرَمُ نَسَبَةٍ ... تَسَامَى بِهَا عِنْدَ الْفَخَارِ كَرِيمٌ
 إِذَا مَا اجْتَنَبَتِ النَّاسَ إِلَّا عَلَى التُّقَى ... خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ سَلِيمٌ

٣٩ الفصل الثامن والثلاثون الحياة

الفصل الثامن والثلاثون
الحياة

٣٩.١ الحياة

الحياة
الحياة انفس معدوة، وساعات محدودة، يقضيها الانسان في نمو لازم، وتطور دائم، بين طفولة وصبا، وشباب وكهولة، وشيب وشيخوخة، بين امل وآلم، وافراح واتراح، وشدة ورخاء، ومرض وصحة، وضعف وقوة بين رياض نظرة، وروائح عطرة، وحدائق ذات بهجة، واشجار مثمرة، وانهار هادرة، وبحار متلاطمة، وجبال شاهقة، وسهول واسعة، وثمار طيبة، وهبها الله للانسان، وتفضل بها الكريم المنان، وسخر له الانعام، واحل له النبات والحيوان، ورزقه من السماء والارض، وانزل عليه الامطار وانبت له الثمار، وسخر له الارض في جميع الاقطار، ففيها حياته، واليها يعود بعد مماته، من رحلة يطويها الليل والنهار، وقد كان ترابا مواتا لا يعرف عن الحياة شيئا، ولا يدرك شيئا من تلك الاثار، وفي الذكر الحكيم: { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (١٦) فسبحان من احيا الارض بعد موتها، وبدء خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من ماء مهين، وصوره في احسن تقويم، وجعل الماء مادة الحياة في كل حين، ودعى الارض وزينها للناظرين: { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ

(١٦) - سورة البقرة الاية (٢٨-٢٩) .

٣٩.٢ الحياة جميلة فلا تضيعها

أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآياتٍ لقوم يؤمنون} (١٦) فاختلف النبات في الطعم رغم اتحاد التربة والماء نعمة ومنة، ودليل على القدرة واحكام الصنعة: { وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون } (٢٦) وقال سبحانه { ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الأبصار } (٣٦) فسبحان من خلق الحياة ووهبها وجعل الماء اصل مادتها، ودليلا على ابداع صنعته، وفي القرآن الحكيم يقول الرب العظيم: { تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير } (١) الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور } (٤٦) ويقول وهو العزيز الحكيم: { وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون } (٥٦) حقيقة علمية جاء بها القرآن وقررها، ولقت الأنظار اليها واطهرها، وادرك سرها العلماء، وفي هذا يقول بعض الباحثين ان معظم العمليات الكيماوية اللازمة للحياة والنمو تحتاج الى الماء، وهو العنصر الاساسي لاستمرار الحياة لجميع الكائنات والنبات (٦٦) ، وفي الذكر الحكيم { ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلفا ألوانها وخرائب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلفا ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور } (٧٦) ويقول سبحانه وتعالى: { إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآياتٍ لقوم يعقلون } (٨٦)

الحياة جميلة فلا تضيعها
الحياة التي وهبك الله جميلة فجمّلها بما يعود عليك نفعه، ولا تضيعها فعمرك محدود، ونفسك محسوب، فاعمرها بالايان، وزينها بالتقوى،
وازرع الخير فيها، يثمر زرعك ويطب دهرك، فمن ضيع حياته ندم، ومن استثمرها في عمل البر غم، قال الشاعر:
إذا كان راس المال عمرك فاحترز ... عليه من الانفاق في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك ... يكر علينا جيشه بالعجائب (٩٦)
وقال اخر:

- (١٦) - سورة الانعام الاية (٩٩) .
- (٢٦) - سورة الرعد الاية (٤) .
- (٣٦) - سورة الزمر الاية (٢١) .
- (٤٦) - سورة الملك الاية (٢-١) .
- (٥٦) - سورة الانبياء الاية (٣٠) .
- (٦٦) - روح الدين الإسلامي ص ٤٩ .
- (٧٦) - سورة البقرة الاية (٢٧-٢٨) .
- (٨٦) - سورة البقرة الاية (١٦٤) .
- (٩٦) - هذان البيتان لعمارة اليميني .

٣٩٠٣ بالأمل والقال تصفو الحياة وبالععمل تتجدد

حياتك انفاس تعد فكهما ... مضى نفس منها نقصت بها جزء
اما الافوه الاودي فهو يقول:
انما نعمة قوم متعة ... وحياة المرء ثوب مستعار
وقال اخر:

وما تؤخر من نفس وان حرصت ... على الحياة اذا ماجاء داعيها
فاغتمت نعمة الحياة، وتمتع بنعم الله، وقو اخلاقك مع الاحياء كي لاتكون في عداد الموتى، ورحم الله شوقي حيث يقول:

وَجَدْتُ الْحَيَاةَ طَرِيقَ الزُّمْرِ ... إِلَى بَعْتَةِ وَشُؤُونَ أُخْرٍ
وَمَا بَاطِلًا يَنْزِلُ النَّازِلُونَ ... وَلَا عَبَثًا يُزْمَعُونَ السَّفَرُ
فَلَا تَحْقِرَنَّ عَالِمًا أَنْتَ فِيهِ ... وَلَا تَجِدِ الْآخَرَ الْمُنْتَظَرُ
وَخُذْ لَكَ زَادِينَ مِنْ سِيرَةٍ ... وَمِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يُدْخِرُ
وَكُنْ فِي الطَّرِيقِ عَفِيفَ الْخُطَا ... شَرِيفَ السَّمَاعِ كَرِيمَ النَّظَرِ
وَلَا تَحُلْ مِنْ عَمَلٍ فَوْقَهُ ... تَعِشْ غَيْرَ عَبْدٍ وَلَا مُحْتَقَرٍ
وَكُنْ رَجُلًا إِنْ أَتَا بَعْدَهُ ... يَقُولُونَ مَرَّ وَهَذَا الْأَثَرُ
وله ايضا:

المجد والشرف الرفيع صحيفه ... جعلت لها الأخلاق كالعنوان
وأحب من طول الحياة بذلة ... قصر يريك تقاصر الأقران
دقات قلب المرء قائمة له ... إن الحياة دقائق وثواني
فأرفع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثاني
بالأمل والقال تصفو الحياة وبالععمل تتجدد

الحياة جميلة بآمالها فسيحة واسعة، والحياة كلمة تعج بالامل، وتشرق بالآمال، وتهتف بالمعالي، والحياة فيها معنى الحركة والانجاز والامل، ويكفي كلمة الحياة شرفا انها عكس الموت، وضد التوقف، وهذه المعاني تكفي للفرح والشوق بفضل الله ورحمته واهب الحياة، فاعليك اخي الا ان تكون متفائلاً مسروراً بفضل الله وقضائه في هذه الحياة، فالتفاؤل هو النظرة الايجابية المشرقة والواقعة لمستقبل الاشياء، وعند اختفاء التفاؤل من اعماق الانسان فإن التشاؤم يحل محله بما فيه من اسداد للأفق وظلام في النظرة المستقبلية للانسان، والتفاؤل دافع ايجابي محفز للانسان لبحث بنفسية منفتحة عن كل ما ينفعه في هذه الحياة، فليس هنالك ظلام مطلق، فبين تلال الظلام توجد شموع مضيئة، وقد جاء القرآن من عند الله ليبيث التفاؤل والأمل، ويجدد الحياة والثقة بالله تعالى، ففي لحظة الضعف والانكسار ينزل على نبي الله قول الحق سبحانه وتعالى {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (١٦) وفي لحظة طيش العدو وكبره يأتي الامل والتفاؤل في قوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (٢٦) بل قد جاء في الحديث القدسي (انا عند ظن عبدي بي فيلظن بي ماشاء) (٣٦) ،

(١٦) - سورة آل عمران الآية (١٣٩) .

(٢٦) - سورة التوبة الآية (٣٢) .

(٣٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٦٩٥١) .

والتفاؤل هو الصخرة الصماء التي يتحطم على سطحها زعانف الاحباط والياس والقنوط، فالمتفائل لايعاني من الشلل الفكري والقنوط الروحي او الانهيار الجسدي عندما تتكالب عليه الازمات، وتكثر الامتحانات، وتضيق السبل، ويكثر الاعداء، فهو مبتسم متهلل الاساليب لا يتوقف عن الابداع ولا يحقر اراء الآخرين ولا يقلل من شان ما يراه او يعرض عليه من افكار بل يختار افضلها، والمتفائل مؤمن بالله واثق به يعلم ان القنوط والياس من عمل الشيطان، وفي الامثال السائرة "لا حياة مع الياس ولا ياس مع الحياة" وفي الذكر الحكيم يخبرنا العزيز الحكيم فيما حكاه على لسان نبيه يعقوب الكريم: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} (١٦) فالتفاؤل يصبغ على صاحبه البهجة والانتعاش والحيوية والثورانية، وذلك ما يبعث على محبته في قلوب الآخرين، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم (يُحِبُّ الْقَالَ الْحَسَنَ وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ) (٢٦) وقال ابن الرومي:

قد أتى عن نبينا حبه الفأ... ل مضيئاً بذلك البرهان
وقال اخر:

فاليوم يا علم الأعلام كل ذكي ... حي اللثام غدا بالأمن متشحا

(١٦) - سورة يوسف الآية (٨٧) .

(٢٦) - احمد في مسنده حديث رقم (٨٠٤٣) .

وكل فظٍ ردي الخال منقبضاً.... وكل برٍّ حميد الفال منشرحا (١٦)

وفي التفاؤل الرضا بقدر الله والسكينة بقضائه والاطمئنان الى مكتوبه، وهذه المعاني هي الحياة بمعناها الحقيقي وذوقها الرائع، وبلسمها العذب، فيالله مااروعها كلمة، ومن هنا يجب ان يدرك الالباء والتربويون والصحفيون وموجهو برامج الاعلام دورهم الكبير في اشاعة التفاؤل في عناصر المجتمع، والتحذير من هيمنة الياس والقنوط وقطع الامل، فالمتشائمون لايصنعون مستقبلا ولا يتغلبون على مصاعب الحياة، لانهم لا يحملون نورا يضيء لهم الطريق، بينما المتفائلون يحملون نورا في قلوبهم وفي ارواحهم وفي بصائرهم.

الحياة تقيض الموت

الحياة تقيض الموت، فستان بين الحياة والموت، وبين الأعمى والبصير، وبين المشرق والمغرب، وبين الاحياء والاموات، فستان بين انسان مليء السمع والبصر يتكلم ويتحدث ويبتسم، ويسأل ويحجب، ويفكر ويحاكم، وينتقل ويمشي، ويعمل في طاعة ربه، وبناء مجده، وبين انسان جثة هامدة، ملقى على الطريق، كما ان هناك فرقا كبيرا بين الحياة والموت فهناك فرق كبير بين قلب حي يذكر الله وبين قلب ميت، وفي الحديث النبوي (مثلٌ

(١٦) - هذا البيت لسليمان الصولة ١٢٢٩ - ١٣١٧ هـ / ١٨١٤ - ١٨٩٩ م سليمان بن إبراهيم الصولة. شاعر، كثير النظم، ولد في دمشق وتعلم بمصر وعاد إلى الشام في حملة إبراهيم باشا على البلاد الشامية، واستقر في دمشق فاتصل بالأمير عبد القادر الجزائري ولزمه مدة ثلاثين سنة، وله فيه قصائد، وسافر إلى مصر سنة ١٨٨٣م فأقام إلى أن توفي بالقاهرة. له (ديوان - ط) ، وله: (حصن الوجود، الواقي من خبث اليهود - خ) .

٣٩.٤ الحياة تتقلب وتذهب فلا تغتر بها

الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ (١٦) ، وفي الذكر الحكيم: {أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} (٢٦) وفي سورة فاطر يقول العزيز الرحيم: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} (٣٦) وفي سورة الانعام يقول الكريم المنان: {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٤٦)

الحياة تتقلب وتذهب فلا تغتر بها

لقد خلق الله الحياة لحكمة عظيمة، ابتدأها بعلمه، وامتدتها بقدرته، فما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يعطه من خير وفضل فلا راد له، يخلق ما يشاء ويختار وهو العزيز الغفار، من اطاعه سلم وظفر بمراده واستعد للسفر بمائة وزاده، ومن اعرض عن ذكر ربه وفضله ندم، سنن الله في هذه الحياة قائمة على الصواب، وقوانينه قائمة على العدل والحساب، جعل الحياة مرحلة اختبار للعباد، فمن احسن العمل طاب له الحصاد ومن اختار سلوك قضاء حياته فيما ينيله السعادة ظفر بمراده، وطابت له الحياة، وفي الذكر الحكيم: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٥٦) فمن عرف ثمار الاعمال كان حقيقا ان لا يغرس مرار، ليحسن له بعد الممات ذكرا، وفي مقصورة بن دريد الازدي:

إِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ ... فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى

وقال اخر:

كل إلى الغاية محثوث ... والمرء موروث فبعوث

فكن حديثا حسنا سائرا ... بعدك فالدنيا احاديث (٦٦)

ومن ابصر العاقبة فأثرها ادرك السلامة وأمن من الندامة، ومن اعرض عن منهج الله في هذه الحياة خاب وخسر، وندم وعثر، ولم يترك من الذنوب الا ما عجز عنه، فهو اشر بطر، فلتحمد نفسك على ما تركت من الذنوب عجزا، فالبصير من عرف ضره من نفعه، واستفاد في يومه من امسه، واحترز من كيد الشيطان ومن نفسه. قال المتنبي:

إِنِّي لِأَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَبِيرٌ ... أَنَّ الْحَيَاةَ وَإِن حَرَصْتَ غُرُورُ

وَرَأَيْتُ كَلًّا مَا يُعَلِّلُ نَفْسَهُ ... بِتَعَلُّةٍ وَإِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ (٧٦)

وله ايضا:

كثير حياة المرء مثل قليلها ... يزول وباقى عيشه مثل ذاهب

(١٦) - البخاري حديث رقم (٥٩٢٨) .

(٢٦) - سورة النحل الاية (٢١) .

(٣٦) - سورة فاطر الاية (٢٢) .

(٤٦) - سورة الانعام الاية (١٢٢) .

(٥٦) - سورة النحل الاية (٩٧) .

(٦٦) - هذان البيتان لصالح بن عبد القدوس .

(٧٦) - هذان البيتان للمتنبي .

وقال اخر:

لم يدِر من ظنَّ الحياةَ إقامةً ... أنَّ الحياةَ تنقُلُ وترحُلُ
في كلِّ يومٍ يقطعُ الإنسانُ من ... دنياهُ مرحلةً ويدنو المنهلُ
فإذا يفارقُ دار منشأه امرؤً ... فله إلى دارِ المعادِ تنقلُ (١٦)

اما الشريف الرضي فهو يقول:
نصفُ عيشِ المرءِ حلمٌ والذي ... يعقلُ العاقلُ منه كالحلمِ
وقال اخر:

لو كانَ للمرءِ فكرٌ في عواقبه ... ما شانَ أخلاقه حِرصٌ ولا طمعُ
وكيفَ يدركُ ما في الغيبِ من حدثٍ ... من لم يزلْ يغرورِ العيشِ يخذعُ
دهر يغر وأمالٍ تسر وأع ... ما تمر وأيام لها خدعُ
يسعى الفتى لأمرٍ قد تضربه ... وليس يعلمُ ما يأتي وما يدعُ
يا أيها السادرُ المزور من صلفٍ ... مهلاً فإنك بالأيامِ منخدعُ
دع ما يريبُ وخذ في ما خلقتَ له ... لعلَّ قلبك بالإيمانِ ينتفعُ
إنَّ الحياةَ لثوبٌ سوفَ تخلعه ... وكلُّ ثوبٍ إذا ما رثَ يخالعُ (٢٦)

(١٦) - هذه الابيات لحازم القرطاجني ٦٠٨ - ٦٨٤ هـ / ١٢١١ - ١٢٨٥ م حازم بن محمد بن حسن، بن حازم القرطاجني أبو الحسن. أديب من العلماء له شعر، من أهل قرطاجنة شرقي الأندلس، تعلم بها وبمروية وأخذ عن علماء غرناطة وإشبيلية وتلمذ لأبي علي الشلوبين ثم هاجر إلى مراكش. ومنها إلى تونس، فاشتهر وعمر وتوفي بها. وله (ديوان شعر - ط)

(٢٦) - هذه الابيات لمحمود سامي البارودي ١٢٥٥ - ١٣٢٢ هـ / ١٨٣٩ - ١٩٠٤ م محمود سامي باشا بن حسن حسين ابن عبد الله البارودي المصري. أول ناهض بالشعر العربي من كبوته في العصر الحديث، وأحد القادة الشجعان، جركسي الأصل من سلالة المقام السيفي نوروز الأتابكي (أخي برسباي). نسبته إلى (إيتاي البارود)، بمصر، مولده ووفاته بمصر، تعلم بها في المدرسة الحربية. ورحل إلى الأستانة فأتقن الفارسية والتركية، وله فيها قصائد ورجع إلى مصر فكان من قواد الحملتين المصريتين لمساعدة تركيا. الأولى في ثورة كريد سنة ١٨٦٨، والثانية في الحرب الروسية سنة ١٨٧٧، وتقلب في مناصب انتهت به إلى رئاسة النظارة، واستقال ولما حدثت الثورة العراقية كان في صفوف الثائرين، ودخل الإنجليز القاهرة، فقبض عليه وسجن وحكم بإعدامه، ثم أبدل الحكم بالنفي إلى جزيرة سيلان حيث أقام سبعة عشر عاماً، أكثرها في كندا تعلم الإنجليزية في خلالها وترجم كتباً إلى العربية وكف بصره وعفي عنه سنة ١٣١٧ هـ فعاد إلى مصر. أما شعره فيصح اتخاذه قاتحة للأسلوب العصري الراقي بعد إسفاف النظم زمناً غير معتبر. له (ديوان شعر - ط)، جزآن منه، (ومختارات البارودي - ط) أربعة أجزاء..

٣٩٠٥ تقلب الحياة يحث على عمارتها بالعمل الصالح

اما عبيد الله بن عبيد بن عتبة فهو يقول:

فما صفا لامرءٍ عيش يسره به ... إلا سيتبع صفوه كدرُ (١٦)

تقلب الحياة يحث على عمارتها بالعمل الصالح

ان الصحة في هذه الحياة يعقبها السقم، والقوة يتبعها الضعف، والسرور يخلفه الحزن، والحياة يتبعها الموت، وكل ذلك مما يدعوك الى التزود للحياة الباقية، فان هذه الحياة فانية، ولن يبقى منها الا العمل الصالح، فهو لك متجر راجح، وفي الذكر الحكيم: { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ

الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً { (٢٦) ويرحم الله امير البيان العربي شكيب ارسلان حيث يقول:
تقابلت الامور فكل مر ... يعاقبه اللذيذ المستطاب
ولولا المر لم تشعر بعذب ... ولولا العذب لم يشعر صاب
وكل صعوبة فلها سهول ... وكل سهولة فلها عقاب
أما لو لم يكن ظرفاً نقيض ... لما قيل الخطاب له جواب
ومن طلب الصواب ولم يقابل ... وجوه الامر أعجزه الطلاب

(١٦) - انظر سير اعلام النبلاء للذهبي ج ٤ ص ٤٧٧، والبيت من قصيدة كتبها عبيد الله الى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى،
وعبيد الله هو: الامام الفقيه، مفتي المدينة، واحد الفقهاء السبعة وجده عتبة اخو عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.
(٢٦) - سورة الكهف الاية (٤٦) .

ومن عدم الصواب وقد نحاه..... بأحسن مايجد فلا يعاب
ومن خاض العباب بقصد ربح ... فان الدر ماضم العباب
ومن حسب الحياة مدى طويلا ... يكذب ظنه الاجل القراب
اذا ولي شباب المرء يوما ... فليس يعيد صبوته الخضاب
ألا ليت الشباب يعود يوما ... تقول وانما ذهب الشباب
فلا يشغل فؤادك في شباب ... عن العمل السماع أو الشراب
ولا يقعدك عن عمل فراغ ... ولو لم يعقب العمل اكتساب
وان المرء ان يلزم سكونا ... تولى هيكل الجسد الخراب
ومن اضحى لامر غير كفؤ ... فأليق ما يليق به اجتناب
سيعلم كل من عرف المعالي ... بأن الشغل للعليا نصاب (١٦)

فاغتم الحياة وجد في العمل قبل ان ياتي الاجل، وفي امثال العرب: (احرز امرا اجله) معناه ان الانسان لا يملك ان يفر من اجله
لانه مدركه اينما كان (٢٦) وقال الميداني والزخشي: هذا اصدق مثال قالته العرب. وفي امثال العرب ايضا (اذا انقطعت المدة لم
تنفع العدة) اي اذا انتهى عمر الانسان لم تنفعه اي وسيلة للنجاة، فنفس المرء خطاه الى اجله غير انه لا يدري متى يحل اجله فاستثمر
الحياة ولا تضيعها، قال الشاعر:

فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ ... وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خِيَالُ سَارِي
وَالنَّفْسُ إِنْ رَضِيَتْ بِذَلِكَ أَوْ أَبَتْ ... مُنْقَادَةٌ بِأَرْزَمَةِ الْأَقْدَارِ
فَاقْضُوا مَا رَبَّكُمْ مَجَالًا إِنَّمَا ... أَعْمَارُكُمْ سِفْرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ (٣٦)

وقال اخر:
ضياح العمر في عبث وهو ... ضلال لا يشابهه ضلال
فاذا اردت ان تفلح في حياتك وتؤدي واجبك باعمار الحياة واستثمارها، والنجاة من اثمها وأوزارها فعليك باصلاح نفسك، واصلاحها
يتعين في اصلاح فكرك واصلاح شهوتك، واصلاح الفكر لا يتم الا بتعليمها من العلوم ما تميز به بين الحق والباطل في الاعتقاد، وبين
الصدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في سائر الافعال، واما اصلاح الشهوة فان ذلك لا يتم الا بالتزام الفضيلة بالعفة، والابتعاد
عن الرذيلة، والتعلم في الاخلاق، وكف النفس عن قضا وطر لا يرضى به الخالق الرزاق، وفي الذكر الحكيم: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} (٤٦)
فالشهوة ليست مذمومة في ذاتها، ولهذا كان المطلوب منك ترويض قوة الشهوة واصلاحها،

(١٦) - هذه الابيات لأمير البيان العربي في زمانه الاستاذ العالم الكبير شكيب ارسلان، المولود سنة ١٢٨٦ هـ في الشويفات الاقطاع
الارسلاني ببلن ان الذي بدأ حياته الادبية بنظم الشعر فاشتهر به ولما يعد السابعة عشرة من عمره وقد طبع في ذلك الوقت ديوانا جمع
به اوائل شعره سماه (الباكورة) ولم يتوقف عند ذلك بل تجر في مختلف العلوم اللغوية والثقافية والسياسية والشرعية وسخر قلبه لخدمة

الاسلام والمسلمين وخدم المسلمين بصفاته القيمة واخلاقه الكريمة واوضح فضائح المستعمرين والمبشرين من النصراري وذلك في كتاباته وفي جميع المحافل العربية والدولية وفيما ضمنه كتاب حاضر العالم الاسلامي وهو مطبوع في اربعة مجلدات والكتاب هو ممتع لا يستغني عنه طالب الحقيقة في كل زمان ومكان وان من ينظر جملة الى صنيع الامير شكيب ليجد بحرا زاخرا في الادب ليست اللؤلؤات النظومة في ديوانه الا شقائق الآلي الثورة منه في كل جانب، توفي رحمه الله في شهر محرم ١٣٦٧ هـ، وانظر هذه الايات ضمن قصيدة مطلعها (لمن يا مي هاتيك القباب ... على جبل تفضل بها الشعاب) وذلك في ديوانه المطبوع في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٥ م.

(٢٦) - مجمع الامثال للميداني، ص ٣٨٢. والمستقصى للزخشي ج ١ ص ٦٣. وكنوز الامثال ص ٢٧٣.

(٣٦) - هذه الايات للتهايمي.

(٤٦) - سورة الشمس الاية (٩) .

٣٩٠٦ التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا يعني عمارة الحياة بالعمل الصالح

فهي انما تكون مذمومة اذا كانت مفترطه واهملها صاحبها ولم يوظفها فيما خلقت له وانما تجاوز واعتدى ولم يستمتع بالحلال في الفرج والمال، مع انه لا سبيل الى الاستمتاع بالحياة، والانتفاع بها الا بحفظ البدن، واعادة ما يتخلل منه، ولا سبيل لذلك الا بالغذاء وطلب المال من الحلال، والاستمتاع بالحلال من النساء، فالشهوة محتاج اليها ومرغوب فيها وتقتضي الحكمة الإلاهية ايجادها وتزيينها، والاستعداد بذلك لنيل الحياة الدائمة في الدار الآخرة وفي الذكر الحكيم: {زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ * قُلْ أُوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ} (١٦) .

التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا يعني عمارة الحياة بالعمل الصالح

ان الاعتقاد بحياة اخرى افضل من الحياة الدنيا هو ما يشجع على العمل الصالح، وعلى التاخي والتعاون والتراحم، وهو الذي يدخل الغزاء الى النفوس المعذبة التي اصابتها مصائب الحياة، كما ان هذا الاعتقاد يمد المؤمنين بقوة روحية تجعلهم لا يبالون بمصائب الدنيا وارتاحها، فليس لياس والاحباط من سبيل الى نفوسهم {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (٢٦) فهم في عمل دائم يرجون ثواب الله ويخشون عقابه غير مغترين بلهو الحياة ومتعها، وفي الذكر الحكيم: {اعلموا انما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموالِ والأولادِ كمثلٍ غَيْثٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} (٣٦) وفي هذه الاية الكريمة ما يدعو الى الايثار وطلب مغفرة الله ورضوانه، فوصف الحياة بالهو والزينة والتفاخر والتكاثر في الاموال والاولاد لايعني تحريم ذلك، وعدم جواز طلبه من الحلال وانما يعني ان كل ماتعجبون به انما هو في حقيقة الامر متاع زائل يشبه ذلك المطر الذي يعجب الزارعين ثم لا يلبث ان يكون حطاما، فلا تغتروا بالدنيا فانكم اذا طلبتم رضوان الله فيما تعملون فستحصلون الخير في الحياة الباقية، وتنالون المغفرة، اما اذا اخذكم الغرور ونسيتم الرب الغفور فان هناك عذابا شديدا، واحرى بالانسان ان يحرص على الباقيات الصالحات فيما يطلبه في هذه الحياة لينال الانسان الثواب ويكون قد استمتع بالحياة واستثمرها، وحصل على حياة باقية، وامن من الحساب ونجا من العذاب فهو لم يقصد الدنيا لذاتها، ولم يضع في حياته اوقاتها، وفي سورة الكهف يقول الحق سبحانه وتعالى: {وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطُ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ}

(١٦) - سورة آل عمران الاية (١٤-١٥) .

(٢٦) - سورة التوبة الاية (٥١) .

(٣٦) - سورة الحديد الاية (٢٠) .

الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَمْلًا} (١٦)

فالقرآن الكريم يفضل الحياة الآخرة على الدنيا، ولا سبيل إلى الوصول إلى الآخرة إلا بعمل هذه الحياة حسب أوامر الله ونواهيه لينال الإنسان الحياة الدائمة غير مغتر بالحياة الدنيا حتى لا يحمله ذلك على ظلم الناس بهذه الحياة: { وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لُحُوبٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَمِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (٢٦) وفي سورة الانفال يقول الكبير المتعال: { تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (٣٦) وفي سورة الأعلى { بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى } (٤٦) وإياك ان تغتر وتترك العمل او تحرم في هذه الحياة ماباحه الله لك واحل: { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (٥٦) .

(١٦) - سورة الكهف الاية (٤٥-٤٦) .

(٢٦) - سورة العنكبوت الاية (٦٤) .

(٣٦) - سورة الانفال الاية (٦٧) .

(٤٦) - سورة الانفال الاية (١٦-١٩) .

(٥٦) - سورة الاعراف الاية (٣٢) .

٣٩.٧ الايمان بالحياة الآخرة والتشويق لها ممايحث على عمارة الحياة الدنيا بالعمل الصالح

الايمان بالحياة الآخرة والتشويق لها ممايحث على عمارة الحياة الدنيا بالعمل الصالح ان تفضيل الحياة الآخرة على الحياة الدنيا، هو امر يبعث على عمارة الحياة الدنيا بالاعمال الصالحة لكي ينال الإنسان حياة يتمتع فيها بالذائد والطيبات دونما الام او متاع او اعراض او كوارث او مصائب او مصاعب، فهي حياة لا يعقبها الموت، وفي الذكر الحكيم: { وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَمِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (١٦) اي الحياة التي لا فناء بعدها، والشباب الذي لاشيخوخة ولا ضعف بعده، والمسكن التي لامثيل لها، والملابس والثياب من الحرير، فهي تحتوي على متع من النعيم مختلفة الانواع، ففيها صحائف الذهب والفضة التي فيها اطيب انواع الطعام، والذ اصناف الشراب، وفيها ما تشتهي النفس وتلذ الاعين، يتمتع الرجال والنساء فيها على سواء فينعم النساء بما ينعم به الرجال، قال تعالى: { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ } (٢٦) وقال تعالى: { ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ } (٣٦) ويقول وهو العزيز الحكيم: { وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (٤٦)

ويقول سبحانه في وصف نعيم الجنة وبيان ان المؤمنين ورثوها بالعمل الصالح { يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهُهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَّذُ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ } (٥٦) وفي سورة البقرة الخبر اليقين والامر بتبشير المؤمنين بالخير الوفير في تلك الحياة الآخرة في جنات عدن: { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رُزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (٦٦) فارت هذه الحياة الابدية انما ياتي به الله لمن آمن في هذه الحياة الدنيا، وعمل صالحا ولم يكن غليظ القلب كافرا بانعم الله، فالذي تنتهي حياته إلى الموت، هو في حكم الميت، فاعمل لنفسك بما يحييها الله به حياة طيبة، فحياتك ليست اصيلة في وجودها فاذا اصاب جزءاً من اعضائك مرض او عطل اصبحت حياتك بحيماء، اما في الآخرة فحياتك اذا اكرمك الله لا يعرفها مرض ولا يخالطها خوف، فقو صلتك بالله الذي وهبك الحياة، واعلم ان الله وحده هو دائم الحياة، فهو الحي الذي لا يموت، وهو الذي يحيي ويميت، وهو يهب للانسان حياة بعد الممات يشقى الانسان فيها اذا خالف اوامر الله وتعدى حدوده، ويسعد في الحياة الآخرة اذا

امن بالله وعمل صالحا، وفي الذكر

- (١٦) - سورة العنكبوت الاية (٦٤) .
- (٢٦) - سورة النساء الاية (١٢٤) .
- (٣٦) - سورة الزخرف الاية (٧٠) .
- (٤٦) - سورة التوبة الاية (٧٢) .
- (٥٦) - سورة الزخرف الاية (٦٨-٧٣) .
- (٦٦) - سورة البقرة الاية (٢٥) .

٣٩٠٨ الحي القيوم في اسماء الله الحسنى

الحكيم: {أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١٦) وإذا كان الله سبحانه وتعالى حي متصف بالحياة والقدرة والقوة والبقاء فهو الذي لم يسبق وجوده عدم ولا يلحق بقاءه فناء، وهو الذي خلق الموت والحياة ويده المنع والعطاء، وهو الذي يحيي من يشاء ويميت من يشاء، فانه خالق بالانسان العاقل ان يؤمن به سبحانه وتعالى، وان يتعرف عليه وعلى اسمه الحي القيوم، وان يدعو، ويساله الحياة الطيبة ويتوكل عليه سبحانه وتعالى، وفي التنزيل يقول العزيز الرحيم: {الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (٢٦) وفي سورة الفرقان يقول الكريم المنان: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} (٣٦) وفي سورة غافر يقول جل شأنه: {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (٤٦) .

الحي القيوم في اسماء الله الحسنى

الحي القيوم من اسماء الله الحسنى وقد جاء الاسمان متلازمان في ثلاثة مواضع في كتاب الله في قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} (٥٦) وقوله تعالى {الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (٦٦) وقوله تعالى: {وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} (٧٦) و (الحي القيوم) جمعهما في غاية المناسبة كما جمعهما الله في عدة مواضع في كتابه، وذلك أنهما محتويان على جميع صفات الكمال، فالحي هو كامل الحياة، وذلك يتضمن جميع الصفات الذاتية لله كالعلم، والعزة، والقدرة والإرادة، والعظمة، والكبرياء، وغيرها من صفات الذات المقدسة، والقيوم هو كامل القيومية وله معنيان: هو الذي قام بنفسه، وعظمت صفاته، واستغنى عن جميع مخلوقاته. وقامت به الأرض والسموات وما فيهما من المخلوقات، فهو الذي أوجدها وأمدّها وأعدّها لكل ما فيه بقاءها وصلاحتها وقيامها، فهو الغني عنها من كل وجه وهي التي افتقرت إليه من كل وجه، فالحي والقيوم من له صفة كل كمال وهو الفعال لما يريد (٨٦) ، وقال الطبري: وأما قوله: "الحي" فإنه يعني: الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له بحد، ولا آخر له بأمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيا فلحياته أول محدود وآخر ممدود، ينقطع بانقطاع أمدّها، وينقضي بانقضاء غايتها (٩٦) ، وقال الزمخشري:

- (١٦) - سورة الانعام الاية (١٢٢) .
- (٢٦) - سورة آل عمران الاية (٦١) .
- (٣٦) - سورة الانفال الاية (٥٨) .
- (٤٦) - سورة غافر الاية (٦٥) .
- (٥٦) - سورة البقرة الاية (٢٥٥) .

- (٦٦) - سورة آل عمران الآية (٢-١) .
- (٧٦) - سورة طه الآية (١١١) .
- (٨٦) - شرح اسماء الله الحسنى ص ١٥٧ .
- (٩٦) - جامع البيان ج ٥ ص ٣٨٦ .

٣٩٠٩ ثمره معرف اسم الله القيوم

(الحى) الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء، وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح أن يعلم ويقدر. و (القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه (١٦) وقال ابن كثير: (الحى القيوم) أي: الحى في نفسه الذي لا يموت أبدا القيم لغيره (٢٦) وقال القرطبي: الحى جل جلاله وتقدس اسماءه نطق به القرآن، وجاء في حديث ابي هريرة واجمعت عليه الأمة، ويجوز اجراؤه على المخلوق (٣٦) وقال في اسمه القيوم نطق به القرآن وجاء في حديث ابي هريرة واجمعت عليه الأمة وقيام وقائم وقيم كله ورد في حقه سبحانه، ويجوز وصف العبد بانه قائم وقيم كما قال تعالى: {إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا} (٤٦) ولا يجوز قيوم على العبد لا منكرا ولا معرفا (٥٦) .

ثمره معرف اسم الله القيوم

اذا عرف المكلف ان الله سبحانه وتعالى حى قيوم لا يحول ولا يزول القائم الدائم الذي له الحياة الدائمة والبقاء، وانه منزه عن مشابه الخلق فلا يجري عليه الموت او الفناء ولا تاخذه سنة ولا نوم يرفع ويخفض ويقبض ويبسط، ويرزق ويحيي ويميت، وانه يهب لاهل الجنة الحياة الدائمة، وانه قائم على كل نفس بما كسبت يحفظ ويجازي ويحاسب، وفي الذكر الحكيم: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} (٦٦) وجب عليه ان يؤمن به ويتوكل عليه ويقدمه وينزهه ،

- (١٦) - تفسير الزمخشري ص ٢٢٥ .
- (٢٦) - تفسير ابن كثير ج ١ ص ٦٨٧ .
- (٣٦) - الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى، ص ٣٧٧ .
- (٤٦) - سورة آل عمران الآية (٧٥) .
- (٥٦) - الاسنى المصدر السابق ص ٤٧٣ .
- (٦٦) - سورة طه الآية (١١١) .

٣٩٠١٠ دعاء الله باسمه الحى القيوم

ويعبده حق عبادته، فهو المدير لامر الخلائق في السماء والارض، المصرف لشؤونها لانها ليست قائمة بنفسها بل محتاجة للحى القيوم الذي يرزقها ويحييها ويقيمها، ولا شك ان من عرف هذا في ربه توكل عليه، وانقطع قلبه عن الخلق اليه، ذلك انهم محتاجون مفتقرون مثله الى خالقهم في قيامهم وقعودهم وحياتهم ومماتهم وبعدهم ومماتهم، في دينهم وديناهم، فكيف يرجوهم بعد ذلك؟ وقد علم ان الله سبحانه وتعالى واهب الحياة ومالكها فله الكمال والقدرة التامة، وهو القيوم الذي له كمال القدرة فهو القائم بنفسه المقيم لغيره فلا قيام لغيره الا باقامته فهو القائم بتدبير ما خلق وله الحياة وله الممات، قال تعالى: {قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (١٦) وجاء في حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَشَهَّدَ دَعَا فَقَالَ فِي دُعَائِهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ تَدْرُونَ بِمَا دَعَا قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ (٢٦) وجاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم: من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثا غفرت له ذنوبه وإن كان فارا من الزحف (٣٠) .
دعاء الله باسمه الحي القيوم

يا الله يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والارض انت الحي الذي لا يموت احيني بذكرك ووفقني لطاعتك وعبادتك، واحي ما كان لك مني ميتا، واحي دينك باهل التقى، واجعلني في جنتك أحي ابداء، وفي البرزخ والقبر اجعلني حيا مع الانبياء والشهداء لا اموت وافوت فانت الحي القيوم الكريم الرحيم بمن تشاء، واسألك يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا قيوم السماوات والارض ان تقيمني باسمك العظيم على صراط من انعمت عليهم من اهل النعيم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وان تلبسني تاج اسمك وسربال آلائك وشرفك العظيم، وان تحيي قلبي بذكرك وان تحييني والمؤمنين حياة طيبة يا محيي يا وهاب يا كريم وان تغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وصل اللهم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد، وسلم تسليما كثيرا. ورحم الله القائل:

يا فَرْدَ يا حَيَّ يا قَيِّومَ يا مَلِكاً ... يا أَوْلَا أَرْزَلاً يا آخِرَ أَبَدِي
أَنْتَ الْغَنِيُّ عَنِ الْأَمْثَالِ وَالشَّرْكَاءِ ... أَنْتَ الْمُقَدَّسُ عَنِ زَوْجِ وَعَن وَدِّ
أَنْتَ الْغِيَاثُ لِمَنْ ضَاقتْ مَذَاهِبُهُ ... وَمَنْ أَلَمَّ بِهِ خَطْبٌ مِنَ الْكِنْدِ
أَنْتَ الْقَرِيبُ الْمُجِيبُ الْمُسْتَعَاثُ بِهِ ... وَأَنْتَ يا رَبِّ لِلرَّاجِينَ بِالرَّصَدِ
أَرْجوكَ تَغْفِرُ لي أَرْجوكَ تَرْحَمُني ... أَرْجوكَ تُذْهِبُ ما عِنْدِي مِنَ الْأَوْدِ
(١٦) - سورة الانعام الاية (١٦٢) .

(٢٦) - النسائي في سننه حديث رقم (١٢٨٣) .

(٣٦) - المستدرک للحاکم حديث رقم (١٨٨٤) .

أَرْجوكَ تَهْدِيني أَرْجوكَ تُرْشِدُني..... لما هُوَ الْحَقُّ في فِعْلي وَمُعْتَقَدِي
أَرْجوكَ تَكْفِيني أَرْجوكَ تُغْنِيني ... بِفَضْلِكَ اللهُ يا رُكْنِي ويا سَدِّي
أَرْجوكَ تَنْظِرُني أَرْجوكَ تَصْرِيني ... أَرْجوكَ تُصَلِّحُ لي قَلْبِي مَعَ الْجَسَدِ
أَرْجوكَ تَعْصِمُني أَرْجوكَ تَحْفَظُني ... يا رَبِّ مِنْ شَرِّ ذِي بَغْيٍ وَذِي حَسَدِ
أَرْجوكَ تُحْيِيني أَرْجوكَ تَقْبِضُني ... عَلى البَصِيرَةِ وَالإِحْسانِ وَالرُّشْدِ
أَرْجوكَ تُكْرِمُني أَرْجوكَ تُرْفَعُني ... أَرْجوكَ تُسَكِّنُني في جَنَّةِ الْخُلْدِ
مَعَ الْقَرَابَةِ وَالْأَحْبابِ وَاشْمَلْنَا ... بِالْفَضْلِ وَالْجودِ في الدُّنْيا وَيومِ غَدِ
وَجِهْتُ وَجْهِي إِيْلكَ اللهُ مُفْتَقِراً ... لِنَيْلِ مَعْرُوفِكَ الْجاري بِلا أَمْدِ
وَلَا بَرَحِ أَمْدِ الْكَفِّ مَبْتَهَلاً ... إِيْلكَ في حَالَةِ الإِملاقِ وَالرَّغْدِ
وَقائِلاً بِإِفْتِقارِ لا يُفارقُني ... يا سَيِّدِي يا كَرِيمِ الْوَجْهِ خُذْ بِيْدي (١٦)

(١٦) - هذه الايات للعلامة عبد الله الحداد.

٤٠ الفصل التاسع والثلاثون الاستغفار

الفصل التاسع والثلاثون

٤٠٠١ الاستغفار

الاستغفار

الاستغفار دواء الذنوب وشفاء القلوب، وبه النجاة، والأمان من الهلكة، فالاستغفار نعمة، وسبب في التخلص من كل بلاء ومحنة، وحصول كل خير ونعمة، وهو سبب لحصول الرزق، وبه تحصل على رضا الرب، والتخلص من التلبس بالذنوب، والاستغفار يعني طلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى باللسان والقلب معاً. وشرط قبوله: الاقلاع عن الذنب المستغفر منه، وفي الذكر الحكيم: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَأْتِيهِمْ أَلَاءٌ مِنَ اللَّهِ وَكَرِيمَةٌ} (١٦) وفي سورة النساء يقول الحق تبارك وتعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} (٢٦) وفي سورة الزمر يقول الرؤف الرحيم: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (٣٦) وجاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ اسْتَغْفِرُ اللَّهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ (٤٦) .

(١٦) - سورة آل عمران الآية (١٣٥-١٣٦) .

(٢٦) - سورة النساء الآية (١١٠) .

(٣٦) - سورة الزمر الآية (٥٣) .

(٤٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٧٤٩) .

٤٠٠٢ الله يغفر الذنوب جميعاً فلا تكن من القانتين

قال الشاعر:

لَهُنَا لَعَمْرُ اللَّهِ حَتَّىٰ تَتَابَعَتْ ... ذُنُوبٌ عَلَىٰ آثَارِهِنَّ ذُنُوبٌ

فِيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَىٰ ... وَيَأْذَنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَتَتُوبُ (١٦)

وقال اخر:

نوح الحمام على الغصون شجاني ... وراى العذول صبايبي فبكاني

إن الحمام ينوح من خوف النوى ... وأنا انوح مخافة الرحمن

الله يغفر الذنوب جميعاً فلا تكن من القانتين

ان الله جل وعلا قد جعل فرجا للمؤمن وجعل له فرصة للتخلص من ذنوبه فلا تيأس، ولا تكن محبطاً، فالله جل وعلا يغفر الذنوب جميعاً، ويدعوك الى الاستغفار والتوبة، فالشيطان يدعوك عند عمل معصية او ذنب الى الاستمرار فيه والاصرار عليه، فلا تتبع خطواته، ولا تصغ الى نصائحه فانه غاش، واسعد بالاستغفار، وبالتضرع الى العزيز الغفار، واستمع الى كلام الله عليه يشرح صدرك ويزل همك وغمك: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ} (٢٦) وفي الحديث القدسي (يَا عِبَادِيَ إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ) ((٣٦)) فالشريعة سهلة ميسرة فلا تحزن ولا تقنط فاستغفر لذنبك فان في ذلك علاج نفسك وراحة بالك، واستقامة حالك، فالمقبل على الله بالاستغفار يبقى في الدنيا منتظماً الحال مرفه البال، فالاستغفار من الذنب

(١٦) - هذان البيتان لابي العتاهية.

(٢٦) - سورة طه الآية (٨٢) .

(٣٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٤٦٧٤) .

٤٠٠٣ الاستغفار علاج للأمراض النفسية

والاقلاع عنه وسيلة لنيل رحمة الله، ونيل الخيرات والعطايا في الحياة الدنيا، وفي الذكر الحكيم: {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُسْمِعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} (١٦)

قال الشاعر:

يا من عدى ثم اعتدى ثم اترف ... ثم ارعوى ثم انتهى ثم اعترف

ابشر بقول الله في آياته ... ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (٢٦)

وقال اخر:

ما زلت اعرف بالاساءة دائما ... ويكون منك العفو والغفران

لم تنتقصني إن اسأت وزدتني ... حتى كان اساءتي احسان

منك التفضل والتكرم والرضا ... أنت الإله المنعم المنان

الاستغفار علاج للأمراض النفسية

الاستغفار فيه علاج للأمراض النفسية، فاستشعار الانسان العفو عنه بالاستغفار يزيل العقد النفسية، والهجوم الفكرية، فما لاريب فيه ان المؤمن الذي يشعر برقابة الله عليه في كافة اعماله تقل اخطاؤه لاحاله، ولكن الانسان بطبيعته غير معصوم وهو بشر ضعيف، قد تزل قدمه فيقع في الخطا، ولكنه اذا اخطا ثاب الى رشده ونهض من كبوته، فهو يستغفر الله ليزيح ما علق به من الاثم، ثم يستأنف طريقه الى الغاية التي خلق من اجلها (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ

(١٦) - سورة هود الاية (٣) .

(٢٦) - هذان البيتان لعبد القادر بن طاهر التيمي .

التَّوَابُونَ) (١٦) ولهذا فان الحق سبحانه وتعالى جعل للمخطئ طريقا يجد له بها عذرا بطلب المغفرة التي تؤدي الى محاسبة النفس ومراقبه الله فباستطاعة اي انسان ان يتوجه الى ربه مباشرة نادما طالبا لمغفرة الله ورضوانه، وذلك ما يؤدي الى سكنة النفس وطهارتها وذهاب الكبت الذي يسبب عقدا نفسية، فقد قرر علماء النفس وعلى راسهم (فرويد) مؤسس مدرسة التحليل النفسي ان كافة الامراض النفسية ترجع الى الكبت الذي يسبب عقدا نفسية لاشفاء منها الا بما يسمونه التحليل النفسي الذي يتم بأن يجلس الانسان في عيادة الطبيب النفسي ويعترف امامه بأخطائه ... وهذا الاعتراف يقول عنه الاطباء انه صفة منطقية نفسية سلوكية تكشف عن اخطاء المريض فيراها ويشعر بها، فتحدث مهادنة بين النفس والضمير فيسمح الضمير، واذا تسامح الضمير واستشعر الانسان العفو منه والصفاء بينه وبين النفس زالت العقد النفسية. والعقد النفسية ليست وهما، فكثيرا ماتسبب هذه العقد الصداع، واضطرابات القلب، وامراض الضغط العالي وغيرها من الامراض، واذا كان علاجها هو الاعتراف بالخطأ امام الطبيب ليتسامح الضمير فاي فرق بين الاعتراف امام الله وامام الطبيب، واي فرق بين غفران الله وتسامح الضمير (٢٦) قلت: نظرية الاعتراف بالذنب والاستغفار هي نظرية جاء بها القرآن، وهي اكثر فائدة من نظرية الاعتراف امام الطبيب في عيادة الامراض النفسية، بل ان في ذلك شفاء للنفس وبلسما يشفي من امراض كثيرة وفيه نجاة

(١٦) - ابن ماجة في سننه، باب ذكر التوبة حديث رقم (٤٢٤١) .

(٢٦) - روح الدين الاسلامي ص ١٨٦ نقلا عن كتاب الاسلام والعلم الحديث تاليف/ عبد الرزاق نوفل ص ١٤٢ .

٤٠٠٤ الاستغفار وعمل الخير فيه تكفير للذنب

من عذاب الله وخروج من المحنة والابتلاء، وفي الذكر الحكيم: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّبُ الْمُؤْمِنِينَ} (١٦) فقد كان في هذا

الاعتراف الفرغ بعد الشدة والنجاة من الغم والفوز برضاء الله سبحانه وتعالى، وفي قوله جل وعلا { وَكَذَلِكَ نُخَيِّبُ الْمُؤْمِنِينَ } ارشاد للمؤمنين باتباع هذا النهج السوي الذي به الخروج من المضائق والفتن والمحن، وبه النجاة من النار، فاذا كان الاعتراف امام طيب نفسي يشفي من كثير من الامراض النفسية مع ان الطيب لا يملك لنفسه فضلا عن غيره ضرا ولا نفعا الا بما شاء الله وقدر، فكيف بالانسان اذا توجه لطلب المغفرة من الله، وقد ارشده الى ذلك، فهو الرب الكريم الرحيم، الذي يملك العفو، ويملك الشفاء، ويديه خير الدنيا والاخرى، وقد هدى ادم ودله على الاعتراف والاستغفار من الذنب قال تعالى: { فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (٢٦) فنادى ادم وحواء ربهما بما حكاه الله سبحانه وتعالى: { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } (٣٦) وهذا نوح عليه السلام يقول { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } (٤٦) ولكن الاستغفار يتطلب التوبة بعده بالرجوع الى الله سبحانه وتعالى لكي ينال الانسان السعادة: { وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُصْحَبْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } (٥٦) ففي الاستغفار والتوبة الحصول على رضوان الله واحسانه وزوال الضيق وذهاب الهم والحزن والاستقامة في الحال والطاعة لله سبحانه وتعالى والتوسعة في الرزق وتبديل السيئات بالحسنات، فسارع الى طلب المغفرة لتفوز بالشفاء من امراض النفس واوهاما وعللها وادوائها لكي تعيش سعيدا رشيدا امنا معافا في الدنيا والاخرة وفي الذكر الحكيم: { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } (٦٦)

الاستغفار وعمل الخير فيه تكفير للذنب

ايمان الانسان بأن الله سبحانه وتعالى يغفر الذنب ويخلص الانسان من الاثام ويجعل منه انسانا سويا يحب الله ويحب الخير لعباده، وقد جعل الله فرصة التطهر والتخلص من الاثام ممزوجة بالتزود من الحسنات، ففعل الخير للناس فيه تكفير للاثم وحث على عمل الصالحات، وفي الذكر الحكيم: { إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلَّذِينَ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ } (٧٦) فإيمان الانسان بأن الحسنات تذهب السيئات تجعل منه انسانا قادرا على النهوض من كبوته والخروج من محنته حتى وإن زلت قدمه ووقع في خطيئة استغفر واناب وفي القرآن العظيم: { وَأَخْرَجُوا عَتْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ }

- (١٦) - سورة الانبياء الاية (٨٧-٨٨)
- (٢٦) - سورة البقرة الاية (٣٧)
- (٣٦) - سورة الاعراف الاية (٢٣)
- (٤٦) - سورة نوح الايات (١٠-١٢)
- (٥٦) - سورة هود الاية (٣)
- (٦٦) - سورة آل عمران الاية (١٣٣)
- (٧٦) - سورة هود الاية (١١٤)

٤٠٥ قصة لعمر بن الخطاب

خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ { (١٦) وفي الحديث النبوي (وَاتَّبَعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا) (٢٦) وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل: وما هي؟ قال الاستغفار. وقال قتادة رحمه الله: القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم. اما دائكم فالذنوب واما دوائكم فالاستغفار. وقال بعض العلماء رحمهم الله: العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الحمد والاستغفار (٣٦).

قصة لعمر بن الخطاب

أَصَابَ النَّاسَ حُطٌّ فِي عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَصَعِدَ عُمَرُ الْمَنْبَرِ فَاسْتَسْقَىٰ فَلَمْ يَزِدْ عَلَىٰ الْإِسْتِغْفَارِ حَتَّىٰ نَزَلَ فَقَالُوا لَهُ: مَا سَمِعْنَاكَ يَا أَمِيرَ

المؤمنين استسقيت فقال: لقد طلبت الغيث بمفاتيح السماء التي بها يستنزل المطر، ثم قرأ هذه الآية (استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) (ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين) (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه) . ورواه غيره عن مطرف فقال: بمجاديع السماء (٤٦) .

الاستغفار سبب سعادة وبشارة
الاستغفار سبب سعة الرزق، وكذلك انجاب الاولاد ونجاتهم، ونزول الامطار وظهور الخيرات وحصول البركات وهذا يعني ان سعادة الدنيا وخيراتها

- (١٦) - سورة التوبة الاية (١٠٢) .
(٢٦) - الترمذي في سننه حديث رقم ١٩١٠ .
(٣٦) - دليل السائلين ص ٤٢ .
(٤٦) - البيهقي في السنن الكبرى حديث رقم (٦٦٥٣) .

٤٠٠٦ الغفور الغافر الغفار من اسماء الله الحسنى

تنهال ترى بالاستغفار، وقد روي عن الربيع ابن صبيح ان رجلا اتى الحسن وشكا اليه الجذب فقال له: استغفر الله تعالى، واتى اخر فشكا اليه الفقر فقال له: استغفر الله تعالى، واتى اليه اخر فقال له ادعو الله سبحانه ان يرزقني ابنا فقال له استغفر الله تعالى، واتاه اخر فشكا اليه يباس بساتينه فقال له: استغفر الله تعالى، فقلنا اتاك رجال يشكون الوانا ويسالون انواعا وامرتهم كلهم بالاستغفار فقال ما قلت من نفسي شيئا انما اعتبرت قول الله تعالى حكاية عن نبيه نوح عليه السلام: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} (١٦) فالاستغفار علاج للضعف البشري فالله سبحانه وتعالى غفار للذنوب، فتعرف على اسمه الغفار الغفور واستيقض من غفلتك فلولا ان الله سبحانه وتعالى غفار غفور يستر الذنب ويعفو عن السيئات ما كنا ندرى ماذا سيحل بنا، ولكن الله سبحانه وتعالى بشرنا بانه الغفور الرحيم وانه يعفو عن السيئات وانه يمد من استغفر بالمال والبنين وانواع من الخيرات قال تعالى: {نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} (٢٦) وقال جل شاناه: {وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَأَمَّنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغُفُورٌ رَحِيمٌ} (٣٦) وفي سورة الانفال يقول الكبير المتعال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ} (٤٦) .

ولله در القائل:

استغفر الله ذنبا غير محصيه ... رب العباد اليه الوجه والعمل
الغفور الغافر الغفار من اسماء الله الحسنى

سمى الله سبحانه وتعالى نفسه في احدى وعشرين آية في كتاب الله، منها قوله تعالى: {وَاللَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ} (٥٦) وقوله تعالى: {أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ} (٦٦) وقوله تعالى: {وَهُوَ الْغُفُورُ الْوَدُودُ} (٧٦) وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ غُفُورٌ شَكُورٌ} (٨٦) وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غُفُورٌ} (٩٦) واما اسمه (الغفار) فقد جاء في خمس آيات منها، قوله تعالى: {هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ} (١٠٦) وقوله تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} (١١٦) فعمل ان (الغفور) في القرآن ورد اكثر بكثير من (الغفار) والغفار ابغ من الغفور وكلاهما من ابنية المبالغة، وورد اسمه الغفور في حديث ابي هريرة رضي الله عنه عند الترمذي يرفعه الى النبي صلى الله عليه وآله

(١٦) - سورة نوح الايات (١٠-١٢)

- (٢٦) - سورة الحجر الايات (٤٩-٥٠)
- (٣٦) - سورة الاعراف الاية (١٥٣) .
- (٤٦) - سورة الانفال الاية (٧٠) .
- (٥٦) - سورة الانفال الاية (٧٠) .
- (٦٦) - سورة الشورى الاية (٥) .
- (٧٦) - سورة البروج الاية (١٤) .
- (٨٦) - سورة الشورى الاية (٢٣) .
- (٩٦) - سورة فاطر الاية (٢٨) .
- (١٠٦) - سورة الزمر الاية (٥) .
- (١١٦) - سورة طه الاية (٨٢) .

وسلم والذي ورد فيه تعداد اسماء الله الحسنى ومنها اسمه (الغفور) , واما اسمه الغافر فقد نطق به التنزيل مرة واحدة قال تعالى: {حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ} (١٦) واصل الغفر في الغة: التغطية والستر يقال غفر الله له ذنوبه اي: ستره, والمغفرة: التغطية والمغفر: هو حلق يتنقع به المتسلح يقيه ويستره (٢٦) ومعنا الاسماء في حق الله تعالى قال الزجاج: ومعنا الغفر في حق الله سبحانه وتعالى, هو الذي يستر ذنوب عباده ويغطيهم بستره (٣٦) قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: الْعَفْوُ وَزَنَّهُ فَعُولٌ مِنَ الْعَفْوِ وَهُوَ بِنَاءُ الْمُبَالَغَةِ، وَالْعَفْوُ الصَّفْحُ عَنِ الذَّنْبِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْعَفْوَ مَا خُوذُ مِنْ عَفْتِ الرِّيحِ الْأَثَرَ إِذَا دَرَسَتْهُ، فَكَأَنَّ الْعَافِيَ عَنِ الذَّنْبِ يَمْحُوهُ بِصَفْحِهِ عَنْهُ. وَمِنْهَا الْعَافِرُ: قَالَ اللَّهُ جَلَّ شَأْؤُهُ: غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ قَالَ الْحَلِيمِيُّ: وَهُوَ الَّذِي يَسْتُرُ عَلَى الْمَذْنِبِ وَلَا يُؤَاخِذُهُ بِهِ، فَيَسْتُرُهُ وَيَفْضَحُهُ (٤٦) , ويتبين من هذا العرض ان الله سبحانه وتعالى الغفور الذي يغفر الذنوب, وان الغفار هو المبالغ في الستر فلا يشهر الذنوب لافي الدنيا ولا في الاخرة تقول غفر الله لك, واليوم يغفر الله لكم غفرا فهو الغفور والغفار والغافر, والايات الواردة في المغفرة كثيرة جدا منها: ما ورد بلفظ الماضي قال تعالى في

- (١٦) - سورة غافر الاية (٣-١) .
- (٢٦) - تفسير الاسماء للزجاج ص ٣٧٠ . والنهاية في غريب الحديث والاثار ج ٣ ص ٣٧٣ . واللسان لبن منظور ج ٤ ص ٣٢٧٣ , مادة غفر.

(٣٦) - تفسير الاسماء ص ٣٨ .

(٤٦) - الاسماء والصفات للبيهقي ص ١٤٩ .

قصة داود عليه السلام: { فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ } (١٦) وفي ذلك ما يشعر بان كل من استغفر الله بلسانه وقلبه غفر له, ومنها: ما ورد بلفظ المستقبل, قال تعالى: { وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } (٢٦) وفي ذلك ما يفيد انه مالك العفو والمغفرة فهو يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقد اقتضت مشيئته انه يغفر ذنوب من اناب اليه ورجع اليه, قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (٣٦) ومنها: ما ورد بلفظ الامر وفي ذلك ما يرشد الى تعليم العباد طلب العفو والمغفرة من الله سبحانه وتعالى: { وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } (٤٦) ومنها: ما ورد بلفظ المصدر: { غُفِرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (٥٦) وفي ذلك ما يفهم طلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى من جميع الذنوب فالمصدر كما هو معروف عند ائمة اللغة مفرد في اللفظ مجموع في المعنى فسبحان من اظهر الجميل وستر القبيح بالعفو والمغفرة, والذنوب من جملة القبائح التي سترها بارسال الستر عليها في الدنيا, وتجاوز عقوبتها في الاخرة فهو سبحانه وتعالى كامل المغفرة (٦٦) وواسعها.

- (١٦) - سورة ص الاية (٢٤-٢٥) .
- (٢٦) - سورة النساء الاية (٤٨) .
- (٣٦) - سورة الزمر الاية (٥٣) .
- (٤٦) - سورة البقرة الاية (٢٨٦) .
- (٥٦) - سورة البقرة الاية (٨٥) .

(٦٦) - الجامع لاسماء الله الحسنى ص ٢١٣.

٤٠٠٧ ثمره معرفة اسمه الغفور الغافر الغفار

ثمره معرفة اسمه الغفور الغافر الغفار

إذا علم المكلف ان الله سبحانه وتعالى هو الغفور الغافر الغفار على الاطلاق وبكل وجه من الاستحقاق، وان مغفرته لمن تاب بعد زلته منصوص عليه في الكتاب، فكل من اقلع عن زلته وصدق الله في توبته عفا الله عنه وغفر له وعاد كمن لا ذنب له، قال تعالى: {إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} (١٦) وقال: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} (٢٦) وجب عليه ان يؤمن به ويسأله المغفرة، ولا يقنط من رحمة الله، وذلك امر من لازمه ان يغفر لمن اذنب في حقه، ويحسن الى من اساء اليه، وان يستغفر الله من كل ذنب وقع فيه، وان يستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم من كل ما كره الله من قول وفعل وخاطر وخطيئة ونية دبر الصلوات وفي الاسحار لينال ثواب الله ومغفرته، وهدايه وتوفيقه، وثناءه واكرامه، فقد مدح الله المستغفرين واثني عليهم في محكم الذكر الحكيم فقال وهو الغفور الرحيم: {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} (٣٦) وقال سبحانه: {كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} (٤٦) وقال جل شأنه: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (٥٦) كما يجب على المؤمن ان يستتر عن الناس بذنبه ويعترف لربه ففي الحديث النبوي: كُلُّ أُمَّتِي

(١٦) - سورة الانفال الاية (٣٨) .

(٢٦) - سورة طه الاية (٨٢) .

(٣٦) - سورة آل عمران الاية (١٦-١٧) .

(٤٦) - سورة الذاريات الاية (١٧-١٨) .

(٥٦) - سورة آل عمران الاية (١٣٥) .

٤٠٠٨ سيد الاستغفار

مُعَافٍ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ يَا فَلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتَرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ (١٦) ، وفي صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ (٢٦) وينبغي للمؤمن الذي عرف الله انه واسع المغفرة ان يستر غيره ولا يفضحه، ففي صحيح مسلم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٣٦) ، وان يتخلق بالغفران للآخرين فكما يحب المرء ان يغفر له فكذلك يغفر لمن اساء في حقه، وهذا يوسف عليه السلام بعد ان ظفر باخوته يقول ما حكا الله عنه في القرآن الكريم: {لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (٤٦) ويقول سبحانه: {أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (٥٦) .

سيد الاستغفار

ان صبيغة من صبيغ الاستغفار اذا داومت عليها صباحا ومساء ولم تتركها ثم مت في ليل او نهار كنت من اهل الجنة جاء في الحديث النبوي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال: سَيِّدُ اسْتِغْفَارِ اللّٰهِمَّ اَنْتَ رَبِّي لَا اِلَهَ اِلَّا اَنْتَ خَلَقْتَنِي وَاَنَا عَبْدُكَ وَاَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ اَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَاَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَاِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ اِلَّا اَنْتَ اَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ اِذَا قَالَ حِينَ يُمْسِي

فَمَاتَ دَخَلَ الْجَنَّةَ أَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِذَا قَالَ حِينَ يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ مِثْلَهُ (٦٧)

دعاء الله باسمه الغفور العافر الغفار اللهم يا غفور يا غفار يا غافر الذنب يا واسع المغفرة يا عظيم يا رحيم اغفر لي خطيئتي وعمدي وجدي وهزلي وما انت اعلم به مني فانت الغفور الرحيم، اللهم ياغفور ياغفار اغفر لي ذنبي كله دقه وجله اوله واخره سره وعلايته فانه لا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك انت الغفور الرحيم اسألك يا الله ياغفويا غفور يا رحيم ان تغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وان تحو ذنوبي كلها وتدخلي الجنة بغير حساب فانت كريم رحيم وهاب اغفر لي وتب علي فاني ظلمت نفسي ظلما كثيرا فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت ربنا اتنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفرنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وصللي اللهم على محمد وعلى آله واصحابه والتابعين له باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا

ورحم الله ابن الامير الصنعاني حيث يقول:

لا تعاقب واجعل بعفوك سترًا ... أنت بالعفو والمكارم أخرى
أنا عبد أئيت كل قبيح ... وارتكبت الذنوب سراً وجهراً
ليس لي من ذخيرة أرجيها ... ما سوى عفوهِ أرجيه ذخراً
غافر الذنوب قابل التوب فاغفر ... لمسيء عليه نعماك تترى

(١٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٥٦٠٨) .

(٢٧) - البخاري في صحيحه باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، قطعة من حديث رقم (٢٤٦٧) .

(٣٧) - مسلم في صحيحه باب بشارة من ستر الله عيبه في الدنيا حديث رقم (٤٦٩٢) .

(٤٧) - سورة يوسف الاية (٩٢) .

(٥٧) - سورة النور الاية (٢٢) .

(٦٧) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٥٨٤٨) .

٤١ الفصل الرابعون الإيثار

الفصل الرابعون
الإيثار

٤١٠١ الإيثار

الإيثار صفة كريمة، وخلة حميدة، يتحلى بها الأبرار ويتدثر بها الأحرار، ويتألف بها القلوب فصاحبه مكرم محبوب، والإيثار من الخلال النبيلة والصفات الحميدة، فهو شعار النفوس الكبيرة المحبة للخير، والمؤاسية للغير، والموثقة للمحبة. الإيثار: مصدر اثر يؤثر، وهو ان يجود الانسان بالشيء وهو محتاج اليه. والإيثار اعلى درجات السخاء، واعظم درجات الوفاء، والإيثار له اكبر الاثر في توثيق المحبة بين افراد المجتمع اذ يجعلهم متعاطفين متعاونين، بعكس الاثرة التي تجعل صاحبها مكروها منبوذا من المجتمع لانه لا يريد ان يؤدي حقه فيه، والإيثار يجلب لصاحبه السعادة، ويجعله في مجتمعه محبوباً، وقد ذكر بعض العلماء المعاصرين ان من اهم مكتشفات علم النفس الحديث ما ثبت علمياً ان سعادة الانسان لا تتحقق بغير تضحية النفس في سبيل الغير. (١٧) قلت وفي الإيثار اصلاح النفس، واكتساب الاجر، وعلو القدر، ومحبة الغير، وقديماً قيل بالايثار على نفسك تملك الرقاب. وقيل: من آثر على نفسه استحق الفضيلة، وقال حكيم: من آثر على نفسه بالغ في المروءة، وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: الإيثار اعلى الايمان، وفي الذكر الحكيم امتدح الحليم الكريم قوما تخلقوا به فقال: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ

فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةٌ مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (١٦) وفي سورة الانسان يقول الكريم المنان: {وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} (٢٦) وفي سورة طه حكى الله على لسان قوم عدم مؤآثرتهم لما جاء من البنات من عند الله على ما سواه فقال: {قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (٤٦) فالعاقل لا يرى معروفا صنعه وان كان كثيرا، ولو خاطر بنفسه وعرضها في وجوه المعروف لم يرد ذلك عيبا. بل يعلم انما الخطر ان يؤثر الفاني بالباقي. فلا تعد غنيا من لم يشارك في ماله وجوه البر، ويؤثر ذلك غيره من اجل ارضا الحق، واسعاد الخلق، ولا يعد نعيما ما كان فيه تنغيص وسوء ثناء، وان كثر فهو قليل، ولا يعد الغنم غنما اذا ساق غرما، والمال ان لم تؤآثر فيه تغرم، وان آثرت فيه تغنم، والمغرم لا يعد غرما اذا ساق غنما، فالحياة لا تُعمر الا بالايثار والمحبة والتعاون، فالايثار من الصفات الكريمة التي يتحلى بها الانسان واي منزلة ارفع من ان يفضل الانسان على نفسه غيره في الخير، فن يسعى الى خدمة الانسانية تخدمه، ومن يؤثر الناس على نفسه يحبوه ويؤثروه، ويكرمونه، ويعيش سعيدا كريما محبوبا بعكس الاثر التي قال في وصفها (سنت هليلر) في شرح مذهب افلاطون: ان اكبر شر في الانسان هو عيب يرافقتنا جميعا منذ الولادة،

(١٦) - سورة الحشر الاية (٩) .

(٢٦) - سورة الانسان الاية (٨) .

(٣٦) - سورة يوسف الاية (٩٢) .

(٤٦) - سورة طه الاية (٧٢) .

٤١٠٢ الإيثار على النفس خلق كريم

وكل الناس يسامح نفسه فيه، ولهذا لا تجد من يبحث الخلاص منه، انهم يسمونه الحب الذاتي، ولا شك ان لهذا الحب الذاتي بعض المحل من الحق بل من الضرورة لان الطبيعة هي التي ركبتة فينا، ولكن ذلك لا يمنع انه متى افطر فيه صار العلة العادية لجميع خطايانا. قد يتعامى الانسان بغاية السهولة عما يجب، فقد يسيء الحكم على ما هو حق وطيب وجميل متى ظن ان الواجب عليه ان يفضل دائما منافعه على منافع الحق، فأى انسان شاء ان يكون رجلا عظيما لا ينبغي له ان يحب ذاته ولا ما هو له، ولا ينبغي ان يحب الا الخير سواء في نفسه او في غيره، وإلا وقع من سلوكه في الف خطيئة لا يمكن اجتنابها (١٦) الإيثار على النفس خلق كريم

قال الشعراوي: الإيثار تفضيل شيء على شيء في مجال متساوٍ تقول: آثرتُ فلانا على فلان، وهما في منزلة واحدة، أو أن معك شيئاً ليس معك غيره، ثم جاءك فقير فأثرته على نفسك (٢٦) . قال ابن الهبارية:

الفضل في الإيثار ... والجود في الإعسار

بذل فضول المال ... ليس من الأفضال

وقال اخر:

أنظر إلى الإيثار كيف أصابه ... عين الكمال لنصرة الإيثار

فإذا نظرت إليه خلقتك منته ... عن حملك الأسفار في الأسفار (٣٦)

(١٦) - مقدمة كتاب (الاخلاق) ليرصدو ترجمة الاستاذ/ لطفى السيد، ج ١ ص ٦٦.

(٢٦) - تفسير الامام العلامة محمد متولي الشعراوي رحمه الله، ج ١ ص ٥٧٢٠.

(٣٦) - هذه الايات للامير الصنعاني.

وجاء في كلام بعض العلماء: القليل من القليل احمد من الكثير الى الكثير، وقيل لبعض الحكماء: من اجود الناس؟ قال من جاد من قلة وصان وجه السائل من المدلة. وقيل ايضا: "جهد المقل افضل من غنا المكثر"، وقال بعضهم "عامل سائر الناس بالانصاف، وعامل المؤمنين بالايثار" (١٦) ، وقد جاء في السنة النبوية انه أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله فذهب إلى أهله فقال لامرأته ضيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تدخره شيئا قالت والله ما عندي إلا قوت الصبية قال فإذا أراد الصبية العشاء فنوميم وتعالى فأطفئ السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لقد عجب الله عز وجل أو ضحك من فلان وفلانة فأنزل الله عز وجل {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة} (٢٦)

وقال الشاعر:

وأثر ضيفه لما أتاه ... فظل وأهله يتلبظونا

فسماه الإله بما أتاه ... من الإيثار باسم المفلحينا (٣٦)

(١٦) - دليل السائلين ص ٨٣.

(٢٦) - البخاري في صحيحه باب قول ويؤثرون على انفسهم، حديث رقم (٤٥١٠) .

(٣٦) - هذان البيتان للسيد الحميري.

٤١٠٣ الإيثار في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اساس في بناء الدولة الاسلامية

٤١٠٤ ايثار الحياة الدنيا على الآخرة

وقال اخر:

طريقتنا الإيثارُ والبدلُ دائماً ... بلا ريبَةٍ واللهُ أغنى وأكرمُ (١٦)

اما جميل صدقي فهو يقول.

كسب الذي قد كان يؤثر غيره ... حمداً فكان لنفسه الإيثار

الإيثار في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اساس في بناء الدولة الاسلامية

ان الإيثار الذي تحلى به اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعد مثالا اعلى وطريقا يحتذى، فقد رسم للانسانيه معاني الحب والكرم والاخلاص الذي تتمازج به الارواح وتتصافح به القلوب والذي اسس لبناء مجتمع فاضل، ودولة عادلة ملأت الافاق وعم نورها البسيطة، وكان للانصار رضي الله عنهم قصب السبق ومستحق الثناء فقد تبوأوا الدار والايمان، واحبوا المهاجرين، فكان ايثارهم قائماً على الود الصريح، والفهم الصحيح، فكانوا من شدة ايثارهم لإخوانهم المهاجرين يعرض الواحد منهم على أخيه المهاجر أن يطلق له إحدى زوجاته ليتزوجها، وهذا لون من الإيثار لم يشهده تاريخ البشرية كلها؛ لأن الإنسان يوجد على صديقه بأعلى ما في حوزته وملكه إلا مسألة المرأة، فما فعله هؤلاء الصحابة لون فريد من الإيثار. وحين آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار هذه المؤاخاة اقتضت أن يرث المهاجر أخاه الأنصاري، فلما أعرّ الله الإسلام، ووجد المهاجرون سبيلاً للعيش أراد الحق سبحانه أن تعود الأمور إلى مجراها الطبيعي، فلم تعد هناك ضرورة لأن يرث المهاجر أخاه الأنصاري (٢٦) .

فاذا عاد المسلمون الى سابق عهدهم عاد مجددهم وعلا شانهم واتحدت كلمتهم ورضي ربهم وقرب نصرهم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم.

ايثار الحياة الدنيا على الآخرة

ان الله سبحانه وتعالى خلق الدنيا حلوة حضرة ياكل منها البر والفاجر، ويعيش فيها المجنون والعاقل، من عمرها بالعمل الصالح اطاع ربه، وطاب عيشه، وسعد وقته، وحسن معاده، وكانت التقوى زاده، والى الجنة اياه، ومن اثرها وتعدى وبخل واعتدى، واختال وتجبر، وتغافل واعتذر، وظلم وتكبر، ونسي الله العلي الاكبر، كان من المهالكين، وفي الاخرة من المعذبين، وفي الذكر الحكيم: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} (٣٦) فالعاقل لا يغتر بالدنيا وزهرتها وحسنها وبهجتها ولا يشغله ذلك عن عبادة الله وعن العمل الصالح، وايثار الحياة الباقية بالاعمال الصالحة، والاخلاق الحسنة، وحسن التعامل مع الناس، فان ذلك يورث الحياة الباقية والنعم الدائمة، اما هذه الحياة وان عظم في عينك متاعها ونعيمها، وعمرانها وقصورها فان كل ذلك يصير الى الزوال، وتذهب بهجة الحياة، وتبيد حضرتها، فلا يبقى رئيس متكبر مؤمر، ولا

(١٦) - هذا البيت لبهاء الدين الرواس.

(٢٦) - تفسير الشعراوي ج ١ ص ٧٤٢٧.

(٣٦) - سورة الذاريات الايات (٣٧-٣٩).

فقير مسكين محتقر الا ويجري عليهم كأس المنيا ثم يصيرون الى التراب، فيبلون ثم يبعثون، ثم يحاسبون، فالدنيا بحر طفاح، والناس في امواجها يعومون، فلا يغتر فيها الا كل خداع، ولا يركن اليها الا كل مناع للخير لايهمه التزود ليوم المعاد، فهو فيها مغرور يظلم العباد ويتعالى عليهم ويستكبر عن عبادة ربه وسماع نصيح الخلق له، ورحم الله شوقي حيث يقول:

وَكُلُّ بِسَاطِ عَيْشٍ سَوْفَ يُطْوَى ... وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَطَابَا

وَلَا يُنْبِيكَ عَنْ خُلُقِ اللَّيَالِي ... كَمَنْ فَقَدَ الْأَجَبَةَ وَالصَّحَابَا

أَخَا الدُّنْيَا أَرَى دُنْيَاكَ أَفْعَى ... تَبْدِلُ كُلَّ آوْنَةٍ إِهَابَا

وَأَنَّ الرُّقْطَ أَيَقْظُ هَاجِعَاتٍ ... وَأَتَرَعُ فِي ظِلَالِ السَّلْمِ نَابَا

وَمِنْ عَجَبٍ تُشَيِّبُ عَاشِقِيهَا ... وَتُفَنِّيهِمْ وَمَا بَرَحَتْ كَعَابَا

فَمَنْ يَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا فَإِنِّي ... لَبَسْتُ بِهَا فَأَبْلَيْتُ الثِّيَابَا

لَهَا ضَحِكُ الْقِيَانِ إِلَى غَيِّ ... وَلِي ضَحِكُ اللَّيْبِ إِذَا تَغَابَا

جَنَيْتُ بَرَوْضَهَا وَرَدًّا وَشَوْكًا ... وَذُقْتُ بِكَاسِهَا شُهْدًا وَصَابَا

فَلَمْ أَرِ غَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ حُكْمًا ... وَلَمْ أَرِ دُونَ بَابِ اللَّهِ بَابَا

وَلَا عَظَّمْتُ فِي الْأَشْيَاءِ إِلَّا ... صَحِيحَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ اللَّبَابَا

وَلَا كَرَّمْتُ إِلَّا وَجَهَ حَرٍّ ... يُقَلِّدُ قَوْمَهُ الْمَنِّ الرَّغَابَا

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ جَمْعِ الْمَالِ دَاءً ... وَلَا مِثْلَ الْبَخِيلِ بِهِ مُصَابَا

فَلَا تَقْتُلِكَ شَهْوَتُهُ وَزَنَهَا ... كَمَا تَرْتَنُّ الطَّعَامَ أَوْ الشَّرَابَا

وَخَذَ لِبَنِيكَ وَالْأَيَّامَ ذُخْرًا ... وَأَعْطَى اللَّهُ حِصَّتَهُ احْتِسَابَا

ان من افضل الزاد في المعاد اعتقاد المحامد الباقية، والسابقة لاكتساب الاخلاق العالية، فن لزم الايثار ولزم معالى الاخلاق انتج له سلوكها فراخا تطير بالسرور، فما ضاع عمل ورث صاحبه مجدا، وقديما قيل "لولا المتفضلون مات المتجملون"، فالمرء لا يستحق اسم الايثار والكرم بالكف عن الاذى للناس وان كان محمودا الا ان يقترنه بالاحسان اليهم، والايثار لهم، فن كثر في الخير رغبته، وحسن نيته وعمله، خلد الله ذكره، واجزل له الثواب، ومن كان عيشه وحده ولم يعش بعيشه غيره في جاه ولا مال فهو وان طال عمره قليل العمر سيء الذكر، والبائس من طال عمره في غير الخير، ومن لم يتاس بغيره في الخير كان عاجزا، كما ان من استحس من نفسه ما يستقبه من غيره كان كالغاش لمن تجب عليه نصيحته، ومن لم يكن همه الا الاثرة والاستبداد في نفسه وجاهه وماله وسلطانه، وكان كل همه

بطنه وفرجه في هذه الدنيا عد من البهائم، وقد قال سيد قطب في تفسير قوله تعالى: {بل تؤثر الحياة الدنيا* والآخرة خير وأبقى} إن إثارة الحياة الدنيا هو أساس كل بلوى. فعن هذا الإيثار ينشأ الإعراض عن الذكرى؛ لأنها تقتضيهم أن يحسبوا حساب الآخرة ويؤثروها. وهم يريدون الدنيا، ويؤثرونها. وتسميتها {الدنيا} لا تحيء مصادفة. فهي الواطية الهابطة إلى جانب أنها الدانية: العاجلة: {والآخرة خير وأبقى} . . . خير في نوعها، وأبقى في أمدها. وفي ظل هذه الحقيقة يبدو إثارة الدنيا على الآخرة حماقة وسوء تقدير. لا يقدم عليهما عاقل بصير (١٦) .

(١٦) - في ظلال القرآن ج ٨ ص ٢٤ .

والشاعر يرى ان الناس يتبعون صاحب المال ويحبون من يطعمهم فيقول:

قد بلونا الناس في اخلاقهم ... فرايناهم لذي المال تبع
وحبيب الناس من اطعمهم ... انما الناس جميعا بالطمع

وقال سعيد بن عبد العزيز سمع الحسن بن علي ابي طالب رضي الله عنهما رجلا الى جنبه يسأل الله ان يرزقه عشرة الاف درهم، فانصرف فبعث بها اليه. فإين نحن من هذه الاخلاق؟ قال ابوحاتم: اهنا الصنائع، واحسنها في الحقائق، وواقعها في القلوب، واكثرها استدامة للنعم، واستدفاعا للنقم، ما كانت خالية عن المن في البداءة والنهاية، متعزية عن الامتنان. وهو الغاية في الصنعة، والنهاية في الاحسان.

٤٢ الفصل الواحد والاربعون الاخلاص

الفصل الواحد والاربعون
الاخلاص

٤٢٠١ الاخلاص

الاخلاص

الاخلاص من الصفات الروحية التي تسمو بالمرء الى منزلة رفيعة من الخلق الانساني، والاخلاص يجعل الانسان متقنا في عمله، لطيفا في خلقه، نقياً في سلوكه، وفيما في تعامله، كريماً في عطائه، صادقاً في اخوته، مؤادياً لواجباته غير مشرك في عبادته لربه، وبالاخلاص ينال الانسان السعادة في الدنيا والآخرة.

والاخلاص لله: هو ان ياتي الانسان بأعمال نقية، لا يشوبها رياء، قياماً بالواجب، سواء في العبادات أو في سائر الاعمال، قاصداً بذلك وجه الله ورضاه (١٦) ، وقيل الاخلاص: هو التعري عما دون الله تعالى. أي تصفيه العمل عن ملاحظة المخلوقين (٢٦) . وفي الذكر الحكيم: {قُلْ إِنْ تُحِبُّوْا مَا فِي صُدُوْرِكُمْ أَوْ تَبْدُوْهُ يَعْلَمُهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ} (٣٦) ويقول سبحانه وهو الحكيم الخبير: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (٤٦) ومن هذه النصوص يدرك الانسان العاقل ان الاخلاص روح الاعمال، فاي عمل يؤديه المرء ولا اخلاص فيه فليتأكد انه

(١٦) - روح الدين الاسلامي ص ١٩٨ .

(٢٦) - دليل السائلين ص ١٥ .

(٣٦) - سورة آل عمران الاية (٢٩) .

(٤٦) - سورة الكهف الاية (١١٠) .

لا روح فيه، وفي الحديث النبوي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتِغِي بِهِ وَجْهَهُ) (١٦)

ان الشقاء الذي اصاب الناس مرده عدم الطاعة لله والاخلاص في العمل له، والايان به، ولهذا فإن البعض من الناس قد يلعب بهم الهواء، ويغويهم الشيطان فيألهون بعض افراد جنسهم بالغلو في متابعتهم حتى علو في الارض، واستدلوا البشر، وساقوهم الى التناحر،

واذا كانت عبادة الله هي اقصى غاية الخضوع له مع طاعته، والتحرر من عبادة المخلوقين، واتباع اهوائهم فانه مما يتعين على الانسان التوجه الى عبادة الله وحده والاخلاص في العمل واتباعه عبادة كان او معاملة او صناعة او زراعة.. الخ، وفي القرآن الحكيم بين لنا العزيز الرحيم: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (٢٦) فاتخاذ الانداد واتباع اهواء النفس والرياء والغايات الشخصية حاربها الاسلام ليحل محلها الاخلاص، ولهذا اولاه الاسلام اهتماما خاصا، وقرنه بالعبادة قال تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ } (٣٦) وقال سبحانه: { فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } (٤٦) فالاخلاص لله في العمل شرط في قبوله فالله لا يقبل من الاعمال ولا يزكي الا ما كان خالصا لله، فان الله اغنى الاغنياء عن الشرك، وقد جاء في الحديث القدسي اَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ (٥٦) فالاخلاص هو الذي يجعل العمل نافعا مقبولا، ومن الحق ان يوقن العاقل بان نفعه في شيء ثم لا ياتي ذلك الشيء، والاخلاص هو الذي يجعل من المرء انسانا سويا يخاف الله ويراقبه فيما ياتي ويذر من الاعمال، فالاسلام وهو بغية الارواح، وطلبة الاشباح، ومهبط السكينة، ومستقر الطمأنينة، وضالة العقول، وخلاصة المعقول والمنقول، وامنية القلوب، وراس كل مطلوب، لا يتم بدون اخلاص ولا يتمكن الانسان من ادراك تلك النعمة الكبرى دون اخلاص يتصف به ويطمئن به قلبه، فللقلوب سعادة لا يحس بها من لم يكن مخلصا لله في عمله، ولا يدركها ذوو الاموال ولا ارباب المناصب الا بالاخلاص لله. وهل للناس مطلب غير ان يسعدوا في ظاهريهم وباطنيهم، ودنياهم واخراهم سعادة تدفع عنهم شرور الحياة ومكارهها ثم تفيض عليهم من انواع السرور، وشرح الصدور، وبهجة الاسرار، وصفاء الانوار، مالم يعلمه الا الله سبحانه وتعالى، ثم تسلمهم بعد ذلك الى نعيم لا يشوبه كدر، ولا يعتريه زوال، وملك ليس فيه عناء، ولا له انقضاء،

(١٦) - النسائي في سننه حديث رقم (٣٠٨٩) .

(٢٦) - سورة البقرة الاية (٢١-٢٢) .

(٣٦) - سورة البينة الاية (٥) .

(٤٦) - سورة الزمر الاية (٢) .

(٥٦) - مسلم في صحيحه باب من اشرك في عمله غير الله حديث رقم (٥٣٠٠) .

فالاخلاص لله يجعل الضمائر حية، والقلوب صافية، والاعمال متقنة، فالقوانين والنظم التي يضعها البشر وان كان في استطاعتها ان تفرض على الانسان رقابة خارجية على سلوكه، وتقرر قواعد تحيل المجرمين الى المحاكم بعد تحقيق النيابة ورجال الشرطة، ولكن ليس في استطاعتها ان تهب رجال النيابة العامة او الشرطة او القضاة ذمة ولا تمنحهم مخافة من الله ولا ان تعطي كل العاملين والموظفين مراقبة الله ولا تطهر القضاة من الاغراض والغايات، ولا ان تمنح اطباء الاخلاص والنزاهة، فان كان في مقدورها واستطاعتها ان توجب الاحالة على الطيب لتحديد سن الزواج مثلا، او تحديد الجريمة، ولكن ليس في استطاعتها ان تحمله ان يقرر الحقيقة مبتغيا ذلك وجه الله وسيجد اللص والغاش في عمله، والقاتل في تلك الدوائر ممن خلت نفسه من الاخلاص والخوف من الله سبحانه وتعالى مجالا واسعا للتلاعب بالقانون، اما مع الاخلاص والخوف من الله فانك ستجد العدل، والامن، والامانة، والصدق، والوفاء، وانظر كيف فعل الدين بالعرب عندما اعتنقوه بصدق واخلاص ومحبة، فقد نقلهم من الظلم والوحشية، وسفك الدماء، ووأد البنات، وفعل المنكرات، الى التسابق في ميادين الخيرات، واكتساب القربات، ومراقبة خالق الارض والسموات. وبذلك كانوا ملوكا في الارض، ملوكا في السماء، بعد تلك الهمجية التي كانوا بها احط الامم على الاطلاق، فاذا فرطنا في عبادة ربنا، والاخلاص في اعمالنا عدنا اذل الامم على الاطلاق يطمع فينا كل طامع، ويهزؤ بنا كل قوي،

فاذا رايت العمل خاليا عن الاخلاص فذلك دليل فساد في المعتقد والاخلاق، بل هو نذير شؤم يحقق وجود انهزام الكائنات لدى قوم يعقلون. فبالسير على منهج الله والاخلاص في العبادة والعمل تتحقق المراقبة، فتنجبر الطبيعة، وتعلم ان عمل الخير اصلح لها، ومناطق

سعادتها، فتفعل ذلك ميلا اليه، ومحبة فيه، وتبتعد عن كل عمل مشين، ويرحم الله اباالعتاهية حيث يقول:
وما من مخلص لله الا ... على اعماله اثر القبول
وقال اخر:

أنا الزعيم لمن يخلص لخالقة ... ويعمل الصالحات ان يحرز الرشدا
ولله در شوقي حيث يقول:

كُلُّ مَا اتَّقَنْتَ مَحْبُوبٌ وَجِيهٌ ... مُتَقَنُ الْأَعْمَالِ سِرُّ اللَّهِ فِيهِ
يُقْبَلُ النَّاسُ عَلَى الشَّيْءِ الْحَسَنِ ... كُلُّ شَيْءٍ بِجَزَاءٍ وَتَمَنُّ
إِنْظُرِ الْآثَارَ مَا أَزَيْنَهَا ... قَدْ حَبَاها الْخُلْدَ مَنْ اتَّقَنَهَا
وقد احسن من قال:

ما دام رائدنا الإخلاص في العمل ... لا بدَّ نَبْلُغُ يَوْمًا غَايَةَ الْأَمَلِ
أَمْرانَ مَنْ يَعْتَصِمُ يَوْمًا بِجَبَلِهِمَا ... فَالنُّجْحُ رَائِدُهُ فِي أَيِّمَا عَمَلٍ
هُمَا الثَّبَاتُ وَتَوْحِيدُ الْقُلُوبِ إِذَا ... إِلَيْهِمَا قَدْ دَعَانَا خَاتَمُ الرُّسُلِ

٤٢٠٢ الاخلاص تسبقه النية

٤٢٠٣ النية الطيبة عنصر من عناصر التربية الخلقية

الاخلاص تسبقه النية

لما كانت الاعمال الخالصة لله وحده لا بد لها من سابق نية وعزم نجد الاسلام يهتم بالنية هذه، ويجعلها محورا تدور عليه اعمال المؤمن، ففي الحديث النبوي (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) (١٦) والنية محلها القلب في كل موضع، لان حقيقتها القصد مطلقا. وقيل: المقارن للفعل. وذلك عبارة عن فعل القلب. قال البيضاوي: النية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقا من جلب نفع او دفع ضرر. حالا او مآلا، والشرع خصصه بالارادة المتوجهة نحو الفعل لا بتغاء رضاالله تعالى، وامثال حكمه (٢٠) . والله در القائل:

من اخلص النيات كان لقوله ... وقع وكان لفعله تأثير
واما ابو نواس فهو يقول:

فَإِذَا نَزَعْتَ عَنِ الْغَوَايَةِ فَلْيَكُنْ ... لِلَّهِ ذَاكَ النَّزْعُ لَا لِلنَّاسِ
النية الطيبة عنصر من عناصر التربية الخلقية

تعتبر النية الطيبة عنصراً من عناصر التربية الخلقية التي تجعل الانسان عضوا ممتازا في المجموعة الانسانية، وقد جعلها الاسلام الاصل في قبول الاعمال عند الله خالصة له، وله بذلك السبق بان اعلنها قبل ان يعلنها (عما نويل كانت) فيلسوف الاخلاق الالماني اذ قال: ان حسن النية هو الكل في الكل في الاخلاق. قلت وذلك ما افهمه حديث انما الاعمال بالنيات، فالقاعدة الفقهية (الامور بمقاصدها) والسنة النبوية تقر انه لا عمل لمن لانية له، وفي السنة النبوية: وَرَبِّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفِّينِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ (٣٠) . وفي سنن ابن ماجه (إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ) (٤٠) وفي الحديث: (ان الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحسنه في صنعته الخبير) (٥٠) ، وعند النسائي من حديث ابي ذر (مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يَصِلِي مِنَ اللَّيْلِ فَعَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى) (٦٠) فالخير في الاسلام ليس خيرا الا اذا كان عن نية طيبة خالصة لوجه الله، والعمل الطيب ليس طيبا الا اذا استنار باوامره، ولا شك ان هذا مذهب جليل في تقدير الرجال والاعمال يصحح الاوضاع، ويسمو بالمجتمع الى مستوى رفيع من الكمال اذ يجعل الاقوال والاعمال منوطة بغاية واحدة ومثل اعلا هو الله فلا يحب المؤمن ولا يبغض ولا يفعل ولا يترك الا الله والله لا يامر الا بما كان خيرا

للشخص وللمجموعة الانسانية (٧٠) , ويرحم الله الامير الصنعاني حيث يقول:

- (١٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (١) .
 (٢٠) - الاشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية, تاليف الامام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي, ص ٣٠, المتوفى سنة ٩١١ هـ, الناشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.
 (٣٠) - غاية المقصد في زوائد المسند باب رب قتيل بين الصفيين ج ١ ص ٣٤٩٢.
 (٤٠) - ابن ماجة في سننه (٤٢١٩) .
 (٥٠) - ابو داود في سننه حديث رقم (٢١٥٢) , والنسائي حديث رقم (٣٥٢٢) .
 (٦٠) - النسائي في سننه حديث رقم (١٧٦٥) .
 (٧٠) - روح الدين الاسلامي ص ١٩٩ .

٤٢٠٤ الرياء يناقض الاخلاص

اذا لم يكن لله ففعلك خالصا ... فكل بناء قد بنيت خراب

الرياء يناقض الاخلاص

القلوب تمرض وقد تموت من مرضها ويموت بموتها الانسان وان كان جسمه لا يزال معدودا في الاحياء, وفي مرض القلوب وموتها الهلكة بذاتها, وان من اخطر امراض القلوب مرض الرياء الذي هو اظهار فعل الخير رياء للناس ابتغاء ثنائهم, فذلك مميت للقلب, محبط للعمل لان العمل يتطلب الاخلاص, والرياء انما يكون من شخص قصر نظره, ورق دينه, وضعف يقينه لانه يتصور ان الناس اذا راوه بتلك الحالة الصالحة يحسنون الظن به ويعاملونه معاملة خاصة تترك في دنياه في سرور وسعة, اما من بعد نظره, وصدق ايمانه, واخلص في عبادته وعمله لله فانه يعلم ان الامر كله دنيا واخرى لله وحده لا شريك له الذي بيده الضر, وبيده النفع, وبيده العزة, وبيده الحياة, وبيده الموت, وبيده ازمة القلوب يقبلها كيف يشاء, وهو يعلم ان الله وحده يعز من يشاء, ويذل من يشاء, ويؤتي الملك من يشاء, وينزع الملك ممن يشاء, ويبسط الرزق لمن يشاء, ويمنع عمن يشاء, وان عالم الانس وعالم الجن وعالم الملائكة ومن في الارض ومن في السماوات جميعا اعجز من ان يطيلوا اجلا, أو يكثروا رزقا, أو يجيروا من نائبة تنزل في الدنيا, أو في البرزخ, أو في الآخرة, واذا كانوا في هذا الضعف فلا قيمة اذا للترف لهم حتى بعبادة الله وحده الذي بيده ملكوت كل شيء, ولا تشبهه

عليه عبادة المرئين بعبادة المخلصين وأعمالهم, فكيف يرضى العاقل ان يدخل في عمله رياء يبطله, والله سبحانه وتعالى يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } (١٦) ويقول: { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ } (٢٠) ويقول: { فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ } (٣٠) ويقول: { وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا } (٤٠) وفي الحديث النبوي (مَنْ سَمِعَ سَمَعَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ يَرَأَىٰ يَرَأَىٰ اللَّهُ بِهِ) (٥٠) قال الشاعر:

ثوب الرياء يشف عن ما تحته ... فإذا التحفت به فإنك عاري (٦٠)
 وقال اخر:

دع الرياء لمن لذ الرياء له ... فانه الشرك فاحذر زلة القدم (٧٠)

اما محمود الوراق فهو يقول:

أظْهَرُوا لِلنَّاسِ نُسْكَاءً ... وَعَلَى الْمُنْقُوشِ دَارُوا
 وَلَهُ صَامُوا وَصَلُّوا ... وَلَهُ حَجَّوْا وَزَارُوا

- (١٦) - سورة البقرة الاية (٢٦٤) .
 (٢٠) - سورة الانفال الاية (٤٧) .

- (٣٦) - سورة الماعون الاية (٤-٧) .
- (٤٦) - سورة النساء الاية (٣٨) .
- (٥٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٦٠١٨) .
- (٦٦) - هذا البيت لابي الحسن التهامي .
- (٧٦) - المراد بالشرك هنا الشرك الاصغر، والبيت ورد في الموسوعة الشعرية غير منسوب لقائل بعينه .

٤٢٠٥ الرياء من صفات المنافقين

٤٢٠٦ ثناء الناس بشرى وليس مما يدفع للرياء

وَلَهُ قَامُوا وَقَالُوا... وَلَهُ حَلَّوْا وَسَارُوا
لَوْ غَدَا فَوْقَ الثُّرَيَّا ... وَلَهُمْ رَيْشٌ لَطَارُوا
وقال اخر:

صلى وصام لامر كان يأمله ... حتى قضاه فما صلى ولا صاما (١٦)

الرياء من صفات المنافقين

الرياء يبطل العمل، ويقطع الامل، ويدل على النفاق والكسل، فهو من صفات المنافقين، وعمل الشياطين، وقد روي عن الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال: للمرأي ثلاث علامات: الكسل اذا كان وحده، وينشط اذا كان في الناس، ويزيد في العمل اذا اثنى عليه وينقص اذا ذم. وقال الحسن رحمه الله: لا يزال العبد بخير ما علم الذي يفسد عمله، وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه راي رجلا يطأ طيء رقبته: فقال يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، وانما الخشوع في القلوب (٢٦) . وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} (٣٦)

ثناء الناس بشرى وليس مما يدفع للرياء

ان ثناء الناس على من يتقن عمله ويحسن صنعه ويتقي ربه ويحافظ على الواجبات ويعظم شعائره لا يحمل من اخلص في عمله لربه على الغرور، ولا يدفعه الى التقصير في عمله. قال الفضيل بن عياض رحمه الله: ترك العمل لاجل الناس رياء، والعمل لاجل الناس شرك، والاخلاص ان يعافيك الله منهما. وقال عكرمة رحمه الله: ان الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لارياء فيها. قلت الغالب ان حركات المرأي لا تشبهه على الناس والناس لا يجوز لهم ان يشككوا في عبادة شخص لان مدار صحة العبادة على النية، اما الاعمال الدنيوية فان الغش فيها لا يخفى على كثير من الناس، ولكن الناس لا يمدحون الشخص ويثنون عليه في الغالب حتى يدركوا احسانه واتقانه للعمل، قال الشاعر:

الناس اكيس من ان يمدحوا رجلا ... حتى يروا عنده اثار احسان
وقال اخر:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وان خالها تخفى على الناس تعلم

وإذا اثناء الناس على شخص يعمل الخير فتلك بشارة له ففي الحديث النبوي: (أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيُحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَتْ تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ) (٤٦) والله سبحانه وتعالى قد اثنى على المحسنين في

(١٦) - ورد هذا البيت في الموسوعة الشعرية واخبار القضاة لابن حيان منسوباً لسلم الخاسر.

(٢٦) - دليل السائلين ص ٣٠٦.

(٣٦) - سورة النساء الاية (١٤٢) .

(٤٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٤٧٨٠) .

٤٢٠٧ من لازم الاخلاص لله الولاء والبراء

كتابه واخبر بانه ترك لهم الذكر الحسن فقال في حق نبي من انبيائه: { وَتَرَكَّا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ * اِنَّا كَذَلِكُمْ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ } (١٦)

من لازم الاخلاص لله الولاء والبراء

ان من لازم الاخلاص لله سبحانه وتعالى موالاته المؤمنين والاحسان اليهم واعانتهم ونصرتهم والبراءة ممن يعاديهم، ويحاربهم في معتقدتهم واخلاقهم وارضهم، فالإيمان بالله ومحبهه والاخلاص له، تقتضي موالاته ومحبة ما يحب ومن يحب، والبراءة ممن يكفر بالله، ويحارب المؤمنين فمن خصائص المجتمع المسلم أنه مجتمع يقوم على عقيدة الولاء والبراء، الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراء من كل من حاد الله ورسوله واتبع غير سبيل المؤمنين. وهاتان الخاصيتان للمجتمع المسلم هما من أهم الروابط التي تجعل من ذلك المجتمع مجتمعاً مترابطاً متماسكاً، تسوده روابط المحبة والنصرة، التي تحمل مجتمعة على تحقيق رسالة الإسلام في الأرض، تلك الرسالة التي تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوة الناس إلى الحق وإلى طريق مستقيم. فهاتان الفريضتان - الولاء والبراء - تجعلان من المجتمع المسلم مجتمعاً مترابطاً متعاضداً يؤدي رسالة الله ويسعى في تحقيقها، وهو في الوقت نفسه مجتمع مستقل عن الكفار كاره لهم، لا يخضع لهم بتبعية، ولا يدين

(١٦) - سورة الصافات الاية (٧٨-٨٠) .

لهم بسلطان، من غير أن يمنعه ذلك من الإحسان إليهم والبر بهم - ما داموا غير محاربين لنا، فهاتين الفريضتين تتعاضد الروابط الإيمانية بين المسلمين، وتتحدد الروابط بين المؤمنين والكافرين، فما أوحج الأمة اليوم إلى تفعيل هاتين الفريضتين، والعمل بهما حتى تتحقق لنا سيادتنا واخوتنا، فلا ندين بالولاء إلا لله ولرسوله وللمؤمنين، ولا نعادي إلا من حاد الله ورسوله وتنكب سبيل المؤمنين. وفي الذكر الحكيم: { لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } (١٦) { وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (٢٦) .

ويقول القاضي مرشد علي العرشاني: بل ان الايمان ينتفي عند انتفاء الولاء، فلها كان الولاء فريضة من فرائض الاسلام فواجب على المسلم ان يؤدي هذه الفريضة، فيعطيها من يستحقها، ومن امر ان يواليه، فالله هو الولي (٣٦) قال تعالى: { اِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } (٤٦) الفرق بين المداهنة والمداراة وأثرهما على الولاء والبراء

(١٦) - سورة آل عمران الاية (٢٨) .

(٢٦) - سورة المائدة الاية (٥١) .

(٣٦) - الولاء والبراء للقاضي العلامة المحقق مرشد بن علي العرشاني، ص ٦٦، الطبعة الرابعة ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م الناشر مكتبة خالد بن الوليد صنعاء اليمن.

(٤٦) - سورة المائدة الاية (٥٥-٥٦) .

المداهنة: هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومصانعة الكفار والعصاة من أجل الدنيا والتنازل عما يجب على المسلم من الغيرة على الدين. ومثاله الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرتهم وهم على معاصيهم أو كفرهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه. قال الله تعالى: { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } (١٦) المداراة: هي درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له. كالرفق بالجاهل في التعليم،

وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفه. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها، «أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رآه قال: (بئس أخو العشيرة. وبئس ابن العشيرة) ، فلما جلس تطلق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت كذا وكذا، ثم تطلعت في وجهه وانبسطت إليه. فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: (يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهَدْتِي فَحَاشَا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ) (٢٦) . فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

(١٦) - سورة المائدة الآية (٧٨-٨٠) .

(٢٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٥٥٧٢) .

وَسَلَّمَ دارى هذا الرجل لما دخل عليه مع ما فيه من الشر لأجل المصلحة الدينية، فدل على أن المداراة لا تتنافى مع الموالاة إذا كان فيها مصلحة رابحة من كف الشر والتأليف أو تقليل الشر وتخفيفه، وهذا من مناهج الدعوة إلى الله تعالى. ومن ذلك مداراة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للمدينة خشية شرهم وتأليفاً لهم ولغيرهم (١٦) . وفي الامثال السائرة: "قارب الناس في عقولهم تسلم من غوائلهم" وفي الحديث: "أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله التودد للناس" (٢٦) وقال الشاعر:

ما دمت حيا فدار الناس كلهم ... فإنما انت في دار المداراة (٣٦)

وَرَبِيرِي

وقال زهير بن ابي سلمى:

وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ... يَضُرُّ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسَمٍ

وَرَبِيرِي

وإذا كانت الحياة مليئة بالمشاكل ومحفوفة بالمخاطر وربما تنقلب حياة الانسان الى شقاء لاتفه الاسباب فانه بامس الحاجة الى ان يعلم ان الله هو الذي يحميه ويحفظه ويرببه ويرشده ويرعاه ويؤيده فيجعل الولاية المطلقة لله ولا يتخذ من دونه اندادا فيضل عن سبيله ويخسر حياته في الدنيا والاخرة وفي الذكر الحكيم: {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

(١٦) - اصول الايمان في ضوء الكتاب والسنة، لتخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة الاولى ١٤٢١ هـ. وكتاب التكملة لاحكام والتصفية من بواطن الاثام للامام احمد بن يحيى المرتضى، مطبوع ضمن الجزء ٦ من البحر الزخار للامام المهدي، ص (٥٠٠-٥٠٧) الناشر مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ.

(٢٦) - اورده السيوطي في جمع الجوامع، وعزاه للطبراني في مكارم الأخلاق عن ابي هريرة حديث رقم (٥٥) .

(٣٦) - نسب هذا البيت في معجم كنوز الامثال لابي سليمان الخطابي.

٤٢٠٨ الولي المولى النصير الحميد في اسماء الله الحسنى

شَيْءٌ قَدِيرٌ { (١٦) فاذا اردت ان تخرج من الشقاء الى السعادة ومن الشدة الى الرخاء ومن الظلمات الى النور فتعرف على اسم الله الولي، واخلص لله في عبادتك واعمالك ولتكن موالياً لله ليكون الله وليك وكافلِكَ وناصرِكَ ومعينِكَ ورازقِكَ ومخرجِكَ من الظلمات الى النور قال تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٢٦) وتدبر قول الله الولي الحميد فيما حكاه عن يوسف الصديق: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ} (٣٦) فربنا سبحانه وتعالى هو الولي الحميد مستحق الثناء والحمد على توليه المؤمنين بنصرته ورعايته لهم ونعمته عليهم ولأنه جل ثناؤه جمع بين النعمتين الجليلتين: الحياة والعقل ووالى بين منحه وتابع الآءه ومننه، حتى فانت العد فله الحمد كله وهو الولي الحميد.

الولي المولى النصير الحميد في اسماء الله الحسنی

وردت هذه الاسماء الجليلة في كتاب الله تعالى الولي والمولى والنصير والحميد والمبدء والمعيد. ومعنا الولي في اسماء الله الحسنی مالك التدبير والناصر لعباده المؤمنين فهو نصيرهم وظهيرهم يتولاهم بعونه وتوفيقه، وقد

(١٦) - سورة الشورى الاية (٩) .

(٢٦) - سورة البقرة الاية (٢٥٧) .

(٣٦) - سورة يوسف الاية (١٠١) .

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (١٦) وقال

تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} (٢٦) وقال تعالى: {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٣٦) وقال

تعالى: {وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا} (٤٦) وجاء في السنة النبوية: ان لله تسعة وتسعين اسما... وعد منها (الولي) (٥٦) وقال

ابن جرير في قوله تعالى {إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} (٦٦) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم

قل يا محمد: للمشركين من عبدة الأوثان = "إن وليي"، نصيري ومعيني وظهيري عليكم = (الله الذي نزل الكتاب) علي بالحق، وهو الذي

يتولى من صلح عمله بطاعته من خلقه (٧٦) وقال الزجاج (الولي) هو فعيل، من الموالاه، والولي الناصر (٨٦). قَالَ الْحَلِيمِيُّ: الْوَلِيُّ

هُوَ الْوَالِي، وَمَعْنَاهُ مَالِكُ التَّدْبِيرِ، وَلِهَذَا يُقَالُ لِلْقَيْمِ عَلَى الْبَيْتِ: وَوَلِيُّ الْبَيْتِ، وَلِلْأَمِيرِ الْوَالِي. قَالَ أَبُو سَلِيمَانَ: وَالْوَلِيُّ أَيْضًا النَّاصِرُ يَنْصُرُ عِبَادَهُ

الْمُؤْمِنِينَ (٩٦) اما المولى فقد ورد في القرآن الكريم في عدة آيات منها قوله تعالى: {فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ} (١٠٦) وقوله تعالى:

{يَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ} (١١٦) وقوله تعالى: {فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ} (١٢٦) وقوله: {وَأَعْفُ

عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (١٣٦) وجاء في السنة النبوية انه حينما قال ابوسفيان يوم احد لنا

الْعَزَى وَلَا عَزَى لَكُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَلَا تُجِيبُونَ لَهُ قَالَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَقُولُ قَالَ قَوْلُوا اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا

مَوْلَى لَكُمْ (١٤٦) ومعنى هذا الاسم (المولى والناصر والمعين) وكذلك (النصير): فعيل بمعنى فاعل: كما تقول قدير وقادر، وعليم وعالم،

وقد ورد في عدة آيات في كتاب الله تعالى منها {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} (١٥٦) اي ولاية المحبة

والتوفيق والنصر، اي هو وليهم بسبب اعمالهم الصالحة التي قدموها وتقربوا بها الى ربهم. قَالَ الْحَلِيمِيُّ: فِي مَعْنَى الْمَوْلَى: إِنَّهُ الْمَأْمُولُ مِنْهُ

النَّصْرُ وَالْمَعُونَةُ، لِأَنَّهُ هُوَ الْمَلِكُ وَلَا مَفْزَعَ لِلْمَلُوكِ إِلَّا مَالِكُهُ (١٦٦) ويصح اطلاق الولي والمولى على العباد فقد ورد

(١٦) - سورة البقرة الاية (٢٥٧) .

(٢٦) - سورة المائدة الاية (٥٥) .

(٣٦) - سورة الانعام الاية (١٢٧) .

(٤٦) - سورة النساء الاية (٤٥) .

(٥٦) - سبق تخريجه من رواية الترمذي.

(٦٦) - سورة الاعراف الاية (١٩٦) .

(٧٦) - جامع البيان للطبري ج ١٣ ص ٣٢٣ .

(٨٦) - مختصر النهج الاسمي ص ٢٩٨ .

(٩٦) - الاسماء والصفات للبيهقي، ص ١٧٤ .

(١٠٦) - سورة الحج الاية (٧٨) .

(١١٦) - سورة آل عمران الاية (١٥٠) .

(١٢٦) - سورة الانفال الاية (٤٠) .

(١٣٦) - سورة البقرة الاية (٢٨٦) .

(١٤٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٢٨١٢) .

(١٥٦) - سورة محمد الاية (١١) .

(١٦٦) - الاسماء والصفات للبيهقي، ص ١٧٥ .

ذلك في التنزيل قال تعالى { ادْفَعْ بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } (١٦٦) { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (٢٦٦) فاولياء الله هم محبوه وناصروا دينه: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (٣٦٦) اما اسمه سبحانه وتعالى الحميد فقد ورد في القرآن الحكيم في عدة آيات: { وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ } (٤٦٦) وجاء في السنة النبوية في حديث ابي هريرة عند الترمذي الذي جاء فيه.. ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة (٥٦٦) وعد منها (الحميد) قال الحلبي: هو المستحق لأن يحمد لأنه جل ثناؤه بدأ فأوجد، ثم جمع بين النعمتين الجليلتين الحياة والعقل، ووالى بعد منحه، وتابع آلاءه ومنه، حتى فانت العد، وإن استفرغ فيها الجهد، فمن ذا الذي يستحق الحمد سواه؟ بل له الحمد كله لا لغيره، كما أن المن منه لا من غيره، قال الخطابي: هو الحمود الذي استحق الحمد بفعاله، وهو فاعيل بمعنى مفعول، وهو الذي

(١٦٦) - سورة فصلت الاية (٣٤) .

(٢٦٦) - سورة التوبة الاية (٧١) .

(٣٦٦) - سورة يونس الاية (٦٢) .

(٤٦٦) - سورة الشورى الاية (٢٨) .

(٥٦٦) - سبق تخريجه .

٤٢٠٩ ثمة معرفة اسم الله الولي المولى النصير الحميد

يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط ولا يعترضه الخطأ فهو محمود على كل حال (١٦٦)

ثمة معرفة اسم الله الولي المولى النصير الحميد

إذا علم المكلف ان الله جل وعلا هو الولي الذي تولى امور العالم والخلائق وهو مالك التدبير وانه يتولى عبده بعبادته وطاعته والتقرب اليه، وانه مولى المؤمنين ينصرهم ويسددهم، وجب عليه ان يؤمن به، وان يبتعد عن معصيته، وان يطلب منه المعونة والنصر، ويوالي اولياءه، ويحسن الى عبادته، فقد وعد الله بنصر من ينصر دينه وكتابه، فقال سبحانه: { إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (٢٦٦) وقال: { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } (٣٦٦) وقال ... { وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } (٤٦٦) وقال سبحانه: { إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ } (٥٦٦) وقد توعد سبحانه وتعالى من عادى اولياءه بالحرب كما جاء في الحديث قَالَ (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ) (٦٦٦) وهو سبحانه يتولى عباده المؤمنين ويوصل اليهم مصالحهم وييسر لهم منافعهم الدينية والدنيوية، فنعم المولى لمن تولاه، وقد كان من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم (اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَأَنْتَ نَصِيرِي وَبِكَ أَقَاتِلُ) (٧٦٦) وفي حديث اخر كان يقول (اللهم بك أصول وبك أجول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) (٨٦٦) فنصره الله واعزه، واحسن اليه، وكلم الله من نعمة اوليها ومنة اسداها ورحمة فتحها لعباده المؤمنين فهو الولي الحميد، فله الحمد التام على جميع خلقه، وله الحمد على الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية وله الحمد على ما صرفه من المكاره، وله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لافعاله، وله الحمد على خلقه، وله الحمد لذاته، فاحمده اخي تفر بخير الدنيا والاخرة، فهو الذي يستحق جميع المحامد باسرها، فنحمده على كل نعمة وعلى كل حال بحامده كلها ما علم منها وما لم يعلم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (ربنا ولك الحمد ملء السموات والارض وما بينهما وملء ما شئت) (٩٦٦) ، ويقول (أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) (١٠٦٦) ، ثم يجب على المكلف ان يعتقد ان الحمد على الاطلاق انما هو لله، وان الالف واللام للاستغراق فهو مستحق للحمد كله ثم يجب عليه ان يسعى في خصال الحمد وهو التخلق بالاخلاق

- (١٦) - الاسماء والصفات ص ١٦٠ .
 (٢٦) - سورة محمد الاية (٧) .
 (٣٦) - سورة الروم الاية (٤٧) .
 (٤٦) - سورة الحج الاية (٤٠) .
 (٥٦) - سورة آل عمران الاية (١٦٠) .
 (٦٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٦٠٢١) .
 (٧٦) - الترمذي في سننه حديث رقم (٣٥٠٨) .
 (٨٦) - المعجم الاوسط حديث رقم (١٠٠٣) .
 (٩٦) - صحيح ابن خزيمة حديث رقم (٦١٢) .
 (١٠٦) - الترمذي في سننه حديث رقم (٣٣٠٥) .

٤٢٠١٠ دعاء الله باسمه الولي المولى النصير الحميد

الحميدة والافعال الجميلة، ويترك نقيضها ويدع سفاستها (١٦) وان يجعل الحمد كله لله رب العالمين، فانه المحمود على ما خلقه وامر به ونهى عنه، وهو المحمود على فضله وانعامه على اوليائه وعلى جميع خلقه، فكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحمده، ولهذا سبح بحمده السموات والارض ومن فيهن {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} (٢٦) .

دعاء الله باسمه الولي المولى النصير الحميد

اللهم يا وليي يا مولاي ويا نصيري يا حميد الفعال اسالك يا الله يا وليي في الدنيا والاخرة الدرجات العلا من الجنة، والنجاة من النار، وان تجعلني لك وليا، واعوذ بك من سوء الخاتمة، واسالك يا الله يا وليي يا حميد ان تحببني حميدا وان ترزقني عملا سديدا، وان تميّني راضيا مرضيا شهيدا، وان تصبرني نصرا مبينا واسالك التوفيق في كل قول وعمل وان توفقني لطاعتك وموالاتك واوليائك ونصرة كتابك وسنة نبيك، وان تعينني على كل عمل يرضيك، وتجعلني يا الله حامدا لك في كل احوالي، وان تغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وان تصلح اعمالهم واعمالهم يا راحم الراحمين، اللهم يا وليي يا حميد اني اعترف لك من صميم قلبي، وبكل جارحة من جوارح بدني، وبكل خلية من خلايا جسمي، ان كل نعمة مضت، او هي كآنة الان او ستكون في الدنيا او في الاخرة في السموات او في الارض علي او على غيري من انس او جن او

(١٦) - الاسنى للقرطبي، ص ١٨٩ .

(٢٦) - سورة الاسراء الاية (٤٤) . وانظر تفصيل اوسع في طريق المهجرتين ص ١٩٢، والجامع لاسماء الله الحسنى ص ٢٠٢ .
 ملك انك انت الله وحدك الذي خلقتها ومنحتها ليس لاحد فيها اي شرك او تدخل، فلك الحمد على ذلك حمدا كثيرا طيبا مباركا، سبحانك اللهم لاله الا انت، اعلم ان كرمك يا الله لاحد له، وان فضلك لا منتهى له فاسالك وارجوك يا وليي يا حميد يا من لا يحد كرمه ولا ينتهي فضله، يا وليي يا حميد ان تجعل اعترافي هذا وحمدي هذا عدد خلقك ووزنة عرشك وعدد ذرات الوجود يدوم بدوامك ويتجدد في كل لحظة ونفس ابد الابدين، سبحانك لا احصي ثناء عليك، انت مولاي ومولى كل شيء فاغفر لي وارحمي واستجب دعائي، وحقق بفضلك املي ورجاءي، انت وليي في الدنيا والاخرة توفي مسلما والحقني بالصلحين، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، واسالك يا الله ان تصلي علي محمد وآل محمد كما صليت علي ابراهيم وعلى آل ابراهيم وان تبارك علي محمد وعلى آل محمد كما باركت علي ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد.

ويرحم الله محمد بن ابراهيم الوزير (١٦) حيث يقول:

اليك وجهت يا مولاي امالي ... فاسمع دعائي وارحم ضعف احوالي
 ارجوك مولاي لانفسي ولاولدي ... ولاصديقي ولااهلي ولامالي

لما عرفتك لم انظر الى احد ... فلا الرعية ارجوها والا الوالي

(١٦) - هو الامام المجتهد الفاضل / محمد بن ابراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الوزير الحسيني القاسمي صاحب الذهن الوقاد والمؤلفات الشهيرة منها ايثار الحق على الخلق وارشاد النقاد والروض الباسم وغير ذلك الكثير الكثير وله ديوان لايزال مخطوطا مولده بهجرة الظهراوين من شطب صعدة اليمن وتوفي سنة ٨٤٠هـ وانظر ترجمته في البدر الطالع للامام الشوكاني، وأعلام المؤلفين الزيدية للعلامة عبد السلام بن عباس الوجيه.

فلا تكلي الى من ليس يكلؤني....وكن كفيلي فانت الكافل الكالي
واسقني كاس ودمن ودادك يا ... مولاي فهو شراب سلسل حالي
فلا وحقك ماللقلب من شغف ... الا بجبك فلتشرح به بالي
وفيه سلوان قلبي من علاقته ... وسلسيلي وسلواي وسلسالي
ومنه احبي ومن فقدي له مرضي ... ومرهمي ابدأ منه وابلاي
انا الفقير الى مولاي يرحمني ... في بطن لحد وحيش مظلم خالي
هناك لحمي لدود القبر فاكهة ... والعظم والوجه مني في الثرى بالي
انا الفقير الى مولاي يرحمني ... يوم القيامة من عنف وأهوال
وان اكون بعيدا من تعطفه ... مقطعا عنه في الابد امالي
اني الفقير الى مولاي يحشرنى ... في زمرة المصطفى المختار والال
صلى الاله على ارواحهم ابدأ ... ضعفا على قدر زخار وهطال

٤٣ الفصل الثاني والاربعون السعادة

الفصل الثاني والاربعون
السعادة

٤٣.١ السعادة

السعادة
السعادة خير وفير، وفضل كبير، وعمل صالح، ومشروع ناجح، ومتجر راجح، وإيمان صادق، وبهجة وسرور، واخلاص وتوفيق، والسعادة قيمة فردية أو اجتماعية أو حضارية يسعى الانسان السوي للحصول عليها والوصول اليها، فهي يمن وبركة وامان وثقة، وفي اللغة: السعد اليمن وهو نقيض النَّحْس والسُّعُودَة خلاف النحوسة والسعادة خلاف الشقاوة، يقال يوم سَعَدَ ويوم نحس (١٦) ، والسعادة شعور مصدره اعماق الانسان، فهي تصدر من داخله بتناغم جسدي وعقلي ترتاح بها الارواح وتسعد، وتنعم بها الاجسام وتتلذذ، ينالها التقي، ويحرمها الشقي، فليس هناك من دواء يجلب السعادة غير الاخذ بأسبابها، والايمان بما وعد الله به لاصحابها، واتباع ما امر الله به في القرآن، واجتناب ما نهى الله عنه في شريعة الاسلام، واتباع نهج محمد عليه الصلاة والسلام، اذ لايمكن تحقيقها تجميع الثروة، أو السلطة، أو الشهرة مهما اجتمعت، دون الرجوع الى الى كتاب الله وسنة نبيه، فكم راينا من ثري شقي بماله، وانحرب بين رجاله، وجميل اكتتب ولم ينفعه جماله، وفنان ارهقه الطرب واصابه العطب، وبامكان من فقد السعادة ان يستعيدها اذا حالفه الصواب ورجع الى السنة والكتاب، فانه سيجد الحياة وضيئة والكون من حوله جميلا مملوءاً بالمسرات والامل، وسينفض الى اكتساب الصالحات بجميل العمل، وسيجد ان يومه خير من امسه، وانه

(١٦) - لسان العرب مادة سعد.

لا يحتاج الى كثير من الماديات ليحقق قدرا كبيرا من السعادة والنجاح والقوة، قال الشاعر:
وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ ... وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ

وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ ذُخْرًا ... وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْآتِقَى مَزِيدٌ
وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبٌ ... وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْضِي بَعِيدٌ (١٦)

وقال اخر:

إِنَّ السَّعِيدَ لَهُ فِي غَيْرِهِ عِظَةٌ ... وَفِي التَّجَارِبِ تَحْكِيمٌ وَمَعْتَبَرٌ (٢٦)

ان السعيد من اطاع ربه، وحسن خلقه، واسعد اهله، واثمر عمله، وابتعد عن الرذيلة، وغرس في نفسه وفي الناس الفضيلة، وكان عوناً لآخواته، وشرفاً لزمانه، فله في غيره عظة، وفي التجارب عبر، فهو يسعد نفسه وينجي اهله، وفي الحديث النبوي: (السعيد من وعظ بغيره) (٣٦) والسعيد من ينجو من النار.

قال الشاعر:

مَا إِنْ أَبَالِي إِذَا أَرَوَّحْنَا قُبِضَتْ ... مَاذَا فَعَلْتُمْ بِأَوْصَالٍ وَأَبْشَارٍ
تَجْرِي الْحَجْرَةَ وَالنَّسْرَانَ عَنْ قَدَرٍ ... وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ السَّارِي بِمِقْدَارٍ
وَقَدْ عَلِمْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَنْفَعُهُ ... أَنَّ السَّعِيدَ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ (٤٦)

وقال آخر:

(١٦) - هذه الايات للخطيئة، ورويت هذه الايات ايضاً للناطقة الشيباني، والله اعلم.

(٢٦) - هذا البيت للحارث بن حلزة.

(٣٦) - المعجم الاوسط حديث رقم (٧٨٧١) .

(٤٦) - هذه الايات لابن ابي الحوساء.

وَمَا السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا لِذِي أَمَلٍ ... إِنَّ السَّعِيدَ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ (١٦)

اما صالح بن عبد القدوس فهو يقول:

يَشْتَقِي رِجَالَ وَيَشْتَقِي آخَرُونَ بِهِمْ ... وَيُسْعِدُ اللَّهُ اقْوَامًا بِاقْوَامٍ

وقال اخر:

وَإِذَا سَخَّرَ الْإِلَٰهَ أَنَا سَا ... لِسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سَعْدَاءُ (٢٦)

والسعادة نعمة تعمم بها الديار، وينتفي العار، وتحل الرحمة، وتطيب بها الثمار، وتعم الخيرات، وتحل البركات، ويتعاون الناس في كل الاوقات، وفي الحديث النبوي: مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ وَمِنْ شَقْوَةِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثَةٌ مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ وَالْمَسْكَنُ الصَّالِحُ وَالْمَرْكَبُ الصَّالِحُ وَمِنْ شَقْوَةِ ابْنِ آدَمَ الْمَرْأَةُ السُّوءُ وَالْمَسْكَنُ السُّوءُ وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ (٣٦) ، والسعادة رضا بما كتب الله وقدر، والسعادة رحمة، وتعاون والفة، والسعادة ايمان واخلاص، ونجاح وفلاح، وخليق بالعاقل ان يعرف طريقها، ويلزم الاخذ باسبابها حتى لا يقع الخطأ عليه في اختيار الوضيع على الرفيع، وتقديمه الخسيس على النفيس، فالناس في متحرياتهم طالب لخير، وهارب من شر، قال الشاعر:

النَّفْسُ بِالشَّيْءِ الْمُنْعَى مَوْلَعَهُ ... وَالْحَادِثَاتُ أُصُولُهَا مُتَفَرِّعُهُ

وَالنَّفْسُ لِلشَّيْءِ الْبَعِيدِ مُرِيدَةٌ ... وَلِكُلِّ مَا قُرِبَتْ إِلَيْهِ مُضْبِعُهُ

(١٦) - هذا البيت لمجدد العكلي.

(٢٦) - هذا البيت لمحمد بن الحاج السلمي.

(٣٦) - احمد في المسند حديث رقم (١٣٦٨) .

٤٣٠٢ الاخذ باسباب السعادة في الدنيا سبب للحصول على السعادة في الاخرى

مَنْ عَاشَ عَاشَ بِخَاطِرٍ مُتَّصِرٍ ... مَتَّئِلٍ فِي الضِّيقِ طَوْرًا وَالسَّعَةِ

وَالْمَرْءُ يَضْعَفُ عَنْ عَزِيمَةِ صَبْرِهِ ... فَيَضِيقُ عَنْ شَيْءٍ وَعَنْهُ بِهِ سَعَهُ
وَالْمَرْءُ يَغْلُطُ فِي تَصَرُّفِ حَالِهِ ... وَلَرَبَّمَا اخْتَارَ الْعَنَاءَ عَلَى الدِّعَةِ
كُلُّهُ يُجَاوِلُ حِيلَةً يَرْجُو بِهَا ... دَفَعَ الْمَضْرَّةَ وَاجْتَلَابَ الْمَنْفَعَةَ
وَالْمَرْءُ لَا يَأْتِيهِ إِلَّا رِزْقُهُ ... فَاقْنَعْ بِمَا يَأْتِيكَ مِنْهُ فِي دَعَا (١٦)

الاخذ باسباب السعادة في الدنيا سبب للحصول على السعادة في الاخرى

ان رسل الله جاؤوا من عند الله لاقامة العدل، وتلطيف السلوك البشري، وتعليم الناس عبادة ربهم، وما يسعدهم وينفعهم في الدنيا والاخرة، وقد افاض الله على الانسان في هذه الحياة من النعم والخيرات، ما يجعله ينعم ويتبجح ويكون مسرورا، وعندما ياخذ بتعاليم الشريعة فانه يحس بانه يعيش في مجتمع يرفق القوي فيه بالضعيف ويرعى الكبير الصغير، فتعم الطمأنينة كافة ابناءه فيحصل الرضا والتكافل والترابط بين كافة ابناء المجتمع، فالايمان حيمنا يتجاوز بالمظهر الى الروح والقلب والعقل فانه يؤثر في السلوك والشعور والتفكير فيحدث الانسجام بينما يقوله المرء ويفعله وبينما يؤمن به من القيم والمثل، وهذا يجعل بني الانسان في حالة تعارف وتالف مع ما كان وماهو كائن، مع رسالات الله ورسله اجمعين، وذلك ما يحمل في طياته السعادة والطمأنينة والهناء، وهو ما يعتلج في القلب والعقل والروح، فتفيض جوارح الانسان واحاسيسه خيرا وطيبه، فهو في أمن على حياته وفي أمن على مستقبله، فلا اضطراب ولا تدبذب، فهو في تواصل

(١٦) - هذه الايات لابي العتاهية.

٤٣.٣ البحث عن السعادة

روحي مع خالق الاكوان، ينتظر الرحمة والسعادة الابدية التي يأتي بها الله في الحياة الاخرة، فهي اعلا السعادة واشرفها. قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِئْسَ الْجَنَّةُ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ} (١٦) وذلك هو الخير المحض، والفضيلة الصرف، والحياة الدائمة في الدار الاخرة، والعلم بلا جهل، والقدرة بلا عجز، والغنى بلا فقر، ولا يمكن الوصول الى ذلك الا باكتساب الفضائل النفسية في الدنيا واستعمالها قال تعالى: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} (٢٦) .

البحث عن السعادة

كل من تراه على وجه الارض يبحث عن السعادة في عالم الارض، فكل من تراه يبحث عنها ويجتهد، ويجد في الوصول اليها، وقد يكون ذلك الباحث ملكا أو رئيسا أو زعيما رجلا أو امرأة كل هأولا وغيرهم من الناس على اختلاف وضعهم ومسئولياتهم وظروف حياتهم يبحثون عن الحياة الطيبة، ويبحثون عن السعادة الدائمة، يبحث عنها اناس في ملك دولة يظنونها لايبلى، ويبحث عنها اخرون في زواج جميلة هيفاء، ويبحث عنها ثالث في مال يملؤ عليه بصره وقلبه، ويبحث عنها رابع في وظيفة أو سيارة أو حلم من احلام هذه الحياة، مع ان السعادة قريبة جدا ممن يطلبها في رسالة الله الى عباده عن طريق أنبيائه وعن طريق خاتم رسله، سيجدها في

(١٦) - سورة هود الآية (١٠٨) .

(٢٦) - سورة الاسراء الآية (١٩) .

الايمان بالله والعمل الصالح، فالسعادة لاتعدوان تكون ممارسة عملية لإحكام شريعة الله، وفي القرآن على ذلك دليل وشاهد: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١٦) ولعل هذا المعنى هو الذي حدى بالحسن البصري رحمه الله ليقول: "والله لو يعلم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليه بالسيوف"

اما العلامة محمد بن محمد المنصور (٢٦) فهو يقول:

قسما يربك إن لذة طاعة... لتفوق لذات الحطام الفاني

ما المالُ ما الأبناءُ ما جاهُ وما ... مُلكٌ وكأسٌ واحتضانٌ غواني
وقال اخر:

ان السعادة امر ليس يدركه ... أهل السعادة الا بالمقادير
مخزونة عن اناس طالبين لها ... وقد تساق الى قوم بتيسير (٣٦)
ان السعادة طاقة ايجابية نابعة من اعماق الانسان، لها قوة ولها مكونات من مبادئ واعمال، وقدر كل انسان يولد على كوكب الارض
السعادة أو الشقاء، فالله تعالى يريد للانسان ان يكون سعيدا، ولكن قد تؤثر عوامل تربوية وبيئية كثيرة في نمط التفكير وعمل الانسان
فيفقد هذه السعادة،

(١٦) - سورة النحل الاية (٩٧) .

(٢٦) - هو العلامة العابد الناسك الفاضل المجتهد/ محمد بن محمد بن اسماعيل المنصور الحسيني اليماني من العلماء المعاصرين فيلسوف
ومفكر اسلامي كبير وهو مرجع لعلماء الزيدية عرف بالاخلاق الكريمة والتواضع وله عدة اجاث ومؤلفات مخطوطة وهو اديب كبير
وشاعر فصيح له ديوان مطبوع اسماء لوامع من خواطر شواسع، وهذان البيتان من قصيدة له اسمها برق يماني مطلعها:
(علي بربي شاخ الاركان ... بالعقل اشده وبالقرآن) .

(٣٦) - اورد هذين البيتين الراغب الاصبهاني، في محاضرات الادباء منسوبة لمحمد بن عمر الوراق.

وينظر الى جانب اخر وهو التعاسة والقنوط والشقاء، وهناك انماط فلسفية واجتماعية ودينية لبعض الشعوب والامم تركز في الانسان
فلسفة الحزن والالم والقنوط، وهذه الفلسفة قد تسهم في ازدياد التعساء اليأسين من البشر، وهو خلاف للفطرة التي فطر الله الناس
عليها، وعلى النقيض مما جاء به القرآن الذي يرشد بني الانسان الى كل امر فيه سعادتهم ونجاتهم وفلاحهم، ويحذر من الاعراض عن
منهج الله، والابتعاد عن ذكره وشكره، فذلك احد اسباب التعاسة والشقاء، وتدبر في قول الحق تبارك وتعالى: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي
فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ
الْيَوْمَ تُنسى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى } (١٦) والله در القائل:

ان حياً يرى الفساد صلاحاً ... او يرى الهدى والرشاد فساداً

واقع في هلاكه مثلها اهلك ... سابور في السواد ايدا (٢٦)

ان السعادة التي تبحث عنها مصدرها الايمان واليقين، وخشية الله الخالق العظيم، فالشعور بالسكينة والرضا والهدوء والصفاء تصدر من
اعماق الانسان وتغمر جوارحه وروحه فيغدو مرتاحا في نفسه، سمحا في اخلاقه، بعيدا عن الانفعال والقلق، فهو انسان مطمئن مرشح
لان ينعم بصحة جيدة، يحظى بحبة وتقدير زملائه واسرته ومجتمعه، ويعود عليه ذلك الهدوء

(١٦) - سورة طه الاية (١٢٤-١٢٧) .

(٢٦) - هذان البيتان للعلامة محمد المنصور. وسابور: الملك المشهور في التاريخ، الملقب ب (ذو الاكثاف) اشهر الاقاصرة، وايدا: قبيلة،
شقيقة مضر الحمراء.

٤٣٠٤ السعيد من صلح قلبه

بالسعادة والبهجة، والابتسامة الطيبة، حيث يظهر على وجهه انبساط من غير عبوس وابتسامة من غير جزع، وقد اشار القرآن الكريم الى
الطمأنينة التي تحل بقلوب المؤمنين الذاكرين فقال سبحانه: { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } (١٦)
ويرحم الله ابا العتاهية حديث يقول:

وَإِذَا اتَّقَى اللَّهُ إِمْرُؤٌ وَأَطَاعَهُ ... فَتَرَاهُ بَيْنَ مَكَارِمٍ وَمَعَالٍ
عَلَى التَّقَى إِذَا تَرَسَّخَ فِي التَّقَى ... تَاجَانِ تَاجُ سَكِينَةٍ وَجَلَالٍ
ويغفر الله لابي قاسم الشابي حيث يقول:

لم أجد في الحياة لحناً بديعاً... يَسْتَبِينِي سِوَى سَكِينَةِ نَفْسِي
السعيد من صلح قلبه

السعيد من صلح قلبه، وحسن نطقه، وعبد ربه، ووصل الى الناس خيره، وابتعد عن الناس اذاه وشره، فليس لك من قلبين في جوفك تجعل من احدهما منبعاً للسعادة والخير، وتجعل من الاخر منبعاً للشقاوة والشر، وفي الذكر الحكيم: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} (٢٦) فكان المراد أن الإنسان لا يمكن أن يكون له قلبان يجمع بهما بين الضدين وهو ابتغاء مرضات الله وابتغاء مرضات أعدائه بل له قلب واحد إذا صدق في التوجه إلى شيء لا يمكن أن يتوجه إلى ضده بالصدق والإخلاص، فيكون في وقت واحد مخلصاً لله ومخلصاً لأعداء دينه، ومن هذا الباب قول الشاعر وقد رمق سماء هذا المعنى:
لو كان لي قلبان عشت بواحد... وتركت قلباً في هواك يعذب

فلو تملك قلبك حب الله، وحب رسوله، وحب شريعته، وحب الخير لعباده، وحب الفضيلة، وحب الايثار، وحب التعاون، وحب الإصلاح، وحب العلم، وحب العمل، وكرهية كل ما هو ضد لذلك، فانك ستكون سعيداً، وفي الحديث النبوي (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) (٣٦) فمن أصلح قلبه نور الله بصيرته، وكان سعيداً في الدنيا والاخرة، وانما يصلح الانسان قلبه بالايمان والعمل الصالح، والابتعاد عن العجب والغل والحسد والردائل، ويروى انه كَانَ الْحَسَنُ، يَقُولُ: "لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، فَإِذَا عَرَضَ لَهُ قَوْلٌ نَظَرَ فَإِنْ كَانَ لَهُ قَالٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَمْسَكَ. وَلِسَانُ الْأَحْمَقِ أَمَامَ قَلْبِهِ، فَإِذَا عَرَضَ لَهُ الْقَوْلُ قَالَ عَلَيْهِ أَوْلَهُ" (٤٦) فالسعيد من حفظ جوارحه وحفظ لسانه واطاع ربه، وعصى عدوه الشيطان، ولم يسع الى زرع الفتن وكفر النعم، والسعيد يحب الله ويحب الناس ولا يحتقرهم، والسعيد يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، والسعيد يحب الخير للناس، ويكره اذاهم، فهو متق لله وخائف منه، وفي الحديث النبوي: إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جَنَّبَ الْفِتْنََ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جَنَّبَ الْفِتْنََ

- (١٦) - سورة الرعد الاية (٢٨) .
- (٢٦) - سورة الاحزاب الاية (٤) .
- (٣٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٥٠) .
- (٤٦) - شعب الايمان للبيهقي حديث رقم (٤٣٧١) .

٤٣.٥ القلب وما يعرض له من السعادة والشقاء

وَمَنْ ابْتَلَى فَصَبَرَ فَوَاهَا (١٦) وفي الذكر الحكيم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ نُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (٢٦) .
القلب وما يعرض له من السعادة والشقاء

يطلق لفظ القلب اسماً لمضغة في الفؤاد معلقة بالنياط أو بمعنى الفؤاد مطلقاً، ويقول بعضهم: ان القلب هو العلقة السوداء في جوف هذه المضغة الصنوبرية الشكل المعروفة، كأنه يريد أن هذا هو الأصل ثم جعله بعضهم اسماً لهذه المضغة، وبعضهم توسع فسمى هذه اللحمية كلها حتى شحمها وحجابها قلباً، ويطلق اسماً لما في جوف الشيء وداخله، واسماً لشيء معنوي وهو النفس الإنسانية التي تعقل وتدرك وتفقه وتؤمن وتكفر وتثقي وتزيغ وتطمأن وتلين وتقسو وتخشى وتخاف، وقد نسبت إليه كل هذه المعاني في القران، والأصل في هذا أن أسماء الأشياء المعنوية مأخوذة من أسماء الأشياء الحسية، وقد أطلق على الشيء الذي يحيي به الإنسان ويدرك العقليات والوجدانيات كالحب والبغض والخوف والرجاء عدة أسماء منها القلب والروح والنفس واللب، وهناك مناسبة أخرى للقلب وهي قلب الحيوان وهو مظهر حياته الحيوانية ومصدرها والوجدانيات النفسية، والعواطف تأثير في القلب الحسي يشعر به الإنسان، ومهما كانت المناسبة التي كانت سبب التسمية فلفظ القلب يطلق في القران بمعنى النفس المدركة والروح العاقلة التي يموت الإنسان بخروجها، منه

قوله تعالى: {وَبَلَغْتَ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ} (٣٦) أي الأرواح لا هذه المضع اللحمية التي لا تنتقل من مكانها، وقال تعالى: {فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} (٤٦) أي نفوس وأرواح، وليس المراد أن القلب الحسي آلة العقل وقال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ} (٥٦) أي على نفسك الناطقة وروحك المدركة، وليس المراد بالقلب هنا المضع اللحمية ولا العقل، لان العقل في اللغة ضرب خاص من ضروب العلم والإدراك، ولا يقال إن الوحي نزل عليه ولكن قد تسمى النفس العاقلة عقلا كما تسمى قلبا، وقد يعزى إلى القلب ويسند إليه ما هو من أفعال النفس أو انفعالاتها التي يكون لها اثر في القلب الحسي كقوله تعالى: {إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ} (٦٦) وقوله تعالى: {لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ} (٧٦) وقوله تعالى: {وَيَذْهَبُ غَيِّظَ قُلُوبِهِمْ} (٨٦) . ولما كان القلب اعظم منه فقد جاء القرآن ليبين اسباب السعادة لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد، قال تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (٩٦) فقد امتدح القرآن

- (١٦) - ابو داود في سننه حديث رقم (٣٧١٩) .
- (٢٦) - سورة الانفال الاية (٢٤-٢٥) .
- (٣٦) سورة الأحزاب (١٠) .
- (٤٦) سورة الحج (٤٦) .
- (٥٦) سورة الشعراء (١٩٣ و١٩٤) .
- (٦٦) ذكرت بنفس اللفظ في موضعين: سورة الأنفال (٢) , وسورة الحج (٣٥) .
- (٧٦) سورة آل عمران (١٥٦) .
- (٨٦) سورة التوبة (١٥) .
- (٩٦) - سورة ق الاية (٣٧) .

٤٣٠٦ الشقي من طبع على قلبه

من استعمل قلبه وسمعه وبصره، وذم من لا ينتفع بها فقال: {فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} (١٦) وقال تعالى: {لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} (٢٦) فالسمع والبصر كالاخوين يخدم كل واحد منهما صاحبه في ادراكه، وقد ينوب السمع عن البصر في ابلاغ القلب بما ياخذه، فاستخدم هذه النعمة، واجعل قلبك سعيدا تسعد، فاذا اسلم قلبك، وسلم فقد سعدت، فتدبر قول العزيز الحكيم: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} (٣٦) وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أيها الناس، إنكم جئتم من القريب والبعيد، فأفضيتم الظهر وأخلقتم الثياب، وليس السعيد من سبقته دابته، أو راحلته، ولكن السعيد من تقبل منه.

الشقي من طبع على قلبه

الشقي من عصى ربه، واطاع الشيطان عدوه، وكثر شره، وعق اهله، والشقي من طبع على قلبه ونسي عقاب ربه، فهو شقي في عمله، شقي في نفسه، شقي في بلده ومجتمعه، منغمس في الشهوات المحرمة، متبع لهواه، ومعرض عن ذكر مولاه، فمعيشتته ضنكه، وإن عمر القصور، ونكح اشباه الحور، فمتاعه يسير وعيشه حقير، وحسابه غير يسير، فهو يستعجل العذاب

- (١٦) - سورة الاعراف الاية (١٧٩) .
- (٢٦) - سورة الحج الاية (٤٦) .
- (٣٦) - سورة الشعراء الاية (٨٩) .

بظلمه للعباد، وبالتعالي والاستبداد، وفي الذكر الحكيم: {أَفْبَعْدَآبِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ} (١٦) ويقول العزيز الحكيم: {أَفَنَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ

هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} (٢٦) والشقاوة هي الألم الذي يملك كل ملكات النفس لا يترك منها جانباً، يقولون: فلان شقي يعني مضيق عليه ومتعب في كل أمور حياته، لا يرى راحة في شيء منها. وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي في تفسير قوله تعالى: {غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا.} (٣٦) يريدون أن يُبْعِدُوا المسألة عن أنفسهم ويُلقون بها على الله تعالى، يقولون: يا رب لقد كتبت علينا الشقاوة من الأزل، فلا ذنب لنا، وكيف نسعد نحن أنفسنا؟ يقولون: لو شاء ربنا ما فعلنا ذلك. ونقول لهم: لقد كتب الله عليكم أزلاً؛ لأنه سبحانه علم أنكم ستختارون هذا (٤٦) .

فُسْوَاءُ الْقَصْدِ وَقَسَادِ النَّيَّةِ وَخُبْثِ السَّرِيرَةِ، وَهَذِهِ الْأَعْمَالُ وَالصِّفَاتُ هِيَ الْأَصْلُ فِي الشَّقَاوَةِ وَعَلَيْهَا مَدَارُ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَالشَّقِي يَجْلِبُ لِنَفْسِهِ وَلَأُمَّتِهِ وَمَجْتَمَعِهِ الدَّمَارَ، وَالشَّقَاءُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَتَدْبِرُ قَوْلَ

- (١٦) - سورة الشعراء الآية (٢٤-٢٧) .
- (٢٦) - سورة القصص الآية (٦١) .
- (٣٦) - سورة المؤمنون الآية (١٠٦) .
- (٤٦) - تفسير الشعراوي، ص ٦٢٥٨.

٤٣٠٧ الله مقلب القلوب فلا تغفل

العزیز الحکیم: { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا } (١٦) والله در القائل:

ما شقوة المرء بالإقتار يقتريه ... ولا سعادته يوماً بإثثار
إن الشقي الذي في النار منزله ... والفوز فوز الذي يخجو من النار
أعوذ بالله من أمر يزين لي ... لوم العشييرة أو يدني من العار
وخير دنيا ينسبي شر آخره ... وسوف ينبئني الجبار أخباري
لا أدخل البيت أحبو من مؤخره ... ولا أكسر في ابن العم أظفاري
إن يحجب الله أبصاراً أراقبها ... فقد يرى الله حال المدج الساري (٢٦)

الله مقلب القلوب فلا تغفل

ان الله سبحانه وتعالى جعل قلوب عباده بيده، وما اكثر ما تضيق قلوب الاشقياء، وتلين قلوب السعداء، فالقلوب بيد الله، فهو الذي يسعدك، وهو الذي يقبض عنك كل سعادة، وقد ملك زمام كل شيء، واليه يرجع امر كل شيء، فاذا قبض القلب فهو لا يفهم، واذا قبض العقل فانه لا يدرك ولا يتعلم، فاذا اطعت الله ورجعت اليه فان قلبك سيكون مفعماً بالسعادة والرضا، فأنت تثقل من حال الى حال، من حالة بسط الى حالة قبض، ومن حالة قبض الى حالة بسط، فقلبك يطلع عليه الله وينظر اليه، ففي

- (١٦) - سورة الشمس الآية (١١-١٥) .

(٢٦) - هذه الايات للمغيرة بن حبناء، وقيل ايضاً انها ليزيد بن حبناء، والله اعلم.

الحديث النبوي (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) (١٦) ، فاذا جاءك القبض اثر معصية او مخالفة او عدوان فهذا قبض معصية، وعلاج ذلك بالتوبة والرجوع الى الله، اما اذا كان القبض لغير ذلك او لامر لاتعرفه فإن ذكر الله يجعل القلب مطمئناً، وملازمة الاستغفار يذهب عنه الاوضار، فالله جل وعلا يقلب القلوب يقبضها ويبسطها، ولعلك تدرك ان

الله اذا قبض عنك الأحوال الطيبة شعرت بالوحشة والضيق والحрман, وشعرت انك مردود, واذا ذكرت الله وفوضت الامر اليه واستغفرت وتلوت القرآن من الله عليك بالتجلي, وشعرت بالخشوع والسرور, والانشراح والانس والسعادة, فكن على يقين, ان معك ميزانا اذا اعتديت وعصيت شعرت بالانكباب, وضاق صدرك وان كانت دارك واسعة واموالك كثيرة فإن ذلك لا يشعر بالسعادة, فلا تكن من الغافلين, قال الشاعر:

ما بال قلبك قد الهاه عاجله ... من امر دنياه حتى فات اجله
يا غافلا والمنايا غير غافلة ... هل رد حتف امرئ عنه تغافله (٢٠)

فبذكر الله تطمئن القلوب, وتشرق النفوس, وتسعد الحياة, ويزول الكدر, ويذهب الضيق والضرر, قال الشاعر:
لاتضق ذرعا بحال ... فالذي سواك حاضر
وهو بي ارحم مني ... كلما دارت دوائر

(١٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٤٦٥١) .

(٢٠) - هذان البيتان منسوبة في الموسوعة الشعرية لفتح بن محمد السعدي الدمياطي.

لاتخف لاتخش مهما..... كنت للرحمن ذاكر (١٦)

فما اكثر ما تضيق قلوب بعض الناس حتى تكاد تموت من الضيق, وتقسوا حتى تكاد تكون اقسى من الحجرة فهي كالصخر لاتلين, وفي الذكر الحكيم: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ اَوْ اَشَدُّ قَسْوَةً وَاِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْاَنْهَارُ وَاِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَاِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (٢٠) ورضي الله عن الامام الشافعي حيث يقول:
وَمَا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي ... جَعَلْتُ الرَّجَاءَ مِنِّي لِعَفْوِكَ سَلْبًا

وانما علاج القلوب الرجوع الى الله وملازمة ذكره وحمده, وشكوه, ولعلك تدرك احيانا ان الفطرة تنطمس, فلا يدرك الانسان الصواب, وفي السنة النبوية ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: اِنَّ الْمُؤْمِنَ اِذَا اُذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فِي قَلْبِهِ فَاِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ فَاِنْ زَادَ زَادَتْ فَذَلِكَ الرَّأْنُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (٣٠) فاقتراف المعاصي تلو المعاصي والمخالفات تلو المخالفات والانغماس بالملاذات, والتطاول على خلق الله, وترك العبادات والطاعات, كل ذلك ينتهي الى اغفال القلب وتغليفه, وتدبر قول العزيز الحكيم: {وَلَا تُطِعْ مَنْ اَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ اَمْرُهُ فُرُطًا} (٤٠) ويقول

(١٦) - هذان الايات للعلامة محمد بن محمد المنصور.

(٢٠) - سورة البقرة الاية (٧٤) .

(٣٠) - سنن ابن ماجه حديث رقم (٤٢٣٤) .

(٤٠) - سورة الكهف الاية (٢٨) .

سبحانه: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (١٦)

اما اذا كنت تمشي في طريق الايمان وحصل لك وحشة, او ضيق فلعلها معالجة الالهية لطيفة لقلبك, وامتحان للبك, فعليك ان تصبر وتستغفر حتى تنجلي هذه الحالة بفضل الله وقدرته, وفي الحديث النبوي: (اِنَّهُ لِيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَاِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ) (٢٠) وكان صلى الله عليه وآله وسلم (يُكْثِرُ اَنْ يَقُولَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ فَقُلْتُ يَا رُسُولَ اللَّهِ اَمَّنَا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا قَالَ نَعَمْ اِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ اَصْبَعَيْنِ مِنْ اَصَابِعِ اللَّهِ يَقْلِبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ) (٣٠) وفي الذكر الحكيم: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً اِنَّكَ اَنْتَ الْوَهَّابُ} (٤٠) فالله عز وجل هو الذي بيده الخير كله, وهو الذي ان شاء ملاً قلبك رضا, وصدرك فرحا وسرورا, وملاً يدك رزقا وخيرا, وبسط لك العيش, ويسر لك العبادة وسبل الفلاح والنجاح, وان عصيته وأعرضت عن ذكره قبض عنك كل سعادة, وقبض عنك الفهم, وقبض قلبك, فلا يغنم ولا يرى نورا, فياتي التشاؤم والشقاء, فتعرف على الله في الشدة, يعرفك في الرخاء, واعلم ان الله القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل المبدئ المعيد بيده كل خير

فتعرف على اسمائه، وعلى شريعته، وعلى احكامه تعيش سعيدا في الدنيا والاخرة.

- (١٦) - سورة البقرة الاية (٧) .
- (٢٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٤٨٧٠) .
- (٣٦) - الترمذي في سننه حديث رقم (٢٠٦٦) .
- (٤٦) - سورة آل عمران الاية (٨) .

٤٣.٨ القابض الباسط في اسماء الله الحسنى

القابض الباسط في اسماء الله الحسنى

القابض الباسط من اسماء الله الحسنى معناها ان الله جل وعلى يقبض الارزاق والقلوب والارواح، ويبسط الارزاق والقلوب، وذلك تبع لحكمته ورحمته، وقد ثبت ورود اسم الله (القابض الباسط) جل جلاله وتقدست أسماؤه في السنة النبوية، ففي حديث انس رضي الله عنه قال: النَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ غَلَا السَّعْرُ فَسَعَّرْنَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَلِّبُنِي بِمِظْلَبَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ) (١٦) وهذا الحديث صحيح أخرجه ابوداود والترمذي وابن ماجه والدارمي وابن حبان وغيرهم، وورد (القابض الباسط) في حديث ابي هريرة عند الترمذي (ان لله تسعة وتسعين اسما) .. وعد منها (القابض الباسط) ووردت فعلا في القرآن الكريم قال تعالى: {وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (٢٦) وفي احاديث كثيرة منها ما رواه مسلم: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ) (٣٦) ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (قَالَ يَقْبِضُ

- (١٦) - ابي داود في سننه حديث رقم (٢٩٩٤) .
- (٢٦) - سورة البقرة الاية (٢٤٥) .
- (٣٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٤٩٥٤) .

٤٣.٩ ثمرة معرفة اسم الله القابض الباسط

اللَّهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ) (١٦) قال الحلبي في معنى الباسط: إنه الناشر فضله على عباده يرزق ويوسع، ويجود ويفضل ويمكن ويخول ويعطي أكثر مما يحتاج إليه، وقال في معنى القابض: يطوي بره ومعروفه عمن يريد ويضيق ويقتر أو يحرم فيفقر قال أبو سليمان: وقيل القابض وهو الذي يقبض الأرواح بالموت الذي كتبه على العباد وقال: ولا ينبغي أن يدعى ربنا جل جلاله باسم القابض حتى يقال معه الباسط (٢٦) .

وقال ابن القيم رحمه الله:

هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَافِضٌ ... هُوَ رَافِعٌ بِالْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ
 وَهُوَ الْمُعْزِلُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَذَا ... عِزِّي حَقِيقِي بِلَا بَطْلَانَ
 وَهُوَ الْمُدُّ لِمَنْ يَشَاءُ بِذِلَّةٍ الدَّ ... أَرِينِ ذُلَّ شَقَا وَذُلُّ هَوَانَ

فهو سبحانه القابض الباسط، يقبض الارواح، ويقبض القلوب، ويبسط الارزاق لمن يشاء ويقبضه عمن يشاء، فهو الذي يطوي بره ومعروفه عمن يريد ويضيق ويقتر، وهو الذي ينشر فضله على عباده، ويوسع ويجود، فهو الذي يبسط رحمته على القلوب حتى تستضيء وتخرج من ضر الذنوب وتنشرح وتسعد وهو الذي يقبض القلوب فيضيئها حتى تصير حرجا كأنما تصعد في السماء، ويبسطها بما

يفيض عليها من معاني بره ولطفه واحسانه، قال تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} (٣٦) .

ثمره معرفة اسم الله القابض الباسط

اذا عرف المكلف ان الله سبحانه وتعالى القابض الباسط والا قابض ولا باسط على الاطلاق الا هو سبحانه وتعالى وانه الذي يقبض الارواح والانفس والقلوب ويبسط الارزاق وانه الذي يبسط القلوب والالسنه والايدي، وانه الذي يبسط السحاب في السماء ويدبر شؤون العباد بحكمته وعدله ورحمته، وان السموات والارض قبضته، وان يده مبسوطة لمن تاب، وانه ينفق ويرزق كيف يشاء، قال تعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} (٤٦) وجب عليه ان يؤمن به وان يخافه من قبضه عنه منافع الدنيا والاخرة، وان يفرد به بالعبادة ويخلص له العمل، وان يبسط قلبه لاحكام الله، ولسانه لذكره وشكره، ويده لبذل الواجبات والصدقات، وان يكون مبسوط القلب بمعرفة الله منشرح الصدر بنعم الله باسطا وجهه للناس، فاذا كنت ذا بسط في الجسم فابسطه في العبادة التي تفضي بك الى السعادة في الدنيا والاخرة، وان كنت ذا بسط في المال فابسط يدك في العطاء واعطف عن المساكين والضعفاء، وتألف به قلوب العلماء والحكماء، واعمر به المساجد والمساکن للضعفة والزمناء، وازل ما على عينك من الغطاء ولا

(١٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٦٠٣٨) .

(٢٦) - الاسماء والاصناف للبيهقي ص ١٦٨ .

(٣٦) - سورة الانعام الاية (١٢٥) .

(٤٦) - سورة المائدة الاية (٦٤) .

٤٣٠١٠ دعاء الله باسمه القابض الباسط

تقبض عن الناس خيرك فيقبض قلبك فتضيق عليك الدنيا، ولا تتخلف عن اوامر الله فتشقى وتضيق عليك الدنيا، وتدبر قول الحق سبحانه وتعالى {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (١٦) وقال الغزالي: القابض الباسط من العباد من ألهم بدائع الحكم وأوتي جوامع الكلم فتارة يبسط قلوب العباد بما يذكرهم من آلاء الله عز وجل ونعمائه وتارة يقبضها بما ينذرهم به من جلال الله وكبريائه وفنون عذابه وبلائه وانتقامه من أعدائه (٢٦) .

دعاء الله باسمه القابض الباسط

اللهم يا قابض يا باسط يا قوري يا قدير يا سميع يا بصير اقبض اليك عنان املي، وزكِّ بجودك عملي، واختم بخيرك واحسانك اجلي، وابسط بالرجاء فيك دعائي، ولب بفضلك ندائي واشرح صدري ويسر لي امري، وابسط لي في رزقي من الحلال الطيب ووسع علي فيه، واجعل تقواك لباسي، وخوفك ردائي، واجعلني سعيدا في الدنيا والاخرة، وابسط علي وعلى والدي والمؤمنين رحمتك وفضلك واحسانك وبرك وكرمك وبركاتك ما ينفعنا وترفعنا به في الدنيا والاخرة يا راحم الراحمين، واسالك الدرجات العلا من الجنة، فانه لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت، ولا معطي لما منعت ولا

(١٦) - سورة التوبة الاية (١١٨) .

(٢٦) - المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى للعلامة محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابري

الناشر: الجفان والجابري - قبرص الطبعة الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، ص ٨٨ .

مانع لما اعطيت وصل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد. وقد كان من ادعيته صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضلل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما اعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك

وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمَقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ وَالْأَمْنِ يَوْمَ الْخَوْفِ اللَّهُمَّ إِنِّي
عَائِدٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أُعْطِينَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكْرَهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنْ
الرَّاشِدِينَ اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحِينَا مُسْلِمِينَ وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ رُسْلَكَ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِكَ وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهُ الْحَقِّ (١-٧) .

(١٧) - احمد في المسند حديث رقم (١٤٩٤٥) واسناد الحديث حسن .

٤٤ الفصل الثالث والاربعون الرضا

الفصل الثالث والاربعون
الرضا

٤٤٠١ الرضا

الرضا

الرضا هي حالة يتحلى بها الانسان السوي المؤمن التقي، والرضا صفة امتاز بها الانبياء والقديسون وبعض العابدين، وكل من وهبه الله
نعمة التأمل، والخشوع الحق في صلاته، وفي نظرته لما أفاء الله عليه من نعم وخيرات لا تحصى .

والرضا عكس الاحباط والسخط وانداد الافق، والانسان الراضي هو انسان مبهج في حياته، لا يعرف الحزن ولا الكآبه والبؤس،
والانسان الذي امتلأ قلبه ايمانا بالله ورضا بقضائه، هو الذي يدرك بكل جوارحه ما اولاه الله من نعمه، فنعمة الابدان والخلق ونعمة
الصحة والابصار والسمع واللمس والتذوق والشم ونعمة تكامل الاعضاء والقدرة على الكلام والمشية، ونعمة الاسلام، ونعمة الامن
والاستقرار، ونعمة الماكل والمشرب والملبس، والماء والطعام، والقدرة على النوم بدون مسكات، ونعمة الزوجة والابناء والحفدة
والاخوان والاخوات والوالدين والاقرباء، ووجود مجتمعات تتعارف وتثألف، كل هذه نعم عظيمة تحتاج الى الشعور بالرضا، والتقدير،
والامتنان، فالانسان الراضي هو انسان غمر الحب والطمأنينة والقناعة قلبه وتفكيره، فهو يعمل بجد وعزيمة، لا يعرف الوهن ولا الحزن،
يطيع الله ويتبع منهج نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فهو يذكر الله ويشكره ويعبده، فهو راض بقسمة الله شاكر لانعمه، لا يعرف
القلق ولا السخط ولا الحنق والا الغضب، يعمل الصالحات، ويسعى الى اكتساب الحسنات راضيا مرضيا، ان اصابته نعماء شكر وان
اصابته ضراء صبر ورضي، وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ* جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} (١-٧)

الرضا يجلب السرور والبهجة، والسخط والغضب يجلبان الهم والحزن

الرضا يجلب الطمأنينة والسكينة، ويساعد على التفكير في حل الازمات، فهو نعمة كبيرة يحتاجه كثير من الناس، ومن الاسباب الجالبة
له التحرر من الافكار السالبة والجموح المادي غير المشروع كالنظر الى ما عند الغير من جمال أو ذكاء أو ثراء أو وجهة أو بناء، أو سلطة،
ومحاولة سلبه، فان ذلك سلوك غير مرضي، فتخلص منه تسعد وترضى، واسأل الله من فضله تمل ماتمتنا، فالانسان الراضي يحب الخير
للاخرين ولا يتمنى زوال نعمهم بل يشكر الله على ما لديه من نعمة لو تحسبها وقتش عنها لوجدتها، وربما وجد عنده من النعم ما لم يكن
عند غيره، فالانسان الراضي لا يتكدر ولا يسخط ولا يغضب ولا يكذب ولا يتذكر الاسباب الجالبة للهم والحزن، بل يعمل ويثق بالله
الذي بيده خير الدنيا والاخرة، والانسان الراضي عن الله انسان ذو طاقة ايجابية عالية، وله هالات كبيرة ناصعة وزاهية الالوان، وله
تأثير في الغير ان خالطوه أو تحدثوا معه أو حتى جالسوه، فهو بفضل ما يتمتع به من صفاء في الوجه وعمق في الابتسامة ينقل الى الاخرين
الكثير من الامور الايجابية التي تساعدهم على الشعور

(١٦) - سورة البينة الاية (٧-٨) .
 بالانتعاش والسعادة والهدوء، اما السخط والغضب فهو يورث العداوة والكدر، والهم والحزن، فالانسان الغاضب الساخط يفقد حقوقه ان كان له حق بغضبه وسخطه، فالغضب والحزن عدواك فلا تصادقهما، والغضب والسخط من الشيطان فلا تأتهما، واستمع الى قول الله العلي العظيم في القرآن الكريم: {وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (١٦) وفي الحديث النبوي (أَلَا إِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ تُوَقَّدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ أَلَّا تَرُونَ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَلَا تُرَضِ الْأَرْضُ إِلَّا إِنْ خَيْرَ الرَّجَالِ مَنْ كَانَ بَطِيءَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الرِّضَا وَشَرَّ الرَّجَالِ مَنْ كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الرِّضَا) (٢٦) والرضا يخلصك من الظنون والهموم والاحزان، فارض عن الله، وارض بما انت فيه من الخير، ولا تخاصم ربك في اقصيته واحكامه، فابليس خاصم ربه في قضائه وحكمه، ولم يرض عنه تكريمه لادم عليه السلام، ونازع ربه عظمته وكبريائه وحكمه فانخرجه الله من الجنة، فكن راضيا لتعيش سعيدا هانئا مبتسما مبتهجا متهلل الاسارير، قال الشاعر:
 ضل من يحسب الرضا هوانا ... او يراه على النفاق دليلا
 فالرضا نعمة من الله لم يسعد ... بها في العباد الا القليلا
 والرضا اية البراءة والايمن ... بالله ناصرا ووكيلا (٣٦)

(١٦) - سورة الاعراف الاية (٢٠٠) .
 (٢٦) - احمد في سننه حديث رقم (١٠٧١٦) .
 (٣٦) - هذه الايات للشاعر محمد مصطفى حمام.

والرضا نعمة فلا ترض الناس بسخط الله الذي اغدق عليك بهذه النعمة، ففي الحديث النبوي: مَنْ أْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤَنَّةَ النَّاسِ وَمَنْ أْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ (١٦) فانك ان رضيت عن امر مشين لم يرض عنك العزيز العليم فقد يعميك الرضا عن القبائح فترتكب الفضائح، والله در الامام الشافعي حيث يقول:

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ... وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبَدِي الْمَسَاوِيَا
 وَلَسْتُ بِهَيَّابٍ لِمَنْ لَا يَهَابُنِي ... وَلَسْتُ أَرَى لِلهَرِّ مَا لَا يَرَى لِيَا
 فَإِنْ تَدَنَّ مِنْ مَنِي تَدَنَّ مِنْكَ مَوَدَّتِي ... وَإِنْ تَنَا عَنِّي تَلَقَّنِي عَنْكَ نَائِيَا
 كَلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتُهُ ... وَنَحْنُ إِذَا مَتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيَا
 اما الشريف الرضي فهو يقول:

نَظَرُوا بِعَيْنِ عَدَاوَةٍ لَوْ أَنَّهَا ... عَيْنُ الرِّضَى لِاسْتَحْسَنُوا مَا اسْتَقْبَحُوا
 وقال اخر:

ولقد طلبت رضا البرية جاهدا ... فإذا رضاهم غاية لا تدرك
 وأرى القناعة للفتى كنزاً له ... والبر أفضل ما به يتمسك (٢٦)

(١٦) - الترمذي في سننه حديث رقم (٢٣٣٨) .
 (٢٦) - هذان البيتان لسارة الاندلسي.

٤٤٠٢ الرضا بما رضي الله به لك فلاح ونجاح

الرضا بما رضي الله به لك فلاح ونجاح

الرضا يثمر الشكر وهو اعلى درجات الايمان بل هو حقيقته، فقل رضيت بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً ورسولاً ففي الحديث ان (النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ إِنْسَانٍ أَوْ عَبْدٍ يَقُولُ حِينَ يَمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرَضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (١٦) رواه ابن ماجه وفي رواية لمسلم (أَنَّهُ قَالَ مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ) (٢٦) وقال الشاعر:

عساك ترضا وكل الناس غاضبة ... اذا رضيت فهذا منتهى املي

وقال اخر:

فَلَيْتَكَ تَحَلُّوْا وَالحَيَاةُ مَرِيْرَةٌ ... وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غَضَابُ
وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ ... وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ

إِذَا نَلْتُ مِنْكَ الْوَدَّ فَالْكُلُّ هَيْنٌ ... وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ
وَيَا لَيْتَ شُرْبِي مِنْ وِدَادِكَ صَافِيًا ... وَشُرْبِي مِنْ مَاءِ الْفِرَاتِ سَرَابُ (٣٦)

فارض اخي باحكام الله واقداره، ولا تسخط او تقلق او تغضب، لا ترض فقط في امور توافق هواك وتسخط اذا حصل ما يخالف مرادك فهذا ليس من صفات العارفين الذاكرين الشاكرين الموحدين لله رب العالمين، قال الشاعر:

رضينا بك اللهم ربا وخالقا ... وبالمصطفى المختار نورا وهاديا

(١٦) - ابن ماجه في سننه حديث رقم (٣٨٦٠) .

(٢٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٥٧٩) .

(٣٦) - تنسب هذه الايات للعلاج، وينسب البيتان الاولات منها لابي فراس الحمداني. وقيل غير ذلك والله اعلم. اخي انك لا تجعل الكرة الارضية على راسك فلا تتضجر وتظهر السخط والهجم والجزع والحزن، فاعف عمن ظلمك، وتسامح عمن خاصمك، فقد تجد من بعض الناس مايؤذيك، فلا تقابل السيئة بمثلهما، فقد نسب الى الحسن بن وهب انه قال من حقوق المودة اخذ العفو من الاخوان والاعفاء عن التقصير: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} (١٦) وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه في تفسير هذه الاية اي: الرضا بغير عتاب: العفو عاقبته الرضا والشعور بالسعادة والطمأنينة (٢٦) . وقد قال بعض الحكماء: "ان طلب الانصاف من قلة الانصاف" فالانسان اذا لم يكن متسامحا فانه لا بد ان يجر نفسه الى ما يغضب، وانما التقى الرضي الذي يعفو ويصفح، في غير ما يغضب ربه، واذا كان الانسان في بعض الاحيان لا يرضي نفسه او لا يرضا في بعض امور يقع فيها فكيف يرضى سبحانه الناس كلها، قال الشاعر:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرَضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا ... كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ (٣٦)

فابدأ رحلتك مع اهلك مع زوجتك واطفالك مع مجتمعك بالرضا والابتهاج والابتسام، ولا تبدأ رحلة حياتك مع مجتمعك ومع اهلك ومع اطفالك بالصراخ والشم وتقطيب الوجه والتسخط والغضب، وكن لبيبا متسامحا،

(١٦) - سورة الحجر الاية (٨٥) .

(٢٦) - دع الحزن وابدأ الحياة، ص ١٢٣ .

(٣٦) - ينسب هذا البيت لعلي بن الجهم، وينسب ايضا ليزي المهلي، والله اعلم.

٤٤.٣ الرضا نعمة وسرور وحبور

ففي الحديث النبوي: (لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ) (١٦) وقال الشاعر:

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الذُّنُوبِ مُعَاتِبًا ... صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
فَعَشَ وَاحِدًا أَوْصَلَ أَخَاكَ فَانِهِ ... مَقَارِفَ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمَجَانِبَهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ... ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ (٢٦)

الرضا بهجة ونعمة وراحة وطمأنينة، وسعادة وسكينة، فمن امتلأ قلبه رضا غمر الحب والقناعة قلبه وتفكيره، فنعمة الرضا نعمة عظيمة
يمن الله على من يشاء من عباده فيفيض هذا الرضا سعادة ونورا وبهجة وسرورا وراحة بال، فمن اتبع القرآن واخذ بهدي محمد عليه
الصلاة والسلام فقد اتبع رضوان الله، وقد خاطب الله أهل الكتاب بما فيه شفاء لاولي الاباب فقال سبحانه: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ
جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ
اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (٣٦) .

الله ما روع صور الحياة وما اجملها وما الذها، تلك الصور التي نرى فيها الرضا اكبر من كل كلمة واوسع من كل دائرة واعظم من
كل مصيبة،

(١٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٢٦٧٢) .

(٢٦) - هذان البيتان لبشار بن برد.

(٣٦) - سورة المائدة الاية (١٥-١٦) .

هذه فحسب لحظات الحياة لمن اتبع رضوان الله وكان شاكرًا لنعم الله راضيًا بقدره ومدركًا لخيرات الوفيرة في هذه الحياة، ان الجرح
الذي ربما اصابك في قدمك يقبله عافية في سائر جوارحك، فلا تنظر الى جانب من الحياة دون ان تستشعر ما حولك من نعم الله في
الجانب الاخر، لكي لا تسخط ولا تضجر، والله در القائل:

علمتني الحياة ان اتلقى ... كل الوانها رضا وقبولاً

ورايت الرضا يخفف اثقالي ... ويلقي على المأسى سدولا
والذي اهم الرضا لا تراه ... ابد الدهر حاسدا او عدولا

انا راض بكل ما كتب الله ... ومزجي اليه حمدا جزيلا
انا راض بكل صنف من ... الناس لئىما الفيته او نبىلا
لست اخشى من اللئيم اذاه ... لا ولن اسأل النبيل فتىلا

فسح الله في فؤادي فلا ارضى ... من الحب والوداد بديلا
علمتني الحياة ان لها طعمين ... مرا وسائغا معسولا

فترددت حالتها... قريرا ... وألفت التغيير والتبديلا
نحن كالروض نضرة وذبولاً ... نحن كالنجم مطلعا وافولا
نحن كالريح ثورة وسكونا ... نحن كالمزن ممسكا وهطولا
نحن كالظن صادقاً وكذوباً ... نحن كالخط منصفاً وخذولا
قد تسرى الحياة عني فتبدي ... سخريات الورى قبيلا قبيلا
فاراها مواعظا ودروسا ... ويراها سواي خطبا جليلا

أمعن الناس في مخادعة... النفس وضلوا بصائرا وعقولا
عبدوا الجاه والنضار وعينا ... من عيون المها وخدا اسىلا
الأديب الضعيف جاها ومالا ... ليس الا مثرثرا مخبولا
والعتل القوي جاها ومالا ... هو اهدى هدى واقوم قبيلا
واذا غادة تجلت عليهم ... خشعوا او تبتلوا تبتىلا

أكثر الناس يحكمون على الناس ... وهيات ان يكونوا عدولا (١٦) وفي الحديث النبوي الشريف: (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيْمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُوْلًا) (٢٦) والرضا بإلهية الله يتضمن عبادته والإخلاص له.

أما الرضا بربوبيته فإنه يتضمن الرضا بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل عليه والاستعانة به، والثقة به والاعتماد عليه، وأن يكون راضيا بكل ما يفعله به. وفي الحديث النبوي: (وَأَرْضَى بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ) (٣٦) والرضا بنبيه رسولا يتضمن كمال الانقياد له. أما الرضا بدينه فإنه يتضمن الرضا بحكمه وامثال أمره والانتها عن نهيه رضا كاملا.

(١٦) - وردت هذه الايات منسوبة الى الشاعر محمد مصطفى حمام، في فن الاستمتاع تأليف د/ احمد القصير، ص ٦٠، الطبعة الاولى ٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ. واوردها ايضا العلامة محمد الغزالي في كتابه جدد حياتك، ص (٨٨ و٨٩)، (٢٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٤٩). (٣٦) - سنن الترمذي حديث رقم (٢٢٢٧).

٤٤٠٤ الفرق بين الارادة والرضا

٤٤٠٥ التوافق بين الرضا والقناعة

والرضا بالله ربا فرض ومن لم يرض بربه لم يصح له إسلام ولا عمل ولا حال (١٦). وقال ابن تيمية: (المقدور يكتفه أمران: التوكل قبله، والرضا بعده، فن توكل على الله قبل الفعل، ورضي بالمقضي له بعد الفعل فقد قام بالعبودية، وقال بشر الحافي: يقول أحدهم توكلت على الله، يكذب على الله، لو توكل على الله لرضي بما يفعله الله به).

الفرق بين الارادة والرضا

الرضا شرط في صحة العقود والمعاملات، ودليل على صحتها، والرضا بقضاء الله وقدره دليل على صحة ايمان صاحبه وصحة معتقده والرضا له تعريفات عديدة تختلف في عبارتها وتحدد في معناها ومنها:

١ - ارتفاع الجزع في أي حكم كان.

٢ - استقبال الأحكام بالفرح.

٣ - سكون القلب تحت مجاري الأحكام.

وقد ورد في اللغة: الرضا، وكذلك الرضوان بالضم. والمرضاة مثله. ورضيت الشيء وارتضيته فهو مرضي، وقد قالوا: مرضوا فجاءوا به على الأصل والقياس. ورضيت عنه رضى مقصور، وهو مصدر محض، والاسم الرضاء ممدود. وسمع الكسائي رضوان ورحوان في ثنية الرضا والحمي. وعيشة راضية، أي مرضية. كقولهم: هم ناصب؛ لأنه يقال رضيت معيشته على ما لم يسم فاعله، ولا يقال رضيت. ويقال: رضيت به صاحباً. وربما قالوا: رضيت عليه، بمعنى رضيت به وعنه. وأنشد الأخفش:

إِذَا رَضَيْتَ عَلَيَّ بِنَوْ قَشِيرٍ ... لَعَمْرُ اللَّهِ أَجْنَبِي رِضَاهَا (٢٦)

الفرق بين الارادة والرضا: أن إرادة الطاعة تكون قبلها والرضا بها يكون بعدها أو معها فليس الرضا من الارادة في شيء، وعند أبي هاشم رحمه الله: أن الرضا ليس بمعنى ونحن وجدنا المسلمين يرغبون في رضا الله تعالى ولا يجوز أن يرغب في لا شيء، والرضا أيضا نقيض السخط، والسخط من الله تعالى إرادة العقاب فينبغي أن يكون الرضا منه إرادة الثواب أو الحكم به. (٣٦)

التوافق بين الرضا والقناعة

التوافق بين الرضا والقناعة عند من يحسن الصناعة ويحب لله ويحب من اطاعه، والقناعة خلة كريمة، وصفة جميلة، يترتب عليها الرضا والراحة والمطمأنينة فهي شعور غامر بالرضا يحدث نتيجة لايمان الانسان بقدر الله، وقد تحصل القناعة عند حصول المرء على ما يستحقه

من مكانة أو مال أو وضع اجتماعي يتوازي مع جهده المبذول فإن طمع الى ما يستحيل الوصول اليه وليس له القدرة في الحصول عليه كان طموحه خياليا، وكذلك اذا طمع فيما في أيدي الناس فحاول الوصول اليه بغير وجه مشروع فان من كان حاله ذلك صاحبته مشاعر سلبية ضد الاخرين، وذلك قد يولد له

(١٦) - مجلة البحوث الإسلامية ج ٤٩ ص ٣٣١-٣٣٢.

(٢٦) - الصحاح للجوهري، ج ١/ ص ٢٥٧.

(٣٦) - الفروق اللغوية للعسكري، ص (٣٤) .

احباطا، وفي الامثال العربية: "العبد حر اذا قنع، والحر عبد اذا طمع" وقدما قيل: "عش قنعا تكون ملكا" وقيل: "القناعة كنز لا يفنى، والقناعة كنز لا يفند" وقيل: "خير الغنى القنوع" وفي الاثر: "ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس" وقيل: "من لم يكن قنعا لم يزل جزعا" (١٦) فالعاقل اللبيب يكون غنيا راضيا عاملا طموحا لما فيه الخير دون اعتداء على حقوق الاخرين، فالقناعة شعور ايجابي وليس هو الرضا بالادنى، وان كان النظر الى من هو ادنى يحدث الرضا في النفس: وفي الحديث (انظروا إلى من أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله) (٢٦) فكن راضيا بما كتب الله مبهجا بما متعك الله من نعمة

السمع والبصر والصحة والمال والولد والاهل والاخوان واحدى هذه النعم تكفي للبيل ليكون راضيا مطمئنا فانما القناعة الرضا بما كتب والسعي الى اكتساب الخيرات والمسارة الى اعمال الصالحات، فانعدام القناعة قد يجعل الانسان قلقا كثير التذمر والاضطراب لا يبالي باقتراف سلوك غير اخلاقي لهذا فان القناعة تعين على الهدوء والتفكير السليم ومضاعفة الجهد.

ورضي الله عن الامام علي حيث يقول:

أَفَادَتْنِي الْقَنَاعَةُ كُلَّ عَرٍّ ... وَهَلْ عَرٌّ أَعْرُ مِنْ الْقَنَاعَةِ
فَصَبَّرَهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ ... وَصَبَّرَ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَهُ

(١٦) - كنوز الامثال، ص ٦٩.

(٢٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٥٢٦٤) .

٤٤٠٦ بأعمال البر ينال الانسان رضوان الله

تَحْزُرُ رَجًا وَتَغْنُ عَنْ بَخِيلٍ وَتَتَعَمُّ فِي الْجِنَانِ بِصَبْرِ سَاعِهِ
اما ابو الحسن النعماني فهو يقول:

إذا أظمأتك أكف اللثام ... كفتك القناعة شبعاً ورياً
فكن رجلاً رجلاه في الثرى ... وهامة همته في الثرى
أبياً لنائل ذي ثروة ... تراه بما في يديه أياً
فإن إراقة ماء الحياة ... دون إراقة ماء المحيا (١٦)
وقال الطغرائي:

يا وارداً سور عيشٍ كله كدرٌ ... أنفقت عمرك في أيامك الأول
فيم اعتراضك لبحر تركبه ... وأنت تكفيك منه مصة الوشل
ملك القناعة لا يحشى عليه ولا ... يحتاج فيه إلى الأنصار والحوّل
اما الثعالبي فهو يقول:

هي القناعة فالزمها تعيش ملكاً ... لو لم يكن منك إلا راحة البدن
وانظر إلى مالك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

وقال اخر:

ورايت اسباب القناعة اكدت ... بعري الغنى فجعلتها لي معقلا
والقناعة، بالفتح: الرضا بالقسم. وقد قنع بالكسر يقنع قناعة، فهو قنع وقنوع. وأقنعه الشيء، أي أرضاه. وقال بعض أهل العلم: إن
القنوع قد يكون بمعنى الرضا، والقانع بمعنى الراضي، وهو من الاضداد. وأنشد:

وقالوا قد زهيت فقلت كلا ... ولكني أعزني القنوع

وقال لييد:

فمنهم سعيد أخذ بنصيبه ... ومنهم شقى بالمعيشة قانع

وفي المثل: " خير الغنى القنوع، وشر الفقر الخضوع ". قال: ويجوز أن يكون السائل سمي قانعا لانه يرضى بما يعطى قل أو كثر، ويقبله
ولا يرده، فيكون معنى الكلمتين راجعا إلى الرضا (٢٠) .

بأعمال البر ينال الانسان رضوان الله

ان طاعتك لله تكون سببا في رضوان الله، فاذا احببت ان يكون الله راضيا عنك وان تكون عيشتك راضية واخلاقك مرضية واعمالك
مقبولة فعليك بأعمال البر والبعد عن الهوى، فالزم التقوى، واقتف سبيل من اناب الى ربه واتبع سنة نبيه، وتدبر في قول العزيز الحكيم:
{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (٣٦) ولقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قدوة في كل اقواله وافعاله وكان الصحابة رضي
الله عنهم يقتدون به، فان اتبعتم بإحسان فسيرضى الله عنك وترضى عنه فاسأل الله رضوانه والجنة واستعد بالله من سخطه والنار،
فالرضا يوجب للراضي الطمأنينة، ويرد القلب، وسكونه، وقراره، وينزل على العبد المتوكل

(١٦) - ونسبت هذه الايات ايضا لابن الحاج البلقيني، والله اعلم.

(٢٠) - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري

(٣٦) - سورة التوبة الآية (١٠٠) .

السكينة التي لا أنفع له منها، كما أنه يفرغ قلبه ويقلل همه وغمه، فيتفرغ لعبادة ربه بقلب خفيف من أثقال الدنيا وهمومها وغمومها.
ومن ثمرات الرضا: الفرح والسرور برضا الرب تبارك وتعالى: وفي الذكر الحكيم: {وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} (١٦) .

والبرُّ هو الصلة واسداء المعروف والمبالغة في الاحسان والبرُّ هو المحسن يقال فلان بار بوالديه اذا كان محسنا لهما وفي الحديث النبوي
(رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد) (٢٠) والبرُّ بالكسر الصلة والاحسان يقال فلان يبر رحمه اي يصلهم، والصلة:
اتصال عطاء مع زيارة، فالاحسان منك مطلوب في كل الأحوال حتى مع من يخالفك في العقيدة فالله سبحانه وتعالى يقول: {لَا
يُنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (٣٦) ان
تبروهم اي ان تحسنو اليهم، فاذا لم يكن يصلي ولكن لا يعاديك، انت ان احسنت الهي حملته على الصلاة، انت ان احسنت اليه حملته
على حضور مجلس علم، انت اذا احسنت اليه حملته على الطاعة، كما يقول الدكتور محمد النابلسي: هذه الاية دقيقة المعنى جدا قد تلتقي
في عملك وفي محيطك، وقد تلتقي مع اقربائك باندماج لا يصابك العداء ولا ينكرون عليك تدينك، بل انهم

(١٦) - سورة البقرة الآية (٢٠٧) .

(٢٠) - الادب المفرد للبخاري حديث رقم (٢) .

(٣٦) - سورة الممتحنة الآية (٨) .

٤٤٠٧ البر من اسماء الله الحسنى

اضعف من ان يتمسكوا بما انت عليه, هؤلاء يقدرونك لكن ليسوا ملتزمين لم يصطلحوا مع الله بعد, لم يقبلوا عليه, لكنهم لا يصابونك العداء, بل يقدرون فيك هذا الاتجاه الطيب, هذا التدين الصادق مثل هذه النماذج من الناس من الجريمة ان تسيء اليهم, فلا تعنفهم, لا تناصبهم العداء, استمل قلوبهم اليك. (١٦) وقال الشاعر:

وَاللَّهُ أَنْجَحَ مَا طَلَبْتُ بِهِ ... وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيبةِ الرَّحْلِ (٢٦)

وقال اخر:

وَمَا الْبِرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ مِنَ التَّقَى ... وَمَا الْمَالُ إِلَّا مُعْمَرَاتٌ وَدَائِعٌ (٣٦)

اما سابق البربري فهو يقول:

إِنَّ التَّقَى خَيْرٌ زَادَ أَنْتَ حَامِلُهُ ... وَالْبِرُّ أَفْضَلُ شَيْءٍ نَالَهُ بَشَرٌ

وقال اخر:

وَالْإِثْمُ مِنْ شَرِّ مَا يُصَالُ بِهِ ... وَالْبِرُّ كَالْغَيْثِ نَبْتُهُ أَمْرٌ (٤٦)

وفي الذكر الحكيم: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (٥٦) والبر مطلق عطاء الله واحسانه في الدنيا والاخرة فهو الذي يعطيك سعادة تملؤ القلب, وصحة تحفظ الانسان, وتقوم اللسان, وهيبة تعين على امور الدنيا والدين, فكل انواع الخير ينطوي تحت كلمة البر, والبر خير الدنيا والاخرة, وقيل البر كلمة باؤها مثلثة: ومعنى ذلك ان هناك بر بفتح الباء وبر بكسرها وبر بضمها فبضمها البر: جمع برة من القمح, والبر بالكسر هو الاحسان والصلة, وفي الامثال السائرة: "البر ان تعمل في السر عمل العلانية" وقيل: "خير البر عاجله" وفي الحديث الشريف (البرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ) (٦٦) والبر بالفتح ضد البحر اي اليابسة, ومن الخلق من تتوالى منه اعمال البر, فهناك مبالغة, فمن تتوالى منه اعمال البر من الخلق يسمى برا, اما اذا كان هذا الاسم منسوبا الى الله عز وجل فهو بالفتح فاعل البر المحسن الى الخلق الذي اسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة, والله سبحانه وتعالى هو البر الرحيم, فتعرف علي بره واحسانه ترضى عنه ويرضى عنك, وتعرف على اسمه البر.

البر من اسماء الله الحسنى

البر اسم من اسماء الله الحسنى ورد في القرآن الكريم مرة واحدة, وجاء في حديث ابي هريرة عند الترمذي واجمعت عليه الائمة, ويجوز اجراؤه على العبد, فقد ورد في التنزيل في قوله تعالى: {وَبِرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا} (٨٦) ومعنى هذا الاسم البر: المحسن فهو البر المطلق الذي منه كل مبرة واحسان, فهو يحسن

(١٦) - موسوعة اسماء الله الحسنى ج ٢ / ص ٧١٤.

(٢٦) - هذا البيت ينسب لمرؤ القيس وينسب ايضا لابن عباس الكندي.

(٣٦) - هذا البيت للبيد بن ربيعة.

(٤٦) - هذا البيت لزهير بن ابي سلمى.

(٥٦) - سورة المائدة الاية (٢).

(٦٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٤٦٣٣)

(٧٦) - سورة مريم الاية (٣٢).

(٨٦) - سورة مريم الاية (١٤).

الى الخلق ويصلح احوالهم الذي عم جميع الخلق ببره وغمرهم باحسانه فهو الذي لا يقطع الاحسان بسبب العصيان, وهو الذي من على السائلين بحسن عطائه, وعلى العابدين بجميل جزائه (١٦), وهو الذي يحسن الى من اساء, ويعفو عن ظلم, ويغفر لمن اذنب, ويتوب على من تاب اليه, ويقبل عذر من اعتذر اليه, وهو سبحانه يتفضل على عباده, ويتم نعمته عليهم ويربهم مواقع بره وكرمه, فهو اللطيف

الخبير، قال الخطابي: البر هو العطف على عباده المحسن إليهم، عم بره جميع خلقه فلم يجزل عليهم برزقه، وهو البر بأوليائه إذ خصهم بولايته واصطفاهم لعبادته، وهو البر بالمحسن في مضاعفة الثواب له، والبر بالمسيء في الصفح والتجاوز عنه. وقال الحلبي: ومعناه الرفيق بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، ويعنفو عن كثير من سيئاتهم ولا يؤاخذهم بجميع جنائياتهم، ويجزيهم بالحسنة عشر أمثالها، ولا يجزيهم بالسيئة إلا مثلها ويكتب لهم بهم بالحسنة ولا يكتب عليهم بهم بالسيئة (٢٦) وقيل البر هو اللطيف بعباده، والبر هو الصادق وهو المحسن وهو المتفضل المعطي سبحانه فهو المحسن والبر على الاطلاق لا يشابه بره بر الخلقين ولا كرمه سبحانه وتعالى كرمهم ولا فضله فضلهم ولا احسانه احسانهم، فله الاحسان الكبير والفضل العظيم ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير، فكل بر واحسان وفضل وعطاء منه سبحانه وتعالى لا شريك له، اما الانسان فان بر واحسن فمما وهبه الله وتفضل به عليه

(١٦) - المقصد الاسمي للغزالي، ص ١٠٠.

(٢٦) - الاسماء والصفات للبيهقي، ص ١٢٨.

٤٤٠٨ ثمرة معرفه اسمه الله البر

ووفقه اليه لا اله الا هو وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. فهو البر الذي شمل الكائنات باسرها ببره وهباته وكرمه فهو مولى الجميل ودائم الاحسان وواسع العطاء والكرم والرفق والبر فكل النعم الظاهرة والباطنة على الخلق اجمعين منه سبحانه وتعالى لا يستغني مخلوق عن احسانه وبره طرفه عين، فله الحمد على ذلك كله في الدنيا والاخرة عدد خلقه وزنة عرشه ومداد كلماته وعدد ذرات الوجود تدوم بدوام الله وتتجدد في كل لحظة ووقت وحين وسبحان الله العظيم وبحمده مثل ذلك.

ثمرة معرفه اسمه الله البر

اذا عرف المكلف ان الله سبحانه وتعالى هو البر الرحيم المحسن الى جميع عباده الرفيق بهم المكرم لهم الخالق لهم الرازق لهم المتفضل عليهم المدبر لشؤونهم الذي يعفو ويصفح عنهم، وجب عليه ان يؤمن به وان يبره بالتقرب اليه بعمل الطاعة واجتناب المعصية وان يبر بأهل طاعته وبوالديه فاذا كانت مبرة والدي الانسان واجبة فبرة الرب الاعلى اخرى واولى، فيتضاءل لعظمته، ويتصاغر لكبريائه، ويؤدى حقه اليه، ويقف نفسه عند حدها، ويبر ولاية الامر بالسمع والطاعة، ويبر عامة المسلمين بالنصح لهم (١٦) ، ولك ان ترجو بر الله سبحانه وتعالى بكل انواعه وان تسارع الى عمل البر لتنال رضوانه وان تبر كل من تقدر على بره باحب اموالك اليك، وانفسها

(١٦) - الجامع لاسماء الله الحسنى، ص ٤٥.

لديك، فان البر الرحيم المتفضل الكريم يقول في محكم الذكر الحكيم: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (١٦) وتدبر في ثناء العزيز العليم على يحيى وعيسى عليهما افضل الصلاة والتسليم حيث يقول في وصف عيسى عليه السلام: {وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا} (٢٦) ويقول سبحانه في وصف يحيى عليه السلام: {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا} (٣٦) فتخلق اخي باخلاق أهل البر يرضى الله عنك وتكون باراً مع الابرار في دار النعيم: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ} (٤٦) . وكن مشغولاً بأعمال البر واستباق الخير، ولا تضمثر الشر لاحد او تؤذنه فان البر هو الذي يحسن ولا يؤذي، وتذكر ان من كان الله باراً به فانه قد يعصم عن المخالفات نفسه، ويديم بفنون اللطائف انسه، ويوفق في طريق الخير اجتهاده، ويجعل التوفيق زاده، ويجعل قصده سداً، ويحميه من الوقوع في الموبقات بين اقباله، وبالتوبة فيما يقع فيه من الذنوب، وتذكر اخي ان انواع البر لا تحصى، فلا تنس المسارعة اليها، لكي ترضي الله فترضى، وفي الحديث النبوي: (البر لا يبلى والذنوب لا ينسى والديان لا يموت فكن كما شئت فكنما تدين تدان) (٥٦) .

(١٦) - سورة آل عمران الاية (٩٢) .

(٢٦) - سورة مريم الاية (٣٢) .

(٣٦) - سورة مريم الاية (١٢-١٤) .

(٤٦) - سورة الانفطار الاية (١٣-١٤) .
(٥٦) - جامع الاحاديث حديث رقم (١٠٤٩١)

٤٤٠٩ دعاء الله باسمه البر

دعاء الله باسمه البر

يا الله يا بر يا كريم يا رحيم ارزقني من برك ما انال به رضاك ورحمتك واحسانك يا كريم واجعلني بارا بوالدي وباخواني المؤمنين وبخالق اجمعين يا الله يا بر يا رحمن يا رحيم تفضل علي باخلق الكريم, وغفري ولوالدي وللمؤمنين, وتوفني مسلما والحقني بالصلحين, يا الله اسالك من برك ما انال به رضاك وفضلك واحسانك وتوفيقك واكرامك لي في الدنيا والاخرة واسالك الدرجات العلى في الجنة يا سميع يا عليم وصلى الله وسلم على محمد وآله وصلحبه وازواجه وذريته ومن تبعه باحسان الى يوم الدين.

٤٥ الفصل الرابع والاربعون الالتهاج والسرو

٤٥٠١ الالتهاج والسرو

الفصل الرابع والاربعون

الالتهاج والسرو

الالتهاج والسرو

الالتهاج والسرو هما الصورة المشرقة المريحة الجميلة لكل وجه, وعكسهما العبوس وتقطيب الحاجبين وهما الصورة المزجة لكل انسان, فقد عد بعض العلماء السرو, والحبور, والجدل, والغبطة, والبهج, والفرح, والارتياح, والاعتباط, والاستبشار, الفاظا مترادفة (١٦) , وقد ذكر العلامة محمد محمود الرافي: في شرحه للالفاظ المترادفة (فائدة) مما ذكر في ترتيب السرو: أول مراتبه الجدل والالتهاج ومنه (البهج) ثم الاستبشار ثم الارتياح ثم الفرح.

وهو ترتيب حسن, ومما لا ريب فيه ان المرء الذي يستشعر نعم الله الذي تحيطه من كل مكان لا بد ان يكون راضيا مبتهجا مسرورا, والله جل وعلا خلق البشر واغدق عليهم بنعمه وسخر لهم مافي السماوات والارض ووسعت رحمته كل شيء فكيف لا يكون الانسان مبتهجا راضيا مسرورا, وقد سخر الحق سبحانه وتعالى لامتع الانسان وتوفير مطعمه وماكله وملبسه ومسكنه ومركبه مافي السماوات والارض ويسر له مايجعل حياته سهلة ممتعة وذلك كله يدعو الى الالتهاج والسرو وشكر المنعم انعامه, وان من الد اعداء القلب والسرو هو ضيق الافق, وعدم ادراك نعم الله وما تفيض به هذه الحياة وتشرق به من الانوار والخير, فنعم الله في هذه الحياة كثيرة, فما اروعها وما

(١٦) - الالفاظ المترادفة للامام ابي الحسن علي بن عيسى الرماني المتوفى سنة ٣٨٤هـ طبع المطبعة المحمودية التجارية بمصر الطبعة الثانية, ص ٩.

اجملها اذا تعرفت عليها وعلى العالم الذي تعيش فيها من خلال سنن الله فانك ستكون بفضل الله فارحا مسرورا تؤدي حق الله وتسعى في ادخال السرو الى قلوب المؤمنين, فهذا انس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من قضى لأحد من أمتي حاجة يريد أن يسره بها فقد سرنى ومن سرنى فقد سر الله ومن سر الله أدخله الله الجنة) (١٦) .
قال الإمام أحمد: سرور الله تعالى حسن قبوله لطاعة عبده وارتضاؤه إياها.

فالالتهاج والسرو الذي تحاول ان تدخله الى قلوب اخوانك وابنائك واهلك وابناء مجتمعك هو عمل يحبه الله وهو عمل يزرع في القلوب المودة والمحبة والاخاء, فاسع الى اكتساب هذا الخير العظيم, وياك والتضجر والتأفف والحزن والغضب واطهار الاكثاب ومحاوله

ادخال الحزن والالام الى قلوب الاخرين واطهار السرور بذلك فان ذلك سيكون سببا في هلاكك, فقد ورد مايدل على ذلك, فلا تغتر بزمان ساعدك, ولا بسطان رفعتك, ولا بكثرة عدتك وعدادك, فان الامور تتحول وتبدل, قال الشاعر:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ ... فَلَا يُغَرِّبُطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُمَا دَوْلَ ... مِنْ سَرِّهِ زَمَنَ سَاءَتْهُ أَرْزَانُ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ ... وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالِهَا شَانُ
إِنَّ الْمُلُوكَ ذَوُو التَّيْجَانِ مِنْ يَمِينٍ ... وَإِنَّ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيْجَانُ
وَإِنَّ مَا شَادَهُ شَدَادٌ فِي إِرْمٍ ... وَإِنَّ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ

(١٦) - شعب الايمان للبيهقي حديث رقم (٧٦٣٥) .

٤٥.٢ من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على عباده

وَإِنَّ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ وَإِنَّ عَادَ وَشَدَادَ وَحَطَّانُ
أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرًا لَا مَرَدَّ لَهُ ... حَتَّى قَضُوا فَكَانَ الْقَوْمَ مَا كَانُوا (١٦)

اما الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه فهو يقول:

رَأَيْتُ الدَّهْرَ مُخْتَلِفًا يَدُورُ ... فَلَا حُزْنَ يَدُومُ وَلَا سُورُ
وَقَدْ بَنَتِ الْمُلُوكُ بِهِ قُصُورًا ... فَلَمْ تَبَقِ الْمُلُوكُ وَلَا الْقُصُورُ

من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على عباده

ان من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على قلب المؤمن, فلا تكن عابس الوجه, ولا تساء الى لاخرين فتسوء الى نفسك, فحاوله نفع الناس واکرامهم, وادخال السرور عليهم يرفع من مكانتك ويقربك من ربك, ويجعل الحياة مضيئة تشع بالحب وتفيض بالاخلاق الحسنة, والاعمال الصالحة يشعر فيها الانسان بدفئ الاخوة وحنان الابوة ورحمة القرابة لا يحزن ولا يبتئس ولا يقنط, فالليل يعقبه الفجر ونور الصباح, والشدة يعقبها الرخاء, والضعف ينتهي الى القوة, والمرض والالام ينتهي الى الصحة والعافية, فكن واثقا بالله منشرح الصدر

مبتهاجا مسرورا فرحا بفضل الله ورحمته, قال الشاعر:

يُرَاعُ الْفَتَى لِنَطْبِ تَبْدُو صُدُورُهُ ... فَيَأْسَى وَفِي عُقْبَاهُ يَأْتِي سُورُهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّيْلَ لَمَّا تَرَكَتْ ... دَجَاهُ بَدَا وَجْهَ الصَّاحِ وَنُورُهُ

فَلَا تَصْحَبَنَّ الْيَأْسَ إِنْ كُنْتَ عَالِمًا ... لِيَبْيَأَ فَإِنَّ الدَّهْرَ شَتَّى أَمُورُهُ (٢٦)

وقال اخر:

وإن المساءة للمسرة موعد ... اختان رهن للعشية او غد (٣٦)

اما محمد عثمان جلال فهو يقول:

رَأَيْتُ الدَّهْرَ فِي فَلَكَ يَدُورُ ... فَلَا يُحْزَنُكَ مَا فَعَلَ الدَّهْرُ
وَإِنْ تَبَعَ السُّرُورُ الْحُزْنَ يَوْمًا ... فَلَا حُزْنَ يَدُومُ وَلَا سُورُ
وَسُكَّانَ الْقُصُورِ لَهُمْ قُبُورٌ ... وَسُكَّانَ الْقُبُورِ لَهُمْ قُصُورُ

وفي الحديث النبوي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (أي الناس أحب إلى الله وأي الأعمال أحب إلى الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً) (٤٦) وفي رواية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سئل رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم اي الاعمال افضل قال: ادخالك السرور على مؤمن اشبعت جوعته او كسوت عريه او قضيت له حاجة (٥٦) .

من لازم البهجة والسرور الابتسامه

(١٦) - هذه الايات لابي البقاء الرندي .

(٢٦) - وردت هذه الايات في الموسوعة الشعرية وفي ادب الدنيا والدين غير منسوبة الى قائل بعينه .

(٣٦) - ورد هذا البيت في الموسوعة الشعرية غير منسوب لقائل بعينه، والمعنى ان المساءة تداول المسرة فهما كاختين تداول هذه هذه في حال .

(٤٦) - المعجم الصغير للطبراني حديث رقم (٨٦١) .

(٥٦) - المعجم الاوسط حديث رقم (٥٠٨١)

الحياة تشرق كأنها لحظة عمر الانسان فحسب؟ يرى الانسان الفجر وهو يزيح الظلام ويكشف سواده عن الناس فيرى الفجر وهو يعيد للانسان نشاطه وحيويته وطاقته وروحه في عالم الارض من جديد، ويكفي الانسان في هذه اللحظة وهو يرى الناس في بداية حياتهم في يوم جديد وفي يوم عمل ليبتسم فيه في وجه اخيه وفي وجه الحياة، وهل الحياة الا بسمة في زمن الفجر؟ فلماذا اخي لا تبسم في وجه اخيك وانت تنظر الى هذه الصورة المشرقة المريحة الجميلة لهذه الحياة، وانت تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ) (١٦) فاعتبر الابتهاج والابتسامه عملا ايجابيا يقتضي رضا الله ومكافأة المتبسم باعتبار تبسمه نوعا من الصدقة، وهل تدري ان ابتسامتك في وجه اخيك فيه ادخال للسرور الى قلبه فهي تعبير عن الرضا والسرور والشعور بالسعادة لرؤية اخيك، وفي ذلك مدعاة للطمأنينة والثقة بالشخص المبتسم فهي تزيد من جاذبية الانسان وقدرته على اقناع واستقطاب الاخرين دون عناء، كما ان الابتسامه والابتهاج تعبير عما يفيض من اعماق الانسان من رضا وسعادة وثقة بالنفس، وثقة بما عند الله وحبا واحتراما للاخرين ورغبة في ان يقدم لهم هدية مستمرة من خلال رؤيتهم لوجه متألق تغمره الابتسامه، ويسوده الارتياح، هذه الابتسامه والابتهاج تنعكسان من اعماق الانسان على تفكيره وروحه هدوءاً وسلاماً

(١٦) - الترمذي في سننه حديث رقم (١٨٧٩) .

وصفاء (١٦) . وفي الحديث الشريف: (لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنَّ تَلَقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ) (٢٦) قال الشاعر:

بشاشة وجه المرء خير من القرى ... فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك
وقال اخر:

أخو البشر محمودٌ على كُلِّ حالٍ ... وَلَنْ يَعدَمَ البَغْضَاءُ مَنْ كَانَ عَابِسًا
اما ابن رشيقي القيرواني فهو يقول:

ورب تقطب من غير بغض ... وبغض كامن تحت ابتسام
وقال اخر:

وَإِنِّي لَأَلْقَى الخَطْبَ وَهُوَ مَعْبَسٌ ... بِوَجْهِ نَضِيرِ ظَاهِرِ البَشْرِ بِاسْمٍ
وقال شاعر اخر:

وَإِنِّي لَأَلْقَى المرءَ اعلم انه ... عدوي وفي احشائه الضغن كامن
فامنحه بشري فيرجع قلبه ... سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وفي الحديث النبوي: (إِنَّ مِنَ الصَّدَقَةِ أَنْ تُسَلَّمَ عَلَى النَّاسِ، وَأَنْتَ مُنْطَلِقُ الْوَجْهِ) (٣٦) اما المتنبي فهو يقول:

إِذَا نَظَرْتَ نِيَابَ اللَّيْثِ بَارِزَةً ... فَلَا تَظُنَّ أَنَّ اللَّيْثَ مُبْتَسِمٌ
وهذا شاعر اخر يقول:

قال: «السَّمَاءُ كَثِيْبَةٌ» وَتَجَهَّمَا ... قَلْتُ: ابْتَسَمَ يَكْفِي التَّجَهُّمُ فِي السَّمَا

(١٦) - فن الاستمتاع، ص ٨٧ .

- (٢٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٤٧٦٠) .
 (٣٦) - شعب الايمان للبيهقي حديث رقم (٧٦٩٣) .

٤٥٠٣ ادخال السرور على المسلمين سبب في غفران الذنب ودخول الجنة

٤٥٠٤ الفرح والسرور بفضل الله ورحمته نعمة

قال: الصِّبَا وئِي! فقلتُ له: ابْتَسِمُ... لَنْ يُرْجَعَ الْأَسْفُ الصِّبَا الْمُتَصَرِّمًا!

قال: الليلي جَرَعْتَنِي عُلْقَمًا... قَلْتُ: ابْتَسِمُ، وَلَئِنْ جَرَعْتَ الْعُلْقَمَا

فَلَعَلَّ غَيْرَكَ إِنْ رَأَىكَ مَرْتَمًا... طَرَحَ الْكَأْبَةَ جَانِبًا وَتَرْتَمًا

أَتْرَاكَ تَغْمُ بِالْتَبْرُمِ دَرَهْمًا... أَمْ أَنْتِ تَخْسَرُ بِالْبَشَاشَةِ مَغْنَمًا؟ (١٦)

ادخال السرور على المسلمين سبب في غفران الذنب ودخول الجنة

ان اجمل هدية يقدمها الانسان لاخية الانسان هي ادخال السرور والبهجة الى نفسه بكشف كربة عنه او بذل معونة له او معالجة مريض , او مؤاسة فقير او تعليم جاهل او ارشاد ضال او كفالة يتيم او مساعدة اخيك الانسان على بناء مدرسة او مستشفى او شق

طريق او بناء دار او غير ذلك من الامور التي يكفر الله بها الخطيئات, ويرفع بها الدرجات, وتورث المحبة, وتدخل البهجة والسرور الى القلب, فالعاقل لا يرضى ان يعيش متسخطا غاضبا لا يقدم الى الناس ما يسرهم ويسعدهم وينقلهم الى عالم الافراح لبناء حياة طيبة,

ففي الحديث النبوي الذي رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (ان من موجبات المغفرة

ادخال السرور على اخيك المسلم) (٢٦) وفي حديث اخر عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة) (٣٦) ان الابرار هم الذين يحبون عمل البر ويدخلون

السرور على قلوب عباد الله وهم الذين يلقون من الله نضرة وسرورا وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مَرْجُهَا

كَافُورًا* عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا* يُوفُونَ بِالْآذَانِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا* وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَسْكِينًا

وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا* إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا* فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ

الْيَوْمِ وَلَقَاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا} (٤٦) .

الفرح والسرور بفضل الله ورحمته نعمة

ان من النعم العظيمة على الانسان ان يفرح بفضل الله ورحمته واحسانه وكرمه ودينه وشريعته وكتابه وعزة الاسلام ونصر المسلمين

وان يظهر البشر والرضا بما وهبه الله من النعم, وان يكون فرحا بفضل الله وبرحمته لعباده واحسانه اليهم واكرامه لهم وهدايته, وفي

الذكر الحكيم: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} (٥٦) فالاكئاب والحزن يجلب التشاؤم ويتسبب في شقاء

الانسان وتعاسته. وقال العلامة عائض القرني: والذين مدحوا الحزن وأشادوا به ونسبوا إلى الشرع الأمر به وتحبيذه؛ أخطؤوا في ذلك؛ بل ما ورد إلا النهي عنه، والأمر بضده، من الفرح برحمة الله تعالى وبفضله، وبما أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم، والسرور بهداية الله،

(١٦) - هذه الآيات لايلى ابو ماضي.

(٢٦) - المعجم الكبير للطبراني حديث رقم (٢٧٣١) .

(٣٦) - المعجم الاوسط للطبراني حديث رقم (٥٧١٩) .

(٤٦) - سورة الانسان الاية (٥-١١) .

(٥٦) - سورة يونس الاية (٥٨) .

والانشراح بهذا الخير المبارك الذي نَزَلَ من السماء على قلوب الأولياء. وصحَّ عنه- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: ((للهُ أفرحُ بتوبةِ عبده من أحدكم كان على راحلته، عليها طعامه وشرابه، فضلتُ منه في الصحراء، فبحث عنها حتى أيس، فنام ثم استيقظ فإذا هي عند رأسه، فقال: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح)) .
فأكثر من الاستغفار، لترى الفرح وراحة البال، والرزق الحلال، والذرية الصالحة، والغيث الغزير.
قال إبراهيم بن أدهم: نحن في عيش لو علم به الملوك لجالدونا عليه بالسيوف.
وقال ابن تيمية: إنه يمر بالقلب حالاً، أقول: إن كان أهل الجنة في مثل حالنا إنهم في عيش طيب.
وقال أيضاً: إنه يمر بالقلب حالات يرقص طرباً، من الفرح بذكره سبحانه وتعالى والأنس به. ومما يجلب الفرح والسُرور: الأسفارُ والتَّشَقُّلُ في الديارِ ورؤية الأمصارِ، وعليك بثلاثة أطباء: الفرح والراحة والحمية وإياك وثلاثة أعداء: التشاؤم والوهم والقنوط.
فاجعل الفرح شكراً، والحزن صبراً، والصمت تفكيراً، والنظر اعتباراً، والنطق ذكراً، والحياء طاعةً، والموت أمنيةً (١٦) .

(١٦) - مقتطفات وردت في كتاب العلامة الجليل والاديب الكبير عائض القرني (لا تحزن) اعدت ترتيبها حسب مقتضيات السياق وانظر، ص ١٢٧ وما بعدها.

٤٦ الفصل الخامس والاربعون علو الهمة

الفصل الخامس والاربعون
علو الهمة

٤٦٠١ علو الهمة

علو الهمة
علو الهمة يرفع الانسان الى اعلا مقام وارفع مكان، فبالهمة العالية تستطيع تحصيل العلوم النافعة، وتعمر الدار الواسعة، وتحصل على تجارة رابحة، وتكون عوناً لابناء مجتمعك واخوانك على قضاء حوائجهم واصلاح شؤونهم، وبالهمة العالية تؤدي الفرائض والواجبات كما يحب الله ويرضى، وبالهمة العالية تبني الجامعات والمستشفيات وتشق الطرقات وتزدهر الزراعة وتكثر الخيرات، وتضاعف الحسنات، ويسارع المؤمنون الى عمل الخيرات، فعلو الهمة خلق رفيع، وغاية نبيله تتعشقها النفوس الكريمة، واليه يرجع مجموعة من الظواهر الخلقية، كالجد في الامور، والترفع عن الصغائر والدنيا، والطموح الى المعالي، وانما تعلق قيمة المرء وتسمو مكانته بقدر نصيبه من علو الهمة، ذلك ان علو الهمة يستلزم الجد والاباء، ونشدان المعالي، وتطلاب الكمال، والترفع عن الدنيا والصغائر ومحقرات الامور (١٦) ، وقد قال بعض الباحثين: الهمة سلاح القلب للمعالي، وعون الجسد الى ركوب الاهوال، والحادي نحو لذائد الامال.. وقد هتف بك ابن القيم رحمه الله تعالى قائلاً: الهمة كالطائر العالي على الطيور لا يرضى بمساقطهم ولا يتصل اليه الافات التي تصل اليهم، فان الهمة كلما علت بعدت عن وصول الافات اليها وكلما نزلت قصرتها الآفات من كل مكان فان الافات قواطع وجواذب.. فعلو همة المرء عنوان فلاحه وسفول همته عنوان

(١٦) - الهمة العالية ص ١٠٧.

حرمانه.. وهتف بك ابن الجوزي حادياً فقال الهمة ماتقف الانحساستها، والافتي علت الهمة فلا تقنع بالدون.. وما قعد من قعد الا لدناءة الهمة وخساستها. واعلم أنك في ميدان سباق والأوقات تنتهب. ولا تتخذ إلى كسل. فما فات ما فات إلا بالكسل. ولا نال من نال إلا بالجد والعزم

فَكُنْ رَجُلًا رَجُلُهُ فِي الثَّرَى ... وَهَامَةٌ هَمَّتْهُ فِي الثَّرِيَّا (١٦)

علو الهمة تطلب المعالي المقربة إلى الحق عز وجل.
ولكل جسم في النحول بلية ... وبلاء جسمي من تفاوت همتي

ويدل على تفاوت الهمم أن في الناس من يسهر في سماع سمر ولا يسهل عليه السهر في سماع القرآن. والإنسان يحشر ومعه تلك الهمة، فيعطى على مقدار ما حصلت في الدنيا، فكما لم تنق إلى الكمال وقتعت بالدون قنعت في الآخرة بمثل ذلك.

من علامة كمال العقل علو الهمة! والراضي بالدون دنيء!! (٢٦) .

ولم أر في عيوب الناس عيباً... كنعص القادرين على التمام

والهمة في اللغة: ماخوذة من الهم والهم اصل صحيح قال ابن منظور: والهِمَّةُ واحدةٌ الهِمَمِ والمُهَمَّاتُ من الأمور الشدائدُ المَحْرِقَةُ (٣٦)

(١٦) - هذا البيت للامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه.

(٢٦) - هذه مقتطفات من كتاب صيد الخاطر للعلامة الزاهد الاديب جمال الدين بن الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد

بن عبيد الله ينتمي نسبه الى محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهم جميعا وعرف جدهم بالجوزي بجوزة كانت في داره بواسط, ولد

تقريباً سنة ٥١٠هـ وتوفي سنة ٥٩٧هـ الطبعة الرابعة مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان.

(٣٦) - لسان العرب, ج ١٢ / ص ٦٢١.

٤٦٠٢ بالهمم العالية تنال المراد فاستعد بالله من الكسل

وقال ابن القيم في تعريف الهمة: فعلة من الهم وهو مبدأ الإرادة ولكن خصوها بنهاية الإرادة فلهم مبدأها والهمة نهايتها (١٦) والهمة توصف بالعلو، وتوصف بالدنو. فالهمة العالية هي النية الصادقة، والعزيمة الجازمة، والارادة القوية الرفيعة (٢٦) , اما الهمة الدانية: فهي ضعف النفس عن طلب المراتب العالية وقصور الامل عن بلوغ الغايات. وقيل هي ايثار الدعة، والرضا بالدون، والقعود عن معالي الامور، فاشخذ همتك ولا تكسل, فان العزيمة تأتي على قدر همم الرجال قال الشاعر:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ ... وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

بالهمم العالية تنال المراد فاستعد بالله من الكسل

ان الهمة تولد مع الانسان وانما تقصر بعض الهمم في بعض الاوقات او تفتقر، فمتى رايت في نفسك عجزاً فاسأل المنعم واستعن بالله ولا تهن ولا تحزن, وان اصابك كسل فاستعد بالله منه فلن تنال خيرا الا بطاعة الله فمن الذي استعان بالله ولم يعنه ومن الذي اعرض عن الله فضى بفائدة؟ فلا يغرك الشيطان ويشجعك على الكسل والبعد عن العمل, وفي الدعاء المأثور: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ) (٣٦) وفي الذكر الحكيم: {وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

(١٦) - مدارج السالكين, ج ٣ / ص ٣.

(٢٦) - الهمة العالية للعلامة محمد بن ابراهيم الحمد, ص ١٦.

(٣٦) - ابو داود في سننه حديث رقم (١٣٣٠) .

وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (١٦) فاعمل اخي ولا تعجز وتستسلم للاوهام فالسر الكامن وراء كل المتميزين هو الهمم العالية وعدم الاستسلام لوسوسة الشيطان فالحياة افسح من لحظة يكتظ فيها مشاعر الاسى وتكل اليأس وتوهم حب السلامة والبقاء في القعود عن الهمم العالية قال الشاعر:

حُبُّ السَّلَامَةِ يُثْنِي هَمَّ صَاحِبِهِ ... عَنِ الْمَعَالِي وَيُغْرِي الْمَرْءَ بِالْكَسَلِ

فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقاً ... فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلماً فِي الْجَوِّ فَاعْتَرَلِ

رضاً الدليلي بخفض العيش يخفضه ... والعز عند رسم الأيتق الدلي (٢٦)

أما صفى الدين الحلي فهو يقول:

حُبُّ السَّلَامَةِ يَثْنِي عَزْمَ صَاحِبِهِ ... عن المعالي ويغيري المرء بالكسل
ويقول عبد الحميد الرافعي مخلصاً لقصيدة صفى الدين الحلي (حب السلامة):

ذو الحزم من يتغالى في مآربه ... ولو دهنه المنيا في مذاهبه
فقل لمن قد توانى عن مطالبه ... حب السلامة يثني عزم صاحبه

عن المعالي ويغيري المرء بالكسل

لا يدرك المجد إلا من طوى السبلا ... كذا يحاول في الدنيا ثناً وعلا
فان لزمت الحشايا فاقصر الاملا ... ودع غمار العلى للمقدمين على
ركوبها واقتنع منهن بالبلل

(١٦) - سورة التوبة الاية (١٠٥) .

(٢٦) - هذه الايات للطغرائي .

وسر على اسم العلى والنفس واثقة ... بالعزمهما عاقت عنه عاققة

ولا يهيجك إلى الأوطان بارقة ... ان العلى حدثني وهي صادقة

فيما تحدث ان العز في النقل

ان عظيم الهمة لا يشغل باله بامر صغير، ولا يقلب فكره في امر يسير، بل يقوم بجلائل الاعمال، وقد جرت سنة الله في خلقه الا ينهض
الى المقاصد الجليلة، ويرمي الى الغايات البعيدة غير النفوس التي عظم حجمها، وكبرت هممها، قال الشاعر:

وَمَنْ تَكُنِ الْعَلِيَاءُ هِمَّةً نَفْسِهِ ... فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحِبٌّ (١٦)

ولما كان مجد الاخرة اعظم المجد كان ابتغائه اعظم الغايات وكان هو اهم الاكبر لذوي الهمم العالية ممن يرجو الله والدار الاخرة قال
الشاعر:

وَلَمْ أَنَا رَاضٍ أَنْ أَرَى وَاطِئَ الثَّرَى ... وَلِي هِمَّةٌ لَا تَرْضِي الْأُفُقَ مَقْعَدًا (٢٦)

والى هذا المعنى يشير قول النابغة الجعدي:

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجَدُّدُنَا ... وَأَنَا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ: إِلَى الْجَنَّةِ.

قَالَ: نَعَمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ (٣٦)

وقال الامام الشوكاني: (وينبغي لمن كان صادق الرغبة قوي الفهم ثاقب النظر عزيز النفس شهد الطبع عالي الهمة سامي الغريزة أن
لا يرضى لنفسه

(١٦) - هذا البيت لمحمود سامس البارودي .

(٢٦) - هذا البيت لابن رشيق القيرواني .

(٣٦) - إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للمؤلف: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، ج ٦/ص ١٤٦ .

بالدون ولا يقنع بما دون الغاية ولا يقعد عن الجد والاجتهاد المبلغين له إلى أعلى ما يراد وأرفع ما يستفاد فإن النفوس الأبية والهمم
العالية لا ترضى بدون الغاية في المطالب الدنيوية من جاه أو مال أو رئاسة أو صناعة أو حرفة حتى قال قائلهم:

إذا غامرت في شرف مدوم ... فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم

وقال آخر مشيراً إلى هذا المعنى

إذا لم تكن ملكاً مطاعاً ... فكن عبداً لخالقه مطيعاً

وإن لم تملك الدنيا جميعاً ... كما تهواه فاتركها جميعاً

هما شيطان من ملك ونسك ... ينيلان الفتى شرفا رفيعا
وقال آخر:

فإما مكانا يضرب النجم دونه ... سرادقه أو باكيا لحمام

وقد ورد هذا المعنى كثيرا في النظم والنثر وهو المطلب الذي تنشط إليه الهمم الشريفة وتقبله النفوس العلية (١٦)
الهمة المضيئة والارادة القوية

ان كثيرا من الناس تكمن فيه الهمة كمن النار في الزند، فهذه الهمة بحاجة الى من يوربها ويقده زندها، فهما حفظ الإنسان من الحكم وكانت رغباته سالحة فلن يكون منتجا الا اذا شخذ همته وقويت ارادته، وانتزهر فرصته، فلاتصغرن همته، فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال: "لاتصغرن همته، فاني لم ارا قعد عن المكرمات من صغر الهمم" (٢٦) وقال الامام مالك رحمه الله: "عليك بمعالي الامور وكرائمها واتق رذائلها وما سف منها فان الله تعالى يحب معالي الامور ويكره سفاسفها" وقال بعض الحكماء: "الهمة راية الجد" وقال بعض البلغاء: "علو الهمم بذر النعم" (٣٦) وقال الامام علي رضي الله عنه:

إِذَا أَظْمَأَتْكَ أَكْفُ الرِّجَالِ ... كَفَتْكَ الفَنَاءَةُ شَبَعًا وَرِيًّا

فَكُن رَجُلًا رَجُلُهُ فِي الثَّرَى ... وَهَامَةٌ هَمَّتْ فِي الثَّرِيَّا

وقال آخر:

إِنْ لِي هِمَّةٌ أَشَدُّ مِنَ الصَّخْرِ ... رِ وَأَقْوَى مِنَ رَاسِيَاتِ الجِبَالِ (٤٦)

وقال احمد شوقي: "الطير يطير بجناحيه، والمرء يطير بهمته"، وقال ابن القيم رحمه الله: "انما تفاوت القوم بالهمم لبالصور" (٥٦) فمن علت همته، وخشعت نفسه، اتصل بكل جميل، ومن دنت همته وطغت نفسه اتصف بكل خلق رذيل (٦٦) وقال الفت عجز العدة؛ فلو علت بك همته ربا

(١٦) - ادب الطلب ومنتهى الادب، للامام محمد بن علي الشوكاني رحمه الله، ص ١٢٧، الناشر دار ابن حزم بيروت لبنان سنة النشر ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢٦) - ادب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣١٩.

(٣٦) - ادب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣١٩.

(٤٦) - هذا البيت لعنتر بن شداد.

(٥٦) - الفوائد لابن القيم، ص ٧٧.

(٦٦) - الفوائد لابن القيم، ص ٢١١.

المعالي راحت لك انوار العزائم (١٦) وقال الهمة العلية من استعد صاحبها للقاء الحبيب (٢٦) وفي امثال العرب: "الارادة سر النجاح، وقدر الرجل على قدر همته، والهمة تلحق الجد العقيم" وقيل "الهمة جناح الحظ" (٣٦) وقيل "من جد وجد" وللهمم العالية اسباب

تبعثها وتعين على اسبابها وتحركها، منها حب الله والايان به وابتغاء ثوابه ومحبه عبادته، ومحبة العمل واتقانه، فاذا استيقضت القلوب نشطت الاعضاء للامال الصالحة وتسابقت النفوس الى اكتساب الفضائل والحامد، فالنفوس الشريفة لاترضى من الاشياء الا باعلاها وافضلها، واحمدها عاقبة، فهي لاترضى الهمم الدنيئة والاعمال الرذيلة فهي تتوق الى ما ينفعها وتحرص على ما يرفعها، قال ابو فراس الحمداني:

إِنِّي أَيْتُ قَلِيلَ النُّومِ أَرْقِي ... قَلْبُ تَصَارَعَ فِيهِ الهمُّ وَالهمُّ

وَعَزْمَةٌ لَإِيَّامِ اللَّيْلِ صَاحِبُهَا ... إِلَّا عَلَى ظَفْرِ فِي طِيِّهِ كَرْمٌ

وقال آخر:

الجد في الجد والحمران في الكسل ... فانصب تصب عن قريب غاية الأمل (٤٦)

(١٦) - الفوائد لابن القيم، ص ٧٧.

(٢٦) - الفوائد لابن القيم، ص ٧٦.

(٣٦) - كنوز الامثال ص ١٠٨.

(٤٦) - هذا البيت لصالح الدين الصفدي.

٤٦٠٣ اسباب كسب الهمم العالية

قال ابن منظور العزم هو: الجِدُّ، عَزَمَ عَلَى الْأَمْرِ يَعِزُّمُ عَزْمًا، وَقَالَ اللَّيْثُ الْعَزْمُ مَا عَقَدَ عَلَيْهِ قَلْبُكَ مِنْ أَمْرٍ أَنْتَ فَاعِلُهُ، وَهَمَّ بِالشَّيْءِ يَهْمُ هَمًّا نَوَاهُ وَأَرَادَهُ وَعَزَمَ عَلَيْهِ (١-). قال الشاعر:

إذا هم لم تردع عزيمة همه ... ولم يات ما يأتي من الأمر هائبا
إذا هم القى بين عينيه عزمه ... ونكب عن ذكر العواقب جانبا (٢-)

وقال الخرز:
إِذَا هَمَّ هَمًّا لَمْ يَرِ اللَّيْلَ غُمَّةً ... عَلَيْهِ وَلَمْ تَصْعُبْ عَلَيْهِ الْمَرَائِبُ (٣-)
اسباب كسب الهمم العالية

ان الايمان بالله سبحانه وتعالى اعظم باعث للهمة فهو من اقوى الاسباب على بعث الهمم على الاقدام والحزم والجد والتشمير، فهو يقوي الادراك، ويشحذ القريحة، فكلمها قوي ايمان الإنسان علت همته، وكلها ضعف ايمانه ضعفت ارادته ووهنت همته في السعي الى المعالي، واستولى عليه الهم والحزن، فراح القلب وسروره وزوال همومه وغمومه مما يبعث على السرور والابتهاج، ويحفز الهمم على العمل والانتاج، والاعراض عن الهموم وتسليم الأمر للحجى القيوم،
قال الشاعر:

كن عن همومك معرضا ... وكل الأمور إلى القضا

- (١-) - لسان العرب، ج ١٢/ص ٦١٩.
(٢-) - هذان البيتان منسوبة في الموسوعة الشعرية لسعد بن ماشب المازني.
(٣-) - هذا البيت لقتال الكلابي، وينسب ايضا لعبيد بن المضرحي.

٤٦٠٤ قراءة القرآن تبعث الهمم العالية

وابشر بخير عاجل..... تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط ... لك في عواقبه رضا
ولربما اتسع المضيق ... وربما ضاق الفضا
الله يفعل ما يشاء ... فلا تكن متعرضا

الله عودك الجميل ... فقس على ما قد مضى (١-)
اما الامام الشافعي فهو يقول:

سَهَرَتْ أَعْيُنٌ وَنَامَتْ عُيُونٌ ... فِي أُمُورٍ تَكُونُ أَوْ لَا تَكُونُ
فَادْرَأِ الْهَمَّ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ النَّفِّ ... سِ حَمَلَانِكَ الْهُمُومَ جُنُونُ
إِنَّ رَبًّا كَفَاكَ بِالْأَمْسِ مَا كَا ... نَ سَيَكْفِيكَ فِي عَدِّ مَا يَكُونُ

وقال اخر:
قل لمن يحمل هما ... ان هما لا يدوم
مثلها تفنى المسرة ... هكذا تفنى الهموم

قراءة القرآن تبعث الهمم العالية

ومن اعظم الاسباب على بعث الهمم هو قراءة القرآن والتدبر لما فيه من القصص والاحكام، فيه حياة النفوس وهداية القلوب وشحذ العزائم والهمم، قال تعالى: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (٢-)

(١٦) - هذه الآيات وردت في الفرج بعد الشدة منسوبة للصفى الحلي.
(٢٦) - سورة الشورى الآية (٥٢) .

٤٦٠٥ دعاء الله والاستعانة به تبعث الهمم

٤٦٠٦ الارادة القوية تبعث الهمم العالية

دعاء الله والاستعانة به تبعث الهمم

ومن اعظم الاسباب التي تقوي العزائم والهمم، وتدفع الهم والحزن، الدعاء والاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه فان ذلك يذهب الهم ويشرح الصدر ويقوي العزيمة فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال: (مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَإِنُّ عَبْدُكَ وَإِنُّ عَبْدُكَ وَأَبْنُ أُمَّتِكَ نَاصِيَتِي بِيدِكَ مَاضٍ فِي حُكْمِكَ عَدْلٌ فِي قَضَائِكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتُ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحَزَنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا) قَالَ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَتَعَلَّمُهَا فَقَالَ (بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا) (١٦) .

الارادة القوية تبعث الهمم العالية

ومن اسباب بعث الهمم الارادة القوية فهي من اعظم ما يبعث على الهمم ومن الدوافع الجوهرية التي تضيف الى مشاعر الإنسان قوة معنوية والانسان بلا ارادة قوية انهزامي مستسلم، يسلم قيادته للآخرين دون ان يشعر بحقيقة امره، فالاشخاص بارادتهم وتصميمهم وایمانهم تعلو هممهم وترتفع اقدارهم، فيحسن بي وبك ان يكون لنا ارادة واقداما على فعل الخير، فالارادة قوة دافعة تجعل صاحبها كبير الثقة بنفسه عظيم الهمة في

(١٦) - احمد مسند حديث رقم (٣٥٢٨) .

٤٦٠٧ التوازن في الغذاء يساعد على بعث الهمم

٤٦٠٨ الهمم العالية لاتعيقها الاحداث

علمه وعمله، فلا شيء يستحيل تحقيقه مع العزم والارادة، وتحمل المسؤولية بشجاعة وعدم الخوف الذي يبعث على التردد والحيرة والهم والحزن، فن راقب الناس مات هما ومن راقب الناس لم يظفر بجاجته، فانت بحاجة الى ارادة وهمة عالية لتنجز دراستك وعملك ومسؤولياتك، فالانكماش والتردد يثبط الهمم ويضعف العزائم.

التوازن في الغذاء يساعد على بعث الهمم

الغذاء له اثر على نشاط الإنسان وبعث الهمة فيه على القيام بواجباته، ومن اهم البواعث على الهمم التوازن في الأكل والمشرب، فالغذاء له تاثير على صحتك فحافظ على توازن الغذاء في جسدك كي تكون نشيطا تتمتع بصحة جيدة وهمة عالية لا يعترى قلبك هم او حزن يبعثك ويفتر همتك، الا ترى ان النبي صلى الله عليه واله وسلم: (يَقُولُ التَّلْبِينَةُ جُمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزَنِ) (١٦) والحق سبحانه وتعال يقول: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (٢٦) .

الهمم العالية لاتعيقها الاحداث

ان اصحاب الهمم العلية لاتعيقهم احداث الماضي ولو كانت كبيرة، ولا تثنيهم العراقيل ولو كانت كثيرة، فابدأ صفحة جديدة من حياتك بهمة عالية، ففي عالم الإنسان روح مفقودة، واسرار مخفية، وحين يكتب الله لك

(١٦) - البخاري في صحيحه باب التلبينة حديث رقم (٤٩٩٧) .

(٢٧) - سورة الاعراف الاية (٣١) .

النجاح ستنتج فكن ذا هممة عالية، وتوقع الافضل من فضل الله، فان اكثر ما يقتل الناس وهم احياء ويؤخرهم وهم قادرين على التقدم ضعف هممهم والهموم التي تجثم على قلوبهم، وما ينزل احيانا من المصائب والعثرات التي يجب ان تكون حافزا لهم على النهوض من كبوتهم والخروج من عثرتهم، فالعثرات في حياة الرجال هي شرارة النجاح وهل يتصور انسان يتعثر قاعدا او يسقط نائما؟ كلا ان الإنسان حينما يتعثر ينهض او يستيقظ من سباته فتلك لحظة الامتحان التي يجب ان يشخذ الإنسان فيها همته، ويعيد حسابه، ويجدد حياته، ويخطو الى المجد ويتطلع للمعالي وينهض من الكبوة بهمة وعزيمة وارادة مستعينا بالله، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، فلا اظن ان هناك من ناجح على وجه الارض تجده وقد تنزلت عليه هبة السماء وهو راقد لم ينهض بعد من فراشه الا اذا كان قد اخذ بالاسباب، فاشخذ همتك وشمر عن ساعد الجد فانك ان وجدت من يزعم ان الحظ ساعده من غير همة ولا جد ولا سعي ولا اخذ بالاسباب فلا تقمته به لان ذلك خلاف السنة الربانية، فقد بلغك ان الكون كله مبني على سنن الآهية لا تتغير البتة يأتي في مقدمة هذه السنن قول العزيز الحكيم: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} (١٦) فهل بقي معنى ابلغ من تلك الآية دليلا على ما قلت لك، ان الهمة والسعي بجد وعزيمة شرط للوصول الى الاهداف فلا تكسل.

(١٦) - سورة الرعد الاية (١١) .

٤٦٠٩ الغريزة تبعث الهمم

الغريزة تبعث الهمم

ان الغرائز الطبيعية التي اودعها الله في كيان الإنسان هي من الدوافع القوية التي تبعث على الهمة العالية، فالغريزة عنصر جوهري في الكائن البشري، فكل غريزة من الغرائز تؤدي دورا هاما في حياة الإنسان باعتبار ان وجودها يمثل جزءاً من وجوده يبعث في الهمة على اداء دوره في الارض في الاعمار والتكاثر والبناء في مختلف مجالات الحياة، فان الله جلت قدرته خلق الإنسان وخلق له سلسلة متكاملة من المتع التي يجبا ويسعى اليها، فحب البقاء والاستمتاع بنعم الحياة غريزة تجعل منه إنساناً يحب العمل ويجد في تنمية قدراته العلمية والعملية، فهو يسعى بهمة عالية ليوفر لنفسه واسرته دخلاً مناسباً للعيش بصورة عزيزة وكريمة، وحب المال غريزة تبعث الهمة الى اكتساب المال ليحقق الاكتفاء ولينفق على غيره باعتبار ان اليد العلي خير من اليد السفلى، والذي يعطي افضل من الذي ياخذ، وكذلك حب القوة وحب السيطرة غريزة موجودة تبعث في الإنسان الهمة على التضحية والسعي نحو الامور التي تجعل الإنسان يسهم بفاعلية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية مما يجعل الامم تنهض بهممها وترقى وتنتأق كقوى اقتصادية او صناعية او علمية، وترقى بقدراتها وتنهض بشعوبها، وبالهمم العالية يشعل فتيل التنافس الذي يحقق التقدم العلمي والحضاري للعالم اجمع، قال الشافعي:

أَمْطِرِي لَوْلَا جِبَالَ سَرَنْدِي ... بَ وَفِيضِي آبَارُ تَكَرُّرِ تَبْرَا

أَنَا إِنْ عَشْتُ لَسْتُ أَعْدَمُ قَوَاتًا...وَإِذَا مِتُّ لَسْتُ أَعْدَمُ قَبْرَا

هَمَّتِي هِمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي ... نَفْسُ حَرِّ تَرَى الْمَدَلَّةَ كُفْرَا

وقد كان الرسول صلى الله عليه واله وسلم مثلاً يحتذى ونهجا يكتفى في كرم نفسه وشرف همته فهو اعلى البشرية هممة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى

له همم لا منتهى لكارها ... وهمته الصغرى اجل من الدهر

فالشريعة الاسلامية تحث على علو الهمة بل ان الحق سبحانه وتعالى توعد هذه الأمة ان هي اخلت بامانتها وعزفت هممها عن اداء واجبها بقوله جلت قدرته: {وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ} (١٦)

(١٦) - سورة محمد الاية (٣٨) .

٤٧ الفصل السادس والاربعون الوقت

٤٧٠١ الوقت

الفصل السادس والاربعون

الوقت

الوقت

الوقت نعمة عظيمة، ومنة كبيرة، فمن حافظ على وقته فقد احتاط في امره وحافظ على نفسه، ومن اضاع وقته فقد اضاع ايامه وخسر زمانه، ولم يتعظ في نفسه.

والوقت: اللحظات التي يعيشها المرء، ويمكث فيها على ظهر الارض. والوقت هو الحياة، وهو اغلا من الذهب. اما الزمن فهو عمر الحياة، وميدان وجود الانسان، وساحة ظله وبقائه، ونفعه وانتفاعه. والوقت اثن ما يملكه الانسان، وفي الامثال السائرة: "الوقت من ذهب" والوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك، وللوقت خاصيتان الاولى: انه يجري جري الرياح ويمر السحاب فهو سريع الانقضاء. والثانية: ان الوقت لا يستطيع احد من الناس استعادته وبالتالي لا يمكن تعويضه، ولهذا قيل: "الايام خمسة: يوم مفقود، ويوم مشهود، ويوم مورود، ويوم موعود، ويوم ممدود" (١٦) فالليبي من انتفع بوقته، وذكر نعمة ربه، واستغفر من ذنبه، وفي الذكر الحكيم: {وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (٢٦) وفي سورة الروم يقول الحي القيوم: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ} (٣٦) وفي سورة الاحزاب يامرنا العزيز الوهاب بذكره وتسيحه في البكرة والاصيل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ

(١٦) - دليل السائلين، ص ٦٢٠.

(٢٦) - سورة الانعام الاية (١٣) .

(٣٦) - سورة الروم الاية (١٨) .

ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} (١٦) وفي سورة التكوير يقسم بالوقت العزيز القدير: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} (٢٦) فلا تنس انبلاج الصبح وظهور الفجر وصلاة الفجر لتكسب الاجر قال تعالى: {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرُ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ} (٣٦) فاعبد ربك اخي وكن من الذاكرين، ولا تكن من الغافلين، وتدبر قول العزيز الحكيم: {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} (٤٦) واعلم اخي ان خير عملك ما اتصلحت به يومك واشره ما استفسدت به قومك، وقديما قيل: "ايام الدهر ثلاثة: يوم مضى لا يعود اليك، ويوم انت فيه لا يدوم عليك، ويوم مستقبل لا تدري من اهله، ولا تعرف ما حاله" فتعر عن امسك الماضي، وتزود من يومك الفاني لغدك الآتي. كل يوم يسوق الى غده، وكل انسان ماخوذ بجنانية لسانه ويده، فالوقت يمضي على من دخل فيه، ويمر على من اشتغل عنه، فلا تضعه تضع، قال الشاعر:

والوقت انفس ما عنيت بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيع

اما شوقي فهو يقول:

المجد والشرف الرفيع صحيفه ... جعلت لها الأخلاق كالعنوان

(١٦) - سورة الاحزاب الاية (٤١-٤٢) .

(٢٦) - سورة التكوير الاية (١٧-١٨) .

(٣٦) - سورة الفجر الايات (١-٥) .

(٤٦) - سورة الصافات الاية (١٤٣-١٤٤) .

٤٧٠٢ ادارة الوقت سبيل للنجاح

وَأَحَبُّ مِنْ طَوْلِ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ.....قَصْرُ يَرْيَكُ تَقَاوُصَ الْأَقْرَانِ
دَقَاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ ... إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَاتِقُ وَثَوَانِي

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا ... فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمْرٌ ثَانِي
وقال اخر:

واصبر على نعم الحياة ويؤسها ... نعم الحياة ويؤسها سيان

وناد مولاك عند البكور والاصباح, اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحا واوسطه فلاحا واخره نجاحا , ففي الحديث: (ليس من يوم إلا وهو ينادي: يا ابن آدم! أنا خلق جديد، أنا فيما تعمل في عليك شهيد، فاعمل في خيرا أشهد لك به، فإنني لو مضيت لم ترني؛ ويقول الليل مثل ذلك) (١٦) وفي حديث اخر: (اغتم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك) (٢٦) .
ادارة الوقت سبيل للنجاح

إدارة الوقت بحكمة منة ونعمة فهي سبيل للنجاح، وطريق للعزة والفلاح، فالوقت في مفهومه المجرد شيء ثمين يتحكم في جميع أعمالك فقسمه بين العمل والراحة وبين النوم والصحة، فاجعل من ليالك وقتا لراحة بدنك، ومداعبة اهلك، وتعليم ولدك، وتقييم عملك، وعبادة ربك، واجعل منه سويغات لنومك، وسكون جسمك وقلبك، وفي الذكر الحكيم:

(١٦) - كنز العمال حديث رقم (٤٣١٥٩) .

(٢٦) - تحاف الخيرة المهرة للعلامة المؤلف/ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري حديث رقم (٧١٦٥) .

{وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا} (١٦) فادارة الوقت تعني تنظيمه وضبطه واستغلاله فيما يعود عليك نفعه فاجعل من النهار ما يحقق امالك، ويتسع لاعمالك، وابدأه بذكر الله وحمده والاستعانة به واداء ما اقترض الله عليك فيه من العبادة، والجد في العمل لتتسرع بالسعادة، فاذا استثمرت نهارك باصلاح معاشك واداء امانتك في وظيفتك ومزرعتك ومدرستك ومصنعك ومتجرك عاد ذلك عليك وعلى مجتمعك واهلك بانخير العميم، فلا تكن من الغافلين وفي الذكر الحكيم يقول العزيز الحكيم:
{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتِينَ فَحَوْنًا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا} (٢٦) فأيامك معارة فلا تضعيها قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ مَا الْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ ... فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ (٣٦)
اما ابو العلاء المعري فهو يقول:

ثلاثة أيام هي الدهر كله ... وما هن غير الأمس واليوم والغد (٤٦)
وقال الشريف الرضي:

يغرُّ الفتى ما طال من حبلِ عمره ... وترخي المنايا برهة ثم تجذب
وقال اخر:

(١٦) - سورة النبأ الاية (٩-١١) .

(٢٦) - سورة الأسراء الاية (١٢) .

(٣٦) - هذا البيت لطرفة بن العبد.

(٤٦) - هذا البيت لطرفة بن العبد.

يغر الفتى مر الليالي سليمة ... وهن به عما قليل عواثر
اما ابو الطيب المتنبي فهو يقول:

صَحَبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانِ ... وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَانَا

وَتَوَلَّوْا بَعْضَهُمْ مِنْهُ ... وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْيَانَا

رُبَّمَا تُحْسِنُ الصَّنِيعَ لِيَالِيهِ ... وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الْإِحْسَانَ

وَكَأَنَّكَ لَمْ يَرْضَ فِينَا بَرِيْبُ الْ ... دَهْرٍ حَتَّىٰ أَعَانَهُ مِنْ أَعَانَا

كُلَّمَا أَتَبْتَ الزَّمَانَ قَنَاءً ... رَكَّبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاءِ سِنَانًا
وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ ... نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ تَتَفَانِي
غَيْرَ أَنْ الْفَتَى يُلَاقِي الْمَنَاءَ ... كَالْحَلَاتِ وَلَا يُلَاقِي الْهُوَانَا
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبَقَى لِحَيٍّ ... لَعَدَدْنَا أَضَلَّنَا الشُّجْعَانَا

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ ... فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانًا
كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْ ... فُسٍ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا

ومفهوم الوقت في الإدارة الحديثة يتمثل في توفير واستغلال وقت العمل الرسمي للتركيز على النشاطات التي تجعل من المدير قائدا فعالا ومن المسؤولين الآخرين من موظفين وعمال أشخاصا منجزين للأعمال المطلوبة منهم بكفاءة وإنتاجية عالية وإخلاص وأمانة لكي تعم فائدة عملهم وتنتفع المجتمع كله، فلا تترك عمل اليوم الى الغد فانك لا تدري اقدره ام لا، فجد واجتهد فربما جاء الغد بما لا تحب قال الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه:

٤٧٠٣ اسباب ضياع الوقت

عَجِبًا لِلزَّمَانِ فِي حَالَتِهِ ... وَبِلَاءٍ ذَهَبَتْ مِنْهُ إِلَيْهِ
رُبَّ يَوْمٍ بَكَيْتُ مِنْهُ فَلَمَّا ... صُرْتُ فِي غَيْرِهِ بَكَيْتُ عَلَيْهِ

الوقت هو الحياة، وإذا ذهب لا يمكن تعويضه، لذا لا بد من التخطيط الناجح للاستفادة المثلى من الوقت، فإدارة الوقت تعتبر من العمليات الإدارية التي لا يمكن الاستغناء عنها، خصوصا في مجال التحليل والتخطيط. اما العلامة محمد بن محمد المنصور فهو ينصح أولاده فيقول:

بني فلا تضيعوا اي وقت ... فإن الوقت انفس كل غالي
فإن لم تكسبوا فيه فعفوا ... عن الشر المزين في الخيال
وحسبكم الاضاعة لا تضيفوا ... اليها السوء وامثلوا مثالي

اسباب ضياع الوقت

ان التحسر على الماضي والبكاء عليه قد يشغل عن الحاضر فيكون سببا لضياع الوقت، فلا تلتفت الى الماضي فالوقت الذي مضى لا يعود، والفائت لا يستردك، وفي الامثال السائرة: "ذهب امس بما فيه، ومن يقدر على رد امس وتطيين عين الشمس" (١٦) وقيل ايضا: "ما ابعد مافات، وما اقرب ماهو آت" وقد قيل ان لصوص الوقت الذين يمنعون الإنسان من استغلال وقته على الوجه الأكمل هم:-

١. التردد: ويؤدي التردد في إصدار القرار اللازم خوفا من الفشل في النهاية إلى إضاعة الجهد والوقت.

٢.

٣.

(١٦) - كنوز الامثال، ص ٢٧٦، والمراد بتطيين عين الشمس ستر الحق الجلي الناصع.

٤. التوتر.

٥. عدم تنظيم البيئة الإدارية.

٦. عدم الاهتمام باجتماعات اللجان في اوقاتها مما يؤدي إلى إضاعة الوقت.

٧. التشاؤم والتباطؤ.

وإذا كان لا يوجد وقت كافي لعمل كل شيء، فتقبل هذه الحقيقة ببساطه. لذا من الضروري التركيز على الأشياء الأكثر أهمية. وإذا فعلت ذلك في كل من عملك وحياتك الشخصية، فإنك ستنجز أكثر ما تريد بحسن إدارة الوقت. فصف ذهنك. واهدأ. وركز على مهمتك. تجاهل أي شيء آخر. فالتوتر الزائد يجعل مهمتك تبدو أصعب مما هي عليه. يمكنك التحكم في صفاتك الذهني بحيث لا تجعل

الضغوط الخارجية تؤثر عليك. تفهم جيداً ما يجب عليك فعله وقم به في هدوء وراحة وثقة. وحاول أن تنشُد الكمال وتسعى اليه واعلم ان إتقان فن إدارة الوقت يتطلب الجِدَّ والمثابرة والصبر على الطلب واحرص على اغتنام العمر في سبيل العلم وتحصيله. ويرحم الله الشافعي حيث يقول:

سَهْرِي لِتَنْقِيحِ الْعُلُومِ الَّذِي ... مِنْ وَصَلِ غَانِيَةٍ وَطَيْبِ عِنَاقِ
وَصَرِيرِ أَقْلَامِي عَلَى صَفْحَاتِهَا ... أَحْلَى مِنَ الدُّوْكَاءِ وَالْعُشَاقِ
وَالَّذِ مِنْ نَقَرِ الْفَتَاةِ لِدَفِّهَا ... نَقْرِي لِأَلْقِي الرَّمْلَ عَنْ أَوْراقِ
وَتَمْلِي طَرَباً لِحَلِّ عَوِيصَةٍ ... فِي الدَّرْسِ أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ
وَأَبَيْتِ سَهْرَانَ الدُّجَى وَتَبَيْتُهُ ... نَوْمًا وَتَبَغِي بَعْدَ ذَاكَ لِحَاقِي

فأغلب المسلمين اليوم يسيئون إدارة أوقاتهم، بالرغم من نظرة الإسلام إلى الوقت وإعطائه أهمية كبيرة، فتضييع الشاب العاقل عن العمل لعمره ووقته وهو ينتظر فرصة العمل التي تناسب مع المواصفات التي يضعها ومع مؤهله العلمي الذي حصل عليه خسارة كبيرة، فمن الأخطاء الشائعة في كثير من البلدان ان لا يرتبط العلم بالتنمية وان لا يتم التخطيط مسبقا بحيث لا يخرج الدارس في اي مجال علمي الا وهناك فرصة عمل تنتظره كي لاتضيع اوقات العلماء والمتخصصين في شتا المجالات وتهدر اوقاتهم، فضياع اوقات العلماء والمتعلمين حسرة على الشعوب وضياع انفس ما يكون مفيدا واغلب ما يكون سيديا. وقد كان من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اللهم انا نسالك صلاح الساعات والبركة في الاوقات". وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: "ان الليل والنهار يعملان فيك، فاعمل فيهما". وقال عبد الله بن مسعود: "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت فيه شمسه نقص فيه اجلي ولم يزد فيه عملي". وقال الحسن البصري رحمه الله: "يا ابن ادم، انما انت ايام، فاذا ذهب يوم ذهب بعضك". وقال: "ادركت اقواما ما كانوا على اوقاتهم اشد منكم حرصا على دراهمكم ودنانيركم". (١٦) والله در القائل:

(١٦) - دليل السائلين، ص ٦٢٢.

٤٧٠٤ تمتع بنعمة وقتك

إِنَّمَا دُنْيَاكَ يَوْمٌ وَاحِدٌ ... فَإِذَا يَوْمُكَ وَلَّى لَمْ يَعْ
وقال ابن طباطبا العلوي:

دُنْيَاكَ يَوْمُكَ دُونَ امْسِكْ فَاعْتَبِرْ ... مَا السَّالِفُ الْمَفْقُودُ مِثْلَ الْغَايِرِ
وقال اخر:

لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرَّبَ بِهِ عَيْنٌ ... وَلَا حَالَ إِلَّا سَوْفَ تَنْتَقِلُ
اما العلامة محمد بن محمد المنصور فهو يقول عن ماهية الزمن:
ملايين السنين متى تولت ... كيوم واحد ليست بأكثر
متى كان الذي فيها كما ... ن فيه من مباني الخير والشر
وان خلقت وجاء اليوم يطوي ... صوالح او طوالح فهي اقصر
ولا تعجب لحلم الله عمن ... طغى الامد الطويل ومن تجبر

الست مُمَهَّلًا زَمَنًا طَوِيلًا ... وَلَمْ تَشْعُرْ كَأَنَّكَ لَسْتَ مَشْعُرٌ
ولست بمهمَلٍ فَأَفْقُ وَابْصُرْ ... فَقَدْ آَنَّ الْأَوَانَ لِأَنَّ تَبَصَّرَ
تمتع بنعمة وقتك

ان الله قد جعل لك وقتا وایاما تعيشها فانظر الى تقلب الزمان واشكر الرحمن, ترى ربيع الايام تزهر, وخريفها بالخير يزخر, وشتاؤها بالثلوج تخمر, وصيفها بالمرن يقطر, نعم لا تحصى وفضل لا ينسى فاشكر الله تبارك وتعالى, قال الشاعر:

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ يَخْتَالُ ضَاحِكًا ... مِنْ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَا
وَقَد نَبَهَ النَّوْرُوزُ فِي غَلَسِ الدُّجَى ... أَوْائِلَ وَرَدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نَوْمَا
يُفْتَقِهَا بَرْدُ النَّدَى فَكَأَنَّهُ ... يَبِثُّ حَدِيثًا كَانَ أَمْسٍ مُكْتَمَا
وَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبِيعُ لِبَاسَهُ ... عَلَيْهِ كَمَا نَشَرَّتْ وَشِيًا مُنْمَمَا (١٦)

فتمتع بفصل الربيع وازهاره وبجميل الورد في نيسانه واذاره, واسبح في بحوره وانهاره, واكثر من ذكر الله في غدو الوقت واصاله, فعسى يهزك الربيع وينعشك بريحانه وازهاره فتغتم الوقت في عمل الصالحات, فان الربيع يهز النفوس ويذهب البؤس ويبعد عنك التشاؤم والنحوس وهذا الخبز ارزي يقول

قدم الربيع لفظ في آذار ... بعساكرٍ للزهر والأنوار
فتناثرت لقدمها بتفصيح ... بعد العجومة ألسن الأطيّار
وكأنَّ إقبالَ الزمان من الشتاء ... إقبالٌ مسحور من الأسحار
خلع الربيع على الرياض وألبست ... خلع الربيع مشهر الأقطار
فاذا جاء الخريف تضاعف خيره وضحك طيره وطاب صباحه وبرد نسيمه قال الشاعر:
طاب شرب الصبوح في ايلول ... برج الظل في الضحى والاصيل
وخبث جمره الهواجر عنا ... واسترحنا من النهار الطويل
وخرجنا من السموم الى برد ... نسيم وطيب ظل ظليل
فكأننا نزداد قربا من الجنة ... في كل شارق وأصيل
ووجوه البقاع تنتظر الغيث ... انتظار المحب رد الرسول (٢٦)
وقال اخر:

(١٦) - هذه الايات للبحثري.

(٢٦) - وردت هذه الايات في الموسوعة الشعرية وفي صبح الاعشى منسوبة الى عبد الله بن المعتز. ولم نجد لها في الديوان الذي بين ايدينا.

ولا زلت في عيشة كالخريف ... فان الخريف جميعا سحر
فاذا جاء الشتاء فتمتع بنعمة الكساء والحذاء والغذاء, واحرص على العمل فيه فقد جاء وقته وزمانه, فاجعل منه للعمل دليله وعنوانه, فالبرد اذا جر ذبوله وجاء بجنده وخبوله فتمتع بنعمة الكساء, والدفء واجعل لكل وقت من العمل مايناسبه, واعلم ان اسباغ الضوء على المكاره, والسعي الى المساجد, والمدارس, والجامعات, والمؤسسات, والمزارع لضرورة العمل والعبادة في البرد القارس مما يضاعف الله به الحسنات في تلك الاوقات فلا تكسل, وقد جعل الله لك وسائل للتدفئة, وجعل سراويل تقيك البرد والحر, وانعم عليك بنعم لا تحصى فاشكر الله على ذلك ولا تعرض نفسك للهالك, قال احمد شوقي رحمه الله:

وَأَتَى الْبَرْدَ فَكَمْ خَلَقَ قَتْلَ ... مَنْ تَوَقَّاهُ اتَّقَى نَصْفَ الْعَلَلِ
إِتَّخَذَ سُكَّالِكَ فِي تَلْقَى الْجَوَاءِ ... بَيْنَ شَمْسٍ وَنَبَاتٍ وَهَوَاءِ
خَيْمَةً فِي الْبَيْدِ خَيْرٌ مِنْ قُصُورِ ... تَجَلُّ الشَّمْسُ عَلَيْهَا بِالْمُرُورِ
فِي غَدٍ تَأْوِي إِلَى قَفْرِ حَلِكِ ... يَسْتَوِي الصُّعْلُوكُ فِيهِ وَالْمَلِكُ
وَأَتْرَكَ الْخَمْرَ لِمَشْغُوفٍ بِهَا ... لَا يَرَى مَدْوَحَةً عَنْ شُرْبِهَا

لَا تُتَادِمُ غَيْرَ مَأْمُونٍ كَرِيمٍ ... إِنَّ عَقْلَ الْبَعْضِ فِي كَفِّ النَّدِيمِ
وَعَنِ الْمَيْسِرِ مَا إِسْطَعَتْ إِبْتِعَدَ ... فَهَوُ سُلُّ الْمَالِ بَلْ سُلُّ الْكَبْدِ
وَتَعَشَّقُ وَتَعَقِّفُ وَتَتَّقِي ... مَا دَرَى اللَّذَّةَ مَنْ لَمْ يَعِشَقِ
ولبعضهم في كافات الشتاء

جاء الشتاء وعندي من حوائجه ... سيع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا ... بعد الكباب وكس ناعم وكسا (١٦)

وهذه ليست كل حاجات الشتاء ولم تعد كلها مطلوبة ولا مرغوبة وقد انعم الله على الإنسان بالملابس القطنية والصوفية المنسوجة
باتقان على اجمل مثال وهدى الله الإنسان للاختراع وسائل التدفئة التي تضمها البيوت والمساجد والسيارات، وانعم الله بوجود الغذاء
والكساء على الكثير من الناس فالماء البارد يمكن تدفئته وكذا المكان البارد، فاستشعر النعمة وادم الشكر واغتم الوقت في العمل الذي
ينفعك ولا تضيعه، فليس لك من عذر ينفعك فوقتك راس مالك ان تاجرت به ربحت، وان جعلته كاسدا كنت لوقتك خاسرا، واصبر
على مريض الادلاج في السحر، واسع الى عملك في البكر، ورضي الله عن الامام علي بن ابي طالب حيث يقول:

إِصْبِرْ عَلَى مَضِضِ الْإِدْلَاجِ فِي السَّحْرِ ... وَفِي الرِّوَاكِ إِلَى الْحَاجَاتِ وَالْبُكْرِ
لَا تَضْجِرَنَّ وَلَا يَحْزُنْكَ مَطْلَبُهَا ... فَالْتَجِحْ يَتَلَفُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالضَّجْرِ

واذا جاء الصيف بنهاره المشمس وسحابه الممطر، ونمت الاشجار، وتكاثرت الانهار، فاستمتع بنهاره الدافئ وتنقل بين ظل الاشجار وعلى
ظفاف الانهار، وجد في عملك في الليل والنهار، ولا تنس ذكر ربك اطراف الليل وآناء النهار، ولا تضيع وقتك وزمانك، وتنس اهلك
واخوانك:

(١٦) - هَذَا الْبَيْتَانِ ل (ابن سكرة) .

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الزَّمَانِ وَفِي أَيِّ ... زَمَانٍ دَهْتَنِي الْأَزْمَانُ
حِينَ جَاءَ الرَّبِيعُ وَاسْتَقْبَلَ الصَّيْفُ ... وَطَابَ الطَّلَاؤُ وَالرِّيحَانُ (١٦)
اما ابن شيخان فهو يرى ان في رياح الصيف برؤ فيقول:
خَلِيلِي مَا لِلْقَلْبِ لَجٌّ بِهِ الْعَنَا ... أَمَا فِي رِيَاكِ الصَّيْفِ بُرٌّ لَدَى الضَّنَا
ويقول ايضا:

مَا الرُّوحُ لِلرُّوحِ إِذَا ... بَكَرَ إِلَّا تَغْذِيَهُ

ونفحة الصيف بمسك ... ها تعم الأندية

اما ابن هذيل فهو يقول:

إِنْ فِي الصَّيْفِ رَاحَةٌ لِلنَّفُوسِ ... وَشَفَاءٌ مِنْ حَرِّ دَاءِ الرَّسِيسِ
وقال اخر:

أَبْكَى عَلَى الصَّيْفِ كَالْبَاكِي عَلَى الطَّلِي ... وَإِنَّهُ كَالصَّبَا يَمْضِي عَلَى عَجَلٍ

جاء الشتاء فأذوى برده حبقاً ... قد كان في الصيف ذا نضرٍ وذا ميل

كم كنت أقطفه أو كنت أنشقه ... والعطر والنضر مثل الحب والأمل (٢٦)

واما ابو طالب المأموني فهو يصف ثمار الصيف فيقول:

وضرب من ثمار الصيف يحكي ... وقد طلعت لنا منه نجوم

قناديل تضيء لها رؤوس ... مثقبة وليس لها جروم

وقال اخر:

وان راق لي في الصيف حر هجيريه ... أرى السحب تملوه فينهمر القطر

(١٦) - هذان البيتان لـ (ابن إياس الكثاني) .

(٢٦) - هذه الايات لابي الفضل الوليد.

سعيتُ وأنَّ السعيَ فرضٌ عليَّ الفتى..... وليس عليه ان يساعده الدهرُ (١٦)

فاستمع بصيفك في اقامتك وترحالك, واشكر ربك على ذلك, وتدبر ما امتن الله على قريش من النعمة في رحلة الشتاء والصيف قال

تعالى: {لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ * إِلَّا فِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}

(٢٦) . وعن قيمة الوقت واعتناء العمر في الطاعة وعدم تضييعه يقول العلامة محمد بن محمد المنصور:

فعمرك فرصة لك فاغتنمها ... ولا تضع الثواني والثوال (٣٦)

ففي الميزان ثانية بوزر ... وفي الميزان ثلاثة بمال

وإن جالست فالأخيار واهرب ... من الأشرار في شعف (٤٦) الجبال

فكم طبع سليم أفسدته ... مجالسة الغويِّ من الرجال

وكم من صالحات أوبقتها ... غويات بأدنى الإتصال

وقل خيرا أو اصمت وانه عما ... نهك الشرع من قيل وقال

ولا تنطق ولا تفعل سواه ... تخير منه واسطة اللال

فعاقبة الجميل حميد فوز ... وعاقبة القبيح الى الوبال

حياتك فانتزها فهي سوق ... نخذ منها الأطايب والغوالي

فيأدر أيها المسكين واغنم ... حياتك قبل تطوى في الرمال

(١٦) - هذان البيتان (للاديب اسحاق) .

(٢٦) - سورة قريش الاية (١-٤) .

(٣٦) - أي: الثوالث وهي أجزاء الثانية.

(٤٦) - الشعث: رأس الجبل.

فلست بمستطيع كسب خير.....إذا ما زلت عن دار الزوال

ولست بمصلح ما أفسدته ... يداك فذاك من صور المحال

فقم بالفرض واجتنب المناهي ... يخ لك إن وعيت لذا المقال

وقال

فلا تستبدل الادنى باعلى ... ولا تزن الحقيقة بالخيال

وخذ بيتين أهداها حكيم ... حوت جل الفضائل والجمال

(إذا ما شئت أن تدعى حكيما ... وتلحق بالرجال ذوي الكمال)

(فلا تغتر في الدنيا بشيء ... ولا تخطر لك الدنيا بحال)

كتاب الله رتل كل يوم ... وقم متديرا جنح الليالي

فافضل ما به اوصيك هذا ... تنل بكتابها اعلى منال

وروض العلم لا تبرحه الا ... لنفع اخيك او كسب العيال (١٦)

(١٦) - لوامع من خواطر شواسع, ص (١٨٩ و١٩٠) .

٤٨ الفصل السابع والاربعون الأطفال

٤٨٠١ الأطفال

الأطفال

الأطفال زينة الحياة وزهرتها، وعماد الأمة في المستقبل وأساس مستقبلها، وآمال الشعوب في استعادة مجدها وكرامتها، والأطفال ريحانة القلوب وبهجة النفوس، فطالما تشوقت القلوب لرؤيتهم وانشرحت الصدور لوجودهم، واستبشرت الأرواح باستقبالهم، فسبحان من صورهم في الأرحام وجعل خلقهم آية تدل على بقاء نوع الإنسان وان اصل خلقه من طين وان الذي خلقه قادر على بعثه بعد الممات يقين وفي الذكر الحكيم: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عُلُقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا } (١٧) . ويعتبر الطفل انسانا يحترم في دمه وماله وعرضه فقد سواه الله واحياه وجعله زينة للحياة كما خلق ادم من طين واسبجد له الملائكة اجمعين فتبارك الله احسن الخالقين القائل: { فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِّن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } (٢٧) . ويرحم الله شوقي حيث يقول:

أَذْكَرُ الْآيَةِ إِذْ أَنْتَ جَنِينٌ ... لَكَ فِي الظُّلْمَةِ لِلنُّورِ حَنِينٌ
كُلُّ يَوْمٍ لَكَ شَأْنٌ فِي الظُّلْمِ ... حَارَ فِيهِ كُلُّ بَقْرَاطٍ عَلمٌ
كَانَ فِي جَنبِكَ شَيْءٌ مِّنْ عَاقٍ ... حِينَ مَسَّتْهُ يَدُ اللَّهِ حَقَقَ
صَارَ حِسًّا وَحَيَاةً بَعْدَمَا ... كَانَ فِي الْأَضْلَاجِ لِحْمًا وَدَمًا
أَحْبَبَ الطِّفْلَ وَإِنْ لَمْ يَكُ لَكَ ... إِثْمًا الطِّفْلُ عَلَى الْأَرْضِ مَلَكٌ
هُوَ لَطْفُ اللَّهِ لَوْ تَعَلَّمَهُ ... رَحِمَ اللَّهُ إِمْرَأَةً يَرِحِمَهُ

(١٧) - سورة الحج الاية (٥) .

(٢٧) - سورة الحجر الاية (٢٩) .

٤٨٠٢ الطفل ان تلقى الرشاد نما على الخير

عَظْفَةٌ مِنْهُ عَلَى لُعبَتِهِ..... تُخْرِجُ المَحْزُونَ مِنْ كُرْبَتِهِ
وَ حَدِيثٌ سَاعَةَ الضِّيقِ مَعَهُ ... يَمَلَأُ العَيْشَ نَعِيمًا وَسَعَةً
الطفل ان تلقى الرشاد نما على الخير

الطفل ينمو جسداً وروحا وقلبا وعقلا وعواطف وجوارح فاذا نمت هذه القوى فيه نموا متناسبا، وتربى على الفضيلة والخلق الحسن كان نفرا لقومه وزينة لاهله، ونافعا لمجتمعه ونفسه، وعن الطفل نقول:

عمر الطفولة نبتة الأزهار ... وزمان ودّ طيب الآثار
حيث الطفولة بالبراءة تبتدي ... أيامها بطهارة الأبرار
فترى الملائكة الصغار كأنهم ... درر تشع بأجمل الأنوار
فنشيدهم يبجي الهوموم سماعه ... أنغامهم فاقت غنا القيثار
أسّ الفضائل في بنا اجسامهم ... واساس بنيتهم بنا الافكار
يأياها الآباء ان صغاركم ... نور الحياة وآلة الابصار
فأذا أردتم ان يكونوا امة ... تُعلي البنا في سائر الأمصار

فاسعوا الى تعليمهم أسس البنا ... وأساس كل فضيلة ونفار
فالطفل ان لقي الرشاد سرى به ... نحو العلا في حكمة ووقار
واذا تلقى الغي سار بنفسه ... نحو الضلال مواطن الأشرار
فالعقل يعجب للشروع فلا تكن ... في غفلة عن حكمة الجبار
الخالق البر الرحيم إلنا ... ملك الملوك الباري
وقل السلام على ثرا أطفالنا ... نبت الحياة ومهبط الأسرار
ثم الصلاة على النبي وآله ... وصحابه بعشية ونهار

اما العلامة عبد الملك عبد الله الجنداري (١٦) فهو يقول:
عهد الطفولة زهرة الاعمار ... واساس بنيتها لدى الاعمار
فالنبت كل جماله في زهره ... وعلى الاساس تقوم كل الدار
والطفل نبع في سواقي اهله ... من حيثما تجري فقيها جار
ويصبيه اسن اذا اسنت وان ... نزهت تنزه عن قذى الاقدار
يامن يروم ابوة وامومة ... ما سهل الانجاب في الاسحار
واشد من حفظ الصغير عن الردى ... فحذار يا هذا والف حذار
واحرص على ان تستقيم فانه ... ظل لشخصك قد بدا بازار
فالطفل زينة هذه الدنيا فكن ... متزيئا من اكرم الاجار

من هنا يجب عدم نسيان حقيقة مهمة وهي أن الإسلام أحدث انقلاباً شاملاً في الحياة البشرية، سواء على مستوى السلوك أو التصور، واستطاع الإنسان من خلالها أن يتحرر من عالم القيود الذي كان يكبله، فالدين الإسلامي هو دين الفطرة، فإذا وجه الطفل إلى حقائق الحياة عرف أن الله وحده هو الخالق، والحديث النبوي يدل على ذلك (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِهِ أَوْ يَمَجَّسَانِهِ) (٢٦) ، والحديث يدل على ان الطفل المولود اذا تلقى الرشاد من والديه اتبعه واصابه وان تلقى الغي اتخذه سبيله، أما مرحلة الكبر فقد دل

(١٦) - هو العلامة المحقق المجتهد/ عبد الملك بن عبد الله بن علي الجنداري عضو المحكمة العليا للجمهورية اليمنية عالم واديب وشاعر بليغ يتمتع بالخلق الرضي والسلوك المرضي وله ديوان شعر لم يطبع وهو استاذ محاضر بالمعهد العالي للقضاء وله عدة بحوث قضائية وفقهية طبع بعضها.

(٢٦) - أخرجه البخاري في صحيحه باب ما قيل في أولاد المشركين حديث (١٣١٩) ، ومسلم في صحيحه باب معنى كل مولود يولد على الفطرة حديث (٢٦٥٨) ، واللفظ للبخاري.

التبعية والاستقراء من قبل العلماء والباحثين أنها مرحلة تفهم لحقائق الأشياء أكثر منها مرحلة تلقين واعتقاد، فالخطورة هو الا يترك لطفل التفكير في خلق السماوات والارض ويوجه نحو خالقه بل يدلس عليه بعبادة غير الله وتزييف حينئذ حريته فيضل في معتقده والعقل كما سبق الإشارة الى ذلك يعجب للشروع وهذا ابو العلي المعري يقول:

وَالْعَقْلُ يَعْجَبُ لِلشُّرُوعِ تَمَجُّسٍ ... وَتَحْنُفٍ وَتَهْوٍ وَتَنْصَرٍ
فَاحْذَرِ وَلَا تَدْعِ الْأُمُورَ مُضَاعَةً ... وَأَنْظُرْ بِقَلْبٍ مُفَكِّرٍ مُتَبَصِّرٍ

فالطفل يجب ان توجه مداركه بالا يخضع الا لله، وبهذه العزة تبني الحرية وينتفض عن كاهل حاملها أي طاعة إلا طاعة الله، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشير إلى هذه الحرية وإلى عدم الانقياد والتبعية إلا لأوامر الله، فقد روى أحمد في المسند قوله: (لا طاعة لخلق في معصية الله عز وجل) (١٦) وفي رواية للبخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: (لا طاعة في معصية إنما الطاعة في المعروف) (٢٦) .

- (١٦) - صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء، حديث (٣٤٢٤) - أحمد في المسند، حديث (٣٦٩٤) - وأورده السيوطي في الجامع الصغير، ورمز له بالصحة، حديث (٩٩٠٣) .
(٢٦) - السيوطي في الجامع الصغير، حديث (٩٩٠٢) .

٤٨٠٣ الطفل في لغة العرب

الطفل في لغة العرب

جاء في المصباح المنير: الطفل الولد الصغير من الانسان والدواب قال ابن الأنباري: ويكون الطفل بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والجمع (١٦)

وفي المختار: الطفل المولود والجمع أطفال وقد يكون الطفل واحداً وجمعاً مثل الجنب، قال تعالى: {أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا} (النور: ٣١) (٢٦) .

وقال ابن فارس: طفل: الطاء والفاء واللام اسمٌ صحيح مطرد، ثم يقاس عليه، والأصل المولود الصغير، يقال هو طفل والأنثى طفلة (٣٦) .

وقال الراغب: الطفل الولد ما دام ناعماً وقد يقع على الجمع قال تعالى: {ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً} (٤٦) ، وقد يجمع على أطفال (٥٦) .
ورحم الله البوصيري (٦٦) حيث يقول:

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على ... حُبِّ الرضاع وإن تَفَطَّمه ينظم

(١٦) - المصباح المنير تأليف العلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ الناشر دار الحديث القاهرة الطبعة الاولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .

(٢٦) - مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الناشر دار القلم بيروت، لبنان ص ٣٩٤

(٣٦) - معجم المقاييس لأبي الحسين أحمد بن بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٥هـ الناشر دار الفكر بيروت الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ص ٦٢٠

(٤٦) - سورة غافر الآية (٦٧)

(٥٦) - المفردات للراغب ص ٣٨٠ مصدر سابق .

(٦٦) - هو العلامة شرف الدين البوصيري ٦٠٨ - ٦٩٦ هـ / ١٢١٢ - ١٢٩٦ م محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي

البوصيري المصري شرف الدين أبو عبد الله. شاعر حسن الديباجة، مليح المعاني، نسبته إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر، أمه منها. وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حنون. ومولده في بهشيم من أعمال البهنساوية

ووفاته بالإسكندرية له (ديوان شعر-ط) ، وأشهر شعره البردة مطلعها: أمن تذكّر جيران بذي سلم شرحها وعارضها الكثيرون، والهمزية ومطلعها: كيف ترقى رقيق الأنبياء وعارض (بانت سعاد) بقصيدة مطلعها (إلى متى أنت باللذات مشغول) .

٤٨٠٤ التسمية الحسن للطفل وتكنيته مما يرفع من معنوياته

قال بعضهم يبقى هذا الاسم للولد حتى يميز ثم لا يقال له بعد ذلك طفل بل صبي وحزور ويافع ومراهق وبالغ، وفي التهذيب يقال له طفل إلى ان يحتلم. اما الثعالبي في فقه اللغة فقد ذكر بانه: يقال للصبي إذا ولد رضيع وطفل ونقل عن الأئمة أنه مادام في الرحم فهو جنين، فإذا ولد فهو وليد، ثم مادام يرضع فهو رضيع ثم إذا قطع عنه اللبن فهو فطيم، ثم إذا ثبتت اسنانه فهو مثقر فإذا كان يتجاوز العشر السنين فهو مُتَرَعَّرٌ فإذا كاد يبلغ الحلم او بلغه فهو يافعٌ ومراهقٌ فإذا احتلم واجتمعت قوته فهو حُرُورٌ واسمه في جميع هذه الاحوال غلام (١٦) ، ولم يحدد الثعالبي زمنا معيناً لكل مرحلة من المراحل التي ذكرها. ولكن الامام ابراهيم بن اسماعيل الطرابلسي ذكر ان

الولد مادام في بطن امه فهو جنين فإذا ولد سمي صبي فإذا فطم سمي غلاما الى سبع سنين ثم يصير يافعا الى عشر حجج ثم يصير حُزورا الى خمس عشرة سنة وذكر ان من قارب الاحتلام فهو مراهق فإذا بلغ فهو محتلم (٢٦) وفي الذكر الحكيم: {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (٣٦) . التسمية الحسن للطفل وتكنيته مما يرفع من معنوياته

من حق الطفل على ابويه أن يختارا له اسما حسنا جميلا في مبناه ومعناه، وذلك لانه لما كانت الاسماء قوالب للمعاني، ودالة عليها اقتضت الحكمة أن يكون بين هذه الاسماء وبين معانيها ارتباطا وتناسبا، وألا يكون الاسم معها بمنزلة الاجنبي المحض الذي لاتعلق له بها، فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك، والواقع يشهد بخلافه، بل للاسماء تأثير في المسميات وللمسميات تأثير عن أسمائها في الحسن والقبح، والخفة والثقل واللطافة والكثافة، كما قيل

وقل إن أبصرت عينك ذا لقب ... إلا ومعناه إن فكرت في لقبه (٤٦)

ولقد أرشدت السنة النبوية إلى ضرورة تحسين أسماء الأبناء، وأمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الآباء أن يحسنوا تسمية أبنائهم كما جاء في الحديث (من ولد له ولد فليحسن اسمه) (٥٦) ، وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم قالوا: (يا رسول الله قد علمنا ما حق الوالد على الولد، فما حق الولد على الوالد؟ قال: أن يحسن اسمه وأن يحسن أدبه) (٦٦) ، ويفهم من هذين النصين أن من حق الطفل على أبيه أن يحسن اسمه، لأن الأسماء القبيحة تؤثر على نفسية الطفل، إذ أن بعض الأطفال يعانون من أسمائهم وقد يلحقهم البؤس والتعاسة بسبب ما يتعرضون له من

(١٦) - فقه اللغة وسر العربية تأليف الامام الغوي ابي منصور عبد الملك محمد الثعالبي ص ٢٤٢ مطبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م .

(٢٦) - كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية تعريف الامام الاديب ابي اسحاق ابراهيم بن اسماعيل المعروف بابن الاجدادي الطرابلسي المطبعة الرحمانية بمصر ١٢٨٧هـ ص ١٢-١١ .

(٣٦) - سورة النور الاية (٥٩) .

(٤٦) - تربية الاطفال في البيت والروضة لمحمد حامد الناصر وخولة عبد القادر درويش ص ١٦٣ الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م مكتبة السوادي التوزيع جدة .

(٥٦) - مشكاة المصابيح، لمحمد عبد الله الخطيب، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/١٤٠٥هـ ج ٢ ص ٩٣٩، حديث (٣١٣٨) .

(٦٦) - انظر تيسير المطالب في امالي ابي طالب ص ٢٣٨ مصدر سابق .

الناس وما يصيبهم من الأذى بسبب ذلك، ولأن أول ما يتعلمه الطفل ويحاول كتابته هو اسمه، فإذا كان اسمه جميلاً عاد عليه ذلك بهجة وسعادة، بخلاف ما إذا كان الاسم غير جميل إذ يعرض الاسم القبيح للسخرية والأذى، وكثيراً ما يعاني الطفل من عدم تحسين اسمه، وهي عادة جاهلية حارها الإسلام ونبذها وعلم البشرية كيفية تحسين الأسماء.

فقد روى أبو داود وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم) (١٦) . ويستحب تكنية الصغار بغير كنية النبي تأسيساً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهذا انس يقول قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا بن عشر سنين وأن أمه أم سليم أتت به النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قدم فقالت له هذا أنس غلام يخدمك فقبله وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كناه أبا حمزة ببقلة كان يجتنبها ومازحه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له ياذا الأذنين) (٢٦) ولهذا التكنية آثار نفسية رائعة، وفوائد تربوية عظيمة وهي تنمية شعور التكريم والاحترام في نفسية الولد قال الشاعر:

(١٦) - أخرجه الإمام أحمد في المسند، من حديث زيد بن خالد الجهني، حديث (٢١٣١٣) - وأبو داود في سننه، كتاب الأدب،

باب في تغيير الأسماء، حديث (٤٩٤٨) .

(٢٦) - الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي العسقلاني وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر النميري القرطبي (ت: ٤٦٢ هـ) طباعة دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ. ج ١ ص ١٢٦ .

أكنيه حين أناديه لأكرمهُ ... ولا ألقبه والسوأة اللقبُ (١٦) كذاك أدبت حتى صار من خلقي ... إني رأيت ملاك الشيمة الأدبُ

وقال آخر:

وقد تلتقي الاسماء في الناس والكنى ... كثيرا ولكن لاتلاقي الخلائق (٢٦)

وهناك فرق بين الاسم والكنية واللقب قال ابن القيم رحمة الله هذه الثلاثة وإن اشتركت في تعريف المدعو بها فإنها تفترق في امر اخر وهو ان الاسم اما ان يفهم مدحا او ذما او لا يفهم واحدا منهما، فإن افهم ذلك فهو اللقب، وغالبا استعماله في الذم ولهذا قال تعالى: {وَلَا تَمَّازُوا بِأَلْقَابِ} (٣٦) ولا خلاف في تحريم تلقيب الانسان بما يكرهه، سواء كان فيه او لم يكن، واما اذا عرف ذلك واشتهر به كالاعمش والأعرج، اطرط استعماله على السنة اهل العلم قديما وحديثا ونقل عن الامام احمد ان اللقب اذا كان لا يعرف الا به فإنه لا يكره، واما ان لا يفهم مدحا وذما، فإن صدر بأب وام فهو الكنية وان لم يصدر بذلك فهو الاسم (٤٦) فيستحب تحسين الاسم والابتعاد عن اللقب.

(١٦) - ورد هذان البيتان مستشهداً بهما في كتب النحو كشرح ابن عقيل وغيره، وورد البيت الثاني في حماسة ابي تمام ونسبه الى بعض الفزاريين ولم يعينه.

(٢٦) - الموسوعة الشعرية للعلامة والأديب والواعظ الخطيب بدر بن عبد الله بن عبد الكريم الناصر، الناشر: دار العاصمة بالرياض الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م، ص ٣٥٣ .

(٣٦) - سورة الحجرات الآية (١١) .

(٤٦) - تحفة المولود لابن القيم تحقيق عبد القادر الارناؤوط دار عالم الكتاب الرياض ص ١٥٧ طبعة واحد ١٤١٢ هـ.

٤٨٠٥ تهنئة من رزق طفلا

تهنئة من رزق طفلا

ويحسن تهنئة من رزقه الله مولودا لما في ذلك من اظهار السرور والشكر للواهب وما يترتب على ذلك من الود الذي تزرعه التهنئة بين الاسر المسلمة والحب والتآلف وأظهار شكر الخالق الواهب والفرق بين البشارة والتهنئة هو ان البشارة تعني ابلاغ الأب والأم بما تفضل الله به من قدوم المولود، والتهنئة تعني الدعاء بالخير بعد ان علم، ففي التهنئة مشاركة للمسلمين في افراحهم واشعارهم بالسرور لحصول الخير لهم ولهذا فإنه يحسن التهنئة بأن يقال: بورك لك في الموهوب وشكرت الواهب، وبلغ رشده ورزقت بره ففي مسند بن الجعد: قال (قال رجل عند الحسن: يهنيك الفارس فقال الحسن وما يهنيك الفارس لعله أن يكون بقارا أو حمارا ولكن قل شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب وبلغ رشده ورزقت بره) (١٦) ، وفي ذلك دعاء بالبركة للمولود وشكر للواهب وتضرع لله ان يكون الولد من البارين لأبائهم، وفي ذلك ايضا دفن لأثار الجاهلية الذين كان الناس فيها يقتلون ابناءهم خشية الفقر او خشية العار اذا اكان المولود انثى فكان التمييز العنصري سمة العصر الجاهلي ولهذا جاء القرءان فحما هذه العادات السيئة ووجه الالباء الى الفطرة السوية قال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ

(١٦) - مسند ابن الجعد: علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي، الناشر: مؤسسة نادر- بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٠

- ١٩٩٠ تحقيق: عامر أحمد حيدر، حديث رقم ٣٣٩٨، والحاوي للفتاوى للسيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن باب

الصلاة ج ١ ص ٨٠، والشرح الكبير لابن قدامة ج ٣ ص ٥٩٠.
أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (١٦) . وبسبب عادات الجاهلية السيئة يروى ان شيخا من الاعراب تزوج جارية من رهطه، وطمع ان تلد له غلاما فولدت له جارية فهجرها وهجر منزلها، وسار يأوي الى غير بيتها، فربخبائها بعد حول، واذا هي ترقص بنيتها منه وهي تقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا
غضبان الا نلد البنينا ... وإنما نأخذ ما أعطينا

وفي رواية أخرى للآيات:

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا
بل نحن في الارض لزارعينا ... يلبث ماقد زرعوه فينا
وأما نأخذ ما أعطينا

فعرف أبوحمزة قبح ما فعل وراجع امراته (٢٦) ، ويروى انه كان لرجل امراتان في داره ولدت احدهن غلاما وولدت الاخرى بنتا-والحسد بين الضرائر معلوم- فكانت ام الغلام اذا رقصت ابنها قالت:

عافني اليوم من الجواري ... من كل سوداء كش بالي
لاتدفع الضيم عن العيال
وكانت ام الجارية اذا سمعت هذا رقصت ابنتها وقالت:

(١٦) - سورة النحل الآية (٥٨-٥٩) .

(٢٦) - الترقيص والغناء للأطفال عند العرب للاستاذ احمد عبد التواب عوض الناشر دار الفضيلة القاهرة ص ٩١. وقد وردت الرواية الاولى للآيات في العقد الفريد لابن عبدربه والبيان والتبيين للجاحظ، والرواية الاخرى في بهجة المجالس وانس المجالس.

٤٨٠٦ ادب الطفل وتعليمه

تحفظ بيتي وترد العارية ... وما علي ان تكون جارية
تمشط رأسي وتكون الفالية ... وتحمل الفاضل من خمارية

حتى اذا ما بلغت ثمانية ... أزرتها بنقبة يمانية

وانكحتها مروان او معاوية ... اصهار صدق بمهور غالية (١٦)

فالتمييز بين الذكر والانثى الذي يقصد منه التنقص من حق الانثى وعدم شكر الواهب قد محته الشريعة الإسلامية كما سبق بيان ذلك فالله هو الواهب قال تعالى: {يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَآءًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَآءًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ

قَدِيرٌ} (٢٦) .

ادب الطفل وتعليمه

ادب الطفل وتربيته تعني رعاية نموه في جوانبه الجسمية والعقلية والاجتماعية والدينية وتوجيهها نحو الاصلاح والوصول بها الى الكمال، فإن هذه التربية تحتاج الى تعليم وتدريب وادراك المرابي للغرض من تربيته للطفل، ولعل من أهم هذه الاغراض الحصول على العلم والحصول على الرزق والنهوض بالاخلاق من أجل إيجاد المواطن الصالح والمؤمن التقى وليس ذلك بعسير فالطفل خلق ولديه كل المؤهلات التي تمكنه من النمو وعمل المرابي تكمن أهميته في أنه يهبؤ الفرد ليكون انسانا تقيا فهو يطبع في ذهن الطفل بفن ومهارة ماينفعه أو يضره

ولله در القائل:

خير ماورث الرجال بنيمهم ... أدب صالح وحسن ثناء

(١٦) - انظر في هذا الغرض مؤلفنا حقوق الطفل ص (٨٠-٨٣) طبعه المطبعة القضائية الطبعة الاولى ٢٠٠٩م.

(٢٧) - سورة الشورى الآية (٤٩-٥٠) .

هو خير من الدنانير والاوراق..... في يوم شدة او رخاء
تلك تفنى والدين والادب الصالح ... لا يفنيان حتى اللقاء
اما شوقي فهو يقول:

فَرَبِّ صَغِيرِ قَوْمٍ عَلَّمَهُ ... سَمَا وَحَمَى الْمُسَوِّمَةَ الْعَرَابَا
وَكَانَ لِقَوْمِهِ نَفْعًا وَنَفْرًا ... وَلَوْ تَرَكَوهُ كَانَ أَذَى وَعَابَا
فَعَلِمَ مَا اسْتَطَعَتْ لَعَلَّ جَيْلًا ... سَيَأْتِي يُحَدِّثُ الْعَجَبَ الْعَجَابَا
ويرحم الله ابن عبد البر حيث يقول في أرجوزته:

واعلم بأن العلم بالتعلم ... والحفظ والإتقان والفهم
والعلم قد يرزقه الصغير ... في سنه ويحرم الكبير

فإنما المرء بأصغريه ... ليس برجليه ولا يديه
لسانه وقلبه المركب ... في صدره فذلك خلق عجب
والعلم بالفهم وبالمدادكرة ... والدرس والفكرة والمناظرة

فالتمس العلم وأجمل في الطلب ... والعلم لا يحسن إلا بالأدب
اما العلامة يحيى بن محمد الهادي فهو ينصح ولده فيقول:
العلم مجلبة للخير أجمعه ... ودافع عن بنيه الشر والوصبا

فالزم عليه صفى الدين تارك ما ... يلهيك عنه تكن من زمرة الأدبا
ولا تخوضن مع الأذال في لعب ... فساعة عدلت ملء الفضاء ذهبا

من عاش في الجهل أضحى في الورى ذنباً ... فعش بعلمك رأساً لا تكن ذنبا

وقد قال ابن الجوزي رحمه الله: (أقوم التقويم ما كان في الصغر) ، فأما إذا ترك الولد وطبعه ومشي عليه ومرن كان رده صعباً، قال
الشاعر:

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا اعْتَدَلَتْ ... وَلَا يَلِينَ إِذَا قَوْمَتَهُ الْخُشْبُ

٤٨٠٧ لعب الطفل وراحته مما ينعشه ويشرح نفسه

قد ينفع الأدب الأحداث في مهلٍ..... وليس ينفع عند الكبرة الأدب (١٧)

وقال آخر:

والطفل يحفظ ما يلقي إليه ولا ... ينساه إذ قلبه كالجوهر الصافي
فانقش على قلبه ما شئت من خبر ... فسوف يأتي به من حفظه وافي
لعب الطفل وراحته مما ينعشه ويشرح نفسه

إن الطفل بحاجة ماسة الى ما يقوي عضلاته ويشرح نفسه ومن حسن سياسة الأمم في تربية الاطفال ان ترقصهم بما يلائم فطرتهم
التي فطرهم الله عليها فهم بحاجة الى ما يهز جوارحهم ويخفف أجسامهم ويوافق بناءهم الجسمي، فالاصوات المنعمة على نسب منتظم
التي ترافق ترقيص الطفل تحقق له قدرا كبيرا من الراحة النفسية والجسمية وللعب أهميته، وخاصة للاطفال؛ فهو يسهم بشكل مباشر
وغير مباشر في عملية النمو، ولذلك قيل: اللعب أساس النمو، كما أنه يشبع وينمي غرائز الأبوة والأمومة عند الأطفال، ومن هنا قيل: أمة
لا لعب لها أطفالها محرومون (٢٧)

وبهذه الملاطفة النبوية يتعلم المربون كيف يبعدون الأبناء عن سماع فحش القول وذميمة، وكيف يلاطفون أطفالهم في سفرهم وإقامتهم.

(١٦) - انظر الطب الروحاني لابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ص ٥٩، الناشر: مكتبة الثقافة الذهبية، القاهرة ١٤٠٦هـ،

(٢٦) - الألعاب الترويحية الشعبية في المدينة المنورة بحث منشور على صفحات مجلة بحوث ودراسات المدينة المنورة العدد (١١) سنة ١٤٢٥هـ ص ١٦٣ وما بعدها- لفضيلة الدكتور عدنان درويش رئيس قسم التربية الرياضية والصحية بكلية التربية بالمدينة المنورة سابقا.

وهذا ابن سعد في الطبقات الكبرى يروي لنا أنه: بعد ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذه عبد المطلب -جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمتكفل به- بعد وفاة والده عبد الله وحمله إلى البيت وأخذ يطوف به وأحاطه به بنوه وهو يقول:

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان ... أعينه بالبيت ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان ... أعينه من شر ذي شأن
من حاسد مضطرب العنان (١٦)

وهذه حليلة السعدية كانت ترقص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتقول:

يا رب إذ أعطيته فأبقه ... وأعله إلى العلا ورقه
وادحض أبا طيل العدا بحقه (٢٦)

وروي أيضاً أن الشيماء بنت الحارث أخت النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة وكانت أكبر منه سنّاً كانت ترقصه فتقول:
هذا أخ لي لم تلده أُمي ... وليس من نسل أبي وعمي
فأتمه اللهم فيما تنمي

(١٦) - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٦٤.

(٢٦) - انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج ٤ ص ٥٢، وانظر أيضاً: ترجمة حليلة السعدية في الإصابة وأنساب الأشراف وذخائر العقبى من مناقب ذوي القربى الطبعة الأولى ص ٢٥٩.

وقد كانت فاطمة الزهراء رضوان الله عنها ترقص ابنها الحسن بن علي رضي الله عنهما وتقول:
إن بني شبه النبي ... ليس شبيهه بعلي

وهذه أسماء بنت أبي بكر ترقص ولدها عبد الله فتقول:

ايض كسيف الحسام الابريق ... بين الحواري وبين الصديق
ظني به ورب ظني تحقيق ... والله أهل الفضل أهل التوفيق
إن يحكم الخطبة يعي المسليق ... ويفرج الكربة في ساع الضيق (١٦)

وهذه أم الفضل بنت الحارث الهلالية ترقص ابنها عبد الله بن العباس رضي الله عنهم وكانت تتوسم فيه علائم السؤدد والشرف والعلم خاصة وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعاء له بالعلم والفقه فتقول:

ثكلت نفسي وثكلت بكري ... إن لم يسد فهرا وغير فهر
بالحسب العد وبذل الوفر ... حتى يوارى في ضريح القبر

وهذا ابن سينا في أرجوزته في الطب يسرد بعض النصائح في تربية الاود فيقول:

الزمه ان اردت أن ينما ... مهذا وطياً يؤد الظلاما
الزمه في يقظته الضياء ... كما يرى النجوم والسماء
كثر له الالوان بالنهار ... لكي تدر به على الابصار
ناغه بالاصوات في تعلم ... كيما تدر به على التكلم

(١٦) - الترقيص والغناء للأطفال عند العرب أعداد أحمد عبد التواب عوض الناشر دار الفضيلة القاهرة ص ٤٩ .
 فلعب الأطفال في غير إسراف ولا مضيعة محب مشروع، ألا ترى أن أخوة يوسف طلبوا من والدهم يعقوب أن يرسل معهم يوسف يرتع ويلعب ولم ينكر عليهم يعقوب عليه السلام ذلك وإنما أبدى خشيته من الإهمال والتفريط وإليك من القصة شيئاً مما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز وفيه من الحكم والتشويق ما ينبر به اللبيب: { قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسَلَهُ مُعْتَدَ غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنَّ تَذَهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَنْ نَأْكُلَهُ الذِّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ } (١٦)

ومن حق الطفل أن يبني جسمه بناءً سليماً وأن يعطى حظاً من الراحة واللعب والدعابة حتى يشعر بالسعادة ويستعد للإبداع والتفكير. وما أجهل هدير الأطفال ونشيدهم، وهذا شوقي يصف الصغار بحلوان في فرحهم ولعبهم فيقول:

صغارٌ بحلوانٍ تَسْتَبْشِرُ ... ورؤيتها الفرح الأكبر
 فهذا بلعبته يزدهي ... وهذا بحلته يفخر
 وهذا كغصن الربا ينثني ... وهذا كرجح الصبا يخطر
 إذا اجتمع الكلُّ في بقعة ... حسبتمو باقة تزهرو
 أو افرقوا واحداً واحداً ... حسبتمو لؤلؤاً ينثر
 فلاسفة كلهم في اتفاق ... كما اتفق الآل والمعشر

(١٦) - سورة يوسف الآية (١١-١٤) .
 دَسِمِيرُ شَعْبَانُ عِنْدَ الْجَمِيعِ وَشَعْبَانُ لِلْكَلِّ دِسْمِيرٌ
 وَلَا لُغَةٌ غَيْرُ صَوْتِ شَجِيٍّ ... كَرَوْضٍ بِلَابِلِهِ تَصْفِرُ
 وَلَا يَزْدَرِي بِالْفَقِيرِ الْغَنِيُّ ... وَلَا يُنْكِرُ الْأَبْيَضَ الْأَسْمَرَ
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَضَلَّ الصِّغَارُ ... أَمْ الْعَقْلُ مَا عَنْهُمْ يُؤْثِرُ
 سُؤَالَ أَقْدَمِهِ لِلْجَارِ ... لَعَلَّ الْجَارَ بِهِ أَخْبِرُ
 وقال المعلي الطائي:

لولا بنيات كزغب القطا ... رددن من بعض إلى بعض
 لكان لي مضطرب واسع ... في الأرض ذات الطول والعرض
 وإنما أولادنا بيننا ... أجدنا تمشي على الأرض
 إن هبت الريح على بعضهم ... لم تشبع العين من الغمض

٤٩ الفصل الثامن والاربعون التوبة

٤٩٠١ التوبة

الفصل الثامن والاربعون
 التوبة
 التوبة

التوبة تجعل من الانسان شخفا سويا قادرا على ان يتحمل اعباء المسؤولية، والتوبة تفتح بابا للانسان يتصالح مع ربه ومع نفسه ومع اهله ومع مجتمعه، يجب الخير ويجب الرجوع الى الحق ويجب الشفاء من سقم المعصية، والتوبة في حقيقة اللغة هي الرجوع، واذا اضيفت التوبة الى الانسان اريد بها رجوعه عن الزلات والندم على فعلها فقد يضل ضال في فهم نصوص الاستغفار فيخيل له ان المغفرة متيسرة للانسان الخاطيء بلا نظام مهما فسق واقترب من الاثام، والامر ليس كما يظن هذا الظان فليست التوبة كلمات ترددها الشفة بلاندم على ماسبق وبلا ارتداع عما يسؤ وبلا عزم اكيد على الاستقامة. ولهذا فانه يشترط لنيل مغفرة الله ورضوانه التوبة النصوح، والتوبة النصوح تعني: الاقلاع عن الذنب في الحاضر، والندم على ما بدر في الماضي، والعزم على عدم اتيانه في المستقبل، واذا كانت المعصية بحق ادبي فلها شرط يضاف الى هذه الشروط الثلاثة المتقدمة وهو: البرؤ من حق صاحبها ويجب على الانسان العاقل ان يتوب من جميع الذنوب وفي الذكر الحكيم: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (١٦) . وفي الحديث النبوي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ

(١٦) - سورة التحرير الاية (٨) .

٤٩٠٢ التوبة فرض عين

بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطَ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا) (١٦)

قال ابوالعالية:

يا نفس توبي قبل أن ... لا تستطعي أن تتوبي

وأستغفري لذنوبك الر ... حمن غفار الذنوب

أما الحوادث فالريا ... ح بين دائمة الهبوب

وله ايضا:

لھونا لعمر الله حتى نتابعت ... ذنوب على آثارهن ذنوب

فيا ليت أن الله يغير ما مضى ... ويأذن في توباتنا فتوب

وقال محمود الوراق:

قدم لنفسك توبة رجوة ... قبل الممات وقبل حبس الألسن

بادر بها علق النفوس فإنها ... ذخر وغنم للمنيب المحسن

وقال اخر:

خذ من شبابك قبل الموت والهزم ... وبادر التوب قبل الفوت والندم

واعلم بانك مجزي ومرتهن ... فراقب الله واحذر زلة القدم (٢٦)

اما ابن عبدربه الاندلسي فهو يقول:

بادر إلى التوبة انخلصا مجتهدا ... والموت ويحك لم يمدد إليك يدا

وأرقب من الله وعدا ليس يخلفه ... لا بد لله من إنجاز ما وعدا

التوبة فرض عين

التوبة نور يشرح الله بها الصدور، ويرفع الوزر الذي يقصم الظهر، فبادر اليها ولا تكن مسوفا مغرورا فهي فرض عين في حق كل

شخص مكلف، وكل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه، وفي الحديث النبوي (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَابُونَ) (٣٦) وفي

الذكر الحكيم: { وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٤٦) . فلا يخلو إنسان من مقارفة ذنب او اهم به، فالقلب لا يخلو

من ذنب او وسوسة شيطان او ظن سيء او توارد خواطر متفرقة تذهل عن ذكر الله تعالى، ومن ذا الذي خلى عن الغفلة والقصور

اومن ذا الذي يخلو عن الشهوات ومقارفة العادات السيئات في كل الاوقات, وقد حكى الله عن ابليس (لاحتنكن ذريته الا قليلا) وقديما قيل:

فلا تحسبن هندا لها العذر وحدها ... سجيية نفس كل غانية هند

فسارع اخي الى تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة, ولا يتم ذلك الا بالتوبة النصوح, الخالصة لله عن الشوائب, حتى تتصلح الأحوال, وتنشرح الصدور, ويظهر السرور, وتضاعف الاجور وتكون محببا مشكورا

(١٧) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٤٩٥٤)

(٢٧) - هذان البيتان في الموسوعة الشعرية منسوبة ل (محمد بن وسيم الطليطي) .

(٣٧) - ابن ماجة في سننه باب ذكر التوبة حديث رقم (٤٢٤١) .

(٤٧) - سورة النور الاية (٣١) .

٤٩٠٣ فوائد التوبة واثارها

وتدبر في قول اللطيف الخبير: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} (١٧) . فالتوبة يحو الله بها الذنب ويصلح بها العبد. قال الشاعر:

يارب بك استجير ومن يجير سواك ... فارحم ضعيفا يحتمي بجمالك
يارب قد اذنبت فاقبل توبتي ... من يغفر الذنب العظيم سواك

وقال اخر:

انت الذي تهب الكثير وتجبر ... القلب الكسير وتغفر الزلات
وتقول هل من تائب مستغفر ... اوسائل اقضي له الحاجات

وفي الذكر الحكيم يقول العزيز الحكيم: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} (٢٧) . وفي سورة النصر يقول الغفور

الرحيم: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} (٣٧) فسبحان من يقبل التوبة عن عباده, ويضاعف لمن تاب اجره وثوابه, وفي

سورة الشورى النبأ اليقين عن قبول العزيز الرحيم توبة التائبين: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ}

(٤٧) وفي سورة التوبة البشرية للتائبين المؤمنين: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (٥٧) .

فوائد التوبة واثارها

للتوبة منافع جليلة, وفوائد كثيرة, وخيرات وفيرة, يتجلى الله على التائب برضوانه واحسانه ويبسط له يده في ليله ونهاره, ويفتح له ابواب رحمته, فتدركه نعمه, وتوبة المرء تدل على سعاده وانعامه, وانشراح صدره واكرامه, الا ترى ان ادم عله السلام تلقى كلمة من ربه

فتاب عليه واكرمه, واصطفاه وعافاه, فالتائب من خيار الناس, تزيل التوبة الصدى من قلبه, والعمى من بصره, ويقبل الله على التائب

ويفرح به, وفي الحديث النبوي: (لله افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة) (٦٧) وقال عمر بن

الخطاب رضي الله عنه: (جالسوا التوابين فانهم ارق أفئدة) (٧٧) وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه (عجبا لمن يهلك ومعه النجاة)

قيل له: وما هي؟ قال: (التوبة والاستغفار) (٨٧) ومن فوائد التوبة ان التائب يغير صفائح اعماله باحسن منها ويشيد الصالحات,

ويبتعد عن السيئات, فهو يامل ان ينال من خيرات الله وكرمه, فيحسن الى نفسه والى مجتمعه, وربما تقوده عناية الله الى دخول الجنة,

فالتوبة تكون سببا لغفران الماضي والاحسان في المستقبل, وقد سؤل الامام الشافعي رضي الله عنه: ايهما افضل: الكافر اذا اسلم؟ ام

العاصي اذا تاب؟ قال الامام: العاصي اذا تاب, لان الكافر اذا اسلم ينتقل من درجة الجهل بالله الى درجة العلم بالله, اما العاصي اذا

تاب فينتقل من درجة العلم بالله الى درجة محبة

(١٧) - سورة البقرة الاية (٢٢٢) .

- (٢٦) - سورة طه الاية (٨٢) .
- (٣٦) - سورة النصر الاية (٣) .
- (٤٦) - سورة الشورى الاية (٢٥) .
- (٥٦) - سورة التوبة الاية (١١٢) .
- (٦٦) - البخاري في صحيحه باب التوبة حديث رقم (٥٨٣٤) .
- (٧٦) - جامع الاحاديث باب مسند عمر بن الخطاب حديث رقم (٢٩٨٠٨) .
- (٨٦) - العقد الفريد، ج/١ ص ٣١٨ .

٤٩٠٤ التوبة من اهم الدعائم الخلقية فسارع اليها

الله (١٦) . ومن فوائد التوبة ومنافعها ان التائب يوسع على نفسه، ويزيل الضيق والحرَج من صدره، ويذهب الهم والكرب من قلبه، ويكون مخلصاً لله في عبادته، يتبع السيئة الحسنة، ولهذا فان الرسول صلى الله عليه واله وسلم يامر بالتوبة ويحث عليها، ففي الحديث

النبي: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ } (٢٦) .

التوبة من اهم الدعائم الخلقية فسارع اليها

التوبة من اهم الدعائم الخلقية فسارع اليها فكل تاخير فيها هو انحلال في الشخصية الانسانية، وكل اسراع وصدق فيها هو اصلاح للنفس، وسبب قوي للقضاء على الشر، فالتوبة يجب ان تكون عقب ارتكاب المعصية، فلا سبيل الى طلب المغفرة الا بالاستغفار ثم بالتوبة، قال

تعالى: { وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ } (٣٦) ويقول: { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * } وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا

الذين يموتون وهم كفار أولئك أعذنا لهم عذاباً أليماً } (٤٦) .

قصة في الحديث النبوي

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله إني لقيت امرأة في البستان فضممتها إلي وباشرتها وقبلتها وفعلت بها كل شيء غير أنني لم أجامعها قال فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية { إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى

لِلذَّاكِرِينَ } .

قال فدعاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرأها عليه فقال عمر يا رسول الله أله خاصة أم للناس كافة (فقال بل للناس كافة (٥٦)) .

وهذه القصة يتبين منها ان الله سبحانه وتعالى يتوب على عباده ويعود عليهم بالرحمة والاحسان، فهو الذي يقبل التوبة ويعفو عن

السيئات فما على الإنسان الا ان يتوب الى الله ويتبع السيئة الحسنة تحمها ولا يكون من المقصرين حتى لا تدركه الشدة، ويسوق ربه اليه

من البلاء ما يجعله على التوبة او يكون له فتنه، فلا يتوب ولا يتذكر، فتدبر قول الحق تبارك وتعالى: { أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ

مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ } (٦٦) . فالله قد يسوق من الشدائد ما يحمل عباده على التوبة، قال الدكتور محمد راتب

الناقلي: اذا جاءت توبة الله قبل توبة العبد فتعني الشدائد التي يسوقها للعبد، واذا جاءت توبة الله بعد توبة العبد فتعني قبول التوبة،

يحملك على التوبة، ثم يقبل توبتك، فأنت بين دافع الى التوبة وبين قبول لهذه التوبة (٧٦) . فالله يريد ان يتوب على عباده، فهو التواب

الذي يعود بالخير على عباده، وبالاحسان

(١٦) - دليل السائلين، ص ١٣٨ .

(٢٦) - مسلم في صحيحه باب استجاب الاستغفار والاستكثار منه حديث رقم (٤٨٧١) .

(٣٦) - سورة هود الاية (٣) .

(٤٦) - سورة النساء الاية (١٧-١٨) .

- (٥٦) - احمد في مسنده، ج ٩ حديث رقم (٤٠٢٩) .
 (٦٦) - سورة التوبة الاية (١٢٦) .
 (٧٦) - اسماء الله الحسنى ج/٢ ص ٦٠٤ .

اليهم، وبالغفو عنهم، والاكرام لهم، وأنت بحاجة الى رحمة الله والى عفوه والى كرمه والى احسانه، فانت بحاجة الى ربك التواب الذي يريدك ان تتوب ليتوب عليك، فمن رجع وتاب فقد اصطاح مع الله واليه اتاب، وفي الذكر الحكيم: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا} (١٦) . اما اذا امد الله امد امة بصحة جيدة وامطار غزيره وبلاد جميلة وهم غارقون في شهواتهم وملذاتهم في سكرهم وانحرافهم يتناولون على الحق، ويؤذون الخلق يفسدون ولا يصلحون ولا يتوبون ولا يتذكرون فانهم يكونون مستحقين للعقاب والعذاب، وانما يتوب الله على من عاد اليه، واعتذر وبين واصلح، فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ويصلح، قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (٢٦) . فتعرف اخي على اسم الله التواب يفتح لك الابواب ويضاعف لك الثواب ويصرف عنك العذاب ويعود عليك برحمته واحسانه وكرمه وامتنانه، فالرزق من التواب والامطار من التواب عاد به علينا والهواء الذي تستنشقه من التواب عاد به علينا واذا تاب العبد الى الله بسؤاله تاب الله عليه بنواله .

التواب من اسماء الله الحسنى

- (١٦) - سورة النساء الاية (٢٧) .
 (٢٦) - سورة البقرة الاية (١٦٠) .

٤٩٠٥ ثمرة معرفة اسم الله التواب

التواب من اسماء الله الحسنى جاء في كتاب الله مقترنا باسم الله الرحيم والحكيم وورد ذكره في القرآن احدى عشرة مرة منها قوله تعالى: {فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (١٦) وقوله تعالى: {وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (٢٦) وقال تعالى: {وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (٣٦) وقوله تعالى: {وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ} (٤٦) وقوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} (٥٦) وجاء في السنة النبوية في حديث ابي هريرة عند الترمذي ان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وعد منها (التواب) (٦٦) ومعنى اسم الله التواب، اي الذي يعود على عباده بالخيرات ويعود على عباده بالاحسان، وبالرحمة والغفران، والتواب فعال من ابنية المبالغة فهو سبحانه وتعالى كثير التوبة على عباده فمن تاب اليه من عباده المذنبين ترك مجازاته بإنابته الى طاعته، فهو الذي يعود على عباده بالرحمة والاحسان والغفو والانابة، وقال الخطابي: التواب هو الذي يتوب على عباده فيقبل توبتهم كلما تكررت التوبة تكرر القبول، وهو يكون لازما ويكون متعديا بحرف يقال: تاب الله على العبد بمعنى وفقه للتوبة فتاب العبد كقوله: (ثم تاب عليهم ليتوبوا) ومعنى التوبة عود العبد إلى الطاعة بعد المعصية (٧٦) وفي المقصد الاسنى للغزالي: (التواب) هو الذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى بما يظهر لهم من آياته ويسوق إليهم من تنبيهاته ويطلعهم عليه من تخوياته وتحذيراته حتى إذا اطلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب استشعروا الخوف بتخويفه فرجعوا إلى التوبة فرجع إليهم فضل الله تعالى بالقبول (٨٦) .

اما ابن قيم الجوزية فهو يقول:

وَكَذَلِكَ التَّوَّابُ مِنْ أَوْصَافِهِ ... وَالتَّوْبُ فِي أَوْصَافِهِ نَوَاعَانِ
 إِذْ بَتُوبَةِ عَبْدِهِ وَقَبُولُهَا ... بَعْدَ الْمَتَابِ مِمَّنَّةِ الْمَنَّانِ
 ثمرة معرفة اسم الله التواب

إذا عرف المكلف ان الله سبحانه وتعالى هو التواب الحكيم الرحيم الذي يتوب على التائبين ويغفر ذنوب المذنبين وأنه الذي يوفق من شاء للتوبة والاناة وأنه الذي يقبل التوبة ويعفو عن السيئات وجب عليه ان يؤمن به وان يتوب الى الله من جميع ذنوبه وأخطائه وان يسأل الله التوبة والعفو والغفران فهو التواب الذي يقبل الدعاء بالاجابة والعطاء والاعتذار بالاستغفار والاناة بالاجابة والتوبة بغفران الحوبة, فاذا تاب العبد الى الله

- (١٦) - سورة البقرة الاية (٣٦) .
- (٢٦) - سورة البقرة الاية (١٦٠) .
- (٣٦) - سورة التوبة الاية (١٠٤) .
- (٤٦) - سورة النور الاية (١٠) .
- (٥٦) - سورة النصر الاية (٣) .
- (٦٦) - الترمذي في سننه حديث رقم (٣٤٢٨) .
- (٧٦) - الاسماء والصفات للبيهقي, ص ١٤١ .
- (٨٦) - المقصد الاسنى للغزالي, ص ١٣٩ .

٤٩٠٦ دعاء الله باسمه التواب

بسؤاله تاب الله عليه بنواله, ومن كان هذا حاله فانه ينبغي عليه ان يحث المسيئ على التوبة ويحرضه على الاوبة, واذا كان الله تعالى يقبل التوبة عن عباده بعد اجترائهم عليه فحري بالعبد ان يقبل معاذير الخلق ممن اساء اليه, وندم من جرأته عليه ولو مرة بعد اخرى, ففي الحديث (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) فكما تحب ان يقبل الله توبتك فكن حريصا على قبول توبة الاخرين والعفو عن المذنبين تكن من المحسنين فاقبل معاذير التائبين فذلك خلق كريم, وكن حريصا على اكتساب الحسنات, ومؤاساة ذوي المحجات, واقالة العثرات, فذلك دليل على التوبة النصوح, واكتمال الايمان, الا ترى ان الله سبحانه وتعالى يقول: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (١٦) .

دعاء الله باسمه التواب

ياالله ياتواب يارحيم ياغفوياغفار ياكريم اسألك ان تتوب علي توبة من اتاك من النادمين وان تغفر لي جميع ما علمته مني من الذنوب ياخير الغافرين, ياتواب يارحيم ياكريم انت الذي تقبل توبة التائبين فتب علي وعلى والدي وجميع المؤمنين, واصلح لي جميع امور الدنيا والدين, واكفني شرور المذنبين والخلق اجمعين, واسألك ياالله ان تغفر لي كل شيء ولا تسألني عن شيء, واسألك ياالله ياتواب ياوهاب يارحيم ياكريم الفردوس الأعلى في الجنة مع

(١٦) - سورة التوبة الآية (١١) .

النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين, {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (١٦) {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (٢٦) . وصلّ اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد. وقد: (كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّةَ وَجْهِهِ وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتِهِ وَسِرَّهُ) (٣٦) وكان يقول (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي وَجِدِّي وَخَطَايَايَ وَعَمْدِي وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي) (٤٦)

- (١٦) - سورة الاعراف الاية (٢٣) .
- (٢٦) - سورة البقرة الاية (١٢٨) .
- (٣٦) - مسلم في صحيحه, حديث رقم (٧٤٥) .

(٤٦) - البخاري في صحيحه, حديث رقم (٥٩٢٠) .

٥٠ الفصل التاسع والاربعون الموت

الفصل التاسع والاربعون
الموت

٥٠٠١ الموت

الموت راحة من التعب, وتوقف عن المعاناة والنصب, به تنتهي مرحلة الإبتلاء, وتبدي مرحلة الثواب والجزاء, والموت عظة واعتبار, ودليل على قدرة القوي القهار, وفي الذكر الحكيم: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} (١٦) وفي الحديث النبوي الشريف: (عش ما شئت فإنك ميت واحبب من أحببت فإنك مفارقة واعمل ما شئت فإنك مجزي به - وفيه - شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس) (٢٦) فمن تذكر الموت احسن العمل, وابتعد عن الكسل, وأحب فعل الخيرات واجتنب المقبحات, وراى في الموت راحة من التعب, ونجاة من الوصب, واستبشر لقدمه واستعد,
قال العلامة محمد بن احمد المهدي (٣٦) :

ألا مرحبا بالموت ياخير نازل ... لمن كان يحيي ليله بالنوافل
وماالموت الا راحة من متاعب ... واهوال دهر زعزعت كل فاضل

(١٦) - سورة الملك الآيتان (٢-١) .

(٢٦) - المستدرک للحاکم حديث رقم (٧٩٢١) .

(٣٦) - هو والد المؤلف العلامة الزاهد الورع التقي المجتهد محمد بن احمد بن قاسم المهدي من مواليد مدينة حبور شمال صنعاء في شهر شوال ١٣٢٩ هـ والمتوفى في شهر محرم ١٤١٤ هـ. كان اية في الزهد والورع, تلقى تعليمه في هجرة معمرة في الاهنوم شمال صنعاء وفي مدينة السودة وكان كثير الصدقة محبا للفقراء والمساكين يقضي جل اوقاته في المحافظة على الذكر وقراءة القرآن وكتب الحديث والفقہ والتاريخ, وعاش جل عمره اماما وخطيبا للجامع الكبير بمدينة حبور, وتولى الاوقاف فترة من الزمن وعمالة الناحية واشتغل بالتدريس والوعظ واخيرا ادارة المعهد العلمي بمدينة حبور. وله ديوان شعر غير مطبوع اكثره في الرثاء والدعاء, وله كتيب دون فيه بعض الاحداث والسيرة الذاتية له سماه لمحات وخواطر من الماضي والحاضر, فرضي الله عنه ورحمه.
وقال اخر:

كفا واعظا بالموت للمبتكاسل ... ومدكرا للقاعد المتغافل

اما ابو العتاهية فهو يقول:

وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ يَأْتِي لَوَقْتِهِ ... فَمَا لَكَ فِي تَأْخِيرِهِ عَنْكَ مَدْفَعٌ

وله ايضا:

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا رِحْلَةٌ غَيْرَ أَنَّهُ ... مِنَ الْمَنْزِلِ الْغَانِي إِلَى الْمَنْزِلِ الْبَاقِي

وقال ابو الفضل الوليد:

فَمَا الْمَوْتُ إِلَّا رَاحَةَ الْجَسْمِ فِي الثَّرَى ... وَمَا الْيَأْسُ إِلَّا أَنْ تَعِيشَ وَتَجْمَدَا

اما ابو بكر الصديق رضي الله عنه فهو يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وقال اخر:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ... تنوعت الأسباب والموت واحد (١٦)

اما شيخ الاسلام ابن تيمية فهو يقول:
 تموت النفوس باوصابها ... ولم يدر عوادها ما بها
 وما انصفت مهجتي تشتكي ... اذاها الى غير اربابها
 ويقول اخر
 وَيَمُوتُ رَاعِي الضَّانِ عِنْدَ ثَمَامِهِ ... مَوْتَ الطَّبِيبِ الفَيْلَسُوفِ العَالِمِ
 (١٦) - ينسب هذا البيت ل (ابن نباتة السعدي) وينسب لغيره.

٥٠٠٢ الموت تحفة المؤمن

ويقول المتنبّي:

يَمُوتُ رَاعِي الضَّانِ فِي جَهْلِهِ ... مَوْتَهُ جَالِينُوسَ فِي طَبِّهِ
 الموت تحفة المؤمن

يتذكر المؤمن الموت فيعمل صالحا في حياته، ويسعى لتحصيل ما ينفعه عند مماته، فهو يحب لقاء الله ويحب لقاءه، وفي الحديث النبوي (تحفة المؤمن الموت) (١٦) فتلقه اخي بالرضا والسرور اذا نزل حبا للقاء الله عز وجل، فقد روى البخاري ومسلم من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهُ أَكْرَاهِيَةَ الْمَوْتِ فَكُنَّا نَكْرَهُ الْمَوْتَ فَقَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ) (٢٦) فالموت باب وكل الناس داخله، والموت كأس وكل الناس شاربه، والموت حق وانتقال الى القبر فإما روضة من رياض الجنة بسبب الاعمال الطيبة في الحياة او حفرة من حفر النار بسبب الاعمال السيئة، قال الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه:

لَا دَارَ لِلرَّءِ بَعْدَ الْمَوْتِ يَسْكُنُهَا ... إِلَّا الَّتِي كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ بَانِيهَا
 فَإِنْ بَنَاهَا بِخَيْرٍ طَابَ مَسْكُنُهَا ... وَإِنْ بَنَاهَا بِشَرٍّ خَابَ بَانِيهَا

(١٦) - المستدرک للحاکم حديث رقم (٧٩٠٠) .

(٢٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٦٠٢٦) ، ومسلم في صحيحه حديث رقم (٤٨٤٥) واللفظ لمسلم.

وقال اخر:

كَتَبَ الْمَوْتَ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ ... فَلَّ مِنْ جَمْعٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلٍ
 أَيْنَ نَمْرُودُ وَكَنْعَانُ وَمَنْ ... مَلِكِ الْأَمْرِ وَوَلِيَّ وَعَزَلٍ
 أَيْنَ عَادُ أَيْنَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ ... رَفَعَ الْأَهْرَامَ مَنْ يَسْمَعُ يَحُلُّ
 أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنُوا ... هَلَكَ الْكُلُّ وَلَمْ تَغْنِ الْقَلْبُ
 أَيْنَ أَرْبَابُ الْحِجَابِ أَهْلُ النَّهْيِ ... أَيْنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأَوَّلُ
 سَيَعِيدُ اللَّهُ كَلًّا مِنْهُمْ ... وَسَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلَ (١٦)
 اما محمد الحميري فهو يقول:

نُرَاعُ لَذِكْرِ الْمَوْتِ سَاعَةَ ذِكْرِهِ ... وَنَعْتَرُضُ الدُّنْيَا فَنَلْهُو وَنَلْعَبُ
 وقال اخر:

هَلْ لَلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقٍ ... أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مِنْ رَاقٍ (٢٦)
 ويرحم الله الامام علي حيث يقول:

وَلَوْ أَنَا إِذَا مُتْنَا تُرِكَا ... لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلِّ حَيٍّ^١
وَلَكِنَّا إِذَا مُتْنَا بَعَثْنَا ... وَنُسَأَلُ بَعْدَ ذَا عَن كُلِّ شَيْءٍ

اما عدي بن الرعلاء فهو يقول:

لَيْسَ مَن مَاتَ فَاسْتَرَا حَ بَمَيَّتٍ ... إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَن يَعِيشُ ذَلِيلًا ... سَيِّئًا بِاللَّهِ قَلِيلَ الرَّجَاءِ
ويقول اخر:

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْنَادِيَتَ حَيًّا ... وَلَكِن لَّا حَيَاةَ لِمَن تُنَادِي

(١٦) - هذه الايات ل (ابن الوردى) .

(٢٦) - هذ البيت ل (الممرق العبدى) .

ولو نار نفخت بها أضاءت.....ولكن أنت تنفخ في رماد (١٦)

اما العلامة عبد الحميد بن محمد المهدي فهو يقول:

الْكُلُّ عَن دُنْيَا الدَّنَاءَةِ رَاحِلٌ ... مَن صَدَّهَا فَهُوَ اللَّيْبُ الْعَاقِلُ
مَهْمَا أَرْتَكَ مِنَ الْبَشَاشِ فَإِنَّهَا ... تَسْقِيكَ شَهْدًا فِيهِ سُمٌّ قَاتِلٌ

بل حبها رأس الخطايا مثلها ... قال النبي الطهر (طه) الكامل

لا تفتن يا ذا الحجا بالجاه إن ... الجاه مهما كان يوماً زائل

والمال لا تركز إليه لأنه ... قد كان عند سواك فهو المائل

انظر إلى من كان فيه منعماً ... ولأجله تأتي إليه قوافل

لما رماه الدهر منه بنكية ... أضحي معولاً وهو أمس العائل

فالدهر ذو غير فلا تثقن به ... في لحظة تأتيك منه غوائل

كمر من ملك كان يمشي تائهاً ... وبه تحف مواكب ومحافل

لما أتاه الموت لم يمهل ولم ... تمنعه أجناد وجيش صائل

فالموت ورد للجميع وإنه ال ... حق اليقين وما سواه الباطل

فاز المشمر للعبادة ساقه ... وثوى بقعر جهنم المتكاسل

فاعمل لما بعد الممات فإنما ال ... أعمال تنفع يوم يأتي السائل

(يا أيها الإنسان إنك كادح) ... كدحاً إلى رب العباد فنائل

واحذر من التسويف فهو مضبعة ... للعمر إن الدور عندك واصل

(١٦) - هذان البيتان ل (عمرو بن معدي كرب الزبيدي) .

٥٠٣ حياتك وموتك لله

حياتك وموتك لله

ان حياتك وموتك بيدي الله، فاجعلهما لله تفر في حياتك، وتسعد بمماتك، وتظفر بمرادك، وتكون آمنة في كل اوقاتك، مصلحا في كل تصرفاتك، مخلصا لله في كل اعمالك، سعيدا بحياتك، وسعيدا في مماتك، وفي الذكر الحكيم: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ} (١٦) والمؤمن لا ينكأ جرحا ولا يقول هجرا ولا يتحسر على مافات, ولا يخاف مما هو آت, ولا يقول (ليت ولو) ولا يكون من الحيارى ولا من المترددين ولا من الذين قال الله عنهم: {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (٢٦) ولا من الذين حكى الله عنهم: {يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (٣٦) فالمؤمن يدرك ان الموت والحياة كلها لله, قال الشاعر:

فَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... وَكَمْ مِنْ عَلِيلٍ عَاشَ دَهْرًا إِلَى دَهْرٍ
وَكَمٍ مِنْ فَتَى يُسَمَّى وَيَصْبِحُ آمِنًا ... وَقَدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي
وقال اخر:

ولا تدري وان ازمعت امرا ... بأي الارض يدركك المقييل

(١٦) - سورة الانعام الآية (١٦٢) .

(٢٦) - سورة آل عمران الآية (١٦٨) .

(٣٦) - سورة آل عمران الآية (١٥٤) .

٥٠٠٤ الخلود مستحيل فلا تغتر

اما امرؤ القيس فهو يقول:

وما تدري اذا يممت ارضا ... بأي الارض يدركك المقييل

واذا كان الإنسان لا يدري اين يموت ولا ما يكسب في غده فخري ان يستعد لقدم اجله وان يحسن في عمله, وفي الذكر الحكيم: {وَمَا

تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} (١٦) .

الخلود مستحيل فلا تغتر

اذا علم العاقل ان الحياة فانية وانه لا خلود وان هناك حياة باقية اكثر من ذكر الموت واحسن الاستعداد له, وكان كريما في خلقه قويا في دينه يدرك انها ما انقضت ساعة من امسه الا بقطعة من نفسه, ولا مضت ساعة من دهره الا بقطعة من عمره, فيغتم فعل الخير لنفسه واهله ومجتمعه, وهو بذلك يكون سائرا على طريق النجاح, عامرا من امور اخرته ما يحرز به الفلاح, فن عمر آخرته بلغ اماله, واستظهر لنفسه, فالرب لا يموت, والجزاء لا يفوت, فكل يحصد ما زرع, ويجزى بما صنع, فلا تغرنك صحة نفسك, وسلامة امسك فدة العمر قليلة, وسلامة المرء مستحيلة, فكل يجري من امه الى غاية تنتهي اليها مدة امه, وينطوي عليها صحيفة عمله. فزد في حسناتك وأنقص من سيئاتك قبل ان تستوفي مدة الاجل, فالخلود مستحيل, فتقصر عن الزيادة في السيئات وتذكر هادم الذات ومفرق الجماعات, فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ

(١٦) - سورة لقمان الآية (٣٤) .

أَكْبَسُ قَالَ أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا أُولَئِكَ الْأَكْبَاسُ (١٦) وفي الذكر الحكيم: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا

تُوفَّرُونَ أَجُورُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنَنْزَحُ عَنْ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} (٢٦) وفي الحديث النبوي (أكثروا من ذكر هادم اللذات فما ذكره عبد قط وهو في ضيق إلا وسعه عليه ولا ذكره وهو في سعة إلا ضيقه عليه) (٣٦) وليس ذكر الموت يعني افساد الحياة واساءة العمل فيها, بل للتخفيف من غلوها وكفكفة الاغترار بها. فاذا اعتدل التفكير فلن تتحول السعة الى فوضى, ولن يتحول الضيق الى سجن, وانما المراد انتزاع الغرور من قلب الإنسان وصرفه عن الفتنة الى النعمة, وان البقاء والخلود مستحيل, ومن ايقن بذلك احسن العمل, وفي امثال العرب: "لكل جنب مصرع, ومن لم يمت عاجلا مات اجلا" وقديما قيل: "الموت

باب الاخرة، والموت حوض مورود، والموت مع الناس رحمة" قال الشاعر:
وما تؤخر من نفس وان حرصت ... على الحياة اذا ماجاء داعيها (٤٦)
وقال اخر:

وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا كَظَلِّ زَائِلٍ ... كُلُّ إِلَى حُكْمِ الفَنَاءِ يَصِيرُ
فَالنَّاسُ وَالْمَلِكُ الْمُتَوَجُّعُ وَاحِدٌ ... لَا أَمْرٌ يَبْقَى وَلَا مَأْمُورٌ

(١٦) - ابن ماجه في سننه حديث رقم (٤٢٤٩) .

(٢٦) - سورة آل عمران الآية (١٨٥) .

(٣٦) - مسند الشهاب حديث رقم (٦٦٨) .

(٤٦) - هذا البيت للشماخ بن خليف.

عَجَبًا لِمَنْ تَرَكَ التَّذَكُّرَ وَأَنْثَى..... فِي الأَمْنِ وَهُوَ بَعِينُهُ مَغْرُورٌ (١٦)

وفي الذكر الحكيم يقول العزيز الرحيم مخاطبا للنبي الكريم: { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ } (٢٦) وفي الامثال السائرة: "ليس حي على الزمان بباقي" و"قدما قيل: "من حدث نفسه بطول البقاء فليوطن نفسه على المصائب" وفي امثال العرب: "من طال امده نفذ جلده" (٣٦) وقال الشاعر:

تَرْجُو البَقَاءَ بَدَارٍ لَا ثَبَاتَ لَهَا ... فَهَلْ سَمِعْتَ بَظَلٍ غَيْرِ مُنْتَقِلِ (٤٦)

وفي الذكر الحكيم: { كُلُّ مَنْ عَلِيهَا فَان * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } (٥٦) وقال سبحانه: { وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (٦٦) قال الشاعر:

يُحِبُّ الفَتَى طَوْلَ البَقَاءِ وَأَنَّهُ ... عَلَى ثِقَةٍ أَنَّ البَقَاءَ فَنَاءٌ

زِيَادَتُهُ فِي الجِسْمِ نَقْصُ حَيَاتِهِ ... وَلَيْسَ عَلَى نَقْصِ الحَيَاةِ نَمَاءٌ

إِذَا مَا طَوَى يَوْمًا طَوَى اليَوْمَ بَعْضَهُ ... وَيَطْوِيهِ إِنْ جَنَّ المَسَاءُ مَسَاءً

جَدِيدَانِ لَا يَبْقَى الجَمِيعُ عَلَيهِمَا ... وَلَا لهُمَا بَعْدَ الجَمِيعِ بَقَاءٌ (٧٦)

اما شوقي فهو يقول:

وَلَيْسَ الخُلْدُ مَرْتَبَةً تَلْقَى ... وَتُؤَخِّدُ مِنْ شِفَاهِ الجَاهِلِينَا

وَلَكِنْ مُنْتَهَى هِمِّ كِبَارٍ ... إِذَا ذَهَبَتْ مَصَادِرُهَا بَقِينَا

وَسِرُّ العَبْرِيَّةِ حِينَ يَسْرِي ... فَيَنْتَظِمُ الصَّنَائِعُ وَالفُنُونَا

وَأَثَارُ الرِّجَالِ إِذَا تَنَاهَتْ ... إِلَى التَّارِيخِ خَيْرَ الحَاكِمِينَا

وَأَخَذُكَ مِنْ فَمِ الدُّنْيَا ثَمَاءً ... وَتَرَكَكَ فِي مَسَامِعِهَا طَنِينَا

فكن اخي حريصا على عمارة الحياة بالصالحات فإنهن بعد الممات الباقيات، وتجنب الجزع والجبن والتحسر عند الممات، فالواقع انما ينتاب بعض الضالين من الجزع والجبن والتحسر والعيول وشتى العواطف التي تنتابهم بازاء الموت مما يسيء للانسان انما يعود الى نظرتهم وفهمهم للموت، فهم يظنون انه انتقال من وجود الى عدم، فهم لا يدركون حقيقته الموت، وان هذه الحياة الدنيا بما فيها ومن فيها ستكون ذكريات، وان يوما لا بد منه ستعود الارواح فيه الى الاجساد، وسيتلاقى فيه الصالحون فيقول بعضهم لبعض ما حكاه الله عنهم: { وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ البرُّ الرَّحِيمُ } (٨٦) وسيكون حديثهم عن الضالين والجاحدين: { فَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَاتِلُ مِنْهُمْ إِنِّي

كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِينَ * إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا

- (١٦) - هذ الآيات ل (صفي الدين الحلي) .
 (٢٦) - سورة الانبياء الآية (٣٤) .
 (٣٦) - كنوز الامثال ص ٢٨٣ .
 (٤٦) - هذا البيت للطغرائي .
 (٥٦) - سورة الرحمن الآيتان (٢٦-٢٧) .
 (٦٦) - سورة القصص الآية (٨٨) .
 (٧٦) - هذه الايات ل (محمود الوراق) .
 (٨٦) - سورة الطور الآيات (٢٥-٢٨) .

٥٠٠٥ الموت ومفارقة الروح الجسد

وَعَظَمًا أَنَا مَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أُنْتُمْ مُطَّلَعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ * إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدَّيْنَ * إِنْ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ { (١٦) الموت ومفارقة الروح الجسد

الموت ضد الحياة، وقد عد الرماني (٢٦) الموت والحشف والمنون والسَّام والحمام والردى والحين والشكل والوفاة والهلك وشعوب والمنية الفاظا مترادفة، والموت يعني مفارقة الروح للجسد، فاذا كانت الروح تدخل في الإنسان بعد تخلقه بدنيا وبعد ان يتخلق المخ في رأسه اي بعد اربعين يوما الا ان الروح هي اول ما يخرج من الإنسان عند وفاته، يتلوها موت الدماغ، ثم موت الجسد، فاذا خرجت الروح فقد الجسد بعدها القدرة على الحياة والتفاعل ويفقد طاقته ويتوقف القلب عن الحركة، وفي الذكر الحكيم: { فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَتُمْ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ * وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ * فَوَجَّهْ رِيحًا وَجَنَّتْ نَعِيمٌ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْدِبِينَ

- (١٦) - سورة الصافات الآيات (٥٠-٦١) .

(٢٦) - هو ابو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله المعروف بالرماني النحوي المتكلم احد الأئمة المشاهير. جمع بين علم الكلام والعربية مولده في سنة ٢٩٦هـ وتوفي سنة ٣٨٤هـ وصنف تفسيراً وله شرح كتاب سيبويه وشرح جمل ابن السراج وصنعة الاستدلال في الكلام وغير ذلك وقال: القمطي له نحو مائة مصنف وانظر في ترجمته وفيات الاعيان لابن خلكان وطبقات النحاة للسيوطي وانظر الالفاظ المترادفة ص ٢٦ الطبعة المحمودية بمصر.

الضَّالِّينَ * فَتَنَزَّلُ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصَلِّيَةُ جَحِيمٍ * إِنْ هَذَا هُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ { (١٦) قال الشاعر:

يا أيها الروح التي في جثتي ... أغرقتها في أبحر الآثام

لو كنت ذا حزم وعقل كامل ... لم تغترر يا أنوم النوام

اطرح بكف الموت أطراف الخطأ ... تعل لك الألواح للاسلام

واعلم بأن النفس من حزب الهوى ... فاحذرهما تنج من الآثام

وقال اخر:

يا باكيًا فرقة الأحباب عن شحط ... هلا بكيت فراق الروح للبدن

نور تقيد في طين إلى أجل ... وانحاز عنواً وخلي الطين في الكفن

اما ابن الجنان فهو يقول:

هل العلم إلا الروحُ واخلق جثة ... وما الجسم بعد الروح بالتماسك
اما ابن علوي الحداد فهو يقول:

فإن الروح من ملكوت غيب ... تنزلها بمتجرها الريح
وإن الجسم من طين وماء ... يميل إلى الحظوظ بكل ريح
فوجه حيث شئت فأنت مما ... له وجهت فاختر للمليح
وله ايضا:

فارجع إلى الله في سر وفي علن ... واترك هواك وهي الزاد للسفر
فقد دنا سفر لا بد منه إلى ... قبر وبعث وحشر الروح والصور

(١٦) - سورة الواقعة الآيات (٨٣-٩٦) .

٥٠٠٦ الروح سر من اسرار الرحمن

اما ابو العتاهية فهو يقول:

يا صاحب الروح ذي الأنفاس في بدن ... بين النهار وبين الليل مرتين
لقلها يخطاك إختلافهما ... حتى يفرق بين الروح والبدن
طيب الحياة لمن خفت مؤنته ... ولم تطب لذوي الأثقال والمؤن
الروح سر من اسرار الرحمن

ان روح الإنسان سر من سر الرحمن حير فهمها بني الإنسان فلو كانت الروح مادة او كهرباء او مغناطيس او امواج كهرومغناطيسي او طيف ضوئي او تفاعلات كيميائية لما وجد العلم والمختبرات العلمية الحديثة في هذا العصر صعوبة في قياسها، ومعرفة اهتزازها ومقدار طاقتها ومكان وجودها في جسم الإنسان. ولكن العلم لم يتوصل الى هذه الاثار الدالة على طبيعة هذا الروح وان كان وجود الروح في الإنسان محط اتفاق، واثار الروح تظهر في اعمال الجسد والعقل فهناك مظهر واضح من خلال الطاقة الدافعة في اعماق الإنسان فالعدل والكرم والابتهاج كسلوك ليس مصدره الجسم والدماغ، كما ان دوافع التأمل والايمان والرحمة والحب والرضا، كلها مشاعر كامنة يتفاعل معها العقل والجسد، وكذا الحب والكره والنفور والفرح والحزن والضحك والبكاء هما تفاعلات روحية يدعمها العقل ببعض الذكريات والاحداث ويعبر الجسد عنها، وقد لاحظ بعض الباحثين ان النظر والسمع والشم ثم الشفاة واللمس اعضاء تشترك في ارسال المعلومات الى المخ وهي بدورها ترسلها الى الروح التي تفيض انشراحا وبهجة او العكس، ومما لا ريب فيه ان الروح تسكن البدن منذ ان يكون الإنسان جنينا في بطن امه، وقد جاء في الحديث النبوي، (أَنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يَجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ ثُمَّ يَبْعَثُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُؤَذِّنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيَّ أَمْ سَعِيدٌ ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ) (١٦) .

وقد سلك بعض الفقهاء المعاصرين منهج دراسة جميع النصوص الشرعية الواردة حول حياة الجنين ونفخ الروح فيه ودرسوا التوفيق والترجيح بين الاحاديث النبوية وتحميل بعضها على بعض ... كما درسوا معطيات التقدم العلمي المعاصر في علم الاجنة ثم خرجوا باستنتاجات فقهية تشير الى ان نفخ الروح في الجنين انما تتم بين اليوم الاربعين والخامس والاربعين من وقت التلقيح وهذا هو اقرب ما تدل عليه الاحاديث النبوية الشريفة. (٢٦) وفي الذكر الحكيم {فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} (٣٦) فالانسان جسد وروح ولا يعتبر حيا الا اذا بقيت الروح في الجسد، وهي وان كانت تعمل متضامنة مع الجسد والعقل وتعتمد على المعلومات التي تجمعها حواس الجسد وتمر بالتحليل والمقارنة من قبل العقل وحين تفضيل الروح لدافع معين فانها توغر للعقل بنوع السلوك المطلوب فهي مستقلة، وقد ذكر بعض الباحثين انه لم يتمكن العلم حتى الآن من تحديد مكان الروح في جسد الانسان وان كان بعض الدراسات الحديثة تميل الى ان الروح مكانها

- (١٦) - صحيح البخاري للإمام شيخ الحفاظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه المولود يوم الجمعة ١٣ شوال سنة ١٩٤هـ/٨١٠م، (المتوفى سنة: ٢٥٦هـ/٨٧٠م)، طبعة مكتبة الايمان المنصورة مصر ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. حديث رقم (٦٩٠٠).
 (٢٦) - مؤلفنا حقوق الطفل ص ٢٦.
 (٣٦) - سورة الحجر الآية (٨٢٩٥).

القلب والبعض يرى ان مكانها في العمود الفقري أو ربما هي متوزعة في مناطق متفرقة في جسم الانسان الحي (١٦) ، والحق ان الروح من امر الله وقد جاء في الذكر الحكيم: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} (٢٦) ولم يكشف الرحمن للانسان عن ماهية الروح التي هي من امره ومن روحه ولم يستطع الانسان ان يتعرف على كنهها وطريقة عملها وكيفية ارتباطها باجزاء الجسم الاخرى وكيفية تاثيرها بكل من الجسم والعقل فهي طاقة من امره اودعها الحق سبحانه وتعالى في جسم الانسان ليكون الانسان واعيا مسؤولا عما يعمل، عنده القدرة على التمييز بين الخير والشر، وقد وصف الله حال المؤمنين يوم الاحزاب بقوله: {إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا} (٣٦) وهي لاتعمل الا من خلال الجسد فاذا ضعف جسد الانسان وضعفت مداركه ضعف عملها لانها لاتعمل الا من خلاله، فقو صلتك بالله تحصل لك القوة والعزيمة والارادة ويحيي الله روحك وجسدك حياة طيبة، وقد تطلق النفس على الروح قال الشاعر:

يا خادِمَ الجِسمِ كم تشقى بِخِدمَتِهِ ... لِتَطْلُبَ الرِّيحَ فِي ما فِيهِ خُسْرَانُ
 أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ فَاسْتَكْبِلْ فَضَائِلَهَا ... فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لا بِالْجِسمِ إِنْسَانُ

- (١٦) - فن الاستمتاع ص ١٠٥.
 (٢٦) - سورة الاسراء الآية (٨٥).
 (٣٦) - سورة الاحزاب الآية (١٠).

٥٠٠٧ قصة لأعرابي

٥٠٠٨ ملك وكل بقبض الارواح

وقد قال ابو الدرداء رضي الله عنه: اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم. وقال كعب رضي الله عنه: من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها. وقال الحسن رحمه الله: فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحاً. وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: لا يكره الموت الا ملهم فهو الذي يقرب الحبيب من الحبيب. وقال الربيع بن خيثم رحمه الله: ماغائب ينتظره المؤمن خير له من الموت.

قصة لأعرابي

قيل لأعرابي اشتد مرضه: انك سموت، فقال: الى اين يذهب بي بعد الموت؟ قالوا: الى الله، فقال: ويحكم وكيف اخاف الذهاب الى من لاأرى الخير الا عنده؟! وفي الذكر الحكيم: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} (١٦)

ملك وكل بقبض الارواح

اذا كان الموت يعني انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقتها والحيلولة بينهما، وتبدل الحال وانتقال من دار الفناء الى دار الخلد، وهو حتم لازم لامناص منه لكل حي من المخلوقات وهو مدرك الانسان ايما كان قال تعالى: {إِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكُهُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ

مُشِيدَةً} (٢٦) قال ابو العتاهية:

وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ يَأْتِي لَوْقَتِهِ ... فَمَا لَكَ فِي تَأْخِيرِهِ عَنْكَ مَدْفَعٌ

- (١٦) - سورة الانبياء الآية (٣٥).

(٢٦) - سورة السجدة الآية (١١) .

فاذا اراد الله انتقال الإنسان من هذه الدار ارسل ملك الموت ليقبض روح الإنسان فيموت حينئذ الجسد ويفقد طاقته ويتوقف القلب عن الحركة وتتحلل بعد ذلك اجزاء الجسم في التراب وفي الذكر الحكيم: { قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } (١٦) فسبحان من خلق الإنسان وخلق له ما في الارض جميعا وجعل له روحاً هي سر من اسراره كما جعل للنبات طاقة تتغذى وتنمو على الماء جعل الانسان يتغذى وينمو بالنبات والحيوان قال احمد شوقي رحمه الله:

الروحُ للرحمنِ جَلَّ جلالُهُ ... هِيَ مِنْ ضَنَائِنِ عَلَيْهِ وَغِيَابِهِ
وقال ايضا:

وَلَمْ أَرْ حَكْمًا كَالْمَقَادِيرِ نَافِذًا ... وَلَا كَلَفَاءِ الْمَوْتِ مِنْ بَيْنِهَا حَتْمًا
إِلَىٰ حَيْثُ آبَاءُ الْفَتَىٰ يَذْهَبُ الْفَتَىٰ ... سَبِيلُ يَدَيْنِ الْعَالَمُونَ بِهَا قَدَمَا
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا الْجِسْمُ فِي ظِلِّ رُوحِهِ ... وَلَا الْمَوْتُ إِلَّا الرُّوحُ فَارْقَتِ الْجِسْمَا

فسبحان العزيز الرحمن المحيي المميت للانسان القائل في محكم الفرقان: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرُبَىٰ أَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكُمْ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (٢٦) فسبحان من احيى العوالم بسرهِ، وغمر الموجودات بوافرهِ المحيي المميت فتعرف عليه اخي وعلى اسمه المحيي المميت، فانت لاتدري متى

(١٦) - سورة النساء الآية (٧٨) .

(٢٦) - سورة آل عمران الآية (١٥٦) .

٥٠٠٩ المحيي المميت من اسماء الله الحسنی

سَمِت، ولا باي سبب سَمِت ولا في اي مكان سوف تموت، صباحا او مساء ليلا او نهارا ولا من يكون حولك حين تموت وما دام الامر كذلك فانه ينبغي ان تستعد للموت حتى لاياتيك الا وانت في اعلى درجات الايمان والاستسلام لله المحيي المميت قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (١٦)

المحيي المميت من اسماء الله الحسنی

المحيي المميت من اسماء الله الحسنی، ورد اسم الله المحيي في القرآن في قوله تعالى: { إِنَّ ذَلِكُمْ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (٢٦) ولم يرد اسم الله المميت في القرآن اسما وورد في القرآن { قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (٣٦) وقال تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ } (٤٦) وقد ورد الاسمان الجليلان في سنن الترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه. والصفتان فعليتان؛ لان الاحياء والاماتة من فعل الله، والمحيي خالق الحياة ومعطيا لمن يشاء فهو خالق الحياة في كل شيء حي، فاحيا الاجسام بايجاد الارواح فيها، وهو الذي يحيي النفوس بعد موتها يوم البعث والنشور، وهو الذي يحيي القلوب بمعرفته والاقبال عليه، قال تعالى:

(١٦) - سورة آل عمران الآية (١٠٢) .

(٢٦) - سورة الروم الآية (٥٠) .

(٣٦) - سورة الجاثية الآية (٢٦) .

(٤٦) - سورة ق الآية (٤٣) .

{أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١٦) . وهو الذي يحيي الارض بعد موتها قال تعالى: {اعلموا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (٢٦)

واما المميت فهو مقدر الموت على كل من أماته، ولا مميت الا الله، فليس هناك في الكون جهة تقرر إنهاء الحياة الا الله سبحانه فهو الذي قهر عباده بالموت والفناء، فالخلق كلهم يموتون فالطغاة يموتون، والانبياء يموتون، والصالحون يموتون، والاشرار يموتون، والاذكياء يموتون، والاغبياء يموتون، والرجال يموتون، والنساء يمتن، والناس كلهم يموتون، فسبحان من تمدح بالاحياء والاماتة ليعلم الخلق ان الله قادر على التصرف بالاحياء والاماتة متى شاء ومتى اراد، فالخير كله بيده سبحانه وتعالى.

وقال الخطابي: في معنى المحيي: هو الذي يحيي النطفة الميتة فيخرج منها النسمة الحياة ويحيي الأجسام البالية بإعادة الأرواح إليها عند البعث ويحيي القلوب بنور المعرفة ويحيي الأرض بعد موتها بإنزال الغيث وإنبات الرزق وقال في معنى المميت: هو الذي يميت الأحياء ويوهن بالموت قوة الأصحاء الأقوياء: (يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير) (٣٦)

(١٦) - سورة الانعام الآية (١٢٢) .

(٢٦) - سورة الحديد الآية (١٧) .

(٣٦) - الاسماء والصفات ص ١٣٤ .

٥٠٠١٠ ثمرة التعرف على اسم الله المحيي المميت

٥٠٠١١ دعاء الله باسمه المحيي المميت

ثمرة التعرف على اسم الله المحيي المميت

اذا عرف المكلف ان الله سبحانه وتعالى المحيي المميت وانه الذي احياه وانه هو الذي سميته وانه يحيي الاجسام البالية بعد الممات وانه يحيي الارض بعد موتها، وجب عليه ان يؤمن به وان يطلب منه ان يحيي قلبه ويحييه حياة طيبة ويعبده، ويذكره ويشكره على نعمة الحياة، والاماتة كلها لله، وان يكون اكثر رحمة لعباد الله لانه يعلم ان الله وحده يميت الاحياء ويجازيهم، ويوهن بالموت قوة الاصحاء، ويحيي الارض بالنبات والامطار والانهار والارزاق، ويحيي القلوب بنور المعرفة، ويحيي الاجسام بالصحة والعافية والهداية، والخروج من ظلمات الجهل والكفر والغفلة والنسيان الى حياة الايمان والذكر والمعرفة والرحمة والانس والوصفا وحب الخير للناس وحب الله وعباده المؤمنين وحب كتاب الله وما يحبه الله، وحب العمل والاصلاح، وكرهية كل ما هو ضد ذلك.

دعاء الله باسمه المحيي المميت

اللهم يا محيي يا مميت أحي ما كان لك مني ميتا، أحي قلبي بذكرك واجعلني من الشاكرين لآلائك المتبعين لنبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأحي أمته حياة طيبة انك سميع الدعاء، وأحي فينا شريعتك وأحي قلوبنا ووالدينا والمؤمنين بالايمن والاحسان يا كريم، واسئلك يا الله يا محيي يا مميت ان تحيي قلبي بخوفك فقد قسى، وامت فيه البدع والاهواء، واشغلتني وعبادك المؤمنين بذكرك الاسنا، وأحي دينك وشريعتك بالصالحين والمتقين

من عبادك المؤمنين واجعلني منهم يا راحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الامين وعلى آله الطاهرين وازواجه امهات المؤمنين واصحابه الراشدين، واستجب دعاءنا يا راحم الراحمين.

٥١ الفصل الخمسون الصلاة

٥١.١ الصلاة

الفصل الخمسون
الصلاة
الصلاة

الصلاة في الغة: الدعاء بخير ومنه قوله تعالى: { وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ } (١٦) وسميت صلاة: لأنها صلة بين العبد وربّه، وفيها ثناء وتمجيد ودعاء، أو هي دعاء تتقرب به إلى الله استغفاراً للذنوب، أو شكراً لنعمة، أو دفعا للضميم، أو قياما بفرض عبادة. كما أنها اظهار الحاجة إلى المعبود بالقول والعمل، وقد فرضها الله على عباده ليذكّرهم بأوامره، وليستعينوا بها على تخفيف مايلقونه من انواع المشقة والبلاء في الحياة الدنيا، كما ان من معانيها الثناء على الله سبحانه بما يستحقه من الحمد والتمجيد. (٢٦) وتعتبر الصلاة الركن الثاني من اركان الإسلام بعد الشهادتين وعماده المتين. وتكون الصلاة اما فرضا: كالصلوات الخمس وصلاة الجمعة، واما نوافل: كالرواتب المسنونة، وفي الذكر الحكيم يقول العزيز الرحيم: { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } (٣٦) ويقول: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ } (٤٦) ويقول: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (٥٦) وفي الحديث النبوي: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ)

(١٦) - سورة التوبة الآيتان (١٠٣) .

(٢٦) - روح الدين الاسلامي ص ١٦٤ .

(٣٦) - سورة البقرة الآية (٢٣٨) .

(٤٦) - سورة البقرة الآية (٤٣) .

(٥٦) - سورة البقرة الآية (١١٠) .

الزَّكَاةِ وَحَجَّ الْبَيْتِ وَصَوْمَ رَمَضَانَ) (١٦) ففي الصلاة خير الدنيا والاخرة فهي جامعة للفضائل وتبعد المصلي عن الفحشاء والرذائل والله در القائل:

ألا في الصلاة الخير والفضل أجمع ... لأن بها الآراب لله تخضع

وأول فرض من شريعة ديننا ... واخر مايبقى اذا الدين يرفع

فمن قام للتكبير لاقته رحمة ... وكان كعبد باب مولاه يقرع

وقال اخر:

وَشَاهِدُ خَالِقِي أَنَّ الصَّلَاةَ لَهُ ... أَجَلٌ عِنْدِي مِنْ دُرِّ وَيَاقُوتِ (٢٦)

اما احمد محرم فهو يقول:

ألا إن الصلاة لخير زاد ... وإن الركب آذن بارتحال

ويقول ابو لعلاء المعري:

إِرْكَعْ لِرَبِّكَ فِي نَهَارِكَ وَاسْجُدْ ... وَمَتَى أَطَقْتَ تَهَجِّدًا فَتَهَجِّدْ

في الصلاة راحة وسعادة

ان الإنسان معرض للألام والمحن، فهو بحاجة إلى الخروج من معضلاته والخروج من الآمه والخروج من حيرته، وهو بحاجة إلى استدامة النعمة، واتقاء النعمة والاسترواح إلى ما يجعل الله من يسر وبركة وسكينة، ولن يجد ذلك الا في الصلاة، ففي الصلاة القرب إلى الله

ولذة المناجاة له سبحانه وتعالى، وفيها الترويح على النفس، وقد كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

- (١٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٢١) .
 (٢٦) - هذه الآيات لابي العلاء المعري .

٥١.٢ الحكمة من الصلاة

وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى (١٦) وكان يقول: (حُبِّبَ إِلَيَّ النَّسَاءَ وَالطَّيِّبُ وَجَعَلَتْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ) (٢٦) ان الإسلام نظم وفتات كريمة يناجي الإنسان فيها ربه عدة مرات في اليوم الواحد يستريح فيها من الشقاء والعناء ويمجد فيها ربه ويستعينه ويسترضيه في صلاته التي حدد لها وقتاً وزمناً معلوماً، قال تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا} (٣٦) وقال: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} (٤٦) .
 الحكمة من الصلاة

ان المجتمع الانساني بحاجة الى قوة روحية ترفع من نفسية الافراد على وجه الاستمرار الى مثل عليا، وذلك خشية ان تنحصر روابط الافراد في الحاجات المادية والمصالح الشخصية مما يؤدي الى الفساد في الارض، والصلاة هي التي تمد الجماعة الانسانية بالقوة الروحية التي لا بد منها لصالح المجتمع، اما من الناحية النفسية فالانسان اذا لم تتصل روحه بمبدعها ظهرت فيه مظاهر الوحشة والاكتئاب وعدم القناعة بشيء.. وربما ظن ان وحشته واكتنابه حصل من عدم اخذ حظه من المهليات فالتقى بنفسه بين احضانها وجره ذلك الى تعاطي المسكرات، واقتراف المقبحات، والقنوط واليأس عن الخيرات، والاعراض عن فضل رب الارض السماوات، فيكثر الجزع والهلع،

- (١٦) - سنن ابي داود حديث رقم (١١٢٤) .
 (٢٦) - سنن النسائي حديث رقم (٣٨٧٩) .
 (٣٦) - سورة النساء الآية (١٠٣) .
 (٤٦) - سورة هود الآية (١١٤) .

وفي القرآن الحكيم: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ} (١٦) من هنا يتبين لنا ان اتصال روح الإنسان بخالقها ولو لحظات في اليوم من الضروريات، ولهذا شرع الله الصلاة في الإسلام، وبهذا يدرك العقل الحكمة من الصلاة، فقد جعلها الله مفرجة للكروب، ومزيلة للهموم، ميسرة للرزق مجلبة للخير، ومعينة على البر، وسبباً للرحمة، ووسيلة للراحة، ومفتاحاً للصحة، ومزيلة للهلع، وسبباً لتوطين النفس على الثبات وقوة الجاش، لعلم المصلي ان كل شيء من الله جل او دق، وهي وسيلة للركون الى الله، وصلة للانسان بربه، ألا ترى ان الحق سبحانه وتعالى خاطب نبيه بقوله: {وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ يُضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} (٢٦) وقد جعل الله الصلاة سبباً لنيل السعادة والفلاح في الدنيا والاخرة، فبالصلاة تتصلح الأحوال، وتتحقق الامال، وترتفع الدرجات، وبها يحصل للمؤمن ميراث الفردوس الأعلى من الجنة، قال تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٣٦) فمن ترك الصلاة كانت خسارته كبيرة، ومعيشته ضنكة، واحواله غير مستقرة، وعاقبته الخسران المبين، قال الشاعر:

خسر الذي ترك الصلاة وخابا ... وأبلى معاداً صالحاً ومآباً

- (١٦) - سورة المعارج الآيات (١٩-٢٣) .
 (٢٦) - سورة الحجر الآيات (٩٧-٩٨) .
 (٣٦) - سورة المؤمنون الآيات (٩-١١) .

٥١.٣ في الصلاة تطهارة القلب والبدن

إِنْ كَانَ يَجِدُهَا فَحَسْبُكَ أَنَّهُ.....أُخْضِيَ بِرَبِّكَ كَافِرًا مُرْتَابًا
أَوْ كَانَ يَتْرُكُهَا لِنَوْعِ تَكَاسُلٍ... غَطَّى عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ حِجَابًا

وقد قال الله في وصف اصحاب النار عندما يسألون عن سبب عذابهم: { مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ } (١٦) .
في الصلاة تطهارة القلب والبدن

ان الركض في ميادين الحياة بقدر ما يجلل البدن بالغبار والعرق يجلل القلب والروح بالغيوم والاكدار، والانسان اثر كل شوط طويل يحتاج الى ساعة يلم فيها شعته ويجدد طاقته ويستعيد نشاطه ويعيد النظافة والنظام الى ماتعكر وانتكث من شأنه كله، وليست الصلاة الا لحظات لاسترجاع هذا الكمال المفقود او المشود، ولكنه قبل الدخول فيها يحتاج الى الطهارة البدنية الى الطهارة من الحدث الاكبر والاصغر، ولهذا امر الله الإنسان بالوضوء قبل الصلاة فقال سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (٢٦) فالطهور شرط الايمان، والمرء بحاجة الى طهارة ثوبه وبدنه، ففي

ذلك طاعة لربه، وطهارة لبدنه، وراحة لجسمه، وزينة بين اخوانه، وقد اقتضه الله الوضوء ليتزين به المرء عند وفوده الى ربه وادائه لصلاته، قال تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (٣٦) ومن الزينة الطهارة والنظافة والتجمل ولبس ثياب طاهرة نظيفة او جديدة، فيشترط في صحة الصلاة طهارة بدن المصلي وثوبه ومكان صلاته وستر عورته، وهي بالنسبة للذكر ما بين السرة والركبة، وللانثى جميع بدنها ماعدى الوجه والكفين، فاقرا اخي باب الوضوء وتمعن في تفهمه، وتروى في درسه تجد حلاوة الوضوء بهاءً وجمالا ونظافة وكلا وصحة ونورا، ففي الوضوء والسواك طهارة الفم من الاقذار والجراثيم من الطعام والشراب والمحافظة على الاسنان وحفظها من السوس والوسخ والضرر ونظافتها من الغبار والتراب وحفظ العينين ونظافة الخدين ونضارتها، وفي القرآن الكريم في وصف أهل النعيم: { تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ } (٤٦) وفي مسح الرأس زوال العرق وذهاب الوسخ والمحافظة على رونق الشعر وجماله، وفي غسل القدمين وتخليل الاصابع ونظافتها وازالة تفتها واوساخها تجديد نشاطها، وبهذا تعلم ان الله جل وعلى ما اقتضى الوضوء والطهارة الاسياجا للحكمة وثمره للصحة وبابا للنظافة، وعنوانا للخير والبر والاحسان والكمال، وفي الحديث النبوي

- (١٦) - سورة المدثر الآية (٤٢-٤٣) .
- (٢٦) - سورة المائدة الآية (٦) .
- (٣٦) - سورة الاعراف الآية (٣١) .
- (٤٦) - سورة المطففين الآية (٢٤) .

٥١.٤ الصلاة تغرس في الانسان الفضيلة وتبعده عن الرذيلة

الشريف: (إِنَّ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مَّحْجَلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ) (١٦) وهل تجد ابداع فائدة للوضوء من ميزة خاصة ونور يتلأل يوم الشدائد والاهول: { يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشَرَاكِهِمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (٢٦) واذا ران على قلب الإنسان وروحه من اكدار الذنوب والمعاصي فانه لن يجد مايزيل هذه الغيوم والاكدار الا في الصلاة، وفي الحديث النبوي: (الصلوات الخمس كفارة ما بينها أرايتم لو أن رجلا كان له مغتسل بين منزله ومعتمله خمسة أيام فإذا انطلق إلى معتمله عمل ما شاء الله فأصابه الوسخ والعرق فكلمها من

بهر اغتسل ما كان ذلك يبقى من درنه وكذلك الصلوات كلما عمل خطيئة أو ما شاء الله ثم صلى ودعا واستغفر غفر له ما كان فيه) (٣٠) .

الصلاة تغرس في الانسان الفضيلة وتبعده عن الرذيلة ان طبيعة الإنسان غير مستقرة فهو يتقلب بين الصحة والمرض، والسهو والغفلة، والفقر والغنى، والخير والشر، والانسان بطبيعته يقتحم ساحة الحياة المائجة بمختلف الغرائز والشهوات، فهو يركض في طلب حوائجه وحوائج أسرته وارحامه يبتغي الرزق والمجد، ويسعى لتحقيق وطره وقضاء رغبته،

(١٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٣٦٣) .

(٢٦) - سورة الحديد الآية (١٢) .

(٣٠) - جامع الاحاديث، حديث رقم (١٣٨٢٤) .

وهو بحاجة الى من يعينه ويرشده ويذكره اعمال البر والايثار والتراحم التي قل ماتبدو صورها النبيلة، وهو بحاجة الى من يهديه الى افضل الاعمال والاخلاق حتى يكون انسانا سويا، وهو بحاجة ايضا الى من يعينه، ويوطن نفسه على الثبات وقوة الجاش، ولن يجد ذلك الا في الصلاة التي يناجي فيها ربه ويثني عليه، فهو الذي يعين وييسر ويسدد ويوفق ويرزق ويعطي ويمنع، فهو يقف امام ذي القوة والعلم الشامل ليكمل له قصور معرفته، وما يعجز عنه لضعف قواه، يحمده ويمجده ويسترضيه، ثم يسأله بعد ذلك هداية تحفها النعمة ويجانبها السخط، وفي الحديث القدسي قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَمْدِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ { الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ } قَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْتَى عَلَيَّ عَبْدِي وَإِذَا قَالَ { مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ } قَالَ حَمْدِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي فَإِذَا قَالَ { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } قَالَ هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } قَالَ هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ (١٦) فالانسان حينما يقوم مبكرا الى صلاة الفجر يكون قد ارتبط بالقوة العظمى التي تهيمن على الكون فيكون قد ارتبط بالله الذي خلقه يمنحه قبسا من العون والنشاط والنور والهدى من اول يومه ، ويكون بذلك قد نال ضمانا في يومه يقضي سخابة يومه وهو في حرز منيع لانه ارضى

(١٦) - مسلم في صحيحه، حديث رقم (٥٩٨) .

ربه ولاذ به وطلب حمايته، وفي الحديث النبوي الشريف (مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبُنكَ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكْبَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) (١٦)

ان من كان في ذمة الله كان في امن وفي سعادة وكان قويا في خلقه ودينه فكيف بالانسان الذي يحافظ على الصلوات كلها بهمة وعزيمة، انه بلا شك سيكون قاهرا لعدوه الشيطان وصولا للارحام بعيدا عن المنكرات والاثام، قال تعالى: { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنبِيءٌ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } (٢٠) قال الشاعر:

طوبى لعبد بحبل الله معتممه ... على صراط سوي ثابت قدمه
رث اللباس جديد القلب مستر ... في الارض مشتهر فوق السماء سمه
مازال يستحقر الدنيا بهمته ... حتى ترقى الى الاخرى به هممه
فذاك أعظم من ذي التاح متكئا ... على النمارق محتفا به حشمه (٣٠)

فتمتع بالصلاة وتدوق لذة المناجاة لله وابتهج وانت تناجي ربك في صلاتك فان لم تكن تراه فانه يراك، فالصلاة اكبر انواع العون على تحصيل الدنيا والاخرة ودفع المفاسد فهي تنهى عن الاثم وتبهر القلب وترفع الظلم وتحفظ النعمة، وتكشف الغمة فبادر اليها مستعينا بالله، وفي الذكر الحكيم:

(١٦) - مسلم في صحيحه، حديث رقم (١٠٥٠) .

(٢٦) - سورة العنكبوت الآية (٤٥) .

(٣٦) - وردت هذه الايات في مقامات الزمخشري والموسوعة الشعرية غير منسوبة لقائل وانظر الموسوعة الشعرية ص ٤٣٥.

٥١.٥ استقبال عين الكعبة

{وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ* الَّذِينَ يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} (١٦) .
استقبال عين الكعبة

يشترط لصحة الصلاة ان يتوجه المصلي نحو الكعبة المشرفة امثالاً لامر الله، فهو يستقبلها في صلاته وعند ذلك تتحد وجهة الصلاة عند المسلمين جميعاً، اذ لو فوض الامر الى المصلي لغلب على نفسه الاضطراب والحيرة فلا يدري اي الجهات اقرب الى الله، ويشعر جميع المسلمين بتوحد وجهتهم، فكان من حكمة الله ان عين جهه الكعبة التي هي اول بناء قام على الارض لعبادة الله وحده قال تعالى: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ} (٢٦) وقال تعالى: {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ} (٣٦) وقال: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} (٤٦) وليس المقصود من استقبال الكعبة عبادة عينها بل المقصود بذلك هو الله وحده، لأن الشريعة تحكم بالكفر على من يقصد بتوجهه غير الله. ويرحم الله القائل:

إذا لم يكن لله فعلك خالصاً ... فكل بناء قد بنيت خراب (٥٦)

(١٦) - سورة البقرة الآيتان (٤٥-٤٦) .

(٢٦) - سورة آل عمران الآية (٩٦) .

(٣٦) - سورة المائدة الآية (٩٧) .

(٤٦) - سورة البقرة الآية (١٤٤) .

(٥٦) - نسب هذا البيت ل (ابن الامير الصنعاني) ونسب ايضا ل (احمد بن علي مشرف) والله اعلم.

٥١.٦ الصلاة في المساجد

الصلاة في المساجد

المساجد جمع مسجد، والمسجد: هو الموضع الذي يسجد فيه لله وحده، وكل موضع يتعبد فيه لله فهو مسجد لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا) (١٦) والمساجد دور لعبادة الله ومنازل الهدى واعلام الدين يغشاها المؤمنون ليرتفعوا بها عن اوضار المادة، وليقفوا بين يدي الله ضارعين يؤدون فيها الفرائض، ويخلفون الدنيا وما فيها وراء المناكب، ويتزاحم فيها العابد والتائب، ويلتقي فيها القريب والبعيد، والفقير والغني فاذا هم سواسية امام عظمة الله يركعون ويسجدون وبجمده يسبحون، وفي الذكر الحكيم: {فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا اسْمَهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} (٢٦) وتعتبر المساجد ملتقى المؤمنين بها تتعلق قلوبهم وفيها تسموا ارواحهم وتوحد صفوفهم وفيها يؤدون صلاتهم، ويعظمون ربهم ويجسدون وحدتهم، ومن المسجد انطلق المصلون من الصحابة والتابعين فأضأوا الدنيا عدلا ونورا، فهي مجمع المتقين، المشي اليها يرفع الله به الدرجات، ويحو به الخطيئات، ويضاعف به الحسنات، وفي الحديث النبوي: (بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٣٦) فما اجمل صلاة الجماعة فيها، حيث يجتمع المسلمون في مكان واحد يحيي بعضهم بعضا، يتألفون، ويتوادون، ويتحابون، في محل تحل فيه الألفة والمودة والمحبة، وطلب الامن من الله والطمأنينة والسلامة والانس، ففي صلاة الجماعة شعار الوحدة والتوحد، وفي اقامة صفوف المؤمنين وتراصها نيل ثواب الله رب العالمين، وسبب لادراك رحمته، ونزول

البركات، وادراك الخيرات، وفي القرآن الحكيم: {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأْتُمْ تَعُودُونَ} (٤٦) فالسعيد من عمرها وحافظ على اداء الفرائض فيها، وقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "المساجد بيوت الله في الارض، والمصلي فيها زائر لله، وحق على المزور ان يكرم زائره". وقال وهب بن منبه رحمه الله: "يؤتى بالمساجد يوم القيامة كامثال السفن مكللة بالدر والياقوت فتشفع لاهلها". وفي الذكر الحكيم: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} (٥٦) وفي الحديث النبوي الشريف: (مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا لِلَّهِ بَنَىٰ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَهُ) (٦٦) فان كنت اخي تبحث عن السعادة والراحة والعزة والكرامة والبهجة والرضا والسكينة والمغفرة فستجد كل ذلك في المسجد، فاستعد للذهاب اليه متطيبا متطهرا متشوقا ففي

(١٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٤١٩) .

(٢٦) - سورة النور الآيات (٣٦-٣٧) .

(٣٦) - سنن ابي داود، حديث رقم (٤٧٤) .

(٤٦) - سورة الاعراف الآية (٢٩) .

(٥٦) - سورة التوبة الآية (١٨) .

(٦٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٨٢٩) .

٥١٠٧ الصلاة تقوي النفس الانسانية

الحديث النبوي (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابُّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ) (١٦) فكم لله من رجال فازوا بخير الدنيا ونعيم الآخرة، عظموا الله في صلاتهم وفي ركوعهم وسجودهم في ليلهم ونهارهم، ويرحم الله

القائل:

إذا ما تبادوا للصلاة وجدتي ... يفرح من خوف الاله جنابي

وقال اخر:

إذا ما الليل أظلم كأبدوه ... فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار انخوف نومهم فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود ... أين منه تنفرج الضلوع
وخرس بالنهار لطول صمت ... عليهم من سكينتهم خشوع (٢٦)

الصلاة تقوي النفس الانسانية

ان روح الصلاة تتمثل في حضور القلب، وخضوع الجوارح، فخري بالمسلم ان يشهد همته ويحصر ذهنه على تدبر اذكارها واداء اركانها خاشعا لربه مستشعرا ان الصلاة ركن الدين وعماده المتين، وعنوان الاستقامة، ومثال الكمال، وباب التقوى، ومعين الاخلاص، ونور الايمان، ومجلبة الاحسان، ومظهر الإسلام، وانها تنقي صحيفة المسلم من الذنوب، وتزيل ما اقترفه الإنسان من الخطايا، وتغسل ادران المعاصي، وتطفيء نار غضب

(١٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (١٧١٢) .

(٢٦) - هذه الايات ل (عبد الله بن المبارك) .

الرب تبارك وتعالى، وان من حافظ عليها وخشع فيها كما امر الله اوصلته الى درجة الصديقين، فهي احب الاعمال الى الله تبارك وتعالى، فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ الصَّلَاةُ لَوْ قَتَبَا) (١٦) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ان الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما اكل لله تعالى صلاة، قيل: وكيف ذلك؟

قال: لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه واقباله على الله فيها". وقال الحسن رحمه الله: "كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع" (٢٦) . فالخشوع روح الصلاة، فالإنسان عندما يهرع الى الصلاة وهو يتوجه الى الله بالعبادة تتنازع افكار متعددة فيحاول ان يطردها فيحل محلها استحضار عظمة الله ولذة مناجاته، فالصلاة تساعد على تنمية ملكة حصر الذهن في الإنسان، فالمصلي الذي يحاول بكل قدرته ان يحصر فكره طيله الوقت الذي تستغرقه الصلاة ويدفع الوسواس والخواطر التي تنازعه وتحاول ان تقطع صلاته يكون خاشعا معظما لله خائفا منه راجيا له مستحييا من تقصيره مناجيا لله وذاكرا له ومتفهما لما يقرؤه في الصلاة، وذلك دواء القلب، ودليل على الفلاح والنجاح، وفي القرآن الكريم: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} (٣٦)

(١٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٦٩٨٠) .

(٢٦) - دليل السائلين ص ٤٠٣ .

(٣٦) - سورة المؤمنون الآيتان (٢-١) .

٥١٠٨ قصة وردت في الحديث النبوي

قصة وردت في الحديث النبوي

روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ قَالَ فَنَزَلَتْ {أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} قَالَ فَقَالَ الرَّجُلُ أَلِي هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ أُمَّتِي) (١٦)

السعادة وصفا الذهن في الصلاة

ان من يحافظ على صلاته يحافظ على نضارته وصحته، فهو يستنشق النسيم العليل، ويتطهر ويتلذذ بمناجاة العزيز الرحيم وذلك ما يدعو الى البهجة، ويساعد على طول العمر وبركته وزيادة الرزق، والاستغلال برحمة الله ورعايته، فلائكة الله تورد اخبار صلاته كاملة تامة، وبالصلاة ضمان نجاة الإنسان من النار، وفي الصلاة صفاء افكاره، وتطهير باطنه، والاتصال بالله، وكلها توغلت في شيء وتوغلت فيه فانك ستجد الله الاول اظهر من كل شيء، وهو الاول ابطن من اي شيء، فاجعل من طاقتك وتوجهك الوصول الى ربك الاول الاخر الظاهر الباطن لتسعد في دنياك واخرتك، واجعل الله عز وجل الذي يعلم ظاهرك وباطنك ويطلع على جميع احوالك ومقصودك، فاذا اردت ألا تشيخ ولا تهزم في افكارك وخلقتك وسلوكك وان تكون في شباب دائم فاتجه الى الله واجعله مقصودك، ورضاه مطلوبك، اجعل هدفك الآخرة فانت في شباب دائم ومتجدد. حتى الناجحون في

(١٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٤٣١٩) ومسلم في صحيحه حديث رقم (٤٩٦٣) .

٥١٠٩ من اسماء الله الحسنى الاول والاخر والظاهر والباطن

حياتهم والاعلام المتألقون في الصناعة والتجارة في العلوم في مراكز القوى اي انسان متألق مادام حيا فاهدافه المادية اصغر من طاقته الكبرى، فالإنسان الذي يسعد طول حياته هو انسان اتجه الى الله الاول الاخر الظاهر الباطن الذي بيده ملكوت كل شيء الظاهر العليم بمبطن والظاهر الذي ظهر فوق كل شيء الغالب الذي لا يغلب، فلو انتهت الدنيا فاما بعد الحياة؟ الله هو الاول والاخر، ولو تحركت نحو الماضي لوجدت الله هو الاول، ولو اتجهت نحو المستقبل فستجد ان الله هو الاخر وهو الباقي وهو المتصرف في جميع الاشياء، وقد كان من دعاء بعضهم.. إلهي لك البقاء، وانت الدائم والجمع هباء، فاجعل لنا قسطا من نور اسمك الاخر، فيحيي به الظواهر والسرائر فلا نشهد إلا الباقي بالباقي، ولا نصل إلا الى مقام العالي الراقي (١٦) . واذا كانت الحياة متقلبة فاخلص في صلاتك لربك تصل الى جميع مرادك، والله در القائل:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ ... فَلَا يَغْرِبُ طَيْبُ الْعَيْشِ إِنْسَانٌ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُولٌ ... مِنْ سَرِّهِ زَمَنَ سَاءَتْهُ أَرْزَامٌ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ ... وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَأْنٌ (٢٦)

من أسماء الله الحسنى الاول والآخر والظاهر والباطن
ورد في القرآن العظيم: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٣٦) ووردت هذه الاسماء الاربعة في السنة النبوية
كما في حديث ابي هريرة عند الترمذي ووردت ايضا في دعاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما في صحيح مسلم، والأمة مجمعة على
تسمية الله سبحانه وتعالى بهذه الاسماء الاربعة، فهو سبحانه وتعالى الاول بلا ابتداء والآخر بلا انتها وهو الاول قبل كل شيء والآخر
بعد كل شيء، والباقي بعد فناء الاشياء، وهو الظاهر على كل شيء، والعالي فوق كل شيء، والظاهر بنعمه، والظاهر بقدرته وقوته وعظيم
مخلوقاته، والظاهر بحججه وبراهينه، والظاهر بافعاله وقدرته واحكام صنعته، والباطن الذي لاتدرکه الابصار، فهو سبحانه الباطن العليم
ببواطن الأمور وظواهرها، والقريب الى كل شيء ومن كل شيء بعلمه وقدرته، وقال الحليمي رحمه الله: فالأول هو الذي لا قبل له،
والآخر هو الذي لا بعد له، وهذا لأن قبل وبعد نهايتان، فقبل نهاية الموجود من قبل ابتدائه، وبعد غايته من قبل انتهائه، فإذا لم
يكن له ابتداء ولا انتهاء لم يكن للموجود قبل ولا بعد، فكان هو الأول والآخر (٤٦) .

(١٦) - موسوعة أسماء الله الحسنى ج ٢ ص ٣٨٠ .

(٢٦) - هذه الايات ل (ابو البقاء الرندي) .

(٣٦) - سورة الحديد الآية (٣) .

(٤٦) - الاسماء والصفات للبيهقي ص ٤٣ .

وقال الامام ابن القيم: الأسماء الأربعة الأول والآخر والظاهر والباطن هي أركان العلم والمعرفة، فحقيق بالعبد أن يبلغ في معرفتها إلى
حيث تنتهي به قواه وفهمه (١٦) . قلت واحسن ما يفسر به هذه الاسماء الاربعة هو تفسير الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم
فهو اعلم الخلق بالله فقد روي عن ابي هريرة انه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: يَقُولُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ (اللَّهُمَّ
رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى مَنَزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالْقُرْآنَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ أَنْتَ
أَخَذَ بِنَاصِيئِهِ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ
شَيْءٌ) زَادَ وَهَبٌ فِي حَدِيثِهِ (اقْضِ عَنِّي الدِّينَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ) (٢٦) فقد فسر صلوات الله وسلامه عليه كل اسم بمعناه العظيم،
ونفى عنه ما يضاؤه وينافيه، فسبحان من تفرد بالاحاطة المطلقة والمعرفة التامة والكمال المطلق ليس كمثل شئ وهو السميع البصير،
وقد احسن ابن قيم الجوزية حيث يقول:

هُوَ أَوَّلٌ هُوَ آخِرٌ هُوَ ظَاهِرٌ ... هُوَ بَاطِنٌ هِيَ أَرْبَعُ بَوَازِنٍ
مَا قَبْلَهُ شَيْءٌ كَذَا مَا بَعْدَهُ ... شَيْءٌ تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ كَذَا مَا دُونَهُ ... شَيْءٌ وَذَا تَفْسِيرُ ذِي الْبُرْهَانِ
فَانْظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ بِتَدَبُّرٍ ... وَتَبَصَّرْ وَتَعَقَّلْ لِمَعَانِ

(١٦) - طريق المهجرتين ص ٤٦ .

(٢٦) - سنن ابي داود باب ما يقال عند النوم حديث رقم (٤٣٩٢) .

٥١.١٠ ثمرة معرفه اسمائه الاول والاخر والظاهر والباطن

وَأَنْظُرْ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعٍ مَعَ.....رِفْقَةٍ نَخَلَقْنَا الْعَظِيمِ الشَّانِ (١٦)
 اما عبد الرحيم البرعي فهو يقول:

هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرٌ ... هُوَ بَاطِنٌ لَيْسَ الْعَيُونَ تَرَاهُ
 حُجْبَتُهُ أَسْرَارُ الْجَلَالِ فَدُونَهُ ... تَقْفُ الظُّنُونَ وَتُخْرَسُ الْاَفْوَاهُ
 صَمَدٌ بِلَا كَفٍّ وَلَا كَيْفِيَّةٍ ... أَبَدٌ فَمَا النَّظْرَاءُ وَالْاَشْبَاهُ
 شَهِدَتْ غَرَائِبَ صَنَعَهُ بِوَجُودِهِ ... لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَاهُ
 وَإِلَيْهِ أَذْعَنْتِ الْعُقُولُ فَآمَنْتِ ... بِالْغَيْبِ تَوَثَّرَ حُبُّهَا إِيَّاهُ
 سَبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ ... وَلَهُ سَبْجُودٌ أَوْجُهُ وَجِبَاهُ
 وَقَالَ آخِرُ:

هُوَ أَوَّلُ آخِرٍ فِي فَضْلِهِ ... هُوَ بَاطِنٌ هُوَ ظَاهِرٌ الْإِنْعَامِ

هُوَ مُفْرَدٌ فِي بَدَلِهِ وَنَوَالِهِ ... هُوَ مَعْتَقُ الْأَسْرَى مِنَ الْإِعْدَامِ (٢٦)
 ثمرة معرفه اسمائه الاول والاخر والظاهر والباطن

اذا علم المكلف ان الله سبحانه وتعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن وجب عليه ان يؤمن به وان يفرد به بالعبادة, وان يجعل عبادته وصلاته وصيامه وزكاته ودعائه وحياته ومماته لله وحده, وان يجرد النظر الى سبق فضل الله ورحمته المبتدي بالاحسان الى الانسان من غير وسيلة منه إذ لا وسيلة في العدم قبل وجوده فقد اتى على الانسان حين من الدهر لم

(١٦) - هذه الآيات ل (ابن قيم الجوزية) .

(٢٦) - هذان البيتان ل (ابي الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي) .

يكن شيئاً مذكوراً, فنه سبحانه وتعالى الاعداد والامداد فكيف يتعلق المرء بالوسائل التي اوجدها الحق سبحانه وتعالى ولا يتعلق بالاول والاخر الباقي الدائم بعد فناء الاشياء, فالعاقل لا يجعل تعلقه الكامل وركونه ووثوقه باي شيء ينقضي, وانما يتعلق في عبادته وصلاته ودعائه وخوفه ورجائه بالاول والاخر الذي يبقى ولا يفنى, فهو سبحانه وتعالى الاول والاخر الذي لا يموت ولا يزول, فالمتعلق به سبحانه وتعالى حقيق الا يخيب ولا يزول ولا ينقطع ماتعلق به, بخلاف التعلق بغيره مما له اخريفنى به, فهو سبحانه الاول الذي ابتدأت منه المخلوقات, والاخر الذي انتهت اليه عبوديتها وارادتها ومحبتها, فليس وراء الله شيء يقصد ويعبد ويتأله, كما انه سبحانه ليس قبله شيء يخلق, فكما كان واحداً في ايجادك فاجعله واحداً في تاليك له لتصح عبادتك وصلاتك, وكما ابتدأ وجودك وخلقك والاحسان اليك واسباغ نعمه عليك ظاهرة وباطنة, فاجعله نهاية حُبِّك وارادتك وتأليك له لتصح لك عبوديتك له باسمه الاول والاخر والظاهر والباطن, فهو سبحانه وتعالى الظاهر على كل شيء وفوق كل شيء والغالب على كل الأمور والظاهر بقوته وقدرته وعلمه وهو الباطن القريب من كل شيء فهو اقرب اليك من حبل الوريد فاخلص اليه في الدعاء, وفي الذكر الحكيم: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (١٦) وفي الحديث النبوي الشريف: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْجِعُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ فَإِنَّكُم لَأَ... (١٦) - سورة البقرة الآية (١٨٦) .

٥١.١١ دعاء الله باسمه الاول والاخر والظاهر والباطن

تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ (١٦) اذا عرف المرء كل ذلك نخليق به ان يكون اول الناس سبقا بالخير, وأول الناس سبقا الى معرفة الله, واوهم سبقا الى طاعته, واوهم سبقا الى عبادته, وان يكون مظهرها لعمل البر

حريصا عليه ظاهرا على الهدى ناطقا بوحداية الله لانه يعلم ان كل الخير من الله، كل الكمال لله، كل الاعمال الصالحة بتوفيق الله، بإلهام الله مصدر الكمال في الكون، هو الظاهر الذي لا يخفى على كل متامل المحتجب عن عيون خلقه الذي لا تدركه الابصار، الظاهر بنعمته الباطن برحمته الظاهر بكل شيء، الظاهر بالدلائل اليقينية، الباطن عن مظاهر الجسمية ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، فادع الله باسمه الاول الاخر الظاهر الباطن يمدك بقوته الظاهرة والباطنة، وأعلن افتقارك اليه ظاهرا وباطنا، وناده ساجدا واذكره قائما وقاعدا، وكن لله شاكرا وحامدا، وكن لله في كل الأحوال عابدا، وفي الحديث النبوي الشريف: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ) (٢٠)

دعاء الله باسمه الاول الاخر الظاهر الباطن

ياالله يااول يااخر ياظاهر يباطن ياامن لأول لأوليتك ابدأ، ولا اخر لآخريتك ابدأ، انت الاول قبل كل شيء والاخر بعد كل شيء، ابتدأتني بالنعم العامرة أولا، فاتمها علي غدا، واجعلني ممن تدخله الجنة أولا،

(١٧) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٢٧٧٠) .

(٢٠) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٧٤٤) .

وجعلني بجميل سترك في الدنيا والآخرة، وامنني من الشيطان وكافة العدا، واجعلني من المتقين الاولياء، ياالله يااول يااخر اخبرني عن كل شيء يورث ندمًا، وعن كل امر يورث سوا وماثما، فانه لا اخر لآخريتك يارب الارض والسماء فاحي قلبي بحبك وذكرك واكفه عن الاشتغال بالدنيا ياالله يااول يااخر ياظاهر يباطن ظهرت على جميع الاشياء فانت الظاهر الذي لا تخفى، فاطهرني بشرف خدمتك على الملا، واطهرني من اسمائك الحسنى ما احضى به واكفني فانت الله الظاهر الباطن الذي ظهرت على العالمين وبطنت عن اعين الناظرين، واطهرت قوتك وقدرتك للعالمين، فطهر باطني وظاهري ياالله ياظاهر يباطن ياقوي يامتين، واغفر لي ولوالدي وللمؤمنين واصلح لي ولهم امور الدنيا والدن يارحم الراحمين، وصلى الله وسلم على محمد النبي الامين وعلى آله الطاهرين واصحابه الراشدين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

٥٢ الفصل الواحد والخمسون الزكاة

٥٢.١ الزكاة

الفصل الواحد والخمسون

الزكاة

الزكاة

الزكاة صدقة، والصدقة زكاة، يفترق الاسم ويتفق المسمى (١٧)

والزكاة لغة: الطهارة والنماء والبركة. واصطلاحاً: الجزء المقدر بالمال الذي فرضه الله للمستحقين ليسد به حاجتهم ويجبر به كسرهم، ويشد به ازهرهم، ويصلح به حالهم، وسمى الله الصدقة زكاة لانها تطهر النفس وتزكيها، قال تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } (٢٠) وما ذكره الله تعالى من تطهير الصدقة للمؤمنين يشمل افرادهم وجماعتهم، فهي تطهر نفوس الافراد من الذنوب، ومن ارجاس البخل والدناءة والقسوة والاثرة وغير ذلك من الرذائل الاجتماعية التي هي ماثرة التحاسد والتعادي والعدوان والفتن والحروب، وتزكي انفسهم اي تنميا وترفعها بالخيرات والبركات الخلقية والعملية حتى تكون بها اهلا للسعادة الدنيوية والاخروية، فكان ايجابها مؤاسة للفقراء ومعونة لذوي الحاجات، تكفهم عن البغضاء وتمنعهم عن التقاطع وتبعثهم على التواصل، وهي ركن من اركان الإسلام، فمن تركها ناكرا لها كان مرتدا يقاتل عليها، ولمكانتها العظيمة، فان الحق سبحانه وتعالى قرنها بالصلاة في كثير من آيات الذكر الحكيم فقال سبحانه: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ } (٣٠) وقال سبحانه: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ

- (١٦) - الماوردي في الاحكام السلطانية، ج ١ ص ٢٠٢ .
 (٢٦) - سورة التوبة الآية (١٠٣) .
 (٣٦) - سورة البقرة الآية (٤٣) .

٥٢.٢ الحكمة من فريضة الزكاة

(١٦) وفي الحديث النبوي الشريف: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى نَحْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَحَجَّ الْبَيْتَ وَصَوَّمَ رَمَضَانَ) (٢٦) والزكاة طهارة وبركة تنفع الفقراء وتطهر الاغنياء وتزكئهم، قال الشاعر:
 وَاللَّهُ أَنْزَلَ فِي الْكِتَابِ فَرِيضَةً... لِابْنِ السَّبِيلِ وَلِلْفَقِيرِ الْعَائِلِ (٣٦)
 وقال اخر:
 وَأَحْسَبُ النَّاسَ لَوْ أَعْطُوا زَكَاتَهُمْ... لَمَا رَأَيْتُ ذَوِي الْإِعْدَامِ شَاكِينًا (٤٦)
 الحكمة من فريضة الزكاة

ان المال كالفاكهة الجميلة اللون، الشبيهة المذاق، وقد اراد الله ان نعم جميع البشر بهذه الفاكهة وطعمها ويستمتع الجميع بلونها فاقتضت حكمته ان يفترض على المال الذي في يد الاغنياء زكاة يؤدونها للفقراء فيعم الخير جميع الناس ويستمتع بالمال الفقير والغني، فهي تطهر الاغنياء وتزكئهم وتنفع الفقراء وتواسيهم وتحد من الاثرة والشهه والحرص، فييل الطباع الى اقتناء المال معروف، بيد ان من الناس من يضل يطعم من هذا المال حتى تقتله التخمة. ومنهم من يدخره ويجوع ومنهم من يختطف مافي ايدي

- (١٦) - سورة التوبة الآية (٦٠) .
 (٢٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٢١) .
 (٣٦) - هذا البيت ل (جرير) .
 (٤٦) - هذا البيت ل (ابي العلاء المعري) .

الآخرين الى جانب نصيبه المفروض. ومنهم من يشغله القلق خشية الحرمان، ومنهم من يشغله القلق في طلب المزيد، فاقترض الله الزكاة رحمة وفضلا وبركة وعدلا لتزكي النفوس وتطهرها وتكون دعامة يقوم عليها اصلاح شؤون الفقراء والمساكين، ويلم بها شعئهم، ويجمع بها شملهم مع الاغنياء فيكون الجميع كالاسرة الواحدة، ومن هنا يتبين لنا ان الزكاة ليست احسانا فرديا، وان اعتبارها كذلك يخرج بها عن معانيها بل هي ضريبة تؤخذ من اموال الاغنياء وتصرف في الطبقة الفقيرة المحتاجة من غير سؤال ولامنة في العطاء، فليس فيه اذلال بل معونة كريمة وسد حاجة، فهي تؤخذ من اموال الاغنياء اجبارا، فالاسلام لم يجعل فريضة الزكاة ترجع لهذا الشخص ان شاء اعطى وان شاء منع بل جعلها اجبارية لانها حق للفقير في مال الله الذي اعطاه للغني، فكان حقا على من يلي السلطة العامة ان يجمع الزكاة ويوزعها بالعدل، وقد خاطب الله رسوله بقوله: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } (١٦) وفي سورة المعارج يقول العزيز الحكيم: { وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ } (٢٦) . وفي الحديث النبوي الشريف (إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم فإن جاعوا أو عروا وجهدوا فبمنع الأغنياء وحق على الله أن يحاسبهم يوم القيامة ويعذبهم عليه) (٣٦)

- (١٦) - سورة التوبة الآية (١٠٣) .
 (٢٦) - سورة المعارج الآية (٢٤) .
 (٣٦) - رواه البيهقي في السنن الكبرى حديث رقم (١٢٩٨٥)

٥٢.٣ الاخوة الدينية لا تحصل دون اداء الزكاة

٥٢.٤ الزكاة فيها حفظ المال والسلامة من شروره

الاخوة الدينية لا تحصل دون اداء الزكاة

ان المسلم لا تحصل اخوته الدينية للمسلمين الا باداء الزكاة، واقام الصلاة فافضل الناس من اعطى زكاته بسماحة وشرف، وأدى زكاة ماله برغبة ومحبة، ولم يشيع اخراجه بحسرة او يرسل وراءه العبرات، لان بناءه النفسي يقوم وحده بعيدا عن الشراة والحرص، فهو يعلم ان الله سبحانه وتعالى يزكيه بهذا المال ويظهره ويحفظ ماله ويورثه العزة والشرف، بل يشعر بالسعادة حينما يكون قد أدى من جزءاً من ماله للفقراء والمساكين. وفي الذكر الحكيم: {لَنْ تَتَّالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (١٦) فالحرص والعشق للمال الى درجة عدم اخراج ما اقترض الله فيه يورث ضراوة تفتك بالضمائر والابدان، وتورث المذلة والهوان، وانظر الى ما يعقبه الحرص الشديد من قلق بالغ، فن الحقائق المعروفة انه عندما تهبط قيمة الاسهم في البورصة ترتفع عند البعض نسبة السكر في البول والدم بين المضاربين؟ ويرحم الله احمد شوقي حيث يقول:

عَجِبْتُ لِمَعَشِرٍ صَلَّوْا وَصَامُوا ... ظَوَاهِرَ خَشِيَّةٍ وَتَقَى كِذَابًا
وَتَلْفِيهِمْ حِيَالِ الْمَالِ صُمًّا ... إِذَا دَاعَى الزَّكَاةَ بِهِمْ أَهَابًا
لَقَدْ كَتَمُوا نَصِيبَ اللَّهِ مِنْهُ ... كَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُحْصِ النَّصَابَا
يُرِيدُ الْخَالِقُ الرِّزْقَ إِشْتِرَاكًا ... وَإِنْ يَكُ خَصَّ أَقْوَامًا وَحَابِي
فَمَا حَرَمَ الْمَجْدَ جَنَى يَدِيهِ ... وَلَا نَسِيَ الشَّقِيَّ وَلَا الْمُصَابَا
وَلَوْلَا الْبُخْلُ لَمْ يَهْلِكْ فَرِيقٌ ... عَلَى الْأَقْدَارِ تَلْقَاهُمْ غَضَابَا

وفي الذكر الحكيم: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (٢٦) .

الزكاة فيها حفظ المال والسلامة من شروره

الزكاة فيها الثواب الجزيل، والعز المقيم، والخير الكثير، وفي ادائها حفظ المال وتحسينه، وتخليصه من الشرور، وفي الحديث النبوي الشريف: (إِذَا أُدِّيَتْ زَكَاةُ مَالِكَ فَقَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ) (٣٦) وفي رواية: (فقد ذهب عنك شره) (٤٦) وجاء في حديث اخر: (مَا تَلَفَ مَالٌ فِي بَرٍّ، وَلَا بَحْرٍ إِلَّا بِجَبَسِ الزَّكَاةِ) (٥٦) . فاذا اردت ان تجعل مالك في حصن منيع وان تحفظه من الضياع والسرقة فادّ زكاته، فقد ورد في السنة النبوية ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال (حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة) (٦٦) وقد انذر الله الذين يخلون ويمتنعون عن اداء الزكاة بقوله: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَخْلُونَ بِمَا أَنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا يَخْلُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (٧٦) وانذر النبي صلى الله

(١٦) - سورة آل عمران الآية (٩٢) .

(٢٦) - سورة التوبة الآية (١١) .

(٣٦) - سنن ابن ماجه حديث رقم (١٧٧٨) .

(٤٦) - المعجم الاوسط رقم (١٥٧٩) .

(٥٦) - تحاف الخيرة المهرة، وقال رواه البيهقي والطبراني في الاوسط حديث رقم (٢٠٥٣/٢) .

(٦٦) - المعجم الاوسط حديث رقم (١٩٦٣) .

(٧٦) - سورة آل عمران الآية (١٨٠) .

عليه وآله وسلم مانع الزكاة بالجذب وضيق العيش فقال: (وَمَا مَنَّ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلَّا مَنَعَهُمُ اللَّهُ الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ) (١٦) وقد كان النبي

صلى الله عليه وآله وسلم يجمع الزكاة ويامر امرأه بجمعها من الاغنياء ليردها على الفقراء، فلما كان زمن الخليفة الراشد ابي بكر الصديق اعلن بعض العرب منع الزكاة فجمع الصحابة وتشاورهم واعلن الخليفة الراشد ومعه سراة الصحابة ورجال الحل والعقد الحرب على مانعي الزكاة وقال: (وَاللَّهِ لَوْ مَنْعُونِي عَنَّا قَاتِلًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتَهُمْ عَلَيْهَا) (٢٦) فنع الزكاة يزيل النعم، ويخرب الديار ويكون سببا في دخول النار.

ويغفر الله للقاتل:

وَعَلِمْنَا أَنَّ الزَّكَاةَ سَبِيلُ اللَّهِ ... قَبْلَ الصَّلَاةِ قَبْلَ الصِّيَامِ
خَصَّهَا اللَّهُ فِي الْكِتَابِ بِذِكْرِ ... فَهِيَ رُكْنُ الْأَرْكَانِ فِي الْإِسْلَامِ
بَدَأَتْ مَبْدَأَ الْيَقِينِ وَظَلَّتْ ... لِحَيَاةِ الشُّعُوبِ خَيْرِ قِرَامٍ
لَوْ وَفَى بِالزَّكَاةِ مَنْ جَمَعَ الدُّنْ ... يَا وَأَهْوَى عَلَى إِقْتِنَاءِ الحُطَامِ
مَا شَكَ الْجُوعَ مُعَدِّمٌ أَوْ تَصَدَّى ... لِرُكُوبِ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ (٣٦)

(١٦) - السنن الكبرى للبيهقي حديث رقم (٦٦٢٦) .

(٢٦) - مسند الامام احمد حديث رقم (١١٢) .

(٣٦) - هذه الايات لحافظ ابراهيم .

٥٢٠٥ الزكاة سبب في دخول الجنة

٥٢٠٦ قصة وردت عن حال مانع زكاة ماله

الزكاة سبب في دخول الجنة

الزكاة عبادة ماله من اداها طيبة بها نفسه دخل الجنة، فبالزكاة تعمر ديار الفقراء فهي سهم الإسلام، وفضل الرحمن، وبها نصل الضعفاء والايتام، وقد خسر من لانصيب له ولاسهم، فهي نعمة انعم الله بها، وافلح من انتفع بالمال وادى حقه، واحسن الى الفقراء والمساكين وازال المهم ووضر امراضهم وظلم جهالتهم، وفي الحديث النبوي: (أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ فَقَالَ الْقَوْمُ مَا لَهُ مَا لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَرَبٌ مَا لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ) (١٦) وفي رواية للنسائي: (مَا مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي الصَّلَاةَ الْخَمْسَ وَيَصُومُ رَمَضَانَ وَيُخْرِجُ الزَّكَاةَ وَيَجْتَنِبُ الْكِبَائِرَ السَّبْعَ إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَيَقِيلُ لَهُ ادْخُلْ بِسَلَامٍ) (٢٦) وفي الذكر الحكيم: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} (٣٦) .

قصة وردت عن حال مانع زكاة ماله

ذكر البيضاوي ان ثعلبة بن حاطب أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام «يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق

(١٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٥٥٢٤) .

(٢٦) - سنن النسائي حديث رقم (٢٤٩٥) .

(٣٦) - سورة البينة الآية (٥) .

لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه، فدعا له فاتخذ غنماً، فمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة، فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة، فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال: يا ويح ثعلبة، فبعث رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثلبة فسألاه الصدقة وأقرأه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيي فنزلت قوله تعالى: { وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ } (١٦) فجاء ثلثة بالصدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله منعني أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها، ثم جاء إلى عمر رضي الله تعالى عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله تعالى عنه (٢٦) .

- (١٦) - سورة التوبة الآيات (٧٥-٧٨) .
(٢٦) - تفسير البيضاوي ج ٢/ص ٤٦٥ .

٥٢٠٧ الزكاة نظام تكافل جاء به الإسلام

الزكاة نظام تكافل جاء به الإسلام

المجتمع الزكي يقوم على رجال يعرفون حق الله وحق الجماعة عليهم، وينشغل هذا وذاك باداء ما عليه من واجب، فان الثمرة الدانية في هذا المجتمع ان يصل كل امرئ الى حقه الطبيعي دون ضجر او جدال، وعند ذلك سنجد من يقوم ببناء المستشفيات والملاجئ ومعاهد العلم لتعليم ابناء الأمة الفقراء وايواء العجزة الضعفاء ومعالجة المرضى حتى لا تضطرهم الحاجة الى السرقة، او المؤامرة على قتل الاغنياء، او الاقدام على ارتكاب الجرائم لدفع عيلة الفقر المدقع، وحينئذ يعيش المجتمع كله في سلام وامن، ويتجه الجميع الى عبادة ربهم وبناء اوطانهم، وستكون طاقة الفقير وجلده أداة تزيد في انتاج الأمة، وتسهم في نهضتها العامة، فيصل نشاطه حينئذ بنشاط انداده من الاغنياء فيعاونون جميعا على البر والتقوى لاعلى الاثم والعدوان، وستسد الزكاة عوز المحتاجين وتعين الفقراء والمساكين، وتعوض المضرورين والغارمين، وفي الذكر الحكيم: { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (١٦)

والمراد هنا في الآية: الصدقات الواجبة التي صرحت الآية بوجود قصرها على من ذكرهم الله في الآية، والصدقات الواجبة هي زكاة النقود عينا أو تجارة والأنعام والزرع والركاز والمعدن، فيجب صرف ذلك على الأصناف المنصوص عليها في الآية ب (إنما) فهي من صيغ القصر، وتعريف الصدقات للجنس أي جنس هذه الصدقات مقصور على هذه

- (١٦) - سورة التوبة الآية (٦٠) .

الأصناف المذكورة لا يتجاوزها بل هي لهم لا لغيرهم، فللصدقات أهداف وفوائد كثيرة روحية وأخلاقية واجتماعية واقتصادية وسياسية بعضها فردية وبعضها جماعية، وهي مع ذلك ركن من أركان الاسلام كما سبق بيان ذلك، ويتبين من النص القرآني قصر الصدقة على هذه الأصناف لغاية وأهداف يظهر تكاملها على مستوى المجتمع كله سواء فيما يتعلق بالمعطي أو المعطى له أو بالكيان الاجتماعي الذي تصرف فيه الزكاة، وسيجد المتدبر لكتاب الله وما يتبين أثره في الصرف في الأصناف الخمسة من الاصناف الثمانية الذين هم: الفقراء والمساكين والرقاب والغارمين وابن السبيل. ان القرآن الكريم قد كان سابقا للنظم القانونية في تقرير نظام التكافل، فالانفاق على الضعفاء والزمنة والمحتاجين والمرضى والعجزة والمكفوفين والمسنين وذوي العاهات البدنية أو العقلية يعني إيجاد مجتمع متكافل متضامن متكامل، ويدخل في مصارف الزكاة ذوي الدخل القاصر عن كفايتهم لقلة الاجر أو كثرة العيال أو ارتفاع الاسعار باعتبار ان كل هؤلاء من الفقراء والمساكين، ويدخل في مصرف ابن السبيل المهاجرون في سبيل الله والمهجررون والمشردون بفعل الكوارث الطبيعية من المسلمين إذا لجئوا إلى إقليم آخر من أقاليم الدولة الاسلامية فانقطعوا عن بلادهم، واللاجئون السياسيون الذين

فروا من أجل دينهم من ديار الكفر والطغيان فانقطعوا عن بلادهم، وطلبة العلم في ديار الغربة الذين لا يجدون كفايتهم فينقطعون عن أوطانهم، لأن هؤلاء هم في سفر فيه طاعة أو سفر مباح

وليس في ذلك سفر معصية، فيندرجون في عموم النص ويعطون بقدر حاجتهم إلى أن يتيسر لهم العودة إلى أوطانهم أو يعتزموا الإقامة الدائمة في محل انقطاعهم (١٦) . وفي هذا الاتفاق شرف الانسان وسعادته وفي الذكر الحكيم: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنبَلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (٢٦) فالله سبحانه وتعالى حكيم في تقديره وتدييره وقد احكم التدبير والتقدير حينما افترض هذه الزكاة وحدد مصارفها، فاذا اراد الإنسان ان يعيش سعيدا فعليه ان يعمل بامر الله وبحكمه وبتقدير الله المدير الحكيم الرحيم العليم الذي كل ما في الكون ينطق باسم الله العزيز الحكيم خلقا وتصرفا ومصيرا، نباتا وحيوانا وانسانا وشمسا وقمر، ليلا ونهارا، ورزقا وهداية وتوفيقا، فالانسان اذا لم يتصل بالله فلن تزكو نفسه ولن يتطهر قلبه وربما ظل، فاذا اعتمد على ماله وخبرته وقدرته وجماعته وسلطانه ووجاهته ونسي الله تحلى الله عنه، وضل طريقه، وربما ترتب على منعه الزكاة هلاكه، فاذا اعتمد على نفسه وعلى ماله، وعلى قوته اوسلطانه ونسي الله فانه يكون قد اشرك وهو لا يدري، وربما ذهب سلطانه وذهب ماله وذهب جاهه وكانت عاقبة امره خسرا، ولا يغرك امهال الله لمن هذا حاله ردحا من الزمن ففعل ذلك فتنة له وبلاء ووبالا عليه، فقد يسلبه الله التوفيق او يقع في خطيئة يعاقبه الله عليها، وقد يكون

(١٦) - لتفصيل اوسع انظر مؤلفنا خلاصة الكلام في تفسير آيات الاحكام، ج ٢ / ص ٩٩٣ الى ١٠٠٨ .

(٢٦) - سورة البقرة الآية (٢٦١) .

٥٢٠٨ المقدم المؤخر من اسماء الله الحسنی

المال والجاه اذا لم يؤادي الإنسان حقهما استدراجا وفتنة وعذاباً ومحنة، وربما حمل المال صاحبه على الكبر فياخذه الله على حين غرة من امره: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} (١٦) فالمقدم المؤخر الميسر المسخر المدير انما هو الله، فكن معه تفز بنعيم الدنيا والاخرة، فالذي يقدم العمل الصالح يقدم الصدقة واخراج الزكاة يقدم الاحسان الى الناس ويكرمهم طاعة الله يكون مقدا عند الله، والذي يقدم هواه وشهواته على اعماله الصالحة يكون مؤخرا عند الله، فالله سبحانه وتعالى يقدم ويؤخر، فثق به وتوكل عليه تكن سعيدا رشيدا مستقيما، ومسارك في الحياة واضحا جليا فكثيرة هي المقاييس المادية، فاذا تقدم انسان بماله، او بمرتبه، او بنسبه، او بقوته، او بذكائه، تقدا مبدئيا او تقدا مؤقتا فان لم يكن مطيعا لله اخره الله، فهذا التقديم تقديم امتحان، او تقديم استدراج، فانك لاتدري لعل الله عز وجل يؤخره بفضيحة ما، او بكف يد، او باهمال وازراء، او بخطأ فادح يرتكبه، او بغير ذلك، اما المؤمن المطيع لله فان خطه البياني يكون دائما في صعود مستمر، بخلاف الكافر والمصر على المعصية فانه وان رايت خطه البياني في صعود حاد فان سقوطه سيكون مريعا الا ان يثوب الى رشده ويعود الى الله، فالله جل وعلى يقدم من اطاعة ورجع اليه ويؤخر من قدم هواه وشهواته وعصى مولاه وخالقه فهو المقدم المؤخر الضار النافع السميع البصير القوي القدير فتعرف اخي على اسم الله المقدم المؤخر، وكن طائعا لله يقدمك الله فهو الذي يقدم المؤمنين الطائعين ويؤخر العصاة الفاسقين .

المقدم المؤخر من اسماء الله الحسنی

اسم الله المقدم والمؤخر لم يردا في القرآن، ووردا في القرآن فعل المؤخر في قوله تعالى: {إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} (٢٦) ، وورد الاسمان في السنة النبوية كما في حديث ابي هريرة عند الترمذي ان الله تسعة وتسعين اسما وعد منها (المقدم المؤخر) (٣٦) ، وجاء في صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قام من الليل يتهدد وفيه: (انت المقدم وانت المؤخر) (٤٦) ، والامة متفقة على تسميته سبحانه وتعالى المقدم المؤخر، ويرى بعض العلماء انه لا يجوز الدعاء باحدهما دون الآخر، والمقدم هو الذي يقدم الاشياء ويضعها في مواضعها، فمن استحق التقديم قدمه، ومن استحق التأخير اخره، ويوجد

مع التقديم حكمة، ومع التأخير عدالة وحكمة، فهو يقدم من يشاء بحكمته، ويؤخر من يشاء بعدله وقدرته، فهو سبحانه يرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، ويدل من يشاء، ويعز من يشاء، ويقرب من يشاء،

(١٦) - سورة الانعام الآية (٤٤) .

(٢٦) - سورة ابراهيم الآية (٤٢) .

(٣٦) - قد سبق تخريجه .

(٤٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (١٠٥٣) .

ويبعد من يشاء، فله القدرة الكاملة والمشئمة النافذة، والحكمة الشاملة التامة، وقال الحليمي: المقدم: هو المعطي لعوالي الرتب، والمؤخر: هو الدافع عن عوالي الرتب.

وقال أبو سليمان: هو المنزل للأشياء منازلها، يقدم ما يشاء منها ويؤخر ما شاء، قدم المقادير قبل أن يخلق الخلق، وقدم من أحب من أوليائه على غيرهم من عبده، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض درجات، وقدم من شاء بالتوفيق إلى مقامات السابقين، وأخر من شاء عن مراتبهم وثبتهم عنها، وأخر الشيء عن حين توقعه لعله بما في عواقبه من الحكمة، لا مقدم لما أحر، ولا مؤخر لما قدم، قال: واجمع بين هذين الاسمين أحسن من التفرقة (١٦) ، ومن هذا العرض يتبين ان الله سبحانه وتعالى المقدم المؤخر ليس كمثلته شيء، فهو سبحانه المقدم لبعض الاشياء على بعض، اما تقديما كونيا، كتقديم بعض المخلوقات في الوجود على بعض، كتقديم الاسباب على مسبباتها، والشروط على مشروطاتها، واما تقديما شرعيا معنويا، كتفضيل الانبياء عليهم السلام وتقديمهم على سائر البشر، وتفضيل العباد بعضهم على بعض لحكمة، وهو سبحانه المؤخر لبعض الاشياء عن بعض، اما بالزمان او بالشرع، وفق مشيئته سبحانه وتعالى، وقال ابن القيم:

وهو المقدم والمؤخر ذاك الص ... فتان للأفعال تابعان

(١٦) - الاسماء والصفات للبيهقي، ص ٢١٠ .

٥٢.٩ ثمرة معرفة اسم الله المقدم المؤخر

وهما صفات الذات أيضا إذ هما.....بالذات لا بالغير قائمتان

والوصف بالتقديم والتأخير كو ... ني وديني هما نوعان

وكلاهما أمر حقيقي ونسي ... ولا يخفى المثال على الأذهان

والله قدر ذلك أجمعه بإحكام ... وإتقان من الرحمن

ثمرة معرفة اسم الله المقدم المؤخر

إذا عرف المكلف ان الله المقدم المؤخر النافع الضار الخافض الرافع، وانه يقدم ماشاء من خلقه بعلم وحكمة، ويؤخر من يشاء بعدل وحكمة وجب عليه ان يؤمن به، وان يقدم ما قدمه الله، ويؤخر ما اخره، يقدم الاعمال الصالحة، ويقدم زكاة ماله، ويقدم الخير والاحسان، قال تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (١٦) فمن عرف ان المقدم والمؤخر هو الله سبحانه وتعالى لم يكن له امان، بسبب كثرة الطاعات، ولا بأس بسبب كثرة المعاصي، فهو يخاف الله فيما ياتي ويذر، ويثابر في عبادته، ويجتهد في طاعته، لانه يعلم بان الله يقدم من احبه وادى فرائضه وقدم ماله، فهو القادر على ان يقدم رتبته ومكانته ويؤخره عن كل امر فيه اثم وقطيعة رحم، وهو القادر على ان يلقي محبته في قلوب عباده ويجعل له ذكرا حسنا

(١٦) - سورة المزمل الآية (٢٠) .

بعد مماته ويقدمه الى الدرجات العلى في الجنة، ويؤخره اذا اشرك بالله في عبادته، فهو يعمل وهو على يقين ان الله عز وجل لا يظلم ولا ينجس ولا يضيع ولا يؤخر من اخلص لله في عمله، فبعملك واستقامتك واخلاصك لله يقدمك الله ويرفع مرتبتك، فانت اذا لم تطلب العلو في الدنيا بل تبتغي الرفعة عند الله وتخلص لله وترجو الله وتخاف الله وتؤدي زكاة مالك خالصة لله، وتقدم الاعمال الصالحة يقدمك الله ويرفعك الله في الدنيا والاخرة، فالله جل وعلى يقدم الصالح ويؤخر الطالح، يقدم العالم العامل بعلمه، ويؤخر الجاهل المتمادي في غيه، يقدم المحب ويؤخر المبغض، يقدم الطائع ويؤخر العاصي، يقدم المقبل على ربه، ويؤخر المعرض عنه، وهذا عدل منه سبحانه وتعالى، فاذا ادركت انك عبد الله حقا وان الله المقدم المؤخر احبك الله ورفعك ونفعك وقدمك، وحينئذ يجب عليك ان تقدم ما كان الله يحب تقديمه وان تؤخر ما كان الله يحب تاخيره، فلا تيأس ان رأيت تاخيرا لمكافأة، فاحيانا يقدم الله المكافأة لانسان فيرتاح ويقعد ويتوانى ويتكاسل، واحيانا يؤخر الله لانسان المكافأة فييأس، فلا تكن غافلا فلحكمة ما قد يقدم الله المكافأة أو يؤخرها، ولحكمة ما قد يقدم الله العقاب أو يؤخره، فمن اسمائة المقدم المؤخر، فمتى اشرق في قلبك نور اسمه المقدم المؤخر صرت في كل الامور متديرا، فتقدم كل ما قدمه الله، وتؤخر كل ما اخره الله، وحينئذ تكون صادقا مع الله، تقدم طاعة ربك على شهوات نفسك، وتقدم فرائض الله على مصالحك الشخصية، وتقدم زكاة مالك على كسب مال غير

٥٢٠١٠ دعاء الله باسمه المقدم المؤخر

مشروع، وتؤخر هوى نفسك، فانت تعلم ان المقدم المؤخر سينبؤك بما تقدم وبما تؤخر، فكل انسان يوم القيامة ينبؤ بما قدم واجر، فمن قدم ما يرضي الله كان من اسعد الناس في الدنيا والاخرة، وفي الذكر الحكيم: {يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} (١٦) .
دعاء الله باسمه المقدم المؤخر

يا الله يامقدم يامؤخر قدمني الى كل عمل تحبه وترضاه، واخبرني عن كل شيء يورث نداما، وعن كل من يريد بي سواء وماثما، وقدمني باسمائك يارب الارض والسماء، واجعلني مقدما برضاك على كل رضا من النفس والخلق فيما بقى ومضى، مقدما لطاعتك، وقدمني الى جنتك والى الفردوس الاعلى باسمائك وصفاتك العلى، وقدمني ووآلدي والمؤمنين الى ماتحب وترضى انك سميع قريب مجيب الدعاء، انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت سبحانك قدمني والمؤمنين يا ارحم الراحمين، وصلى الله على محمد النبي الامين، وعلى آله وصحبه الراشدين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين، وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **لَلّٰهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِيْ وَاَسْرَافِي فِيْ اَمْرِيْ وَمَا اَنْتَ اَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيْ جِدِّيْ وَهَزْلِيْ وَخَطِيئِيْ وَعَمْدِيْ وَكُلُّ ذَلِكْ عِنْدِي اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيْ مَا قَدَّمْتُ وَمَا**

(١٦) - سورة القيامة الآية (١٣) .

اَخَّرْتُ وَمَا اَسْرَرْتُ وَمَا اَعْلَنْتُ وَمَا اَنْتَ اَعْلَمُ بِهِ مِنِّي اَنْتَ الْمَقْدِمُ وَاَنْتَ الْمُوَخَّرُ وَاَنْتَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ (١٦)

(١٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٤٨٩٦) .

٥٣ الفصل الثاني والخمسون الصيام

الفصل الثاني والخمسون
الصيام

٥٣.١ الصيام

الصيام في اللغة: الامسك والكف عن الشيء، وفي اصطلاح علماء الشرع: الامسك بالنية عن الاكل والشرب والاتصال الجنسي، من الفجر الى غروب الشمس ابتغاء مرضاة الله. وهو الركن الرابع من اركان الإسلام، وقد فرض في السنة الثانية من الهجرة النبوية الشريفة. وينقسم الصوم الى نوعين: فرض: كصيام شهر رمضان، ونقل: كصوم يوم عرفة لغير الحاج. والاصل في فرضيته قول الحق تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون} (١٦) فرض الله الصيام بهذه الايات الكريمة وابان احكامه وهو ركن من اركان الإسلام، وقد جاء في الحديث النبوي: (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) (٢٦)

- ٠ (١٦) - سورة البقرة الآيات (١٨٣-١٨٥)
- ٠ (٢٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٢١)

٥٣.٢ بالصيام تكتسب ملكة التقوى

وقال ابن الرومي:

شهر الصيام مبارك لكنما ... جعلت لنا بركاته في طوله
من كان يألفه فكيف خروجه ... عني بجذع الأنف قبل دخوله
إني ليعجبني تمام هلاله ... وأسر بعد تمامه بخوله
شهر يصد المرء عن مشروبه ... مما يحل له ومن مأكوله
لا أستثيب على قبول صيامه ... حسبي تصرمه ثواب قبوله
اما ابن الصباغ الجذامي فهو يقول:
هذا هلال الصوم من رمضان ... بالأفق بان فلا تكن بالواني
وافك ضيفا فالترم تعظيمه ... واجعل قراه قراءة القرآن
صمه وصنه واغتم أيامه ... واجبر ذما الضعفاء بالإحسان
واغسل به خط الخطايا جاهدا ... بهمول وابل دمعك الهتان
لا غرو أن الدمع يحو جريه ... بانخذ سجا ما جناه الجاني
لله قوم أخلصوا فخلصوا ... من آفة الخسران والخذلان
بالصيام تكتسب ملكة التقوى

الصيام يبعث على الايمان الصادق، ويرقق القلب، ويصفي النفس، ويعين على خشية الله تعالى؛ ولذا استعان به الانبياء في تحقيق مآربهم، والاولياء في تهذيب نفوسهم، والخاصة في شفاء قلوبهم، والعامه في شفاء جسومهم، وفي قوله تعالى (لعلكم تتقون) اشعار بان حكمة الصيام: التمرن على تقوى الله تعالى؛ لانه جل شأنه لم يقل: لعلكم تألمون، او لعلكم تصحون. فالصيام اذا: اختبار روحي، وتجربة

خلقية لاكتساب ملكة التقوى، والتقوى: هي الهدف الاسمي؛ الذي ان أصبته جاءتك كل الثمرات راغمة، وان اخطأته فقد اضعفت عملك كله سدى، وخرجت من دنياك بغير نصيب في الآخرة والعياذ بالله. فاذا وصل العبد الى مرتبة التقوى دانت له الدنيا والآخرة، وصار على جوارحه سيدا مطاعا، واصبح جديرا في الاستخلاف في الارض والتمكين له فيها! وقد يما قيل: " التقوى هي العدة الوافية والجنة الواقية" قال الشاعر:

وما لبس الإنسان ابهى من التقى ... وان هو غالى في حسان الملابس (١٦)

وقال اخر:

لا شيء اعلى من التقوى وصحتها ... ان التقى عزيز حيث ما كان

وقد يقول قائل: ولم كانت التقوى نتيجة من نتائج الصيام دون سائر العبادات؟ والجواب على ذلك: هو ان الصيام ليس كشائر العبادات؛ لأن العبادات لها جوانب شتى تحببها ففي الصلاة مثلا: حلاوة المناجاة، وسعادة القرب من حضرة الرب! وفي الزكاة: اطاعة لاربيحية الكرم والجود، وفي الجهاد: عزة الحمية، وابعاء الضيم، اما الصيام: فليس فيه معاونة من الطبع على ادائه؛ بل فيه على العكس: مقاومة ومعاذته، لذا كان اقرب الاعمال الى خلوص النية من الشوائب؛ ومن اجل ذلك قال المولى سبحانه في

(١٦) - هذا البيت لابي العلاء المعري.

٥٣.٣ الصوم فيه تدريب على القيادة والسيادة

٥٣.٤ فوائد الصوم

الحديث القدسي: (كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ الا الصَّيَامُ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) (١٧)

الصوم فيه تدريب على القيادة والسيادة

الصوم وان كان من مظاهره الجوع والعطش والحرم، فانه تدريب على السيادة والقيادة: السيادة على النفس؛ والتحكم في اهوائها ونزواتها، وقيادتها الى ما يصلحها في دنياها، ويعزها في اخرها! وسيادة النفس ارقى انواع السيادة، واقسى انواع المجاهدة، فاذا ماساد الإنسان نفسه دامت له الدنيا بما فيها ومن فيها، ولم يحل بينه وبين الجنة سوى الموت، يلقي ربه فيفيه بما وعده (٢٦) (إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ) قال الشاعر:

بَشْرَى بِإِسْفَارِ صَبَاحِ النَّجَاحِ ... عَنِ صَفْحَةِ الصَّفْحِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ

هَذَا افْتِتَاحُ الصَّوْمِ مُسْتَقْبَلًا ... عَنِ اخْتِتَامِ بِالرَّضَى وَافْتِتَاحِ (٣٦)

والصيام يدرّب نفوس الصائمين على الشرف والعفة، ويؤهلها لعمل الخير، ويبعدها عن الشر، فالصائم الخائف من ربه لا يخذل ولا يغش، ولا يظلم، ولا يهضم حقا، ولا يسعى للفساد بين الناس، والصيام يخفف الشهوة التي هي ام المعاصي، ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ) (٤٦) .

فوائد الصوم

ان للصوم منافع جمّة وفوائد عظيمة من الناحيتين الاجتماعية والفردية، منها: العطف على المساكين واكرامهم، لان الصائم عندما يجوع يتذكر من هذا حاله في عموم الاوقات فيحمله هذا التذكر على رحمة المساكين ومحبتهم والعطف عليهم، فالرحمة تنشؤ في الغالب الأعم عن التذكر والألم، والصيام طريقة عملية لتربية الرحمة في النفس، وتمية المحبة والؤلفة والتعاطف، ومتى تحققت رحمة الغني للفقير الجائع وعطفه عليه واكرامه نشأت المحبة وحدثت الؤلفة، واصبحت للكلمة الانسانية الداخليه سلطانها النافذ، فيتوحد الاحاسيس والمشاعر فتوحد الانسانية، وتتجه الى الفضيلة، والصوم يبعث في النفس الإيثار والكرم ومحبة اطعام الطعام واكرام الفقراء والاحسان الى الاخوان، وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كان أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان) (٥٦) ومن فوائد الصوم: المساواة بين الاغنياء والفقراء، فهو نظام عملي من اقوى وابدع الانظمة والمبادئ التي جعلها الحق سبحانه وتعالى فريضة اجبارية ليتساوى

- (١٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (١٧٧١) .
 (٢٦) - اوضح التفاسير للعلامة محمد محمد عبد اللطيف , ص ٣٥ , المطبعة المصرية ومكبتها الطبعة الثامنة.
 (٣٦) - هذان البيتان لابن الأبار.
 (٤٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٢٤٨٦) .
 (٥٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٥) .

الجميع في بواطنهم، فهي بمثابة فقر اجباري يراد به اشعار النفس الانسانية بتساوي الجميع في عبادة الصوم لله وحده، فالجميع يتمتع عن الاكل والشرب والجماع ولغو الحديث، والوحدة الحقيقية هي تلك التي تتم حين يتساوى الناس بالشعور، لا حين يختلفون، وحين يتعاطفون باحساس الألم الواحد لحين يتنازعون بالرغبات المتعددة، ان هذا المظهر السامي في الصوم ينير طريق المسلم ويجعل الأمة اكثر تماسكا واكثر اشراقا واعظم نورا ان ادركت القلوب معنى تلك العبادة العظيمة. ومن هنا ندرك ان الإسلام بفرضه هذه العبادة يؤسس لاجتماع المسلمين وقيام وحدتهم التي تقوم على رابطة وحدة الدين والعقيدة ووحدة المبادئ الخلقية والعبادات التي تشعر بوحدة المسلمين واتحاد الموحدين، فقيام المجتمع الاسلامي على مبادئ الفضيلة والاخلاق هو امثل الطرق لتكوين الجماعات الدولية، ولا يعد الاجتماع العنصري او الاقتصادي امثل المجتمعات لتكوين الامم، وذلك لأن الجماعة الواحدة لا تتكون منها امة الا اذا اتحدت المشاعر والاهواء والمنازع النفسية، ولا تتكون هذه المشاعر تحت سلطان تبادل المنافع فقط، وذلك لأن تبادل المنافع يكون عند قيامها، ويزول عند زوالها ولا تتحد النفوس في هذا الظل العارض الذي يتغير بتغير الأحوال والازمان، ولم يعرف ان امة تكونت من مجرد التبادل الاقتصادي او الاشتراك في المنفعة المادية واستمرت وحدتها قائمة وان وجد ما يشعر بمثل ذلك في فترات وجيزة، فهو غير قائم على عرى وثيقة بل انه يزول وان استمر الى حين. وبالموازنة بين تكوين

الامم واتحادها على اساس عنصري وتكوينها وتوحيدها بالدين يتبين ان السير بالانسانية في مدارج الرقي، وقيام العلائق البشرية على اساس من المودة والفضيلة انما يكون تحت ظل الدين لا تحت ظل العنصرية، لان العنصرية تفرض دائما تفضيل عنصر على عنصر، وهي شكل من اشكال التجمع الحيواني، اذ تجتمع فصيلة من الفصائل لتقاتل اخرى، وتصيطر على مكان تقيم فيه لتغالب الاخرين وتنهب ثروتهم، فليس التجمع الانساني على اساس العنصرية الا بقية من بقايا الحيوانية المتناحرة في الإنسان. اما الاجتماع باسم الإسلام فهو اجتماع لا يقوم على المغالبة، بل على الاخوة العامة والمودة الراحمة التي يحث عليها الدين القويم فتتحد فيها المشاعر نحو الفضيلة والمثل العليا التي تنزع بالروح الانساني نحو الملكوت الأعلى، ويخضع فيها الإنسان لخالق الاكوان وحده. ومن فوائد الصوم ايضا: اضعاف سلطان العادة، فقد بلغ ببعض الافراد الى حد الاستعباد، فاذا تاخر عنهم الطعام عن مواعده فاصابهم الجوع ساءت اخلاقهم، وقد يكون سلطان المكيفات من القهوة والشاي والتدخين اشد من سلطان الطعام على اهله، ففرض الله الصيام ليكون فيه تلطيفا وتخفيفا لهذا السلطان الجاح، ومن فوائد الصوم: اضعاف سلطان الاسترسال في الملذات وتخفيف الشره والثبات على المكروه وتعويد النفس الصبر والقرب من الله سبحانه وتعالى واخلاص العبادة له، ومن فوائد الصوم: انه يقي الشخص ان يكون حيوانا يعمل بشريعة الغاب، ويبقى المجتمع بتهيئة الفرد الصالح العامل على خيره

٥٣٠٥ من اسرار الصوم

فيكون انسانا مع انسان لحيوانا ضاريا مع انسان، ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (وَالصَّيَامُ جَنَّةٌ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرَفُثُ يَوْمَهُ وَلَا يَسْخَبُ فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ نَلْخُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطِيبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ وَلِلصَّائِمِ فَرَحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ) (١٦) .
 من اسرار الصوم

من اسرار الصوم انه يتعود فيه الإنسان الابتعاد عن كل ما يغضب الله، فالصائم من اجتناب الكذب والضلال، والغيبة والنميمة، والحسد والشقاق، والالفاظ الباعثة على النفور الموصلة الى الفساد والفجور، وفي الحديث: (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ

فِي أَنَّ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ (٢٦) وقد ذكر الغزالي في احياء علوم الدين من اسرار الصوم
اولا: غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره وإلى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله عز وجل.
ثانيا: حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء، وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه
وتلاوة القرآن

- (١٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (١٩٤٤) .
(٢٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (١٧٧٠) .

٥٣.٦ السحور بركة

ثالثا: كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه، ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل
السحت فقال تعالى " سماعون للكذب أكالون للسحت " وقال عز وجل " لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم
السحت " .

رابعا: كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن الآثام والمكروه، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار.
خامسا: أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه.

سادسا: أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو
من الممقوتين؟ (١٦) قال الشاعر:

إذا لم يكن في السمع مني تصامم ... وفي مقلتي غض وفي منطقي صمت
فحظي إذا من صومي الجوع والظما ... وان قلت اني صمت يوما فما صمت
السحور بركة

لقد حث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السحور لما فيه من قيام الليل ووجود فرصة لذكر الله وتسبيحه وتجيده، والتهجد له
وقراءة القرآن والاستعداد لصلاة الفجر وغير ذلك من اعمال رمضان الخيرية، وما اوقات رمضان الا سوق نافقة تشرى فيه المحامد،
وتكتسب فيها المكارم وتشاد فيها الصالحات، وفي الحديث النبوي: نِعَمَ سَحُورِ الْمُؤْمِنِ التَّمْرُ (٢٦) وقد اجمع اساطين الحكماء وفضائل
العلماء ومهرة الاطباء على نفع التمر وغذائه، فقد اودع فيه الخالق من الخفة والسهولة في الهضم ما يعين الصائم على صيامه وقيامه، فلا
ترك سنة تعجيل الافطار وتأخير السحور فذلك من سنة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا تنس الذكر والاستغفار والدعاء في
الأصباح ففي ذلك خير الدنيا والاخرة، قال الشاعر:

وَالذِّكْرُ فِيهِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ كَمَا ... يُحْيِي الْبِلَادَ إِذَا مَا مَاتَ الْمَطَرُ (٣٦)
بالصوم تغفر الذنوب

في الصوم ثواب كبير واجر جليل فمن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ذنبه، فالصائم تنزل عليه رحمت الله، والصائم له عند فطره
دعوة مستجابة، فرمضان كله خير وموسم عبادة، وفيه ليلة خير من الف شهر، فليلة القدر فيه وهي هبة من الله لهذه الأمة، فاحرص على
قيامها وتمتع بلذة المناجاة فيها، وفي الحديث النبوي: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (٤٦) وفي حديث
اخر: (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (٥٦) فاحرص على الطاعات في شهر الصيام قبل

- (١٦) - احياء علوم الدين للغزالي ج ١ / ص ٢٤٥ بتصرف.
(٢٦) - سنن أبي داود حديث رقم (١٩٩٨) .
(٣٦) - هذا البيت لسابق البربري .
(٤٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٣٧) .
(٥٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (١٢٦٨) .

ان يرحل فهو موسم لحصاد الحسنات فاغتم فيه من الاعمال الصالحات, قال الشاعر:
 ألا إن شهر الصوم عنكم قد انقضى ... فهل مرجع منكم لوشك انصرامه
 وهل فيكم مستوحش لفراقه ... وما فاته من صومه وقيامه
 فلا تغفلوا يا قوم إخراج حقه ... وأدوا زكاة الفطر عند تمامه
 وما شرعت إلا لتكفير لغوه ... ولم تفرض إلا طهراً لصيامه
 فقد فاز من زكى امثالاً لربه ... وحاز بشهر الصوم تكفير عامه (١٦)

فربما كان الصيام لك دواء ولروحك غذاء, فاذا هيمنت الفطرة الايمانية على قلبك في شهر الصيام وغذي قلبك بعوامل حب الله تزودت بالتقوى وفرحت بفضل الله ورحمته واخلصت لله في عبادته وقصدت الله في كل شيء وعرفت انه المقصود في الرغائب المستغاث به عند المصائب, وانه الصمد الكامل في كل الصفات, وانه سبحانه الصمد الذي يصمد اليه في الحوائج وهو الصمد الذي لا يزول ابدًا, وقد قال بعض العلماء: من اراد ان يتحلى بكالات الصمد فليقلل من الاكل والشرب وليترك فضول الكلام, اي الهذر, فن كثير كلامه كثير خطؤه (٢٦), فالؤمن الصائم الصادق في ايمانه لا يقصد بجوائجه غير الله ولا يعول الا على الله ولا يضع الامال الا بالله الصمد الواحد الاحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد, فتعرف على اسمه الصمد تفلح وتسعد.

الصمد من اسماء الله الحسنى

الصمد ورد في كتاب الله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ} (٣٦) وورد في حديث ابي هريرة عند الترمذي ان الله تسعة وتسعين اسما وعد منها (الصمد) وجاء عند البخاري في فضائل القرآن من حديث ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لاصحابه: (أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة, فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال الله الواحد الصمد ثلث القرآن) (٤٦) وروى البيهقي بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (الصمد), قال: السيد الذي كمل في سؤدده والشريف الذي كمل في شرفه والعظيم الذي كمل في عظمته, والحليم الذي كمل في حلمه, والغني الذي كمل في غناه, والجبار الذي كمل في جبروته, والعالم الذي كمل في علمه, والحكيم الذي كمل في حكمه, وهو الذي كمل في أنواع الشرف والسؤدد وهو الله عز وجل هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفو (٥٦) وليس كمثلته شيء, فسبحان الله الواحد القهار (٦٦), والصمد هو الذي تصمد اليه جميع المخلوقات اي تقصده بالذل والحاجة والافتقار وهو الذي كمل في علمه, وحكمته وحلمه وقدرته وعظمته ورحمته وسائر اوصافه

(١٦) - وردت هذه الايات في الازدهار للسيوطي غير منسوبة الى قائل بعينه.

(٢٦) - موسوعة اسماء الله الحسنى, ص ٥٣٥.

(٣٦) - سورة الصمد الآيات (١-٢).

(٤٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٤٦٢٨).

(٥٦) - الكف والكفو بسكون الفاء وضمها: النظير والمثل.

(٦٦) - الاسماء والصفات للبيهقي, ص ١٠٨.

فهو كامل الصفات, وقال الدكتور النابلسي: معنى الصمد: القصد. وفي حديث معاذ ابن الجموح في قتل ابي جهل قال: فصمدت له اي قصدته حتى امكنتني منه غرة. هذا المعنى الاول في اللغة. الصمد: القصد. والصمد كذلك: السيد المطاع الذي لا يقضى دون امره, واصمد اليه الأمر: اسنده اليه (١٦). فالله جل وعلى هو الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وهو الذي اسندت الأمور اليه, فلم يقض فيها غيره وهو الذي يصمد اليه في الحوائج اي يقصده الخلق في كل الحاجات, وهو الدائم الباقي بعد فناء خلقه, وهو الذي خلق كل شيء ولا يستغني عنه شيء, وهو مستغن عن كل احد, وهو الذي تقدست ذاته عن ادراك الابصار والعيان فالابصار والحواس لاتدركه. قال الشاعر:

صمد بلا كفاء ولا كيفية... أبداً فما النظراء والاشباه
شهدت غرائب صنعه بوجوده... لولاه ما شهدت به لولاه
واليه أذعنت العقول فآمنت... بالغيب تؤثر حبها اياه
سبحان من عنت الوجوه لوجهه... وله سجود أوجه وحباه
طوعاً وكرها خاضعين لعزه... فله عليها الطوع والاكراه
سل عنه ذرات الوجود فانها... تدعوه معبودا لها رباه
ما كان يعبد من الاله غيره... والكل تحت القهر وهواله (٢٠)

(١٦) - موسوعة اسماء الله الحسنى ص ٥٢٣.

(٢٠) - هذه الايات للبرعي.

٥٣٠٧ ثمرة معرفة اسم الله الصمد

ثمرة معرفة اسم الله الصمد

اذا علم المكلف ان الله تبارك وتعالى الأحد الصمد وجب عليه ان يؤمن به، وان يوحدَه مخلصاً فقد علم الا صمدانية ولا وحادانية الا لله وحده، فلا يقصد غيره ولا يلجأ في الحوائج الا اليه، فمن اراد ان يتخلى بكالات الصمد فليقلل من الاكل والشرب وليترك فضول الكلام، وان يتخلى بهذا الاسم العظيم فيجعل نفسه مقصوداً من قبل الناس للخير، معيناً لهم على حوائجهم، ومن تخلى بكالات الصمد اكثر من ذكر الصمد، فمن احب السور الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سورة الاخلاص التي ورد فيها اسم الله الصمد وقد ورد في بعض الاحاديث انها تعدل ثلث القرآن، وتلاحظ في شهر رمضان ان الإنسان لتركه الطعام والشراب تصفو نفسه، وفي الامثال السائرة: "البطنة تذهب الفطنة" والانسان الذي يعلم ان الله الصمد وحده هو الذي يُطعم ولا يُطعم، ويقصد في كل الأمور والحاجات يتوجه اليه ويتوكل عليه ويرغب لما عنده ويحتكم الى شريعته ويرجع الى الله الصمد الذي كلمت قدرته وعظم سلطانه، رب كل شيء ومليكه المحكم تديره والعدل تقديره، في كل اموره يدعوه ويرجوه فهو الذي لا يعجزه شيء ولا يفوته مطلوب.

دعاء الله باسمه الصمد

يا الله يا صمد يا واحد ليس لنا سواك يا الله مقصد، فانلني والمؤمنين من طاعتك ماتحب به ان تعبد واطعمنا من طيبات رزقك في اليوم وغدا، وارفعنا

الى الدرجات العلى من الجنة يا صمد يا واحد يا احد، واسألك يا الله يا صمد ان تنفخني بنفحة خير منك في الدنيا والاخرة وان تجعلني موحدا لك يا واحد يا صمد واغفر لي ولوالدي والمؤمنين يا قدوس يا صمد، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله واصحابه والتابعين واستجب دعائي يا صمد يا كريم.

٥٤ الفصل الثالث والخمسون الحج

٥٤٠١ الحج

الفصل الثالث والخمسون

الحج

الحج

الحج لغة: القصد الى معظّم. وفي الشرع: قصد البيت الحرام بمكة للعبادة باداء اعمال مخصصة في زمن مخصوص لمن استطاع اليه سبيلاً، وهو الركن الخامس من اركان الإسلام فرضه الله على كل بالغ مستطيع. والحج في الإسلام يختلف عن الحج في سائر الاديان،

اذ ان الحج عندها عبارة عن التبرك بقبور القديسين وما تركوه من اثار ومبان, وهذا ما كرهه الإسلام ونفر منه. فالاسلام يعتبر الحج وسيلة لتحقيق الفوائد الروحية والادبية والاجتماعية والاقتصادية, والدليل على ذلك قوله تعالى: {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ* لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ} (١٦) وقد فسر العلماء المنافع يانها دينية ودينية معا, والدين والدنيا في نظر القرآن مترابطان ترابط الروح بالجسد, فاذا كان الدين يمد الروح بالايمان الصحيح والاداب, فان امور الدنيا تمده باسباب البقاء ودواعي الارتقاء, والحج مؤتمر عام لتوحيد غايات المسلمين وتوجيههم الى مصادر الحياة الصحيحة بما يقتبسه بعض شعوبهم من ثقافات البعض الاخر, وفيه تعويد للنفس على مكارم الاخلاق والبعد عن الرث والفسوق والشقاق, وفي الذكر الحكيم: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ} (١٦) - سورة الحج الآيتان (٢٧-٢٨) .

٥٤.٢ في الحج اجتماع الناس وتآلفهم

اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} (١٦) والحج ركن الإسلام ومجتمع الاخوان وفيه تعظيم لشعائر الرحمن, وفي الحديث النبوي الشريف: (بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ) (٢٦) , والحج خير وبركة فمن حج البيت زكاة نفسه وغفر ذنبه وظفر بخير وفير واجر كبير, قال الشاعر:
هنيئاً لمن حج بيت الهدى ... وحطَّ عن النفس أوزارها (٣٦)

وقال اخر:

حبذا الحج وأيام منى ... ومُصَلَّانا وتقبيلُ الحجر (٤٦)

اما صالح الكواز الحلي فهو يقول:

أرى الحج شاهد عدل لكم ... بتأدية الفرض مهما وجب

في الحج اجتماع الناس وتآلفهم

لقد اهتم الشارع الحكيم باجتماع الناس وتآلفهم, وتبادلهم الاخوة الدينية, والمحبة الخالصة, فشرع صلاة الجمعة: ليختلط ابناء أهل الحلي الواحد, وشرع الجمعة: ليجتمع أهل البلدة, وشرع الحج: ليجتمع أهل الاقطار والامصار؛ ليتعارفوا, ويتحابوا, ويتبادلوا الاراء العامة؛ التي تعود بالنفع على الأمة الإسلامية في سائر اقطار المجموعة, قال الشاعر:

هذه مكة العزيزة بيت الله ... يسعى لحجها الثقلان

فالكعبة هي اول بيت وضع للناس لعبادة الله وحده وفي القرآن الحكيم: {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (٥٦)

جعل الله الكعبة البيت الحرام مثابة للناس وامنا

لقد جعل الله للبشر في زحمة الصراع منطقة امان انها الكعبة المشرفة.

والكعبة: البيت الحرام, سمي بذلك كما يقول أهل اللغة لتريعه (٦٦) , وقال ابن الجوزي: وفي تسميتها بالكعبة قولان: احدهما لانها مربعة, والثاني لعلوها. وقال ابن خلدون: وتسمى الكعبة لعلوها من اسم الكعب (٧٦) . انها منطقة الامان التي جعلها الله للبشرية منذ بناء هذا البيت على يد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام حينما اسساه على التوحيد, قال تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ

لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ { (٨٦) فما

(١٦) - سورة الحج الآية (١٩٧) .

(٢٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٧) .

(٣٦) - هذا البيت لابن جبير .

(٤٦) - هذا البيت لابن الرومية .

(٥٦) - سورة آل عمران الآيات (٩٦-٩٧) .

(٦٦) - مختار الصحاح، ص ٥٨٦ .

(٧٦) - مقدمة ابن خلدون، ص ٣٥٣ .

(٨٦) - سورة الحج الآية (٢٦) .

احوج البشرية المفزعة الوجلة، المتطاحنة المتصارعة الى منطقة الامان التي جعلها الله للناس في هذا الدين، وبينها للناس في القرآن الحكيم ليعلموا ان الله يعلم ما في السماوات والارض وان الله بكل شيء عليم ليعلموا انه الله سبحانه وتعالى يعلم طبائع البشر وحاجاتهم ومكونات نفوسهم وهتاف ارواحهم وانه يقرر شرائعه لتلبية الطباع والحاجات، والاستجابة للاشواق والمكونات فالبشرية كلها بحاجة الى عبادة الله بحاجة الى عونه وتوفيقه وتسديده بحاجة الى امان والى منطقة آمنة تقدم في وسط المعركة المستعرة بين المتخاصمين والمتصارعين والمتزاحمين على الحياة بين الاحياء من جميع الانواع والاجناس.. بين الرغائب والمطامع والشهوات والضرورات لتحل الطمأنينة محل الخوف ويحل السلام محل انحصام، وترفرف اجنحة من الحب والإخاء والامن والسلام وتدريب النفس البشرية في واقعها العملي - لا في عالم المثل والنظريات- على هذه المشاعر وهذه المعاني قال تعالى: { جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهُدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (١٦) لقد جمع الله في هذا النص بيان حرمة المكان وحرمة الزمان لانه اراد ان يجعل الكعبة بيت الله الحرام والمسجد الحرام مثابة امن وسلام. تقيم الناس وتقيم الخوف والفرح، كذلك جعل الله الاشهر الحرم لتكون منطقة امن في الزمان كالكعبة منطقة امن في المكان ثم مد الامن الى خارج منطقة الزمان والمكان، فجعله حقا

(١٦) - سورة المائدة الآية (٩٧) .

للهدى الذي يساق ليلبغ الكعبة في الحج والعمرة؛ فلا يمسه احد في الطريق بسوء، ان ذلك الامن والامان يشمل الإنسان والطيور والحيوان والحشرات بالامن في البيت الحرام، وفي فترة الاحرام بالنسبة للمحرم حتى وهو لم يبلغ الحرم، انها بحق منطقة السلام والسماحة التي يثوب اليها الناس ويقصدونها بالحج، وقد ذكر بعض العلماء انه ماعلى وجه الارض بلدة يستجاب فيها الدعاء في خمسة عشر موضعا الا مكة؛ اولها جوف الكعبة الدعاء فيها مستجاب، والدعاء عند الحجر الاسود مستجاب، والدعاء عند الركن اليماني مستجاب، والدعاء عند الحجر مستجاب، والدعاء خلف المقام مستجاب، والدعاء في الملتزم مستجاب، والدعاء على الصفا والمروة مستجاب، والدعاء بين الصفا والمروة مستجاب، والدعاء بين الركن والمقام مستجاب، والدعاء بمبنى مستجاب، والدعاء بعرفة مستجاب، والدعاء في المشعر الحرام مستجاب (١٦) ، قلت ليس ذلك فحسب فالصلاة في مكة بمائة الف صلاة وفيها بركة البيت وفضيلة التجميع والامن النفسي في المنطقة الامنة وفي الزمن الامن وهناك تصفو النفس البشرية وترق فتتصل بالملا الأعلى وتتهيأ للتعامل مع البشرية بلطف وامن، فهناك تحس قلوب الناس برحمة الله في شريعته وتذوق جمال هذا التطابق بينها وبين فطرتهم، ان الحاج يشعر حينما يتطوف بالبيت العتيق بالمنافع العظيمة التي شهدها، انها الوحدة الحقيقية بلا ريب والوحدة النفسية والفكرية والاحساس بالجامعة

(١٦) - وصف الكعبة المشرفة وتاريخها تأليف الشيخ احمد جاد، ص ٢١، طبعة دار الغد الجديد المنصورة مصر الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

العامة التي تجمع الأمة على تعظيم شعائر الله وتوحيده وقد جعلهم الله شعوبا وقبائل ليتعارفوا فآكرمهم عند الله هم أهل التقوى الذين يدينون بدين الوحدانية ودين الاجتماع، وهم امة واحدة يجتمعون باسم الإسلام ويجنون البيت الحرام وهو اجتماع على الهدى والرشد

والخير، لا يقوم على المغالبة بل على الاخوة العامة والمودة الراحمة التي يحث عليها هذا الدين القويم، ان هذا الحج وهذا الاجتماع وهذا المؤتمر العظيم اذا اخلص الإنسان فيه لله وكان حجه مبرورا خرج الإنسان من ذنوبه وكسب الاجر الكبير، والحج المبرور كما روي ذلك في الحديث النبوي (ليس له جزاء الا الجنة) (١٦) والحج المبرور هو الذي لا يخالطه اثم ولا ذنب ولا انحراف. ان اجتماعا على توحيد الله وتعظيم شعائره واداء فريضة الحج ومناسكه في منطقة الأمان التي جعلها الله مثابة للناس وامنا نعمة عظيمة ومنة كبيرة، انه الاجتماع على محبة الله والحب في الله الذي اساسه الالتزام بمنهج الله، وهو مقياس الايمان وعنوان التوفيق في الدنيا ورضوان الله في الآخرة، وليس تجمعا لاضهاد امة ونهب ثروة واخافة امن كما نطق بذلك شاعر فقال:

تجتمع من كل جنس وأمة ... ولون لحفظ السلم، هل حُفِظَ السِّلْمُ
وهل رفع الحق الذليل جبينه ... وهل نحن بتنا لا يروعننا الظلم
سمعنا كلاما لذ في السمع وقعه ... وربّ لذيد شاب لذته السم
أرى الدول الكبرى لها الغنم وحدها ... وقد عادت الصغرى على رأسها الغرم
(١٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (١٦٥٠) .

٥٤.٣ الاحرام وحكمته

الا كل شعب ضائع حقه سدى.....اذا لم يؤيد حقه المدفع الضخم
متى عفت الذئبان عن اكل صيدها ... وقد امكنتها من مقاتلتها البهم
الاحرام وحكمته

اذا وصل الحاج او المعتمر الى المواقيت التي عينها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمن يريد ان يدخل الى الحرم لاداء الحج او العمرة واراد ان يدخل في الاحرام تجرد من ثيابه ولبس ازارا ورداء ابيضين هي ثياب الاحرام ويقول عند الاحرام في الميقات ان كان يريد العمرة (لبيك بعمرة، او لبيك بعمرة متمتعا بها الى الحج، ان كان قد قصد التمتع الى الحج) او يقول: (لبيك اللهم بحج وعمرة) ان كان قد قصد الجمع بينهما وكان حجه قرانا، وان كان قد قصد الحج مفردا فيقول (لبيك اللهم بحج) ولا يكتفي بمجرد ما في قلبه من قصد الحج ونيته، فان القصد مازال في القلب منذ خروجه من بلده، بل لا بد من قول او عمل يصير به محرما في الميقات وذلك كان يقول: لبيك اللهم بحج، او لبيك اللهم بعمرة متمتعا بها الى الحج، او لبيك اللهم بحج وعمرة، فاذا لبي قاصدا للاحرام انعقد احرامه اتفقا. واذا دخل المسلم في الاحرام حرم عليه ان يتخذ اي وسيلة من وسائل الرفاهية والزينة، فلا يتطيب ولا يلبس من الثياب ما فصل على الجسم وخيط من حلة أو قيص او بنطلون ولا ينتعل حذاء ساترا للرجل الا نعلا ساذجة، ولا يتزين بالحوام

وما اشبه ذلك ولا يخلق ولا يقصر اظفاره، ولا يقرب النساء. والحكمة من ذلك كله ان الحج عبادة الغرض منه التقرب الى الله والوصول الى ماعده سبحانه للنفس المحسنة من حسن الجزاء، ولا يكون ذلك الا باشعار النفس بضرورة الاقتصار على ماهو ضروري فقط. والتجرد لله في جميع الحركات والسكات من الأمور التي تشغل النفس من زخارف الحياة التي تصرفها في لحظات الاحرام واداء المناسك عن الاخلاص لله في العبادة مما يسمو ويرتفع بالنفس فوق المادة وفوق ما اعتادت من الخضوع له من الشهوات والزينة، وفي ذلك رياضة ترجع بالنفس الى طبيعتها الاولى، فالإنسان بفطرته وطبيعته يشعر عندما يرجع الى فطرته وطبيعته انه اذكى روحا واطهر قلبا، وفي رياضة النفس على المشقة واحتمال المكروه عند القيام باداء المناسك وهو في حالة احرام ما يربي النفس ويدربها على قوة الاحتمال، فهذا نظام الكشافة الرياضي الذي اخترعه البشر له اثر على تربية النشء على قوة الاحتمال؛ فكيف لا تكون رياضة الاحرام واداء المناسك ابلغ اثرا واكثر نفعا وهو الذي يحمل النفس ويدربها على المشقة وعلى الإيثار وعلى المسارعة في فعل الخير وعلى الاجتماع وعلى الخضوع لله الواحد القهار، وعلى العبادة والالتزام بمافرضه الله وكتبه، وعلى الاحسان، وهي تشهد ما يظهر عليه الحاج في لباسهم الموحد غنيهم وفقيرهم وقويهم وضعيفهم مؤحدين وموحدين لله وذلك ما يحمل معنى المساواة والاخوة الشاملة التي يحرص الإسلام على غرسها في نفوس اتباعه، ان الإنسان ليشعر ان الإسلام دين

محبة وسلام، فالحرم عندما يرى البيت الحرام يقول في امن وسلام (اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتكريماً ومهابة، وزد من حجه وواعتمره تكريماً وتشريفاً) ان هذا الدعاء يدل على ان من اهداف الحج غرس حب السلام في النفوس، واستئصال روح الكراهية والبغضاء وتوجيه الناس الى ان يعيشوا اخوة متحابين. (١٦) ويؤيد هذا المعنى ما جاء في القرآن { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ

الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقَوْنَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } (٢٦) . وقال الشاعر:

حجدا الحج وأيام منى ... ومصلانا وتقيل الحجير (٣٦)

الحج المبرور

الحج المبرور لارفت ولافسوق فيه، والحج المبرور لابد ان يكون الحاج ماله حالاً وملبسه حالاً والحج المبرور يكفر الذنوب ويعود الإنسان على الطاعة والاستقامة، والحج المبرور لابد ان يؤديه الإنسان خالياً عن الرياء والسمعة، فيتوجه الإنسان الى ربه بقلب خالص وزاد طيب وان يكون الإنسان قد عزم على التوبة والرجوع الى الله ورد المظالم الى اهلها وهجر المعاصي واصحابها، وان يسبح الله سبحانه وتعالى ويشكره كلما صعد شرفاً

(١٦) - روح الدين الاسلامي، ص ٢٦٢.

(٢٦) - سورة البقرة الآية (١٩٧) .

(٣٦) - هذا البيت لابن الرومي.

اوركب مركبا او دخل مكانا فهو يلاحظ عند مفارقة وطنه امثال امر ربه واتباع نهج نبيه وان يحمده الله عند دخوله مكة محرماً وان يتذكر عظمة الله وعظمة بيته، والا يتهاون بحرمته البيت بل يخشع ويتضرع ويسجد ويركع، ويطلب الرضوان من الرحيم المنان، وان يكون عند طوافه بالبيت موقناً انه بحضرة الرب جوار بيته متفكراً في عظيم جلاله وكبير هيئته وان يبائع الله عز وجل على التزام طاعته، وان يسأله العون على ذلك، وان التزم الملتزم قصد التقرب من ربه واشتاق الى لقائه واستعاذ بالله من عذابه واليم عقابه والا يترك الذكر والدعاء والتضرع والرجاء لرب الارض والسماء، ولا يغرنك حال من حج بمال حرام وتناول على الناس في المسجد الحرام وانغمس في اللهو والاثام فحظه عمل البهتان والزور قال الشاعر:

إِذَا حَجَّجْتَ بِمَالٍ أَصْلُهُ دَنَسٌ ... فَمَا حَجَّجْتَ وَلَكِنْ حَجَّجْتَ الْعَيْرُ

لَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا كُلَّ طَيِّبَةٍ ... مَا كُلُّ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللَّهِ مَبْرُورٌ (١٦)

وقال اخر:

يحبون بالمال الذي يجمعونه ... حراماً الى البيت العتيق المحرم

ويزعم كل منهم أن وزره ... يحط ولكن فوقه في جهنم

وقال اخر:

يحب لكيما يغفر الله ذنبه ... ويرجع قد حطت عليه ذنوب

اما احمد شوقي فهو يقول:

(١٦) - هذان البيتان لابي الشمقمق.

وَيَا رَبِّ هَلْ تُعْنِي عَنِ الْعَبْدِ حَجَّةٌ ... وَفِي الْعُمْرِ مَا فِيهِ مِنَ الْهَفْوَاتِ

وَلَشَهْدُ مَا آذَيْتُ نَفْسًا وَلَمْ أَضُرْ ... وَلَمْ أَبْغِ فِي جَهْرِي وَلَا خَطْرَاتِي

وَلَا غَلَبَتْنِي شِقْوَةٌ أَوْ سَعَادَةٌ ... عَلَى حِكْمَةٍ آتَيْتَنِي وَأَنَاةٌ

وَلَا جَالٌ إِلَّا الْخَيْرُ بَيْنَ سَرَائِرِي ... لَدَى سُدَّةِ خَيْرِيَّةِ الرَّغَبَاتِ

وَلَا بَتُّ إِلَّا كَابِنٍ مَرِيْمٍ مُشْفِقًا ... عَلَى حَسَدِي مُسْتَغْفِرًا لِعِدَاتِي
 وَلَا حَمَلَتْ نَفْسٌ هَوَى لِبِلَادِهَا ... كَنَفْسِي فِي فِعْلِي وَفِي نَفْثَاتِي
 وَأَنِّي وَلَا مَنْ عَلَيْكَ بِطَاعَةٍ ... أَجَلٌ وَأُعْلِي فِي الْفُرُوضِ زَكَاتِي
 أَبَالُغُ فِيهَا وَهِيَ عَدْلٌ وَرَحْمَةٌ ... وَيَتْرُكُهَا النَّسَاكُ فِي الْخَلَوَاتِ
 وَأَنْتَ وَلِيُّ الْعَفْوِ فَاحْ بِبِصَاحِجٍ ... مِنْ الصَّفْحِ مَا سَوَّدَتْ مِنْ صَفْحَاتِي
 وَمَنْ تَضْحَكُ الدُّنْيَا إِلَيْهِ فَيَغْتَرَّرُ ... يَمُتْ كَقَتِيلِ الْغَيْدِ بِالْبَسْمَاتِ
 وَقُلْ لِرَسُولِ اللَّهِ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ ... أَثْبُكَ مَا تَدْرِي مِنَ الْحَسَرَاتِ
 شُعُوبُكَ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا ... كَأَصْحَابِ كَهْفٍ فِي عَمِيقِ سُبَاتِ
 بِأَيْمَانِهِمْ نُورَانَ ذِكْرٍ وَسَنَةَ ... فَمَا بِالْهَمِّ فِي حَالِكِ الظُّلُمَاتِ
 وَذَلِكَ مَاضِي مَجْدِهِمْ وَنَخَارِهِمْ ... فَمَا ضَرَّهُمْ لَوْ يَعْمَلُونَ لِآتِي
 وَهَذَا زَمَانٌ أَرْضُهُ وَسَمَاؤُهُ ... مَجَالٌ لِمَقْدَامِ كَبِيرِ حَيَاةِ
 مَشَى فِيهِ قَوْمٌ فِي السَّمَاءِ وَأَنْشَأُوا ... بَوَارِجَ فِي الْأَبْرَاجِ مُنْتَعَاتِ
 فَقُلْ رَبِّ وَفَقِّ لِلْعِظَائِمِ أُمَّتِي ... وَزَيْنَ لَهَا الْأَفْعَالِ وَالْعَزَمَاتِ
 الْحِكْمَةُ مِنَ الطَّوَافِ

قد جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس ومثابة يرجعون اليه ليذكروا الله ويعظموه فالحاج والمعتمر يطوف سبعة اشواط حول الكعبة جاعلا الحجر الاسود نقطة الابداء. فالبيت رمز لعبادة الله وتوحيده وهو اول بيت وضع للناس فكان الطواف حوله بمثابة تحية لذلك البيت العتيق الذي وضع لعبادة الله وحده، ففي الطواف تشبه بالملائكة الحافين حول عرش الله الطائفين حوله، المسبحين له وفي ذلك ما يدعو الى سمو الروح واخلاص العبادة لله والشعور بان هذا البيت وضع لذكر الله، فانت تصلي في اليوم خمس مرات او اكثر وتوجه بصلاتك شطر هذه الكعبة المشرفة، وانت حينما تحج او تعتمر تحيي هذا المكان الذي بناه ابراهيم عبادة لله وحده {وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} (١٦) قال الشاعر:

فَإِذَا وَصَلْتُمْ سَالِمِينَ فَبَلَّغُوا ... مَنِّي السَّلَامَ أَهْيَلِ ذَاكَ الْوَادِي
 وَتَذَكَّرُوا عِنْدَ الطَّوَافِ مَتِيماً ... صَبّاً فَنِي بِالشُّوقِ وَالْإِبْعَادِ
 لِي مِنْ رَبِّهَا أَطْلَالَ مَكَّةَ مَرغَبٌ ... فَعَسَى الْإِلَهَ يُجِودُ لِي بِمِرَادِي
 وَيُلُوحُ لِي مَا بَيْنَ زَمْرَمٍ وَالصَّفَا ... عِنْدَ الْمَقَامِ سَمِعْتَ صَوْتَ مِرَادِي
 وَقَدْ قِيلَ إِنْ حَكْمَةَ الطَّوَافِ حَوْلَ الْكَعْبَةِ تَمَثَّلُ فِي تَكْرِيمِهَا عَنِ الْيَقِينِ، وَتَحِيَّتِهَا عَنِ الْعَقِيدَةِ صَافِيَةٍ، نَثَقَ فِي أَنْ تَكْرِيمَ أَوَّلِ بَيْتِ وَضَعِ لِعِبَادَةِ
 اللَّهِ فِي أَرْضِهِ هُوَ أَهَمُّ أَسْبَابِ اسْتِجْلَابِ الرَّحْمَةِ، فَالْمَزُورُ كَرِيمٌ، وَبَيْتُهُ عَظِيمٌ،

(١٦) - سورة البقرة الآية رقم (١٢٥) .

٥٤.٥ حكمة السعي بين الصفا والمروة

والحكمة الخاصة بالطواف: أنه إقامة لذكر الله تعالى وهذه الحكمة قد نصت عليها السنة المطهرة فقد روى أبو داود في سننه قال: "حدثنا مسدد حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا عبید الله بن أبي زياد عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله (١٦٠) حكمة السعي بين الصفا والمروة

السعي بين الصفا والمروة يبدأ من الصفا وينتهي بالمروة، والمسلم اذا صعد الصفا استقبل القبلة وكبر ثلاثا وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده، ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم يدعو الله بما شاء، ثم ينزل من الصفا وهو يمشي متجها الى المروة ويسعى بين الميادين - العلم الاحضر - بسرعة تزيد عن المشي وتقل عن الركض ثم يمشي حتى يأتي المروة فيرتقي عليها ويصنع عليها مثلما صنع في الصفا من استقبال القبلة والتوحيد والدعاء فاذا انتهى من الشوط السابع على المروة فان كان متمتعا فانه يقصر شعر رأسه كله وكذلك اذا كان معتمرا في رمضان او غيره فبالشوط السابع تنتهي العمرة، والمعتمر ان يقصر شعر رأسه او يخلق من السعي وما السعي بين الصفا والمروة الا اداء لنسك وتعظيما لشعيرة الله،

(١٦٠) - سنن أبي داود حديث رقم (١٦١٢) .

٥٤.٦ الحكمة من الوقوف بعرفة

وفي السعي بين الصفا والمروة لجوء الى الله في كشف الضر واصلاح النفس فقد كشف الله الضر عن هاجر وولدها اسماعيل وفجر لهما نبع ماء زمزم بعد ان كاد العطش يودي بهما، والسعي بين الصفا والمروة وان كان فيه تمارين رياضية تشبه التمارين العسكرية فان من الخضوع والعبادة لله وحده والطاعة والتجلي بالصبر والذكر لله والتعظيم له ما يشكره الله ويغفر به الذنب ويضاعف به الاجر فمع الاجتهاد ينال الثواب، وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ الصَّافَاَ وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} (١٦١) وقال الشاعر:

وسدد السعي واجعله نخالقنا ... محضاً تجد ذاك يوم الحشر والنشر

واذكر الاهك في الساعات مجتهداً ... ولا تفوه بغير الذكر والسور

وراقب الله فيما أنت طالبه ... كيما تفوز بخير الورد والصدر (٢٦٠)

الحكمة من الوقوف بعرفة

الوقوف بعرفة هو ركن من اركان الحج لا يتم الحج الا به، وفيه اشعار للمسلمين بالوحدة، والالفة، واتفاق المصالح، والاستواء امام ربوبية الله جل وعلا دون تفرقة بين صغير وكبير، ولا بين غني وفقير، ولا بين صعلوك وامير، وذلك ما يدعو الى توحيد الله واتحاد القلوب والمشاعر، وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} (٣٦) وفي الحديث النبوي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطب الناس وقال (الا ان ربكم واحد وان اباكم واحد) (٤٦) فهو يدعو الى توحيد الله الى وحدة المعبود وبين وحدة الاصل، ووحدة الأمة، ووحدة الفكر. ووحدة الاهداف وان المسلم ليشعر في يوم عرفة بتحمل مسؤولية حقيقية، تشمل الفرد، بوصفه فردا في الأمة التي تلتقي على صعيد واحد، فافرادها جميعا متضامنون في تحمل هذه المسؤولية، واحتمال تبعاتها، وان اولياء الأمر في هذه الأمة وعلماءها وقادة الفكر فيها اول من تقع عليهم المسؤولية، فهم جميعا محاسبون امام الله، وان الجميع على مختلف الوانهم واشكالهم يسألون الها واحدا يرجون مغفرته ويخشون عذابه وعقابه. ويوم عرفة هو يوم تغفر فيه الذنوب وتستجاب فيه الدعوات وينتصر الإنسان على شهواته وانانيته وعلى الشيطان الرجيم، ان من حكم الوقوف بعرفة: تجديد الشخصية والانخلاع من الماضي المشوب بالاثم والباطل وتجديد العهد مع الله على استئناف حياة نظيفة مستقيمة، ففي الحديث النبوي (من حج لله وفلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه) (٥٦) ان

في يوم عرفة يحس المؤمن باللقاء الروحي مع اخيه المؤمن وذلك مايشعره بحقيقة ماورد في الحديث النبوي (المسلم اخو المسلم لا يظلمه

(١٦) - سورة البقرة الآية (١٥٨) .

(٢٦) - هذه الايات لابراهيم الخصري .

(٣٦) - سورة الانبياء الآية (٩٢) .

(٤٦) - الامام احمد في مسنده حديث رقم (٢٢٣٩١) .

(٥٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (١٤٢٤) .

ولا يسلمه) (١٦) فعلى المسلم ان يذهب الى عرفة بدلا من ان يذهب الى اقصى الارض في رحلة سياحية ربما اقترف فيه الاثم، فليذهب ليتلاقى مع أهل الحق واهل التقوى ليتصل بالذين يلتمسون النور من السماء من رب العزة والجلال الذي جعل الحج سبيلا رحمة ومنزل تعارف على مائدة الرحمن وليتخذ منه سبيلا للتعارف والدراسات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية اقتداء بهدي النبي الكريم وما كان عليه سلف هذه الأمة، وما خطبة حجة الوداع عن المسلمين ببعيد، قال الشاعر:

إِلَى عَرَفَاتِ اللَّهِ يَا خَيْرَ زَائِرٍ ... عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ فِي عَرَفَاتِ

عَلَى كُلِّ أَقْفٍ بِالْمَجَازِ مَلَائِكٌ ... تَزُفُّ تَحَايَا اللَّهِ وَالْبَرَكَاتِ

إِذَا حَدِيثِ عَيْسِ الْمُلُوكِ فَإِنَّهُمْ ... لِعَيْسِكَ فِي الْبَيْدَاءِ خَيْرُ حُدَاةِ

لَدَى الْبَابِ جِبْرِيلُ الْأَمِينُ بِرَاحِهِ ... رَسَائِلُ رَحْمَانِيَّةِ النَّفْحَاتِ

وَفِي الْكَعْبَةِ الْغَرَاءِ رُكْنٌ مَرْحَبٌ ... بِكَعْبَةِ قُصَادٍ وَرُكْنٌ عَفَاةِ

وَمَا سَكَبَ الْمِيزَابُ مَاءً وَأَمَّا ... أَفَاضَ عَلَيْكَ الْأَجْرَ وَالرَّحْمَاتِ

وَزَمْرٌ مُتَجَرِّي بَيْنَ عَيْنَيْكَ أَعِينًا ... مِنَ الْكَوْثَرِ الْمَعْسُولِ مُنْفَجِرَاتِ

وَيَرْمُونَ إِبْلِيسَ الرَّجِيمَ فَيَصْطَلِي ... وَشَانِيكَ نِيرَانًا مِنَ الْجَمْرَاتِ

يُحْيِيكَ طَهَ فِي مَضَاجِعِ طَهْرِهِ ... وَيَعْلَمُ مَا عَالَجَتْ مِنْ عَقَبَاتِ

وَيُنْثِي عَلَيْكَ الرَّاشِدُونَ بِصَالِحٍ ... وَرَبِّ ثَنَاءٍ مِنْ لِسَانِ رُفَاتِ

لَكَ الدِّينُ يَا رَبَّ الْحَيِّجِ جَمْعَتَهُمْ ... لِبَيْتِ طَهْوَرِ السَّاحِ وَالْعَرَصَاتِ

(١٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٤٦٧٧) .

٥٤٠٧ العظيم من اسماء الله الحسنی

أرى الناس أصنافاً ومن كل بقعة ... إليك إنتهوا من غربة وشتات

تساؤوا فلا الأنساب فيها تفاوت ... لديك ولا الأقدار مختلفات (١٦)

انك اخي في عرفات تعبد الله العظيم وتؤمن بالله العظيم فاذا علمت ان الله عظيم فعليك ان تعظم شعائر الله، ان تعظم كتابه، ان تعظم امره، ولا يغرك من يعظمون الاقوياء والاغنياء من الناس فانهم لا يدركون عظمة الله، فانك اذا لم تؤمن بالله العظيم لن تطيع الله عز وجل، فانت لو سالت هؤلاء الذين يعصون الله ليلا ونهارا، في كسب اموالهم، وفي تعاملهم مع الناس، وفي عدوانهم على الاخرين، وفي استعلائهم بالجاه او السلطان، وفي انحيازهم لمصالحهم الا تؤمنون بالله لاجابوا عليك نحن نؤمن بالله ولكنهم لم يدركوا عظمة الله وكرم الله وفضل الله وقوة الله وقدرة الله وقهر الله ولو عرفوا عظمة الله لملهم ذلك على تحقيق ايمانهم، والتعرف على ربهم، والرجوع الى خالقهم، ولوجدوا في الحج فرصة للعودة الى الله فالايان الذي لا يملك على طاعة الله لا ينجيك من عذاب الله فانك ان رايت عظمة

الله عز وجل تلاشت عظمة نفسك وعظمة الخلق وابتعدت عن ظلم نفسك وظلم الآخرين، فتعرف على الله العظيم في وجوده، والعظيم في علمه، والعظيم في قدرته، والعظيم في قهره، والعظيم في سلطانه، والعظيم في نفاذ حكمه، وتعرف على اسمه العظيم بنجك من عذاب الجحيم. العظيم من اسماء الله الحسنی

اسم الله العظيم ورد في القرآن الحكيم تسع مرات منها قوله تعالى: {وَلَا يُؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (٢٦) ومنها قوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} (٣٦) وورد في السنة النبوي في حديث ابي هريرة عند الترمذي (ان لله تسعة وتسعين اسما) وعد منها (العظيم) وورد في دعاء الكرب عند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول عند الكرب (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) (٤٦) ومعنى العظيم في حقه تعالى العظيم في وجوده، والعظيم في قدرته، والعظيم في سلطانه وقهره، والعظيم في امره ونهيه، والعظيم في احكامه وشريعته لاحدود لعظمته ليس لعظمته بداية ولا لجلاله نهاية ليس كمثل شيء، وقال القرطبي اسم الله العظيم جل جلاله وتقدست اسمائه جاء في الكتاب والسنة واجمعت عليه الأمة، قال ولا خلاف في اجرائه على العبد وغيره يقال عظم الشيء عظما: كبر فهو عظيم. والعظام بالضم مثله، والعظيم فينا ضد الحقير. واعظم الأمر: اي نفحه. والتعظيم: التبجيل. واستعظمه: عده عظيما. واستعظم وتعظم:

- (١٦) - هذه الآيات لاحمد شوقي.
 (٢٦) - سورة البقرة الآية رقم (٢٥٥).
 (٣٦) - سورة الواقعة الآية رقم (٧٤).
 (٤٦) - البخاري ومسلم في صحيحهما حديث رقم (٥٨٧٥) ورقم (٤٩٠٩).

٥٤٠٨ ثمرة معرفة اسم الله العظيم

تكبر. (١٦) وقال الحلبي في معنى العظيم: إنه الذي لا يمكن الامتناع عليه بالإطلاق، ولأن عظيم القوم إنما يكون مالك أمورهم الذي لا يقدر على مقاومته ومخالفة أمره، إلا أنه وإن كان كذلك ماهيته فقد يلحقه العجز بآفات تدخل عليه فيما بيده فيوهنه ويضعفه حتى تستطاع مقاومته، بل قهره وإبطاله، والله تعالى جل ثناؤه قادر لا يعجزه شيء (٢٦)، وقال ابن القيم رحمه الله:

وَهُوَ الْعَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنَى يُوجِبُ التَّ... عَظِيمٌ لَا يُحْصِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ
 فهو العظيم سبحانه وتعالى في ذاته وفي صفاته وفي اسمائه كلها، فهو ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه وقدرته وقوته فهو سبحانه العظيم المطلق ليس كمثل شيء وهو السميع العليم.

ثمرة معرفة اسم الله العظيم

إذا علم المكلف ان الله سبحانه وتعالى ذو العظمة والجلال وانه اعظم من كل عظيم وانه ذو السؤدد والشرف العظيم وانه لا عظيم على الاطلاق الا الله سبحانه وتعالى وجب عليه ان يؤمن به، فله وحده العظمة والكبرياء فلا يستحق احد من الخلق ان يعظم كما يعظم الله تعالى، فهو المستحق جل جلاله من عباده ان يعظموه من قلوبهم والسنتهم وجوارحهم وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبتة والذل له، والانكسار له، والخضوع لعظمته، ومن

- (١٦) - الاسنى في شرح اسماء الله الحسنی للقرطبي، ص ٢٣٢.
 (٢٦) - الاسماء والصفات للبيهقي، ص ٦٠.

تعظيمه الإكثار من ذكره وشكره، ومن تعظيمه ان يتقى حق تقاته، ومن تعظيمه تعظيم حرمانه، وتعظيم شعائره من صوم وصلاة وحج، ومن تعظيمه تعظيم كتابه والعمل بامرہ وتعظيمه في الركوع، ومن تعظيمه عدم الوقوع في حدوده، ومن تعظيمه تعظيم مناسك الحج والتطوع في نافلته، فعظمه سبحانه وتعالى في كل احوالك، فعظم قدره جل ذكره وعظم اسماءه وصفاته وانبياءه ورسله وما امرك بتعظيمه من مناسكه ومشاعره وشعائره وكل ما عظمه قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} (١٦) وقال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ} (٢٦) فاذا شرعت اخي في الدخول في المشاعر العظام فتذكر عظمة الله واعمل بما يرضي الله العظيم، وكن ذا كراه ذكر تعظيم، وقدّم من قدم الله العظيم واخر من اخر الله العظيم وحقّر ما حقّر الله العظيم ولا تتناول على احد من المؤمنين كي لا تغضب الله العظيم واحسن الى عباد الله المتقين وكن عظيما في خلقك عظيما في سلوكك عظيما في تواضعك عظيما في احسانك مستشعرا عظمة الله في كل احوالك، ولا يليق بانسان ان يكون عبدا لغير الله العظيم، وما اكثر الناس الذين يعبدون عبادا امثالهم، فاما ان تكون عبدا لله العظيم فعبد الله حر، واما ان تكون عبدا لعبد لئيم؟ فاذا كنت تؤمن بالله العظيم فعليك تعظيمه، تعظم امره تعظم نبيه، تعظم كتابه، تعظم نبيه، تعظم المؤمنين، تعظم

(١٦) - سورة الحج الآية رقم (٣٢) .

(٢٦) - سورة الحج الآية رقم (٣٠) .

٥٤٠٩ دعاء الله باسمه العظيم

من يعمل بعلمه ولا تستخف به، فالعظيم عند الله هو من يعظم الله، اذا فالعظماء من عباده هم الانبياء، هم الاولياء، هم المؤمنون، وليس السفهاء والظالمون والمتكبرون والمنافقون والكافرون عظماء، فلا يغرنك اطلاق بعض الناس على البعض بانهم عظماء لانهم ملكوا مالا او سلطانا او جاها، فلا تعظم الا من عظم الله ولا تعبد الا الله العظيم ولا تشكر الا الله العظيم ولا ترجو الا الله العظيم الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير.

دعاء الله باسمه العظيم

يا الله يا علي يا عظيم يارب العرش العظيم تعاليت عن الشبه والنظير يا سميع يا بصير اجعلني خاضعا لعظمتك والجلال وتغمد ديني وجهلي الكثير وهب لي من رحمتك في كل ما اتيت من صغير وكبير يا جليل يا كبير يا الله يا حليم يا عظيم اجعلني معظما لك في اسمائك وصفاتك معظما لشعائرك وحرمانك متبعا لنهج نبيك معظما لما تحب تعظيمه واسألك الدرجات العلى في الجنة يا علي يا عظيم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين واسألك من خيرك العظيم في الدنيا والاخرة انك انت الله العلي العظيم الحليم الكريم رب العرش العظيم وصلى اللهم على محمد وآله وصحبه والتابعين. وقد كان من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) (١٦) .

(١٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٤٩٠٩) .

٥٥ الفصل الرابع والخمسون الدعاء والصلاة على النبي

٥٥٠١ الدعاء والصلاة على النبي

الفصل الرابع والخمسون
الدعاء والصلاة على النبي

الدعاء والصلاة على النبي

الدعاء: جمع دعوة، يقال دعوت فلانا: سألته، والدعاء الى شيء الحث على فعله، ومعنى الدعاء: استدعاء العبد ربه العناية واستمداده اياه المعونة. وحقيقته: اظهار الافتقار اليه والاعتراف بالبراءة من الحول والقوة الا له، وهو سمة العبودية واطهار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله سبحانه وتعالى واطراف الجود والكرم اليه. واما الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فنأتي على ذكرها في هذا الفصل لان الصلاة في اللغة معناها الدعاء. والدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة، وبينهما اشتراك في المعنى، فالعابد داع كما ان السائل داع، فالدعاء يعم النوعين، وعلى هذا تكون الصلاة باقية على مسمائها في اللغة، وهو الدعاء ونقل أهل اللغة والعرف بعض مسمائها على بعض موضوعه لايوجب الخروج عن موضعه الاصيل، وصلاة المؤمن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم تتضمن الدعاء بطلب اكرامه ومباركته واطهار دينه وابقاء شريعته في الدنيا، وفي الاخرة اجزال مثوبته وتشفيعه في امته، وابداء فضيلته بالمقام المحمود، وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا} (١٦) وصلاة الله نوعان: عامة، وخاصة اما العامة: فصلاته على عباده المؤمنين، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ} (٢٦) ومنه دعاء النبي بالصلاة على

(١٦) - سورة الاحزاب الآية (٥٦) .

(٢٦) - سورة الاحزاب الآية (٤٣) .

أحد المؤمنين كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى، النوع الثاني صلته الخاصة على أنبيائه ورسله خصوصا على خاتمهم وخيرهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال الامام ابن القيم: اختلف الناس في معنى الصلاة منه سبحانه على أقوال أحدها أنها رحمته، وقال المبرد أصل الصلاة الرحمة فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وهذا القول هو المعروف عند كثير من المتأخرين والقول الثاني أن صلاة الله مغفرته، قال ابن القيم رحمه الله وهذا القول من جنس الذي قبله وهما ضعيفان لوجه

أحدها أن الله سبحانه فرق بين صلته على عباده ورحمته فقال تعالى وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون البقرة ١٥٧ فعطف الرحمة على الصلاة فاقضى ذلك تغايرهما، هذا أصل العطف وأما قولهم

وألقي قولها كذبا ومينا

فهو شاذ نادر لا يحمل عليه أفصح الكلام مع أن المين أخص من الكذب.

الوجه الثاني أن صلاة الله سبحانه خاصة بأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين وأما رحمته فوسعت كل شيء فليست الصلاة مرادفة للرحمة لكن الرحمة من لوازم الصلاة وموجباتها وثمراتها فنفسها بالرحمة فقد فسرها ببعض ثمرتها ومقصودها وهذا كثيرا ما يأتي في تفسير ألفاظ القرآن، والرسول يفسر

اللفظة بلازمها وجزء معناها كتفسير الريب بالشك والشك جزء مسمى الريب، وتفسير المغفرة بالستر وهو جزء مسمى المغفرة وتفسير الرحمة بإرادة الإحسان وهو لازم الرحمة ونظائر ذلك كثير (١٦) ، وكلام ابن القيم فيه تحقيق فارجع إليه ان شئت الاستزادة ففيه زيادة.

فصلاة الله على نبيه ثناؤه عليه ومباركته له وادارته لرفع ذكره وتقريبه، وصلاتنا نحن عليه سؤال الله تعالى ان يفعل ذلك به، وصلاة الملائكة دعاءهم واستغفارهم له، وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال قولوا (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) (٢٦) وقال الشاعر:

صلوا على هادٍ أرانا هديه ... نهجاً من الدين الخفيف قويماً

(١٦) - جلاء الافهام في الصلاة والسلام على خير الانام للعلامة محمد بن ابي بكر ايوب بن سعد بن حريز الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية، ص (٨٢-٨٣) ، طباعة دار الكتب العلمية بيروت تحقيق طه يوسف شاهين من علماء الازهر، قد سبق ترجمة المؤلف.

(٢٧) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٥٨٨٠) ومسلم حديث رقم (٦١٤) واحاديث الصلاة على النبي في كتب الحديث رواها اربعون صحابيا وهم أبو مسعود الأنصاري البدرى وكعب بن عجرة وأبو حميد الساعدي وأبو سعيد الخدري وطلحة بن عبيد الله وزيد بن حارثة ويقال ابن خارجة وعلي بن أبي طالب وأبو هريرة وبريدة بن الحصيب وسهل بن سعد الساعدي وابن مسعود وفضالة بن عبيد وأبو طلحة الأنصاري وأنس بن مالك وعمر بن الخطاب وعامر بن ربيعة وعبد الرحمن بن عوف وأبي بن كعب وأوس بن أوس والحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله والبراء بن عازب ورويفع بن ثابت الأنصاري وجابر بن عبد الله وأبو رافع مولى رسول الله وعبد الله بن أبي أوفى وأبو أمامة الباهلي وعبد الرحمن بن بشير بن مسعود وأبو بردة بن نيار وعمار بن ياسر وجابر بن سمرة وأبو أمامة بن سهل بن حنيف ومالك بن الحويرث وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي وعبد الله بن عباس وأبو ذر وواثلة بن الأسقع وأبو بكر الصديق وعبد الله بن عمرو وسعيد بن عمير الأنصاري عن أبيه عمير وهو من البدرين وحبان بن منقذ رضي الله عنهم أجمعين. وقد اورد هذه الاحاديث الامام ابن القيم في جلاء الافهام فارجع اليه ان شئت مزيد بيان.

٥٥.٢ أنواع الدعاء في القرآن الكريم

صلوا على هذا النبي فإنه..... من لم يزل بالمؤمنين رحيمًا
صلوا على الزاكي الكريم محمد... ما مثله في المرسلين كريما (١٧)
أنواع الدعاء في القرآن الكريم
ورد الدعاء في القرآن الكريم في انواع عدة:

١- العبادة قال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ} (٢٧) اي لاتعبد الا الله وحده فان غيره لا يضر ولا ينفع فلا تسئل ولا تدع غير الله فان غير الله لا ينفع ولا يضر، ومما يدل على ذلك ان الحق سبحانه وتعالى قد امر عباده بدعائه، ففي الحديث النبوي ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال: (الدعاء هو العبادة) (٣٧) وَقَرَأَ {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِلَى قَوْلِهِ دَاعِرِينَ} وفي لفظ (الدعاء مخ العبادة) وقوله الدعاء هو العبادة هذه الصفة المقتضية للحصر من جهة تعريف المسند إليه ومن جهة تعريف المسند ومن جهة ضمير الفصل تقتضي أن الدعاء هو أعلى أنواع العبادة وأرفعها وأشرفها وإلى هذا أشار بقوله صلى الله عليه واله وسلم الدعاء مخ العبادة، والآية الكريمة قد دلت على أن الدعاء من العبادة فإنه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه ثم قال

٢-

(١٧) - هذه الآيات لابن الجنان.

(٢٧) - سورة يونس الآية (١٠٦) .

(٣٧) - سنن أبي داود حديث رقم (١٢٦٤) .

٣- إن الذين يستكبرون عن عبادتي فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة وأن ترك دعاء الرب سبحانه استكبار، ولا اقبح من هذا الاستكبار وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالق له ورازقه وموجده من العدم وخالق العالم كله ورازقه ومحبيه ومميته ومثيية ومعاقبة فلا شك أن هذا الاستكبار طرف من الجنون وشعبة من كفران النعم (١٧) ، وقال الشاعر:

وَاللَّهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتُ بِهِ ... وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيبةِ الرَّحْلِ (٢٧)

وقال اخر:

يا خالق الخلق يارب العباد ومن ... قد قال في محكم التنزيل أدعوني
إني دعوتك مضطرا نخذ بيدي ... يا جاعل الأمر بين الكاف والنون
نجيت أيوب من بلواه حين دعا ... بصبر أيوب يا ذا اللطف نجيني

واطلق سراحي وامنن بالخلاص كما ... نجيت من ظلمات البحر ذا النون
اما الامام الشافعي فهو ينكر على من يستهزئ بالدعاء فيقول:

أَتَهْزَأُ بِالِدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ ... وَمَا تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
سَهَامُ اللَّيْلِ لَا تُحْطِي وَلَكِنْ ... لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءُ
وللامام الشافعي ايضا:

وَرَبُّ ظُلُومٍ قَدْ كُفِّتَ بِحَرْبِهِ ... فَأَوْقَعَهُ الْمَقْدُورُ أَيَّ وَقُوعٍ

(١٦) - تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين تاليف القاضي الحافظ المحدث المفسر محمد بن علي الشوكاني اليمني
الصنعاني، ص ٢٠ طبعة مكتبة المتنبى القاهرة.

(٢٦) - هذا البيت لابن عباس الكندي.

فَمَا كَانَ لِي الْإِسْلَامُ إِلَّا تَعْبُدًا.....وَأَدْعِيَةً لَا تُنْتَقَى بِدُرُوعٍ
وَحَسْبُكَ أَنْ يَنْجُو الظُّلُومَ وَخَلْفَهُ ... سَهَامُ دُعَاءٍ مِنْ قِسِيِّ رُكُوعٍ
مُرِيثَةً بِالْهُدْبِ مِنْ كُلِّ سَاهِرٍ ... مِنْهَلَةً أَطْرَافُهَا بِدُمُوعٍ

٤- الاستعانة وانما يستعين الإنسان بالله وحده، وفي الذكر الحكيم: {وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (١٦) أي وادعوا
أعدائكم وأنصاركم الذين يساعدونكم على معارضة القرآن، غير الله سبحانه، والمراد استعينوا بمن شئتم غيره تعالى. قال البيضاوي: المعنى
ادعوا للمعارضة من حضركم أو رجوتهم معونته من إنسكم وجنكم وأهلتكم غير الله سبحانه وتعالى، فإنه لا يقدر أن يأتي بمثله إلا الله (٢٦)
وفي الدعاء يستمد المؤمن من ربه المعونة، والمؤمن انما يعبد الله وحده ويستعين به وفي الذكر الحكيم: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (٣٦)
أي نخضك وحدك بالعبادة وطلب العون الذي تتقوى به على عبادتك وعلى أمور الدنيا والاخرة ولا نستعين بغيرك والله در الشاعر
حيث يقول:

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى ... فَأَكْثَرَ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ إِجْتِهَادُهُ (٤٦)
وقال اخر:

(١٦) - سورة البقرة الآية (٢٣) .

(٢٦) - البيضاوي ج ١ / ص ١٧، وصفوة التفاسير ج ١ / ص ٤٢ .

(٣٦) - سورة الفاتحة الآية (٥) .

(٤٦) - هذا البيت للامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه.

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فكل معين ما عدا الله خاذل (١٦)

٥- النداء قال تعالى {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا} (٢٦) .

٦- الثناء قال تعالى: {قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} (٣٦) ودعاء أهل الجنة ثناء على الله وتسبيح
قال تعالى: {دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَنحَر دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (٤٦) .
الدعاء سلاح المؤمن

الدعاء حصن المؤمن وسلاحه وعدته وفلاحه، والدعاء وقاية من البلاء، وحصن منيع يقي من نزول المصائب، ومدافع قوي يصد وطأة
الكوارث، فمن اراد النجاح في اعماله والفلاح في اقباله وادباره، والنصر على اعدائه والفوز برضا ربه والنجاة من عقابه فعليه بالدعاء،
وفي الحديث النبوي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (الدعاء سلاح المؤمن وعماد

(١٦) - هذا البيت للأخرس.

- (٢٦) - سورة الاسراء الآية (٥٢) .
- (٣٦) - سورة الاسراء الآية (١١٠) .
- (٤٦) - سورة يونس الآية (١٠) .

الدين ونور السماوات والأرض) (١٦) قوله الدعاء سلاح المؤمن، فيه تشبيه الدعاء بالسلاح الذي يقاتل به صاحبه العدو، فإن هذا الداعي كأنه بالدعاء يقاتل ما يعتوره من المصائب وما يخشاه من سوء العواقب، وما أنخم الحكم على الدعاء بأنه عماد الدين وبأنه نور السموات والأرض فإن ذلك قد اشتمل على تعظيم لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه والعاجز من عجز عن لبس هذا السلاح وترك الاعتماد على هذا العماد ولم ينتفع بهذا النور الذي أنارت به السموات والأرض (٢٦) ، وقال الامام المهدي العباس (٣٦) بن الحسين رحمه الله:

الدهر يزعم انه سيروعي ... بجيوشه ويزيد في اتراعي
لم يدر دهر انني متجلد ... لخطوبه فليخش هول كفاحي
فالصبر درعي والقناعة جنتي ... والذكر حصني والدعاء سلاحي
وقال اخر:

(١٦) - الحاكم في المستدرک حديث رقم (١٨١٢) .

(٢٦) - تحفة الذاكرين ص ٢٣ .

(٣٦) - هو الامام المهدي لدين الله العباس بن الامام المنصور بالله الحسين ابن الامام المتوكل القاسم بن الحسين بن الامام المهدي أحمد بن الحسن بن الامام القاسم بن محمد ولد في سنة ١١٣١ احدى وثلاثين ومائة وألف وقرأ قبل خلافته وبعدها قال الشوكاني في البدر الطالع انه لما مات والد الامام المهدي في سنة ١١٦١ أجمع الناس على صاحب الترجمة فبايعوه وانفتحت عليه الكلمة وبايعه من كان خارجا عن طاعة والده كعمه أحمد بن المتوكل وكان اماما فطنا ذكيا عادلا قوى التدبير على الهمة منقادا إلى الخير ما يلا إلى أهل العلم محبا للعدل مصنفا للمظلوم سيوسا حازما مطلعا على أحوال رعيته باحثا عن سيرة عماله فيهم لا تخفى عليه خافية من الاحوال له عيون يوصلون إليه ذلك وله هيبة شديدة في قلوب خواصة لا يفعلون شيئا الا وهم يعلمون أنه سينقل إليه وبهذا السبب اندفعت كثير من المظالم وكان يدفع عن الرعايا ما ينوبهم من البغاة الذين يخرجون في الصورة على الخليفة وفي الحقيقة لاهلاك الرعية توفاه الله تعالى في شهر رجب سنة ١١٨٩ تسع وثمانين ومائة وألف وأيامه كلها غرر ودولته صافية عن شوائب الكدر وانظر البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع - (ج ١ / ص ٢٩٤) .

٥٥.٣ الدعاء ومزاياه الروحية

ومتى ما دعوتُ ربي على الده ... رِ وظلم الخطوب لبي الدعاء
اما ابن زريق فهو يقول:

واذا العبدُ للسماءِ رَفَعَ الكَفَّ ... فَ لَضْرٍ فَلَا يَخِيبُ الدعاءُ

الدعاء ومزاياه الروحية

لقد شرع الإسلام الدعاء لما فيه من السمو الروحي والعلاج النفسي، فمن مستلزمات العبادة الدعاء فهو مخ العبادة كما ورد في الحديث النبوي، وهو الصلة التي تربط بين الإنسان وخالقه، والدعاء فطري في الإنسان فهو يشعر بجنين الى الله الذي خلقه يفزع اليه عند الشدائد، ويتضرع اليه عند حصول المصائب ويدعوه ليكشف عنه سوء، فهو ضعيف امام احداث الحياة لا يجد سندا لضعفه الا الدعاء، وفي الذكر الحكيم: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (١٦) فهذا القوي القادر، القهار، الذي لا يعجزه شيء، ولا يفتقر الى شيء، يقول لعبيده الضعفاء الاذلا، العاجزين المفتقرين: انا معكم، انا قريب منكم. انا مجيب لكل من دعاني وناداني، فهذا الكريم الاكرم، والعظيم الاعظم، المالك لكل شيء، والقادر على كل شيء، يناديك: يا عبدي انا قريب منك، اجيب دعوتك اذا دعوتني، وادفع ضرك، وآسو جرحك، واوسع رزقك! فهل آن داعيه؟ وفي الحديث النبوي:

(مَنْ فَتَحَ لَهُ مِنْكُمْ بَابَ الدُّعَاءِ فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ وَمَا سُئِلَ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسَأَلَ الْعَافِيَةَ) (٢٦) وفي رواية: (مَنْ فَتَحَ لَهُ مِنَ الدُّعَاءِ مِنْكُمْ فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الإِجَابَةِ) (٣٦) .
الدعاء علاج نفسي

الدعاء علاج نفسي لكثير من امراض النفس, فالإنسان بطبيعته محتاج في حل مشكلاته لأن يفضي بذخيرة نفسه الى من يخفف عنه بعض مايشعر به من الهم والحزن, فاذا افضى الإنسان الى ربه بما يعانیه, وطلب منه ما يبتغيه فانه يشعر بطمأنينه ونفحة روحه تمتشله مما هو فيه من الهم والضير, وذلك لان الايمان يقتضي الاعتقاد التام بان الله مجيب الدعاء فهو اقرب اليه من حبل الوريد, وفي الذكر الحكيم: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} (٤٦) وقد ذكر بعض العلماء اجماع الاطباء النفسانيين على ان علاج التوتر العصبي والألام النفسية انما يتوقف الى حد كبير على الافضاء - بسبب التوتر ومنشء القلق - الى صديق مخلص, لأن كتمانته مما يزيد في المرض (٥٦) . فكيف به اذا التجأ الى مالك ملك السماوات والارض من بيده الضر والنفع وسأل الكريم المنان القريب المجيب ان يعطيه وان يعافيه وان يصرف عنه السوء والفحشاء وهو يقول وقوله

(١٦) - سورة البقرة الآية (١٨٦) .

(٢٦) - سنن الترمذي حديث رقم (٣٤٧١) .

(٣٦) - مصنف ابن ابي شيبة حديث رقم (٢٩٧٧٨) .

(٤٦) - سورة غافر الآية (٦٠) .

(٥٦) - روح الدين الاسلامي, ص ٢٠٠ .

الحق {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} (١٦) , ان الإنسان الذي يلجأ الى ربه يكون قد ضفر بخير الدنيا والاخرة, ولكن يجب على الإنسان ان يكون على الدوام متذكرا لربه مستجيبا لاوامره محققا لمعنى العبودية لخالقه في السراء والضراء والشدة والرخاء وليحذر ان يقع في الجحود والنكران لربه, حتى لا يكون من الناسين او المسرفين, وفي الذكر الحكيم: {وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٢٦) ويقول وهو العزيز الحكيم: {وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ} (٣٦) .

الدعاء يرد القضا

من اراد السلامة في الدنيا والاخرة فعليه بالدعاء, ومن اراد العزة والنصر فعليه بالدعاء, ومن احب العفو والعافية فعليه بالدعاء, فمن فتح له باب الاقبال بخشوع وخضوع وتضرع فقد فتحت له ابواب الاجابة وابواب الرحمة وابواب الجنة, فاذا وجد الإنسان من نفسه النشاط الى الدعاء والاقبال عليه فليستكثر منه فانه مجاب, وان الدعاء لينفع مما نزل من البلاء, ولايرد القدر الا الدعاء, ولايزيد في العمر الا البر فقد ورد في

(١٦) - سورة البقرة الآية (١٨٦) .

(٢٦) - سورة يونس الآية (١٢) .

(٣٦) - سورة فصلت الآية (٥١) .

٥٥.٤ آداب الدعاء

الحديث النبوي: (لَا يُرَدُّ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ) (١٦) قوله لا يرد القضاء إلا الدعاء فيه دليل على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد, وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة, ويؤيد ذلك قوله تعالى (يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) قوله ولا يزيد في العمر إلا البر فيه دليل أن ما يصدق عليه البر على العموم يزيد في العمر, وقد ثبت في الصحيح أن صلة الرحم تزيد في العمر, والمراد الزيادة الحقيقية, وقيل المراد البركة في العمر والظاهر الأول, ومنه قوله سبحانه (وما يعمر من معمر ولا ينقص

من عمره) الآية وقوله (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) , والحاصل أن الدعاء من قدر الله عز وجل, فقد يقضي بشيء على عبده قضاء مقيدا بأن لا يدعوه فإن دعاه إن دفع عنه (٢٠) . قال الشاعر:

رَبَّنَا رَبَّنَا إِلَيْكَ التَّجَانُّنَا ... مَا لَنَا رَبَّنَا سِوَاكَ التَّجَاءُ
بِافْتِقَارٍ مِنَّا وَذُلِّ أَمْتِنَا ... مَا لَنَا عِزَّةٌ وَلَا اسْتِغْنَاءُ

وقال ابن الأمير الصنعاني:

أَسْوَاهُ إِنْ حَلَّتْ بِنَا اللِّوَاءُ ... يُدْعَى لَهَا إِنْهَا إِذَا جِهَلَاءُ
نَدْعُوهُ فِي غَسَقِ الدَّجَى وَلَمْ يَكُنْ ... عَنْ عِلْمِهِ فِيمَا نَقُولُ خِفَاءُ
لَكِنْ تَعَبَّدَ بِالدَّعَاءِ عِبَادَهُ ... فَأَحْبَبَهُمْ فِيمَا أَتَى الدَّعَاءُ
يَبْكِي الْمَوْفِقُ حِينَ يَدْعُو رَبَّهُ ... شَوْقًا لَهُ وَمِنْ السَّرُورِ بَكَاءُ
وَسَعَتْ عَطَايَاكَ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا ... فَالنَّاسُ فِيمَا فِي يَدَيْكَ سِوَاءُ
أَوْجَدْتَهُمْ فَضْلًا وَجُدْتَ عَلَيْهِمْ ... وَأَنْلَيْتَهُمْ مَا شِئْتَ مِمَّا شَاءُوا
أَدَابُ الدَّعَاءِ

من أداب الدعاء ان يترصد الإنسان لدعائه الأوقات الشريفة المحبوبة كيوم عرفة وايام رمضان ويوم الجمعة ووقت السحر وليلة القدر وان يغتنم الأحوال الشريفة والاقوات الذي ورد فيها انها مواطن اجابة كرحف الصفوف في الجهاد او في اقامة الصلاة او بين الاذان والاقامة او في السجود او خلف الصلوات, وان يكون الداعي مستقبلا للقبلة رافعا يديه خافضا لصوته متضرعا لربه ممتثلا لأمره {ادعوا رَبَّهُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (٣٠) وان يثني على الله ويدعوه بخشوع ورغبة ورهبة, فقد اثني الله على من كان ذلك حاله فقال: {فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ لِيَحْيِيَ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (٤٠) وان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويلج في الدعاء ويكرره ثلاثا. قال ابن مسعود: كان عليه الصلاة والسلام (اذا دعا دعا ثلاثا واذا سال سال ثلاثا) (٥٠) وان يفتح الدعاء بذكر الله عز وجل ويصلي على النبي صلى الله عليه واله وسلم ثم يسأل الله حاجته بأسماء الله الحسنی وصفاته العلاء ثم يختم بحمد الله

(١٠) - سنن الترمذي حديث رقم (٢٠٦٥) .

(٢٠) - تحفة الذاكرين, ص ٢٢.

(٣٠) - سورة الأعراف الآية (٥٥) .

(٤٠) - سورة الانبياء الآية (٩٠) .

(٥٠) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٣٣٤٩) .

٥٥٥ من اقوال السلف في الدعاء

والصلاة على حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم فان الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو اكرم ان يدع ما بينهما.

ومن اداب الدعاء ان يكون الداعي تائبًا متطهرا متذلا مكثرا من الطاعات والإحسان مبتعدا عن المال الحرام غير متعجل, وان يسأل بعزم ورغبة وجد واجتهاد, ففي الدعاء الفرج وفي الدعاء السعادة وفي الدعاء الظفر وكل ماتمناه وترجوه من امور الدنيا والاخرة, قال الشاعر:

تعالى ذو اللطائف عز شانا ... ودودٌ في خلائقه حبيبٌ

يلبي كل مضطر دعاه ... وقد غاب المناصر والقريب

ويكشف كل اسواء وكره ... بفضل ليس تحجبه الذنوب

وينعم قبل ما يدعوه داع ... وراجي الخير منه لا يخيب
ويضمن حاجة الداعي دوما ... يعجل او يؤخر او يثيب
واما من تعجل في دعاه ... فذاك بخيبة المضمنى يثوب
ومن يدعوه في ضريقتنا ... يجيب نداءه الله المجيب (١٦)
من اقوال السلف في الدعاء

قال الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه: "ارفعوا أفواج البلاء بالدعاء", وقال انس بن مالك رضي الله عنه: "لا تعجزوا عن الدعاء
فانه لن يهلك مع الدعاء احد", وقال ابو ذر رضي الله عنه: "يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام مع الملح", وقال يحيى بن معاذ
رحمه الله: "من اخلص لله في دعوته من الله عليه بإجابته" (٢٦) . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "بلغني ان الدعاء يحبس بين
السماء والارض لا يصعد منه شيء حتى يصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم"
فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ان الصلاة على خاتم النبيين واشرف المرسلين معين النجاح، وراية الفلاح وعنوان الاخلاص لله ولباب العمل الصالح، وهي سبب
اجابة الدعاء فاما من دعاء يصعد الى الله عز وجل حتى يتبعه الصلاة على حبيبه ومصطفاه، ففي الحديث النبوي الذي رواه الطبراني
عن علي رضي الله عنه: (كل دعاء محبوب حتى يصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) (٣٦) وهذا دليل على فضل الصلاة عليه
صلى الله عليه وآله وسلم، وفي الذكر الحكيم: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (٤٦)
وفي الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعتراف برسالته وتصديق لنبوته وطاعة لامر خالقه، وفي الحديث النبوي: (من صلى على
صلاة صلى الله عليه بها عشرا) (٥٦) وفي رواية (البخيل من ذكرت

(١٦) - هذه الآيات للشاعر والاديب الكبير مهدي امين سامي وانظر ديوانه تراويل الروح تسايح وابتهالات، ص ٤٨، الطبعة الثانية
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢٦) - دليل السائلين، ص ٢٤٤.

(٣٦) - المعجم الاوسط حديث رقم (٧٢١) .

(٤٦) - سورة الأعراف الآية (٥٥) .

(٥٦) - مسلم في صحيحه حديث رقم (٥٧٧) .

٥٥.٦ فوائد وثمرات الصلاة على النبي

عنده ولم يصل علي) (١٦) وجاء في رواية لابي داود (ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم
معروضة علي) (٢٦) قال الشاعر:

صلوا على المختار فهو شفيحكم ... في يوم يبعث كل طفل أشييا

صلوا على من ظللته غمامة ... والجذع حن له وأفصحت الظبا

صلوا على من تدخلون بهديه ... دار السلام وتبلغون المطبا

صلوا عليه وسلّموا وترحموا ... تردوا بها حوض الكرامة مشربا

فوائد وثمرات الصلاة على النبي

لقد ذكر الامام ابن القيم: في الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم ما يتضاعف به الاجر ويدل على عظيم
المنفعة، منها: امثال امر الله سبحانه وتعالى، وموافقته سبحانه بالصلاة عليه وان اختلفت الصلاتان فصلاتنا عليه دعاء وسؤال وصلاة
الله عليه ثناء وتشريف. وفي الصلاة على النبي موافقة الملائكة وحصول عشر صلوات على المصلي مرة، وانه يرفع له عشر درجات

ويكتب له عشر حسنات، ويحى عنه عشر سيئات، وانه يرجى اجابة دعاء من يصلى على النبي، وتكون سببا لشفاعة النبي، وسببا لغفران الذنب ولكفاية الله العبد ما أهمله وسببا لقرب العبد منه صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة، وانها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة، وانها سبب لقضاء الحوائج، ولصلاة الله على المصلي،

(١٦) - المعجم الكبير حديث رقم (٢٨٨٥) .

(٢٧) - سنن أبي داود حديث رقم (٨٨٣) .

وزكاة وطهارة، وانها سبب للنجاة من احوال يوم القيامة، ولتبشير العبد بالجنة، ولرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المصلي ولتذكر العبد مانسيه، ولطيب المجلس، ولنفي الفقر، وتنفي عن العبد اسم البخل اذا صلى على النبي عند ذكره، ونجاة من الدعاء عليه برغم الانف اذا تركها عند ذكره صلى الله عليه وآله وسلم، وانها تنجي من تنن المجلس، وانها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله، وانها سبب لوفور نور العبد على الصراط، وانها سبب لابقاء الله سبحانه الشاء الحسن للمصلي على النبي بين أهل السماء والارض، وانها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره واسباب مصالحه، وانها سبب لنيل رحمة الله، وانها سبب لداوم محبته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وزيادتها وتضاعفها. وذلك عقد من عقود الايمان الذي لا يتم إلا به، لان العبد كلما اكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لخبه تضاعف حبه وتزايد شوقه اليه واستولى على جميع قلبه، وإذا اعرض عن ذكره واحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه؛ ولا شيء اقر لعين المحب من رؤية محبوبه ولا اقر لقلبه من ذكره واحضار محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه جرى لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه والحس شاهد بذلك حتى قال بعض الشعراء في ذلك

عجبت لمن يقول ذكرت حبي ... وهل أنسى فأذكر من نسيت

فتعجب هذا المحب ممن يقول ذكرت محبوبي لان الذكر يكون بعد النسيان ولو كل حب هذا لما نسي محبوبه

وقال آخر:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليل بكل سبيل

فهذا اخبر عن نفسه أن محبته لها مانع له من نسيانها

وقال آخر:

يراد من القلب نسيانكم ... وتأبى الطباع على الناقل

فأخبر أن حبهم وذكرهم قد صار طبعا له فمن اراد منه خلاف ذلك ابت عليه طباعه أن تنتقل عنه، والمثل المشهور من احب شيئا اكثر من ذكره، وفي هذا الجنب الاشرف احق ما انشد

لو شق قلبي ففني وسطه ... ذكرك والتوحيد في سطر

فهذا قلب المؤمن توحيد الله وذكر رسوله مكتوبان فيه لا يتطرق اليهما محو ولا ازالة (١٦) ، ومما لا يرب فيه ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبب لهداية الإنسان وحياة قلبه وقربه من ربه ودليل على حبه لربه ولنبيه فالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي دعاء أثر به محبوبه وسأل من ربه ان يثني على محبوبه عبد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم المبعوث رحمة للعالمين ويزيد في تشريفه وتكريمه ورفعته، ولا يرب ان الله تعالى يحب ذلك ورسوله يحبه، فالمصلي عليه صلى الله عليه وآله وسلم

(١٦) - جلاء الافهام في الصلاة والسلام على خير الانام، ص (٢٦٢-٢٦٥) .

٥٥٠٧ القريب المجيب من اسماء الله الحسنی

قد صرف سؤاله ورغبته الى محاب الله ورسوله وذلك ما يجعله قريبا من ربه السميع القريب المجيب، فاكثر ما يحتاج اليه الإنسان هو ان يدعو ربه ويعلم انه سميع مجيب، ويعلم انه قوي قدير، فبالدعاء يتوجه الداعي الى معان كثيرة فهو يسأل سميعا قريبا مجيبا غنيا رحيمًا

كريمة، فزوال الكون اهون على الله من ان تدعوه فلا يستجيب لك فهو اما ان يطمئنك، واما ان يعطيك، واما ان يلقي في روعك ان هذه الحاجة لاتناسبك، فالله حيي كريم يستحي اذا رفع الرجل اليه يديه ان يردهما صفرا خائبتين كما ورد ذلك في الحديث النبوي، فتقرب الى الله بحابه، وصل على نبيه وثق باجابته، فان الله معك يسمع ويرى، فهو قريب منك فتعرف على اسمه القريب المجيب، واجعل بربك كل عزك، يستقر ويثب، وتدبر قول المجيب القريب {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (١٦) .

القريب المجيب من اسماء الله الحسنى
اسم الله القريب المجيب ذكر في القرآن الكريم، ففي سورة هود يقول سبحانه: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ} (٢٦) وقال سبحانه: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} (٣٦) ، وورد في السنة النبوية في حديث ابي هريرة عند الترمذي ان لله تسعة وتسعين اسما عد منها (المجيب) ، وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عند البخاري ومسلم قال كَمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَكَمَا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَىٰ وَادِ هَلَلْنَا وَكَبَّرْنَا ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا إِنَّهُ مَعَكُمْ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَىٰ جَدُّهُ) (٤٦) وفي رواية (إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ) (٥٦) ومعنى القريب في حق الله سبحانه وتعالى انه قريب بعلمه من خلقه قريب ممن يدعوه بالاجابة، وقال القحطاني: وقربه نوعان: قرب عام وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد وهو بمعنى المعية العامة وقرب خاص بالداعين والعابدین المحبين، وهو قرب يقتضي المحبة والنصرة والتأييد في الحركات والسكات والإجابة للداعين والقبول والإثابة للعابدین (٦٦) ، فسبحان من هو علي في دنوه، قريب في علوه، اما اسمه سبحانه وتعالى المجيب فيعني ان الله سبحانه وتعالى يعطي السائل مطلوبه ويقابل مسألة السائلين بالاجابة، قيل اجابته نوعان: إجابة عامة لكل من دعاه دعاء عبادة أو دعاء مسألة، قال تعالى: (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) فدعاء المسألة أن يقول العبد اللهم أعطني كذا أو اللهم ادفع عني كذا، فهذا يقع من البر والفاجر، ويستجيب الله فيه لكل من

- (١٦) - سورة البقرة الآية (١٨٦) .
- (٢٦) - سورة هود الآية (٦١) .
- (٣٦) - سورة البقرة الآية (١٨٦) .
- (٤٦) - البخاري في صحيحه حديث رقم (٢٧٧٠) ومسلم في صحيحه حديث رقم (٤٨٧٣) .
- (٥٦) - مسند الامام احمد بن حنبل حديث رقم (١٨٧٧٤) ومسلم في صحيحه حديث رقم (٤٨٧٤) .
- (٦٦) - شرح اسماء الله الحسنى، ص ١١٨ .

٥٥٠٨ ثمرة معرفة اسم الله القريب المجيب

دعاه بحسب الحال المقتضية وبحسب ما تقتضيه حكمته. وأما الإجابة الخاصة فلها أسباب عديدة، منها دعوة المضطر الذي وقع في شدة وكربة عظيمة، فإن الله يجيب دعوته، قال تعالى: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) وسبب ذلك شدة الافتقار إلى الله وقوة الانكسار وانقطاع تعلقه بالخلوقين، ولسعة رحمة الله التي يشمل بها الخلق بحسب حاجتهم إليها، فكيف بمن اضطر إليها، ومن أسباب الإجابة طول السفر والتوسل إلى الله بأحب الوسائل إليه من أسمائه وصفاته، وكذلك دعوة المريض، والمظلوم، والصائم والوالد على ولده أو له، وفي الأوقات والأحوال الشريفة مثل أدبار الصلوات، وأوقات السحر، وبين الأذان والإقامة، وعند النداء، ونزول المطر واشتداد البأس، ونحو ذلك (إن ربي قريب مجيب) (١٦) .

ثمرة معرفة اسم الله القريب المجيب

إذا عرف المكلف أن الله جل وعلى قريب مجيب وجب عليه أن يؤمن به ويخلص له في العبادة ويرغب إليه بالتوبة، فهو الذي ينيل السائل ما يريد ولا يقدر على ذلك غيره، فمن عرف ذلك فليتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والتضرع وإظهار الافتقار إلى الله والاعتماد عليه، والعلم بأنه سميع الدعاء عالم بالبلاء، خبير للسراء والضراء، قادر على إجابته كل داع وإعطائه سؤاله، وأن يكون مستجيباً لله مطيعاً له فهو يعلم سر الإنسان وجهه، والله سبحانه وتعالى يجب أن تدعوه، وأن تلجأ إليه، وأن تتصل به، وأن تتاجيه،

(١٦) - شرح أسماء الله الحسنى ص ١٢٠.

٥٥٠٩ دعاء الله باسمه القريب المجيب

وإن تمرغ وجهك في عتابه، فهو الذي يجب أن يسعدك بالاتصال به، فيجعل حاجتك وسيلة لهدف هو الاتصال والتعبد، فانت بالاتصال به وبدعائه تسعد، فالله سبحانه وتعالى خلقك ليسعدك، وهو يعلم سبحانه حاجة المحتاجين قبل سؤالهم، إلا ترى أنه خلق لك ما في الأرض جميعاً قبل أن يخلقك، وخلق لك الأشجار والنبات والأنهار والفواكه بأنواعها وخلق لك الشمس والقمر والليل والنهار {وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَاءٍ سَائِطٍ وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (١٦) أنه القريب المجيب الذي يقابل الدعاء بالقبول، والسؤال بالعتاء تدعوه فيقبلك، وتسأله فيعطيك، وتستغفره فيغفر لك، فسبحان من لا تخيب لديه أمان الطالبين، فهو الذي يجب دعاء الداعين، ويكشف ضرورة السائلين، فانت حينما تدعوه تنادي قريباً يسمعك وتدعو عظيماً يجيبك وتسال كريماً يعطيك: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} (٢٦) .

دعاء الله باسمه القريب المجيب

اللهم يا قريب يا مجيب يا من هو على كل شيء شهيد ويا من هو أقرب إلي من حبل الوريد أسألك أن تغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وأسألك الدرجات العلى في الجنة وأسألك العافية وأسألك دوام العافية، وأسألك خير الدنيا والآخرة، وأسألك حسن الخاتمة والنجاة من النار، وأسألك علماً نافعاً

(١٦) - سورة إبراهيم الآية (٣٤) .

(٢٦) - سورة النمل الآية (٦٢) .

٥٥٠١٠ والى هنا تم بحمد الله وعونه وتوفيقه

ورزقا واسعا، وذكرنا حسنا وعملا متقبلا ومحبة في قلوب خلقك واتباعا لنهج نبيك يا قريب يا مجيب يا سميع يا عليم يا الله أسألك أن ترزقني حُبك وحب من يحبك وحب نبيك وشريعتك: {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} (١٦) . {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (٢٦) . وصل اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين انك حميد مجيد.

والى هنا تم بحمد الله وعونه وتوفيقه

(١٦) - سورة آل عمران الآية (١٩٤) .

(٢٦) - سورة آل عمران الآية (١٩٤) .

أهم المراجع

١. القرآن الكريم.
٢. صحيح البخاري: للإمام المحدث شيخ الحفاظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه المولود يوم الجمعة ١٣ شوال سنة (١٩٤هـ-٨١٠م) ، المتوفى سنة (٢٥٦هـ-٨٧٠م) ، طبعة مكتبة الايمان المنصورة مصر ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٣. صحيح مسلم: للإمام الحافظ المحدث أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (٢٠٤ ٢٦١هـ) ، الناشر: دار ابن رجب ١٤٢٢هـ.
٤. السنن الكبرى للبيهقي: للإمام الحافظ المحدث أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ. مراجعة: محمد عبد القادر عطا، مكتبة الباز مكة المكرمة ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٥. السنن الكبرى للنسائي: الإمام الحافظ المحدث أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ، الطبعة الثانية، مطبوع مع شرح السيوطي، وحاشية السندي، بيروت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٦. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، الناشر: دار احياء التراث العربي.
٧. سنن الترمذي للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ الترمذي، المولود سنة ٢٠٩هـ والمتوفى سنة ٢٧٩هـ، الناشر المكتبة الإسلامية.
- ٨.
- ٩.
١٠. سنن الدارمي للإمام الكبير أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت: ٢٥٥هـ) ، الناشر: دار أخبار السنة النبوية.
١١. سنن أبي داود سليمان الأشعث السجستاني الأزدي، (٢٠٢-٢٧٥هـ) ، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة الاولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
١٢. الآثار الكاملة لعبد الله بن المقفع حققها وشرحها وقدم لها الدكتور عمر الطباع، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٣. الآثار الكاملة، تأليف عبد الله بن المقفع، شرحها وقدم لها الدكتور عمر الطباع، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٤. الآحاد والمثاني للإمام محمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني المتوفى سنة (٢٨٧هـ) ، الناشر دار راية الرياض الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩١م.
١٥. الآسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى للإمام شمس الدين أبي عبد الله القرطبي، راجعه وأشرف على تحقيقه أبو عبد الله مصطفى بن العدوي تحقيق الشحات الطحان، الناشر مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، المنصورة مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٦. الأحكام للهادي: وهو الإمام العلامة المجتهد الهادي إلى الحق: يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
١٧. الأدب المفرد الجامع للأدب النبوية للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار المعرفة بيروت ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ١٨.
- ١٩.
٢٠. الأسماء والصفات تأليف العلامة أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الخسروجدي البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ) ، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٢١. الأغاني للإمام أبي الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد ابن هيثم المرواني الأموي القرشي، المتوفى سنة ٣٥٦هـ، منشورات دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية.

٢٢. الأمالي لأبي علي القالي: اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان القالي، المتوفى سنة ٣٥٦هـ، منشورات دار الآفاق الحديثة بيروت.
٢٣. الأمالي للزجاجي: عبد الرحمن بن اسحاق النهوندي، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الجيب بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
٢٤. الأمانة في الاسلام وأثرها في المجتمع تأليف الدكتور عبد اللطيف بن ابراهيم بن عبد اللطيف بن حسين عضو هيئة التدريس والدراسات الإسلامية في الأحساء جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الناشر: دار ابن الجوزي الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
٢٥. الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي العسقلاني وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر النميري القرطبي، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.
٢٦. البصائر والذخائر لأبي حيان محمد بن العباس التوحيدي المتوفى سنة ٤٠٠هـ، تحقيق الدكتورة وداد القاضي.
٢٧. البيان والتبين للجاحظ: أبي عثمان عمرو بن بحر، تحقيق عبد السلام هارون، الناشر: دار الخانجي بمصر ١٣٦٧هـ.
- ٢٨.
- ٢٩.
٣٠. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف تأليف العلامة عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٣١. التعريفات للعلامة علي محمد الشريف الجرجاني المتوفى ٨١٦هـ، طبعة دار النفائس بيروت ٢٠٠٣م.
٣٢. التمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، الناشر: دار احياء الكتب العربية القاهرة مصر ١٣٨١هـ.
٣٣. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي.
٣٤. الجامع الصغير للإمام جلال الدين بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٧١١هـ، منشورات محمد علي بيضون بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٣٥. الجامع لأحكام القرآن للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.
٣٦. الجامع لأسماء الله الحسنى، دراسة اعداد حامد احمد الطاهر، الناشر: دار الفجر للتراث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
٣٧. الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي.
٣٨. الحماسة للبحراني: الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحراني، المتوفى سنة ٢٨٤هـ، طبعة الرحمانية.
٣٩. الذريعة إلى مكارم الشريعة لأبي القاسم الحسن بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
- ٤٠.
- ٤١.
٤٢. الذريعة إلى مكارم الشريعة للشيخ أبي القاسم الحسين محمد الفضل الراغب الأصفهاني، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٤٣. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، تأليف علي بن برهان الدين الحلبي، المتوفى سنة ١٠٤٤هـ، الناشر: دار المعرفة بيروت ١٤٠٠هـ.
٤٤. الشعر والشعراء تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة ٢٧٦هـ، تحقيق: احمد شاكر، الناشر: دار التراث العربي، الطبعة الثالثة ١٩٧٧م.
٤٥. الطب الروحاني لابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تحقيق: أب هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: مكتبة الثقافة الذهبية، القاهرة ١٤٠٦هـ.
٤٦. الطبقات الكبرى في ذكر صفات الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، تأليف الإمام محمد بن سعد بن منيع الزهري، المتوفى سنة ٢٣٠هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.
٤٧. العقد الفريد للعلامة احمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي، طبعة دار احياء التراث العربي بيروت لبنان.

٤٨. العقل وفضله تأليف عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا البغدادي، تحقيق: لطفي محمد الصغير، الناشر: دار الراهة الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٤٩. الفتح الكبير في ضم الزيادات إلى الجامع الصغير تأليف العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: يوسف النبهاني، الناشر: دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.
- ٥٠.
- ٥١.
٥٢. الفرائد والقلائد تأليف أبي الحسين محمد بن الحسن الأهوازي، دراسة وتحقيق د. احسان ذنون الثامري، الناشر: دار ابن حزم بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
٥٣. الفردوس بمأثور الخطاب تأليف العلامة أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمداني الملقب إلكيا، المتوفى سنة ٥٠٩هـ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٥٤. الفوائد لابن القيم، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبد الرحمن احمد زمري، الناشر: الشركة الجزائرية اللبنانية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
٥٥. القاموس المحيط تأليف العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى سنة ٧١٣هـ، الطبعة السابعة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، الناشر مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.
٥٦. القوة الثبوتية في المعاملات الالكترونية (بحث من بحثنا) المنشور في مجلة التحكيم ومجلة البحوث القضائية.
٥٧. الكامل في التاريخ للإمام العلامة عمدة المؤرخين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين، المتوفى سنة ٦٣٠هـ، الناشر: دار الفكر بيروت ١٣٩٨م.
٥٨. الكامل في ضعفاء الرجال، تأليف العلامة عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، المتوفى سنة ٣٦٥هـ، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، الناشر: دار الفكر بيروت ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
٥٩. المستدرک علی الصحیحین فی الحدیث، للمحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥هـ، وفي ذيله:
- ٦٠.
٦١. تلخيص المستدرک للإمام المحافظ الحجة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة ٨٤٨هـ، الناشر: دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
٦٢. المستطرف في كل فن مستظرف، تأليف العلامة شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبيشي، تحقيق: د. مفيد محمد قبيحة، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٦هـ.
٦٣. المصباح المنير معجم عربي عربي تأليف العالم العلامة احمد بن علي الفيومي المقرئ، طبعة دار الحديث القاهرة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
٦٤. المعجم الصغير تأليف الإمام المحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠هـ، الناشر: المكتب الاسلامي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٦٥. المعجم الأوسط للطبراني، الناشر: دار الحرمين القاهرة ١٤١٥هـ.
٦٦. المعجم الكبير للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، الناشر دار إحياء التراث العربي.
٦٧. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف. وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٦٨. المفردات في غريب القرآن تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق وضبط محمد خليل عيتاني، الناشر: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
٦٩. الفضليات تأليف المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر الضبي، المتوفى سنة ١٦٨هـ.
٧٠. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوي، الناشر: دار الكتاب العربي.
- ٧١.

٠٧٢. المنجد في اللغة والأعلام، الناشر: دار المشرق بيروت، الطبعة الثانية والعشرين.
٠٧٤. الموسوعة الشعرية للعلامة والأديب والواعظ الخطيب بدر بن عبد الله بن عبد الكريم الناصر، الناشر: دار العاصمة بالرياض الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٠٧٥. الموسوعة العربية في الألفاظ الضدية والشذورات اللغوية لجامعه محمد ابن محمد بن عبد الجبار بن محمد بن يحيى السماوي اليماني، الناشر: مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، طباعة دار الآداب بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
٠٧٦. النظرات تأليف مصطفى لطفي المنفلوطي، الناشر: دار ومكتبة الهلال مصر الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
٠٧٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٠٧٨. النهضة الإصلاحية للأسرة الإسلامية لمصطفى الحماي، مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م.
٠٧٩. النوادر لأبي علي القالي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٠٨٠. أحكام التعامل بالإنترنت - بحث من بجوثنا المنشورة على - مجلة التحكيم العدد (٨٥) مارس ٢٠٠٧م.
٠٨١. أخبار الحمقى والمغفلين تصنيف الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي القرشي البغدادي، شرحه عبد الأمير مني، الناشر: دار الفكر اللبناني الطبعة الأولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٠٨٢. أدب الدنيا والدين لأبي الحسن محمد حبيب الماوردي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ٠٨٣.
- ٠٨٤.
٠٨٥. أدب الكتاب تأليف الإمام أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي المتوفى سنة ٣٣٥هـ شرح وتعليق احمد حسن لبيح، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٠٨٦. ألوان للعلامة والأديب الأستاذ عبد الحميد بن محمد المهدي، الطبعة الأولى.
٠٨٧. أمالي العلامة الشريف المرتضى: علي بن الحسين بن موسى بن محمد ابن إبراهيم أبو القاسم، المتوفى سنة ٤٣٦هـ، الطبعة الثانية، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت.
٠٨٨. أنس المسجون وراحة المحزون تأليف صفي الدين أبي الفتح عيسى بن البحتر الحلبي، تحقيق محمد أديب الجاور، الناشر: دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
٠٨٩. إحياء علوم الدين تأليف الإمام محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، الناشر: دار المعرفة بيروت.
٠٩٠. إرواء الغليل في تخریج أحاديث منار السبيل، تأليف العلامة محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٠٩١. إصلاح المجتمع للعلامة محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني، الناشر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
٠٩٢. إعراب القرآن وبيانه للأستاذ العلامة محيي الدين الدرويش، الناشر دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع دمشق ١٤١٨هـ-١٩٨٨م.
٠٩٣. بدائع الفوائد لابن القيم، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وعادل عبد الحميد العدوي وأشرف أحمد الحج، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ٠٩٤.
- ٠٩٥.
٠٩٦. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للعلامة مجد الدين محمد ابن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧هـ، الناشر: المكتبة العلمية بيروت الطبعة الأولى.
٠٩٧. بلوغ الأرب شرح لامية العرب جمع وتحقيق محمد عبد الحكيم القاضي ومحمد عبد الرزاق عرفان، طبعة دار الحديث.

٠٩٨. بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النمري القرطبي المالكي أبو عمر، المتوفى سنة ٤٦٣هـ، تحقيق محمد الخولي، الناشر: دار الكتب العلمية ١٩٨١م.
٠٩٩. بين يدي الإسراء ديوان شعر للعلامة والأديب الأستاذ عبد الحميد بن محمد المهدي، الطبعة الأولى.
١٠٠. تاريخ بغداد، تأليف أحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.
١٠١. تأريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: مصطفى السيد وطارق سالم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
١٠٢. تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم، تحقيق عبد القادر الأرئوط، الناشر: دار عالم الكتب الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
١٠٣. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار تأليف العلامة السيد محمد رشيد رضا، الناشر: دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية.
١٠٤. تمام الفتون في شرح رسالة بن زيدون للصفدي، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم، الناشر: المكتبة العصرية صيدى بيروت.
١٠٥. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي بن محمد بن عراقي الكافي، حققه وراجع أصوله وعلق عليه: ١٠٦.
١٠٧. عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله بن محمد الغماري، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.
١٠٨. تهذيب الأخلاق لأبي عثمان الجاحظ، فرعه وعلق عليه أبو حذيفة ابراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث في مصر الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.
١٠٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع.
١١٠. تيسير المطالب في أمالي السيد أبي طالب، تأليف القاضي العلامة احمد بن سعد المسوري، الطبعة الأولى منشورات مكتبة الحياة، بيروت لبنان.
١١١. جامع البيان في تأويل القرآن، تأليف العلامة الحافظ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
١١٢. جامع بيان العلم وفضله تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، دراسة وتحقيق: أبي عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، الناشر: مؤسسة الريان - دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
١١٣. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب تأليف السيد أحمد الهاشمي، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، طبعة جديدة محققة ومنقحة أشرف على تصحيحها لجنة من الجامعيين لسنة ٢٠٠٥م.
١١٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم احمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ ١٩٨٩م.
- ١١٥.
- ١١٦.
١١٧. حنين من الشعر العربي تأليف الدكتور العلامة أديب اليمن الكبير عبد الولي الشميري، الناشر: مؤسسة الإبداع صنعاء الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.
١١٨. خاص الخاص للعلامة عبد الملك بن محمد الثعالبي تحقيق درويش الجويدي، الناشر: المكتبة العصرية بيروت الطبعة ١٤٢٨هـ ٢٠٠٨م.
١١٩. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي، المتوفى ١٠٩٣هـ، تحقيق: محمد نبيل طريفي واميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨م.
١٢٠. خلاصة الكلام في تفسير آيات الاحكام - مؤلفنا- الطبعة الأولى.
١٢١. دليل السائلين جمعه أنس بن اسماعيل أبو داود، الطبعة الألى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
١٢٢. ديوان احمد الشامي مع العصافير في بروملي، الناشر: دار النفائس بيروت.

١٢٣. ديوان الإمام الشافعي، طبعة مؤسسة الزعبي ودار الجيل، الناشر: دار الغد الجديدة المنصورة مصر الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٢٤. ديوان الإمام عبد الله بن المبارك المتوفى سنة ١٨١هـ، الناشر: دار اليقين للنشر والتوزيع المنصورة مصر. الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ.
١٢٥. ديوان الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه، الناشر: دار الثقافة للجميع دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٢٦. ديوان الحداد: عبد الله بن علوي بن محمد بن أحمد المهاجر بن عيسى الحسيني (١٠٤٤-١١٣٢هـ/١٦٣٤-١٧٢٠م)، الناشر: مؤسسة عبد الحفيظ البساط بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.
١٢٧. ديوان العلامة يحيى بن محمد الهادي قاضي الشرع في جبل صبر في القرن الماضي، نسخة مخطوطة. ١٢٨
١٢٩
١٣٠. ديوان أحمد شوقي توثيق وتبويب وشرح وتعقيب العلامة الدكتور احمد محمد الحوفي عضو مجمع اللغة العربية وأستاذ الأدب العربي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة.
١٣١. ديوان أبي الطيب المتنبّي: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي (٣٠٣-٣٥٤هـ/٩١٥-٩٦٥م)
١٣٢. ديوان دعبل الخزاعي، شرحه وضبطه ضياء حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
١٣٣. ديوان شبلي الملائط، الناشر: دار الطباعة والنشر بيروت.
١٣٤. ذيل الأمالي لأبي علي بن إسماعيل بن القاسم القالي، منشورات دار الفرقان الجديدة بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
١٣٥. روح الدين الإسلامي تأليف العلامة عفيف عبد الفتاح طباره، الناشر: دار العلم للملايين بيروت، الطبعة (٢٧) ١٩٨٨م.
١٣٦. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ تهذيب ابراهيم بن عبد الله الحازمي، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
١٣٧. روضة المحبين ونزهة المشتاقين للعلامة شمي الدين محمد بن أبي بكر القيم الجوزية، تحقيق الدكتور السيد الجميلي، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
١٣٨. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين تأليف الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت. ١٣٩
١٤٠
١٤١. زهر الأداب وثمر الألباب، تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق: أ. د / يوسف على طويل، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
١٤٢. سلسلة مواقف من حياة الرسول للعلامة خميس السعيد، الطبعة الأولى.
١٤٣. سمط اللآلئ لأبي عبيد البكري، تحقيق عبد العزيز الميني، ١٣٥٤هـ.
١٤٤. سير أعلام النبلاء للذهبي، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
١٤٥. شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا للإمام أبي بكر البيهقي وشيخ الاسلام ابن تيمية والامام ابن القيم الجوزية والعلامة محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به وخرج أحاديثه أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، الناشر: دار ابن الهيثم القاهرة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
١٤٦. شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم، تحقيق الدكتور خليل هراس.
١٤٧. شرح المعلقات السبع، تأليف الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، دراسة وتحقيق: الناشر: دار احياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
١٤٨. شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة للعلامة سعيد بن وهاف القحطاني، الطبعة (١٠) ١٤٢٥هـ.

١٤٩. شعب الإيمان تأليف العلامة المحدث أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرّج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية بومباي الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض ١٥٠.
١٥١. بالتعاون مع الدار السلفية بومباي بالهند، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
١٥٢. طبقات الشافعية الكبرى تأليف الإمام العلامة تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
١٥٣. طبقات فحول الشعراء تأليف محمد بن سلام بن عبيد الجمحي.
١٥٤. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: زكريا علي يوسف، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.
١٥٥. عيون الأخبار لابن قتيبة، الناشر: وزارة الثقافة المصرية.
١٥٦. عيون الأمل لطفه ياسين، الناشر: دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
١٥٧. غرر الخصاص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة تأليف محمد بن ابراهيم بن يحيى بن علي الانصاري الكتبي، جمال الدين المعروف بالوطواط، المتوفى سنة ٧١٨هـ.
١٥٨. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢هـ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله ابن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار التقوى ومكتبة العلم ودار العنان، توزيع المكتبة الإسلامية.
١٥٩. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تأليف أبي عبيد البكري، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧١م.
١٦٠. في ضلال القرآن للعلامة الجليل الأستاذ سيد قطب، الطبعة الشرعية التاسعة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، دار الشروق، مصر.
- ١٦١.
- ١٦٢.
١٦٣. فيض القدير تأليف العلامة محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي ابن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المتوفى سنة ١٠٣١هـ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
١٦٤. قانون المبادلات والتجارة الإلكترونية الصادر في أغسطس ٢٠٠٠م والمنشور في الرايد الرسمي للجمهورية التونسية بتاريخ ١١/آب/٢٠٠٠م.
١٦٥. قانون المعاملات الإلكترونية رقم (٨٥) لسنة ٢٠٠١م المنشور في الجريدة الرسمية الأردنية الصادرة بتاريخ ٢٠٠١/١٢/٣١م.
١٦٦. قانون المعاملات التجارية الإلكترونية لإمارة دبي رقم (٢) لسنة ٢٠٠٢م الصادر في ١٢ شباط ٢٠٠٢م.
١٦٧. قانون أنظمة الدفع والعمليات المالية والمصرفية الإلكترونية اليمني الصادر بالقانون رقم (٤٠) لسنة ٢٠٠٦م.
١٦٨. قانون تنظيم التوقيع الإلكتروني وإنشاء هيئة تكنولوجيا المعلومات المصري رقم (١٥) لسنة ٢٠٠٤م الصادر في غرة ربيع الأول ١٤٢٥هـ الموافق ٢١ إبريل ٢٠٠٤م.
١٦٩. كتاب العلوم للإمام أحمد بن عيسى المتوفى سنة ٢٤٧هـ، الذي جمعه الامام محمد بن منصور بن يزيد المرادي الكوفي المسمى ابو جعفر، طبعة مكتبة المؤيد الطائف الطبعة الأولى.
١٧٠. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعلامة المحدث الكبير الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، المتوفى سنة ١١٦٢هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي.
١٧١. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، المتوفى سنة ٩٧٥هـ، تحقيق
- ١٧٢.
١٧٣. بكري حياني وصفوة السقا، الناشر مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

١٧٤. لا تحزن تأليف العلامة الدكتور عايض بن عبد الله القرني، الطبعة التاسعة، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤٢٢هـ.
١٧٥. لباب الآداب تأليف العلامة أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تحقيق: أحمد حسن لبيح، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٧٦. لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري، الطبعة الأولى.
١٧٧. لسان العرب تأليف العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري المتوفى سنة ٧١١هـ، الناشر: دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.
١٧٨. لطائف المعارف فيما للهواشم العام من الوظائف تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥هـ، إعداد مركز البحوث والدراسات مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٧٩. لطائف المعارف للحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي، إعداد مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة، تحقيق عبد المنعم ابراهيم الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٨٠. مؤلفنا (حقوق الإنسان في الهدي النبوي) دراسة مقارنة بالاعلان العالمي لحقوق الإنسان والتشريعات الوطنية، الطبعة الأولى منشأة المعارف الاسكندرية ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٨١. مجلة التوعية الإسلامية العدد السادس عشر، الصادر في ربيع الثاني ١٣٨٦هـ.
- ١٨٢.
- ١٨٣.
١٨٤. مجمع الأمثال لأبي الفضل احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم النيسابوري الميداني، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية.
١٨٥. مجمع الحكم والامثال في الشعر العربي لاحد قبش، الناشر: دار الرشيد، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
١٨٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، الناشر: دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
١٨٧. مجموع فتاوى ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني المتوفى سنة ٧٢٨هـ، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزائر، الناشر: دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
١٨٨. محاضرات الأدباء ومحاوره الشعراء والبلغاء للراغب الأصبهاني، تهذيب ابراهيم زيدان، الناشر دار الآثار بيروت.
١٨٩. مختار الصحاح للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، الناشر: دار القلم لبنان.
١٩٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
١٩١. مسند الإمام الحافظ المحقق العلامة المحدث أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المتوفى سنة ٢٤١هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م. وطبعة أخرى للناشر: بيت الأفكار الدولية لبنان ٢٠٠٤م.
١٩٢. مسند الشهاب محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- ١٩٣.
- ١٩٤.
١٩٥. معجم الأدباء لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
١٩٦. معجم البلدان، تأليف ياقوت بن عبد الله الحموي أبي عبد الله، الناشر: دار الفكر بيروت.
١٩٧. معجم المصطلحات القانونية للدكتور عبد الواحد كرم، الناشر: عالم الكتاب ومكتبة النهضة العربية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٩٨٠. معجم المقاييس للعلامة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى سنة ٣٩٥هـ، الناشر: دار الفكر بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ-١٩٩٨م.
١٩٩٠. مقامات القرني للعلامة والأديب الكبير صاحب القلم السيال واللسان العذب والكلام الطيب والعلم الغزير الدكتور عائض بن عبد الله القرني، طبعة مكتبة الصحافة الشارقة-الامارات مكتبة التابعين- القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٠٠. مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، للشيخ الغزالي، طبعة المطبعة والمكتبة السعيدة بمصر.
٢٠١. من أوراق العمر للشاعر والأديب الكبير والفقير المحقق العلامة عبد الحميد بن محمد المهدي، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، من إصدارات اتحاد المبدعين العرب فرع اليمن، صنعاء.
٢٠٢. موسوعة أسماء الله الحسنى للأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي، الناشر: دار المكتبي دمشق سوريا، الطبعة الخامسة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٢٠٣. موطأ الإمام مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٢٠٤. نشر العرف لنبلأ اليمن بعد الألف للعلامة محمد بن محمد زبارة إعداد مركز الدراسات والبحوث اليمني.
- ٢٠٥.
- ٢٠٦.
٢٠٧. نفح الطيب للترمساني، تحقيق حسين عباس، الناشر: دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
٢٠٨. نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ.
٢٠٩. وسائل الإثبات في الشريعة الإسلامية في المعاملات المدنية والأحوال الشخصية تأليف الدكتور محمد الزحيلي، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
٢١٠. وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تأليف أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر بيروت ١٩٠٠-١٩٩٤م.
٢١١. بالإضافة إلى دواوين وكتب أخرى مذكورة في الهوامش.
- المحتويات
- الفصل الثلاثون ... ٣
- التوكل على الله ... ٥
- التوكل عبادة قلبية ... ٨
- القوة في التوكل على الله ... ٩
- التوكل على الله واتخاذ الأسباب ... ١١
- السنة النبوية ترشد إلى الأخذ بالأسباب ... ١٣
- التوكل على الله يذهب الهم والحزن ... ١٤
- ثمرة التعرف على اسمه سبحانه وتعالى الوكيل الكفيل ... ٢١
- دعاء الله باسمه الوكيل الكفيل ... ٢٢
- الفصل الواحد والثلاثون ... ٢٥
- الشورى ... ٢٥
- الشورى ... ٢٧
- الشورى بركة ... ٢٩
- الشورى لغة واصطلاحا ... ٣٢
- الفرق بين الشورى العامة والديمقراطية ... ٣٥
- في الشورى قوة واخوة ... ٣٧
- لاخير في امر أبرم من غير مشورة ... ٣٨
- الشورى والزاميتها ... ٣٩

- ٤٠ ... فضل الشورى
 ٤٢ ... الخلال المطلوب توافرها في المشير
 ٤٥ ... الحكمة في الشورى
 ٤٧ ... الحكيم من أسماء الله الحسنى
 ٥٠ ... ثمرة معرفه اسم الله الحكيم
 ٥٣ ... دعاء الله باسمه الحكيم
 ٥٥ ... الفصل الثاني والثلاثون
 ٥٥ ... النصيحة
 ٥٧ ... النصيحة
 ٥٩ ... خير الاخوان اكثرهم مبالغة في النصيحة
 ٦٠ ... النصيح لا يجب في العلانية
 ٦١ ... عدم قبول النصيحة حسرة وندامة
 ٦٢ ... الغش في النصيحة
 ٦٣ ... احذر نصائح الشيطان فانها غش وبهتان
 ٦٣ ... النصيحة لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم
 ٦٦ ... الرشيد من أسماء الله الحسنى
 ٦٨ ... ثمرة معرفة اسم الله الرشيد
 ٧٠ ... دعاء الله باسمه الرشيد
 ٧٣ ... الفصل الثالث والثلاثون
 ٧٣ ... التقوى
 ٧٥ ... التقوى
 ٧٦ ... التقوى فضيلة
 ٧٧ ... صفة التقوى والمتقين عند العلماء
 ٧٨ ... التقوى في القرآن الحكيم
 ٨٠ ... ثمرات التقوى
 ٨٣ ... المتقون يستشعرون عظمة الله ويدركون رقابته
 ٨٤ ... الرقيب الشهيد من أسماء الله الحسنى
 ٨٦ ... ثمرة معرفة اسم الله الرقيب, الشهيد
 ٨٧ ... دعاء الله باسمه الرقيب, الشهيد
 ٨٩ ... الفصل الرابع والثلاثون
 ٨٩ ... الحياء
 ٩١ ... الحياء
 ٩٢ ... الحياء في القرآن الكريم
 ٩٣ ... فضل الحياء
 ٩٤ ... قليل الحياء ممقوت
 ٩٥ ... الحياء من الايمان
 ٩٧ ... حياء الانسان من نفسه
 ٩٧ ... الخير كله في الحياء
 ١٠٠ ... السميع البصير من أسماء الله الحسنى
 ١٠٢ ... ثمرة معرفة اسم الله السميع البصير

- دعاء الله باسمه السميع البصير ... ١٠٤
- الفصل الخامس والثلاثون ... ١٠٥
- الشباب ... ١٠٥
- الشباب ... ١٠٧
- مكانة الشباب ... ١٠٩
- الشباب وانتهاز الفرصة واغتنام الوقت ... ١١١
- الشباب يخلفه المشيب ... ١١٣
- البكاء على الشباب ... ١١٤
- القوي المتين العزيز القادر المقتدر في اسماء الله الحسنی ... ١١٨
- ثمرة معرفة اسم الله القوي المتين العزيز القادر المقتدر ... ١٢٣
- دعاء الله باسمه القوي المتين العزيز القادر المقتدر ... ١٢٩
- الفصل السادس والثلاثون ... ١٣١
- صلة الرحم وبر الوالدين ... ١٣١
- صلة الرحم وبر الوالدين ... ١٣٣
- صلة الرحم قوة وسعادة ... ١٣٥
- قصة للاكتم بن صيفي ... ١٣٦
- القريب له حق فلا تخذله ... ١٣٧
- معاداة ذوي القربا وقطيعتهم ... ١٣٨
- فوائد اعطاء ذوي القربى ... ١٤٠
- الوالدان من القرابة ... ١٤٤
- خير الدنيا والاخرة في بر الوالدين ... ١٤٨
- حقوق الوالدين ... ١٥٠
- قصة اوردها القرطبي في التفسير ... ١٥١
- عقوق الوالدين من الكبائر ... ١٥٢
- الرب في اسماء الله الحسنی ... ١٥٧
- ثمرة معرفة اسم الله رب العالمين ... ١٥٩
- دعاء الرب المجيب العظيم بما ورد في القرآن الحكيم ... ١٦١
- الفصل السابع والثلاثون ... ١٦٣
- الرحمة ... ١٦٥
- الرحمة من سماة المؤمنين ... ١٦٥
- رحمة الله واثارها ... ١٦٦
- صلاح الانسان يكسبه رحمة الله ... ١٦٨
- فوائد الرحمة وضرر القسوة والجفوة ... ١٦٩
- علاج قسوة القلب ... ١٧٥
- الرحمن الرحيم في اسماء الله الحسنی ... ١٧٧
- ثمرة معرفة اسم الله الرحمن الرحيم وفائدته ... ١٧٩
- دعاء الله باسمه الرحمن الرحيم ... ١٨١
- الفصل الثامن والثلاثون ... ١٨٣
- الحياة ... ١٨٣
- الحياة ... ١٨٥
- الحياة جميلة فلا تضيعها ... ١٨٧

- بالأمل والقال تصفو الحياة وبالعمل تتجدد ... ١٨٨
 الحياة نقيض الموت ... ١٩١
 الحياة تثقل وتذهب فلا تغتر بها ... ١٩٢
 تقلب الحياة يحث على عمارتها بالعمل الصالح ... ١٩٥
 التحذير من الاعتزاز بالحياة الدنيا يعني عمارة الحياة بالعمل الصالح ... ١٩٨
 الايمان بالحياة الاخرة والتشويق لها مما يحث على عمارة الحياة الدنيا بالعمل الصالح ... ٢٠٠
 الحي القيوم في اسماء الله الحسنی ... ٢٠٣
 ثمرة معرف اسم الله القيوم ... ٢٠٥
 دعاء الله باسمه الحي القيوم ... ٢٠٦
 الفصل التاسع والثلاثون ... ٢٠٩
 الاستغفار ... ٢٠٩
 الاستغفار ... ٢١١
 الله يغفر الذنوب جميعا فلا تكن من القانطين ... ٢١٢
 الاستغفار علاج للأمراض النفسية ... ٢١٣
 الاستغفار وعمل الخير فيه تكفير للذنوب ... ٢١٦
 قصة لعمر بن الخطاب ... ٢١٧
 الاستغفار سعادة وبشارة ... ٢١٧
 الغفور الغافر الغفار من اسماء الله الحسنی ... ٢١٩
 ثمرة معرفة اسمه الغفور الغافر الغفار ... ٢٢١
 سيد الاستغفار ... ٢٢٣
 دعاء الله باسمه الغفور الغافر الغفار ... ٢٢٤
 الفصل الأربعون ... ٢٢٥
 الإيثار ... ٢٢٥
 الإيثار ... ٢٢٧
 الإيثار على النفس خلق كريم ... ٢٢٩
 الإيثار في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اساس في بناء الدولة الاسلامية ... ٢٣١
 ايثار الحياة الدنيا على الاخرة ... ٢٣٢
 الفصل الواحد والأربعون ... ٢٣٧
 الاخلاص ... ٢٣٧
 الاخلاص ... ٢٣٩
 الاخلاص تسببه النية ... ٢٤٤
 النية الطيبة عنصر من عناصر التربية الخلقية ... ٢٤٤
 الرياء يناقض الاخلاص ... ٢٤٦
 الرياء من صفات المنافقين ... ٢٤٨
 ثناء الناس بشرى وليس مما يدفع للرياء ... ٢٤٨
 من لازم الاخلاص لله الولاء والبراء ... ٢٥٠
 الفرق بين المداهنة والمداراة وأثرهما على الولاء والبراء ... ٢٥١
 الولي المولى النصير الحميد في اسماء الله الحسنی ... ٢٥٤
 ثمرة معرفة اسم الله الولي المولى النصير الحميد ... ٢٥٨
 دعاء الله باسمه الولي المولى النصير الحميد ... ٢٦٠
 الفصل الثاني والأربعون ... ٢٦٣
 السعادة ... ٢٦٣

- السعادة ... ٢٦٥
 الاخذ باسباب السعادة في الدنيا سبب للحصول على السعادة في الاخرى ... ٢٦٨
 البحث عن السعادة ... ٢٦٩
 السعيد من صلح قلبه ... ٢٧٢
 القلب وما يعرض له من السعادة والشقاء ... ٢٧٤
 الشقي من طبع على قلبه ... ٢٧٦
 الله مقلب القلوب فلا تغفل ... ٢٧٨
 القابض الباسط في اسماء الله الحسنى ... ٢٨٢
 ثمرة معرفة اسم الله القابض الباسط ... ٢٨٤
 دعاء الله باسمه القابض الباسط ... ٢٨٥
 الفصل الثالث والاربعون ... ٢٨٧
 الرضا ... ٢٨٧
 الرضا ... ٢٨٩
 الرضا يجلب السرور والبهجة، والسخط والغضب يجلبان الهم والحزن ... ٢٩٠
 الرضا بما رضي الله به لك فلاح ونجاح ... ٢٩٢
 الرضا نعمة وسرور وحبور ... ٢٩٥
 الفرق بين الارادة والرضا ... ٢٩٨
 التوافق بين الرضا والقناعة ... ٢٩٩
 بأعمال البر ينال الانسان رضوان الله ... ٣٠٢
 البر من اسماء الله الحسنى ... ٣٠٥
 ثمرة معرفه اسمه الله البر ... ٣٠٧
 دعاء الله باسمه البر ... ٣٠٩
 الفصل الرابع والاربعون ... ٣١١
 الابتهاج والسرور ... ٣١١
 الابتهاج والسرور ... ٣١٣
 من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على عباده ... ٣١٥
 من لازم البهجة والسرور الابتسامة ... ٣١٦
 ادخال السرور على المسلمين سبب في غفران الذنب ودخول الجنة ... ٣١٩
 الفرح والسرور بفضل الله ورحمته نعمة ... ٣٢٠
 الفصل الخامس والاربعون ... ٣٢٣
 علو الهمة ... ٣٢٣
 علو الهمة ... ٣٢٥
 بالهمم العالية تنال المراد فاستعد بالله من الكسل ... ٣٢٧
 الهمة المضيفة والارادة القوية ... ٣٣٠
 اسباب كسب الهمم العالية ... ٣٣٣
 قراءة القرآن تبعث الهمم العالية ... ٣٣٤
 دعاء الله والاستعانة به تبعث الهمم ... ٣٣٥
 الارادة القوية تبعث الهمم العالية ... ٣٣٥
 التوازن في الغذاء يساعد على بعث الهمم ... ٣٣٦
 الهمم العالية لاتعيقها الاحداث ... ٣٣٦
 الغريزة تبعث الهمم ... ٣٣٨

- الفصل السادس والاربعون ... ٣٤١
 الوقت ... ٣٤١
 الوقت ... ٣٤٣
 ادارة الوقت سبيل للنجاح ... ٣٤٥
 اسباب ضياع الوقت ... ٣٤٨
 تمتع بنعمة وقتك ... ٣٥١
 الفصل السابع والاربعون ... ٣٥٩
 الأطفال ... ٣٥٩
 الأطفال ... ٣٦١
 الطفل ان تلقى الرشاد ثما على الخير ... ٣٦٢
 الطفل في لغة العرب ... ٣٦٥
 التسمية الحسن للطفل وتكنيته مما يرفع من معنوياته ... ٣٦٧
 تهنئة من رزق طفلا ... ٣٧٠
 ادب الطفل وتعليمه ... ٣٧٢
 لعب الطفل وراحته مما ينعشه ويشرح نفسه ... ٣٧٤
 الفصل الثامن والاربعون ... ٣٧٩
 التوبة ... ٣٧٩
 التوبة ... ٣٨١
 التوبة فرض عين ... ٣٨٣
 فوائد التوبة واثارها ... ٣٨٤
 التوبة من اهم الدعائم الخلقية فسارع اليها ... ٣٨٦
 قصة في الحديث النبوي ... ٣٨٦
 التواب من اسماء الله الحسنى ... ٣٨٨
 ثمرة معرفة اسم الله التواب ... ٣٩٠
 دعاء الله باسمه التواب ... ٣٩١
 الفصل التاسع والاربعون ... ٣٩٣
 الموت ... ٣٩٣
 الموت ... ٣٩٥
 الموت تحفة المؤمن ... ٣٩٧
 حياتك وموتك لله ... ٤٠٠
 الخلود مستحيل فلا تغتر ... ٤٠١
 الموت ومفارقة الروح الجسد ... ٤٠٥
 الروح سر من اسرار الرحمن ... ٤٠٧
 قصة لأعرابي ... ٤١٠
 ملك وكل بقبض الارواح ... ٤١٠
 المحيي المميت من اسماء الله الحسنى ... ٤١٢
 ثمرة التعرف على اسم الله المحيي المميت ... ٤١٤
 دعاء الله باسمه المحيي المميت ... ٤١٤
 الفصل الخمسون ... ٤١٧
 الصلاة ... ٤١٧
 الصلاة ... ٤١٩
 في الصلاة راحة وسعادة ... ٤٢٠
 الحكمة من الصلاة ... ٤٢١

- في الصلاة تطهارة القلب والبدن ... ٤٢٣
 الصلاة تغرس في الانسان الفضيلة وتبعده عن الرذيلة ... ٤٢٥
 استقبال عين الكعبة ... ٤٢٨
 الصلاة في المساجد ... ٤٢٩
 الصلاة تقوي النفس الانسانية ... ٤٣١
 قصة وردت في الحديث النبوي ... ٤٣٣
 السعادة وصفاً للذهن في الصلاة ... ٤٣٣
 من اسماء الله الحسنى الاول والاخر والظاهر والباطن ... ٤٣٥
 ثمرة معرفه اسمائه الاول والاخر والظاهر والباطن ... ٤٣٧
 دعاء الله باسمه الاول الآخر الظاهر الباطن ... ٤٣٩
 الفصل الواحد والخمسون ... ٤٤١
 الزكاة ... ٤٤١
 الزكاة ... ٤٤٣
 الحكمة من فريضة الزكاة ... ٤٤٤
 الاخوة الدينية لا تحصل دون اداء الزكاة ... ٤٤٦
 الزكاة فيها حفظ المال والسلامة من شروره ... ٤٤٧
 الزكاة سبب في دخول الجنة ... ٤٤٨
 قصة وردت عن حال مانع زكاة ماله ... ٤٤٩
 الزكاة نظام تكافل جاء به الإسلام ... ٤٥٠
 المقدم المؤخر من اسماء الله الحسنى ... ٤٥٥
 ثمرة معرفة اسم الله المقدم المؤخر ... ٤٥٧
 دعاء الله باسمه المقدم المؤخر ... ٤٥٩
 الفصل الثاني والخمسون ... ٤٦١
 الصيام ... ٤٦٣
 بالصيام تكتسب ملكة التقوى ... ٤٦٤
 الصوم فيه تدريب على القيادة والسيادة ... ٤٦٦
 فوائد الصوم ... ٤٦٧
 من اسرار الصوم ... ٤٧٠
 السحور بركة ... ٤٧١
 بالصوم تغفر الذنوب ... ٤٧٢
 الصمد من اسماء الله الحسنى ... ٤٧٣
 ثمرة معرفة اسم الله الصمد ... ٤٧٥
 دعاء الله باسمه الصمد ... ٤٧٦
 الفصل الثالث والخمسون ... ٤٧٧
 الحج ... ٤٧٧
 الحج ... ٤٧٩
 في الحج اجتماع الناس وتألفهم ... ٤٨٠
 جعل الله الكعبة البيت الحرام مثابة للناس وامنا ... ٤٨١
 الاحرام وحكمته ... ٤٨٥
 الحج المبرور ... ٤٨٧
 الحكمة من الطواف ... ٤٨٩

- حكمة السعي بين الصفا والمروة ... ٤٩١
الحكمة من الوقوف بعرفة ... ٤٩٢
العظيم من أسماء الله الحسنى ... ٤٩٥
ثمرة معرفه اسم الله العظيم ... ٤٩٧
دعاء الله باسمه العظيم ... ٤٩٩
الفصل الرابع والخمسون ... ٥٠١
الدعاء والصلاة على النبي ... ٥٠١
الدعاء والصلاة على النبي ... ٥٠٣
أنواع الدعاء في القرآن الكريم ... ٥٠٦
الدعاء سلاح المؤمن ... ٥٠٩
الدعاء ومزاياه الروحية ... ٥١١
الدعاء علاج نفسي ... ٥١٢
الدعاء يرد القضا ... ٥١٣
أدآب الدعاء ... ٥١٥
من أقوال السلف في الدعاء ... ٥١٦
فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ... ٥١٧
فوائد وثمرات الصلاة على النبي ... ٥١٨
القريب المجيب من أسماء الله الحسنى ... ٥٢١
ثمرة معرفة اسم الله القريب المجيب ... ٥٢٣
دعاء الله باسمه القريب المجيب ... ٥٢٤
أهم المراجع ... ٥٢٧
المحتويات ... ٥٤٧